T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 56/E

الجزء الرابع من تفسير الاصفهان

المسمى

بانوار الحقائق الربانيه والتفسير اللطائف القرانيه

لابي الثناء شمس الدين محمود الاصفهاني

٦٤

٦٤

فهرست الاجزاء

ورق
1 ابتداء الجزء الرابع
226 ابتداء الجزء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه اجمعين

قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير اقام الحجة على وجود الاله القادر الحكيم المجيد الرحيم وبين فساد قول من ذهب الى الاشراك بالله وفضل مذاهبهم على احسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها بما هو الايق به ثم حكى مذهب من اثبت لله البنين والبنات وبينه بالبراهين القاطعة والبينات الساطعة فسادا للقول بها فثبت ان الاله العالم فرد احد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والند مقدس عن الاولاد والبنين والبنات ثم صرح بما هو المطلوب فقال ذلكم الله اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات ذلكم مبتدأ وما بعده اخبار متتالية وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه فانه هو المصلح لمهمات جميع العباد وهو الوكيل لكل احد على حصول مهماته المالك لكل شيء من الارزاق والآجال قال الامام ومن تامل في هذا النظم والترتيب في تقرير الدعوة الى التوحيد والتنزيه وبيان فساد التركيب علم انه لا طريق اوضح ولا اصح منه قوله لا تدركه الابصار قيل هذا مجرى على عمومه بحسب الاشخاص والازمان اي لا يحيط به الابصار بل تراه ولا يحيطون به قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه وقال ولا يحيطون به علما فكما يعرفه في الدنيا كذلك تراه في العقبى لا كما المرئيين وقد يرى الشيء ولا يدرك كما اخبر الله تعالى عن اصحاب موسى حيث قرب منهم قوم فرعون انا لمدركون وكانوا قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لان الله تعالى كان وعد موسى عليه السلام انهم لا يدركونه بقوله لا تخاف دركا ولا تخشى وعن سعيد بن المسيب لا يحيط الابصار وعن عطا لا تدركه ابصار المخلوقين وعن الاحاطة به وعن الحسن لا تقع عليه الابصار ولا تهجم عليه العقول ولا تدركه الاذهان عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل لا تدركه الابصار للجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا وقيل هذا يجري على الخصوص عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك لا يخفى عليه شيء ولا يفوته وقيل لا تدركه ابصار الكافرين فاما المؤمنون يرونه قال صاحب الكشاف البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا لاحد لان الابصار انما

تتعلق

تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيات وهو يدرك الابصار وهو اللطيف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف بلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا بلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف احتج اصحابنا بهذه الاية على جواز الرؤية لانه تعالى قال لا تدركه الابصار في معرض المدح بالاتفاق فلو لم يكن جائز الرؤية لم يحصل المدح فان عدم ادراك الابصار اذا لم تكن الرؤية جائزة لم يقتض المدح ويلزم من هذا ان يراه المؤمنون في الآخرة لان المجموع من جواز الرؤية وعدم رؤية المؤمنين في الآخرة منتف بالاتفاق اما عندنا فلانتفاء الثاني واما عند المعتزلة فلانتفاء الاول ولان المراد بالابصار نفسها او المبصرون وعلى التقديرين يلزم ان يكون الله تعالى مبصرا لابصار نفسه او لذاته ويلزم من هذا ان يراه المؤمنون يوم القيمة اذ لا قائل بالفرق ولان قوله لا تدركه الابصار يفيد سلبا لعموم لا عموم السلب وتخصيص هذا السلب بالعموم يدل على ثبوت الحكم في بعض افراد العموم لا ترى انه اذا قيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما امر به كل الناس افاد انه امر به بعض الناس فذلك قوله لا تدركه الابصار معناه انه لا يدركه جميع الابصار فصدقنا انه يدركه بعض الابصار قيل هذا تمسك بدليل الخطاب اجيب بانه ممسك صحيح لانه لو لم تدركه بعض الابصار كان التخصيص عبثا وكلام الله منزه عنه احتجت المعتزلة بهذه الاية على نفي الرؤية تقرير ان الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية يدل على ذلك انه لو قال قائل ادركته ببصري ورايته لكان متناقضا فقوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال والدليل على صحة هذا العموم انه صح استثنا الاشخاص والاحوال فيقال لا تدركه الابصار ولا بصر فلان والا في الحالة العلانية وان عايشة رضي الله عنها انكرت قول ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج تمسكت بهذه الاية وهذه الاية الى هاهنا مشتملة على المدح والثناء وقوله بعد ذلك ايضا مدح فقوله لا تدركه الابصار ايضا مدح وكل ما كان عدمه مدحا كان ثبوته نقصا والنقص على الله تعالى محال فكونه تعالى مرئيا محال واجيب بانا لا نسلم ان ادراك المبصر عبارة عن الرؤية فان الادراك هو الوصول الى الشيء والمرئي اذا كان له حد ونهاية وادركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته صار كانه دلك الابصار احاطت به فسمي هذه الرؤية ادراكا اما اذا لم يحط البصر بجميع المرئي لم يسم تلك الرؤية ادراكا حقيقة فالرؤية جنس تحته نوعان رؤية مع الاحاطة ورؤية لا مع الاحاطة فلم يلزم من نفي الادراك نفي الرؤية فان قيل لما بينتم ان الادراك اسم مغاير للرؤية فقد افسدتم على انفسكم الوجوه التي تمسكتم بها في هذه الاية في اثبات الرؤية اجيب بان الادراك اخص من الرؤية واثبات الاخص يستلزم اثبات الاعم ونفيه لا يستلزم نفيه وان سلم ان الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية ولكن لا نسلم ان نفيه يفيد عموم السلب بل لا يفيد الا سلب العموم وتمسك عايشة بهذه الاية في نفي الرؤية لا يقتضي عموم السلب لاحتمال ان يكون في الدنيا وبان صيغة الجمع كما تحمل على الجموع المعهودة لسابق ايضا واذا كان كذلك فقوله لا تدركه الابصار يفيد ان الابصار المعهودة في الدنيا لا تدركه ونحن نقول بموجبه وان هذه الابصار وهي الاحداق ما دامت تبقى على هذه الصفات التي هي موصوفة بها في الدنيا

لا تدركه تعالى وانما تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها فلم قلتم ان عند حصول هذه التغيرات
لا تدرك الله ولئن سلم ان الابصار لا تدرك الله فلم لا يجوز حصول ادراك الله بحاسة سادسة
مغايرة لهذه الحواس كما كان ضرار بن عمرو يقول به وعلى هذا التقدير فلا يبقى للتمسك بهذه الاية فايدة
وايضا هذه الاية عامة والايات الدالة على اثبات رؤية الله خاصة والخاص مقدم على العام ولئن
سلم ان الابصار لا تدركه تعالى فلم قلتم ان المبصرين لا يدركون الله تعالى واما قولهم ان قوله
لا تدركه الابصار مدح قلنا مسلم ولكن انما يكون مدحا اذا كان الادراك بالبصر جايزا فان العدم
الصرف والنفي المحض لا يكون موجبا للمدح وهو اللطيف الخبير قيل لطيف باستخراج الاشيا خبير بمكانها
وقيل اللطيف من نور قلبك بالهدى وربى جسمك بالغذا وجعل لذلك الولاية في البلوى ويحميك
ويحرسك وانت في لظى ويدخلك الجنة الماوى وقيل اللطيف الذي ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا
وقيل اللطيف الذي ركب من النطفة ثم امنك من الموصلة وقيل اللطيف الذي يشتغل الكثير ويستكثر
القليل من طاعة عباده وقيل اللطيف الذي يغير ولا يتغير وقيل اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصدته
اراك وان احسبته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك وان
اقبلت عليه هداك وقيل اللطيف لا يطلب من الاحباب الاسباب والانساب وقيل اللطيف الذي
يغني المفتقر اليه ويعز المفتخر به وقيل اللطيف من بكا الواني ويعفوا عن الجاني وقيل اللطيف من امره
بقريب وصفه تاديب وقيل اللطيف الذي اعطاه خيره ومنعه ذخيره واصل اللطف دقة النظر
في الاشياء **قوله تعالى** قد جاءكم بصاير من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي
فعليها وما انا عليكم بحفيظ لما قرر الايات الظاهرة والبينات الباهرة المطالب العالية الشريفة
الالهية عاد الى تقرير الدعوة والتبليغ والرسالة البصاير جمع البصيرة وهي نور القلب الذي به
يستبصر كما ان البصر نور العين الذي يبصر به واراد بقوله قد جاءكم بصاير من ربكم الايات المتقدمة
وهي في انفسها ليست بصاير الا انها لقوتها وجلالتها توجب البصاير كمن عرفها ووقف على حقايقها
فلما كانت هذه الايات اسبابا لحصول البصاير سميت انفسها بالبصاير اي قد جاءكم من الوحي والبينة
على ما يجوز على الله وما لا يجوز وقيل هي الحجج البينة يبصرون بها الهدى من الضلال والحق من الباطل وقيل
هي بينات القران والكل صحيح فمن ابصر يعني فمن عرفها وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنها ولم
يعرفها ولم يصدقها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى واما انا عليكم بحفيظ برقيب احصي عليكم اعمالكم انما انا
رسول ابلغكم رسالات ربي والله هو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شي من افعالكم **قوله تعالى**
وكذلك نصرف الايات وليقولوا دارست ولنبينه لقوم يعلمون ان الله تعالى لما بين الايات
الدالة على التوحيد وتم الكلام فيه شرع في اثبات النبوات فبدا بحكاية شبهات المنكرين لنبوة محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم الشبهة الاولى قولهم يا محمد ان هذا القران الذي جيتنا به كلام تستفيد من مدارسة
العلما ومباحثة الفضلا وتظهر من عند نفسك ثم تقراه علينا تزعم انه وحي نزل عليك من عند الله ثم انه
تعالى اجاب عنه بوجوه كثيرة وكذلك نصرف الايات نبينها في كل وجه لندعوكم بها وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها في موضع نصب بنصرف اي ومثلما بينا البصاير نصرفها قراء نافع وحمزة
والكسائي درست اي قرات وتعلمت يا محمد في الكتب المتقدمة وتزعم انه من عند الله وابن كثير وابو عمرو
دارست اي انت يا محمد دارست العلما في هذه الاشيا اي قاراتهم وهذا اشارة منهم الى سلمان وغيره من
الاعاجم واهل الكتاب وابن عامر درست باسناد الفعل الى الايات اي قدمت هذه الايات وعفت
كانه اشارة الى انها ترددت على لسانهم حتى بليت في نفوسهم وانمحت قال ابو علي واللام في ليقولوا على هذه
القراة بمعنى لئلا يقولوا اي صرفت الايات واحكمت لئلا يقولوا هذا اساطير قديمة قد بليت وتكررت
على الاسماع واللام على ساير القراات لامر الصيرورة قيل وليقولوا عطف على مضمر والتقدير وكذلك نصرف
الايات لنلزمهم الحجة وليقولوا فحذف المعطوف عليه لوضوح معناه ولتصير اللام في ليقولوا مجاز وفي
لنبينه حقيقة لان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن لانه حصل هذا
القول بتصريف الايات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه قيل تقديم
المجاز على الحقيقة في الذكر غير جايز والاولى ان يحمل على ظاهره اي وكذلك نصرف الايات ليقولوا بعضهم
دارست فيزدادوا كفرا على كفر ولنبينه لبعضهم فيزدادوا ايمانا على ايمان ونظيره قوله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا والضمير في لنبينه يرجع الى الايات لانها في معنى القران كانه قيل وكذلك نصرف القران وان لم يجر له
ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرا درست
ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر **قوله تعالى**
اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين لما حكى الله عن الكفار انهم ينسبونه
في اظهار هذا القول الى الافترا والى انه يدارس اقواما ويستفيد هذه العلوم منهم ثم يجمعها قرانا ويدعي
انه نزل عليه من عند الله اتبعه بقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين
لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي
حصل بسبب سماع تلك الشبهة لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز
ان يكون حالا من ربك وهي حال موكدة لقوله وهو الحق مصدقا واعرض عن المشركين قيل المراد ترك القتال
وقيل نسخ وليس بمستقيم لان الامر بترك القتال في الحال لا يقتضي تركه دايما فلا يلزم نسخ وقيل المراد ترك
مقاتلتهم فيها بالوية من يتبعه وان يعدل صلى الله عليه وسلم الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد
عن التنفير والتغليظ **قوله تعالى** ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا

وما انت عليهم بوكيل هذا ايضا يتعلق بقولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما جمعت هذا القران
من مدارسة الناس فكانه تعالى يقول له لا تلتفت الى قول هاولا الكفار ولا يغلب عليك كفرهم فلو شاء
الله ان لا يشركوا ما اشركوا لان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وظاهر هذه الاية رد على المعتزلة فانها
تدل على ان الشرك بمشية الله تعالى ولا قدرة لاحد على ازالة الكفر وترك الشرك وما جعلناك عليهم حفيظا
تمنعهم من الشرك وما انت عليهم بوكيل في المنع من الشرك انما جعلناك منذرا بليغا للاوامر والنواهي مبينا لها فان
قبلوا وانقادوا فنفعه عايد اليهم **قوله تعالى** ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون هذا الكلام
ايضا متعلق بقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم انما جمعت هذا القران من مدارسة الناس ومذاكرتهم فان المسلمين
لما سمعوا مقالتهم شتموا الهتهم على سبيل المعارضة فنهى الله تعالى المسلمين عن سبهم قيل لما انزل الله انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته يا محمد عن سب الهتنا لنهجون الهك فنزلت
هذه الاية وقيل لما قربت وفاة ابي طالب قالت قريش ندخل عليه ونطلب ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي
ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث
وامية وابي ابنا خلف وعتبة ابن ابي معيط وعمرو ابن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب
انت كبيرنا وان محمدا قد اذانا فنحب ان تدعوه فنهاه عن ذكر الهتنا وانذعه والهه فدعاه فقال له هاولا قومك
وبنو اعمك يطلبونك ان تتركهم على دينهم ويتركوك على دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم
هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر
امثالها فما هي قال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قد غيرها يا ابن اخي فان
قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا الذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها بين يدي ما قلت غيرها فقالوا
لتكفن عن شتم الهتنا او لنشتمنك ولنسبن من يامرك فانزل الله هذه الاية ولا تسبوا الاصنام الذين
يدعونها من دون الله فيسبوا الله اعتداء وظلما بغير علم جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به فان قيل سب الالهة
حق وطاعة فكيف صح النهي وانما يصح النهي عن المعاصي اجيب بان سب الالهة وان كانت طاعة لكن اذا وقع
على وجه يستلزم وجود منكر عظيم وجب الاحتراز منه وللامر هاهنا كذلك لان سب الالهة يستلزم
اقدامهم على سب الله وسب رسوله او على فتح باب الشفاعة وعلى تنفيرهم عن قبول الدين ادخال اللفظ
والغضب في قلوبهم وحكم هذه الاية على كل حال باق في الامة فمتى كان الكافر في منعة وخيف ان يسب الاسلام
والنبي صلى الله عليه وسلم والله عز وجل فلا يحل لمسلم ان يسب دينهم ولا يتعرض ما يودي الى ذلك ونحوه وعبر
عن الاصنام وهي لا تعقل بالدين بناء على معتقد الكفرة فهما كذلك زينا يعني كما زينا لهاولا المشركين عبادة الاوثان
وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه

ويخترعه

ويخترعه في النفوس من المحبة للخير او الشر والاتباع لطرقه قال صاحب الكشاف اي امهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وهذا عدول عن الظاهر الى تاويل يدل
العقل والنقل على بطلانه ثم الى الله مرجعهم اي امرهم مفوض الى الله وهو عالم باحوالهم يطلع على ضمايرهم
فينبئهم بخبرهم يعلمهم ان خير فخير وان شر فشر وهذا يتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا
للمسيئين **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن
بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افيدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون قيل ان الكفار لما نزلت ان نشا ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقسموا انها ان نزلت امنوا فنزلت هذه الاية وقيل
قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنى عشر عينا وتخبرنا
ان عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فاتياك من الايات حتى نصدقك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي شي تحبون ان اتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى
نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة يشهدون لك او ايتنا بالله والملايكة قبيلا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك
اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوا الله ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح ذهبا فان لم
يؤمنوا هلكوا على اخرهم معاجلة كما فعل بالامم اذ لم يؤمنوا بالايات المقترحة وان شئت تركتهم حتى موت ياتيهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى موت ياتيهم فنزلت واقسموا الضمير في اقسموا عايد على المشركين
المتقدم ذكرهم اي وحلف هاولاء المشركين بالله جهد ايمانهم نصب على المصدر والعامل فيه اقسموا عند
سيبويه لانه في معناه وعند المبرد فعل من لفظه اي جهدوا جهد ايمانهم اوكد ما قدروا عليه من الايمان
واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم اية اللام موطية للقسم
مؤذنة به ليؤمنن بها اللام فيها هي الملقبة للقسم وامه علامة اي والله لئن جاءهم اية كما جاء من قبلهم
من الامم ليؤمنن بها قل يا محمد على جهة الرد انما الايات عند الله والقادر على اتيانها لست عندي فتقترح
علي وما يشعركم قيل المخاطبون بذلك الكفار وقيل المؤمنون في معناه وما يدريكم انها قرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار فمن قرا تؤمنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت
له المخاطبة اولا واخرا للكفار ومن قرا يؤمنون بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو والكسائي فيحل ان يخاطب
بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستانف الاخبار عنهم للمؤمنين ومفعول يشعركم الثاني محذوف ويختلف تقديره
بحسب كل تاويل وقرا نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر انها بفتح الالف فمنهم

من جعلها ان التي تدخل على الجمل وتاتي بعد الافعال كعلمت وطبت واعمل فيها يشعركم والتزم بعضهم ان لا زايدة
في قوله لا يومنون وان معنى الكلام وما يشعركم انها اذا جاءت يومنون او تومنون فزيدت لا كما زيدت في قوله
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لان المعنى وحرام على قرية مهلكة رجوعهم وكما زيدت في قول الشاعر
ابا جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قايله قال الزجاج اي جود بالبخل ودعا الى التزام
هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زايدة لعاد الكلام عذرا للكفار ويسند المراد بالاية وضعف الزجاج وغيره
زيادة لا وقال هو غلط وقيل انهم بمعنى لعلهم من قول العرب ايت السوق انك تشتري لحما وقال امرئ القيس
عوجوا على الطلل المحيل لانا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وحكى سيبويه عن الخليل وهو تاويل لا يحتاج تعالى تقدير
زيادة لا ويقويها قراة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يومنون وضعف ابو علي هذا بان التوقع الذي فيه لا يناسب
لانه بعد التي حكمت بانهم لا يومنون وترجح عنده في الاية من يكون ان على بابها وان يكون المعنى قل انما الايات عند
الله لانها اذا جاءت لا يومنون فهو لا ياتي بها لاصرارهم على كفرهم ويكون الاية نظير قوله تعالى وما منعنا ان
نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اي بالايات المقترحة وقيل ويترتب على هذا التاويل ان تكون ما
نافية وقد الى ذلك ابو علي وترجح عنده ايضا ان تكون لا زايدة وبسط شواهده في ايات المحبة وحكى بعض
المفسرين ان في اخر الاية حذفا يستغنى به عن زيادة لا وعن تاولها بمعنى لعل وتقديره عندهم انها اذا جاءت
لا يومنون او يومنون قيل وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الاية ولا يقتضيه ويحتمل ان تكون الاية تتضمن
الاخبار انهم لا يومنون وقيل لهم وما يشعركم بهذه الحقيقة اي لا سبيل الى شعوركم وهي حق في نفسها وهم
لا يومنون اي لو جاءت وما استفهام على هذا التاويل ونقلب افيدتهم وندرهم قيل عطف على لا يومنون داخل
في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يومنون وما يشعركم انما نقلب افيدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم
وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا لولا يومنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم
وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نفكهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقيل نقلب افيدتهم
وابصارهم في النار وفي لصها في الاخرة لما لم يومنوا في الدنيا ثم استانف على هذا وندرهم في الدنيا في طغيانهم
يعمهون وقيل لما في الاية بمعنى المجازاة اي كما لم يومنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افيدتهم عن الهدى ونطبع
على قلوبهم وكانه قال ونحن نقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا اول مرة بما دفع اليه من الشرع والضمير
في به يحتمل ان يعود على الله او على القران او على النبي **قوله تعالى** ولو اننا نزلنا اليهم
الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون
بين الله تعالى في هذه الاية تفصيل ما ذكره على سبيل الاجمال في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم يشهدون لك بالنبوة كما قالوا فاتوا باباينا وحشرنا
وجمعنا عليهم كل شيء قبلا عيانا كما قالوا لو ما تاتي بالله والملايكة قبيلا قرا نافع وابن عامر هاهنا وفي الكهف

قبلا

قبلا بكسر القاف وفتح الباء وعاصم وحمزة والكسائي بالضم فيهما في السورتين وابن كثير وابو عمرو بالضم فيهما
هاهنا عن ابي زيد يقال لقيت فلانا قبلا ومقابلة وقبلا وقبيلا كل واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراتين
واحد وان اختلف اللفظان ومن الناس من اثبت اللفظين تفاوتا في المعنى فقال اما من قرا قبلا بكسر
القاف وفتح الباء فقال ابو عبيدة والفرا والزجاج معناه عيانا يقال لقيته قبلا اي معاينة عن ابي ذر قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم اكان ادم نبيا فقال نعم كان نبيا كلمه الله قبلا فله ثلثة اوجه احدها ان يكون جمع
قبيل اي جمعنا عليهم كل شيء كفلا بصحة ما بشرنا به وانذرنا وموضع الاعجاز فيه ان الاشيا المحشورة منها
ما ينطق ومنها ما لا ينطق فاذا انطق الله الكل واظنوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات وثانيها
ان يكون قبلا جمع قبيل بمعنى الضيف والمعنى حشرنا عليهم كل شيء قبيلا قبلا اي جماعات وموضع الاعجاز هو الخبر
بعد الموت وكونها مجتمعة في موقف واحد على اختلاف طبايعها وثالثها ان يكون قبلا بمعنى قبلا اي مواجهة ومعاينة
ما كانوا ليومنوا اي لو اظهر الله جميع تلك الاشيا العجيبة والامور الغريبة لها ولا الكفار فانهم لا يومنون الا
ان يشاء الله ايمانهم فلما لم يومنوا دل ذلك على ان الله تعالى ما شا منهم الايمان وهذا دل على ان الايمان والكفر
والخير والشر بمشية الله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون بان الكل بمشيته تعالى وقضائه وقدره قال صاحب
الكشاف ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الايات
او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هاولا لا يومنون الا ان نضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت المقترحة
قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون اي كذلك زينا لكل امة عملهم
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس والاية تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدرة
عليه اي كما ابتليناك يا محمد بهاولا الاعدا قد ابتلينا غيرك من الانبيا بعدو شياطين الانس والجن
وعدوا مفرد في معنى الجمع ونصبه على المفعول الاول لجعلنا والمفعول الثاني في قوله لكل نبي ونصب الشياطين
على ان يكون بدلا من قوله عدوا وقيل عدوا وشياطين مفعولان لجعلنا فقوله وجعلوا لله شركاء الجن
وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من الانس والمتمردين من الجن الذين هم من قبح فعلهم وطغيانهم
كالشياطين ويويده حديث ابي ذر انه صلى يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ يا ابا ذر من
شياطين الجن والانس قال وان من الانس لشياطين قال نعم وقيل المراد الشياطين الموكلون بالانس
والشياطين الموكلون بالجن فان ابليس قسم جنده فريقين فبعث منهم فريقا الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين
الانس والجن اعداء لرسول الله لاوليايه فهم يلتقون في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن
اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن للانس كذلك وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني

عليه فاسلم فلا يامرني الا الخير يوحي بعضهم يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن
يوسوس الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول غرورا اما بزينة من القول وللاغرا على المعاصي
وهو غرورا خدعا واخذا على غيره غرورا منصوب على المصدر وهذا المصدر محمول على معنى الزخرف
لان معنى الجا الزخرف من القول معنى الغرور فكانه تعالى قال يغرون غرورا والتحقيق فيه ان المغرور هو
الذي يعتقد في الشي كونه مطابقا للمنفعة والمصلحة مع انه في نفسه ليس كذلك فالغرور اما ان يكون
عبارة عن عين هذا الجهل او عن حالة متولدة عن هذا الجهل فتاثير بعضهم في بعض لا يمكن ان يعبر عنه
بعبارة الحمل ولا اقوى دلالة على تمام المقصود من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قوله
ولو شاء ربك ما فعلوه اي اعادة وقيل ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول وهذا يدل على ان الكفر والايمان
بارادة الله فذرهم وما يفترون قال بن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغيرهم **قوله تعالى**
ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون الصغو معناه الميل
يقال في المستمع اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت انه يصغي ويقال اصغى الانا اذا اماله حتى انصب بعضه
في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى فقوله ولتصغى اي ولتميل وجواب ولتصغى محذوف
تقديره ولتصغى اليه جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه
الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبيا وسوسة افيدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه لانفسهم
وليقترفوا ما هم مقترفين من الاثام وقيل ولتصغى متعلق بقوله يوحي بعضهم الى بعض والتقدير ان بعضهم يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول ليقتروا بذلك ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا
الذنوب ويكون المراد ان مقصود الشياطين من ذلك الايحا هو مجموع هذه المعاني **قوله تعالى**
افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاتهم اية
ليومنن بها اجاب عنه بانه لا فايدة في اظهار تلك الايات لانه تعالى لو اظهرها لبقوا مصرين على كفرهم ثم
انه تعالى بين في هذه الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلبا للزيادة وذلك
مما لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى
قد حكم بنبوته من حيث انه انزل اليك الكتاب المفصل المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والبلاغة الكاملة
والفصاحة الشاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وظهور المعجزة عليه يدل على انه تعالى قد حكم بنبوته
فقوله تعالى افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق
من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق
وعليكم بالاقرار والثاني من الامور الدالة على نبوته وان القران منزل من ربك بالحق ان الذين اتيناهم الكتاب

يعلمون

يعلمون انه منزل من ربك بالحق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج
والالهاب اي التحريض كقوله ولا تكونن من المشركين وقيل فلا تكونن في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق ولا يريك جحود اكثرهم وكفرهم به وقيل فلا تكونن خطاب لكل احد على معنى انه تظاهرت الايات
وتعاضدت البينات على صحته وصدقه فلا ينبغي ان يمترى فيه احد وقيل هذا الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بحسب الظاهر والمراد امته قرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد والباقون
بالتخفيف **قوله تعالى** وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم انه تعالى بين في الاية المتقدمة ان القران معجز فذكر في هذه الاية انه تمت كلمة ربك اي تم
القران في كونه معجزا دالا على صدق محمد قوله صدقا وعدلا اي تمت تماما صدقا وعدلا وقيل مصدران
ينتصبان على الحال تقديره صادقة وعادلة قرا عاصم وحمزة والكسائي كلمة بغير الف على الواحد والباقون
كلمات على الجمع قيل الكلمة والكلمات ما جاء من وعد ووعيد وثواب وعقاب فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال
ما يبدل القول لدي والكلمة في الاية موصوفة بصفات منها كونها تامة اي وافية بكونها معجزة دالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم كافية في بيان ما يحتاج اليه الناس الى قيام القيمة علما وعملا وقيل ان علم الله هو الذي
حصل في الازل ولا يحدث بعد ذلك شي وذلك الذي حصل في الازل هو التمام والزيادة عليه ممتنعة والى هذا
اشار بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة ومنها كونها صدقا فان الكذب نقص والنقص
على الله محال ولا يمكن اثبات امتناع الكذب على الله بالدلايل السمعية لان صحة الادلة السمعية موقوفة
على ان الكذب على الله محال فلو اثبتنا امتناع الكذب على الله بالادلة السمعية لزم الدور قال الامام واعلم ان
هذا الكلام كما يدل على ان الخلف في وعيده محال يدل على ان الخلف في وعيده ايضا محال بخلاف ما قاله الواحدي
في تفسير قوله ومن يقتل مومنا متعمدا ان الخلف في وعد الله جايز لان وعد الله ووعيده كلمة الله فلما دلت
هذه الاية على ان كلمة الله يجب كونها موصوفة بالصدق علم ان الخلف كما انه ممتنع في الوعد كذلك ممتنع في
الوعيد ومنها كونها عدلا بيان ذلك ان ما وقع في القران خبره تكليف فالخبر صدق والتكليف عدل وقيل ان ما
اخبر به وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد وان يكون واقعا وبعد وقوعه عدل لانه تعالى
منزه عن الظلم ومنها لا مبدل لكلماته قيل معناه ان هولاء الكفار يلقون الشبهات في كونها دالة على صدق
محمد لكن تلك الشبهات لا تاثير في هذه الدلالة التي لا تفيد التبديل لان تلك الدلالة جلية قوية
قاطعة لا تزول بسبب نزهات الكفار وشبهات اوليك الجهال وقيل المراد انها موصوفة عن الاختلاف
والنقايص كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل انها تبقى مصونة عن التحريف
والتغيير كما قال تعالى وانا له لحافظون وقيل ان احكام الله لا تقبل التبديل والزوال لانها ازلية والازلي
لا يزول قال الامام واعلم ان هذا احد الاصول القوية في اثبات الخير لانه تعالى كما حكم على زيد بالسعادة وعلى

عمرو بالشقاوة ثم قال لا مبدل لكلمات الله يلزم امتناع ان ينقلب السعيد شقيا وان ينقلب الشقي
سعيدا فالسعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه **قوله تعالى**
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اجاب اولا عن شبهات الكفار ثم بين صحة نبوته صلى
الله عليه وسلم ثم بين ان العاقل لا ينبغي ان يلتفت الى كلمات الجهال وان يتشوش بسبب كلماتهم الفاسدة
فقال وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس وهم الكفار ويدل على ذلك قوله وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين فيما يعتقدون من الحكم على الباطل بانه حق وعلى الحق بانه باطل يضلوك عن الطريق الحق والمنهج الصدق
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء
او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا قيل من منصوب المحل بنزع الخافض اي اعلم بمن وقيل مرفوع المحل لانه بمعنى
اي كانه قيل اي يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين قيل هذا يوجب وقوع التفاوت في علم الله اجيب بان
المراد من هذا ان العناية باظهار هداية المهتدين فوق العناية باظهار ضلال الضالين **قوله تعالى**
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين عن ابن عباس قال المشركون للمؤمنين انكم تزعمون
انكم تعبدون الله فما قتل الله لكم احق ان تاكلوا مما قتلتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه وقيل الذبح اي المذكى باسم الله خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم وقيل انهم كانوا
يحرمون اصنافا من الغنم ويحلون الاموات فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله اي احلوا المذكى
باسم الله وحرموا الميتة **قوله تعالى** وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم
ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
قرا نافع وحفص عن عاصم بالفتح فهما على معنى فصل الله ما حرم عليكم فاسند الفعل الى الفاعل وقد جرى
ذكره في قوله اسم وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالضم فهما على ما لم يسم فاعله لقوله ذكر وحمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم فصل بالفتح حرم بالضم وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل بين لكم ما حرم عليكم
ما لم يحرم وهو قوله في المائدة حرمت عليكم الميتة ولقائل ان يقول سورة الانعام مكية وسورة المائدة من
اخر ما انزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل يلزم منه ان يكون ذلك المفصل مقدما على هذا المجمل والمتاخر
عن المكي فيمتنع ان يكون متقدما والاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
على طاعم هذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان
يكون هو المراد قوله الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم اذا دعتكم الضرورة الى اكله
بسبب شدة الجوع وان كثيرا ليضلون قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء ههنا وفي يونس ربنا ليضلوا
وفي ابراهيم ليضلوا وفي الحج ثاني عطفه ليضل وفي لقمن لهو الحديث ليضلوا في الزمر انداد ليضل وعاصم

وحمزة

وحمزة والكسائي جميع ذلك بضم الياء ونافع وابن عامر ههنا وفي يونس بفتح الياء في سائر المواضع بالضم
اي يضلون ويضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم بغير علم بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين
في قلوبهم وضمائرهم التعدي وطلب نصرة الباطل والسعي في اخفاء الحق والمقصود التهديد والوعيد
قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
لما ذكر انه فصل المحرمات اتبعه بالنهي عنها بالعلية واراد بالاثم ما يوجبه فظاهر الاثم ما اعلن به وباطنه
ما اسر وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر الاثم الزنى في الحوانيت وظاهره الصديقة في السر وقيل النهي عام في
جميع المحرمات **قوله تعالى** ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون لما بين انه يحل اكل ما ذبح على اسم الله ذكر بعده
تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله ويدخل فيه ما قد مات ولم تدرك ذكاته او ذبح لغير الله وانه اي وان الاكل منه لفسق
جعل ما لم يذكر اسم الله عليه اكله فسقا او وان ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا
مبالغة في الاجتناب عنه قال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله عليه حرام سواء ترك الذكر عمدا او نسيانا وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه ان ترك الذكر عمدا حرم وان ترك نسيانا حل وقال الشافعي يحل متروك التسمية
سواء ترك عمدا او خطا اذا كان الذابح اهلا للذبح وخصص هذا النهي بما ذكر اسم غير الله عليه فان هذا النهي
مخصوص بما كان هذا الاكل فسقا ووجدنا في اية اخرى الفسق مفسر بقوله اهل به لغير الله وايضا اراد بهذا
الذكر ذكر القلب ومتروك التسمية وجد فيه ذكر القلب لقوله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على قلب المؤمن
قال اولم وان الشياطين ابليس وجنوده ليوحون ليسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم مما قتله الله وهي ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال صلى الله عليه وسلم
قتلها قالوا افتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال وما قتل الله حرام فانزل الله
هذه الاية وقيل فان الشياطين اي مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك ان المجوس
من ملك فارس لما انزل الله تحريم الميتة كتبوا الى مشركي قريش فكانوا اولياءهم في الجاهلية وكانت بينهم مكاتبة
ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه فهو حرام ولا ياكلونه فوقع في انفس ناس
من المسلمين من ذلك شيء فانزل الله هذه الاية ثم قال ولئن اطعتموهم في اكل الميتة انكم لمشركون لان من اتبع
غير الله في دينه فقد اشرك به قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله او احل شيئا مما حرم الله
فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله وهذا هو الشرك **قوله تعالى** اومن كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا
يعملون لما بين في الاية الاولى ان المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله ذكر ما يدل على حال المهتدي
المؤمن وعلى حال الضال الكافر فبين ان المؤمن المهتدي الذي هداه الله بعد الضلالة وميز بين الحق والباطل

والمهتدي والضال فمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم
من بعض ويفصل بين حلالهم وبين من بقي على الضلالة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته
هذه وهو قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها فقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انها راى صفتها هذه وهي قوله فيها الف او الف استفهام دخلت على واو عطف جملة على
جملة ومن بمعنى الذي والفاء في قوله فاحييناه عاطفة والمعطوف عليه كان وجعلنا له نورا ايضا عطف
على كان يمشي به يراد به جميع التصرف في الافعال والاقوال وفي الناس متعلق بيمشي ويصح ان يكون متعلقا
بخارج منها وقوله من مبتدا وقوله كمن مثله خبره وقوله مثله في الظلمات مبتدا وخبر صلة للموصول الذي هو من
في قوله كمن قيل مثل زايد تقديره كمن تقديره او من كان ميتا فمن هو في الظلمات كذلك زين الكاف فيه
متعلقة بمحذوف يدل ظاهر الكلام عليه تقديره وكما احيينا المومنين وجعلنا لهم نورا كذلك زين للكافرين
ويحتمل ان يتعلق بقوله كمن مثله اي كهذه الحال هو الزين قرا نافع ميتا بالتشديد والباقون بالتخفيف
قيل ما مثل به وان كان عاما في كل مومن وكل كافر فانما نزلت في مخصوصين قال الضحاك المومن الذي كان ميتا
فاحيى عمر بن الخطاب وقيل انه حمزة بن ابي عبد المطلب وقيل عمار بن ياسر وقيل الذي في الظلمات ابو جهل
روي ان ابا جهل لعنه الله رمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يومن بعد فاخبر حمزة بما فعل
ابو جهل وهو راجع قبضة وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى
الا ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف ابانا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من
دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الاية **قوله
تعالى** وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون
قيل ولذلك جعلنا يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وقيل انه معطوف على ما قبله اي كما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا وجعلنا بمعنى صيرنا فهي
تتعدى الى مفعولين فالاول مجرميها والثاني اكابر وقدم للاهم اذ لعله كبرهم اجرموا قيل يحتمل ان يكون المفعول
الاول اكابر ومجرميها مضاف اليه والمفعول الثاني في كل قرية وليمكر ذا نصب بلام الصيرورة وذلك
يدل على انه تعالى انما جعلهم بهذا الوصف لانه اراد منهم ان يمكروا فيها وهذا يدل على ان الخير والشر بارادة
الله وخص الاكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على المكر وترويج الاباطيل ولانهم هم الحاملون على الضلال
والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم قال تعالى ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وهذا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعده بالنصرة
عليهم **قوله تعالى** واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله اي
تشططوا وقالوا انما فلق لنا البحر انما يحيي لنا الموتى ونحو ذلك وقيل لن نومن حتى يحصل لنا هذا المنصب

الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون صح

من عند الله

من عند الله وهذا يدل على نهاية حسدهم وانهم انما بقوا مصرين على الكفر لا لطلب الحجة والدلايل بل لغاية الحسد
روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا
وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا يرضى به والله لا يتبعنا ابدا الا ان ياتينا باية فنزلت الاية ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى
صحفا منشرة الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للرسالة الا من يشاء ويعلم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم واعلم متعلق العمل والعامل في حيث فعل تقديره يعلم حيث ثم توعد تعالى
بان قال سيصيبهم اي من الذين اجرموا من اكابرنا صغار ذلة في الدنيا بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في
الاخرة وعند متعلق بسيصيب ويصح ان يتعلق بصغار لانه مصدر قال الزجاج التقدير صغار
ثابت عند الله قال ابو علي متعلقا بصغار دون تقدير ثابت ولا بني غيره **قوله تعالى**
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون فمن شرط ويشرح جوابه اي يوسع قلبه وينوره
ليقبل الاسلام روي انه لما نزلت هذه الاية سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال
نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له وينفسح فقالوا قيل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الفوت ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
قرا ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون ضيقا بكسر الياء وشدها وكذلك في الفرقان وقرا ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي حرجا بفتح الراء وعاصم ونافع في رواية ابي بكر حرجا ما قال ابو علي فمن فتح الراء
كان وصفا بالمصدر كما تقول رجل قمن بلد وجري وذنب ومن كسر الراء فهو كديف وقمن وفرق وقال
سيبويه الحرج بالفتح المصدر كالطلب والحلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو اشد الضيق يعني يجعل
قلبه ضيقا لا يدخله للايمان وقيل حرجا شكا وقيل ملبسا وقيل قلقا وقيل ليس للخير فيه منفذ روي انه قرا
ابن عباس هذه الاية فقال هل هاهنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر
المشتبك الذي لا طريق فيه قال ابن عباس كذلك قلب الكافر وروي ان عمر بن الخطاب قراها يوما ففتح الراء وقرا
بعض من عنده من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرجا بالكسر فقال عمر بن الخطاب ابغوا لي رجلا من كنانة
وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاءه قال له يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل
اليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير كانما يصعد في السماء يعني يشق
عليه الايمان ويمتنع ويعجز عنه كما يشق اليه صعود السماء اي كان هذا الضيق الصدر يحاول الصعود
في السماء متى حاول الايمان او فكه فيه ويجد صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء قيل كانما يزاول امرا
غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع عادة ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه القدرة قرا نافع وابن

وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بادغام التاء من يصعد في الصاد وعاصم في رواية ابو بكر يصاعد بادغام
التاء من يتصاعد في الصاد وابن كثير يصعد كذلك اي كذلك يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون كما جعل صدره
ضيقا حرجا وقيل مثل قصصنا عليك يجعل الله الرجس قيل الرجس هو الشيطان سلطه عليه وقيل هو
المأثم وقيل بالاخير فيه وقيل العذاب وقيل اللعنة في الدنيا وعذاب الاخرة وهذه الاية نص صريح في ان الله
عز وجل يريد هدى المؤمن وضلال الكافر وان الله يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون واما قول صاحب الكشاف
فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له صلاحية اللطف صدر الاسلام يلطف به
حتى يرغب في الاسلام ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه
وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد
فلا يدخله الايمان يجعل الله الرجس يعني الخذلان وضع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق
من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب فعدول
عن الظاهر الى غيره الذي دل العقل والنقل على فساده **قوله تعالى** وهذا صراط ربك
مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون هذا اشارة الى ما تقدم ذكره قيل اشارة الى ما ذكر في الاية
المتقدمة وهو ان الفعل موقف على الداعي وهو من الله فالنقل من الله وهو التوحيد المحض وانما وصفه
بكونه مستقيما لان قوله غير مستقيم لان رجحان احد طرفي الممكن على الاخر ان لم يتوقف على مرجح وجب عدم
التوقف في المحدثات فيلزم نفي الصانع وان توقف على مرجح وجب عدم التوقف في المحدثات فيلزم نفي الصانع
وان توقف على مرجح من العبد يلزم الدور او التسلسل وان توقف في بعض الصور كما تقوله المعتزلة فهو غير
مستقيم لان المستقيم هو ثبوت الحاجة على الاطلاق وهو عين مذهب اهل السنة وقيل هذا اشارة
الى كل ما سبق ذكره في القران قال ابن عباس اي هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني
القران قال الامام الاولى اولى لان عود الاشارة الى اقرب المذكورات اولى لما امر الله بمتابعة ما في الاية
المتقدمة وجب ان يكون من المحكمات فيجب اجراؤها على ظاهرها ويحرم التصرف فيها بالتاويل مستقيما
انتصابه على انه حال مؤكد ونفصل للايات ذكرها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر والله تعالى
قد بين صحة القول بالقضاء والقدر في ايات كثيرة من هذه السورة متوالية من طرق كثيرة ووجوه مختلفة
لقوم يتذكرون قال الامام والذي اظنه والعلم عند الله انه تعالى انما جعل منقطع هذه الاية هذه اللفظة
لانه تقرر في عقل كل احد ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا لمرجح فكانه تعالى يقول للمعتزلي ايها المعتزلي تذكر
ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه على الاخر الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك بالكلية في مسئلة
القضاء والقدر **قوله تعالى** لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا
يعملون اي لقوم يذكرون دار السلام دار الله دار الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها وخص

من اسمايه

من اسمايه السلام لان اثره السلامة من كل افة ومن دخلها سلم من البلايا والرزايا ومن الامراض
والخوف والحزن والاعداء ولان كل حالة من حالات اصلها مقرونة بالسلام اما ابتداء فقوله ادخلوها بسلام
امنين وبعد ذلك والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وبعده لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما
الا قيلا سلاما سلاما وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله تحيتهم فيها سلام وقوله تحيتهم يوم يلقونه
سلام وقوله سلام قولا من رب رحيم فلما كانت حالات اهل الجنة مقرونة بالسلام اما من الخلق واما من الحق
سماها الله دار السلام واضافه الى اسمه السلام لان هذه كلها اثار اسمه السلام عند ربهم في ضمانه
كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كميتها لقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقيل معد عنده كما تكون الحقوق معدة مهياة حاضرة ونظيره قوله جزاؤهم عند ربهم وذلك نهاية في
شان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من ذلك وهذا مشعر بان ذلك الامر الذخر موصوف بالقرب من الله
بالشرف والرتبة لا بالمكان والجهة لتنزهه تعالى عنهما وبان ذلك الشرف والرتبة لا يعرف كنههما الا الله
واضافة عند الى ربهم يشعر بان وصول الرحمة والنعمة اليهم في الجنة مترادفة متوالية لا مقطوعة ولا ممنوعة
شاهده قوله تعالى اكلها دايم وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدايهم وقريبهم فقوله عند ربهم يدل على
قربهم وقوله وهو وليهم يدل على قرب الله منهم ولا يتصور درجة اعلى من هذه الدرجة للعبد وايضا
وهو وليهم يفيد الحصر اي لا ولي لهم الا هو وهذا التشريف انما يحصل على التوحيد المذكور في قوله فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فهاولاء القوم قد عرفوا من هذه الاية ان المدبر والمقدر
والنافع والضار والمسعد والمشقي ليس الا هو وانه لا مبدا للكاينات الا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا
عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه وما كان انسهم الا به وخضوعهم الا له
فلما صيروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم وهذا اشارة الى انه تعالى متكفل بجميع مصالحهم
في الدين والدنيا ويدخل فيه الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وايصال الخيرات ودفع الافات
والبليات بما كانوا يعملون يعني يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والعمل وفي الاخرة بالثواب وقيل بسبب
اعمالهم وقيل متوليهم جزاء ما كانوا يعملون وهذا يفيد ان هذا تفضله لا بعمله وان كان منبرها على العمل
فينسب ترتبه على العمل بكون العمل كالسبب فان مشابهة السبب لانه سبب على الحقيقة
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما
شاء الله ان ربك حكيم عليم لما بين الله حالة من يهديه الى الصراط المستقيم بين حال من يضل
ويجعله الى صراط الجحيم يوم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم يحشرهم قيل يحتمل ان يكون العامل وليهم
والعطف على موضع قوله بما كانوا يعملون العامل وليهم والعطف على موضع قوله بما كانوا يعملون وقيل

الناصب المحذوف يقول لهم يحشرهم اى ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر
الجن يكون ما لا يوصف لفظاعته وهم يحشرهم عايد على الطايفتين اى الذين يجعل الله الرجس عليهم وهم
جميع الكفرة جنا وانسا والذين لهم دار السلام جنا وانسا يدل على ذلك التاكيد العام بقوله جميعا وقيل
عايد الى المعلوم لا الى المذكور وهو من يحشر من الثقلين وغيرهم الذين علم الله انهم يحشرهم وقيل عايد
على الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن قراء حفص
عن عاصم يحشرهم بالياء والباقون بالنون ثم ذكر سبحانه ما يقال للجن الكفرة وفى الكلام فعل مضمر يدل عليه
ظاهر الكلام تقديره يقول يا معشر الجن وقيل الجن هم الشياطين والقايل هو الله كما ان الحاشر هو الله وهذا
القول منه بعد الحشر لا يكون الاستكثار وبيانا لانهم وان تمردوا فى الدنيا فينتهى حالهم فى الاخرة الى الاستسلام
والانقياد والاعتراف بالجرم وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله بنفسه
مع الكفار ويدل عليه قوله تعالى فى صفة الكفار ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم قد استكثرتم من الانس اى
اى اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر
فلان من الاتباع وقال اولياهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى رسوستهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اى انتفع بعضنا اى بعض الانس ببعض اى ببعض حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل
اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم فى اغواهم وقيل استمتاع الجن
بالانس هو ان الرجل كان اذا سافر او خرج فامسى بارض قفر واصاب صيدا من غيرهم فخاف على نفسه
منهم قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت فى جوار منهم واستمتاع الجن بالانس هو ان قالوا
قد سدنا الانس مع الجن حتى عادوا بنا فيزدادون شرفا فى قومهم وعظما فى انفسهم وهو لقوله وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم لبعض وقيل
استمتاع الانس بالجن بما كانوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة واستمتاع الجن بالانس اغواء
الجن الانس واتباع الانس اياهم وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى الموت والبعث وهذا الكلام
اعتراف بما كان منهم من طاعة الجن واتباع الهوى قال تعالى النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله
اى الا اوقات مشية الله وهى مدة ما بين بعثهم الى دخولهم جهنم وقيل هى الاوقات التى ينقلون
فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وعن بن عباس هذا الاستثنا هو انه ان لا ينبغى لاحد
ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا وقيل الا ما شاء الله وكان ما شاء الله وقيل معناه النار
مثواكم سوا ما شاء الله من سبق فى علمه انه يومن فمنهم من امن قبل الفتح ومنهم من امن بعده ان ربك
عليم فيما يفعله من ثواب وعقاب عليهم بما يفعله **قوله تعالى** وكذلك نولى بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون اى كما انزلت بالجن والانس الذين تقدم ذكرهم العذاب الدايم الذى

لا يخلص

لا يخلص منه كذلك نولى اى نجعل بعضهم ولى بعض فى الكفر والظلم وقيل نتبع بعضهم بعضا فى الثامن الموالاة
وقيل نولى ظلمة الانس ظلمة الجن ونولى ظلمة الجن ظلمة الجن اى نكل بعضهم الى بعض كقوله نوله ما تولى وقيل
نسلط بعضهم على بعض يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من اعان ظالما سلطه الله عن مالك بن دينار
قرات فى بعض كتب الله المنزلة ان الله تعالى يقول افنى اعدائى باعدائى ثم افنيهم باوليائى وعن بن عباس
تفسيرها هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وفى
الجنة يقول الله انى انا الله لا اله الا انا مالك الملوك قلوبهم بيدى ونواصيهم بيدى فمن اطاعنى جعلتهم
عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم
بما كانوا يكسبون بسبب كونهم كاسبين الظلم لان الجنسية علة الضم **قوله تعالى**
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا
على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذه الاية من نفيه
ما يذكره الله فى توبيخ الكفار يوم القيمة وبين انه لا يكون لهم الى الجحود سبيل فيشهدون على
انفسهم انهم كانوا كافرين وانهم لا يعذبون الا بالحجة يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم
رسل منكم واختلف فى ان الجن هل بعث اليهم رسول منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين
ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به انس وله الف سبيل الضحاك عن الجن هل كان منهم
مومن قبل ان يبعث رسول الله فقال الم تسمع الله يقول يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يعنى
بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن وقال اخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم
لانه لما جمع الثقلان فى الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما لقوله يخرج منهما اللولو والمرجان
وعن الكلبى كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس ورسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن وقيل الرسل من الانس ورسل الرسل من الجن لانذارهم يدل
عليه قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين عن بن عباس هم الذين استمعوا القران فابلغوه الى قومهم
يقصون عليكم اياتى فالمراد التنبيه على الادلة بالتلاوة والتاويل وينذرونكم اى يخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا عند ذلك الا ان قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم بركة
الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفى اثبات الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم
شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قيل ما لهم مقرين
فى هذه الاية جاحدين فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اجيب بانه تتفاوت الاحوال والمواطن
فى ذلك اليوم المتطاول فيقرون فى بعضها ويجحدون فى البعض واريد بقوله شهدنا على انفسنا
شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم وغرتهم الحياة الدنيا النفاثة فضيحة

تضمنت وان كفرهم كان بادم الوجوه وهو الاغترار الذى لا يواقعه عاقل وشهدوا على انفسهم كرر ذكر شهادتهم
على انفسهم الاولى حكاية لقولهم فيما يقولون ويقررون والمانيه دم لهم وتحطيط لرايهم ووصف لقلة نظرهم
لانفسهم وانهم قوم عزتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اصطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم **قوله تعالى**
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون لما بين انه ما عذب الكفار الا بعد ان
بعث اليهم الانبياء والرسل بمن بهذه الاية ان هذا هو العدل والحق والواجب ذلك اشارة الى ما تقدم من
بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو جر مبتدا محذوف فاى الامر ذلك ان لم يكن تعليل اى لامر ما قصصنا
عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم وان هى التى تنصب الافعال وقيل يجوز ان تكون ان مخففة
من الثقيلة والمعنى لانه الشانه والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم فيجوز ان تكون لم يكن بدلا من ذلك
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما اى وما ربك
مهلك القرى ظالما لعلمه كقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فعلى الاول الظلم فعل الكفار
على الثانى يكون عايدا الى الله على انه لو اهلكهم وهم عاقلون غير منتبهين برسول وكتاب لكان ظلما وهو
متعال عن الظلم وعن كل قبيح **قوله تعالى** ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل
عما يعملون لما شرح الله احوال اهل الثواب واهل العقاب ذكر كلاما كليا فى الفريقين اى ولكل
عامل صالح او طالح درجات مما عملوا فى الثواب والعقاب على حسب اعمالهم فى الدنيا فمنهم من احزل ثوابا
ومنهم من اشد عذابا قرا ابن عامر وحده تعملون بالتاء والخطاب والباقون بالياء على الغيبة وقيل ولكل درجات
تختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر
والمعصية **قوله تعالى** وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم
ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين انما توعدون لات وما انتم بمعجزين لما بين لكل درجات
مما عملوا فى الثواب والعقاب ذكر ليس لاجل انه مفتقر الى طاعة المطيع ومعصية العاصى فانه غنى
فى ذاته وصفاته وافعاله فعل ما سواه مفتقر اليه وربك الغنى يفيد الحصر معناه لا غنى الا هو وذو
الرحمة الا رحمه للامنة واذا تحقق انه لا غنى الا هو وذو الرحمة لا غنى لانه ثبت بالبرهان القطعى
ان كل ما سواه ممكن وانه تعالى خالقه ولا شك ان الخير غالب على الشر وسد الخيرات هو الله فثبت
انه تعالى هو ذو الرحمة الا رحمه واذا تحقق انه لا غنى ولا رحيم الا هو ثبت انه غنى عن كل فلا يستكمل
بطاعات المطيعين ولا ينتقص بمعاصى المذنبين فثبت انه ما رتب العذاب على الذنوب ولا الثواب
على الطاعات الا لاجل الرحمة والتفضل والجود والاحسان ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم يعنى

اهل

اهل سفينة قوم نوح كانه تعالى نبه على انه قدرته ليست بمقصورة على صنف دون صنف من الخلق
الذين يصلحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى برحمته هاولاء الاقوام الحاضرين
انما هو على هذه الصفة وامهلهم ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل بهم ما يشاء ثم بين كونه تعالى قادرا على ذلك فقال
كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان المراد ان الانسان اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من
صورته وصفته قليل ولا كثير ثم لا يكون هذا الا محض القدرة والحكمة وكما قدر على بصون هذه الصور الخاصة
واعدائه على هذه الصفة فلذلك قدر على بصون بصورة وصفة مخالفة لها انما توعدون من الحشر فى الساعة
لات لانهم كانوا ينكرونه وقيل يعنى كل ما تعلق بالوعد بالثواب فهو آت لا محالة فتخصيص الوعد بهذا الحرف يدل
على ان غايب الوعد ليس كذلك وما انتم بمعجزين طالبكم حتى لا يدركم بل يدركم حيث كنتم فلا عجاز الا يتاتى
بشى يعجز عنه حضوره ويقصد دونه فيكون قد فر منه وجعله عاجزا عنه والحاصل انه لما ذكر الوعد جزم بكونه اتيا وكما
ذكر الوعد مازاد على قوله وما انتم بمعجزين وذلك يدل على ان جانب الرحمة والاحسان غالب **قوله تعالى**
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون لما بين
بقوله انما توعدون لات وما انتم بمعجزين امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يهدد من ينكر البعث من الكفار
فقال يا قوم قرا ابو بكر عن عاصم مكانتكم بالالف على الجمع فى كل القرآن والباقون مكانتكم على الافراد فى كل القرآن
والمكانة بكسر الميم مصدر يقال مكن مكانة اذا تمكن وبلغ المتمكن ومعنى المكانة والمكان واحد وقوله اعملوا على
مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانه ويحتمل اعملوا على معاندتكم وحالكم التى انتم عليها
يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا يصرف عنه انى عامل على
مكانتى التى انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابركم سوف تعلمون
اى ما يكون له العاقبة المحمودة وطريقه هذا الامر طريق قوله اعملوا ما شيتم وهى تعويض الامر اليه على سبيل
التهديد قال صاحب الكشاف هى المحاسبة والتسجيل على المامور بانه لا ياتى منه الا الشر كانه مما مور به واجب
عليه حتم ليس له ان يعصى عنه ويعدل بخلافه من يكون يحتمل ان يكون بمعنى اى فيكون فى موضع رفع بالابتدا
وعلى عنه بعلم والخبر قوله يكون له على معنى اى الامرين يكون له عاقبة الدار العامة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه
الدار لها قرا حمزة والكسايى يكون بالياء هاهنا وفى القصص على تذكر معنى العاقبة التى هى المصدر ولانه تانيثه
غير حقيقى والباقون بالتاء فى الصورتين قيل يعنون انا الكافر ليست له عاقبة الدار اجيب بان العاقبة تكون
على الكافر ولا يكون له كما قال لهم النار وقيل يكون له الظفر وفى ضده يقال عليه الكفرة وعليها الظفرة وقيل عاقبة الدار اى عمال
الاخرة ويحتمل ان يراد مال الدنيا بالنظر الظاهر وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف فى اطعام
وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر يحق وان المنذر يبطل ثم جزم الحكم بانه لا يفلح الظالمون
اى لا يصح سعيهم ولا يفوزون بما طلبوه **قوله تعالى** وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا

وقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء
ما يحكمون لما بين الله تعالى قبح طريقتهم في انكار البعث والقيمة ذكر عقيبه انواعا من جهالاتهم
وضلالاتهم تنبيها على سخافة عقولهم تنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى كلماتهم في حملتها انهم
جعلوا لله مما ذرأ اي خلق لفقراء العرب العاديين من الاوثان مما ذرأ خلق وانشأ وبث في الارض
يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا وذراءا اي خلقهم مما ذرأ يتضمن تقاسيب اخر ليس بداخل في حكم الاول
فسد بقوله هذا لله وهذا لشركائنا ثم اعترض لساء القول بان ذلك منهم زعم وبقول وانزعم بحسب الغالب
في غير اليقيني والحق يقال زعم وازعم قرا الكسائي وزعم بضم الزاء والباقون بالفتح وهما لغتان قال المفسرون
كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوا عليه
وما كان لله اطعموه للضيفان والمساكين ولا ياكلون من ذلك كله شيأ فما سقط مما جعلوا لله في نصيب
الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط مما جعلوا للاوثان في نصيب الله المقطوع يعني
عزلوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وكانوا اذا نذروا في وقع من نذر الله في حصة الصنم
تركوه وما وقع من حصة الصنم في حصة الله ردوه وان انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشركاء تركوه
وان انفجر من سقي ما جعلوه للشركاء في نصيب الشركاء تركوه واذا هلك الذي سمي لشركائهم اواجذب
وكثر الذي لله قالوا ليس لالهتنا بد من نفقة فاخذوا الذي لله فانفقوه على الهتهم واذا اجذب الذي لله
وكثر الذي لالهتهم قالوا لو شاء الله لاذكى الذي له فلا يردونه عليه شيأ من الالهة واذا اصابتهم السنة
استعانوا باحدهما ووفروا ما جعلوا للشركائهم وقوله مما ذرأ فيه ان ما كان اولى بان يجعل لله لانه
هو الذي ذراه وزكاه ولا يرد الى ما قدم على ذروزكيه بزعمهم اى قد وعوا انه لله والله لم امرهم بذلك
ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بالله وبنوا اصنامهم في القرية فلا يصل الى الله
اى لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قربان الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل
الى شركائهم مما اتفق على انها لا يسد خلتها والاحراز اسد منها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثارهم
على الله وعلمهم على ما لم يشرع لهم **قوله تعالى** وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون هذا نوع من
احكامهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان
بين الله تعالى والالهة او مثل ذلك التزيين البديع الذي علم من الشياطين زين لكثير والمعنى ان شركاءهم
من الشياطين لما زين لهم ذلك التزيين لهم ومن سننه للاصنام الحاملين عليه ايضا من بني آدم الناقلين
له عصرا بعد عصر اذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل وسعته في الاخرة دينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او نحرهم
للالهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما ليذبحن احدهم كما حلف عبد المطلب والحاصل ان جعلهم

لله

لله نصيبا والشركاء نصيبا نهاية للجهل بمعرفة الحالين المنعم وافدامهم على قتل اولادهم نهاية في الحماقة
والضلالة وذلك يفيد ان احكامهم واعتقادهم تشاكل بعضها بعضا في القبح والفساد والشفاعة قراء
ابن عامر وحده زين بضم الزاء وكسر الياء ورفع قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم والباقون بفتح الزاء
والياء ونصب قتل وجر اولادهم ورفع شركائهم وقراءة غير ابن عامر ابين وافصح قال صاحب الكشاف واما
قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف شئ
لو كان في محاذ الضرورات وهو الشعر لحاذ سمي مردودا فما سمي وردح الغلو صر ابي مراده فكيف
في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض
المصاحف شركاؤهم مكتوبا بالياء ولو قرأ الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك
متدوحة من هذا الارتكاب اعلم انه ما ذكر صاحب الكشاف قول صدر عن جراءة يكاد يخرج قائله عن ربقة
الاسلام بذلك فان ابن عامر من القراء السبعة الذين قراءتهم متواترة ثبت بالتواتر انها قرآن فالطاعن
فيه كالطاعن في القرآن اما قوله لو كان في محاذ الضرورات وهو الشعر لحاذ سمي مردودا فممنوع واما
الدليل على سماجته ورده فقوله كما سمي وردح الغلو صر الى مراده قلنا هذا ايضا ممنوع وما ذكره طائفة من اهل
العربية بناء على تعليل لواهي الذي لا يصلح لان يثبت به تصحيح كلام او رسمه لا تعارض قراءة ابن عامر
فانه مستند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وما ذكروها ولاء الطائفة غير مستند
الى العرب بل غايته عدم الوجدان وهو لا يدل على العدم ومع تسليم ان التعليلات النحوية يثبت بها صحة
الكلام وفساده فهو خارج عن زمرة العقلاء داخل في السفهاء فكيف اذا اعتقد انه يرد بها قراءة مسندة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر فلا ينبغي ان يلتفت الى قول صاحب الكشاف في التشنيع
على ابن عامر الذي هو امام من ائمة الاسلام قوله ليردوهم ليهلكوهم من الردى والارداء الاهلاك وليلبسوا
وليخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم الذي كانوا عليه وهو من دين اسمعيل عليه حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل
دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه ويوقعوهم في دين ملتبس واللام لام العليل على حقيقة ان كان التزيين
من الشياطين ولام الصيرورة ان كان التزيين من التزيين من السدنة التزيين او الاردا او الليس
او جميع ذلك ان جعلت الضمير في فعلوه جاريا مجرى اسم الاشارة فذلك يدل على ان كل ما فعله المشركون
والشياطين بمشية الله قال صاحب الكشاف ولو شاء الله مشيه قسر وهو يفسد الادلة وعدول
عن الظاهر الذي يدل الدليل على ان خلافه باطل فذرهم يا محمد وما يفترون بحتلفونه على الله بالكذب
فان الله لهم بالمرصاد ولا يحلف المعاند وما في وما يفترون اما موصولة فيكون معناه وما يفترونه من
الكذب واما مصدرية فيكون معناه فذرهم وافتراهم **قوله تعالى** وقالوا هذه انعام
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء

افترآء على الله ص

فكانه قيل وان يكن ميتة فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اى بوصفهم او على وصفهم الكذب على الله
فى التحليل والتحريم كقوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام انه حكيم فى عذابهم على وصفهم
عليم بما يولدون وبعلمون وبصدرون **قوله تعالى** قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهًا
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين انه تعالى ذكر فيما تقدم فعل اولادهم وتحريمهم
ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء فهذه امور سبعة كل واحد منها سبب تام فى
حصول الذم نزلت فى ربيعة ومضر واحياء العرب الذين كانوا يسدون بناتهم مخافة السبي والفقر الا ما كان
من بنى كنانة فانهم لا يفعلونه ذلك قرا ابن عامر وبن كثير قتلوا بتشديد التآء على المبالغة والباقون بتخفيف التآء
سفهًا بغير علم الحقه احمقا منهم وجهلهم بالله هو رازق اولادهم ما رزقهم الله هى ثلاث الانعام والغلات التى يوقف
بعضى شرع ولا مثوبة فى معاد بل الافتراء على الله والكذب قد ضلوا اخبر عنهم بالحيرة وما كانوا فى هذه الفعلة
مهتدين ولعلهم زادوا بهذا الفعل ضلالا فيقبل يزيد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة **قوله تعالى**
وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
الله تعالى جعل مدار القرآن الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضا والقدر وبالغ فى تقرير
هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعدا والاشقيا ثم انعل منه الى ان طريق معرفة انكار البعث والقيامة
ثم اتبعه بحكاية اقوالهم الباطلة وكلماتهم الفاسدة فى مسايل اربعة والمقصود التنبيه على ضعف عقولهم وقلة
علومهم وسعى الناس عن الالتفات الى قولهم والاعراض بشهادتهم فلما تم هذه الاشيا عاد بعدها الى ما هو
المقصود الاصلى وهو اقامة الحجة على سبيل البرهان وقد سبق ذكر هذه الانواع الخمسة المذكورة منا فرها بعدم
فى قوله تعالى وهو الذى انزل من السماء على ترتيب على غير الترتيب الذى فى هذه الاية وابتدا فيها بعدم بقوله
وهو الذى انزل من السماء ماءً وفى هذه الاية بقوله وهو الذى انشأ جنات معروشات وامر فى الاولى بالنظر
الى ثمره فى هذه الاية اذن فى الاسماع فقال كلوا من ثمره وهما صنفان فى اثبات الصانع الحكيم لكن المقصود بالقصد
الاولى فى الاية الاولى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم فلهذا ابتدا فيها بقوله وهو الذى انزل من السماء
ماءً وامر بالنظر فى اخرها بقوله انظروا الى ثمره وختمها بقوله ان فى ذلك لايات لقوم يومنون والمقصود بالقصد
الاولى فى هذه الاية الاذن فى الاسماع بها والامر بصرف جزء منها الى المستحقين فلهذا اضيف بقوله وهو الذى
انشأ جنات معروشات واذن فى الاخر فى الاسماع بها وامر بصرف جزء منها الى المستحقين بقوله كلوا من ثمره
واتوا حقه يوم حصاده وختم بقوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والذى حصل به الامتياز بين الايتين
انه هناك امر بالاستدلال على وجود الصانع الحكيم ومنها اذن فى الاسماع والاستدلال مقدم على الانتفاع
لان الحاصل من الاستدلال بها سعادة روحانية ابدية ومن الاسماع بها سعادة جسمانية سريعة

عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون هذا الصنف اخر من احكامهم الفاسدة وهذه الاية متضمنة
لعدد ما شرعوه لانفسهم والتزموه على جهة القربة كذبًا منهم على الله وافتراء عليه وقالوا اى وقالوا
المشركون هذه انعام وحرث حجر وهى ما كانوا يجعلونه لله ولاصنامهم وقيل يعنى بالانعام البحيرة والسايبة
والوصيلة والحامى محرمة وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فيه الوصف بالمذكر والمونث
والواحد والجمع لانه حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا شيا من حرثهم وانعامهم لاصنامهم
قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النسآء فقولهم بزعمهم يتعلق لهم
وزعمهم هنا هو فى قولهم حجر وبحرمهم بدليل ما لم يحرم الله وانعام حرمت ظهورها هى البحاير والسوايب
والحوامى التى يركبونها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرونه عليها اسم الاصنام وقيل
كانت لهم عادة فى انعام ما انه لا يحجوا عليها ولا يلبوا على ظهورها وكانت تركبت فى كل وجه الا فى الحج فذلك
قوله لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليها افتراءً مصدر نصب على انه مفعول له او على اضمار فعل
بعدين يفترونه افتراء على الله وقيل مصدر موكد لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء وقيل حالة والمعنى
انهم قسموا انعامهم وقالوا هذه انعام حجر هذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر اسم الله
عليها لجعلوها اجناسًا بهواهم وتسويلات لهم الخبيث الى ما افتراه عليه سيجزيهم بما كانوا يفترونه وعيد
شديد **قوله تعالى** وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم هذا نوع اخر
من احكامهم الفاسدة وقال المشركون ما فى بطون هذه الانعام اى اجنة البحاير والسوايب ما ولد
منها حيًا فهى خالصة لذكورنا ولا ياكل منها الاناث وان يكون ما فى بطون هذه الانعام مسه فالذكور
والاناث فيه شركاء وانما خالصة للحمل على معنى ان ما فى معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره
فى الحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وبجوز ان تكون
التا للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وان يكون مصدرًا وقع موقع الحايض كالعافية اى ذوات خالصة
ويدل عليه قراءة خالصة فالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان تكون
حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم حاله قرا ابن كثير وان يكون بالياء وميتة بالرفع فلما لحق الفعل علامة
التانيث بالفعل كما كانه الفاعل فى اللفظ مونثا واسند الفعل الى الميتة كما فعل من قرا يذهب بعض اخوانكم بالتآء
ابو بكر بالتآء وميتة بالنصب فانث وان كان المتقدم مذكرًا لانه حمله على المعنى فالتقدير وان تكن
ما فى بطون هذه الانعام اى النسمة ميتة ونافع وابو عمرو وحمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص
بكونه بالياء وميتة بالنصب ذكروا الفعل لانه اسند وه الى ضمير ما تقدم من قوله ما فى بطون هذه
الانعام لانه مذكر والميتة انتصب على الخبر وتذكير الضمير فى قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى

فكانه

الانقضاض والاولى بالعدم يقال عرس الكرام اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا عطفت العيدان
التي توسد عليها فضبان الكرم التي تنشاحبات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات
على وجه الارض وانشر مما يعرش اى يسقف مثل الكرم والزرع والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق
مثل النخل وسيار الاشجار وقيل المعروشات ما انبته ورفعه الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال
من الثمار حلفا اكله الاكل كل اكل واراد به ههنا ثمر النخل والزرع اى مختلفا في الجني والهيئة والطعم والرائحة واللون
للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء اى مقدرا اختلافه
كذلك بقوله فادخلوها خالدين وقرا ابن كثير ونافع اكله بسكون الكاف والباقون بضم الكاف في كل القرآن ما ذكر
لعله خلقه هذه الاشياء ذكر ما هو المقصود الاصلي من خلقها وهو الانتفاع قال كلوا من ثمره اذا اثمر وفائدة قوله
اذا اثمر مع العلم بانه اذا لم يثمر لم يؤكل منه انه لما اباح لهم الاكل من ثمره قبل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة
وقت اطلاع الثمر لما لا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واستوى وقيل فائدة قوله كلوا الاباحة وقيل المقصود
اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الحق فيه كان يجوز ان يحرم على المالك ساوله لكان شركة المستحقين
بل هذا هو الظاهر فاباح هذا الاكل واخرج وجوب الحق فيه ومنع تونه مانعا من هذا التصرف وقيل اباح تعالى
ذلك ليس ان المقصود من خلق هذه النعم والاكل واما بعدهم ذكر الاكل على التصدق لان رعاية النفس مقدمة
على رعاية الغير قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك فمنسك بعض العلما بقوله
كلوا من ثمره بان الاصل في المنافع الاباحة لان قوله كلوا خطاب عام سائر الكل فصار هذا حاريا مجرى قوله
خلق لكم ما في الارض جميعا وايضا فممكن التمسك به على الاصل عدم وجوب المنع وان مراد من الحايه كان هو المحتاج
الى الدليل فيتمسك به في ان المحمود اذا افاق في اثنا الشهر لا يلزمه قضاء ما مضى وفي ان الشارع في صوم
النفل لا يجب عليه الاتمام قوله كلوا يدل على ان صيغة الامر قد ترد في غير موضع الوجوب وفي عزه موضع الندب
فقيل الاصل في الاستعمال الحقيقة فتعين جعل هذه الصيغة مفيده لرفع الحجه فلهذا قيل الامر مقتضى الاباحه
والحق انه من لغة العرب ان هذه الصيغة بمجردها صحيح جانب الفعل وان حملها على الاباحة لا يصح الا لدليل
منفصل قوله واتوا حقه يوم حصاده قرا ابن عامر وابو بكر وعاصم حصاده بفتح الحاء والباقون بكسرها عن
ابن عباس يريد به العشر فيما سقت السما ونصف العشر فيما سقت الدوالب قيل لا يجوز ان يراد بالحق
الزكوة لان الاية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة ولان اتيانه الزكوة غير واجبة يوم الحصاد فاريد بالحق
ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر ورد بانا
لا نسلم ان الزكوة ما كانت واجبة بمكة بل الاداء انما وجب بالمدينة وردت بانا كما رايناها الا ان ذلك لا يسمى وجوبا
بمكة وباداء الاية مدينة والمراد بقوله واتوا اداءه على اننا الحق واقصدوه واستمروا به يوم حصاده حتى
لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الاتيان قيل قوله واتوا حقه يوم حصاده بعد ذكر الانواع الخمسة يدل على وجوب

الزكوة

الزكوة في الكل وهذا يعصي وجوب الزكاة في الثمار كما يقوله ابو حنيفه قال قيل لفظ الحصاد مخصوص
بالزرع اجيب بان لفظ الحصد في اللغة غير مخصوص بالزرع فانه القطع ولا اسرفوا السرف خلاف القصد
وهو تجاوز الحد وسرف المال ما ذهب منه من غير منفعة وقيل ان الانسان اذا اعطى كل ماله ولم يوصل الى
عياله شيا فقد اسرف لانه حاء في الخبر اسد بنفسك ثم ممن تعول وروى ان ثابت بن قيس ابن شماس عمد الى
خمسمايه نخله فجدها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيا فانزل الله واتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا اى لا تعطوا كله وقيل لا تسرفوا لا تمنعوا الصدقه وسما شر كاذبه اذ المراد لا تجاوزوا الحد الاول
في البسط والاخر في القبض فيحمل على ما يليق موافقا لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقيل لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وقيل لا تسعوا في المعصية قال مجاهد لو كان ابو خيثمة
ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق مدا او درهما في معصية الله كان مسرفا وفي هذا قبل
لحاتم الطاي لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير **قوله تعالى** ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما
رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن
المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين امما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين امما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم
الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله
حمولة وفرشا معطوف على قوله جنات وهو الذي انشا من الانعام حمولة ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح
او يتسخ من وبر وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي يصلح للركوب والحمل مثل كبار الابل والبقر
والخيل والفرس الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانيه من الارض لطاقة اجرامها مثل الفرش
كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم الحرث والانعام من غير انفسكم كما فعل اهل الجاهليه
ثم بين الحمولة والفرش فقال ثمانيه ازواج بدل حمولة وفرشا اى وانشا نا من الانعام ثمانيه ازواج اى
اصناف الواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وجاز
بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانيه ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين
ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويجوز تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون اخر من
جنسه يسمى الزوجية كانثا بشرط ان يكون فيها ذكر قيل نصب ثمانيه ازواج بفعل مضمر تقديره كلوا الحي
ثمانيه ازواج محذوفا لعلم والمضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل على البدل من حملة قوله كلوا مما رزقكم الله
وقيل نصب على الحال وقيل نصب على البدل من قوله حمولة وفرشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين
والانثيين اى البيض والنجدية ومن المعز اثنين التيس والعنز والضان جمع ضاني وضانيه كتاجر وتجر قرا نافع
وعاصم وحمزة والكسائي ومن المعز بسكون العين وهو جمع ماعز وماعزة والباقون بفتح العين كخادم وخدم
ونصب اثنين على انه بدل من ثمانيه قيل الذكرين الهمزة في اء الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان

وما

والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز نصب الذكرين بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه
ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك
انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا او مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وقيل هذا تقسيم على الكفار حتى يبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم
الذكرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور او للانثيين فيلزمكم تحريم جميع الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام
الانثيين فيلزم تحريم الجميع وانتم لم تلزموا شيئا مما يوجبه هذا التقسيم في هذه السؤالات تقرير وتفريع ثم اتبع
تعريفهم بقوله نبئوني اي خبروني بامر معلوم من جهة الله ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهداء بل كنتم
شهداء ومعنى الهمزة للانكار يعني انه شاهدتم الله حين امركم بهذا التحريم وذكر وذكر المشاهدة على مذهبهم
لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي يحرمه فهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء اي انكم لا
تؤمنون برسول فكيف عرفتم ذلك اعرفتم التوصية بطريق المشاهدة بان كنتم شهداء فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس قال ابن عباس هو عمرو بن لحي الذي غيره شريعة اسمعيل
وبحر البحائر وسيب السوائب والاولى ان يحمل على كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والعلة المقتضية لهذا
الحكم فالتخصيص تحكم قيل اذا ثبت ان من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد
فمن افترى على الله الكذب في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات وفي النبوات والملائكة كان وعيده
اشد ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي اولئك المشركين اي لا يبلغهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم توال بينه قلت قد وقع الفاصل
بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها
لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل وللاعتراضات في الكلام
لا تنافي الا للتوكيد **قوله تعالى** قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة
او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك
غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة
ولا يرد باسه عن القوم المجرمين لما بين فساد طريق اهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات
اتبعه بالبيان الصحيح فيما يحل ويحرم قرا ابن كثير وحمزة الا ان تكون بالتاء ميتة بالنصب على تقدير الا
ان تكون العين او النفس او الجثة ميتة وابن عامر بالتاء ميتة بالرفع على معنى الا ان تقع او تحدث ميتة
والباقون بالياء ميتة بالنصب الا ان يكون المأكول او الموجود ميتة لما بين الله تعالى ان التحليل والتحريم

لا يثبت

لا يثبت الا بالوحي قال قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيها على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى
الانفس وامر الله الرسول بان يقول لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وثبوت نبوته بالمعجزات القاهرة والبينات الظاهرة ولا يثبت تحليل شيء ولا تحريمه الا بالوحي اليه
ولا اعتبار بعد بعثته بتحريم شيء وتحليله في شريعة اخرى اذا كانت مخالفة لما اوحي الله اليه وهذه الاية
نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة
وزيدت في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمرتدية والنطيحة فان هذه وان كانت في حكم الميتة
فكان في النظر احتمال ان يلحق بالمذكيات لانها باسباب وليست حتف انفه فلما بين النصر الحاقها
بالميتة كانت زيادة في المحرمات ثم نزل تحريم الخمر بوحي غير معجز على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتحريم كل ذي ناب من السباع فهذه كلها زيادات في التحريم ولفظ التحريم اذا وردت على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان ينتهي بالشيء المذكور غاية الحظر والمنع وصالحة ان تقف
دون الغاية في حيز الكراهية فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المأولين واجمع الكل منهم
عليه ولم يضطرب فيه الالفاظ الاحاديث وامضاه الناس على ادلاله وجب بالشرع ان يكون
تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ويلحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به
قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلفت الاية فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم
كل ذي ناب من السباع حرام وقد روي نهي رسول الله عن اكل ذي ناب من السباع ثم اختلف
الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو
الكراهية ونحوها محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون الشيء المحرم ميتة ذكر من
المحرمات امورا اربعة اولها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها لحم الخنزير ورابعها الفسق قوله او دما
مسفوحا اي منصوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح
او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله به فسقا فعلى هذا اهل معطوف على يكون
والضمير راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمرد عنه الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات
غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان الله غفور رحيم
لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا لما ذكر الله ما حرم على امة محمد صلى الله عليه وسلم اعقب ذلك بذكر ما حرم
على اليهود لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه
اسرائيل على نفسه ذي ظفر والحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع مثل الابل والنعام والاوز واللبط
وقيل هو الابل فقط وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وكان بعض ذوات الظفر
حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر يدل على ذلك قوله تعالى فبظلم من الذين

هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها كقولك متى زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل سمبه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منها الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى الا ما حملت ظهورهما ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها او الحوايا او اشتمل على الامعاء وقيل الحوايا المباعر قيل الحوايا جمع حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا فعايل كسفينة وسفاين وقيل هو جمع حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضوارب وضوارب وقيل جمع حاويا فوزنها على هذا ايضا فواعل كقاصعا وقواصع والحوية ما تحوى من البطن واستدار وهي المصاريين والحشوة ونحوها او ما اختلط بعظم مثل سحم الالية وقيل للحوايا عطف على ما في قوله الا ما حملت وفي في موضع نصب عطفا على المستثنى وقيل معطوف على الظهور كانه قال الا ما حملت ظهورها او ما حملت الحوايا وقيل عطف على شحومها او مخفوض لها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الخ اجزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم واستصحابهم على الانبيا وانا لصادقون في اخبارنا عن اليهود وعما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم قال صاحب الكشاف فما اوعدنا بدا لعصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فان عصوا وبغوا الخفنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك بما اخبرت به ايا محمد رحمه وقالوا لم يحرم الله علينا شيئا وانما حرمنا ما حرم اسرايل على نفسه وقيل فان كذبوك في ادعاء الرسالة والنبوة وتبليغ هذه الاحكام فعل ما تجد على جهة التعجب من حالهم والتعظيم لقبحهم في تكذيبهم ك مع علمهم بصدقه ما قلت ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم ثم اعقب هذه المقالة بوعيد في قوله ولا يرد باسه عن القوم المجرمين الذين كذبوك فعاند ولا يعمرو ايضا سعة رحمته فانه باس لا يرد عن المجرمين اما في الدنيا واما في الاخرة قال صاحب الكشاف فان كذبوك في ذلك وردوا ان الله واسع الرحمة وانه لا يواخذ بالبغي وخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته

قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين لما حكى الله عن اهل الشرك اقدامهم على الحكم في دين الله بغير حجة ولا دليل حكى عنهم عدد هم في كل ما يقدمون عليه من الكفر والتكذيب فيقولون لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء مما حرمنا من البحيرة والسوايب وغيرذلك لانه قادر ان يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يفعله ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الاصنام وتحريم الحرث والانعام ارادة منا فقال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم كذلك كذب الذين من قبلهم فانهم قالوا كما كان الكل بمشيئة الله وبعدمه كان التكليف عبثا فعاينت دعوى الاسا باطلة ونبوتهم ورسالتهم باطل ثم انه تعالى بين ان التمسك بهذا الطريق في ابطال النبوة لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد في فعله وهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ومع هذا

سعه

سعه اليه الانبيا وباحرمانه ووردا لامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في ابطال نبوة الانبيا ثم بين ان هذا الاستدلال باطل لان دلايلنا دلت على ان الله تعالى يفعل الامور ويامر بها ويحرمها لانها ورد دعوة الانبيا قيل لذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الامم الخالية حتى ذاقوا باسنا عذابنا فكذبهم في قولهم ان الله رضي منا ما نحن عليه لانه لو لم يرضه وارادعنا كمال بسا وسه والدليل على ان التكذيب ورد في هذا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بحصف الدال وكان يسبهم الى الكذب الى التكذيب وقيل ان الله تعالى ما كذب المشركين في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل انما كذبهم الله في قولهم ان ما شا الله لا يقع عليه عقاب وفي الكلام حذف يدل عليه سياق الكلام كانه قال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضي تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بحوهذه الشبهة من ظنهم ان نزول الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله حتى ذاقوا باسنا وعيد بين وليس في الاية رد منصوص على قولهم لو شاء الله ما اشركنا وانما تركنا الرد عليهم لوضوحه وقيل لو اخبرهم بهذه المقالة تعظيما واجلالا لله ومعرفة منهم به لما عانهم ذلك لان الله قال ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله وقال ولو شاء الله لهداكم والمومنون يقولون هذا ولكن المشركون قالوا ذلك تكذيبا وتخرصا وحدا لامن غير معرفة الله وما يقولونه نظير قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وانهم الا يخرصون فقولهم هذا من غير علم منهم بالله والمومنون يقولونه بعلم منهم بالله ثم قال قل هل عندكم من علم من حجة على ما يقولونه فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن من غير علم وتقيس وان انتم الا تخرصون ثم اعقب امر نبيه صلى الله عليه وسلم توقيف المشركين على عجزهم بامره اياه بان يقول مسببا معضدا لله الحجة البالغة غاية المقصد في الامر الذي يحتج عليه ثم اعلمه انه لو شاء لهدى العالم بامره قال صاحب الكشاف لو شاء الرحمن ما عبدناهم بعنوة بكفرهم وتردهم ان شركهم وشركا بايهم وتحريمهم ما احل الله بمشيته الله وارادته ولو لا مشيته لم يكن شيء من ذلك كذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي حاولوا التكذيب المطلق لان الله عز وجل اركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على نهاه وبراته من مشيته القبايح وارادتها وارسل اخبروا بذلك في تحاق وجود القبايح من الكفر والمعاصي بمشيته الله وارادته فقد كذبوا التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله وبنبادله الفصل والسمع وباظهر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فنما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون بعد رونة الامر كما تزعمون قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قولكم بمذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم ايضا بمشيئته مصدرة فاده فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة بجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه ولما كان بطلان ما ذكر معلوما مما سبق تحضر عليه ولا يطول الكلام

قوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون

ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة
وهم بربهم يعدلون انه تعالى لما ابطل على الكفار جميع انواع حجتهم بين انه ليس لهم على قولهم شهود البتة
سلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم يؤنث ويجمع والمعنى
فاتوا شهداءكم وقرونهم والمعنى قل هاتوا شهداءكم على تحريم الله ما زعمتم انه تعالى حرمه ثم قال تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم فان شهدوا اي ان افترى لهم احد وزور شهادة او خبرا عن نبوته ونحو ذلك فحيث اتت ذلك
ولا تشهد معهم وفي قوله ولا تشهد معهم قوة وضعف شهادتهم نهاية الزور وقيل ان الله بين باستدعاء اقامة
الشهداء من المشركين اذ لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه ثم قال فان شهدوا فلا تشهد معهم تنبيها على
قولهم كاذبين قال صاحب الكشاف فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله
حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة
ويلقمهم الحجة ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء متعلق بانقطاع لتساوي اقدام
الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد لهم ما شهدوا
به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا باياتنا والاصل ولا تتبع اهواءهم وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على من كذب بايات الله وعدل
به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الحجة لم يكن الا مصدقا بالايات لوحدانية الله فان قيل فهلا قيل
قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين قوله شهداء الذين يشهدون اجيب
بان المراد ان يحضروهم شهداءهم الذين علم انه يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم
يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم لهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف
الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة وبنصرة مذهبهم
والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم فلو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا شهداء
يشهدون لكان معناه هاتوا ناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وليس بالفرض
ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم والذين لا يؤمنون بالاخرة عطف نعت على نعت كما يقال
جاءني زيد العالم والعاقل وقيل نزلت في الذين به من الزنادقة فعدلهم غير هذا **قوله تعالى**
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصاكم به لعلكم تعقلون انه لما بين فساد ما يقوله الكفار ان الله حرم علينا كذا وكذا اردفه ببيان
الاشياء التي حرمها الله عليهم وهي الاشياء المذكورة في هذه الاية هذا امر من الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يتلوا عليهم ما حرم الله على جميع المكلفين وانما خصصهم بالذكر لاعتقادهم خلافه تعالوا

تعقلون صح

معناه

معناه اقبلوا واصله من العلو قال صاحب الكشاف تعالى من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقول
من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم فكان الدعاء لما كان امرا من الداعين
استعمل فيه ترفيع المدعو اتلوا اقرا من التلاوة التي هي اتباع بعض الحروف بعضا ما حرم منصوب بقوله
اتل اي اتل الذي حرم ربكم ويجوز ان يكون قوله اتل معلقا عن العمل وما بمعنى اي شيء ويكون منصوبا بحرم
بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي قيل ان مصدرية
وان لا تشركوا في محل النصب بانه بدل مما حرم ورد هذا بانه حينئذ يجب ان يكون لا للنفي اذ لا يجوز
ان يكون للنهي لان الناصب والجازم يمتنع اجتماعهما في فعل واحد واذا كان للنفي وبعده امر يلزم عطف
الطلبي على غيره وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد
الله اوفوا فان قلت هذا المزور وهو عطف الخبري على الطلبي متحقق فانه من جملة المعطوفات قوله وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة
للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما اجيب بان
الواو ليست عاطفة بل هي استينافية والجملة معترضة موكدة بمضمون الجمل وان هذا صراطي مستقيما
علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا
صراطي فانه مستقيم فان قيل اذا جعل ان مفسرة لفعل التلاوة وهو متعلق بما حرم ربكم وجب ان يكون
ما بعده منهيا عنه محرما فله كالشرك لوجوب اشتراك النواهي والاوامر في التحريم اجيب بانه كما
وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمها جميعا فعل التحريم واشركت في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم
راجع الى اضدادها وهي الانساة للوالدين وتحسين الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله
تعالى عن كعب الاحبار هذه الايات هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الى اخرها وعن ابن عباس هذه الايات هي المحكمات التي ذكرها الله في سورة ال عمران اجمعت عليها
شرائع الخلق ولم تنسخ وقال ملة وقيل انها العشر كلمات المنزلة على موسى ولا تقتلوا اولادكم نهي عن عادة
العرب واد البنات من املاق من اجل فقر نحن نرزقكم واياهم لانه تعالى مكفل برزقكم ورزقهم عند
وجود الفقر وكما وجب على الوالد تنقية نفسه والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حال الولد
ولا تقربوا الفواحش نهي عام عن جميع الفواحش وهي المعاصي ما ظهر منها وما بطن يستوفيان اقسام
ما جعلت له من الاشياء وقيل ان القصد بهذه الاية اشياء مخصصات قال السدي وابن عباس
ما ظهر هو اي الحوانيت الشهير وما بطن هو متخذات الاخدان وكانوا يستقبحون الشهير وحده فحرم الله
الجميع وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن هو الزنا وقال مجاهد ما ظهر هو نكاح حلائل الاباء ونحو ذلك

وبالوالدين صح

وما بطن هو الزنا ولا تصلوا النفس التي حرم الله داخل في حملة الفواحش افرده بالذكر للتعظيم والاستثنا
الذي لا يتاتى في جميع الفواحش الا بالحق الذي يوجب قبلها وهو الكفر بالله قتل النفس والزنا بعد الاحصان
والحرابة وما شعب من هذه قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى خصال ثلاثة كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق والقران دل على سبب رابع وهو المذكور في قوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ولا ذلكم اشارة الى هذه المحرمات وصيكم كما ذكرنا هذه المحرمات اتبعه باللفظ الذي يقرب
الى القلب لما في الوصية من اللطف والرافة ثم اتبعه بقوله لعلام تعقلون اي لكي تعقلوا فوايد هذه
التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا
الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون اعلم ان الله تعالى ذكر في الاية الاولى خمسة انواع من التكاليف وهي امور جلية
لا حاجة فيها الى الفكر والاجتهاد ثم ذكر في هذه الاية اربعة انواع من التكاليف تحتاج في معرفتها الى الاجتهاد
منها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن نهى عن اقرب وجوه التصرف وفيه سد الذريعة
الا بالتي هي احسن ثم استثنى ما لا حسن وهو التسمر والتسبح في ثمانيه وقيل هي التجارة فيه ثم قدر بلوغ
ها هنا بالاحتلام بشرط ان يوسى منه الرشد وقيل بلوغ الاشد ثلثون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة
وقيل اربعون سنة وقيل الاشد ها هنا من خمسة عشر الى ثلثين واوفوا الكيل وفي الشيء يبلغ تمام الكمال
واوفوا الكيل اي اتموا ولا تنقصوا منه شيئا والميزان اي الوزن بالميزان بالقسط بالعدل لا يحتمل ولا نقصان
فيه فائدة قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما الفايدة في هذا التكرير قلنا امر الله الحق بايفاء كل ذي حق
حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة لا يكلف الله نفسا الا وسعها الما كان
مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان
بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي التكليف لا يحاوز الوسع فان ما وراء معفو عنه ومن التكاليف
المذكورة في هذه الاية قوله واذا قلتم فاعدلوا هذا ايضا من الامور التي تحتاج الى الاجتهاد واذا قلتم
فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس ويدخل فيه كل ما يتصل بالقول فيدخل فيه
ما يقوله المرء في الدعوة الى الدين وفي سائر الحه بان يذكرها لمحضة عن الحشو والزيادة بالفاظ مفهومة
معتادة قريبة من الافهام عن القدر الواجب ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل لا يزيد ولا ينقص عنها
ومن جملتها تبليغ الرسالات عن الناس فانه يجب ان يودها من غير زيادة ولا نقصان ويدخل فيه حكم
الحاكم بالعدل ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له وعليه في شهادة او غيرها من اهل قبلة القايل مما ينبغي ان
يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ومنها قوله وبعهد الله اوفوا وهذا ايضا
من التكاليف التي تحتاج الى الاجتهاد لان الرجل اذا حلف مع نفسه فكونه ذاكر الحلف حقيقا ويكون بره

وحقيقه

وخفيه ايضا هما ثم ذكر تعالى بعد هذه الانواع قوله ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون جعل خاتمة الاية
المقدمة بقوله لعلكم تعقلون لان التاليف المذكورة فيها امور جلية فوجب تعقلها وتفهمها وخاتمة هذه
الاية بقوله لعلكم تذكرون لانها خفية محتاجة الى الاجتهاد والفكر والتذكر حتى يطلع على محل الاعتدال
قراء حمزة والكسائي وحفص عن عاصم يذكرون بالتخفيف والباقون بتشديد الذال في كل القران بمعنى واحد

قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون قراء ابن عامر وان هذا بفتح الالف وسكون النون وصراطي مفتوحة
الياء وابن كثير ونافع وابو عمرو صراطي بالسين وحمزة بين الصاد والزاي والباقون بالصاد انه
تعالى بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به واجمل في اخر اجمالا يقتضي دخول ما تقدم فيه ودخول
ساير الشريعة فيه فقال وان هذا صراطي مستقيما فدخل فيه كل ما بينه الرسول من دين الاسلام وهو
المنهج القويم والصراط المستقيم فاتبعوه جملته وتفصيله ولا تعدلوا فيعدوا في الصلاة وعن ابن
مسعود ان الله جعل طريقا صراطا مستقيما طرقه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعته وشريعته الجنة
ويتعشب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وعنه ايضا
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خيطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليها ثم قرا هذه الاية قيل من حيث كانت
المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جات العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات
وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر جات العبارة لعلكم تذكرون ومن حيث ان ركوب الصراط
المستقيم يتضمن فعل الفضايل والاجتناب عن الرذايل جات العبارة لعلكم تتقون قوله تعالى
ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
من قبل ان هذا عطف على ما تقدم قبل الوصية بثم او بما قبل الوصية بسطر طويل احب بان هذه
التوصية قد تمت لم يزل يوصي بها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخ شيء
من جميع الكتب فان قيل لم وصيكم به يا بني ادم قد ما وحد ثانيا اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب
وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب وقيل التقدير ثم اتينا اخبرنا بعد تعديد المحرمات وغيرها من الاحكام اتينا موسى الكتاب
فدرت حكمته ثم لتاخير الخبر لتاخير الواقعة تماما على الذي احسن معناه تماما للكلامة وكرامته
والنعمة على الذي احسن معناه تماما للكلامة وكرامته والنعمة على الذي احسن الطاعة في التبليغ
في كل ما امر به وقيل تماما على من كان محسنا صالحا يريد احسن المحسنين وقيل تماما على موسى اي تمه
الكرامة على العبد الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشي اذا احاد ومعرصه اي زيادة على علمه
على وجه المتهم وقيل اتاه موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه

تعقلها وتفهمها م

كل ما م

والايتام م

والطرق الذي هو احسن وتفصيلاً لكل شيء يحتاج اليه من شرايع الدين وهدى ورحمة لعلهم اي لكي يومنوا
بلقاء ربهم اي لقاء ما وعدهم الله من ثواب وعقاب وبالبعث الذي الايمان به نهاية تصديق الانبيا اذ لا يستقل
العقول بذواتها وانما ثبت بالسمع مع تجويز العقل له **قوله تعالى** وهذا كتاب انزلناه
مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم
لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن
اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوا العذاب بما كانوا يصدفون
هذا اشارة الى القران مبارك لانه لا يتطرق اليه القبح كما في الكتابين وقيل كثير الخير والنفع والبركة
والزيادة والنمو فاتبعوه واعملوا به واتقوا امر بالتقوى العامة في جميع الاشيا لعلكم ترحمون الا تعدلون
ان تقولوا في موضع نصب والقايل فيه انزلناه والمعنى انزلنا كراهية ان تقولوا وقيل العامل فيه قوله
واتقوا فكانه قال والقول ان تقولوا كذا لانه لا حجة لكم فيه والاول يتسق نظم الاية وهذا تعرض فيه قلق
لقوله اياذلك لعلكم ترحمون على طايفتين على اهل التورية واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية الاصل وان كنا عن دراستهم عن ان الضمير المنصوب المحذوف الذي
هو اسمه ضمير الشان عن دراستهم عن قراتهم اي لم نعرف مثل دراستهم وقيل هي ان بين النافية واللام
بمعنى الا فكانه قال وما كنا عن دراستهم الا غافلين ومعنى هذه الاية ازالة الحجة على ايدي قريش وساير
العرب بانهم لم يكن لهم كتاب فكانه قال وهذا القران يا معشر العرب كتاب مبارك انزلناه حجة عليكم لئلا
تقولوا انما انزلت التورية والانجيل بغير لساننا على غيرنا ونحن لم نعرف غير ذلك فهذا كتاب انزلناه بلسانكم
على رجل منكم قوله او تقولوا جملة معطوفة على الجملة الاولى وهي في غرضها من الاحتجاج على الكفار وقطع
تعقلهم في الاخرة بان الكتب انها نزلت على غيرهم وانهم غفل عن دراستهم وانهم لو نزل عليهم كتاب فكانوا اسرع
الى الهدى من الناس كلهم فقطع احتجاجهم فقيل لهم قد جاءكم بيان من الله وهدى ورحمة اي بيان فيما يعلم
سمعاً وهدى فيما يعلم سمعاً وعقلاً وكما تقرر ان البينة قد جاءت والحجة قد قامت حسن بعد ذلك ان يقع
التقرير بقوله فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدف حاد وزاغ واعرض عنها سنجزي الذين
يصدفون عن اياتنا سوا العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك
يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا
انا منتظرون قرا حمزة والكسائي تاتيهم بالياء وفي النحل مثله والباقون تاتيهم بالتاء انه تعالى
لما بين انه انما انزل الكتاب ازالة المعذور وان احد للعمل بين انهم لا يومنون البتة وذكر ما يدل على الياس
عن ايمانهم هل ينظرون اي ينتظرون والضمير فيه للطايفة الذين قيل لهم قبل قد جاءكم بينة من ربكم فهم

العادلون

العادلون بربهم من العرب الذين نزلت اكثر ايات السورة في جدالهم والملايكة ملايكة الموت الذين مع عزرايل
وقيل ملايكة العذاب وقيل الملايكة الذين يتصرفون في قيام الساعة قرا حمزة والكسائي تاتيهم بالتاء من تحت
والباقون بالتاء من فوق او ياتي ربك لا يجوز حمله على ظاهره قيل ياتي ربك بلا كيف لفصل القضا بين خلقه
في موقف القيمة وقيل ياتي امر ربك كقوله اتى امر الله وقيل ياتي عذاب ربك الذي يسلطه الله في الدنيا على
من يشاء من عباده كالصيحات والرخصات والخسف ونحوه وقيل او ياتي كل ايات ربك بقرينة قوله
او ياتي كل ايات ربك بقرينة قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيمة والهلاك الكلي فعلى كل تاويل انما
هو على حذف المضاف وانما حذف المضاف تهويلا للامر وتعظيما له او ياتي بعض ايات ربك يريد اشراط
الساعة ذكرا ولا ما يدل على عظم الامر ثم توعدهم بما يدل على الافطانة من اشراط الساعة دون ان يخص من
ذلك شرطا يريد بذكر الابهام الذي يترك السامع حيران وقيل طلوع الشمس من مغربها لانه قال بعد ذلك
يوم ياتي بعض ايات ربك والاثار الصحاح في البخاري ومسلم تثبت ان الاية التي معها هذا الشرط هي
طلوع الشمس من المغرب وقيل بعض ايات ربك اشارة الى غير غيره الانسان عند الموت او ما يكون بمثابتها
بمن لا يغرغر ففي الحديث ان توبة العبد تقبل ما لم يغرغر وهذا مجمع عليه فان من غرغر وعاين هو في عداد الموتى
ووقوع المرء في هذه الحالة من ايات الله فمقصد هذه الاية تهديد الكافرين باحوال لا يفارقونها كانه قال
هل ينتظرون مع اقامتهم على الكفر الا الموت الذي لهم بعده اشد العذاب وللاحداث المعهودة لله عز وجل
او الاية التي يرتفع التوبة معها وقد دلت الاحاديث انها طلوع الشمس من مغربها عن البرا ابن عازب
كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله عليه وسلم فقال ما ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها
لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عذب
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت ان
اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات مضطربة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا
لم تكن امنت من قبل ظهور الايات او لم تكن كسبت في ايمانها خيرا قبل ذلك قال صاحب الكشاف فلم يفرق
كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب في ايمانها خيرا
ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احدهما عن الاخرى حتى يفوز
صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك وقيل معنى الاية هل ينتظرون الا ان تاتيهم عذاب الدنيا بنزول
الملايكة او عقاب من الله استاصل ساقتهم كما فعل بالمكذبين من الامم السالفة او ياتي عذاب الاخرة
وياتيها ان ياتي بعض قوادها فحينئذ تفوت تلك الفرصة السابقة فلا ينفعهم شي قط مما كان ينفعهم
من قبل من الايمان او العمل الصالح مع الايمان فكانه قيل يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها

او تسبب في ايمانها حينيذ لم تكن امنت من قبل او تسبب في ايمانها خيرا من قبل وهي الاية لف لكن حذف
احدى القرينتين من اعانة النشر كما في قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا قيل في قول صاحب الكشاف فلم يفرق فيه بحث لانه يريد ان هذا اشارة الى نفسين احدهما نفس لم تكن
امنت من قبل والثانية نفس امنت من قبل لكن لم يكن تسبب في ايمانها خيرا او اشارة الى نفس متصفة باحدى
الامرين الاولين اما الاولى فانها امنت لكن ما تسببت في ايمانها خيرا وليس كذلك بل هو اسناد الى نفس
اسوء حالها هذان الوصفان اي لم يكن له قبل ذلك الايمان ولا كسب الخير في الايمان فكانه قيل ما امنت ولا
تسببت في ايمانها خيرا لما عرف ان او تفيد انتفاء الامرين في النفي ولا يكون مخالفا لان وضعها لان ذلك شيء عرض له
من وقوعه في سياق النفي لان اسقاط احد الامرين انما هو لشمول العدم لان نقيض الايجاب الجزئي السلب
الكلي ويكون معنى الاية انه لا كسب الخير في الايمان ولا الايمان فيفيد انه لو كان الايمان قبل ذلك نفعه
دل الايمان وان لم يكن كسب خيرا في ذلك الايمان وما كان الله ليضيع ايمانكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره قل انتظروا انا منتظرون وعيد وتهديد اي فسترون من يحق الكلام ويصح ما اخبر به قوله تعالى ان
الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون قراجزة
والكسائي فارقوا الف الضاد تركوا والباقون فرقوا بسند ما رأى امنوا ببعض وكفروا ببعض ومعنى القراءتين
عند التحقيق واحد لان الذي امن ببعض وكفر ببعض فقد فارقه في الحقيقة قيل الذين هم اليهود والنصارى
اي فرقوا دينهم ابرهم الحنيفية واصيف الدين اليهم من حيث كانوا متبعين اذ تلزموه اذ هو دين الله الزمه
العباد فهو دين جميع الناس بهذا الوجه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تتبع اماما لها ففيها حض للمسلمين
على الاتفاق ورفع الاختلاف لست منهم في شيء لما السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل لا يشفع لهم ولا لهم
بل تعلق وقيل انت منهم بريء وهم منك برءاء وتاويله انك بعيد من افعالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم
على تلك الاباطيل مقصور عليهم ولا سعداهم وقيل لست من امرهم في شيء قيل لم يؤمر بعداتهم فلما امر به
نسخ وهذا بعيد لان المعنى ليست من امرهم في شيء وهذا الوقت فورود الامر بالقتال في وقت اخر لا يقضي
النسخ وهذا بعيد لان المعنى ليست من امرهم في شيء في هذا الوقت فورود الامر بالقتال في وقت اخر
لا يقتضي النسخ انما امرهم الى الله فيما يفعل بالامهال والاهلاك والاستيصال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيه
وعيد قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها وهم لا يظلمون قيل الحسنة لا اله الا الله فله عشر امثالها على اقامة صفة الحسن المميز
مقام الموصوف بعدد عشر حسنات امثالها وانما لم يقل عشرة والمثل يذكر لانه مضاف الى مؤنث فرده الى
الحسنة ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فلا يجزى الا مثلها اي الا جزاء مساويها وبوارها وهم لا يظلمون
اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم والميل والامهال انما يتحقق موضع التشريع وحكمه

ونحن

لا ينفع الايمان في ذلك الاوان نفسا لم تكن طت الايمان قبل ذلك و م

بالالف م

ونحن ناخذه على سبيل التعبد وقيل هذا عام في جميع الحسنات والسيئات روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاعمال ست موجبة وموجبة ومضعفة ومثل ومثل فلا اله الا الله توجب الجنة والشرك توجب النار
ونفقة الجهاد سبعمائة ضعف والنفقة على الاهل حسنتها بعشر والسيئة جزاؤها مثلها ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة مثلها وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير
حساب ومضاعفة الحسنات تفضل ومجازات السيئات عدل وعن ابي ذر قال حدثني الصادق
المصدوق ان الله تعالى قال الحسنة عشر وازيد والسيئة واحدة او اعفر فالويل لمن غلب احاده اعشاره
ومن لقيني بقراب الارض خطية ثم لا يشرك بي شيا جعلت له مثلها مغفرة وعن ابن عمرو بن عباس هذه الاعراب
ولاهل البدو فاما اهل القرى فقال وان يك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واقلها سبع مايه
ضعف وعن سفيان الثوري لما نزل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال صلى الله عليه وسلم رب زد في فنزلت
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مايه حبة
قال رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال رب زد
امتي فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قوله تعالى قل اني هداني ربي الى
صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين لما بين الله تعالى انواع الادلة في التوحيد
والرد على القايلين بالشركاء بالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية في اباطيلهم امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالاعلان بشرعه ووصفها بما هي عليه من الحسن والفضل والاستقامة وهداني اي خلق
الهدى في قلبي دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله تعالى وهديناك
صراطا مستقيما وقيل منصوب بهذا اي الهمني دينا وقيل بالمقدم الذي يدل عليه هداني الاول وهذا الضمير انما يصل وحده
دون ان يحتاج الى اضمار الى اذ هو يصل بفعله الى مفعوله الثاني وحرف الجر هو فعل متردد وقيل نصب
دينا بفعل مضمر بعد حرفي دينا وقيل بعدين فاسعد دينا او فالزموا دينا وقيل نصب بعت الذي ومعناه
مستقيما متعد لاقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو قيما بفتح القاف وكسر الياء وتشديدها واصله قيوم فعل علت
لتعليل سيد وميت وهو ابلغ من القايم والباقون بكسر القاف وفتح الياء على وزن فعل وكان الاصل فيه
ان يحى قوما كعومي وهو لا انه شذ كشذوذ جياد في جمع جواد وهو مصدر بمعنى القيام وصف به
للمبالغة ملة ابرهيم عطف بيان وقيل بدل من الذي وحنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين نفي للسقيضة
عنه صلى الله عليه وسلم والمقصود منه الرد على المشركين وما عرفه الذي عرفه كيف يقوم وامر ان يعلن
ان مقصده في صلواته وطاعاته من ذبحه وغيرها ما يتقرب به الى الله وقيل عبادي وتقربي كله وقيل
ومحياي جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومناسكي الحج ومحياي

وما اتيته في حياتي ومماتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وطلبا
لرضاه وبذلك امرت من الاخلاص اي امرت بان اقصد وجه الله في ذلك واني اول المسلمين من هذه الامة لان اسلام كل نبي صدم لاسلام
امته واعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المومنين اسا سي به حتى يلتزموا في جميع اعمالهم
قصد وجه الله عز وجل **قوله تعالى** قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل
نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون روي ان الكفار
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تخافه
في دينك واخرتك فنزلت هذه الاية وهي استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ والبغي معناه الطلب فكانه
قال افبحسن عندكم ان اطلب الها غير الله الذي هو رب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم لا ينجي لان الامر ليس كما تظنونه
وانما كسب كل نفس من الشر والاثم عليها وحدها والحاصل انه قوله اغير الله جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم
والمعنى للانكار اي منكرا ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء وكل ما دونه مربوب لنس في الوجود من له الربوبية غيره
كما قال قل اغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد معلم ان العقاب على اتباع غير الصراط المستقيم ما كنتم فيه تختلفون
في امور من قول بعضكم هو ساحر وهو شاعر وقول بعضكم افتراه وقول بعضكم انما يعلمه بشر وبعضكم اساطير الاولين
اكتتبها والتقاطيع جميع انواع الاختلافات من الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك **قوله تعالى**
وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم ان ربك سريع العقاب
وانه لغفور رحيم لان محمدا خاتم المسلمين صلى الله عليه وسلم خلفت امته سائر الامم
وليس لهم من يخلفهم اذ هم اخر الامم وعلم قيام الساعة وقيل جعلكم يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم خلفاء الله
في ارضه تملكونها وتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الرزق والعقل والجاه والمال واظهار التفاوت
ليس للعجز او الجهل او البخل لينزهه عن هذه الاوصاف وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان على معنى العمل الذي هو شبيه
بالابتلاء وهو جعل الوصف من واحد منا لكان ذلك ابتلاء فيما اتيتكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة
وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني بالفقير وربك سريع العقاب لمن لم يكفر نعمته ووصف
العقاب بالسرعة لان ما هو آت على القطع قريب وان ربك لغفور لمن لم يكفر وقام بشكرها وهذا ترجمة لمن
اذنب واراد التوبة واقترن الوعيد بالوعد كثيرا تم تفسير سورة الانعام

سورة الاعراف مائتان وخمس ايات

قال الضحاك وغيره هي مكية كلها وقال مقاتل هي مكية الا ثمان ايات وهي قوله واسلهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر الى قوله واذ نتقنا الجبل فانه هذه الايات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

قوله تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمومنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون
تقدم الكلام في تفسير الحروف المقطعة التي في اوايل السور وذكرنا اقاويل المتاولين فيها وقد حصى هاهنا
ما قيل ان المص هجا لاسم الله الذي هو المصور وقيل معناه انا الله اتاويل كتاب مرفوع على انه خبر مبتدا
محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه تنبيه نهي
النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع او يسمح من هذا الكتاب او يسبب من اسبابه حرجا ولفظ
النهي هو الحرج ومعناه للنهي واصل الحرج الضيق والحرج ههنا يعم الشك والخوف والهم وكل ما يضيق الصدر
حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر
حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر مسجاي لا تشك في انه منزل من الله وحرج من سلعه لانه كان يخاف
قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واداهم وكان يضيق صدره من الاذاء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن
المبالاة بهم وقوله فلا يكن في صدرك حرج اعتراض في اثناء الكلام قوله لينذر متعلق بقوله انزل اي انزل اليك
لا لتدارك او ما ثني لانه اذا لم يخفهم انذرهم والمعنى فلا يكن في صدرك خوف لعدم ايمانهم او فلا يكن في
صدرك شك لعدم ايمانهم به لانه اذا انس من عند الله شجعه اليقين على الانذار لانه صاحب اليقين
شجاع متوكل على ربه متجل على عصمته وذكرى اسم معنى للتذكير يحتمل ان يكون في محل النصب باضمار فعلها
كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكرا ويحتمل ان يكون في محل الرفع عطفا على كتاب والمعنى هذه الحروف كتاب وذكرى
ويحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو ذكرى للمومنين ويحتمل ان يكون في محل الجر للعطف على محل ان تنذر
اي للانذار والتذكرة وبعد ذكرى بالمومنين شعشعة هدى التقيين قال الامام والبحث العقلي فيه ان النفوس
البشرية على قسمين نفوس نالت حاصلها بعيدة عن عالم الغيب عريقة في طلب اللذات الحسمانية والشهوات
الحيوانية معتمة بعتمة الرسل عن حقوق تذكر لان هذه النفوس غصبت جواهرها الاصلية مستعدة للانجذاب
الى عالم القدس الا انه ربما عشيها عوارض من عالم الاجساد وعرض لها نوع ذهول وعقل فاذا سمعت دعوة
الانبياء واتصلت بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مركزها وابصرت منشاها واشتاقت الى ما حصل
هناك من الروح والريحان فثبت انه انما انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طايفة وذكرى
في حق طايفة اخرى والاولى ان يقال ليكون انذارا في حق الكل وذكرى في حق المومنين فان المومن قد يحتاج
الى الانذار قال تعالى انما انت منذر من يخشاها اسعوا قبل مقدراي قبل اتبعوا ما انزل اليكم محذوف قلي
لدلالة الانذار عليه وقيل اتبعوا امر نهي للنبي صلى الله عليه وسلم وامته اي اتبعوا القران ولا تتبعوا
من دونه ربكما وليا اي كل ما عبد من دون الله كالاصنام والاحبار والكهان والشياطين وقيل الضمير
في دونه عايد الى ما وقيل الى الكتاب اي ولا تسولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة

الاوثان والاهوا والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه ويحتمل ان يكون المعنى
ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره قليلا نصب
نعت لمصدر نصب بفعل مضمر اى تذكرون تذكرا قليلا وقيل منصوب بتذكرون بعده وما مزيدة
لتوكيد العلة اى تذكرون تذكرا فى غاية القلة وقيل ما فى قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهى مصدرية
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم فى رواية ابى بكر تذكرون بتشديد الذال والكاف وحمزة والكسائى
وعاصم فى رواية حفص يذكرون بتخفيف الذال وتشديد الكاف وابن عامر يتذكرون بالياء على الغيبة
وروى عنه انه قرا يتذكرون بتاءين على مخاطبة حاضرين **قوله تعالى** وكم من قرية اهلكناها
فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين لما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بالانذار والتبليغ وامر القوم بالقبول والمتابعة ذكر فى هذه الاية ما فى ترك المتابعة والاعراض
من الوعيد كم فى موضع رفع بالابتدا واهلكناها خبره ويجوز ان يكون اهلكناها صفة قرية والخبر فى قوله
فجاءها باسنا ويصح ان يكون كم فى موضع نصب بفعل مقدر بعدها تقديره وكم اهلكنا من قرية اهلكناها
وقدر الفعل بعدها وهى خبرية تشبيها لها بالاستفهامية فى ان لها فى كل حال صدر الكلام قيل فى الاية
محذوف والتقدير وكم من اهل قرية او وكم من قرية اهلكنا اهلها يدل عليه قوله فجاءها باسنا والباس يليق
بالاهل وقوله او هم قايلون فعاد الضمير الى اهل القرية والبيات والقايلة انما يكون للاهل وانما عبر
بالقرية لانها اعظم فى العقوبة اذا هلك الاهل وقريتهم وقد بين فى اخر الاية بقوله او هم ان البشر داخلون
فى الهلاك فالاية تتضمن هلاك القرية وهلاك اهلها جميعا وقيل لا محذوف فى الاية والمراد اهلاك نفس
القرية لان فى اهلاكها اهلاك من فيها سوا كان اهلاكها بالهدم او الخسف او غيرها ولانه حينئذ يكون
قوله فجاءها باسنا محمولا على ظاهره فجاءها اى فجا اهلها باسنا عذابنا بياتا وقع موقع الحال بمعنى باتين يقال
بات بياتا حسنا وبيته حسنة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا هم قايلون
حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا باتين او قايلين نايمين ظهيرا اى جاءهم باسنا مرة ليلا ومرة
نهارا وانما قدر للاهل قيل الضمير فى فجاءها لقوله او هم قايلون فان قيل لا يقال جاءهم باسنا هم قايلون بغير
واو اجيب بانه قدر بعض النحويين الواو محذوفة اى فجاءهم باسنا بياتا او هم قايلون وانما حذفوها
لاستثقالهم نسقا على نسق ورده الزجاج وقال لو قلت جاءهم باسنا بياتا او هم قايلون او جاءهم
باسنا هم قايلون لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح ان الحال اذا عطفت على حال قبلها
حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل فقوله فجاءهم
باسنا بياتا او هم قايلون كلام فصيح وارد على حدة واما قولك جاءهم باسنا هم قايلون كلام غير مستقيم والقيلولة

نومة

نومة نصف النهار وقيل القيلولة عند العرب استراحة نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن مع
ذلك نوم والدليل عليه ان الجنة لا نوم فيها وقال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
ومعنى الاية انهم جاءهم باسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا وهم نايمون واما نهارا وهم قايلون والمقصود انه
جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على نزول فكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب
الامن والراحة فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعة من غير سبق امارة فلا تغتروا باحوالكم فان قيل ظاهر قوله
اهلكناها فجاءها باسنا يدل على ان الاهلاك قبل مجى العذاب لكن الاهلاك انما هو بعد مجى الباس فما معنى قوله
اهلكناها فجاءها باسنا اجيب بان معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
وقيل معنى اهلكناها حكمنا بهلاكها وقيل فجاءهم اهلاكنا لم يرد السؤال فكذا هاهنا لان مجى الباس هو الاهلاك
لا يقال الفاء فى قوله فجاءهم باسنا فاء التعقيب وهو يقتضى المغايرة لانا نقول الفاء قد تجى بمعنى التفسير كقوله
لا يقبل الله صلاة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فلذلك هاهنا لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد
وقد يكون بالباس فذكر الباس تفسير الاهلاك وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة
لانها وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيها اشد وانطع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم
شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم الدعاء وللادعاء اى فما كان دعاؤهم واستغاثتهم الا قولهم انا كنا ظالمين
لانه يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم بالكعب ويحتمل فما كان دعاؤهم اى ما كانوا يدعونه من دينهم
ويفعلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ودعواهم رفع
اسم لكان وان قالوا نصب خبر له ويجوز العكس انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاية
المتقدمة بالتبليغ وامر الامة بالقبول والمتابعة وذكر التهديد فى ترك القبول والمتابعة بذكر نزول
العذاب فى الدنيا اتبعه بنوع اخر من التهديد وهو انه تعالى يسال الكل عن كيفية اعماله يوم القيمة
وقيل انه تعالى لما قال فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اتبعه بانه لا ينفعه يوم
القيمة الاقتصار على ما يكون منهم من الاعتراف بل يضاف اليه انه تعالى يسال الكل عن كيفية اعماله
وبين ان هذا السؤال لا يختص باهل العقاب بل هو فى اهل العقاب والثواب ارسل مسند الى الجار
والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسالن المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل انهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة واسرارهم
الخفية واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل اذا كانوا معترفين بانهم كانوا ظالمين
وكان الله عالما بذلك وكان يقص عليهم فما معنى سؤالهم وسؤال الرسل اجيب بان معنى سؤالهم التوبيخ
والتقريع ومعنى سؤال الرسل انهم اذا سووا انه لم يصدر منهم تقصير الحق التقصير بكليته بالمرسل

لهم فيتضاعف اكرام الله في حق الرسول لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي
والاهانة في حق الكفار كما ثبت ان ذلك التقصير كان منهم ولنقصن عليهم بعلم والمراد انه تكرر وتبين للقوم ما
اعلنوه واسروه من اعمالهم ولن نفصل الوجوه التي لاجلها اقدموا على تلك الاعمال ثم بين انه انما صح منه ان تنقص تلك
الاحوال لانه ما كان غائبا عن احوالهم بل كان عالما بها وما خرج عن علمه شيء منها وذلك يدل على ان الالهية لا تكمل
الا اذا كان الاله عالما بجميع الجزئيات حتى ان يمكنه ان يميز المطيع عن العاصي والمحسن عن المسيء وظهر ان من انكر
كونه تعالى عالما بالجزئيات امتنع منه الاعتراف بكونه امرا ناميا شيئا معاقبا ولهذا السبب فانه تعالى انما ذكر
احوال البعث والقيمة بين كونه عالما بجميع المعلومات **قوله تعالى** والوزن يومئذ
الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون انه تعالى لما بين انه من جملة احوال يوم القيمة السؤال والحساب بين
في هذه الاية ان من جملة احوال يوم القيمة ايضا وزن الاعمال والوزن مبتدا ويومئذ ظرفه والحق
خبره وقيل يومئذ خبره والحق صفته اي والوزن والعدل يوم يسئل الله الرسل والمرسل اليهم واختلف
في كيفية الوزن فقيل ان الله عز وجل اراد يعلم عباده ان الحساب والنظر يوم القيمة في غاية التحرير
ونهاية العدل فمثل لهم في ذلك بالوزن بالميزان اذ لا يعرف البشر امرا اكثر تحريرا منه فاستعير للقضاء
الحق السوي والحكم العدل وكذلك استعير الثقل والخفة لكثرة الحسنات وقلتها وقيل ان الله اراد ان يعرض
لعباده يوم القيمة تحرير النظر وغاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فيوزن صحف الاعمال
بميزان له كفتان ولسان ينظر اليه الخلائق قال بن عباس اما المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة فيوضع في
كفة الميزان فيثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الناجون قال
وهذا كما قال في سورة الانبياء ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا واما كيفية وزن
الاعمال على هذا القول ففيه وجهان احدهما ان اعمال المؤمن تتصور بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة
قبيحة فيوزن تلك الصورة كما ذكره بن عباس والثاني ان الوزن يعود الى الصحف الذي يكون فيها اعمال
العباد مكتوبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وهذا مذهب
المفسرين في هذه الاية وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل
به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن
وجبريل اخذ بعمود ينظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم
القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا منها صد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة
الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى
فترجح فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات

واما الثقل

واما الثقل والخفة فان الاثار تظاهرت بان صحايف الحسنات والسيئات توضع في كفتي الميزان
فيحدث الله في الجهة التي تريد ثقلا او خفة على نحو احداثه ذلك في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقت نزول الوحي عليه ففي الصحيح من حديث زيد بن ثابت انه قال كنت اكتب حتى نزلت غير اولي الضرر
وفخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى كادت ان ترض فخذي وفي الحديث انه كان اذا اوحي
اليه وهو على ناقته بركت به عجزا عن حمله لثقلت الحادث فيه ولا بد في ان يعلم ان الثقل الحادث
مع الحسنات انما يتعلق اذ العرض لا يقوم بذاته فجائز ان يحدث الثقل في الصحايف والاظهر اثبات
موازين في يوم القيمة لا ميزان واحد يدل عليه قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقوله
في هذه الاية فمن ثقلت موازينه فلا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولما يتعلق القول ميزان اخر
قيل العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وجمع لفظ الميزان اذ في الميزان موزونات كثيرة وكانه اراد
التنبيه على جمعه لفظة الميزان وقيل اراد بالموازين الحسنات والسيئات فان الموازين ههنا جمع موزون
لا جمع ميزان وعن الحسن وحق بميزان توضع فيه الحسنات ان تثقل وحق بميزان توضع فيه السيئات
ان تخف ومن خفت موازينه هو الكافر لقوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون
ولا معنى لكون الانسان ظالما بايات الله الا كونه كافرا بها منكرا لها وللحديث الذي رواه بن عمر **قوله تعالى**
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ان لا تسجد
اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين لما امر الله تعالى الخلق بمتابعة
الانبياء وقبول دعوتهم ثم خوفهم بعذاب الدنيا وهو قوله ولم من قرية اهلكناها وبعذاب الاخرة وهو
قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم وقوله والوزن يومئذ الحق رغبهم في قبول دعوة الانبياء في قبول هذه
الاية بطريق اخر وهو ان اسبغ عليهم نعما ظاهرة ونعما باطنة وهو يوجب الطاعة والخطاب لجميع الناس
مكناكم جعلنا لكم مكانا وقرارا ومهادا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش
جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به ذلك واليا من للاصل فلذلك
لانهم قليلا نصب بتشكرون وما يحتمل ان يكون لتاكيد معنى القلة ويحتمل ان يكون مصدرية وقليلا
نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون انه تعالى رغب الخلق في قبول دعوة الانبياء بالتخويف
اولا ثم بالتنبيه على كثرة النعم عليهم فبدا في ذكر تلك النعم بقوله ولقد مكناكم ثم اتبعه بذكر خلق ابيهم ادم وجعله
مسجودا للملائكة والانعام على الاب يجري مجرى الانعام على الاولاد ظاهر قوله ولقد خلقناكم يدل على
ان المخاطبين بهذا الخطاب نحن قال ثم تعبده ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فظاهره يقتضي ان امر الملائكة
بسجود ادم الثالث خلقناكم ثم صورناكم ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فهذا العطف يفيد

معايش م

ترتيب الخبر لا ترتيب المخبر الرابع ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله عن عباده عن علمه بالاشياء ومشيته
لتخصيص كل شيء بمقداره المعين فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله
وصورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح صورة كل كاين يحدث الى قيام القيمة على ما جاء في الخبر انه
تعالى قال للقلم اكتب ما هو كاين الى يوم القيمة ثم بعد التقدير والتصوير احدث الله ادم وامر الملايكة
بسجوده من الساجدين ممن سجد لادم ما منعك ان لا تسجد لا في لا تسجد صلة زايدة بدليل قوله في ص
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وقيل ان كلمة لا هاهنا مفيدة
وليست لغوا وهذا هو الصحيح لان الحكم بزيادة كلمة من كتاب الله صعب فعلى هذا القول في تاويل الاية
وجهان للاول ان يكون التقدير اي شيء منعك من ترك السجود ويكون هذا استفهاما على سبيل الانكار
ومعناه ما منعك من ترك السجود شيء كقول القايل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ترك ضربي ادينك
ام عقلك ام جارك اي لم يوجد احد هذه الامور حتى يمنعك من ضربي الثاني انه تعالى ترك المنع
واراد الداعي اي ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله حالة عظيمة يتعجب منها ويسال
عن الداعي اليها ويتمسك بهذا ان الامر يقتضي الوجوب والفور فان قلت لم ساله عن المانع من
السجود او الدواعي تركه وقد علم ما منعه اجيب للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره
باصله وازدرائه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود
الفاضل للمفضول خارج من الصواب ولما طلب الداعي الى ترك السجود او المانع من السجود قال انا
خير منه استانف قصة اخبر بها عن نفسه بانه خير منه وبعلة كونه خيرا منه وهو ان خلقه الله
من نار وخلق ادم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاده ان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يومر بما امر به
قوله تعالى قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين
قال الله تعالى لابليس فاهبط من الجنة فما يصح لك ان تتكبر في الجنة وتقضي فيها فان الجنة مكان
المتواضعين المطيعين فاخرج من الجنة انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله
عز وجل وعلى اوليايه وذلك ان ابليس لما اظهر الاستكبار البس الصغار عن النبي صلى الله عليه
وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله
حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره ومصه الله الى الارض **قوله تعالى**
قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال ابليس عند ذلك انظرني الى يوم يبعثون
من قبورهم وهو النفخة الاخيرة عند قيام الساعة اراد الخبيث ان لا يذوق الموت قال الله
تعالى انك من المنظرين المؤخرين ثم بين هذه النظرة والمهلة في موضع اخر فقال الى يوم الوقت

المعلوم

المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم الى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت
المعلوم في علم الله بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني وتكون الباء متعلقا اقسم بالله لاقعدن
اي فبسبب اغوائك اقسم قال صاحب الكشاف قيل لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر
ليفسد عباده ويغويهم اجيب بانه على اصلنا لا يسال عما يفعل يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد قال
صاحب الكشاف قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق
في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن
بها عباده **قوله تعالى** قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي فبسبب اغوايك
اياي لاقعدن لهم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغوا
لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابدية فكان جديرا
بان يقسم به وعلى الوجهين ما مصدرية وقيل ما استفهامية كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا وقال
لاقعدن لهم قيل اثبات الف ما قليل اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية والاغوا ايقاع الغي
في القلب والغي هو الاعتقاد الباطل وذلك يدل على ان ابليس كان يعتقد ان الرشد والغي من الله
تعالى والمعتزلة يفسرون الغي تارة بما ذكر ويقولون ان هذا قول ابليس واعتقاده او خالق الغي والجهل
والكفر هو الله ليس حجة وان الله لما امره بسجود ادم ظهر عنه عند ذلك فلهذا اسنده الى الله
تعالى وتارة يفسرون الاغوا باللعن والمعنى بسبب ما لعنتني لاقعدن اي انما لعنتني بسبب
ادم فانا بسبب هذه العداوة القي الوساوس في قلوبهم قال صاحب الكشاف من تكاذيب
المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء ويرضى بالقدر
فجلس اليه فقال له طاوس يقوم او يقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل بقية فقال ابليس افقه
منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبايح
الى الله تعالى ان يتقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين ولقايل ان يقول ان ابليس اسند
الاغوا الى الله وهذا حق والذي لا يسند الى الله جعل في الوجودين فاعلين مختارين اختيار احدهما
مخالف لاختيار الاخر ولا شك ان من اسند الاغوا الى الله تعالى اعلم ممن لا يسنده الى الله لكن
لما كان الحق المخالف لمعتقد صاحب الكشاف قرع سمعه وعجز عن رده شرع في الشتم والشغب
لاقعدن اي لاجلسن لبني ادم على طريقك القويم وهو الاسلام كما يقعد العدو على الطريق ليقطعه
على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب
زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد

فان قلت بم تعلقت الباء قلت

لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد
له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ديارك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له
بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتنكح امراتك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقيل طريق مكة ثم لاتينهم
من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو وفي الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر
عليه ومقصد هذه الاية ان ابليس اخبر عن نفسه انه ياتي اضلال بني ادم من كل جهة وعلى كل طريق
يفسد عليه ما امكنه من معتقده وينسيه صالح اعمال الاخرة ويغريه بقبيح اعمال الدنيا فعبر عن ذلك
بالفاظ تقتضي الاحاطة بهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثم لاتينهم من بين ايديهم يقول اشكلهم في امر
اخرتهم ومن خلفهم ارغبهم في امر الدنيا وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهى لهم المعاصي وعنه
من بين ايديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من امر اخرتهم وعن ايمانهم عن قبل حسناتهم وعن شمايلهم عن
قبل سياتهم وقال قتادة اتيهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا عقاب ومن خلفهم
من امر الدنيا فازينها لهم وادعوهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم ابطايهم عنها وعن شمايلهم ازين لهم
السيات والمعاصي وادعوهم اليها وقيل ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخالية التي يجمع فيها مثل المحسوسات وصوره وهي موضوعة في البطن المقدم من الدماغ وصور
المحسوسات انما ترد من مقدمها واليه الاشارة بقوله من بين ايديهم والقوة الثانية القوة الوهمية
التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات وهي موضوعة في البطن المؤخر من الدماغ
واليه الاشارة بقوله ومن خلفهم والقوة الثالثة الشهوة وهي موضوعة في الكبد وهي من يمين البدن
والقوة الرابعة الغضب وهي موضوعة في البطن الايسر من القلب فهذه القوى الاربع هي التي تظهر
منها احوال تستدعيه للحرمان عن السعادات الروحانية وابليس ما لم يستعن بشيء من هذه القوى الاربع
لم يتمكن من تحسين القبايح وتزيين المنكرات وقيل لاتينهم من بين ايديهم المراد منه التنبيه على التشبيه
اما في الذات والصفات مثل شبه المجسمة واما في الافعال مثل شبه المعتزلة في التعديل والتحريف
والتحسين والتقبيح ومن خلفهم المراد منه المشبهات الناشية من التعطيل وانما جعلنا قوله
من بين ايديهم شبهات التشبيه لان الانسان يشاهد هذه الجسمانية واحوالها فهي حاضرة
بين يديه فيعتقد ان الغايب شبيه هذا الشاهد وانما جعلنا قوله ومن خلفهم كناية عن التعطيل
فلما جعلنا قوله من بين ايديهم كناية عن التشبيه تعين ان يكون قوله من خلفهم كناية عن التعطيل واما
قوله عن ايمانهم المراد الترغيب عن المامورات وعن شمايلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق ما من
صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين
يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقراء واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من

خلفي

خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقراء وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني
من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقراء وحيل بينهم
وبين ما يشتهون فان قيل كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن شمايلهم
بحرف المجاوزة اجيب بان المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به وكما اختلفت حروف
التعدية في ذلك اختلفت في هذا فكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما تقيس عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم
يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شمايله وعلى شمايله قلنا معنى على يمينه انه يمكن من جهة التمكين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق
له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في يقال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس
ومن القوس لان السهم يبعد منها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدا الرمي منها ولذلك قالوا جلس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه ان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول
جئته من الليل تريد بعض الليل ولا يجد اكثرهم شاكرين اخبر ان سعايته بفعل ذلك لحنا منه وتوسما في خلقه
حتى راى من خلقه من اشيا مختلفة فعلم انه سيكون لهم شيم تقتضي طاعة كالغل والحسد والشهوات
ونحو ذلك قال ابن عباس وقتادة الا ان ابليس لم يقل انه اتى بني ادم من موتهم ولا جعل له سبيلا الى ان يحول
بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه قوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين اكثر العالم كفرة شاكرين معناه مومنين لان ابن ادم لا
يشكر نعمة الله الا بان يومن **قوله تعالى** قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملان جهنم منكم اجمعين لما وعد ابليس بالافساد خاطبه الله بما يدل على الزجر والاهانة
فقال اخرج من الجنة او من السماء مذؤما من ذامه اذا ذمه ابلغ الذم مدحورا مطرودا مبعدا يقال
دحره دحرا ودحورا اذا طرده وبعده فمن تبعك اللام موطئة للقسم ومن تبعك شرط ولاملان جوابه وهو
ساد مسد جواب الشرط منكم اي منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون **قوله
تعالى** ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين قال تعالى في سورة البقرة وكلا منها رغدا وقال ههنا فكلا بالفا والواو تفيد
الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو
ولا منافاة بين النوع والجنس **قوله تعالى** فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لهما ان الشيطان لكما عدو مبين وسوس

تكلم كلاما خفيا يكرره وبه سمي صوت الحلي وسواسا وهو يفتعل غير متعد كولولت المراه وعوع الذئب
ورجل يوسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكنه موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقي
اليه الوسوسة ومعنى وسوس فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه عن الحسن كان
يوسوس من الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله وقيل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه
الجنة كانت بعض جنان الارض وقيل ان ادم وحوا ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة
على بابها فيقرب احدهما من الاخر ويحصل الوسوسة هناك ليبدي قيل اللام لام الغرض جعل ذلك غرضا
لابليس ليسوءهما اذا راياما يوثران ستره وان لا يطلع مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظايم
وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول وقيل بدوا العورة كناية عن سقوط وزوال الجاه اي
عرضت ابليس من تلك الوسوسة لادم زوال حرمته ذهاب منصبه وقيل اللام لام العاقبة كما في قوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما ولم يعلم
انهما ان اكلا من الشجرة بدت عوراتهما وانما كان قصده ان يحملهما على المعصية فقط ولم يقلب الواو
المضمومة في ووري همزة كما في اويصل لان الثاني مدة كالف واري ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين اي الا كراهية ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون
ويبقون في الجنة ساكنين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين قيل حلف لهما بالله حتى خدعهما وقيل
يخدع المومن بالله اني لكما لمن الناصحين اي قال ابليس اني خلقت قبلكما وانا اعلم احوالا كثيرة من المقابح والمفاسد
لا تعرفانها فاقبلا قولي ارشدكما المهاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما
تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنفسه كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله
انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما بقولها او اخرج قسم ابليس
على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد القاسم فدلاهما فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور
اي ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول اي باطل قال مقاتل فزين لهما الباطل وقيل فعلقهما بغرور يقال
بدل نفسه ودلى غيره ولا يكون التدلي الا من علو الى سفل وقيل اصله دللهما فابدل من احدى اللامين
فاوقل دلاهما خذلهما وخلاهما من تدليه الدلو اذا ارسلتها في البير فلما ذاقا الشجرة اكلا منها ووصل الى بطونهما
بدت ظهرت لهما سواتهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه
وكانا لا يريان ذلك من انفسهما ولا احدهما من الاخر عن عايشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني
وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار فلما واقعا الذنب نشط عنهما وبدت سواتهما فاستحيا
وقيل نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا اقبلا وجعلا يخصفان يرقعان ويسدان ويمزقان ورقه فوق
ورقه ويصلان عليهما من ورق الجنة كما يخصف النعل بان يجعل طرقه على طرقه ويوثق بالسيور من ورق

الجنة

الجنة قيل كان ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وناداهما ربهما الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه
على الخطا حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال الله لادم
الم يك لك فيما اتيتك ومنحتك من الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك اياتي ولكن ما ظننت
ان احدا من خلقك يحلف كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا لدا فاهبط من الجنة
وكانا ياكلان فيها رغدا الى رغد من طعام وثواب فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى وحصد
وداس وذرى وطحن وعجن وخبز فاكله فمن نزل حتى بلغ منه ما شاء الله ان يبلغ **قوله تعالى**
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال صاحب الكشاف ضمنا
ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاوليا والصالحين
في استعظامهم الصغير من السيات واستصغارهم العظيم من الحسنات **قوله تعالى**
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون الخطاب لادم وحوا وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه مستقر استقرار موضع استقرار ومتاع وانتفاع يعيش الى حين الى انقضا اجالكم قرا
حمزة والكسائي يخرجون بفتح الياء والباقون بضم الياء **قوله تعالى** يا بني ادم قد انزلنا
عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون لما
بين انه امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض وجعل الارض مستقرا بين بعده انه تعالى انزل كل ما يحتاجون
اليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللباس الذي يحتاج له في الدين والدنيا وذكر واقعة ادم في انكشاف
العورة وانه كان يخصف الورق عليهما اتبعه بان بين انه خلق اللباس للخلق ليستروا بها عورتهم
ونبه به على المنة العظيمة على الخلق بسبب انه اقدر على التستر ومعنى انزلنا عليكم لباسا خلقنا لكم
وقيل انزلنا اسبابه والاته فانه انزل المطر وبالمطر تكون الاشيا التي منها يحصل اللباس والحاصل
انه جعل ما في الارض منزلا من السماء بمن وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا
اي لباسا زينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقيل
ريشا مالا يقال تريش الرجل تمول وقيل ريشا جمالا ولباس التقوى قرا نافع وابن عامر والكسائي
ولباس بالنصب عطفا على قوله لباسا والباقون بالرفع على الابتدا وخبره اما الجملة التي هي
ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسما الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر
واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى الذي هو المشار اليه خير ولا يخلوا
من ان يراد بالاشارة تعظيم لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير

وقيل لباس التقوى لباس الورع والخشية من الله وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن
والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحرب وقيل لباس التقوى الحياء وقيل العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن
ذلك اى انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم
النعمة فيه قال صاحب الكشاف هذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوات
وحصف الدرق عليها اظهارا للمنة لكنه فيما خلق من اللباس وكما في الحرب وكشف العورة من المهانة
والفضيحة اشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى **قوله تعالى**
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما انه يريكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يومنون المقصود من قصص
الانبيا الاعتبار لمن يسمعها فكانه تعالى لما ذكر قصة ادم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لادم
واولاده اتبعها بانه حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لا يفتننكم لا يحسكم بان لا يظفروا
الحنة كما محى ابويكم بان اخرجهما من عوراتكم للناس في الطواف بطاعتكم اياه انه يريكم هو تعليل للنهي
وتحذير من فتنته بانه عند ل العدو المداجي بكيدكم وتعالجكم من حيث لا تشعرون فاحذروه كما
الف عدو اراك ولا تراه لشدة المونة الا من عصمه الله وقيل جنوده وهم الجن والشياطين
انا جعلنا الشياطين اولياء اعوانا وقرنا للذين لا يومنون وقبيل معطوف على الضمير المستتر في تراكم
الموكد بهو والضمير الذي هو اسم انّ ضمير الشان **قوله تعالى** واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون الفاحشة
ما تبالغ في قبحه من الذنوب اى اذا فعلوا فاحشة مثل طوافهم بالبيت عراة فان الرجال والنساء كانوا
يطوفون بالبيت عراة ويقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب التي عاصينا فيها الذنوب
وكانت المراة تضع على قبلها السعة وتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وفي الاتيان
اى واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها اعتذروا بان قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وكلاهما باطل لان
الاول تقليد للجهال الضالين والثاني افتراء اما الاول فلان الله عليه جريا لانه تقرر في عقل كل احد ان
تعليد الجاهل باطل واما الثاني فقد امر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول ان الله لا يامر بالفحشاء
ثم قال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانكم ما سمعتم من الله بلا واسطة ولا نقل اليكم من الانبياء اليكم ان الله
قد اوحى اليهم بهذا بقولكم والله امرنا بها قول على سبيل الافتراء بقولهم انكارا لاصل فتهم الامر بها الى الله
وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط والافتراء **قوله تعالى** قل امر ربي بالقسط واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون لما ذكر ان الله تعالى لا يامر

بالفحشاء

بالفحشاء بين انه امر بالقسط اى بالعدل قال ابن عباس رضي الله عنه هو قول لا اله الا الله يدل على
ذلك قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله قائما بالقسط امر الله في هذه الاية ثلثة اشيا اولها
بالقسط وهو التوحيد الذي هو قول لا اله الا الله وهو يشتمل على معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه
وافعاله وانه واحد لا شريك له وثانيها انه امر بالصلاة وهو قوله واقيموا وجوهكم والسعد قل اقيموا
وجوهكم قال مجاهد والسدي وابن زيد يعني وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك
يقول اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا تقولوا احدكم اصلي في مسجدي اذا لم يكن
عند مسجد فليات اى مسجد شاء وليصل فيه وقال الزجاج معناه واجعلوا سجودكم خالصة لله دون
ما سواه من الالهة والانداد وقيل واقيموا وجوهكم اى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى
غيرها عند كل مسجد في وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اى الطاعة منقطعين بها وجهه خالصا كما بداكم اشاكم ابتدا تعودون اى بعد ما حق عليهم في انكارهم
الاعادة بابتداية الخلق قال صلى الله عليه وسلم سبعين كل نفس على ما كانت عليه وقال ابن عباس ان الله سبحانه
خلق ابن ادم مومنا وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيمة كما بداء خلقهم
مومنا وكافرا فيبعث المومن مومنا والكافر كافرا وقال جابر يبعثون على ما ماتوا عليه المومن على اعانه والمنافق
على نفاقه وقيل عادوا الى علمه فيهم وقيل من ابتدا الله خلقه على السعاده صار الى ما ابتدا عليه ومن عمل بعمل
اهل السعاده ومن ابتدا خلقه على السعاده صار الى ما ابتدا عليه خلقه ومن عمل بعمل اهل الشقاوة وكما
ان ابليس عمل عمل اهل السعاده ثم صار الى ما ابتدا عليه خلقه وكما ان السحرة عملت اعمال اهل الشقا
ثم صاروا الى ما ابتدا خلقهم عليه وقيل كما كتب عليكم تكونون فريقا هداهم الله للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة وهذا جار مجرى التفسير لقوله كما بداكم تعودون وانتصاب فريقا بقوله هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة مصوب لفعل مضمر اى وعذب فريقا او واضل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان
الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء انصارا واصحابا واعوانا ويحسبون
يظنون انهم مهتدون بطل من شرح ما باطل وهو مستحق الذم والعذاب سواء حسب فوته حقا
او لم يحسب ذلك وهذه الاية تدل على ان مجرد الظن والحساب لا يكفي في صحة الدين بل لا بد فيه
من القطع واليقين **قوله تعالى** يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة لذلك نفصل الايات لقوم يعلمون
انه تعالى لما امر بالقسط في الاية وكان من جملة القسط من اللباس وامر المآكل والمشروب
لا جرم اتبعه بذكرهما قال ابن عباس ان اهل الجاهلية من قبايل العرب كانوا يطوفون بالبيت

على الله ص

عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى طرحوا ثيابهم واتى المسجد عراة قالوا لا نطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب وفيهم من يقول نفعل ذلك لعلة ولاحى يعرى عن الذنوب كما نعرينا عن الثياب وكانت المراة منهم تجعل سترا معلقة على حقويها تستتر به عن الجن وهم قريش فانهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانوا يصلون فى ثيابهم ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما فقال المسلمون يا رسول الله فنحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله هذه الاية اى البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا فى دينكم يعنى الثياب وقيل ما تواري به عوراتكم ولو عباءة وصلوا النشط وصلى زينتكم عند كل مسجد يعنى رفع الايدى فى الصلاة روى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان لكل شى زينة وان زينة الصلاة رفع الايدى فى ثلاث مواضع اذا احرمت للصلوة واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع فكلوا واشربوا ولا تسرفوا يعنى الحرام وقيل الاسراف ما قصرت به حق الله ولو انفقت مثل احد فى سبل الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا فى معصية الله كنت مسرفا قيل ولا تسرفوا ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم انه لا يحب المسرفين فيما حاوزين الحلال الى الحرام فى الشراب والطعام وحكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين هل واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شى فقال علينا علم الابدان وعلم الاديان فقال على قد جمع الله الطب كله فى نصف اية من كتابه قال وما هى قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم شى فى الطب فقال على قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى الفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا على محرم ربنا الله صن ثيابك وكل ما يحل به والطسات المستعملات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانت قوم اذا حجوا اعتمروا حرموا لنسائهم ومأكلهم وشحومها وسمنها ولحومها فانزل الاية على بن عباس يعنى بالطسات من الرزق ما حرم اهل الجاهلية من البحائر والسوايب والوصايل والحوامى قيل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المومنين يشاركون المشركين فى الطيبات فى الدنيا فكلوا من طيبات طعامهم والبسوا من حسان ثيابهم وتكحلوا من صباح نسايهم خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد اى ثم تخلص الله الطسات فى الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين فيها شى وانما قال هى للذين امنوا وغيرهم لبسه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تتبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرا نافع خالصة بالرفع على انها خبر بعد خبر اى هى خالصة وابا قوبة بالنصب على الحال ذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ينظرون والاستدلال ليتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية **قوله تعالى** قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون قرا

حمزة انى بسكون الياء والباقون بفتحها انه تعالى بين فى الاية الاولى ان ما حرمه ليس بحرام بين فى هذه انواع المحرمات الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد وهى الكبائر وقيل الطواف عراة ما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل وقيل هى الزنا والاثم والذنب هو عام لكل ذنب وقيل الاثم الخمر قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلى كذلك الاثم يذهب بالعقول والبغى الظلم والكبر افرده بالذكر كما يقال ويتهى عما الفحشا والمنكر والبغى وان تشركوا اى حرم ربى الاشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا فيه تحكم لانه لا يجوز ان ترد برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا اى وحرم ربى ان تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره انزه البغى والاشراك والقول على الله وان كانت داخلة تحت الفواحش والاثم نبه عليها على انها اقبح انواع الذنوب **قوله تعالى** ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لما بين الحلال والحرام واحوال التكليف بين ان لكل احد اجلا فاذا جاء اجله مات لا محالة والمقصود التحريف لتشدد الامر والقيام بالتكاليف كما سبق وقيل وعد لاهل مكة بالعذاب النازل فى اجل معلوم عند الله تعالى كما نزل بالامم قوله ساعة لانها اقل الاوقات فى استعمال العرب تقول المستعجل لصاحبه فى ساعة ريد افضر وقت واقربه **قوله تعالى** يا بنى ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون انه تعالى لما بين احوال التكليف وبين ان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا متقين مصلحين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كانوا مكذبين بايات الله مستكبرين عنها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى هى الشرطية ضمت الها ما صار ان لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وجزاء هذا الشرط قوله فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم فالفا وما بعده من الشرط الذى هو قوله فمن اتقى والجزاء الذى هو قوله فلا خوف هو جزاء الشرط الاول وانما قال رسل منكم وان كان المراد هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين لانه تعالى اجرى الكلام على ما يقتضيه سنته فى لاحق وانما قال منكم لان من الرسول من انقطع لعدم وابنى للمجهول عليهم لقصور علمكم ايات قيل هى القرآن وقيل الدلايل وقيل للاحكام والشرايع والاولى ان تحمل على جميع ذلك جميع هذه الاشيا ايات والرسل اذا جاءوا والايمان اذا وجدوا جميع هذه الاقسام ممن اتقى كما نهى عنه واصلح اى واتى بكل ما امر الله تعالى به فلا خوف عليهم بسبب الاحوال المستقبلة ولا هم يحزنون بسبب الاحوال الماضية اى على ما فاته فى الدنيا والذين كذبوا الايات التى وصل لرسل عليهم واستكبروا الهوا من قبولها وتمردوا من اثارها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذه الاية دالة على ان الفاسق لا يبقى مخلدا فى النار **قوله تعالى** فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اى فمن اشنع ظلما واعظم ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب باياته فان الاول هو الحكم لوجود

ما لم يوجد والثاني هو الحكم بانكار ما وجد ويدخل في الاول اثبات الشريك صنما او كوكبا او اهرما واثبات البنين
والبنات لله وفي الثاني قول من انكر كون القران كتابا نازلا من عند الله ومن انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل المراد بالنصيب الرزق والعمر اي ما كتب لهم من الارزاق والاعمار
والاعمال فاذا فنيت جاءت رسلنا تتوفاهم وقيل ما سبق في حكم الله وفي مشيته من السعادة فان قضى الله لهم
بالختم على الشقاوة ابقاهم على الكفر وان قضى لهم بالختم على السعادة نقله الى الايمان والتوحيد وقيل هم اليهود
والنصارى يجب علينا اذا كانوا اهل ذمة لنا ان لا نتعدى عليهم وننصفهم وان نذب عنهم لذلك هو معنى
النصيب من الكتاب وقيل المراد منه العذاب والمعنى ينالهم ذلك العذاب المعين الذي جعله الله نصيبهم
من الكتاب فقيل العذاب هو سواد الوجه وزرقة العين حتى اذا جاءتهم غاية لينالهم نصيبهم واستيفاؤهم
له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم اذا رسلنا قالوا
اي رسلنا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط
المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين يدعون قالوا اي المشركون ضلوا عنا
غابوا عنا فلا يراهم ولا ينتفع بهم وشهدوا على انفسهم اعترفوا بانهم كانوا كافرين وبانهم لم يكونوا على شيء فيما
كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة **قوله تعالى** قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم
ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون هذه الاية من بقية شرح احوال الكفار
في الاخرة قال الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في
النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم وقيل مالك اي خازن النار يقول لهم ادخلوا كلما
دخلت امة لعنت اختها في الدين والملة ولم يقل اخاها لانه عني به الامة والجماعة فيلعن المشركون
المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس ويلعن الاتباع القادة يقولون
لعنكم الله انتم غررتمونا حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخريهم منزلة وهي
الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والروس والمعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع
الله لا معهم وقيل اخراهم اخر الامم لاول الامم وقيل اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين
شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء الذين اضلونا عن الهدى اي القادة اضلونا فاتهم فاعطهم عذابا
ضعفا مضاعفا من النار قال الله تعالى لكل يعني القادة والاتباع ضعفا لان كل من القادة والاتباع
ضالين مضلين ولكن لا تعلمون حتى يحل بكم قرا عاصم وحده في رواية ابي بكر يعلمون بالياء والباقون

وحفص

وحفص عن عاصم بالتاء مخاطبة لهذه الامة للاخرة متصلة لقوله لهم لكل ضعف ويحتمل ان يكون مخاطبة
لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول
الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف
فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله تعالى لهم جميعا **قوله تعالى**
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
المقصود منه اتمام الكلام في وعيد الكفار لانه تعالى قال في الاية المتقدمة فاولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ثم بين في هذه الكيفية ذلك الخلود في حق اولئك الملذين المستكبرين قرا ابو عمرو يفتح
بالتاء خفيفة وحمزة والكسائي بالياء خفيفة والباقون بالتاء مشددة لا تفتح لهم ابواب السماء
لاعمالهم ولا لدعائهم اي لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه كلا ان
كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق
اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا يفتح لارواحهم ولا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين
لانها خبيثة فلا تصعد بها بل تهوي بها الى سجين وقيل لا ينزل عليهم البركة والخير لفتحنا عليهم
ابواب السماء بما منهم وهذه الاية تدل على ان الارواح السعيدة ينزل عليها من السماء الخيرات
والبركة وتصعد اعمالها اليها ويظهر من هذا ان السماء محل بهجة الارواح وسعاداتها ومنها
ينزل الخيرات والبركات واليها تصعد الارواح حال فوزها بكمال السعادة فكان قوله لا يفتح لهم
ابواب السماء من اعظم انواع الوعيد واشد اصناف التهديد ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل الولوج
الدخول والسم بفتح السين وضمها ثقب الابرة ويروى بالحركات الثلث والخياط ما يخاط به يقال
خياط ومخيط وانما خص الجمل لانه مثل في عظم الجرم عند العرب قال جسم الجمال واحلام العصافير وهم
الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرم الابرة وقالوا للدليل الماهر جرت لاهتدائه في المضايق
المشتهية باخرام الابر فكان ولوج الجمل في سم الابرة محال عادة فلما وقف الله دخولهم في الجنة على حصول
هذا الشرط محالا عادة فيكون دخولهم الجنة محالا عادة فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج في باب واسع في سم الخياط وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل
فقال زوج الناقة لينتجها لا للسائل واشاره الى ان طلب معنى اخر تكلف وكذلك نجزي المجرمين اي
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف في
المجرمين للعهد لا للاستغراق والمعهودون هم الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها فلا ينبغي ان يلتفت
الى قول صاحب الكشاف نجزي المجرمين ليؤذن الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من

اجرم عوقب لهم من جهنم مهاد بيان لشدة عذابهم في جهنم مهاد جمع مهد فراش غواش اغطية جمع
غاشية ما يغشاك بحلك وكذلك نجزي الظالمين اي الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف
للعهد والمعهودون هم الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها **قوله تعالى**
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون لما
استوفى الكلام في الوعيد الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اتبعه بوعيد الذين امنوا وعملوا الصالحات
في مقابلة واستكبروا لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا وخبره الترغيب في اكتساب
ما لا يكتنهه وصف الواصفين من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير
الضيق من الايمان والعمل الصالح ونزعنا اي قلعنا ونزع الشيء قلعه عن مكانه من غل حقد وقيل الغل الذي
يغل بلطفه الى صميم القلب اي يدخل في الغلول ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب الدقيقة
ويقال غل في الشيء وتغلغل فيه اذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في صميم الفؤاد اي ازلنا الاحقاد التي
كانت لبعضهم في دار الدنيا وصفنا الطباع واسقطنا الوساوس وضعنا ان ترد على القلوب فان
الشيطان كما كان في اشد العذاب لم يتفرغ الا لقاء الوساوس في القلوب فسلمت صدورهم وطهرت
قلوبهم ولم يكن منهم الا القواد والنظاعن وعن علي رضي الله عنه اني لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم قيل المراد ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فالله تعالى نزع
ما في صدورهم من غل حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة العالية وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا اي اعطانا القدرة وضم اليها الداعية الجازمة وصير مجموع القدرة
والداعي سببا معدا لخلق الايمان والعمل الصالح فينا فالهداية بتقدير الله وتكوينه وقالت المعتزلة
التحميد انما وقع على انه تعالى اعطى العقل ووضع الدلايل وازال الموانع قال صاحب الكشاف اي
وفقنا بموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي وهذا
يدل على ان المهتدي من هداه الله وان من لم يهده الله لم يهتد واقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
جملة موضحة للاولى والباقون بالواو لقد جاءت رسل ربنا بالحق هذا من قول اهل الجنة يقولون ذلك
سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذوا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا كما يتكلم
نحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا ذلك النداء من الله او من الملائكة ان مخففة من
الثقيلة وتقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اي اورثتموها والضمير للشان وقيل ان في معنى تفسير النداء
ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلك الجنة اورثتموها اي صارت اليكم كما

تصير

تصير الميراث الى اهله وقيل انهم اعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار سببها بالميراث وقيل ان اهل
الجنة يورثون منازل اهل النار عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس من كافر ولا مومن الا وله في الجنة والنار
منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الحجب لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها
فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله بما كنتم تعملون قال صاحب الكشاف بسبب اعمالكم لا بالفضل
كما تقول المبطلة اجيب بان قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة بعمله وانما يدخلونها برحمة يدل صريحا
على ان دخول الجنة بفضله لا بعمله وقوله تعالى اورثتموها يفيد ان دخول الجنة بفضل الله لا بالعمل لان
الميراث لا يحصل بالكسب والعمل لا بالفضل لكن لما جعل الله العمل علامة تحليه ومعرفة له ولم يفارقه
عبر عنه بلفظ يفيد السببية على سبيل المجاز **قوله تعالى** ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن موذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون لما ذكر
وعيد اهل النار ووعد اهل الجنة اتبعه بذكر المناظرات التي تدور بين الفريقين وهذا اخبار من الله
عما يكون منهم وعبر عن معان مستقبلة بصيغة ماضية تنبيها على انه تحقق الوقوع وهذا النداء من اهل الجنة
لاهل النار تقريع وتوبيخ عن ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم من العقاب حقا والمقصود من هذا السوال اظهار انهم وصلوا الى السعادات الكاملة وايقاع زيادة
الكرب في قلوب اهل ولذلك قول المقرون بينهم لعنة الله ان في ان قد وجدنا يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة
وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان في قوله تعالى فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
وعد ربكم حذف مفعول وعد الثاني دون الاول تخفيفا لدلالة الاول عليه قال صاحب الكشاف ولقايل
ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير احوال القيمة لانهم
كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك قوله نعم
قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة عدة اذا قيل مثلا اتعطيني قيل نعم كان عدة ولا تصديق
فيه واذا قيل قد كان كذا قيل نعم كان تصديقا ولا عدة فيه قرا الكسائي بكسر العين كل القران والباقون بفتح
العين والتاذين النداء والتصويت بالاعلام والاذان للصلوة واعلام توقيتها والموذن ملك بامر الله
فينادي بينهم نداء يسمعه اهل الجنة واهل النار بينهم ظرف لقوله اذن والمعنى ان الموذن اوقع ذلك
الاذان بينهم في وسطهم ويحتمل ان يكون صفة لموذن اي موذن من بينهم اذن قرا نافع وابو عمرو وعاصم
ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة بالنصب واعلم ان لعنة الموذن على من كان
موصوفا بصفات اربع الاول كونهم ظالمين اي المشركون لان المناظرة من اهل الجنة والكفار الثاني الذين يصدون
عن سبيل الله اي يمنعون الناس من قبول دين الحق تارة بالرحمة والقهر واخرى بساير الحيل الثالث قوله

وتبغونها عوجا بالتاء الشكوك والشبهات في دلايل الدين الحق الرابع قوله وهم بالاخرة كافرون كما بين
ان تلك اللعنة انما اوقعها ذلك المؤذن على الظالمين الموصوفين بهذه الصفات الثلثة كان ذلك
تصريحا بان تلك اللعنة ما وقعت الا على الكافرين وذلك يدل على فساد قول المعتزلة من ان ذلك اللعن
يعم الفاسق والكافر **قوله تعالى** وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين بينهما اي بين الجنة والنار او بين اصحاب الجنة واصحاب
النار والحجاب هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف الاعراف جمع عرف وهو كل
عال مرتفع ومنه عرف الفرس والديك لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض فيه قيل الاعراف اعالي
السور المذكور عن بن عباس الاعراف شرف الصراط وقيل الاعراف معرفة اهل الجنة والنار رجال من المسلمين
من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله
لهم في دخول الجنة عن بن عباس اصحاب الاعراف رجال استوت حسناتهم وسياتهم فقصرت بهم سياتهم
عن الجنة وتجاوزت حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك حتى يقضي الله سبحانه فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة
بفضل رحمته وهم اخر من يدخل الجنة فقد عرفوا اهل الجنة واهل النار فاذا اراد الله ان يعاقبهم انطلق بهم
الى نهر الحيوة فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدوا في نحورهم شامة بيضا يعرفون بها فاتي بهم فيقول الله لهم
تمنوا ما شيتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذكرى بمثلهم ومثله سبعين ضعفا فيدخلون
الجنة في نحورهم شامة بيضا يعرفون بها يسمون مساكن اهل الجنة وقيل انهم الاشراف من اهل الطاعة
والثواب وقيل هم الانبيا اجلسهم الله على اعالي ذلك السور بمنزلة لهم عن ساير اهل القيمة واظهارا لشرفهم
وعلو مرتبتهم واجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار مطلعين على احوالهم
ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل هم الشهدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن اصحاب الاعراف
فقال هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لابايهم فقتلوا فاعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا
عن الجنة بمعصية ابايهم فهم اخر من يدخل الجنة وقيل هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن ابايهم وقيل هم ملايكة
وقيل هم اولاد الزنا وقيل هم اقوام رضي عنهم اباوهم دون امهاتهم او بالعكس وقيل هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا
دينهم يعرفون اي اصحاب الاعراف يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار السعدا واللاشقينا بسيماهم بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او يعرفهم الملايكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم لم يدخلوها
وهم يطمعون اخبر الله تعالى ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة ومع ذلك فهم يطمعون في دخولها لانه تعالى
اجلسهم في الاعراف وهم يطمعون من فضل الله واحسانه بان ينقلهم من الاعراف الى الجنة واذا صرفت ابصارهم
تلقاء جهة اصحاب النار وهي جهة المقابلة وهي ظرف يقال تلقاءك كما يقال حذاءك وهو في الاصل مصدرا

استعمل

استعمل ظرفا ومعنى الاية واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وراوا هم فيه من العذاب
تضرعوا واستعاذوا وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين **قوله تعالى**
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون
اهاولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون لما بين
بقوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اتبعه ايضا بان اصحاب الاعراف ينادون رجالا
من روس الكفر يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم في الدنيا من الاموال والاولاد ما كنتم تستكبرون
عن الايمان وعن قبول الحق والانقياد له قال الكلبي انهم ينادون وهم على السرر يا وليد بن المغيرة ويا ابا جهل
بن هشام ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الضعفا والفقرا والمساكين فمن كان روس الكفرة
يستهزون بهم مثل سلمان الفارسي وصهيب وخباب ونظرايهم فيقول اصحاب الاعراف لروس الكفرة
اهاولا اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان روس الكفرة يستهزون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقيل حظوظهم من
الدنيا اي اهاولا الذين اقسمتم وانتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة اي لا يدخلهم الجنة فان روس الكفرة كانوا
يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة قيل الله تعالى او بعض الملايكة الذين يامرهم الله تعالى بهذا
القول يقول لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الفريقين ويعرفوهم
بسيماهم ويقولوا ما يقولون فقوله اهاولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من كلام اصحاب الاعراف وقوله
ادخلوا الجنة من كلام الله او كلام بعض الملايكة ههنا من اضمار والتقدير فقال الله او بعض الملايكة
وقيل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة بل يدخلون النار معهم فقالت الملايكة الذين حبسوا
اصحاب الاعراف على الصراط اهاولا اي اصحاب الاعراف الذين اقسمتم باهل النار انهم لا ينالهم الله برحمة
ثم قالت الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **قوله تعالى**
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا باياتنا يجحدون لما بين ما يقوله اصحاب الاعراف لاهل النار اتبعه ما يقوله اهل النار لاهل
الجنة قال بن عباس لما صار اهل الاعراف الى الجنة نادى اهل النار بعد الياس فقالوا يا رب ان لنا قرابات
من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فامر الله الجنة فتخرزت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة
وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم
وصاروا خلقا اخر نادى اصحاب النار اصحاب الجنة وعرفوهم بسيماهم وقالوا افيضوا علينا من الماء فيه
دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا
علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من الاجابة

اليه حيرة فما مرهم كما يفعل المضطر الممتحن قال اصحاب الجنة ان الله حرمهما منع شراب الجنة وطعامها
الكفار كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان يطعما الكرى الذين اتخذوا اللهو
واللعب دينا لانفسهم قال ابن عباس يريد المستهزئين وغرتهم الحياة الدنيا لان الانسان يطمع
في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشيا يصير محجوبا عن طلب
الدين عرفا في طلب الدنيا لما وصف الله هاولا الكفار بهذه الصفات قال فاليوم ننسيهم نفعل
بهم فعل الناسين الذين ينسون عندهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا
بلقايه فعل الناسين فلم يخطر لابالهم ولم يهتموا به ثم بين ان كل هذه التشديدات انما كان لانهم
كانوا بايتنا يجحدون وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا **قوله تعالى** ولقد
جيناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون لما شرح احوال اهل الجنة واهل النار
واهل الاعراف ثم شرح الكلمات الدايرة بين هاولا الفرق الثلثة على وجه يصير سماع تلك المناظرات
حايلا للمكلف على الحذر والاحتراز وداعيا له الى النظر والاستدلال شرع في بيان شرف هذا الكتاب
الكريم وبيان منفعته بكتاب اي القران فصلناه ميزناه تمييزا يهدي الى الرشد ويومن الغلط والخبط
عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وساير معانيه علما تاما هدى ورحمة حال من منصوب
فصلناه كما ان على علم حال مرفوعة لقوم يومنون يدل على ان القران هدى للمومنين اي المومنون الذين
اهتدوا به دون غيرهم **قوله تعالى** هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول
الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا
الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب وجحد فقال هل ينظرون اي ينتظرون
فان قيل كيف يتوقعون وينتظرون مع جحدهم وتكذيبهم اجيب بان منهم من هو في شك فينظروا
بانهم وان كانوا مكذبين جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة
الا تاويله الا عاقبة امره وما يوول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم
نصب بقوله يقول الذين نسوه معناه انهم صاروا في الاخرة عنه بمنزلة من نسي ويحتمل ان يكون معنى
نسوه تركوا العمل له والايمان به ثم بين ان هاولا الذين نسوا يوم القيمة يقولون قد جات رسل ربنا
بالحق اي بين وصح انهم جاوا بالحق وان ما جات الرسل به من ثبوت الحشر والنشر والبعث والقيمة
والثواب والعقاب كلها كان حقا وبين الله انهم لما راوا انفسهم في العذاب قالوا هل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل
هل لنا من شفعا او هل نرد والمعنى انه لا طريق لنا الى الخلاص مما نحن فيه الا احد هذين الامرين

وهو

وهو ان يشفع لنا شفيع نزول العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل ورافع نرد وقوعه
موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتدا هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر مثل
يشفع لنا شافع او نرد قد خسروا انفسهم ان ما طلبوه لم يجدوه وضل عنهم ما كانوا يفترون اي
اضمحل افتراوهم على الله وكذبهم في جعل الاصنام الهة ولم ينتفعوا بالاصنام التي عبدوها في الدنيا
ولم ينتفعوا بنصر الاديان الباطلة التي الفوا في نصرتها وهذه الاية تدل على انه لا تكليف في الاخرة لانه
لو كان في الاخرة تكليف لما طلبوا الرد الى الدنيا ليعملوا عملا غير الذي كانوا يعملون **قوله تعالى**
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه
حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين قال
الامام قد بين ان مدار امر القران على تقرير مسايل الاربع التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة والعلم
فلما بالغ الله في تقرير امر المعاد عاد الى ذكر الادلة على التوحيد وكمال القدرة والعلم لتصير تلك الادلة
مقررة لاصول التوحيد ومقررة ايضا لاثبات المعاد ولسايل ان يسال فيقول كون هذه الاشيا
مخلوقة في ستة لا يمكن جعله دليلا على اثبات الصانع وبيانه من وجوه الاول ان وجه دلالة
هذه المحدثات على وجود الصانع حدوثها او امكانها او مجموعهما فاما وقوع هذه المحدثات في ستة ايام
فلا اثر له في ذلك الثاني العقل يدل على ان الحدوث على جميع الاحوال جايز واذا كان كذلك لا يمكن الجزم
بان هذا الحدوث وقع في ستة ايام الا باخبار مخبر صادق وذلك موقوف على العلم بوجود الاله الفاعل
المختار فلو جعلنا هذه المقدمة تقدمة في اثبات الصانع لزم الدور الثالث حدوث السموات والارض
دفعة واحدة ادل على كمال القدرة والعلم من حدوثهما الى ستة ايام واذكروا بيت ما ذكرنا من الوجوه
الثلثة فنقول ما الفايدة في ذكر انه تعالى انما خلقهما في ستة ايام في اثنا ذكر ما يدل على وجود الصانع
الرابع انه ما السبب على الاقتصار على ذكر السموات والارض ولم يذكر خلق ساير الاشيا الخامس اليوم
لا يمتاز عن الليلة الا بطلوع الشمس وغروبها فقبل خلق الشمس والقمر كيف يعقل حصول الايام السادس
انه تعالى قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذا كالمناقض لقوله تعالى خلق السموات والارض في
ستة ايام السابع هب انه تعالى خلق السموات والارض في مدد متراخية فما الحكمة في تقييدها وضبطها
بالايام الستة فنقول اما على مذهبنا فالامر في الكل سهل واضح لانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسال عما يفعل
ولا اعتراض عليه في امر من الامور وكل شي صنعه ولا علة لصنعه ثم نقول اما السوال الاول فجوابه انه
سبحانه وتعالى ذكر اول التورية انه خلق السموات والارض في ستة ايام والعرب كانوا يخالطون
اليهود والظاهر انهم سمعوا ذلك منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام
فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلا الناس انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمها في ستة

ايام واما السوال الثاني فلانه ذكر ستة ايام انما هو لما ذكر في الجواب عن الاول لا ليستدل به على وجود
الفاعل المختار واما السوال الثالث فجوابه ان المقصود منه انه سبحانه وان كان قادرا على ايجاد جميع
الاشيا دفعة واحدة لكنه جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا مقدرا فلا يدخله في الوجود الا على ذلك الوجه
واما السوال الرابع فجوابه ان ذكر السموات والارض في هذه الاية يشتمل على ذكر ما فيها والدليل عليه انه
تعالى ذكر ساير المخلوقات في ساير الايات فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش ونفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام واما السوال الخامس فجوابه ان المراد انه تعالى خلق السموات والارض
في مقدار ستة ايام هي كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي مقدار البكرة والعشا في الدنيا لانه لا ليل
ثم ولا نهار واما السوال السادس فجوابه ان قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر محمول على ايجاد كل واحد
منها لان ايجاد الذات الواحدة واعدام الموجود الواحد لا يقبل التفاوت فلا يمكن تحصيله الا دفعة
واحدة واما الافعال والمدد فلا يحصل الا في المدة واما السوال السابع وهو تقدير هذه المدة بستة
ايام فهو غير وارد لانه لو احدثه في مقدار اخر من الزمان لعاد ذلك السوال قوله ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض والمعنى ان الذي يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكروهات وهو
الذي يبلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته الى حيث خلق هذه الاشيا العظيمة واودع فيها اصناف المنافع وانواع
الخيرات ومن كان له مربي موصوف بهذه الحكمة والقدرة والرحمة فكيف يليق به ان يرجع الى غيره في طلب
الخيرات او يعول على غيره في تحصيل السعادات في الاية ثم في الاية دقيقة اخرى وهو انه تعالى كما اضاف نفسه
الينا سمى نفسه في تلك الحالة بالرب وهو مشعر بالرتبة وكثرة الفضل والاحسان وكانه يقول من كان له مربي
مع كثرة هذه الرحمة والفضل فكيف يليق به ان يشتغل بعبادة غيره ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون
المراد منه مستقرا على العرش لانه لو كان مستقلا على العرش لكان حاصلا في الجهة والحيز واللازم باطل
فالملزوم مثله اما الملازمة فبينة واما بطلان اللازم فلان كل ما كان حاصلا في الجهة والحيز كان مشارا
اليه اشارة حسية وكل ما كان مشارا اليه بالاشارة الحسية فاما ان يقبل القسر او لا يقبلها
والقسمان باطلان اما الاول فلانه لو كان قابلا للقسمة لكان مركبا وكل مركب مفتقر الى اجزايه التي
هي غيره وكل مفتقر الى الغير ممكن لذاته وكل ممكن لذاته مفتقر الى موجد ومؤثر ويمتنع ان يكون الاله الواجب
لذاته مفتقرا الى موجد واما الثاني فلانه لو كان غير منقسم لكان اما نقطة واما جوهرا فردا وكلاهما باطل
بالاجماع واعلم ان الادلة العقلية والسمعية على انه لا يمكن ان يكون الاله تعالى مستقرا على العرش اكثر من
ان يحصى فمن اراد الاستقصا فليرجع الى الكتب الكلامية واذا ثبت بالادلة العقلية والسمعية انه
لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا للعلما الراسخين

مذهبان

مذهبان الاول اما بقطع بكونه تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهو
مذهب السلف والثاني ان يخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال
وهو ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل
عرشه اي انتقض ملكه وفسد واذا استفهام له ملك واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى
على سرير ملكه هذا ما قاله للامام اقول ان الذي قاله حق وصدق وصواب ونظير قوله للرجل الطويل فلان
طويل النجاد وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد وللرجل السبح فلان اسعد راسه شيبا وليس
المراد في شي من هذه الالفاظ اجراها على ظواهرها انما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا ههنا
يذكر الاستوا على العرش والمراد بقال القدرة وجريان المشية ثم قال القفال الله تعالى دل على ذاته وعلى صفاته
وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسايهم ليستقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله
الا ان كل مشروط ينفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه لا يخفى عليه شي ثم علموا بعقولهم انه لا يحصل
ذلك العلم بفكره ورويته ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه انه متمكن من ايجاد الكاينات وتكوين
الممكنات ثم علموا بعقولهم انه غني في ذلك التكوين والايجاد عن الالات والادوات وسبق المادة والمدة والفكر
والروية ولذا القول في كل صفاته واذا اخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب لهم موضعا
يقصدونه لمسالة ربهم حوايجهم كما يقصد بيوت الملوك والرؤسا لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه
لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم يندفع به في دفع الحر والبرد بعينه عن نفسه فاذا امرهم بتحميده وتمجيده
فهموا منه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم ولا يغتم بتركه والاعراض
عنه اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى اخبر انه خلق السموات والارض كما اراد وشاء من غير مدافع ولا منازع
ثم اخبر بعده انه استوى على العرش اي بعد ان خلقها استوى على العرش الملك والجلال ثم قال القفال والدليل
على ان هذا هو المراد من قوله ثم في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر هذا يدل على ان قوله ثم استوى
على العرش اشارة الى ما ذكرناه فان قيل فاذا حملتم قوله ثم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك وجب
ان يقال الله لم يكن مستويا قبل خلق السموات والارض قلنا انه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تخليقها
وتكوينها اما ما كان مكونا ولا موجدا لها باعيانها لان احيا زيد واماته عمرو واطعام هذا زادا وذلك لا يحصل
الا عند حصول هذه الاحوال فاذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الاحوال صح ان يقال انه تعالى استوى على
ملكه بعد خلق السموات والارض فهذا جواب حق في هذا الموضع والثاني ان يفسر العرش بالملك وتفسير استوى
بمعنى على واستعلى فيكون المعنى انه تعالى استعلى على الملك بمعنى ان قدرته نفذت في ترتيب الملك والملكوت

وابن عامر صح

قوله تعالى يغشي الليل النهار قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص
يغشي بتخفيف الغين من الاغشا وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالتشديد من التغشية
والاغشاء والتغشية الباس الشي بالشي والمعنى يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعًا
وقال القفال انه سبحانه كما اخبر عباده باستوايه على العرش عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيته
اراهم ذلك فيما يشاهدون منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبه عن كل الجهات فقال يغشي الليل النهار
لانه تعالى اخبر في الكتاب الكريم ما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوايد الجليلة بان تعاقبهما
يتم من الحياة ويكمل المنفعة والمصلحة بطلبه حثيثا الحث الاعجال يقال حثثت ومحثوث اي مجد سريع
وصف الله تعالى هذه الحركة بالسرعة والشدة وذلك هو الحق لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة
الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرا ابن عامر
بالرفع على معنى الابتدا والباقون بالنصب على معنى وجعل الشمس والقمر قال الامام في هذه الاية لطايف فما
لاولى ان الشمس نوعين من الحركة احدهما بحسب ذاتها وهي انما تتم في سنة كاملة وسبب هذه الحركة
تحصل السنة وثانيهما بحسب حركة الفلك الاعظم وهذه الحركة تتم في اليوم بليلته والنهار لا يحصل بسبب
حركة الشمس وانما يحصل بسبب حركة السماء الاقصى التي يقال لها العرش فلهذا السبب لما ذكر العرش بقوله
ثم استوى على العرش ربط به قوله يغشي الليل النهار تنبيهًا على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة الفلك
الاقصى لا حركة الشمس والقمر وهذه دقيقة عجيبة والثانية انه تعالى لما شرح كيف تخليق السموات قال
يقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها فدلت تلك الاية على انه سبحانه خص كل فلك
بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم قال في هذه الاية والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فدلت
~~هذه الاية على انه سبحانه وتعالى خص كل واحد من الشمس والقمر والنجوم بلطيفة نورانية ربانية من عالم~~
~~الامر~~ ثم قال له بعد الا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله اما من عالم الخلق او من عالم الامر
اما الذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير فكل ما كان جسمًا او جسمانيا كان مخصوصًا بمقدار معين
فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريًا من الجسمية والمقدار كان من عالم الامر فدل على انه سبحانه خص كل واحد
من اجرام الافلاك والكواكب التي هي من عالم الخلق بملك من الملايكة وهم من عالم الامر والاحاديث الصحيحة
مطابقة لهذا وهي ما روي في الاخبار ان لله ملايكة يجرون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذا القول
في ساير الكواكب وايضا قوله سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملايكة الذين
يقومون بحفظ العرش ثمانية اذا دققت النظر علمت ان عالم الخلق في تسخير الله وعالم الامر في تدبير الله
واستيلا الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا قال الا له الخلق والامر ثم قال بعده تبارك الله
رب العالمين والبركة لها تفسيران احدهما البقا والثبات والثاني كثرة الاثار الفاضلة والنتايج الشريفة

وكلا

وكلا التفسيرين لا يليق الا بالحق سبحانه فان حملته على الثبات والدوام فالثابت
والدايم هو الله تعالى لانه الموجود الواجب لذاته الدايم القايم بذاته الغني في ذاته
وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه فهو سبحانه يقطع الحاجات ومنتهى الافتقارات
وهي غني عن كل ما سواه فهو سبحانه يقطع الحاجات في جميع الامور وايضا ان فسرنا البركة بكثرة
الاثار الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله تعالى لان الموجود اما واجب لذاته واما ممكن
لذاته والواجب لذاته ليس الا هو وكل ما سواه ممكن وكل ممكن لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته
فكل الخيرات منه وكل الكمالات فايضة من جوده واحسانه فلا خير الا منه ولا احسان الا من
فيضه ولا رحمة الا وهي حاصلة منه فلما كان الخلق والامر ليس الا منه لا جرم كان الثنا المذكور
بقوله فتبارك الله رب العالمين لا يليق الا بكبريايه وكمال فضله ونهاية جوده **قوله تعالى**
ادعوا ربكم تضرعًا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفًا وطمعًا ان رحمة الله قريب من المحسنين انه تعالى لما ذكر الادلة الدالة على كمال
القدرة والحكمة والرحمة وعند هذا تم التكليف المتوجه الى تحصيل المعارف وهو الاشتغال
بالدعا والتضرع فان الدعا مخ العبادة فقال ادعوا ربكم قيل اعبدوا لان الدعا طلب الخير من الله وهذه
صفة العبادة لانها تفعل تقربًا وطلبًا للمجازاة ولانه تعالى عطف عليه وادعوه خوفًا وطمعًا والمعطوف
يجب ان يكون مغايرًا للمعطوف عليه وقيل هو الدعا والدعا مغاير للعبادة في المعاني اختلف الناس
في الدعا فمنهم من انكره واحتج عليه بوجوه منها انه تعالى ان كان قد اراد في الازل احداث ذلك الشي
فهو حاصل سوا حصل هذا الدعا او لم يحصل وان كان قد اراد في الازل ان لا يعطيه فهو ممتنع الوقوع
فلا فايدة في الطلب وان لم يرد في الازل لا وجوده ولا عدمه ثم انه تعالى عند ذلك صار مريدًا له لزم
وقوع التغير في ذات الله وصفاته وهو محال ومنها ان الله تعالى عالم بحاجة العبد والعبد اذا علم
ان مولاه عالم بحاجاته فسكت ولم يذكر تلك الحاجة واذا كان الحال على هذا الوجه في الشاهد وجب
اعتبار مثله في حق الله تعالى ولذلك نقل ان الخليل لما وضع في المنجنيق ليرمى الى النار قال جبريل عليه السلام
ادع ربك فقال الخليل حسبي من سوالي علمه بحالي واعلم ان الدعا نوع من انواع العبادات فانه يقال
ان كان هذا الانسان سعيدًا في علم الله فلا حاجة الى الطاعات والعبادات وان كان شقيا في علمه
فلا فايدة في تلك العبادات وايضا وجب ان لا يقدم الانسان على اكل الخبز وشرب الماء لانه ان كان
هذا الانسان شبعانا في علم الله فلا حاجة الى اكل الخبز وان كان جايعًا فلا فايدة في اكل الخبز وكما
ان هذا الكلام باطل ههنا فكذلك فيما ذكر مرة بل نقول الدعا يفيد معرفة ذل العبودية ويفيد معرفة
عن الربوبية وهذا هو المقصود الاشرف الاعلى من جميع العبادات وبيانه ان الداعي لا يقدم

كان ذلك ادخل في الادب وفي تعظيم المولى
مما اذا اخذ شرح كيفية تلك الحالة و
يطلب ما يدفع تلك الحاجة صح

على الدعا الا اذا عرف من نفسه كونه محتاجا الى ذلك المطلوب وكونه عاجزا عن تحصيله وعرف من
ربه والهه انه يسمع دعاه ويعلم حاجته وهو قادر على رفع تلك الحاجة وهو رحيم يقضي رحمته ازاله
تلك الحاجة واذا كان ذلك فهو لا يقدر على الدعا الا اذا عرف كونه موصوفا بالحاجة وبالعجز وعرف كونه الاله
سبحانه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة ولا مقصود من جميع التكاليف الا معرفة دلائل العبودية
وعن الربوبية فاذا كان الدعا مستجمعا لهذين المقامين لا جرم كان الدعا اعظم انواع العبادات وقوله
سبحانه ادعوا ربكم تضرعا وخفية اشارة الى المعنى الذي ذكرناه لان التضرع لا يحصل الا من الناقص في
حضرة الكامل فما لم يعتقد العبد نقصان نفسه وكمال مولاه في العلم والقدرة والرحمة لم يقدم على التضرع
فثبت ان المقصود من الدعا ما ذكرناه ثبت ان القرآن دليل عليه والذي يقوي ما ذكرناه ما روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اكرم على الله من الدعا والدعا هو العبادة ثم قرأ ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اعلم ان المقصود من الدعا ان يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه
وعجزه ومشاهدا للالوهية مولاه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة كل هذه المعاني دخلت تحت قوله
ادعوا ربكم تضرعا ثم اذا حصلت هذه الاحوال على سبيل الخلوص فلا بد معها من صون عنها عن الرياء المبطل لحقيقة
الاخلاص عن شوائب الرياء واذا عرفت هذا المعنى ظهر لك ان قوله سبحانه تضرعا وخفية مشتملا
على كل ما يراد تحقيقه وتحصيله في شرائط الدعا وانه لا مزيد عليه بوجه من الوجوه نصب على الحال اي
ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا
والخفية ضد العلانية وعن الحسن ان الله يعلم القلب النقي والدعا الخفي اذا كان الرجل قد جمع القرآن
وما يشعر به جاره وان كان الرجل لتد فقهه الفقه الكثير ولا يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة
الطويلة وعنده الرجل وما يشعر له ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه
في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا
بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى
ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في كل شيء من الدعا وغيره وقيل انه لا يحب المعتدين في ترك التضرع والاخفاء فكان المعنى انه من
ترك التضرع والاخفاء فان الله لا يحبه لا يثيبه البتة ولا يحسن اليه ولا تفسدوا ادخل فيه المنع
من الشرك ومن افساد النفوس بالقتل وتقطيع الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة
ووجوه الحيل وافساد الدين بالكفر والبدعة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد
العقل بشرب المسكر لان المصالح المعتبرة في الدنيا النفوس والاديان والعقول والانساب
والاحوال فقوله ولا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الافساد في الوجود والمنع من ادخال الماهية

في الوجود

في الوجود يقتضي المنع من جميع انواعه واصنافه فيتناول المنع من الافساد في الاقسام الخمسة
بعد اصلاحها اي بعد اصلاح الله الارض بعث الرسل والامر بالحلال والنهي عن الحرام وكل ارض قبل ان
بعث اليها نبي فاسدة حتى بعث الرسل اليها فتصلح الارض بالطاعة وقيل لا تعصوا في الارض فيمسك الله
المطر ويهلك الارض بمعاصيكم وهذه الاية تدل على ان الاصل في المضار الحظر والمنع على الاطلاق
والا بقي على الحرام لدى دل عليه هذا النص وهذه الاية تدل على ان كل عقد وقع التراضي به من الخصمين
فانه العقد وصح وثبت لان رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح والنص دل على انه لا يجوز
هذه الاية من هذا الوجه متأكدة بعموم قوله تعالى واوفوا بالعقود وبعموم قوله لم تقولون ما لا تفعلون
فان وجدنا قصا دل على ان بعض العقود الذي وقع التراضي به من الخانبين غير صحيح قضينا به بالبطلان
بعد ما خص على العام والا حكمنا فيه بالصحة رعاية لمدلول هذه العمومات وادعوه اي اعبدوه خوفا
منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من معرفته وثوابه وقيل وادعوه خوفا من وقوع التقصير في بعض الشرائط
المعتبرة في قبول ذلك الدعا ومع الطمع في حصول تلك الشرائط بأسرها وقيل خوف المعاملة وطمع الرحمة وقيل
خوف العدل وطمع الفضل وقيل خوفا من النار وطمعا في الجنة وقال ذو النون المصري خوفا من
الفراق وطمعا في التلاقي ان رحمة الله قريب من المحسنين قيل الرحمة ايصال الخير والنعمة وقيل
ارادة ايصال الخير والنعمة وكان حقه ان يقال قريبة من المحسنين فقيل لرحمه هاهنا الثواب وقيل
المطر فيكون القريب نعتا للمعنى دون اللفظ لقوله واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه ولم يقل منها لانه اراد بالقسمة الميراث وقيل القريب والبعيد يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع واحتج بقول الشاعر لك كفى حزنا ان مقيم ببلدة اخلاي
عنها نازحون بعيد وقال سيبويه لما اضاف المؤنث الى المذكر اخرجه على مخرج التذكير وقيل اراد ان رحمة
الله محسنا قريب لقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وقيل الرحمة مصدر ومن حق المصادر
التذكير لقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وقال في معناه ان السماحة
والمروءة ضمنا قبر المرء على الطريق الواضح ولم يقل ضمنتا وقيل القريب في اللغة على ضربين قريب قرب
وقريب قرابة يقول العرب هذه المرأة قريبة منك اذا كانت بمعنى المسافة والمكان قال امرؤ القيس
له الويل ان امسى ولا ام هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكر اوقيل القريب والبعيد
يكونان للتأنيث والتذكير وكل من آمن بالله وبوحدانيته والنبوة فقد احسن فان الصبي
اذا بلغ وقت الضحى وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الظهر فاجمعت الامة على
انه دخل تحت قوله للذين احسنوا الحسنى ومعلوم ان هذا الشخص لم يأت بشيء من الطاعات
سوى المعرفة والاقرار لانه لما بلغ بعد الصبح ولما مات قبل الظهر لم يجب عليه صلاة الظهر فظاهر

ان ساير العبادات لم يجب عليه فثبت انه محسن وثبت انه لم يصدر منه الا المعرفة والاقرار فوجب
كون هذا القدر احسانا فيكون فاعله محسنا وصاحب الكبيرة من المحسنين **قوله تعالى**
وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به
الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون قيل انه تعالى
لما ذكر الادلة الدالة على الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي وهو السموات والشمس والقمر
والنجوم اتبعه بذكر الادلة من بعض احوال العالم السفلي واحوال العالم السفلي محصورة في الاثار العلوية
والمعادن والنبات والحيوان ومن الاثار العلوية ~~والمعادن والنبات والحيوان من الاثار العلوية~~
الرياح والسحاب والامطار ويترتب على نزول الامطار النبات وقيل انه تعالى لما اقام الدلالة في الاية
الاولى على وجود الاله القادر العالم اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر والبعث والقيمة
ليتحقق معرفة ما في الايتين كل ما يحتاج اليه في معرفة المبدا والمعاد قرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على لفظ
الواحد والباقون الرياح على لفظ الجمع فمن قرا الرياح حسن وصفها بقوله نشرا ليوافق الموصوف الصفة
في الجمعية ومن قرا الريح واحدة قرا نشرا جمعا لانه اراد بالريح الكثرة نشرا قرا اهل الحجاز والبصرة نشرا بضم
النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والنشور هي الريح التي تهب من كل ناحية وتجي من كل وجه
وابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين كما يقال كتب ورسل وعاصم بالياء المضمومة والسين المجزومة اي
تبشر بالمطر يدل عليه قوله تعالى يرسل الرياح مبشرات وحمزة نشرا بفتح النون واسكان الشين وهي الريح الطيبة
اللينة والنشر مصدر نشرت الشي ضد طويته ويراد بالمصدر ههنا المفعول والرياح كانها كانت مطوية
فارسلها الله بعد انطوايها فقوله نشرا انتصابه على الحال منشورات وقيل انتصابه على المصدر لان ارسل
ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا الريح الهواء المتحرك ويرسل الرياح اي يحركها فان حركة لا تكون لذات
الهوا والا لدامت بدوامه بل بالفاعل المختار وهو الله جل جلاله نشرا بين يدي رحمته اي منشرة متفرقة
فجزء من اجزا الريح يذهب يمنة وجزء اخر يذهب يسرة وكذا القول في ساير الاجزا فان كل واحد منها
يذهب الى جانب اخر فاختصاص بعض اجزا الريح بالذهاب يمنة والاخر بالذهاب يسرة لا لذاتها
لانها طبيعة واحدة ولا لقوة الافلاك ولا تحمر لان نسبتها الى اجزا الهوا واحدة بل بتخصيص الفاعل المختار
بين يدي رحمته اي بين يدي المطر قيل بين يدي رحمته امام نعمته وهي البعث الذي من اجل النعم واحسنها
اثرا وبين يدي رحمته مجاز عن التقدمة يقال ان الفتى يحادث بين يدي الساعة يراد قبلها حتى اذا اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرفع المطبق يرى ما يرفعه قليلا سحابا جمع سحابة ثقالا
بالماء اي اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الماء والمعنى ان السحاب الثقال انما يبقى معلقا في الهوا

لانه

لانه تعالى امر بحكمته ان يحركه الرياح تحريكا شديدا فلاجل الحركات الشديدة في تلك الرياح يحصل فوايد
منها ان تنضم اجزا السحاب بعضها الى بعض وتتراكم وتنعقد السحاب الكثيف الماطر ومنها انه بسبب
تلك الحركات الشديدة التي في تلك الرياح يمنة ويسرة لا تنزل الاجزا المائية فتبقى معلقا في الهوا ومنها انه
بسبب تلك الرياح ينساق من موضع الى موضع اخر وهو الموضع الذي علم الله تعالى احتياجهم الى نزول
الامطار وانتفاعهم بها ومنها ان حركات الرياح تارة تكون جامعة لاجزاء السحاب مبطلة لها ومنها ان
هذه الرياح تكون مقوية للزروع والاشجار مكملة لما فيها من النشو والنما وهي الرياح اللواقح وتارة تكون
مبطلة لها كما تكون في الخريف وتارة تكون طيبة لذيذة موافقة للابدان وتارة تكون مهلكة اما بسبب
شدة الحرارة كما في السموم واما بسبب البرد الشديد كما في الرياح الباردة المهلكة وتارة تكون شرقية وتارة
تكون غربية وتارة شمالية وتارة جنوبية وغيرها وتارة تصعد من ثغر الارض وتارة تنزل من فوق فاختلاف
الرياح في الصفات المذكورة انما هو بتقدير الفاعل المختار ولا لمقتضى طبيعة ولا بتاثير الافلاك والنجوم
واوضاعها سقياه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل اللفظ على الوصف
لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه والمعنى انا نسوق ذلك السحاب الى بلد ميت
لم ينزل فيه غيث ولم ينبت خضرة فانزلنا بالبلد او بالسحاب او بالسوق ولذلك ما اخرجنا به كذلك
مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل منهما
اعادة الشي بعد انشايه والبلد الطيب الارض العدلة الكريمة الطيبة باذن ربه بتيسيره وهو في موضع
الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والبلد الذي خبث اي سبخ لا ينبت ما ينتفع
به والبلد الذي لا خير فيه والذي خبث صفة للبلد اي والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا وهذا مثل
ضربه الله للمومن والكافر فمثل المومن كمثل البلد الطيب الزاكي الذي نزل عليه المطر فيحصل فيه انواع الازهار
والثمار ومثل الكافر كمثل البلد الخبيث فهو وان نزل عليه المطر لم يحصل فيه من النبات الا النزر القليل
فلذلك الروح الطاهرة والنقية عن شوايب الجهل وللاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القران ظهرت انواع
من الطاعات والمعارف والاخلاق الحميدة والروح الخبيثة الكافرة الكدرة وان اتصل به نور القران لم يظهر
فيه من المعارف والاخلاق الحميدة الا القليل كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نردوها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون يشكروا فيها ويعتبروا بها وانما ختم هذه الاية بقوله لقوم يشكرون
لان الذي سبق ذكره هو انه يرسل الرياح اللطيفة النافعة ويجعلها سببا لنزول المطر الذي هو الرحمة
ويجعل تلك الرياح والامطار وسببا لحدوث انواع النبات النافعة اللذيذة اللطيفة النافعة فهذا
من احد الوجهين دفر الدليل الدال على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته ومن حيث الوجه الاخر فيه
على ايصال هذه النعمة العظيمة الى العبادة فلا جرم كانت من حيث انها ادلة على وجود الصانع وصفاته

ايات ومن حيث انها نعم يجب شكرها فلا جرم قال نصرف الايات لقوم يشكرون وانما خص كونها ايات بالقوم
الشاكرين لانهم هم المنتفعون به فهذا كقوله هدى للمتقين **قوله تعالى** لقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملاء
من قومه انا لنريك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون لما ذكر في طريق المبدا والمعاد اذ له
ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين قاطعة وحججا ساطعة اتبعها بذكر قصص الانبيا تنبيها على ان الاعراض
عن قوله هذه الحجج والبينات ليس من خواص قوم محمد صلى الله عليه وسلم بل هذه العادة المفهومة كانت
حاصلة في الامم السالفة وكان ذكر بعضهم وحكاية اصرارهم على الجحود والعناد يفيد تسلية الرسول
وتخفيف ذلك على قلبه وتقوية لقلوب المحقين وكسرا لقلوب المبطلين لقد ارسلنا جواب قسم
محذوف والسبب في انهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وذكر هذه اللام بدون قد نادر لقوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا ان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسمة نوحا الى قومه قيل هو بن
خمسين سنة وكان نجارا وهو بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام ما لكم من اله
غيره قرا الكسائي غيره بكسر الراء على انه نعت للاله حملا على اللفظ والباقون بالرفع على المحل كانه قيل ما لكم
اله غيره وقوله ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة فانه اذا لم يكن اله غيره وجب ان لا تعبدوا
الا اياه قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون
من كانوا يعبدونه من دون الله قيل حكى الله عن نوح في هذه الاية ثلثة اشياء احدها انه صلى الله عليه
وسلم امرهم بعبادة الله والثاني انه لا اله غير الله والثالث اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فالمقصود
من الاول اثبات التكليف ومن الثاني الاقرار بالتوحيد ومن الثالث التخويف بالعذاب العظيم
واليوم العظيم اما يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملاء الاشراف والسادة
من قومه يقتضي ان يكون الملاء بعض قومه وذلك البعض لا بد وان يكونوا موصوفين بصفة لاجلها
استحقوا هذا الوصف وذلك بان يكونوا هم الذين يملون صدور المجالس ويمتلي القلوب من هيبتهم
ويمتلي الابصار من رؤسهم وتوجه العيون في المحافل اليهم وهذه الصفات لا تحصل الا للرؤسا وذلك
يدل على ان المراد من الملا الرؤسا الاكابر وقيل الملاء الرجال ليس معهم نساء انا لنريك الرؤية بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والرؤية في ضلال في خطاء وزوال عن الحق وذهاب عن طريق الصواب مبين
بين ظاهر قال نوح يا قوم ليس بي ضلالة دالة على وحدة غير معينة ونفي فرد غير معين نفي عام بخلاف
ضلال فانه مصدر يعم الواحد والتثنية والجمع نفيه لا يقتضي على سبيل القطع النفي العام فكان قوله

ليس بي

ليس بي ضلالة ابلغ في نفي الضلال عن نفسه من قولنا ليس بي ضلال بمنزلة انه صلى الله عليه وسلم
لما نفى عن نفسه الضلال وصف نفسه باشرف الصفات واجلها فقال ولكني رسول من رب العالمين ولكني
استدراك الانتفاء عن الضلالة فان كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط
المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة قرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف والباقون
بالتشديد ابلغكم رسالات ربي اعرفكم انواع تكاليف الله واقسام اوامره ونواهيه وابين لكم مقادير الحدود
والزواجر في الدنيا والثواب والعقاب في الاخرة قيل ابلغكم كلام مستانف بيان لكونه رسول رب العالمين
وقيل صفة لرسول ولما كان الرسول وقع خبرا عن ضمير المتكلم صح ان يكون ابلغكم صفة له فانه في معناه كما قال
انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعنى المختلفة في الاوامر
والنواهي والمواعظ والزواجر والعشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالته اليه والى الانبيا قبله من صحف
جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته
ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على اخلاص النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له
مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة افحص
من نصيحة الله ورسوله وانصح لكم اي ارغب لكم في الطاعة واحذركم من المعصية واسعى في تقرير
ذلك الترغيب والترهيب بابلغ الوجوه وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية عن
شوائب المكروه واعلم من الله ما لا تعلمون من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه
على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم الكافرين وقيل انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان في الدنيا
وعاقبكم عقابا شديدا خارجا عما يتصوره عقولكم في الاخرى **قوله تعالى** او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف كانه قال اكذبتم وعجبتم ما جاءكم من ان جاءكم ذكر نبوة ورسالة وقيل تبالي وقيل موعظة من ربكم
على لسان رجل منكم لقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا
بهذا في اباينا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم عذاب الله ان لم تؤمنوا
ويحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذب الملا من قومه نوحا فانجيناه من الطوفان والذين معه
قيل عشرة نبوة الثلاثة سام وحام ويافث وستة ممن امن به وقيل كانوا اربعين رجلا وامراة في الفلك
يتعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بقوله فانجيناه
اي انجينا نوحا والذين معه في السفينة من الطوفان واغرقنا الذين كذبوا باياتنا ثم بين العلة

ذلك فقال انهم كانوا قوما عميا قال ابن عباس عمت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عاميه والفرق بين العمى والعامى ان العمى يدل على عمى حادث ونحوه قوله ضايق به صدرك **قوله تعالى** والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون قال الملؤا الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون اخاهم واحدا منهم من سوك باخا العرب للواحد منهم واخا جعل واحدا منهم لانهم انهم على رجل منهم واعرف بحاله فى صدقه وامانته واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان لاخاى ولقد ارسلنا الى عاد وهو عود بن عاص ابن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى هودا وهو هود بن شالخ ابن ارفخشد بن سام بن نوح قال يا قوم لم يذكر العاطف لانه على تقدير سؤال سايل قال فماقال لهم هود فقيل قال يا قوم قال الملاء الذين كفروا وصف الملا بالذين كفروا لانه كان فى اشراف قوم هود من امن به منهم منهم مرتدين سعد الذى اسلم وكان يكتم اسلامه ولم يصف الملاء من قوم نوح بالذين كفروا لانه لم يومن به احد من اشراف قوم نوح عليه السلام وقيل لم يكفروا وصف وارد للذم لا غير انا لنريك فى سفاهة فى خفة حلم وسخافة عقل وجهالة وضلالة حيث تترك دين قومك وتاخذ دينا اخر وجعلت لا غير انا لنريك فى سفاهه فى خفة علم وسخافة عقل وجهالة وضلالة حيث تترك دين قومك وتاخذ دينا اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فى السفاهة غير منفك عنها وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبتهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحكم والاعضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمه بانه خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يعفون عنهم ويسلكون ادناهم على ما يكون منهم وانا لكم ناصح امين اى عرفت فيكم بالنصح والامانة فاحق ان اتهم وقيل انا لكم ناصح فما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه او امين على الرسالة واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اى خلقتهم بعدهم فى الارض او جعلكم ملوكا فى الارض فاستخلفكم فيها بعدهم اى اهلكهم واورثكم ديارهم واموالكم وزادكم فى الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم دهيا فى الطول والمد انه قيل كان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعا وقيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مايه ذراع فاذكروا الاء الله فى استخلافكم وبسط اجرامكم وزيادة قوتكم وشدتكم وما سواها من عطاياه وواحد الالاء الى ونحوه انى وانا وضلع واصلاع وعنب واعناب واذ فى قوله اذ جعلكم خلفاء منصوب المحل لانه مفعول به وليس بظرف اى اذكروا وقت

استخلافكم

قوله تعالى قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مومنين اعلم ان هودا دعى قومه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالدين القاطع لانه بين ان نعم الله عليهم تترى ولا نعمة الاصنام عليهم لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شى اصلا وظاهر ان العادة نهاية التعظيم وهى لا تليق الا من مصدر عنه نهاية الانعام وذلك يدل على انه يجب عليهم ان يعبدوا الله وان لا يعبدوا شيئا من الاصنام والمقصود من ذكر اقسام انعامه على العبيد هنا الحجة الا التمسك بطريقة الجدل فلما اجيبنا استبعد اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الله فى اتخاذ الاصنام شركا معه حيا كما نشوا عليه والفا الصادقين اياهم سد سوق قيل كان هود مجابا معتزل عن قومه يحب فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا قبل البعث فلما اوحى الله جاء قومه يدعوهم وقيل اراد وا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملايكة فما لهم قالوا احسسنا من السماء كما حى الملك وقيل لم يريدوا حقيقة الحى ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا قصدنا بعد الله مالكم من الهة غيره افلا تعبدون بهمزة الانكار مشعرا بالتهديد والتخويف يا لوعيد فلهذا المعنى قالوا فاتنا بما تعدنا وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعدونه كونه كاذبا بدليل انهم ادالم ياتهم بذلك العذاب ظهر للقوم كانه كاذبا قال هود قد وقع عليكم اى حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل التوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب وقيل رجس اى اعتقاد مذموم وافعال مذمومة وقيل يجوز ان يكون الرجس هو الاردياد فى الكفر كقوله فزادوهم رجسا الى رجسهم اى قد وقع عليكم من الله دين على قلوبكم عقوبة منه لكم بانخذلانه لانكم الكفر وتماديكم فى الغى ثم خصهم بمزيد الغضب وهو قوله وغضب ثم قال اتجادلونني استفهام على سبيل الانكار فى اسماء سميتموها فى اشياء ما هى الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهة فيها معدوم محال وجوده وهذا قوله ما تدعون من دونه من شى ومعنى سميتموها من قولك سميته زيدا ما نزل الله بها من سلطان اى ما لكم حجة وبينة على هذه الاسماء انها صلى الله عليه وسلم ذكرهم وعيدا محققا فقال فانتظروا ما يحصل لكم من عبادة هذه الاصنام انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وفضل لا ما عانهم وطاعتهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا التى جعلناها معجزة لهود فانزلنا عليهم عذاب الاستيصال الذى هو الريح وما كانوا مومنين وفائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآياتنا الاشعار بان المعرض عن الايمان من امم من ممن كمر تمرد سعد وسمى بجامع هود كانه قال وقطعنا

دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين ٥

قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم والى ثمود
منع من الصرف بتاويل القبيلة قيل ثمود اسم ابيهم للاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم ابن سام بن نوح اخو ادريس
وسميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل فكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم
بينة اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال
والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية قوله لكم بيان لمن هي اية موجبة عليه
الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وساير الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما
اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده ملونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول
اية الله فذروها تاكل في ارض الله اي الارض اي الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض الله فليست الارض لكم
ولا ما فيها من النبات من اثالكم ولا تمسوها بسوء ولا تصيبوها بعقر ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء
من الاذى اكراما لاية الله فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم من بعد عاد وبواكم اسكنكم ونزلكم والمباءة المنزل
في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون
منها بين الرمض واللبن والاجر بيوتا نصب على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا واثر هذه القضية فلما وهي
من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقضية قميصا فلما في حال الخياطة والبري
وقد كانوا يسكنون بالسهولة في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله اي قد ذكرت لكم بعض ما اتاكم الله
من النعم وذكر الكل تطويل فاذكروا انتم بعقولكم لما فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين نهي عن كل انواع الفساد
وقيل نهي عن عقر الناقة **قوله تعالى** قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون
قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح
ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين استضعفوا
للذين استضعفهم روساء الكفار واستذلوهم ولمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا منهم
اي من قومه فيكون من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على
المومنين ويحتمل ان يكون الضمير في منهم راجعا الى الذين استضعفوا وحينئذ لم يكن
الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين اتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الظن والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش

قالوا

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين صح ٧

قالوا اي قال الذين استضعفوا انا بما ارسل به مومنون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح
قولهم انا بما ارسل به مومنون جوابا عسى سالوهم عن العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه
ولا شبهة تدخله لوضوحه واثارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فيحركم انا به مومنون وكذلك
كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون
معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة العقر كشف عرقوب البعير ولما كان العقر سببا للنحر اطلق
العقر على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره
الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عتى يعتو عتوا اذا
استكبر ومنه مقال جبار عات وقيل العتو الغلو في الباطل عن امر ربهم وامر ربهم هو الذي اوصله الله
اليهم على لسان صالح من قوله فذروها تاكل في ارض الله قيل وامر ربهم اي شان ربهم وهو دينهم وقيل
المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته
عن امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم
له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونهم من المرسلين فاخذتهم الرجفة قيل هي
الزلزلة الشديدة قال الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقيل الصيحة التي زلزلت لها الارض
واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم اي في مساكنهم جاثمين جامدين لا يتحركون موتى يقال الناس
جثم اي قعود لا حراك ولا ينسبون نسبة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع
قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها
قوم صالح فاخذتهم الرجفة الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك
ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قومه فخالفه امره
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه
باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى اي فاعرض عنهم صالح الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى
عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت
لكم وسعي ولم ال جهدا في ابلاغكم النصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي
ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب روي ان عقرهم الناقة كان يوم
الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت
فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا فكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا
ديارهم ولا يستبعد خطاب الموتى فان الرجل قد يقول لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه

حتى القى بنفسه في الهلكة يا اخي كم نصحت ولم قلت لك فلم تقبل مني ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال
ماضية **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها
من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي وارسلنا لوطا واذ ظرف
لارسلنا اي واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة السيئة المتمادية
في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله
عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من زايدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
من العالمين للتنصيص قوله ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة انكر عليهم
اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها بقوله انتم اول من عملها او على انه جواب لسوال
مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا ما لم تسبقوا ائنكم
لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم قرا نافع
وحفص عن عاصم انكم بكسر الالف على الاخبار المستانف ومذهب نافع ان يكتفي بالاستفهام
في الاولى من الثانية في كل القران وابن كثير اينكم بهمزة غير ممدودة وبلين الثانية وابو عمرو
بهمزة ممدود للتخفيف وبلين الثانية والباقون بهمزتين على الاصل لتاتون الرجال من اتى المراة
اذا غشيها شهوة مصدر شهي يشهى شهوة وانتصابها قيل على المصدر لان قوله اتاتون
الرجال معناه اتشتهون شهوة وقيل على الحال فانها مصدر وقع موقع الحال بمعنى مشتهين
تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماحة وقيل على انها مفعول له من الاشتهاء لا حايل لكم
عليه الا مجرد الشهوة من غير دافع اخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف له بالبهيمية وانه لا
داعي له من جهة العقل البتة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي
توجب ارتكاب القبايح وتدعوا الى اتباع الشهوات فقال بل انتم قوم عادتكم الاسراف وتجاوز
الحد في كل شي فلهذا اسرفتم في باب قضا الحوايج حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم
قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اي لم يجيبوا بما يكون جوابا عما كلمهم لوط عليه السلام
من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا
بشي اخر لا يتعلق بكلامه وبصحته من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرا بهم
وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقوله انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش
وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعد الصلحاء اذا وعظهم
ابعدوا هذا المتقشف وارتحونا من هذا المتزهد **قوله تعالى** فانجيناه

واهله

واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
واهله قيل انصاره واتباعه ومن يختص به من ذريته ومن يتصل به بالنسب وقيل اهله من يختص
به من المومنين الا امراته اي زوجته كانت من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا
فهلكوا والتذكير لطيب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية روي ان امراة لوط التفتت
فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة
فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافرهم
وشدادهم وقيل امطر عليهم ثم خسف روي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وامطرنا ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا
ترى الى قوله فساء مطر المنظرين فانظر يحتمل ان يكون المامور هو الرسول صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يكون كل احد من المكلفين ليعتبروا بذلك فينزجروا مذهب الشافعي ان اللواط يوجب
الحد وقال ابو حنيفة لا يوجب الحد وللشافعي ان يحتج بهذه الاية من وجهين احدهما انه ثبت
في شريعة لوط رجم اللوطي والاصل في الثابت البقا الا ان يظهر طريان الناسخ ولم يظهر في شرع
محمد صلى الله عليه وسلم ما يوجب نسخ هذا الحكم فوجب القول ببقايه وثانيهما انه تعالى قال فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين والظاهر ان المراد من هذه العاقبة ما سبق ذكره وهو انزال الحجة عليهم
ومن المجرمين الذين يعملون عمل قوم لوط لان ذلك هو المذكور السابق فينصرف اليه فصار تقدير الاية
فانظر كيف امطر الله الحجارة على المجرمين الذين يعملون ذلك العمل المخصوص وذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على ان ذلك الوصف علة لحصول ذلك الحكم واذا ظهرت العلية وجب ان يحصل
هذا الحكم بما حصلت العلية **قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين
وارسلنا الى مدين اخاهم هذه الاخوة كانت في النسب لا في الدين مدين اسم البلد وقيل اسم
لقبيلة بسبب انهم اولاد مدين ابن ابرهيم عليه السلام ومدين صار اسما للقبيلة كما يقال
بكر وتميم وشعيب من اولاده وهو شعيب بن نويه بن مدين ابن ابرهيم خليل الرحمن وكان يقال
لشعيب عليه خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين انه حكى عن
شعيب انه امر قومه في هذه الاية باشيا الاول انه امرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله
وهذا اصل معتبر في جميع شرايع الانبيا عليهم السلام فقال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره والثاني
انه ادعى النبوة قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان والاخذ

بما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه والاية دالة على انه حصلت لشعيب معجزة دلت على صدقه لقوله قد جاءتكم
بينة من ربكم ولا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له بصدقه والا لم يكن نبيا بل متنبيا غير ان معجزة
شعيب لم تذكر في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما روي من محاربة عصا موسى
عليه السلام الثنتين حتى دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع
من اولادها ووقوع عصى ادم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كلها كانت قبل ان
يستنبا موسى عليه السلام وكانت معجزات لشعيب وفيه نظر فانه يجوز ان تكون هذه الامور
ارتاصا لنبوة موسى عليه السلام والثالث انه قال فاوفوا الكيل واعلم ان سنته جارية بانه اذا كان
قوم مقبلين على نوع من انواع المفاسد اقبالا اكثر من اقبالهم على ساير انواع المفاسد يبعث نبيهم يمنعهم
عن ذلك النوع وكان قوم شعيب فشى فيهم البخس والتطفيف فلهذا بدا بذكر هذه الواقعة فقال فاوفوا
الكيل والميزان قوله فاوفوا الكيل يدل ظاهرا ان يكون الامر بايفاء الكيل والتنبيه لما تقدمه والمتقدم
هاهنا قد جاءتكم بينة من ربكم فما وجهه قيل كانه يقول لهم البخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشي
القليل وهو امر مستقبح في العرف ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم
فيه عذر فاوفوا الكيل فان قيل كيف قيل الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما هو في سورة هود
اجيب بانه اراد بالكيل الة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به
او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر والرابع
قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس النقص يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس
البخس وفي امثالهم بخسها حمقا وهي احسن لما امرهم بايفاء الكيل والوزن نهاهم عن البخس وقيل اشياءهم
لانهم يبخسون الناس كل شي في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء
الحرمين ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع اموال الناس
بطريق الحيل وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها
قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا والخامس قوله ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبيا واتباعهم
العاملين بشرايعهم واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار اي مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح
اهلها بحذف المضاف وقيل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم نهي عن فساد الدنيا وقوله ولا تفسدوا
في الارض نهي عن مفاسد النهي ويجوز ان تكون الاية جامعة للنهي عن مفاسد الدنيا والدين وقيل
بعد ان صلحت الارض بمجي النبي بعد ان كانت فاسدة بخلوها وقيل كان يحتمل الفساد وقد صارت
صالحة وقيل بعد ان اصلحها بتكثير النعم فيها فحاصل هذه الامور الخمسة يرجع الى اصلين التعظيم

للامر

للامر والاتفاق على ان الاقرار بالتوحيد والنبوة والشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك البخس والافساد
وحاصلها يرجع الى ترك الاشيا كانه متعذر واما لف الضر عن الكل متيسر ولكم اشارة الى ما ذكر من الامور
الخمسة وقيل الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به
ونهاهم عنه خير لكم في الاخرة ان كنتم مومنين وقيل في الاية دليل على ما يطلبونه من التكسب والتربح لان
الناس ارغب في متاجرتكم الامانة اذا عرفوها منكم والعدل ان كنتم صادقين بقولكم وبفعلكم مومنين

قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها
عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طايفة منكم
امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ضم
شعيب عليه السلام الى ما نبه من الامور الخمسة اشيا فالاول منعهم من القعود على طريق الدين
ومنهاج اليقين ليمنعوا الناس عن قبوله وقيل وقيل منعهم ان يقعدوا على الطريق التي يسلكه الناس روي
انهم كانوا يجلسون على الطريق ويخوفون من امن بشعيب قال صاحب الكشاف ولا تقعدوا بالشيطان
في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان
المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا فالباء للالصاق وعلى
مكان كذا وفي مكان كذا وهذه الحروف تتعاقب في هذه المواضع لتقارب معانيها فالباء للالصاق
وهو قد التصق بذلك المكان وعلى الاستعلاء وهو قد علا ذلك المكان وفي الحلول قد حل ذلك المكان
ويحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله
وباغيها عوجا والمعنى انه نهاهم عن القعود بكل صراط حال الايعاد والصد والبغي وهذه الامور الثلثة
متغايرة فالايعاد تذكر انزال المضار بهم والصد قد يكون بالايعاد بالمضار وقد يكون بالوعد بالمنافع على
تركه وقد يكون بان لا يمكنه من الذهاب الى الرسول يسمع كلامه واما قوله تبغونها عوجا فالمراد القا
الشكوك والشبهات والمراد من الاية ان شعيبا نهى القوم من ان يمنعوا الناس من قبول الدين الحق
باحد هذه الطرق الثلثة فان قيل صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط اجيب بان صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف
وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شي منها اوعدوه وصدوه والضمير في امن
به راجعا الى كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله
عوجا اي تصفونها للناس بانه سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول او يكون
تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم اذ مفعول به غير ظرف اي

واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم والمقصود منه انهم اذا تذكروا
كثرة نعم الله عليهم فالظاهر ان ذلك يحملهم على الطاعة واجتناب المعصية وقيل كثركم بالغنى بعد الفقر او كثركم
الله بالقدرة بعد العجز فانهم اذا كانوا فقراء وعاجزين فهم بمنزلة القليل في انه لا يحصل من وجودهم قوة
ولا شوكة واما تكثر عددهم بعد قلتهم فان مدين ابن ابرهيم تزوج ريثا بنت لوط فرمى الله في قلبها البركة والنما
فولدت حتى كثر عددهم وانظر كيف كان عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وصالح
ولوط وما لحقهم من الخزي والنكال والمقصود انهم اذا نظروا وتدبروا علموا ان عاقبتهم ليس الا الخزي والنكال
احترزوا عن الفساد والعصيان واطاعوا فكان المقصود من هذين الكلامين حملهم على الطاعة بطريق
الترغيب اولا والترهيب ثانيا وان كان طايفة المقصود منه ترقية قلوب المومنين وزجر من لم يومن
لان قوله فاصبروا تهديد وكذلك حتى يحكم الله بيننا فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين
بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وقيل هو موعظة للمومنين وحث الصبر واحتمال ما كان يلحقهم
من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون
على اذى الكفار وليصبر الكفار على من يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو
خير الحاكمين لان حكمه ووعده صدق وعدل منزه عن الحيف والظلم فيخص المومن المتقي بالدرجات العالية
والكافر الشقي بانواع العقوبات **قوله تعالى** قال الملاء الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا
كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين لما قرر شعيب تلك الكلمات
قال الملاء الذين استكبروا وانفوا من تصديقه وقبول قوله لتكونن احد الامرين اما ان نخرجك ونخرج اتباعك
من قريتنا واما ان تعود في ملتنا فان قيل كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في ملتهم التي هي الكفر
وكيف اجابهم شعيب بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبيا عليهم
السلام لا يجوز عليهم الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكفر اجيب عنه من وجوه الاول
انهم لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذي دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم
قالوا لتعودن في ملتنا فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم جميعا عايدين اجراء الكلام على حكم التغليب وعلى ذلك
اجرى شعيب جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه يضم نفسه في
جملتهم وان كان بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب الثاني ان روساهم قالوا ذلك على وجه التلبيس
على العوام يوهمون بذلك انه كان منهم وان شعيبا ذكروا جوابه على وفق ذلك الايهام الثالث ان شعيبا
في اول امره كان يخفي دينه ومذهبه فتوهموا على انه على دين قومه الرابع لا يبعد ان يقال ان شعيبا كان

فضلا عن الكباير م

على شريعتهم

على شريعتهم ثم انه تعالى نسخ تلك الشريعة بالوحي الذي اوحاه الله اليه الخامس المراد من قوله او لتعودن
لتصيرن الى ملتنا فوقع العود بمعنى الابتدا يقول العرب قد عاد علي من فلان مكروه يريدون قد صار
علي منه المكروه ابتدا قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عاد لهن ذنوب
اراد فقد صار لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان قال اولو كنا كارهين الهمزة
للاستفهام والواو والحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم اي ان عدنا في ملتكم قد افترينا على الله كذبا فان الاصل في النبوة
والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب فالعود في ملتكم يبطل النبوة ويزيل الرسالة بعد اذ نجانا
الله منها علمنا قبحه وفساده وقضت الادلة على انه باطل وقيل المراد ان الله تعالى نجى قومه من تلك
الملة الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا منه اجراء للكلام على حكم التغليب وقيل ان القوم اوهموا
انه كان على ملتهم او اعتقدوا انه كان كذلك فقوله بعد اذ نجانا الله منها اي على حسب معتقدكم وزعمكم
اما قوله فما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اي الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيته
انها نعود فيها فيقضي قضاء الله فيها وينفذ حكمه فينا وعلمه علينا وهذه الاية تدل صريحا على ان الكفر بمشية
الله تعالى قال صاحب الكشاف معنى قوله الا ان يشاء الله خذلانا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع
فينا ويكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل على قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما
كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف يتحول وقلوبهم كيف تنقلب وكيف يقسوا بعد الرقة وتمرض
بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان وهذا صرف عن الظاهر من غير دليل صارف عنه بل منع من وجود
دليل دال على امتناع حمله على ما حمله عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما ان القوم لما قالوا لشعيب اما
ان نخرج او ان نعود الى ملتنا فقال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه حصول قسم ثالث وهو ان
يبقى في هذه القرية من غير ان نعود الى ملتكم بل نجعلكم مقهورين تحت امرنا ذليلين خاضعين وسع ربنا
كل شيء علما يدل على انه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا لان قوله وسع فعل ماض فيتناول كل ما مضى
واذا ثبت ان تغير معلومات الله محال لزم انه لزمت الاحكام وجفت الاقلام والسعيد من سعد
في علم الله والشقي من شقي في علم الله وسع كل شيء علما منصوب على التمييز على الله توكلنا ختم كلامه
بامرين الاول على الله توكلنا وهو يفيد الحصر كانه في هذا المقام يحرك الاسباب والثاني الدعا ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي احكم بيننا والفتاحة الحكومة قيل يسمون القاضي الفاتح والفتاح
لانه يفتح مواضع الحق عن ابن عباس انه قال ما كنت ادري قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وقيل اظهر امرنا حتى يفتح ما بيننا وبين
قومنا وينكشف بان ينزل عليهم عذابا يدل على انهم على الباطل وانت خير الفاتحين هو ثنا على الله تعالى

لقوله وهو خير الفاتحين اعلم ان قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم اخبار مقيد بالشرط وفيه
وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما كذبنا على الله ان عدنا في الكفر
بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافترا من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا
ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وازيد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفا عليه من التمييز بين الحق والباطل
والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا **قوله تعالى**
وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين بين الله شدة ضلالتهم
بتكذيب شعيب ثم انهم لم يقتصروا على ذلك حتى اضلوا غيرهم ولاموهم على متابعته فقالوا لئن اتبعتم
شعيبا ثم بين انكم اذا لخاسرون اي قال اشرافهم الذين دونهم يثبطونهم على الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل يقصدون باتباعه فوايد البخس والتطفيف لانه نهاكم عنها ويحملكم على الايفا
والتسوية لئن اتبعتم اللام موطاة للقسم وان اتبعتم شرط وقسم وقوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد
جواب القسم وجواب الشرط فاخذتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة المهلكة ولما كان عند هذا المقال
تمل حالهم في الضلال اولا والاضلال ثانيا استحقوا الاهلاك فلهذا قال فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم في مساكنهم جاثمين اي جامدين ساكنين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها
وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتلا معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباع شعيب فانهم هم الرابحون وفي هذا الاستيناف
والابتلا وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتشفية لرايهم واستهزا بنصحهم
لقومهم واستعظام لما جرى عليهم في قوله لم يغنوا قولان احدهما غنى القوم في دارهم اذا طال مقامهم
فيها والمغاني المنازل كان بها اهلوها واحدها مغنى قال الشاعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل
ملك ثابت الاوتاد اراد اقاموا فيها فمعنى قوله كان لم يغنوا فيها ولم ينزلوا فيها وثانيهما كان لم
يعيشوا مستغنين يقال غنى الرجل يغنى اذا استغنى وهو من الغنى الذي ضد الفقر وعلى القولين
شبه الله حال هاولا المكذبين بحال من لم يكن قط في نزل الديار فتولى عنهم بعد نزول العذاب بهم
وقيل قبله قوله اسى الاسى شدة الحزن قال العجاج وانجلت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه
على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم قبول نصيحته فلما انزل الله بهم ذلك الهلاك الشديد اسى

عليهم

عليهم من جهة الوصلة والمجاورة وطول الالفة ثم انكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم كافرين
لانهم هم الذين نسبوا الى هلاكهم لاصرارهم على الكفر وقيل يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير
مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني ولم تقبلوا نصيحتي فكيف اسى عليكم يعني انهم ليسوا احقا بان اسى الانسان
عليهم **قوله تعالى** وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم
يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس اباؤنا الضراء والسراء فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون لما ذكر احوال هاولا الانبيا واحوال ما جرى على اممهم كان من الجايز ان يظن انه تعالى
ما انزل عذاب الاستيصال الا في زمن هاولا الانبيا فقط فبين في هذه الاية ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم
وبين السبب الذي به يفعل ذلك وانما ذكر القرية لانها مجتمع القوم الذي اليهم يبعث الرسل ويدخل تحتها كل موضع
يشتمل فيه القوم من بين مكذب او يكذبها اهلها الا اخذنا اهلها بالباسا بالبوس والفقر والضرا بالضر والمرض
لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر ثم بين ان
تدبيره بما يكون الى الايمان اقرب فقال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلا
والمحنة والرخاء والسعة والصحة لقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لان ورود النعمة في البدن والمال
بعد الباساء والضراء يدعوا الى الانقياد والاشتغال بالشكر حتى عفوا حتى كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم
غنى السيات وغنى الشحم والوبر اذا كثرت وفي الحديث انه قال عليه السلام امران يخفي الشوارب ويعفي اللحى توفر
وتكثر وقالوا قد مس اباونا الضرا اي وانظر بهم النعمة فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرا والسرا
وقد مس اباونا نحو ذلك وما هو بابتلا من الله لعباده فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاة من غير
شعور منهم والمعنى انهم متى نالهم شدة قالوا ليس هذا بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل وتلك عادة الدهر
ولم يذكر ما مسنا من الباساء والضرا عقوبة من الله تعالى وهذه الحكاية تدل على انهم لم ينتفعوا بما دبرهم الله
عليه من الرخا بعد الشدة وامن بعد خوف بل عدلوا الى ان هذه عادة الزمان في اهله ممرة يحصل منهم الشدة
والضر ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فبين الله تعالى انه ازال عذرهم وازاح عنهم فلم ينقادون ولم ينتفعوا بذلك
الامهال فاخذناهم بغتة والمعنى انهم لما افسدوا على التقدير اخذهم الله بغتة اين كانوا ليكون ذلك اعظم في الحسرة
وقوله وهم لا يشعرون اي نزول العذاب والحكمة في ذكر هذا المعنى ان يحصل الاعتبار لمن سمع هذه القصة
وعرفها **قوله تعالى** ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون
او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
لما بين الله تعالى في الاية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم الله بغتة بين في هذه الاية انهم لو اطاعوا
فتح الله عليهم ابواب الخيرات اللام في القرى للعهد والمعهود الذي دل عليه قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال

ولو ان تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم وانهوا المعاصي محل ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل بركات من السما المطر والارض النبات واصل البركة المواظبة
على الشيء يقال بارك فلان على فلان اذا واظب عليه وارادتابعنا عليهم بالمطر والنبات والخصب ودفعنا عنهم
القحط ولكن كذبوا فاخذناهم بمحلنا لهم لعقوبة ما كانوا يكسبون من المعصية والكفر والاعمال الخسيسة ثم انه
تعالى اعاد الوعيد بعذاب الاستيصال فامن الفآء حرف عطف ودخلت عليها همزة الانكار والمعطوف
عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الا يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما
عطفت بالفآء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بيانا
وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى والبيات بمعنى التبييت تقال بات بيانا ومنه قوله تعالى فجاءها باسنا بيانا
او هم قائلون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم تقال بيتهم بيتة وبيانا فمحوزان يراد ان ياتيهم
باسنا بائتين او وقت بيات او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بيانا او امن قرا ابن
عامر بسكون الواو جعل او للاضراب فمعنى المعنى في هذه امنوا هذه الضروب من العذاب والواو بفتح الواو
وضحى نصب على الظرف تقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى فالاصل اسم لصنوء الشمس اذا ارتفعت
والمقصود انه تعالى خوفهم نزول ذلك العذاب عليهم في الوقت الذي هو فيه في غاية الغفلة وهو حال النوم
بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل بالذات وهم يلعبون تشتغلون عما
لا حدى عليهم كانهم يلعبون وقيل التشاغل بامور الدنيا هم يلعب ولهو وقيل خوضهم في كفرهم لان ذلك كاللعب
في انه يضر ولا ينفع افامنوا تكرير لقوله افامن اهل القرى والمعنى افامنوا ادبارهم العذاب من حيث
لا يشعرون ومكر الله استعارة لاخذ العبد من حيث لا يشعرون ولا استدراجه فعل الفاعل ان يكون
في خوف من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته
قالت له مالي اراك نائما فقال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان
ياتيهم باسنا بيانا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم
فلا يخافون ومن هذه سبيله فهو احق الخاسرين في الدنيا والاخرة لانه اوقع نفسه في الدنيا
في الصرر والمآل الاخرة في اشد العذاب **قوله تعالى** اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما
وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين لما بين ما بعدهم حال الكفار الذين اهلكهم الله
بالاستيصال مجملا ومفصلا اتبعه سانح ان الغرض من ذكر هذه القصص حصول العبرة لجميع المكلفين
في مصالح اديانهم وطاعاتهم اولم يهد بالياء ان لو نشا فاعله وان مخففة من الثقيلة والمعنى اولم يهد للذين

يخلفون

يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذه الشان وهو انا لو نشا اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم
واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين وانما عدا فعل الهداية بالام لانه بمعنى التبيين وتطبع على قلوبهم معطوف
على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض ويكون معطوفا
بمعنى نحن نطبع على قلوبهم بجري بجري تحصيل الحاصل تلك مبتدا القرى صفته نقص عليك خبر وقيل تلك
مبتدا والقرى خبر ونقص حال تقوله تعالى هذا هدى وهذا بعلي سمحا وبحوزان يكون نقص خبرا بعد خبر وتلك
القرى كلام مفيد لشرط المفسد بالحال كما يفيد شرط المفسد في الصفة في قولك هو الرجل الكريم ومعنى الاخبار
عن القرى نقص عليك من انبائها ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها والما انبا عنها لم نقصها عليك
والمراد بتلك القرى قرى الاقوام الخمسة الذين وصفهم الله فيما سبق وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وانما
خص الله تعالى انبا اهل هذه القرى لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا انهم على الحق فذكرها الله لقوم محمد
صلى الله عليه وسلم ليكونوا على حذر من مثل تلك الاعمال ثم عزا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم
اي الاسباط الذين ارسلوا اليهم البينات فما كانوا ليكذبوا الكفار ليومنوا عند مجيء الرسل بالبينات عاقبوهم من
ايات الله من قبل مجيء الرسل اي قوم اخذناهم بالبيتا قوم عند اخراجهم من ظهر ادم فامنوا كرها واقروا بالسانهم واصروا
بالتكذيب وقيل فما كانوا ليومنوا بعد رويته المعجزات بما كذبوا بمثل رويتهم تلك المعجزات نظير قوله تعالى
قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقيل ما كانوا ليحسنا هم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف
ليومنوا بما دلوا به من قبل اهلاكهم ونظير ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليومنوا الى اخر اعمارهم
بما كذبوا به اولا حين جاء تهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين
لا يرعوون ولا ينثنون سليمهم في ذلك وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وسابغ الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان
الايمان كان منافيا لحالهم والتصميم على الكفر بحكم الله تعالى بسوء السبب فان لا يومنوا مثل ذلك الطبع نطبع على
قلوب الكافرين الذين سبق علمنا ان لا يومنوا ابدا وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي ما وجدنا اكثر الناس نقض عهد الله
وميثاقه في الاعمار والمعنون على بني عباس يريد الوفا بالعهد الذي عاهدهم الله وهم في صلب ادم حيث قال
الست بربكم قالوا بلى فلما اخذ الله منهم هذا العهد واقروا به ثم خالفوا ذلك صار كانه ما كان لهم عهد ولهذا
قال وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا ان مخففة من الثقيلة وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم
لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والاية اعتراض وبحوزان يرجع الضمير في قوله وما وجدنا لاكثرهم
الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في الضر والمخافة لئن انجيتنا من هذا لنومنن ثم نجاهم نكثوا
كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والزجر
تعيين العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ فاحتمل ان مخففة والام الفارقة ولا سوغ ذلك الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليها **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى بايتنا الى فرعون

وملايه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذه القصة هي القصة السادسة من القصص
الذي ذكر الله في هذه السورة وذكر في هذه السورة من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في ساير القصص
لان معجزات موسى عليه السلام اقوى من معجزات ساير الانبيا عليهم السلام وجهل قومه كان اجهل
وافحش من جهل ساير الاقوام من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم الذين بعدم
اهلاكهم باياتنا يدل على ان النبي لا بد له من اية ومعجزة تمتاز عن غيره اذ لو لم يكن مختصا بهذه الاية
لم يكن قبول قوله اولى من قبول غيره ويدل على انه تعالى اتاه ايات كثيرة ومعجزات كثيرة عن بن عباس اول
اياته العصا ثم اليد ضرب بالعصى باب فرعون ففزع منها فشاب راسه فاستحيى فخضب بالسواد فهو
اول من خضب واخر الايات الطمس فظلموا بها بالايات التي جاءهم بها لان من الظلم وضع الشي في غير
موضعه فلما كانت تلك الايات ظاهرة ثم انهم كفروا بها فوضعوا الانكار في موضع الاقرار والكفر في موضع
الايمان فكان ذلك ظلما منهم بها قيل وظلموا بها انفسهم فكفروا باياتنا اجرى الظلم موضع الكفر لانهما من واد واحد
ان الشرك لظلم عظيم وقيل فظلموا انفسهم بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن وانظر
بعين تجعله كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم **قوله تعالى** وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل
معي بني اسرايل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين يقال لملوك مصر الفراعنة
كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب ابن
الريان اني رسول من رب العالمين فيه اشارة الى ما يدل على وجود الاله تعالى فان قوله رب العالمين
يدل على ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه ويوجده ويخلقه حقيق على ان لا اقول
المعنى ان الرسول لا يقول الا الحق كانه قال اني رسول الله ورسول الله لا يقول الا الحق فيلزم منه اني
لا اقول الا الحق فلما كانت المقدمة الاولى مفتقرة الى بينة ذكر ما يدل على صدقها وهو قوله قد جيتكم
ببينة من ربكم وهي المعجزة الظاهرة القاهرة ولما قرر رسالة نفسه فرع عليه بتبليغ الحكم وهو قوله
فارسل معي بني اسرايل فلما سمع فرعون هذا الكلام قال ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين
واعلم ان فرعون ما نازعه فيما ذكره موسى عليه السلام الا في طلب المعجزة قراءة نافع حقيق على مشدد الياء
والباقون بسكون الياء اما قراءة نافع فحقيق يجوز ان يكون بمعنى فاعل يقال حق الشي اي وجب والمعنى
واجب علي ان لا اقول على الله الا الحق ويجوز ان يكون بمعنى مفعول اي محقوق مثبت على ان لا اقول على
الله الا الحق واما قراءة العامة المشهورة ففيه وجوه الاول ان العرب تجعل الباء في موضع على تقول رميت
على القوس وبالقوس وجيت على حال حسنة وبحالة حسنة وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط موضع
على لذلك وقعت على موضع الباء في قوله حقيق على ان لا اقول ويؤكد هذا الوجه قراءة عبد الله حقيق بان لا اقول

والثاني

والثاني ان ما لزمك لزمته فلما كان قول الحقيق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له
والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه
الداخل في نكت القران ان يفرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد
راى ان عدو الله فرعون قال له موسى عليه السلام اني رسول رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول
الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا بمثلي باطفاله فارسل معي بني اسرايل
اي فاطلق عنهم وخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابايهم وذلك ان يوسف
عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط وكثر نسلهم عليهم فرعون فاستعبدهم فانقذهم الله تعالى بموسى عليه
السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعماية عام قال فرعون
مجيبا لموسى ان كنت جيت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك
قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون لما طلب فرعون
موسى عليه السلام بالاتيان بالاية وكان من معجزاته قلب العصا ثعبانا ذكرا شعر فاغرا فاه بين لحييه
ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلا على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون
من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم
خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك
بني اسرايل فاخذه موسى فاذا هو عصى ثم قال له فرعون هل معك اية اخرى قال نعم فنزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى ادم اللون ثم ادخلها جيبه فصارت كما كانت قبل قوله
للناظرين يتعلق بيضا والمعنى فاذا هي بيضا للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجايب وذلك ما روي انه اري فرعون
يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضا بياضا نورانيا غلب
شعاعها شعاع الشمس قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس
بخدعه من خدعه حتى خيل اليه العصا حية وللادم ابيض والشي بخلاف ما هو عليه قد عزي منا الكلام هاهنا
الى الملاء من قوم فرعون وعزي في الشعرا الى فرعون حيث قال للملاء من قومه ان هذا لساحر عليم لانه قد قاله
هو وقالوه فحكى قوله ثم وقولهم هاهنا او قاله فرعون ابتدا فتلقنه منه الملاء فقالوه لاعيانهم او قالوه عند الناس
على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى واحد منهم الراي فيتكلم به من يليه من الخاصة العامة والدليل عليه انهم
اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم يريد ان يخرجكم يا معشر القبط من ارضكم
حصر فماذا تامرون هذا من قول فرعون للملاء ولم يذكر فرعون تامرون من امرته فامرني بكذا اي شاورته فاشار

ثم تبلغه الخاصة العامة صح

على راى **قوله تعالى** قالوا ارجه واخاه وارسل في المدايع حاشرين ياتوك بكل ساحر
عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
لما قال الملا لفرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قال فرعون فاذا تامرون قالوا ارجه قرا نافع
والكسائي ارجه بغير همز وكسر الهاء والاشباع وعاصم وحمزة بغير الهمز وسكون الهاء وابن كثير وابو عامر وابو جعفر
ارجه بالهمز وضم الهاء من كثير يشبع الهاء على اصله والباقون لا يشبعون والمعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبير امرهما وقيل احبسهما وارسل في المدايع حاشرين يدل على ان السحر كان فاشيا كثيرا
في ذلك الزمان ويدل ايضا على ان في طباع الخلق معرفة المعارضة وانها اذا امكنت فلا بنوة واذا تعذرت صحت
النبوة ياتوك بكل ساحر قرا حمزة والكسائي بكل سحار فان وصفه دال على حذقه له فحسن لذلك ان يذكر
بالاسم على المبالغة في السحر والباقون بكل ساحر وهو مناسب لقوله سحروا اعين الناس وجاء السحرة
فرعون روى انه دعا بروساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه اهل الارض
الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروى انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل سبعة
وثلاثين الفا واختلف في روايات مرعقل ومن مكنر وقيل كان عظيم يحوسيان من ينوى وقيل قال فرعون
لا يغالب موسى الا عالم منه يعني السحر قالوا هو على قدر مسائل سال ما قالوا اذ حاوه فاجيب بقوله قالوا
ولهذا لم يقل فعالوا قرا نافع وحفص عن عاصم ائن لنا لاجرا بكسر الالف على الخبر والباقون على الاستفهام
احسن في هذا الموضع لانهم اراد وا ان يعلموا هل لهم اجر ام لا ويقطعون على ان لهم الاجر ويقوى ذلك
اجماعهم في سورة الشعراء على الهمز والاستفهام وقيل ان نافعا وابن كثيرا راد ا همز الاستفهام ولكنهما حذفا
من اللفظ وان كانت باقية في المعنى لقوله تعالى ولكل نعجة تسعة ونعجة على فانه مذهب كثير من الناس الى معناه انك
بالاستفهام وكما في قوله هذا ربي وا لسعير اهذا ربي وقيل ان السحر اثبتوا لانفسهم اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا
من اجر والسكر للتعظيم قال فرعون وانكم لمن المقربين اي لا اقتصر على الاجر بل ازيدكم عليه وتكون لي زيادة
انى اجعلكم من المقربين عندي في المنزلة وقيل اول من يدخل علي واخر من يخرج على **قوله تعالى**
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين اما ان تلقي للتحضيض ادخل ان في قوله ان تلقي لانها في موضع الامر بالاختيار
وهي في موضع نصب لقول القايل احنت ذا ام ذاك انهم قالوا اختر ان تلقي او تلقي بريد اما ان تلقي عصاك واما
ان نكون نحن الملقين اي ما معنا سوى الحبال والعصي فمفعول الالقاء محذوف وتحضيرهم اياه ادب حسن راعوه
مع موسى كما تفعل اهل الصناعات اذا اتوا المساطر فاما ان نخاوضوا في الجدال والمصارعين قيل ان
ساعد والمصراع ومن حسن الادب بعدهم موسى في الذكر وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل

على رغبتهم

على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المنفصل بالمنفصل وتعريف الخبر والحاق الفصل وقد سوغ لهم
موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه ان ذرا بشانهم وقلة مبالاة وثقة بما كان يصدده من الماس السماوي
وان المعجز لن يغلبها سحرا بدا فلما القوا حبالهم وعصيهم راى قلوبا اعيى الناس عن صحة ادراكها بسبب
تلك التمويهات وقيل اروها الحبل والشعوذة وخيلوا اليها ما لا حقيقة له فقوله يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى واحتج القايلون بان السحر يحصل التمويه به لانه لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا عيونهم
فثبت ان المراد انهم تخيلوا احوالا عجيبة مع ان الامر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوا وقيل انهم القوا
بالجبال والعصي ولطخوها بالزيبق وجعلوا الزيبق في داخل تلك العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت
والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالناس تخيلوا انها تحرك وتلتوي باختيارها وقويهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بشيء عظيم من باب السحر حتى رهبهم الناس وذلك
بان جمعوا جماعة بناء ودع عند لقاء ذلك انهم الناس اخذ وا فيتاهبوا لاشر ماب عن ابن عباس انه
خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عضا موسى فاوحى الله عز وجل الى موسى ان الق عصاك
فاذا هي تلقف فيه حذف اي فالقاها فاذا هي تلقف واحفص عن عاصم تلقف ساكنة اللام خفيفة القاف
والباقون مفتوحة اللام شديدة القاف اللفف مصدر ثقفت الشيء لثقفه لقفا اذا اخذته فاكلته
وابتلعته ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل وزورونه
او يتلقف افكهم بتسمية المافوك بالافك وهو في الشرع قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذب افك لانه
مقلوب عن وجهه روي انها لما التقمت الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فخرجت كما كانت
واعظم الله بعد رتة تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزا لطيفة قلت السحر لو كان هذا سحرا لبقيت
حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت وهو يفيد قوة البثوت والظهور بحيث لا يصح فيه البطلان
كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا وبطل ما كانوا يعملون اي زالت الاعيان الذي افوكها وهي ان تلك
الحبال والعصي وقعت بعد ذلك طهرت الغلبة فلهذا قال تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين اي
صاروا اذلاء مهونين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطلين من ظهور بطلانه قوله وحده على وجه
لا عدو فيه حيلة ولا شبهه اصلا **قوله تعالى** فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهارون والقي السحرة ساجدين وما دان الا الله يدل على ان فعل
العبد مخلوق لله وقيل من سرعة ما سجدوا كانما القاهم ملق وقيل لم يسمع لكوا سمار واكانهم لعوا الله تعالى
ذكرانهم اولا صاروا ساجدين ثم ذكر بعده انهم قالوا امنا برب العالمين مما الفايدة فيه مع ان الايمان
يجب ان يكون سببا مقدما على السجود قيل انهم لما طفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود
شكرا لله على الفوز بالمعرفة والايمان وعلامة على انقلابهم من الكفر الى الايمان واظهار التخضوع والتذلل لله

وكانوا حصلوا ذلك السجود لوا جد علامة على هذه الامور الثلثة على سبيل الجمع وقيل يحتمل
ان يكون عند السجود قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فلما قالوا رب موسى
قال فرعون اياى تعنون لانى رب موسى فلما قالوا هرون زالت الشبهة وعرف الحال انهم كفروا بفرعون
وامنوا بالله السماء وقيل انما خصصهما بالذكر بعد دخولهما فى جملة العالمين تشريفا وتفضيلا كقوله
ومالئكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال **قوله تعالى** قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا
افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قرا عاصم فى رواية حفص امنتم بهمزة واحدة على لفظ الخبر اى فعلتم
هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتوبيخا ولذلك فى طه واستفهما عاصم فى رواية ابى بكر وحمزة والكسائى
امنتم بهمزتين فى جمعها وابقون بهمزة واحدة ممدودة فى جميعها على الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد
لما راى فرعون ان السحرة اقروا بنبوة موسى عليه السلام عند اجتماع الخلق العظيم خاف من ان يصير ذلك
حجة قوية على صحة نبوة موسى عليه السلام فالقى فرعون فى الحال شبهة الى اسماع العوام ليصير ذلك الشبهة
مانعة للعوام من اعتقاد صحة نبوة موسى عليه السلام وهذه الشبهة قوله ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة والمعنى
ان اعانكم موسى ليس لفوة الحق بل ان صبعكم هذا الحبلة احتلتموها انتم وموسى فى مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه
الصحراء فدبرتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بنى اسرائيل وهذا الكلام من فرعون كان تمويها
على الناس ليلا يسعوا السحر بالايمان وروى ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتومن بى ان غلبتك
قال لا بتى سحر لا يغلبنى سحرك وان غلبتنى لامنن بك وفرعون يسمع ذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعد اجمالى
ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا من اليد اليمنى والرجل اليسرى او من اليد
اليسرى والرجل اليمنى ثم لاصلبنكم قيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قال السحرة انا الى ربنا
لمنقلبون اى انا لا نبالى بالموت انى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك وقيل سقلب الى الله
يوم الجزاء مسمعا عاشد يد القطع والصلب وقيل انا جميعا نعود الى ربنا وفرعون سقلب الى الله فحكم
سيأتى وقيل انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تعدران تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه ثم حكى الله عن القوم
ما لا عكن ان يقع من المومن احسن منه وهو قولهم لفرعون وما تنقم منا فبينوا ان الذى كان منهم
لا يوجب الوعيد ولا ازال النقمة بهم بل يقتضى خلاف ذلك وهو ان يتاسى بهم فى الايمان بالحق والاصرار
على الباطل عند ظهور الحجة والدليل عن ابن عباس رضى الله عنه ما اتينا بذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بايات ربنا
قيل وما نعيب منا الا الاحسان اتانا الله اراد واوما تعيب منا الا هو اصل المناقب والمفاخر كلها
وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بنا اوغ الافراغ الصيت نقال درهم مصوب

اذا كان

اذا كان مضروبا فى قالب وليس بمضروب ومنه افرغ الانا وهو صب ما فيه اى هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى نفيض علينا وتغمرنا كما تفرغ الماء افراغا عند القطع والصلب وقيل صب علينا ما يطهرنا
من اوصار الاثام وهو الصبر على ما وعدنا به لانهم علموا انهم استقاموا وصبروا كايد ذلك مطهرهم
لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام والايمان والدين الحق الذى جاء به موسى **قوله تعالى**
وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل
ابناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين بعد وقوع هذه الواقعة العظيمة لم يعرض
فرعون لموسى وما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله فقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه قيل
ان فرعون كلما راى موسى عليه السلام خاف اشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا ان القوم لم يعرفوا
ذلك فحملوه على اخذه وحبسه وقوله ليفسدوا فى الارض اى يفسدوا على الناس دينهم الذى كانوا عليه واذا
افسدوا عليهم اديانهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على يفسدوا والمعنى اذا تركهم ولم تمنعهم
وكان ذلك مؤديا الى مادعوه فسادا والى تركه وترك الهتك فكانه تركهم لذلك وقيل هو جواب الاستفهام
بالواو كما حكاب بالفاء نحو قول الخطيب الهاك جارك ويلوى منى وينكح المودة والاجنبا ك والمعنى اتذر
موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك وقيل هو منصوب باضمار ان بعد الواو اتذر موسى وقومه
ليفسدوا واوان نذرك والهتك وقيل ان فرعون كان قد منع لقومه اصناما واوهرهم بعبادتها تقربا اليه
كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم فالا مام والذى حظر
بالبال ان فرعون ان قلنا انه ما كان كامل العقل لم يجز فى حكمة الله ارسال الرسول اليه وان كان عاقلا
لم يجز ان يعتقد فى نفسه كونه خالق السموات والارض ولم يجز من الجمع العظيم من العقلاء ان يعتقدوا فى
ذلك لان فساده معلوم بالضرورة بل الاقرب ان يقال انه كان دهريا منكرا للوجود الصانع وكان يقول
مدبر هذا العالم السفلى هو الكوكب وانا المحدوم فى العالم للخلق ولذلك الطبيعة والمربى لهم هو نفسه
فقوله انا ربكم الاعلى اى انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وقوله ما علمت لكم من اله غيرى انى لا اعلم
احدا يحب عليكم عبادته الا ربانى واذا كان مذهبه ذلك لم يبعد ان يقال انه كان قد اتخذ اصناما
على صور الكواكب ويعبدها ويتقرب اليها ما هو دين عبدة الكواكب او على هذا لا يبعد ان يحمل قوله تعالى ويذرك والهتك على ظاهره وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان
ستماية الف نفس فاراد وا بالفساد فى الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك فالقوم اراد وا بذكر
هذا الكلام حمله فرعون على احد موسى عليه السلام وحبسه وانزال العذاب به وعند هذا لم يذكر فرعون
ما هو حقيقة الحال وهو كونه خايفا من موسى عليه السلام ولكنه قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم

قراء نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون والتخفيف والباقون بضم النون والتشديد على التكثير يعني ابنا بني اسرايل
ومن امن بموسى اي انما يمكن موسى الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل وسطه وشيعته
وذلك بان نقتل ابناهم ونستحيي نساهم وقيل سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابنا ليعلموا انا على ما كنا
عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلايناولئلا يتوهم
العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيبسطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم
الى اتباعه وانه منتظر بعد وانا فوقهم قاهرون والمقصود منه انه انما يترك موسى وقومه لا عن عجز وخوف ولو اراد
به البطش لقدر عليه كان توهم قوم انه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه وعدم خوفه منه قال موسى لهم
ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناهم ففزعوا منه وتضجروا بسكنهم وتسليتهم ويعدهم النصر عليهم ويذكر لهم
ما وعد الله بني اسرايل من اهل القبط ويورثهم ارضهم وديارهم وانما اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها
لانها جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملاء فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملاء من قوم فرعون واللام في الارض
للعهد ومراد ارض مصر خاصة لقوله وارثنا الارض ويحتمل ان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض
والعاقبة للمتقين تارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط **قوله تعالى** قالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
لما سمع قوم موسى ما ذكره فرعون من التهديد والوعيد خافوا وقالوا اوذينا من قبل ان تاتينا اي قبل مولد عيسى موسى
مستضعفين في يد فرعون وكان ياخذ منهم الجزية ويستعملهم في الاعمال الشاقة ويوذيهم ويقتل ابناهم ويستحيي
نساءهم فلما بعث الله موسى قوي رجاهم في زوال ذلك الاذى والمضار فلما سمعوا ان فرعون هددوا وعدنا عادته عليهم
بعد ذلك عظم خوفهم وحزنهم فقالوا هذا الكلام قال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم قوي موسى قلوبهم بهذا القول فصرح بما رمز
اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر فيرى الواقع منكم من العمل
حسنه وقبيحه وشكر النعم وكفرانها فان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم **قوله
تعالى** ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طايرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون لما حكى عن موسى
انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم بدا في هذه الاية بذكر ما انزله لفرعون وقومه من المحن حالا بعد حال الى ان
انتهى الى الهلاك تنبيها للمكلفين على الاحتراز عن الكفر وتكذيب الرسل خوفا من نزول هذه المحن بهم السنين جمع
السنة والسنة معنيان احدهما العام والثاني الجدب وهو خلاف الخصب وهاهنا اريد به الجدب اي اخذنا ال
فرعون بسني القحط قال صاحب الكشاف والسنة من الاسما الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها
فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا قال ابن عباس اما السنون فكانت لاهل باديتهم واهل مواشيهم واما نقص
الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون ظاهر هذا انه انما انزل عليهم هذه المضار لاجل ان يرجعوا عن طريق التمرد والعناد

الى العبودية

الى العبودية والانقياد وذلك لان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افيدة شاهده قوله
تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قيل عاش فرعون اربعماية
سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم
الحسنة اي الغيث والخصب والثمار والمواشي والرخا والسعة في الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي
مختصة بنا ونحن مستحقوها على العادة التي مرت من كثرة نعمنا وسعة ارزاقنا ولم يعلموا انه من الله فيشكروه
ويقومه بحق النعمة وان تصبهم سيئة قحط وجدب ومرض وبلا يطيروا يتشاموا والنظر
التشام بموسى ومن معه ويقولوا انما اصابتنا هذه السيئة بشوم موسى ومن معه ولولا مكانهم
لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك وانما قال فاذا جاءتهم الحسنة
لان جنس الحسنة واجب لكثرته واتساعه وانما قال وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة لان
السيئة لا تقع الا في الندرة ولا تقع الا في الشي منها ومنهم قول بعضهم قد عددت ايام البلا فهل عددت ايام
الرخا الا انما طايرهم عند الله قال ابن عباس يريد شومهم عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذي انشاها
وانشا ما يصيبهم من الحسنة والسيئة لقوله قل كل من عند الله فالطاير هاهنا الشوم قال صاحب
الكشاف يجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو علمهم المكتوب عنده الذي يجري علمهم
بما يسوهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طاير اشم من هذا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من الله وذلك لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب المحسوسة
ويقطعونها عن قضا الله وتقديره **قوله تعالى** وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين لما حكى الله عن قوم فرعون في الاية الاولى انهم بجهلهم اشتدوا حوادث
هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره حكى عنهم في هذه الاية نوعا اخر من انواع الجهالة والضلالة وهو انهم
لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لموسى مهما ما في مهما هي المضمنة معنى الجزا ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة
للجزا في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الف قلبت هاء استثقالا
لتكرير المتجانسين وقيل انه مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزا كانه قيل الف ما تاتنا به ومحل
مهما الرفع بمعنى ايما شي تاتنا به او النصب بمعنى ايما شي تحضر بانا تاتنا به من اية تبين لهما والضمير ان
في به وبها راجعان الى مهما ذكر احدهما على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية قال صاحب
الكشاف وهذه الكلمة في عدد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها
ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جيتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في
شي ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من انه بمعنى الوقت ملحد في ايات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله

بما يوجب الحشو بين الناظر في كتاب سيبويه من اية سموها اية اعتبارا لتسميته وقصدوا بذلك الاستهزا
والتلهي قال ابن عباس ان القوم قالوا لموسى مهما اتيتنا به من اية فهي عندنا من باب السحر ونحن لا نؤمن لك وكان
موسى عليه السلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فارسل الله عليهم الطوفان الدايم
ليلا ونهارا سبتا الى سبت والطوفان ما طاف بهم وعليهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله
عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرايل وبيوت للقبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا
في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرايل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث
والبنا والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وقيل الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هم
الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا الطوفان ونحن نؤمن لك ونرسل معك بني اسرايل
فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرايل وعادوا كما كانوا فانبت الله لهم تلك
السنة من الكلا والزرع ما لم ينبته لهم قبل ذلك واعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا الذي كنا نتمنى
وما كان هذا الا نعمة علينا وخصبا فاقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زرعهم وثمارهم واوراق
الشجر وانواع الزهر حتى ان كانت لتاكل الابواب وسقوف البيت والخشب والنبات والامتعة ومسامير الابواب
من الحديد حتى يقع دورهم وابتلي الجراد بالجوع فجعلت لا تشبع غير انه لا يدخل بيوت بني اسرايل ولا يصيبهم من ذلك
شيء فعجزوا وضجوا وفزعوا الى موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرايل فاعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى وكشف الله عنهم بعد سبعة ايام روي ان موسى برز الى
الفضا فاشار بعصا نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها وكان قد بقيت من زروعهم وغلاتهم
بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم القمل وهو الحمنان
في قول ابي عبيدة كبار القردان وهو اولاد الجراد قيل بنات اجنحتها وقيل البراغيث وقيل السوس روي انه امر
موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب ابيض من قرى مصر يدعى عين الشمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب كان
اهيل عظيما فضربه بعصاه فابتال عليهم قملا فيتبع ما بقي من حروثهم واشجارهم ومائهم ولحس الارض كلها كان
يدخل على الكفار من بين بيوت احدهم وبين جلده فيعضه ويمصه وكان ياكل احدهم الطعام فيمتلي قملا و
كان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منه الا يسيرا فلم يصابوا ببلاء اشد عليهم من القمل واخذت
اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلدوهم كانه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار
فلم يستطيعوا له حيلة فصرخوا وضاجوا الى موسى انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك يكشف عنا البلا
فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم من السبت الى السبت فنكثوا وعادوا لاخبث اعمالهم
فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وغرة فرعون لا نصدقك ابدا فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا

في عافية

في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم دورهم وامتلات بيوتهم واعظمتهم وافنيتهم
وابنيتهم فلا يكشف احدا ثوب ولا انا ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه
في الضفادع وهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكان يثب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويطفي نيرانهم
وكان احدهم يطبخ فتركبه الضفادع فيكون عليه ركاما حتى ما يستطيع ان ينصرف الى شقه الاخر ويفتح فاه
لاكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا
هذه المدة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ما اقام
عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم وتكذيبهم فدعا
عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما فشكوا الى فرعون وقالوا
انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا من الماء
شيا الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرايلي على انا واحد فيكون ما يلي الاسرايلي ماء وما يلي
القبطي دما ويستقيان من ماء فيخرج للقبطي الدم وللاسرايلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرايلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشرف على الهلاك فكان يمص الاشجار
الرطبة فاذا مضغها صار ماوها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الذي سلط الله عليهم كان الرعاف
فاتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرايل فدعا
ربه فكشف فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرايل ايات نصب على الحال مفصلات مبينات ظاهرات
لا يشكل على عاقل انها من ايات الله لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم وقيل مفصلات
يتبع بعضها بعضا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين روي ان موسى عليه السلام مكث في ال فرعون
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات **قوله تعالى** ولما وقع
عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك
ولنرسلن معك بني اسرايل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قيل الرجز
الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وقيل الطاعون وهو العذاب السادس بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهد ربك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا
الى ما نطلب اليك من الدعا لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا ربك متوسلا اليه
بعهده عنده واما ان يكون قسما مجابا لنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حده من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم
من الاهمال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما فلما كشفنا عنهم الرجز فاجوا النكث
وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا **قوله تعالى** فانتقمنا منهم فاغرقناهم

في اليم بانهم كذبوا بايتنا وكانوا عنها غافلين اى لما كشف عنهم العذاب من قبل مرات ولم يسمعوا عن
كفرهم ثم بلغوا الاجل الموقت انتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو بحيرة الر
ومعظمه واشتقاقه من اليتيم لان المنتفعين به يقصدونه انهم كذبوا بايتنا اى كانوا اغرافهم
بسبب انهم كذبوا بايتنا وكانوا عن ايتنا غافلين لانهم كانوا لا يعتبرون بالايات التي ترول بهم

قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرايل كانوا يستضعفهم فرعون
وقومه بذبح الابناء واستخدام النساء والسخر والاسبعاد ومشارق الارض ومغاربها يعني مصر
والشام التي باركنا فيها بالماء والاشجار والثمار والخصب وسعة الارزاق ملكها بنو اسرايل
بعد الغراعنة والعمالقة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده اياهم بالنصر والتمكين ودل قوله ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى ثابتا لاحسن صفة للكلمة
ومعنى باست تمت على بني اسرايل صبرهم على دينهم وحبسك بدعائهم الصبر ودوام الاعلى ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله
بالصبر وانتظار النصر من الله له النصر وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله بل الانسان
ومعنى خف طش جزعا وقل صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر ودمرنا اهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من
العمارات وبنا القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وقيل من الثمار والاعناب وقيل سوت السوت
والقصور والمساكن المشيدة المرفوعة في السماء يصرح هامان وعيني وكان عنهم غير معروف قرا ابن
عامر بضم الراء والباقون بالكسر هذا اخر ما قصص من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم باليات الله وظلمهم ومعاصيهم
ثم اتبعه انتصاص بني اسرايل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون واستعباده ومعاسهم الايات
العظام ومجاوزتهم البحر من طلب رويه الله جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال
الانسان وانه تاره وصفه كلوم كفار جهول كفور والا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور.

وليسل رسول الله صلى الله عليه وما راى من بني اسرايل بالمدينة **قوله تعالى**
وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم
الهة قال انكم قوم تجهلون ان هاولا مدمر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون حاوزنا قطعنا ببني
اسرايل البحر وقومه وصام موسى يوعيد شكرا لله فاتوا قروا على قوم يعكفون يعمرون قرا حمزة
والكسائي يعكفون بكسر الكاف والباقون بالضم على اصنام لهم اى يواظبون على عبادتها ولا يزولون
عنها حيث كانت لهم تماثيل بقر ودلك اول شان العجل وقيل كانوا اولاد العوم من لخم وقيل كانوا من

الكنعانيين الذين مر موسى عليه السلام بصالهم قال بنو اسرايل لما راوا دلك يا موسى اجعل لنا الها صنما
وثنا لا نعكف عليه كما لهم الهة قال موسى لهم انكم قوم تجهلون عظمة الله ونعمته ومرتبته تعجب من قولهم على
اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى ووصفهم بالجهل المطلق واكده لانهم في محل اعظم مما راى منهم وما كانه
للكاف وكد وقعت الجملة بعدها وعن علي ان هودا قال لما اختلفتم بعد نبيكم قبل ان تحف ماوه فقال علي رضي الله
عنه قلتم اجعل لنا الها والكاف اقدامكم ان هاولا اى القوم الذين يعكفون على اصنام متبر هالك ومفسد ما هم
فيه من قولهم انا متبر اذا كان مضمحلا ومعنى الاسلام اذهب الى راى تبر الله وهدم دينهم الذى هم عليه على يدى
ويحطم اصنامهم هدم ونتركها رضاضا وباطل مضمحل زايل اى ما عملوا شيا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل
لا ينفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي القاع ها ولا
اسما لان تعديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبر الها وهو عبادة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه وانه لا

قوله تعالى
بعد وهم البتة وانه له ضربة لازب لتحدرهم عاقبة ما طلبوا وبعض الهم ما احبوا
قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين انه تعالى حكى عن موسى السلام انهم قالوا له اجعل لنا الها
كما لهم الهة ذكر في جوابهم وجوها كثيرة منها حكمه عليهم بالجهل فقال انكم قوم تجهلون ومنها انه قال ان هاولاء
متبر ما هم فيه اى سبب للخسران والهلاك ومنها انه قال وباطل ما كانوا يعملون اى هذا العمل لشاق لا بعد هم
قفعا في الدنيا والدين ومنها ما ذكر في الاية من التعجب منهم على وجه الانكار والتوبيخ فقال اغير الله اغير المنجي والمسبغ
للعباده لطلب لكم معبودا وهو فضلكم ودون غيره على عالمي زمانكم وحصكم بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتحصوا
بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الجهل الانكار والتعجب من طلبهم مع دوام معدودين في نعمة الله عبادة غير الله

قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اعلم ان فايدة ذكر هذه الاية في هذا الموضع مع انها مذكورة في سورة البقر

قوله تعالى
انه تعالى هو الذى انعم عليهم بهذه النعمة العظيمة فكيف يليق بهم الاستعمال بعباده غير الله
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قرا ابو عمرو ووعدنا واليمون وواعدنا الالف على المفاعلة
روى ان موسى عليه السلام وعد بني اسرايل وهو عصران اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه سان
ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامر بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما
اتم للثلثين انكر خلوفه فتسوك فقالت الملايكة كنا شم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسوال وروى
انه تعالى اوحى اليه اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فامر الله تعالى ان يزيد عليها
عشرة ايام من الحجة لذلك وقيل امر الله تعالى ان يصوم للثلثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه من الله تم
انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ها هنا

وفايده قوله اربعين ليلة بعد قوله واتممناها بعشر ازالة لتوهم ان ذلك العشر من الثلثين لانه يحتمل
اتممناها بعشر من الثلثين كانه كان عشرين ثم انه تممه بعشر فصار ثلثين فازال هذه الايهام وميقات
ربه ما وقت له من الوقت وضربه له قيل الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال
والوقت وقت للشي قدره مقدر ام لا واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغاء هذا العدد وهارون عطف
بيان لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي في قومي واصلح وكن مصلحا اي واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني
اسرايل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه والمقصود من هذا الامر التاكيد فان هارون كان
نبيا والنبي لا يفعل الا الاصلاح **قوله تعالى** ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب
ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
وحددنا ان نكلمه فيه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون
من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك قال الامام دلت الاية على انه تعالى كلم موسى والناس مختلفون
في كلام الله فمنهم من قال كلامه عبارة عن الحروف المولفة المنتظمة ومنهم من قال كلامه صفة حقيقية مغايرة
للحروف والاصوات اما القايلون بالقول الاول فالعقلاء والمحصلون اتفقوا على انه يجب كونه حادثا كاينا بعد ان لم
يكن وزعم الحشوية ان الكلام المركب من الحروف والاصوات قديم وهذا القول احسن من ان يلتفت اليه العاقل
وللناس مذهبان في محل تلك الحروف والاصوات الحادثة فذهبت الكرامية الى ان محلها ذات الله وذهبت المعتزلة
الى ان محلها جسم مباين لذات الله كالشجرة وغيرها واما القايلون بالقول الثاني وهو ان كلام الله صفة مغايرة
لهذه الحروف والاصوات فهم اكثر اهل السنة والجماعة وقالوا تلك الصفة ازلية ثم اختلفوا في الشي الذي
سمعه موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا وكما لا يبعد روية الله مع ان ذاته ليس
جسما ولا عرضا فكذا لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون حرفا ولا صوتا وقال ابو منصور الماتريدي الذي
سمعه موسى عليه السلام اصوات مقطعة وحروف مولفة قايمة بالشجرة فاما الصفة الازلية التي ليست
بحرف ولا صوت فلذلك لم يسمعه موسى عليه السلام فهذا تفصيل مذاهب الناس في سماع كلام الله والاولى
ان يعتقد ان موسى عليه السلام سمع كلام الله ويسكت عن الكلام في كيفية سماعه واختلفوا في انه تعالى
كلمه وحده او كلمه مع اقوام اخرين فظاهر الاية يدل على الاول وقيل بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله لان
الغرض باخطارهم ان يخبروا قوم موسى عليه السلام عما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام
وايضا فان تكليم الله مع موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام فلا بد من ظهور هذا
المعنى لغيره روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة
وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في الاربعين قال رب ارني قال المفسرون ان موسى عليه السلام وطهر ثيابه لمعاودته

فلما اتى

فلما اتى موسى طور سينا كلمه ربه واختاره واردناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى كلامه فاشتاق الى
رويته وطمع فيها فقال رب ارني انظر اليك قال ابن عباس اعطني انظر اليك فقال الله عز وجل لن تراني وليس
لبشر ان يطيق النظر الي في الدنيا فمن نظر الي مات قال موسى الهي سمعت كلامك واشتقت الى النظر اليك
ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك فقال تعالى له انظر الى الجبل وهو اعظم جبل بمدين
يقال له زبير فلما سمعت الجبال ذلك تعاكست رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينهن فلما راى الله
تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلي وتمسكت نفاة الروية بهذه الاية وقد استوفى البحث فيها في سورة البقرة
فلا فايدة في تكرار ما قيل ومعنى الاية لن تراني في الدنيا وتراني في العقبى وقيل قوله ارني انظر اليك لا يقع على
الاخرة لان موسى لم يقل ارني انظر اليك في الاخرة انما ساله الروية في الدنيا فاجيب عما سال ولا حجة فيه لمن انكر
الروية وقيل معنى قوله لن تراني لا تقدر ان تراني وقيل معناه لن تراني بعين فانية وانما تراني بعين باقية وقيل
لن تراني قبل محمد صلى الله عليه وسلم وامته قيل لن تراني بالسوال والدعا وانما تراني بالنوال والعطا لان الله
تعالى لو اعطاها اياه بسواله لكانت الروية مكافا السوال ولا يجوز ان يكون فعله مكافاة فعل عبده وقيل معناه
بالعين التي ركبت بها عدوي وذلك ان الشيطان تراءى له ووسوس اليه فقال له يا موسى اما تعلم ان روية
الخبيث والعدو لا يجتمعان في حال واحد ومكان واحد وزمان واحد وقيل لو كان سوال موسى عليه السلام
الروية ممتنعا لما اقدم عليه نبي الله موسى مع علمه ومعرفته بالله كما لم يجز ان يساله لنفسه صاحبه ولا ولدا قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز
عليه وما لا يجوز وسعالته عن الروية التي هي بعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض
فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه
قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي قوله تضل من تشاء فتبرا
من فعلهم ودعاهم سفها سفها وضلالا قلت ما كان طلبه الروية الا لسكت هاولاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا
وتبرا من فعلهم ليلقهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الروية انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم
وقالوا لا بد وان نومن لك حتى نرى فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا
ويزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال ارني انظر اليك فان قلت فهلا قيل ارهم ينظرون اليك قلت
لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته
فينصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه
اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له ان يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار
ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او يخاطب عليه راجعا اليهم وقوله ارني انظر اليك وما فيه من معنى
المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترجمه عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجعل صاحب

الحمل ان يجعل الله تعالى منظورًا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرف في معرفة الله من
واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين واعلم ان هذه الاية
دالة على جواز روية الله تعالى من وجوه منها ان موسى عليه السلام سال الروية ولا شك ان موسى
عليه السلام كان عالما بما يجب ويجوز ويمتنع على الله فلو كانت الروية على الله تعالى والمعتزلة قالوا في
ذلك اقوالا اربعة احدها ان موسى ما عرف ان الروية غير جايزة على الله تعالى ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون
عارفا بربه وبعدله وتوحيده فلا امتناع في تعريف العلم بامتناع الروية على السمع وهذا القول في غاية السقوط
وشانه من وجهين الاول ان العقلا اجمعوا على ان موسى كان اعلم بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه
من اراذل المعتزلة والمعتزلة مع بلادتهم وعوامهم عالمون بامتناع الروية على الله فهو اقل معرفة بالله من
كل واحد من المعتزلة وذلك باطل بالاجماع الثاني ان المعتزلة يدعون العلم الضروري بان ما من
شانه ان يكون جسمًا او عرضًا قايمًا به فاما ان يقال ان موسى عليه السلام حصل له هذا العلم اولا والاول
يستدعي تجويزه ان يكون جسمًا او عرضًا قايمًا به وتجويز هذا كفر عند المعتزلة فيلزمهم جواز كفره ولا يجوز
ذلك عاقل والثاني يلزم ان لا يكون موسى عالما بجميع العلوم الضرورية فيلزم الحكم بانه عليه السلام ما كان
كامل العقل بل كان مجنونًا وذلك كفر بالاجماع وثاني القول انه عليه السلام انما سال الروية لقومه لا لنفسه
وهذا ايضا ساقط وبيانه من وجهين الاول انه لو كان كذلك لقال ارهم ينظروا اليك ولقال تعالى لن تراني
والثاني انه لو كان كذلك لمنعهم عنه كما انهم لما قالوا اجعل لنا الهًا كما لهم الهة منعهم عنه بقوله انكم قوم تجهلون
وكان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اقامة الدلايل القاطعة على انه تعالى لا يجوز رؤيته وان يمنع قومه
بالدلايل القطعية عن هذا السوال وايضا هولا الطالبون للروية ان كانوا امنوا بنبوة موسى كان كفاهم
في المنع عن هذا السوال الذي ذكره موسى وان لم يومنوا بنبوته فلا فايدة في هذا الجواب لانهم كانوا يقولون
لا نسلم ان الله تعالى منع من الروية بل هذا قول افتريته وثالث الاقوال ان موسى عليه السلام سال ربه
المعرفة الضرورية ومنهم من يقول سال اظهار الايات الباهرة التي عندها يزول الخواطر والوساوس عن
معرفته وهو باطل وبيان بطلانه من وجوه الاول انه تعالى اراه من الايات ما لا غاية بعدها كالعصا
واليد البيضا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واظلال الجبال فلا يتصور بعدها طلب اية قاهرة
والثاني انه عليه السلام كان يتكلم معه بلا واسطة فكيف يليق به ان يقول اظهر لي اية تدل على انك
موجود والثالث انه لو كان المطلوب انه يدل بها على وجوده لاعطاه اياها كما اعطاه ساير الايات ولكان لا معنى
لمنعه عن ذلك ورابع الاقوال المقصود من هذا السوال ان يذكر تعالى من الدلايل السمعية ما يدل على امتناع
رويته حتى يتاكد الدليل العقلي بالسمعي وهو بعيد لانه لو كان المراد ذلك لكان الواجب ان يقول اريد بالهي ان تقوي
امتناع رويتك بوجوه زايدة على ما ظهر في العقل وحيث لم يقل ذلك بل طلب الروية علم ان هذه الاقوال باطلة

ومن

ومن الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على انه تعالى جايز الروية قوله تعالى لن تراني لانه
لو كان الروية ممتنعة لقال لن ارى الا ترى انه لو كان في يد رجل حجر فقال له انسان ناولني هذا لاكله فانه
يقول له هذا لا يوكل ولا يقول له لا تاكل ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال له لا تاكلها اي هذا مما يوكل ولكنك
لا تاكله فلما قال لن تراني ولم يقل لا ارى علمنا ان هذا يدل على انه تعالى جايز الروية ومن الوجوه المستنبطة
من هذه الاية انه تعالى علق رويته على امر جايز فيلزم كون الروية في نفسها جايزة وانما قلنا انه تعالى
علق رويته على امر جايز هو انه تعالى علق رويته على استقرار الجبل بدليل قوله فان استقر مكانه فسوف
تراني واستقرار الجبل امر جايز الوجود في نفسه واعلم ان استدلال المعتزلة على امتناع الروية واعتراضاتهم
على القول بصحة الروية والجواب عنها قد ذكر في سورة البقرة والانعام وعلم فساد ما قاله صاحب الكشاف
فلا يحتاج الى ذكرها ههنا وارجع الى تفسير الاية قوله ارني مفعوله محذوف اي ارني نفسك انظر اليك
قال الامام وفي لفظ الاب سوالات للاول النظر اما ان يكون عبارة عن الروية او عن مقدمتها وهي تقليب الحدقة
الى جانب المرئي التماسًا لرويته وعلى التقدير الاول كون المعنى ارني حتى اراك وهذا فاسد وعلى التقدير الثاني
يكون المعنى ارني حتى اقلب الحدقة الى جانبك هذا فاسد لوجهين احدهما انه يقتضي اثبات الجهة لله والثاني
ان تقليب الحدقة الى جهة المرئي مقدمة الروية فجعله كالنتيجة عن الروية فاسد والجواب قوله ارني معناه
اجعلني متمكنًا من الروية حتى انظر اليك واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون
مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة للروية كان المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه
السوال الثالث كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب المقصود منه تعظيم امر
الروية وان كان احدًا لا يقدر على روية الله الا اذا قواه لمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي والروية
للجبل ابدل وتفرق فهذا هو من هذا الوجه يدل على تعظيم امر الروية فلما تجلى ربه للجبل اي فلما ظهر وبان ومنه
يقال جلوت العروس اذا ابرزتها وجلوت المراة والسيف اذا ازلت ما عليه من الصدا وقوله جعله دكًا
اي مدكوكًا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وخر موسى صعقًا
وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقه فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاعقة من صعقه
اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه كالموت روي ان الملايكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا
يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في روية رب العزة وهذا يدل على ان طلب الروية
من عنده لا من عند قومه ويدل ايضا على ان الروية جايزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك تنزيها
لك عما يقول الظالمون علوا كبيرًا تبت اليك من سوال الروية بغير اذنك وفي الدنيا وانا اول المومنين بانك لا ترى
في الدنيا عن بعض المحققين تبت اليك عن الانبساط في شي لا تحتمله بنيتي وانا اول المومنين انك لا ترى في الدنيا
لاني انزل من سوالك الروية **قوله تعالى** قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي

وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين لما طلب موسى الرؤية ومنعه الله عدد عليه وجوه نعمه
العظيمة التي له عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظيمة
كذا وكذا فلا تضعفن صدرك بمنع الرؤية وانظر الى ساير انواع النعم التي خصصتك واشتغل بشكرها
والمقصود لتسلية موسى عن منع الرؤية والاصطفا استخلاص الصفوة التي اتخذتك صفوة على الناس اي
اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي وهو اسفار التورية وبتكليمي اياك قرا ابن كثير ونافع برسالاتي
على الواحد والباقون على الجمع فخذ ما اتيتك اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك
فهي من اجل النعم ولا يضيق قلبك بسبب منع الرؤية **قوله تعالى** وكتبنا له في الالواح من
كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين
لما بين انه اصطفى موسى بالرسالة ذكر في هذه الاية تفصيل تلك الرسالة روي انه خر موسى صعقا
يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر قيل ان الالواح عشرة وقيل سبعة وقيل لوحين وقيل انها من زمرد اخضر
وياقوت حمرا وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه من كل شيء
كان بنو اسرايل يحتاجون اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا
وموعظة وتفصيلا بدل منه ولما بين ذلك قال لموسى خذها بقوة اي فعلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز
ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير يجدها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشيا ومعنى بقوة بجد
وعزيمة قوية ونية صادقة فعل اولي العزم من الرسل ثم امر قومه بان ياخذوا باحسنها اي فيما هو حسن
واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو داخل في
الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه
احسن من المباح وقيل ياخذوا بما هو مامورين به دون ما نهوا عنه كقوله الصيف احر من الشتاء
ساريكم دار الفاسقين قيل المراد التهديد والوعيد على مخالفة امر الله ودار الفاسقين هي جهنم
اي فليكن ذكر جهنم حاضرا في خاطركم لتحذروا ان تكونوا من اهلها وقيل دار فرعون وقومه وهي مصر كيف
اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد
وثمود والقرون الذي اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل سادخلكم الشام واريكم منازل
الكفار الذين كانوا متوطنين فيها من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها وما صاروا اليه من النكال وقيل
المراد البشارة والوعد بانه تعالى سيرزقهم ارض اعدائهم وديارهم **قوله تعالى**
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين ذكر في الاية المتقدمة ساريكم دار الفاسقين وذكر في هذه الاية ما يعاملهم به قبل حكم الاية لاهل

مصر خاصة

مصر خاصة ويعني بقوله اياتي الايات التي اعطاها الله موسى وقيل هي عامة عن اياتي عن خلق السموات
والارض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والنبات وغيرها اصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقيل امنع
قلوبهم عن التفكر في امري وقيل احرمهم فهم القران عن ذي النون المصري ابا الله ان يكرم قلوب الظالمين
يمكنون حكمة القران وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها
السحرة فابى الله الا علو الحق واسكاتهم الباطل وقيل ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بهما
وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها
لئلا يكونوا مثلهم فيسلك به سبيلهم بغير الحق قيل هو حال يعني يتكبرون غير محققين لان التكبر بالحق
لله وحده وقيل صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وقيل اظهار التكبر على الغير
قد يكون بالحق فان للمحق ان يتكبر على المبطل وفي الكلام المشهور التكبر على المتكبر صدقة وان يروا كل اية من الايات
المنزلة عليهم لا يومنوا بها والضمير المرفوع في يروا عائد الى المتكبرين وان يروا سبيل الرشد قرا حمزة والكسائي
بفتح الشين والراء وهو في الدين قال الله تعالى مما علمت رشدا والباقون بضم الراء وهو الصلاح قال الله
تعالى فان انستم منهم رشدا اي صلاحا وسبيل الرشد سبيل الهدى والدين الحق والصواب في العلم
والعمل لا يتخذوه سبيلا اي اعرضوا عنه وتركوه وان يروا سبيل الغي الذي هو يضاد الرشد يتخذوه
ياخذوا به ويسلكوه ففاعل ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع على انه مبتدا او في محل النصب على انه
مفعول مطلق اي ذلك الصرف وصرفهم الله ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وكونهم غافلين **قوله تعالى**
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما بين
ما لاجله صرف المتكبرين عن اياته بقوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين بين حال هؤلاء
المكذبين فقد يجوز ان يظن انهم مختلفون في باب العقاب لان فيهم من يعمل بعض اعمال البر فبين ان
حال جميعهم سواء كان متكبرا او متواضعا او كان كثير الاحسان او قليل الاحسان او عديم الاحسان
حال واحد ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم
احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة وعنى بذلك جحدهم المعاد وجراتهم
على المعاصي فبين ان اعمالهم محبطة **قوله تعالى** واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم
عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين اي من بعد
فراق موسى اياهم الى الطور من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكان بنو اسرايل في القبط بمنزلة
اهل الجزية في الاسلام وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا حلي
القبط فلما اخرجهم الله من مصر واغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا جسدا
ولد البقرة مجسدا بما روح فيه له صوت البقرة خارجون واخذه ثم لم يعد قرا حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء

وتشديد الباء والباقون بضم الخاء وانما قال واتخذ قوم موسى المتخذ هو السامري لانه رجلا منهم باشره ووجد
فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقايل والفاعل واحد منهم ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه
راضين به فكانهم اجتمعوا عليه وقيل معناه واتخذ قوم موسى عجلا حسدا له خوارا لها وعبدوه الم يروا اي الذين
اتخذوا العجل الها حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته
لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل
في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه وكانوا ظالمين واضعين كل شي في غير موضعه فلم يكن
اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم **قوله تعالى** ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا
لين لم يغفر لنا ربنا ويرحمنا لنكونن من الخاسرين اي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان
من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يديه غما فيصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند
الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقيل سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه
وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم
قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم تبينا كانهم راوه باعينهم ثم بين الله انهم عند ظهور هذا الندم وحصول العلم
بان الذي عملوه كان باطلا اظهروا الانقطاع الى الله فقالوا لين لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
هذا كلام من عرف تعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم عليه والحاصل ان هذا كلام الناس كما قال ادم وحوا
وان تغفر لنا وترحمنا **قوله تعالى** ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما
خلفتموني من بعدي اعجلتم عن امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال بن ام ان القوم
استضعفوني وكانوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي
ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ٥ قيل سمع خبرهم قبل البلوغ اليهم فان الاية تدل على انه
حال ما كان راجعا كان غضبان اسفا وهو انما كان راجعا الى قومه قبل وصوله فدل هذا على انه كان قبل
وصوله اليهم عالما بهذا الحال وقد ذكر الله في سورة طه انه اخبره بوقوع تلك الواقعة في الميقات وقيل عند هجوصه
عليهم عرف ذلك والاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين عن عائشة رضي الله
عنها ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين قال موسى بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفاي من بعدي وهذا
الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام
والمومنون معه يدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل بكان عبادة
الله على التقدير الاول او حيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر مفسر ما خلفتموني والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم قوله من بعدي اي من بعد ما رايتم مني من
توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد والفهم

عما طمحت

عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة
المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة
اعجلتم يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره وتضمن معنى سبق فتعدى تعديته
فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على
ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وعن بن عباس
اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وعن الحسن وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا له بات
على راس الثلاثين فقد مات وعن عطا اعجلتم سخط ربكم وعن الكلبي اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر
ربكم روي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال لهم هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع
وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح
التي فيها التورية ولما كان تلك الالواح من اعظم معجزاته ثم انه القاها دل ذلك على شدة الغضب وفرط
الدهش والضجر عند استماعه حديث العجل وهذا الغضب لله وكان موسى في نفسه حديدا شديد الغضب
وكان هارون الين منه جانبا قيل ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى واخذ براس اخيه اي بشعر
راسه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استقره وذهب بعطفه وطيا باخيه انه
في الكف قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ام بكسر الميم وفي طه ايضا على تقدير امي فحذف الياء
وبقي الكسرة على الميم ليدل على الاضافة والباقون بفتح الميم في السورتين تشبيها بخمسة عشر وقيل على حذف
الالف المبدلة من يا الاضافة واصله يا ابن اما قيل كان هرون اخا موسى لابيه وامه وانما اضافه الى الام
اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مومنة فاعتد
بنسبها ولانها هي التي قاسيت فيه المخاوف والشدايد فذكر بحقها اي ان القوم عبدة العجل استضعفوني يعني
انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغت طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه
ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساة الي ولا تجعلني
في مواخذتك وعقوبتك لي قرينا وصاحبا للقوم الظالمين اي عبدة العجل وقيل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين
مع براتي منهم ومن ظلمهم ولما اعتذر هرون الى موسى وذكر له شماتة الاعدا قال موسى رب اغفر لي ما صنعت الى اخي
هرون ولاخي ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه
الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهم في الدنيا
والاخرة **قوله تعالى** ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة
الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم المقصود من هذه الاية بيان حال عبدة العجل ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب

هو ما امروا به من قتل انفسهم وقيل سينال اولادهم غضب وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله
بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية لتواليهم متخذي العجل ورضاهم به وكذلك نجزي المفترين الكاذبين
على الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا به وصدقوه
بانه لا اله غيره ان ربك من بعدها السيئات لغفور ستور عليهم مخالسياتهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم
عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن دعاهم من الكافرين عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان
الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل واعظم ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة
وللانابة عن الكفر يدل على ذلك قوله وامنوا ولا يلتفت الى تاويل صاحب الكشاف حيث قال واخلصوا الايمان
الى قوله وما راوه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم **قوله تعالى**
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون لما بين
ما كان منه الغضب بين منه هذه الاية ما كان منه عند سكون الغضب ولما سكت اي سكن عن موسى
الغضب واصله الكف عن الشيء ومنه الساكت عن الكلام وقيل هذا استعارة كان هذا الغضب كان
تقربه على ما فعل وتقول له قل لقومك كذا والقى الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغر
اولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة
والمعنى وما طغى غضبه اخذ الالواح بعدما القاها وذهب ستة اسباعها وفي ما نسخ منها اي كتب والنسخة
فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وعن عطاء وفيما بقي ولم يذهب من الحدود والاحكام شيء وعن ابن عباس صام موسى
اربعين يوما فلما القى الالواح فتكسرت صام مثلها فردت عليه في لوحين مكان الكسر هدى من الضلال ورحمة
من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يخشون فيعملون بها دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت **قوله تعالى** واختار موسى قومه
سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الغافرين الاختيار افتعال من الخيار يقال اختار الشيء اخذه خيرة وخيارة قومه اي من
قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقول الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة وريحا اذا هز الرياح الزعازع
اي من الرجال قيل امر الله موسى ان ياتيه في باس من بني اسرائيل ويعتذرون اليه من عبادة العجل وعدهم
وعدا فاختار موسى موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الرجفة فماتوا وقيل ليتوبوا اليه مما صنعوا ويسالوا التوبة
على ما تركوا وراءهم من قومهم وقيل اختارهم لتمام الموعد وقيل قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام لنطلق ابن عمر
في ان الله لا يكلمك ولو كلمك ما قمت فعلامه الم تر ان طايفة منا سالوا النظر فماتوا فلا تسال ان يحضرك طائفة

مناحتى

منا حتى يكلمك فسمعوا كلامه فيؤمنوا وتذهب التهمة فاوحى الله الى موسى ان اختر من قومك سبعين رجلا
ثم ارتق بهم الى الجبل انت وهارون واستخلف على اسرائيل يوشع ابن نون ففعل كما امره الله واختار سبعين
رجلا وقيل كان السبعون ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك ان ابن عشرين قد ذهب
جهله وصباه وان من لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيئا وقيل كانوا شيوخا وقيل اختار موسى سبعين
رجلا لينطلقوا معه الى الجبل فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة
فاختار فاصبحوا شيوخا واختار من كل سبط ستة رهط فصاروا اثنين وسبعين فقال لهم موسى انما
امرت بسبعين رجلا فيتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد
رجلان احدهما كالب والاخر يوشع وامر موسى السبعين ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج
بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في
الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه يفعل ولا يفعل فلما فرغ انكشف الغمام عن موسى
فاقبل اليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وعن
ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين
الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله موسى عليه السلام ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم ووزرهم
ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا انهم قالوا اعطنا ما لم يعطه احدا قبلنا وما لم يعطه احدا بعدنا فكراه الله
ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وعن علي رضي الله عنه انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قبل
هرون وذلك ان موسى وهرون وشبين وشبين انطلقوا الى سفحة جبل فقام هرون على سرير
فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قالوا توفاه الله
قالوا له بل انت قتلته حسدا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا
وذهب بهم موسى فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن
توفاني الله فقالوا يا موسى لن نعصي بعد اليوم فاخذتهم الرجفة فصعقوا فماتوا فقال موسى يا رب ما اقول
لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم يقولون قتلتهم فاحياهم الله وجعلهم اسباطهم وعن ابن عباس انما اخذتهم
الرجفة لانهم لم يرضوا ولم ينهوا عن عبادة العجل وقيل اخذتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا
ولم يامروهم بمعروف ولم ينهوهم عن منكر وقيل لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة
اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجعوا حتى كادوا ان تبين منهم مفاصلهم وتنفض ظهورهم فلما راى ذلك موسى
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا
وبكا وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله

تعالى قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل وايای اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اى عبدة العجل
وظن موسى انهم عوقبوا بالحادثى اسرايل العجل اهلكنا استفهام استعطاف اى لا تهلكنا وقد علم
موسى ان الله اعدل من ان يواخذ بجرم الجانى غيره ولكنه لعل عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ان هى
الا فتنتك وابتلاوك تضل بها من تشاء اى لا تهدى بهذا الامتحان الى الجنة والثواب بشرط
ان لا تومن او ان امن لا تصبر عليه وقيل المراد بالاضلال الاهلاك والمعنى تلك من تشاء هذه الرجفة
وتصرفها عمن تشاء وقيل لما كان هذا الامتحان كالسبب فى هداية من اهتدى وضلال من ضل
جاز ان تضاف اليه والحق ان يقال المعنى ان تلك الفتنة التى وقع السفهاء لم تكن الا فتنتك اضللت
بها قوما فافتتنوا وعصمت قوما عنها فثبتوا على الحق ثم اكد سبحانه ان الكل من الله فقال تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء لا ولى لنا ولا ناصر ولا هادى الا انت فاغفر لنا اى ان اقدامه على قوله ان هى الا
فتنتك جراة عظيمة وطلب من الله غفرانا او التجاوز عنها وانت خير الغافرين معناه ان كل ما سواه
انما تجاوز عن ذنب اما طالبا للثنا الجميل او الثواب الجزيل او دفعا للرقة عن القلب وبالجملة فذلك
الغفران يكون لطلب نفع او لدفع ضرر واما انت فتغفر الذنوب لا لطلب عوض وعرض بل بمحض الفضل
والكرم فى جنب القطع يكونه خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة
وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون
ويوتون الزكوة والذين هم بايتنا يومنون هذا من بقية دعا موسى عليه السلام عند مشاهدة الرجفة
قرا ولا انه لا ولى الا الله وهو قوله انت ولينا ثم ان المتوقع من المولى دفع الضرر وتحصيل النفع
فبدا بطلب دفع الضرر فقال فاغفر لنا وارحمنا لان دفع الضرر مقدم ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع
فقال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة وتوفيقا فى الطاعة وفى الاخرة الجنة انا
هدنا اعلم ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر
اثار كرمه والهسه واشتغال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الاشيا فذكر
السبب الاول وهو كونه تعالى وليا له وفرع عليه طلب هذه الاشيا ثم ذكر بعده السبب الثانى
وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال انا هدنا اليك اى تبنا والهود التوبة وانما ذكر هذا السبب
ايضا لان السبب الذى يقتضى حسن طلب هذه الاشيا ليس الا مجموع هذين الامرين كونه الها ورب
ووليا وكونا عبيدا لله تاسين خاضعين خاشعين فالاول عند عزة الربوبية والثانى عند ذلة العبودية
فاذا حصلا واجتمعا فلا سبب اقوى منهما قال عذابى اعذب به من اشاء وليس لاحد ان يعترض عليه
ورحمتى قيل رحمته فى الدنيا عم الكل واما فى الاخرة فهى مختصة بالمومنين واليه الاشارة بقوله فساكتبها
للذين يتقون وقيل الوجود خير فالموجود الا وقد وصل اليه رحمته واقل المراتب وجوده وقيل الخير

مقصود

مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض واما بالذات راجح غالب وما بالعرض مرجوح مغلوب
وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حى الا وقد خلقه الله للرحمة واللذة والخير
لانه ان كان مستحقا او متمكنا من الانتفاع فهو برحمة الله من وجهات كثيرة وان حصل هناك
المرفه الا عواض الكثيرة وهى من نعمة الله ورحمته فلهذا السبب قال ورحمتى وسعت كل شىء
وقال اصحابنا ورحمتى وسعت كل شىء من العالم الذى اريد به الخاص كقوله واوتيت من كل شىء فساكتبها
هذه الرحمة للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بايتنا يومنون واعلم ان التكاليف منحصرة فى
النزوك والافعال وهى اما متوجهة الى ماله واما متوجهة فقوله يتقون اشارة الى الاول وهى الترك
والانقطاع عما نهى الله عنه والثانى الزكوة واليه الاشارة بقوله ويوتون الزكاة والثالث يدخل فيه ما يجب
على الانسان عملا وهو المعرفة الحاصلة للقلب وعملا وهو الاقرار باللسان والعمل بالاركان ويدخل
فيها الصلاة والى هذا المجموع اشارة بقوله والذين هم بايتنا يومنون قوله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت
عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون لما بين
ان من يكتب له الرحمة فى الدنيا والاخرة المقوى وايتا الزكوة والايمان بالايات ضم الى ذلك ان يكون
من صفته اتباع النبى الامى الرسول الذى يوحى الله كما يامحمد صابه وهو القران النبى صاحب المعجزات
الامى الذى هو على صفة امة العرب قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب فالعرب
اكثرهم ما كانوا يكتبون وما كانوا يقرون والنبى عليه السلام كان كذلك فلهذا السبب وصفه بكونه
اميا وكونه اميا هذا المفسر من جملة معجزاته الدالة على صحة نبوته لانه عليه السلام لما نشا بين
قوم امیين لا يقرون ولا يكتبون ولم يتعلم من احد منهم ثم اتى بهذا القران المشتمل على علوم
كثيرة من علوم الاولين والاخرين علم بالضرورة ان ذلك لا يكون الا بالوحى والتنزيل من الله تعالى
وقوله مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف يحتمل ان يكون استيناقا ويحتمل ان يكون المعنى
انه مكتوب عندهم فى التوراة والانجيل انه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم ما حرم عليهم
من الاشيا الخمسة كالشحوم وغيرها او ما طاب فى الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما
خلى كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما استخبث من نحو الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به او ما حبث فى الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم ثقله الذى يابص
صاحبه اى يحبسه من الحال لثقله وهو مثل لفعل تحملفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة
توبتهم والاغلال مثل لما كان فى شرايعهم من الاشيا الشاقة نحو توبة العمد قتل الخطا او العمد
من غير شرع الدية وقطع الاعضا الخاطية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم
العروق فى اللحم وتحريم السبت وغير ذلك كانت بنو اسرايل اذا اقامت صلى لبسوا المسوح وغلوا ادبارهم

الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه
على العبادة ولما وصف محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات قال بعده فالذين امنوا به اى اليهود وعزروه
منعوه حتى لا يقوى عليه عدو واصل العزرة المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لانه منع معاودة
القبيح ونصره على عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى انزل مع نبوته لان الاستثنا كان مصحوبا
بالقران مشنوعا به وقيل معه معلق باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته
وبما امر به ونهى عنه وقيل معناه واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه اولئك هم المفلحون
الفايزون بالمطلوب فى الدنيا والاخرة **قوله تعالى** قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى
الامى الذى يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون لما قال فساكتبها للذين يتقون ثم بين
انه من شرط حصول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين للرسول النبى الامى حقق فى هذه الاية
رسالته الى الخلق بالكلية قيل بعث كل رسول الى قوم خاصة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم الذى له ملك السموات والارض محله النصب
باضمار اعنى وهو النصب على المدح ويجوز ان يكون محله على الوصف ولا خلل لان يخلل قوله اليكم جميعا
بين الموصوف والصفة وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التى هى له ملك السموات والارض
ولذلك يحيى ويميت فى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من تلك العالم كما هو الاله على الحقيقة
وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحيا والاماتة الا هو فامنوا بالله
لما بين اولا ان القول ببعثة الانبيا والرسل امر جايز اردفه بذكر ان محمدا رسول حق من عند الله
فاما من حاول اثبات مطلوب وجب عليه ان يبين جوازه اولا ثم حصوله ثانيا ثم بدا بقوله فامنوا
بالله لانا بينا ان الايمان بالله اصل والايمان بالنبوة والرسالة فرع عليه والاصل يجب تقديمه
فلهذا السبب بدا بقوله ثم اتبعه بقوله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وهذا اشارة الى ذكر
المعجزات الدالة على كونه نبيا حقا بيانه ان معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوعين
الاول المعجزات التى ظهرت فى ذاته المباركة واشرفها وافضلها انه كان رجلا اميا لم يتعلم من استاد
ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة احد من العلما لانه ما كانت مكة بلدة العلما وما غاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن مكة غيبة طويلة يمكن ان يقال ان فى تلك الغيبة يتعلم العلوم الكثيرة ثم انه مع ذلك فتح الله
عليه باب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القران المشتمل على علوم الاخرين والاولين فكان ظهور هذه العلوم
العظيمة عليه مع انه كان رجلا اميا لم يكن استادا ولم يطالع كتابا من اعظم المعجزات واليه الاشارة
بقوله النبى الامى والثانى من معجزاته الامر التى ظهرت عليه مع انه كان رجلا اميا لم يكن استادا

ولم يطالع

ولم يطالع كتابا من اعظم المعجزات مثل انشقاق القمر ونبوع الماء من بين اصابعه وهو يسمى بكلمات الله الا ترى
ان عيسى عليه السلام لما كان حدوثه خارقا للعادة سماه الله كلمة فلذلك المعجزات لما كانت امورا غريبة خارقة
للعادة لم يبعد تسميتها كلمات الله والى هذا اشار بقوله يومن بالله وكلماته اى يومن بالله وبجميع المعجزات التى
اظهر الله عليه فهذا الطريق اقام الدليل على كونه نبيا صادقا من عند الله ولما ثبت بالدلايل القاهرة التى
قررت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يذكر عقيب الطريق الذى يمكن به معرفة شرعه
على التفصيل وما ذاك الا بالرجوع الى اقواله وافعاله واليه الاشارة بقوله واتبعوه وهذا يدل على انه يجب
الانقياد له فى كل ما امر ونهى ويجب الاقتدا به فى كل ما فعل الا ما خصه الدليل فان الاتباع يتناول الاتباع
فى القول والفعل اما القول فهو ان يمتثل المكلف كل ما يقوله فى طرفى الامر والنهى والترغيب والترهيب
والاتباع فى الفعل هو الاتيان بمثل ما اتى به المتبع على الوجه الذى اتى به لعلكم تهتدون **قوله
تعالى** ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما وصف الرسول وذكر انه يجب على
الخلق اتباعه ذكر ان فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه وهم المومنون التائبون من بنى اسرايل قيل
لما ذكر الذين تولوا منهم فى الدين وارتابوا حتى اقدموا على عبادة العجل ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين
يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون
وقيل اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وامن به من اعقابهم وقيل ان بنى اسرايل لما
قتلوا انبياهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق
بينهم وبين اخوانهم ففتح الله نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من ورا الصين وهم
هنالك حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة
الاسرا ونحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا به وقالوا
يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمدا فليقرا عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلاة
والسلام السلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكوة
وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت **قوله تعالى**
وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون المقصود من هذه الاية ذكر
نوعين من احوال بنى اسرايل احدهما انه تعالى جعلهم اثنى عشر سبطا وقد تقدم هذا فى سورة البقرة
والمقصود انه تعالى فرق بنى اسرايل اثنى عشر فرقة لانهم كانوا من اثنى عشر من اولاد يعقوب فميزهم
وفعل بهم ذلك لئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج فقوله وقطعناهم اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض

ميزناهم قطعا

لعله الا لغة بعضهم اثنى عشرا سباطا كقوله اثنتى عشرة قبيلة فوضع اسباطا موضع قبيلة وكل قبيلة
اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة انما بدل من اثنى عشرا ى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت
امة عظيمة وجماعة كثيفها لعدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تحادا تألف وثانيهما
قوله واوحينا الى موسى اذ استسقاه وقد تقدم ذكرها فى سورة البقرة فانبجست فانفجرت يقال
بحست الماء فانبجس اى فجرته فانبجس والانبجاس والانفجار والانبساح سعة وكثرة قوله كل اناس نظير قوله
اثنى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم اثنى عشر وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه
وكلوا واشربوا ومما ظلمونا فيه حذف لان هذا الكلام انما يحسن ذكره لو انهم تجدوا ما امرهم الله به وذلك اى قلنا كلوا واشربوا
يأبى تعالى اقدموا على الاكل فى وقت منعهم الله عنه او سألوا غير ذلك مع ان الله منعهم منه ولا شك ان
المحلف اذا ارتكب المنهى عنه فهو ظالم لنفسه فلذلك وصفهم الله به وبنه بقوله وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وذلك لان المحلف اذا اقدم على المعصية فما اضر الا نفسه حيث سعى فى صيرورة
نفسه مستحقة للعقاب **قوله تعالى** واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا
منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذا القصص مذكورة فى
سورة البقرة اى واذكر اذ قيل لهم ولا باس بالحلاف بين اى التى فى سورة البقرة والتى هنا
اذ لم يناقض فلا تناقض فى قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها فقد جمعوا فى الوجود بين سكناها والاكل
منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فانهم جامعون فى الاتحاد بينهما وترك ذكر الوعد لا ينافى
اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين بوعد سنين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا
يخل بذلك لانه استيناف مرتب على ما قبله قوله الذين ظلموا فبدل لهم سنزيد المحسنين وكذلك
زاده منهم زيادة بيانية وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون مى واد واحد **قوله تعالى**
واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم اذ يعدون فى السبت
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وهذه القصة مذكورة فى سورة البقرة وسل اليهود المقصود من هذا
السؤال التقرير والتصريح بعدم توفيقهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التى لا تعلم
الا بالكتاب او وحى فاذا اعلمهم به مى لم يقترفوا عن انه من جهة الوحى والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية
والعرب يسمى المدينة قرية حاضرة البحر قريبة منه كثيرة تشاطيه اذ يعدون فى السبت بحاورونه والمعنى
الله فيه اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه والسبت مصدر كسبتا لليهود اذا عظمت سبتها بترك
الصيد والاشتغال بالتعبد معناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم كذلك يوم سبتهم شرعا معناه يوم
تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم والمراد بالقرية اهلها وقوله اذ يعدون اذ يعدون فى السبت

محل الجر

فى محل الجر لانه بدل من القرية كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم وهو من بدل الاشتمال
ويجوز نصبا بكانت او حاضرة وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل اذ يكون م
شرعا ظاهرا على وجه الماء كثيرة جمع شارعة وشارع يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا
وشرعت على فلان فى بيته فراته يفعل ذلك مثل هذا لما سد بنو هم بحر هم بسبب تسوقهم
قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا
قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
واذ قالت عطف على يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب قوله امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحايهم
الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظة الصيادين حتى ايسوا من قبولهم لاقوام اخرين كانوا لا ينتهون
عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اى بحرمهم ومسخرهم الارضى منهم او معذبهم عذابا الما شديدا بتماديهم
فى الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفعهم قالوا معذرة فراحفض على عاصم معذرة بالنصب
اى نعتذ معذرة والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى موعظتنا معذرة وهو مصدر كالعذر يقال
عذر فلان عذرا ومعذرة ومعنى عذرته قام بعذره وقيل عذر بمعنى تعذر يقال مى تعذرنى اى مى يقوم بعذرى وعذرت
فلانا فيما صنع اى قمت بعذره وعلى هذا معنى قوله معذرة الى ربكم قيامه منا بعذره والتسبب الى الله فانا اذا
طولبنا باقامة الهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فيكون بذلك معذورين قال الازهرى المعذرة اسم على مفعلة
مى عذر يعذر واقيم مقام الاعتذار كانهم قالوا موعظتنا اعذارا الى ربنا فاقيم الاسم مقام الاعتذار ولعلهم
يتقون واطمعنا فى ان سفوا بعض الاسفاء فلما نسوا اى فلما ترك اهل القرية ما ذكروهم به الصالحون نزل الناس لما
ينساه احسانا الصالحين الذين ينهون عن السوء واحدنا الظالمين الكافرين للنكير بعذاب بئيس والبئس
والبؤس منه بوس يبوس قرأ نافع بئس بكسر الهمزة وسكون الياء وكسر السين منونا على انه فعل سمى كقوله عليه
السلام انها كم عن قيل وقال وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى وناقع فى رواية ابى موة عنه وعاصم فى رواية
حفص عنه باسين الهمزة المكسورة والسين الممنونة على انه فعل وهذا وصف بالمصدر وكقولهم عذيرى والنذير
والنكير وعاصم فى رواية ابو بكر عنه بئس بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فعيل ومعناه شديد
وبئ عامر مى السبعة بئس بكسر الباء وسكون الهمزة وتنوين السين الكسورة والامالة الدرى قالوا لم تعظون
مى فريق منا حسى لانهم مى فرق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سابلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث
لم يروا فيه عزما صحيحا لعلهم بحال القوم واذا علم الناس محال المرئى وآنا الهنى لا يوثر فيه سقط عنه النهى
ودعا وجب ترك المنهى لاجوله فى باب البعث واما الاخرون فانهم انما لم يعوضوا عنهم اما لانهم ياسوهم لم يستحكم
كما استحكم يأس الاولين ولم يجربوهم كما جربوهم او لفرط حرصهم وجدهم فى امرهم كما وصف الله رسوله فى قوله

فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما يزعمون ان
الله مهلكهم او معذبهم وعن بن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة
جعلني الله الكريم فذاك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى
عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان فلما عتوا تكبروا عن
ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم عن بن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية قلنا لهم كونوا قردة
عبارة عن مسخهم قردة لقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون المعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب
شديد فعتوا عن ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ خاسئين صاغرين
وقيل خاسئين لا يتكلمون وقيل مبعدين كما يبعد الكلب **قوله تعالى** واذ تاذن ربك
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
لما ذكر بعض فضايح اعمال اليهود وقبايح افعالهم ذكر في هذه الاية انه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار
الى يوم القيمة تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث
به نفسه ويوذنها بفعله وتاذن بمعنى اذن اعلم ولفظ تفعل ها هنا ليس معناها انه اظهر شيئا ليس
فيه بل معناه فعل فقوله تاذن بمعنى اذن كما ان قوله تعالى عما يشركون معناه علا وارتفع لا بمعنى انه اظهر
من نفسه العلو وان لم يحصل ذلك فيه ليبعثن اللام فيه جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم
في كونه جزما بذلك الخبر والمعنى اذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم
سوء العذاب فكانوا يودون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه فضربها عليهم
فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم لقوله بعثنا عليهم عبادا لنا
اولي باس شديد ان ربك لسريع العقاب المراد التحذير من عقابه في الاخرة مع الذلة في الدنيا وانه لغفور
لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في الايمان بالله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
وقطعناهم مما يدل على ان الذين تقدم من قوله ليبعثن عليهم جملة اليهود ومعنى قطعناهم فرقناهم
تفريقا شديدا فلذلك قال بعده في الارض وظاهر ذلك انه لا يكاد يخلوا بلد من فرقة اليهود منهم
الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين وقيل المراد القوم الذين كانوا في زمن
موسى لانه كان فيهم امة يهدون بذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف يحطون عنه وهم الكفرة
والفسقة وقيل ومنهم قوم دون ذلك من يكون صالحا الا ان صلاحه كان دون صلاح الاولين
لان ذلك الى الظاهر اقرب قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بذلك من ثبت على اليهودية
وخرج من الصلاح ومحل دون ذلك وهو صفة لموصوف محذوف اي ومنهم قوم او ناس محطون عن

الصلاح

الصلاح ونحوه قوله وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا وله مقام معلوم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات اي عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات بالنعم والسيئات بالنقم النعم لاجل الترغيب
والنقم لاجل الترهيب لعلهم يرجعون كي يتوبوا وقيل لعلهم ينتهون فينتهون **قوله تعالى**
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض
مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير
للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين
اي فخلف من بعد المذكورين الذين قطعناهم وقيل من بعد الصالحين المذكورين خلفه نقيض قدام الخلف القرن
بعد القرن يقال هاولا خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال لبيد ذهب الذين يعاش في
اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الردي من القول قوله خلف هم الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرونها ويقفون على ما فيها من الاوامر
والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون متاع هذا الشيء الادنى اي حكام الدنيا وما يتمتع به
منها وقوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب واما من دنو الحال وسقوطها
وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وتبديل كتاب الله وتغيير صفة رسول الله ويقولون
سيغفر لنا ذنوبنا ما عملناه بالليل محاه عنا بالنار وما عملناه بالنهار محاه عنا بالليل يمينا منهم على الله الا
باطيل والمفعول الذي اقيم مقام الفاعل لنا وقيل المصدر الذي هو الاخذ وان ياتهم الواو للحال عن سعيد
بن جبير وان عرض لهم ذنب اخر عملوه وعن مجاهد ما اشرف لهم في النوم من شيء من الدنيا حلال او حرام
يشتهونه اخذوه وكلما وصف لهم شيء من الدنيا اكلوه ولا يبالون حراما كان او حلالا ويتمنون المغفرة
فان يجدوا الغد مثله ياخذوه وعن السدي كانت بنوا اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم
وان خيارهم اجتمعوا فاخذ بعضهم على بعض العهود ان لا يفعلوا فجعل الرجل منهم اذا استقضي ارتشى فيقال
له ما لك ترتشي في الحكم فيقول سيغفر لي فيطعن عليه البقية من بني اسرايل واذا ما نزع جعل مكانه رجل
ممن كان يطعن عليه فيرتشي يقول وان يات الاخر من عرض مثله ياخذوه وقيل معناه وان ياتي يهود يثرب
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض من الدنيا مثله ياخذوه كما اخذ اسلافهم وقيل
معناه يرجون المغفرة وهم مصرون عايدون الى مثل فعلهم غير تايبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة
والمصر لا غفران له وهذا تفسير اعتزالي الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ان لا يقولوا على الله
الا الحق وقيل المراد منعهم عن تحريف الكتاب وتغيير الشرايع لاجل اخذ الرشوة قال صاحب الكشاف يعني
قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط
التوبة في غفران الذنوب والذي عليه الهجرة مذهب اليهود بعينه كما ترى ولقايل ان يقول هذا سقطه

منه دالة على انكار الحق بناء على ظن فاسد فان اهل السنة لا يتمنون المغفرة مع الاصرار وهم احزم من
ذلك الا ترى الى ما رواه الترمذي عن شداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه حاسبها قبل ان تحاسب يوم القيمة
فكيف والسين في سيغفر يدل على القطع في وقوع الخبر عن المستقبل واهل السنة لا يقطعون في شيء من
امورهم لا في الغفران ان تابوا ولا في الثواب ان عملوا وصاحب الكشاف ومن تقلدهم من مشايخ المعتزلة
يوجبون على الله الغفران اذا حصلت التوبة ويقطعون بحصول الثواب على العمل فمذهبهم قريب من مذهب
اليهود وايضا قوله معنى اخذ الميثاق هو ان في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة وفيه
ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق اهو منقول من نص التورية قبل التحريف او من التورية المحرفة
او مستنبط من معنى الاية ولا شك ان الذي قاله صاحب الكشاف لم يوجد نص يدل عليه ولا ظاهر فهو يقول
على الله ما ليس بحق وهو بعينه فعل اليهود ولو فرضنا ان في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا
بالتوبة فيحتمل ان يكون المراد بالذنب العظيم الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون
محارم الله والرشا قوله ان لا تقولوا على الله عطف بيان لميثاق الكتاب قال صاحب الكشاف الميثاق
المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول
عليه بما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما ذكر كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون
ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه عطف على قوله
الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب
مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون
بالكتاب لقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقيل في محل الجر
عطفا على قوله للذين يتقون وقوله انا لا نضيع اعتراضا وقع تاكيدا لما قبله والتمسك بالكتاب يشتمل
على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة وانما افردها اظهارا لمن تبها لكذبها عماد الدين وفارقة بين الكفر
والايمان **قوله تعالى** واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم
خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون فتقنا قلعنا ورفعنا فوقهم الطور قال
مجاهد كما تنتق الزبدة وقيل قطعنا وقيل زعزعنا وقيل علقنا وقيل اصل النتق والنتوق ارتفاع الشيء
من موضعه فيرمى به والظلة كل ما اظلك من سقف بيت او سحابة او جناح حائط وهذه القصة
مذكورة في سورة البقرة وظنوا انه واقع بهم قيل علموا وايقنوا انه ساقط بهم نازل بهم وقيل قوي في نفوسهم
انه واقع بهم ان خالفوه روي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على

روسهم

روسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا
الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فزعا من سقوطه فلذلك
لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما فسر موسى
الالواح وفيها كتاب الله لم يبق على وجه الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرا عليه التورية
الا اهتز وانغض لها راسه خذوا على ارادة القول اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم
من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه واذكروا
ما فيه من الثواب والعقاب ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه
لقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون واذكروا ما فيه من
الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه **قوله تعالى** واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون لما ذكر قصة موسى عليه السلام على اقصى الوجوه
ذكر في هذه الاية ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين قال المفسرون لما خلق الله ادم عليه السلام
مسح على ظهره واخرج منه ذريته كلهم كهيئة الذر واختلف في موضع الميثاق فقال ابن عباس ببطن نعمان واد
الى جنب عرفة وروي عنه ايضا ان ذلك بدهنا ارض بالهند وهو الموضع الذي اهبط الله ادم عليه
السلام وقال الكلبي بين مكة والطايف وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم
مسح ظهره فاخرج ذريته قالوا فاخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضا وقال السدي اخرج الله منه
مثل اللولو فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي واخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سودا فقال لهم ادخلوا
النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
وروى مسلم ابن خالد الجهني ان عمر رضي الله عنه سيل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيل عنها فقال ان الله خلق ادم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هاولاء للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هاولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون
فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله
بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار وعن ابي هريرة قال رسول الله لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط
من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيمة وقيل قال الله لهم جميعا اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم
لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا وانا مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا

فتكلموا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فامروا كلهم يومئذ طايفة طايعين وطايفة
على وجه التقية فاخذ بذلك مواثيقهم وكتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم فراى منهم الغني
والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بينهم فقال اني احببت ان اشكر قال وفيهم
من الانبيا يومئذ امثال السرج فراى ادم عليه السلام نورا ساطعا فقال من هذا فقيل هذا داود من ذريتك
قال كم عمره قال ستون سنة قال رب زده قال قد جرى العلم عن اجال بني ادم قال رب زده من عمري
اربعين سنة فاثبت لداود الاربعون وكان عمر ادم الف سنة فلما استكمل تسعمايه وستين سنة
جاءه ملك الموت فلما راه ادم قال ما لك قال قد استوفيت اجلك قال له ادم بقي من عمري اربعون سنة
قال اليس قد وهبتها لداود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فنسيت وخطي ادم فخطت ذريته
فرجع ملك الموت الى ربه فقال ان ادم يدعي ان بقي من عمره اربعين سنة قال اخبر ادم انه جعلها لابنه
داود والاقلام رطبة فاثبتت لداود فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه
فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فذلك قوله عز وجل واذ اخذ
ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ولم يذكر ظهر ادم وانما اخرج يوم الميثاق من ظهره لان الله اخرج
ذرية ادم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابنا من الابا فاستغنى عن ذكر ظهر ادم لقوله من
بني ادم فلما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهر ادم وذكر ظهر بنيه هذا ما ذكره المفسرون وقد اطبق المعتزلة
على انه لا يجوز تفسير هذه الاية بهذا الوجه واحتجوا على بطلان هذا التفسير بوجوه مبنية على مقدمات
فاسدة ماخذها وساوس عادية من نزغات شيطانية لا يذعن لها الا من فهمه سقيم وفكره غير مستقيم
فان كل ذرة من ذرات المخلوقات فيها اسرار عجيبة ولطايف دقيقة لا يعرفها الا الراسخون في العلم قال
الله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه يجوز ان يجعل الله تعالى الامثال
الذي فيها يفعل به كما قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قوله من ظهورهم بدل من بني ادم بدل
البعض من الكل وقيل اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابايهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها
الله من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم
اشهدهم على انفسهم اي نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصايرهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال الست
بربكم وكانوا قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك فهذا من باب التمثيل وهو واسع
في كلام الله ورسوله وكلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وقوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ۞ وقول الشاعر اذ قالت
للاتساع للبطن الحق ۞ وقوله قالت له ريح الصبا قرقار ۞ ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل

وتصوير

وتصوير للمعنى قال الامام على تقدير ان يصح القول باخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيرا لالفاظ
هذه الاية فنقول الوجوه الثلاثة المذكورة اولا دافعة لذلك لان قوله اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم قيل بينا ان المراد منه واذ اخذ ربك من بني ادم وايضا لو كانت هذه الذرية ماخوذة من ظهر
ادم لقال من ظهره من ذريته ولم يقل من ظهورهم ذريتهم اجاب الناصرون لذلك القول بانه صحت
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فسر هذه الاية بهذا الوجه والطعن في تفسير رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير ممكن فنقول ظاهر الاية يدل على انه تعالى اخرج الذر من ظهور بني ادم
فيحمل ذلك على انه تعالى يعلم ان الشخص الفلاني يتولد منه فلان ومنه فلان اخر فعلى الترتيب الذي
علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض واما انه تعالى يخرج تلك الذرية من صلب ادم
فليس في لفظ الاية ما يدل على نبوته وليس فيه ايضا ما يدل على بطلانه الا ان الخبر قد دل عليه
فثبت اخراج الذرية من ظهور بني ادم بالقران وثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر وعلى
هذا التقدير لا منافاة بين الامرين ولا مدافعة فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر
عن الطعن مقدر الامكان قرا نافع وابو عمرو وابن عامر ذرياتهم بالالف على الجمع والباقون ذريتهم
على التوحيد فمن افرد فانه قد استغنى عن ترجمته بوقوعه على البشر فانه يقع على الواحد كقوله ما هذا
بشرا وعلى الجمع كقوله ابشر يهدوننا وقوله ان انتم الا بشر مثلنا وكما لم يجمع بشر بتصحيح ولا تكسير
كذلك لا يجمع الذرية ومن جمع قال ان الذرية وان كان رجلا واحدا فلا اشكال في جواز الجميع
وان كان جمعا فجمعه ايضا حسن لانك قد رايت الجموع المكسرة وقد جمعت نحو الطرقات والجدرات
قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم فعلى قول من اثبت الميثاق الاول محمول على ظاهره وعلى قول من
انكره محمول على التمثيل والمعنى انه تعالى نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها
عقولهم وبصايرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فصار ذلك جاريا مجرى
ما اذا اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانوا قالوا بلى انت ربنا شهدنا على
انفسنا واقررنا بوحدانيتك قيل قوله شهدنا من كلام الملايكة لانهم لما قالوا بلى قال الله للملايكة
اشهدوا فقالوا شهدنا فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله بلى لان كلام الذرية قد انقطع هاهنا
وقوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين تقديره ان الملايكة قالوا شهدنا عليهم بالاقرار
لئلا تقولوا ما اقررنا فاسقط كلمة لا كما قال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم يريد لان لا تميد بكم هذا
قول الكوفيين وعند البصريين تقديره شهدنا كراهة ان يقولوا وقيل ان قوله شهدنا من بقية كلام
الذرية وقوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين متعلق بما قبله وهو قوله واشهدهم فلم يجز قطعه
عنه قال صاحب الكشاف ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها

العقول كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه عليه او كراهة ان يقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد
وما ينهوا عنه قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتدا بالاباء كما لا عذر
لابايهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم وقيل المعنى ان المقصود من هذا الاشهاد ان لا يقول
الكفار انما اشركنا لان اباينا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك فكان الذنب لاباينا فكيف يعذبنا على هذا
الشرك وهو المراد من قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل انه تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع
عليهم التمسك بهذا العذر قال صاحب الكشاف فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني
ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المتقدمين باباهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله
او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت
عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسالهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك
واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب
في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقديمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل
الايات لهم ولعلهم يرجعون واراده ان يرجعوا عن شركهم بفضلها وقيل والمعنى ان مثل ما فصلنا
وبينا في هذه الاية نبين ساير الايات ليتدبروها فرجعوا الى الحق وتعرضوا عن الباطل وهو المراد
من قوله لعلهم يرجعون وقيل يرجعون الى ما اخذ عليهم من الميثاق في التوحيد قرا ابو عمرو قوله ان يقولوا
بالياء لان الذي تقدم من الكلام على الغيبة وهو قوله من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
لئلا يقولوا والباقون بالتاء لانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم قال ابن عطية ليس
لادم في الاية بحسب اللفظ وتواترت الاحاديث في تفسير هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم
من طريق عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما ان الله عز وجل لما خلق ادم في بعض الروايات
لما اهبط ادم الى الارض في دهنا من ارض الهند قاله بن عباس وفي بعضها ان ذلك بنعمان وهي عرفة
وما يليها قاله ايضا ابن عباس وغيره مسح على ظهره وفي بعض الروايات ضرب منكبه فاستخرج منها
اي من المسحة او الضربة قسم بنيه ففي بعض الروايات كالدر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب انها
الارواح جعلت لها مثالات وروى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذوا من ظهره
كما يوخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمن واخذ عليهم العهد بانه ربهم وان لا اله
غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض
قال ابي بن كعب واشهد عليهم السموات السبع فليس من احد يولد الى يوم القيمة الا وقد اخذ عليهم

العهد

العهد في ذلك اليوم والمقام قال السدي اعطى الكفار العهد يومئذ كارهين على وجه البينة هذه بجملة
مجموع الروايات المطولة وكان الفاظ هذه الاية لا تلتئم مع هذه الالفاظ الاحاديث وقد اكثر الناس
في روم الجمع بينهما فقال قوم ان الاية مشيرة الى هذا التناسل الذي في الدنيا واخذ بمعنى اوجد على المعهود
وان الاشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد اعطي الفهم ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع
ويجي الى هذا المعنى الزجاج وهو معنى يحتمله الالفاظ لكن يرد عليه تفسير عمر بن الخطاب وابن عباس الاية
بالحديث المذكور وروايتهما ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وطول الجرجاني في الاية الكلام ومداره على
ان المسح والاخراج هو من ظهر ادم حسب الحديث وفي الاية من ظهورهم اذ الاخراج من ظهر ادم الذي
هو الاصل اخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع والاصل شي واحد الى كلام كثير وقال غيره ان جميع ما في الحديث
من مسح بيمينه وضرب منكبه وهو هذا انما هي عبارة عن ايجاد تلك النسم منه واليمين عبارة عن ايجاد
تلك النسم منه ~~واليمين عبارة عن ايجاد تلك النسم منه~~ واليمين عبارة عن القدرة او يكون الماسح ملكا
بامر الله فتضمن الحديث صدر القصة وايجاد النسم منه وهذه زيادة على ما في الاية ثم تضمنت الاية
ما جرا بعد هذا من اخذ العهد حضور موجودين وهو يحتمل معنيين احدهما ان يكون اخذ عاملا في عهد
او ميثاق تقديره بعد قوله ذرياتهم ويكون قوله من ظهورهم لبيان جنس النبوة اذ المراد من الجميع التناسل
ويشركه في لفظ بني ادم بنوه لصلبه وبنوه بالجنان والشفقة ويكون قوله ذرياتهم بدلا من بني ادم والمعنى
الاخر لما كانت تسمية هنالك نسبته الى التي هي من ظهرها كان تعيين ذلك النسبة كانه اخذ من الظهر
اذ يستخرج منه في المستانف واذ عينوا بهذه النسبة وعرفوا بها فذلك اخذ واخذ على هذا عامل في ذرياتهم
وليس بمعنى مسح واوجه بل قد تقدم ايجادهم كما تقدم الحديث المذكور فالحديث يزيد معنى على الاية وهو ذكر ادم
واول ايجاد النسم كيف كان وقيل التوفيق بين الاية والحديث ان يقال ان المراد من بني ادم في الاية ادم والاولاد
فكانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر في الحديث
على ذكر ادم اكتفا بذكر الاصل على ذكر الفرع وقيل ظاهر الالفاظ الاية من قوله من بني ادم من ظهورهم ذريتهم دافعة
لظاهر حديث عمر لكن لما كان المعلوم المقرر في بداية العقول ان بني ادم من ظهر ادم فيكون كل ما اخرج من ظهور
بني ادم في لا يزال الى يوم القيمة هم الذر قد اخرجهم الله في الازل عن صلب ادم واخذ منه الميثاق الاول وهو المقالي
الازلي كما اخذ منهم في لا يزال بالتدريج حين اخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي الانزالي والحاصل ان الله
تعالى لما كانت له ميثاقان مع بني ادم احدهما يهتدي اليه العقول من نصب الادلة الباعثة على الاعتراف
الحالي وثانيهما المقالي الذي لا يهتدي اليه العقل بل يتوقف على توقيف واتف على احوال العباد من الازل
الى الابد كالانبيا عليهم السلام اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلم الامة ويخبرهم ان وراء الميثاق الذي
يهتدون اليه بعقولكم ميثاقا اخر ازليا فقال ما قال من مسح ظهر ادم في الازل واخرج الذرية والميثاق

اذ الفرع م

الاخر **قوله تعالى** واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
اي قص واسرد عليهم والضمير في عليهم عائد الى حاضري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار وغيرهم واختلف
المتاولون في الذي اوتي الايات فقيل هو رجل من بني اسرائيل بعثه موسى عليه السلام الى ملك مدين
داعيا الى الله تعالى والى الشريعة وعلمه من ايات الله ما يمكن ان يدعو به واليه فلما وصل رشاه الملك
واعطاه على ان يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل وفتن الملك به الناس واضلهم وقيل هو
رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعام ابن باعورا وقيل هو ابن عابورا وقيل هو ابن داير وقيل غير هذا مما
ذكره تطويل لا فائدة فيه وكان قصته على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي وغيرهم ان موسى عليه السلام
لما قصد حرب الجبارين وترك ارض بني كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعم الى بلعم وكان عنده اسم الله الاعظم
فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قومك
وبنو اعمك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يرد عنا موسى وقومه فقال ويلكم نبي
الله ومعه الملائكة والمومنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني وان فعلت هذا ذهبت دنياي
واخراي فقالوا ما لنا من منزل وراجعوه في ذلك فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يومر به في المنام
فوامر ربه في الدعا عليهم فقيل له لا تدع عليهم فقال لهم اني وامرت ربي عز وجل في الدعا عليهم واني قد نهيت فاهدوا
له هدية فقبلها ثم راجعوه وقالوا له ادع عليهم فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يجر اليه شي فقال قد وامرت ربي فلم
يجر اليه شي فقالوا لو كره ربك ان تدعوا عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى فلم يزالوا يرفعونه ويتضرعون اليه
حتى فشوه فافشى فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على بني اسرائيل يقال له حسبان فلما سار اليها غير كثير
ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا اذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذا
اذلقها اذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه وقالت ويحك يا بلعم اين تذهب الى نبي الله والمومنين تدعوا
عليهم فلا تدعوا عليهم ~~بشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا تدعوا لقومه بخير~~ فلم ينزع عنها فخلى الله
سبيلها فانطلقت حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان فجعل يدعوا عليهم فلا يدعوا عليهم بشر الا صرف الله
به لسانه الى قومه ولا يدعوا لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه اتدري
يا بلعم ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا املك هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه
فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت مني الان الدنيا والاخرة فلم يبق الا ما املك والحيلة تسامكن
لكم واحتال جملوا النسا وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا
تمنع امراة منهن نفسها من رجل اراداها فانهم ان زنا رجل منهم كفيتموهم فيعلوا فلما دخلت النسا العسكر

مرت

مرت امراة من الكنعانيين اسمها كشي بنت صور برجل من عظما بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم راس
سبط شمعون بن يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل حتى وقف
على موسى عليه السلام فقال اني اظنك ستقول هذه حرام عليك قال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال
والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنحاص
بن العيزار بن هرون صاحب امر موسى رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع
زمري ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه
القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعا الى السماء والحربة قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه
على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وجعل يقول اللهم هكذا الفعل بمن يعصيك ودفع الطاعون فحسب من هلك
في الطاعون من بني اسرائيل فيما بين ان اصاب زمري المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك منهم سبعون
الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بني اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبوحها القبة والذراع
واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته واليك من كل اموالهم وانفسهم
لانه كان بكر العيزار ابن هارون ففي بلعم انزل الله واتل عليهم نبا الذي اتيناه وقيل كان مجاب الدعوة وعنده
اسم الله الاعظم فطلبوا منه ان يدعوا على موسى فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليهم فاستجيب له
ووقع موسى وبنوا اسرائيل في التيه بدعائه فقال يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال يدعا بلعم فقال كما سمعت
دعاه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام ان يزيح عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله
مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كجاهة بيضاء فذلك قوله تعالى فانسلخ منها وقال عبد الله
بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت هذه الاية في امية ابن الصلت
الثقفي وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون ذلك الرسول فلما
ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده ثم مات كافرا ولم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه اي شعره كشعر المومنين لانه وحد الله في شعره
وذكر دلايل توحيده من خلق السموات والارض واحوال الاخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب
الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام
وامر المنافقين باتخاذ مسجد ضرارا واستنجده على النبي صلى الله عليه وسلم فمات هناك طريدا وحيدا وقيل
نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة انه قال هذا وهذا اي ليست
بخاصة وعن قتادة هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فاي ان يقبله وعن مجاهد هو نبي في بني اسرائيل يقال له
بلعم اوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه فانسلخ منها وهذا باطل لا يصح عن
مجاهد قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته فانه يدل على انه تعالى لا يشرف عبدا من عباده بالرسالة الا اذا

علم امتيازه عن ساير العبيد بمزيد الشرف والزيادات والدرجات العالية والمناقب السنية
فمن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر قوله اتيناه قيل هو اسم الله الاعظم وقيل لا يسال الله شيئا الا اعطاه
اياه وقيل اوتي كتابا من كتب الله عز وجل وقيل علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عالما به فانسلخ
منها اي خرج منها كما ينسلخ من الحية جلدها وقيل معناه خرج من محبة الله الى معصيته ومن رحمة الله الى
سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انسلخ منه وقيل اتيناه اياتنا معناه بيناها فلم يقبل وعرى منها
قوله فاتبعه الشيطان ملحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له وقيل كفار الانس وغواتهم اي الشيطان
جعل كفار الانس اتباعا له قوله فكان من الغاوين اي فصار من الضالين الكافرين قيل المقصود منه
بيان ان من اوتي الهدى فانسلخ منه الى الضلال والغوى والعمى ومال الى الدنيا حتى تلاعب به الشيطان
كان منتهاه الى البوار والردى وخاب في الاخرة والاولى فذكر الله قصته ليحذر الناس من مثل حالته
قوله ولو شئنا اي ولو شئنا لرفعنا منزلته بالايات وفضلناه وشرفناه وقيل لرفعناه بعمله بها وقيل
لرفعنا عنه الكفر بالايات وعصمناه ولو يدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فهذا يدل على انه تعالى قد لا يريد
الايمان وقد يريد الكفر وقالت المعتزلة لفظ الاية يحتمل وجوها اخرى سوى هذا الوجه فالاول
قال الجبائي ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نحترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يسلم له الرفعة
لكنا عرضناه بزيادة التكليف بمنزلة زائدة فاي ان يستمر على الايمان الثاني لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه
وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره ولقائل ان يقول حمله الرفعة
على الاحترام والامانة بعيد وانه اذا منعه منه قهرا لم يكن ذلك ~~ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره~~
~~ولقائل ان يقول حمل الرفعة على الاحترام والامانة بعيد وانه اذا منعه منه قهرا~~ لم يكن ذلك موجبا للثواب
والرفعة ولكنه اخلد الى الارض اي ركن الى الارض وقيل سكن وقيل رضي بالدنيا وقيل لزمها وابطلها والمخلد من
الرجال هو الذي يبطئ شيبه ومن الدواب التي تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه قال الزجاج اخلد وخلد
واصله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال اخلد فلان بالمكان اذا اقام به وقيل مال الى الدنيا ورغب
فيها وقيل مال الى السفالة قيل فسر الارض في هذه الاية بالدنيا وذلك لان الدنيا هي الارض لان ما فيها
من العقار والضياع كلها ارض وساير امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وانما
يقوى ويكمل بها فالدنيا كلها هي الارض فصلح ان يعبر عن الدنيا بالارض قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات
ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الايات فذكر المشية والمراد ما هي
تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك
المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره

لوجب

لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنه لم نشا ولقائل ان يقول انما علق رفعه بمشية الله ولم يعلق
بفعله لان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وفعله لا يستحق به الرفع والحاصل انه انما علق رفعه
بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله المقتضي لرفعه وان
عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما يشاهده
من الاسباب وسايط معتبرة من حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به وكان من حقه ان يقول
ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ان ما حمله عليه هو هواه
وان حب الدنيا راس كل خطيئة فيكون قوله ولو شئنا لرفعناه مجرى على ظاهره وقوله ولكنه اخلد محمول على
التاويل على عكس ما فعله صاحب الكشاف واعلم انه تعالى لما قال الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها بمعنى نحن
فعلنا اتينا الايات فعقبها هو بفعل الانسلاخ توهم منه انه مستقل في ايجاد الفعل فصل ذلك رفعا للتوهم
ولو شئنا ان نرفعه بالايات الى المراتب العلية لفعلنا فلا يحصل منه الانسلاخ فوضع موضعه اخلد
الى الارض ليطابق الرفعة وانما جاء قول صاحب الكشاف ولكنه اخلد الى الارض فحططناه على عكس هذا
التقدير لانه جعل مشية الله تابعة لفعل العبد فقد اخطا في التلفيق لعدم التوفيق واما قوله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب ان يقال لو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشا فجوابه انك لما جعلت المشية ابتدا تابعة للزوم
هذا الانسان الايات لزمك هذا فاذا جعل لزومه الايات تابعا للمشية كما هو الحق جاء الكلام على طبقه واتبع
هواه معناه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع الهدى ووقع في هاوية الردى وقيل واتبع مسامل
الامور ونزل معالمها واختار الدنيا على الاخرة وكان هواه مع القوم وقيل اراد الدنيا واطاع شيطانه فمثله
كمثل الكلب وصفته التي هي مثل في الخسة والصفة لصفة الكلب في اخس احواله وادلها وهي حال
دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه ومسح فطردا وترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك
ان ساير الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك منه وهيج والا لم يلهث والكل يتصل به لهثه في الحالتين
جميعا لانك اذا حملت على الكلب تنح وولى هاربا وان تركته شد عليه وتنح فتتعب نفسك مقبلا عليك
ومدبرا عنك فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من اخراج اللسان وقيل الكلب منقطع الفؤاد ولا فؤاد
له ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه ~~فهو ضال وان لم تعظه~~
فهو ضال كالكلب ان تركته على حاله سعى لهث وان طردته لهث وعن ابن عباس معناه ان تحمل عليه الحكمة
في الحق لم يحملها وان تتركه لم يهتد كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث وعن الحسن هو المنافق لا ينيب
الى الحق دعي او لم يدع وعظا ولم يعظ كالكلب طرد او ترك قال الامام هذه الاية من اشد الايات على اصحاب
العلم وذلك لانه تعالى بعد ان خص هذا الرجل باياته وبيناته وعلمه الاسم الاعظم وخصه بالدعوات المستجابة
لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب وذلك يدل على ان من كانت نعم الله في حقه اكثر

فاذا اعرض عن متابعة الهدى كان بعده عن الله اعظم واليه الاشارة بقوله عليه السلام
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا ومحل الجملة الشرطية وهي قوله ان تحمل
عليه يلهث النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا على موسى بلعم
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود
وقد جيتم بخير مما كان فيهم مما كانوا يخفون عنك لعلهم يتفكرون فيعرفون انه لم يات بهذا الخبر عما مضى
فيهم الا من ياتيه خبر السماء ثم بهذا التمثيل جميع المكذبين بايات الله قال بن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون
هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم ثم جاءهم من لا يشكوا في صدقه وديانته فكذبوه فحصل التمثيل بينه وبين
الكلب الذي ان تحمل عليه او تتركه يلهث لانهم لم يعتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما جاءهم الرسول فبقوا على الضلال
في كل الاحوال مثل هذا الكلب الذي بقي على اللهث في كل الاحوال قوله فاقصص القصص يريد قصص الذين
كفروا وكذبوا باياتنا لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه
ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم **قوله تعالى**
ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون لما قال بعد تمثيلهم بالكلب ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا وزجر بذلك من الكفر والتكذيب اكده في باب الزجر بقوله تعالى ساء بسوء
لازم ومتعد يقال ساء الشيء يسوء اذا قبح وساءه يسوءه مساءة تقديره ساء مثلا القوم او ساء اصحاب
مثل القوم لانه لا بد ان يكون المخصوص مطابقا للفاعل والفاعل هاهنا مضمر مميز بقوله مثلا والقوم
غير مطابق للمثل فلا بد من تقدير مضاف للقوم او للتمثيل وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا
على كذبوا فيدخل في خبر الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلمهم واما ان يكون كلاما
منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل
وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد فيه الى غيرها **قوله تعالى** من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما وصف الله تعالى الضالين بالوصف المذكور وعرف حالهم
بالمثل المذكور ختم الكلام ببيان ان الهداية والضلال من الله وبخلقه واختراعه فان من يهدي الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون قال الامام وعند هذا اضطربت المعتزلة وذكروا
في التاويل وجوها منها ان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب في الاخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك
طريقة الرشد فيما كلف به تعالى انه لا يهدي الى الثواب في الاخرة الا من هذا وصفه ومن يضلل
عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون ومنها ان في الاية حذفا والتقدير من يهده الله فقبل وتمسك
بهداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر ومنها ان المراد من وصفه الله تعالى بكونه
مهتديا فهو المهتدي لان ذلك كالمدح ومدح الله لا يحصل الا في حق من كان موصوفا بذلك الوصف الممدوح

ومن صفه

ومن وصفه بكونه ضالا فاولئك هم الخاسرون ومنها ان يكون المراد من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى
فهو المهتدي ومن يضلل عن ذلك بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف على يوثر فيه فاولئك
هم الخاسرون واعلم انه قد ثبت بالدلايل القاطعة والبراهين الساطعة ان الهداية والاضلال من الله
تعالى فلا يجوز صرف الظاهر الموافق للحق اللايح والصدق الواضح الى التاويل الباطل المخالف للحق وحمل من
يهدي الله الى الهداية الى الجنة والنار في الاخرة والمهتدي على السالك طريقة الرسل بما كلف في الدنيا بتبوعه
بلاغة التكليف لان البلاغة تستدعي رجوع الهداية والاهتداء الى شيء واحد ليكون للنظم حسنا والتزام
اضمار زايد خلاف الظاهر وفتح باب امثال هذه الاضمارات يفضي الى انقلاب النفي اثباتا وبالعكس
وخروج كلام الله من كونه حجة وقول القايل فلان هذا لا يفيد لغة انه وصف بكونه مهتديا وقياس هذا على قوله
فلان ضلل فلانا وكفره قياس في اللغة وهو مردود وكل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله عند
المعتزلة في حق جميع الالطاف فحمل الاية على هذا بعيد **قوله تعالى** ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ذراء معناه خلق واوجد مع تب ونشر وانما
قال ذلك لنفاذ علمه منهم بانهم يصيرون اليها بكفرهم بربهم وقيل هذه اللام لام العاقبة كقوله
تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وانشد اموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها الا كل مولود فللموت يولد ولست ارى حيا يحي يخلد
فللموت تبدو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن قال بن عطية وليس هذا بصحيح
ولام العاقبة انما يتصور اذا كان فعل الفاعل بقصد ما يصير الامر اليه واما هاهنا فالفعل بقصد
ما يصير للامر اليه من سكناهم جهنم وعن سعيد بن جبير انه قال اولاد الزنا مما ذرا لجهنم وعن عبد
الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ان الله تعالى لما ذرا لجهنم ما ذرا كان ولد
الزنا ممن ذرا لجهنم ثم وصف الله تعالى الكثير من الجن والانس الذين ذراهم لجهنم فقال لهم قلوب لا يفقهون
بها اي لا يفهمون بها اي لا يعلمون بها الخير والهدى ولهم اعين لا يبصرون بها طريق الهدى وسبيل الرشد
ولهم اذان لا يسمعون بها فيعرفون بذلك توحيد ربهم ويعلمون بها تحقيق نبوة انبيايهم وليس المراد من ذلك
نفي هذه الادراكات عن حواسهم جملة وانما الغرض نفيها في جهة ما كما تقول اصم عن الخنا ومنه قول
الشاعر اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى توارى جارتي الستر واصم عما كان بينهما عمدا وما
بالسمع من وقر ومنه قول الشاعر وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس
فكان هاولا القوم لما لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوه من الايات والمواعظ استوجبوا
الوصف بانهم لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون اولئك اشارة الى ما تقدم ذكره اي الذين ذراهم

لجهنم كالانعام في عدم الفقه والنظر الاعتبار والاستماع بل هم اضل لان الانعام لا قدرة لها على تحصيل
هذه الفضايل وهاولا قدروا على تحصيلها ومن اعرض عن اكتساب الفضايل العظيمة مع القدرة على
تحصيلها كان اضل واخس حالا ممن لم يكسبها مع العجز وقيل لان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير
مطيع وقيل لان الانعام تبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيل منافعها وتحترز عن مضارها
وهولاء لا يعلمون منافعهم ومضارهم ولا يسعون في تحصيل منافعهم ولا يحترزون عن مضارهم
وقيل لان الانعام تفرارا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها وهاولا يهربون عن ربهم الذي انعم عليهم بنعم لا تحصى
وقيل لان الانعام تضل اذا لم يكن معها مرشد فاما اذا كان معها مرشد فلما تضل وهاولا قد جاءهم الانبيا
وانزل عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلال ثم بين بقوله اوليك هم الغافلون الطريق به صاروا اضل
من الانعام وهي الغفلة الكاملة اي اوليك هم الكاملون في الغفلة قال الامام هذه الاية هي الحجة القاطعة
في هذا الموضع على صحة مذهبنا في مسلة خلق الاعمال وارادة الكاينات وتقريره من وجوه احدها انه تعالى
بين باللفظ الصريح انه خلق بين كثيرا من الجن والانس ولا مزية على بيان الله ومنها انه تعالى اخبر عنهم بانهم
من اهل النار فلو لم يكونوا من اهل النار لانقلب علمه جهلا وخبره كذبا فامتنع عدم دخولهم في النار فيمتنع
ارادة عدم دخولهم في النار وهذا هو الذي دل عليه الاية قال صاحب الكشاف هو المطبوع على قلوبهم
الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما
خلق الله اعتبارا ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر كانهم عرفوا فهم القلوب وابصار العيون
واسماع الاذان وجعلهم لاعراضهم في الكفر وشدة شكايمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين
للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما توهلهم لدخول النار يقال لمن كان عريقا في بعض الامور
ما خلق الا كذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد يتاتى منهم الايمان كانهم خلقوا للنار واعلم ان قول
صاحب الكشاف انهم ما خلقوا للنار حقيقة مخالف لظاهر الاية وللاحاديث الواردة في الباب روى
احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده عن عبد الرحمن ابن قتادة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى خلق ادم ثم اخذ الخلق من ظهره فقال هاولا في الجنة ولا ابالي وهاولا في النار ولا ابالي
قال قايل فعل ماذا تعمل قال على موافقة القدر وروى ملك واحمد والثوري وابو ذر وحديث عمر الذي تقدم عند
قوله الست بربكم قالوا بلى وغير موافق للنص القاطع والنظم الفايق فان قوله الست بربكم فجوابه بلى وقوله
تعالى ولقد ذرانا كالتفريع على تذييل قصة الفرقة الضالة المشبهة بالانعام وموقع قوله لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها مع ما قبله موقع لهم ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم مع ما قبله وفضل هذا على ذلك بتصديره بالجملة القسمية واستقلال

المذكورات

المذكورات ههنا في كونه جملا صراحا واسمية الجار والمجرور والاستيناف باعادة اسم من استونف
كانه تعالى لما اقسم لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قيل فما يكون لهم حينيذ يقال لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها وكيت وكيت واما فايدة التسمية فالتنبيه على قلع شبهة
من اراد ان يتصدى لتاويل الاية وصرفها عن ظاهرها الموافق للبرهان القاطع روي ان اعرابيا سمع
قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق قال من ذا الذي اغضب
الخليل حتى حلف كانهم لم يصدقوه بقوله حتى الجا الى اليمين **قوله تعالى** ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون لما وصف الله المخلوقين لجهنم
بقوله واوليك هم الغافلون امره بعده بذكر الله تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها تنبيها على ان
الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص عن عذاب جهنم هو ذكر الله واصحاب الذوق والمشاهدة
يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على الدنيا وشهواتها وقع في نار
الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة وطلب الى طلب وظلمة الى ظلمة واذا انفتح
على قلبه باب ذكر الله ومعرفته تخلص عن ميزان الافات والحسرات واستسعد بمعرفة رب السموات
قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون
سبب نزول هذه الاية على ما روي ان ابا جهل سمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في صلوته ودعا
الرحمن فقال اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين واحدين فانزل الله
ولله الاسماء الحسنى الاية والاسما هنا بمعنى السمات اجماعا من المتاولين لا يمكن غيره والحسنى مصدر
وصف به ويجوز ان يكون الحسنى تانيث الاحسن كالكبرى والصغرى فافرد وصف ما لا يعقل وحسن
الاسما انما يتوجد بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف الى ذلك ايضا انها انما تضمنت معاني
حسانا شريفة من تقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسما واعلم انا ذكرنا في المقدمات مباحث
الاسما وتقسيماتها ولنذكر ههنا في المقدمات مباحث الاسما وتقسيماتها ولنذكر ههنا في المقدمات
فنقول الاسما اما ان يصح اما ان يصح اطلاقها على اسم غير الله تعالى او لا يصح والاول كقولنا الرحيم الكريم
العزيز اللطيف الكبير فان هذه الاسما يجوز اطلاقها على العباد وان كان معناها في حق الله تعالى مغاير
لمعناها في حق العباد والثاني كقولنا الرحمن الله ومن اسما الله ما يمكن ذكره وحده كقوله يا الله يا رحمن
يا رحيم يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي
يا مميت يا ضار يا نافع واول ما نعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا قديما للاسما مرجوحا لوجودهما
على عدمهما لانا انما نعلم وجوده تعالى بواسطة الاستدلال موجود الحادثات عليه فاذا دل الدليل
على ان هذا العالم المحسوس ممكن الوجود والعدم لذاته قضى العقل بافتقاره الى مرجح يرجح وجوده

على عدمه وذلك المرجح ليس الا الله فثبت ان اول ما يعلم منه تعالى هو كونه مرجحا ومؤثرا ثم نقول ذلك
المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم العالم بدوامه وذلك
باطل بقي انه انما رجح على سبيل الصحة وكونه مرجحا على سبيل الصحة ليس الا كونه قادرا فثبت ان المعلوم منه
تعالى بعد العلم بكونه مرجحا هو كونه قادرا ثم انا بعدها نستدل بكون افعاله متقنة محكمة على كونه عالما ثم انا اذا
علمنا كونه تعالى عالما قادرا وعلمنا ان العالم والقادر يمتنع ان لا يكون حيا علمنا من كونه قادرا عالما حيا يظهر كونه م
بهذا انه ليس العلم بصفاته تعالى واسمائه واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مرتبة يستفاد بعضها
من بعض وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى ليست الا لله والبرهان العقلي قد دل على صحة هذا المعنى لان
الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا الواحد وهو الله تعالى واما ما سوى ذلك
الواحد فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته محتاج في وجوده وصفاته الى الواجب لذاته فالله كامل بذاته وكمال
كل ما سواه بجوده تعالى واحسانه فالكمال له ولذاته ولغيره على سبيل العارية فثبت ان الاسماء الحسنى
ليست الا لله وان كل ما سواه فهو غرق في بحر الفنا واقع في حضيض النقصان ودلت هذه الاية على ان
اسماء الله يجب كونها موصوفة بالحسن والكمال فهذا يفيد ان كل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلال
لا يجوز اطلاقه على الله تعالى قال الامام قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يدل على ان الانسان
لا يدعو الا بتلك الاسماء الحسنى وهذه الدعوة لا يتاتى الا اذا عرف معاني تلك الاسماء وعرف بالدليل ان
له الها وربا موصوفا بتلك الصفات الشريفة المقدسة فاذا عرف ذلك بالدليل فحينئذ يحسن ان يدعوا
ربه بتلك الاسماء والصفات ثم ان لتلك الدعوة شروطا كثيرة مذكورة بالاستقصاء في كتب اهل المعاني
وينبغي ان يكون مستحضرا لامرين احدهما عزة الربوبية والثانية ذلة العبودية وحينئذ يحسن ذلك
الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر فاما اذا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة قوله وذروا الذين يلحدون في
اسمائه قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء ووافقه عاصم والكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر
الحاء في الاعراف والنحل والسجدة والالحاد لغة الميل عن القصد والملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما
ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقيل الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه الملحد
الذي يحفر في جانب القبر والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلاثة اوجه الاول اطلاق اسماء الله المقدسة
الظاهرة على غير الله مثل ان الكفار يسمون الاوثان الهة من ذلك انهم كانوا سموا مسيلمة الكذاب
بالرحمن والثاني ان يسمى الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه ابا للمسيح ومثل اطلاق المجسمة الجسم
على الله تعالى قال الامام ومثل ان المعتزلة قد يقولون في اثناء كلامهم لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها
مستحقا للذم وهذه الالفاظ مشعرة بسوء الادب قال اصحابنا وليس كل ما صح معناه جاز اطلاق
لفظه في حق الله فانه ثبت بالدلايل انه تعالى هو الخالق لجميع الافعال وللاجسام ثم لا يجوز ان يقال

يا خالق

يا خالق الديدان والدود والعذرات بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذه الاركان وان يقال يا خالق
الارض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات الى غيرها من الاذكار الجميلة الشريفة والثالث
ان يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه فانه ربما كان مسماه امرا غير لايق بجلال الله
تعالى فهذه الاقسام الثلثة هي الالحاد في الاسماء واذا ورد الاذن في اطلاق لفظه على الدلايل على الله
لا بل منه جواز اطلاق ساير الالفاظ المتفقة منه عليه فان لفظ علم ورد في حق الله تعالى في ايات منها
قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وعلمك ما لم تكن تعلم وعلمناه من لدنا علما ومنها الرحمن علم القران ولا يجوز
ان يقال في حق الله يا معلم وايضا ورد قوله تعالى يحبهم ويحبونه ولا يجوز ان يقال في حق الله تعالى يا محب
وكذا ورد في حق الله تعالى الفاظ ولا يجوز اطلاق مشتقاتها عليهم فانه ورد في حق الله تعالى وكذا ورد
في حق الانبياء الفاظ ولا يجوز اطلاق مشتقاتها عليهم فانه ورد في حق ادم وعصى ادم ربه فغوى ولا يجوز
ان يقال انه كان اخيرا والضابط ان هذه الالفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها على المورد واما التوسع
فيها باطلاق الالفاظ المشتقة منها فلا يجوز قال صاحب الكشاف وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فسموه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه
كما سمعنا اليد ويقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجوه يا نجي اي المتكبر او ان يابوا بتسميته ببعض
اسماء الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان
وانتفاء شبهة الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشية القبايح وخلق
الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالروية ونحوها ويتغير بحسب التفسيرين معنى قوله يلحدون
في اسمائه فعلى الاول الالحاد في التسمية ان يقال ابو المكارم ونحوه او ان يخص بالله دون الرحمن وعلى الثاني
الالحاد في الوصف وهو ما ذكره من المعاني التي دلت على مذهبه تحكما ولقايل ان يقول هذا الذي ذكره من
المعاني الدالة على مذهبه يمكن قلبه وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم اللات
من الله والعزى والعزيز من العزيز وارد على الالحاد فيها بقوله سيجزون ما كانوا يعملون واكده بالسين ٥

قوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما قال ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقين للنار اتبعه بقوله وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون فلما اعاد الله تعالى هذا الكلام هاهنا حمله اكثر المفسرين على ان المراد منه امة محمد
صلى الله عليه وسلم قال هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وعن الربيع ابن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا هذه الاية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم اي المهاجرين والانصار وعن الكلبي هم الذين امنوا من اهل الكتاب

وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين وقيل كل مومن من لدن ادم عليه السلام والى قيام الساعة ولا تخلو
الدنيا في وقت من الاوقات من داع يدعوا الى الحق **قوله تعالى** والذين كذبوا باياتنا
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من
جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون لما ذكر الله حال الامة الجاهدة العادلة
اعاد ذكر المكذبين بايات الله وما علم من الوعيد وهذا يتناول جميع المكذبين وعن ابن عباس المراد
اهل مكة والاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال قال الاعشى
فلو كنت في حب نمايني قامة ورقيت اسباب السما بسلم ليستدرجنك القول حتى تهزه وتعلم اني
عنكم غير مقحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه ومعنى سنستدرجهم سنمهلهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك لانهم كلما اتوا بالحرم واقدموا على
ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب النعمة والخير في الدنيا فيزدادون بطرا وانهماكا في الفساد وتماديا
في الغي ويتدرجون في المعاصي بسبب تزادف تلك النعم ثم باحدهم الله دفعة واحدة عاجرهم اعضل
ما يكون وقيل سناخذهم بالعذاب وقيل نرخي لهم حبالها لهم ونملي لهم ونمهلهم اغترارهم منا وقيل
الاستدراج انا بهم من حيث لا يعلمون وقيل الاستدراج ان يندرج الى الشيء فخفيه قليلا قليلا
قليلا قليلا ولا ساعب ولا يحاوز نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة وبهذا استدرج
الله ناحتى نعرف ما صنع اي لا نهاجمه ولا نعجل عليه بالسوال ولكن استخرج ما عنده قليلا قليلا واملي لهم
اي امهلهم واطيل لهم المدة والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة تقتضي المجال والملي زمان طويل
من الدهر ومنه قوله تعالى واهجرني مليا والمعنى اطيل لهم مدة عمرهم لتمادوا في المعاصي ولا اعاجلهم
بالعقوبة في المعصية ليقلعوا عنها بالتوبة والانابة واملي عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين
ان كيدي متين اي اخذي قوي شديد سماه كيدا من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة حمل لات
واستدراج والاملاء والكيد المتين يدل على انه تعالى اراد بالعبد ما يسوقه الى الكفر والبعد عن الله
والجبائي قال المراد منه انه تعالى سنستدرجهم الى العقوبة حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلمون استدراجا
لهم الى ذلك حتى يعرضهم بغتة وقد يجوز ان يكون هذا العذاب في الدنيا كالقتل والاستيصال ويجوز
ان يكون عذاب الاخرة ومعنى املي لهم ابقيهم في الدنيا مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة لانهم
لا يفوتونني ولا يعجزونني وهذا هو معنى قوله ان كيدي متين لان كيده هو عذابه وسماه كيدا لانه العذاب
من حيث لا تشعرون والجواب ان قوله تعالى والذين كذبوا بايانا سنستدرجهم معناه مادرياتهم
كلما احدثوا تماديا في الذنب والكفر زادهم الله نعمة وخيرا وليس في ان المراد منه الاستدراج الى العقاب

الا ان

الا ان هذا ايضا سطل لقول من قال ان قوله تعالى ما اراد بعبده الا خيرا وصلاحا لابد تعالى لما علم ان هذا
الانسان يزداد بالاملاء مما يزيده به عتوا وتمردا وعنادا واستحقاقا للعقاب الشديد فلما اراد به
الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة ولكان يحب في حكمته ورعايته للصالح
ان لا يخلقه اصلا صرنا لدعوى هذا العقاب او ان يخلقه لكن يميته قبل ان يصير مستحقا للتكليف او لا يخلقه
في الدنيا والقاه في وسطة التكليف واطال عمره ومكنه من المعاصي مع علمه بانه لذلك لا يفيد الا مزيدا للكفر
والعتو واستحقاق العقاب قال الامام وانا شديد التعجب من هاولا المعتزلة فانهم يرون القرآن كالبحر الذي
لا ساحل له مملوا من هذه الايات والدلايل العقلية الباهرة القاطعة مطابقة لها ثم انهم يكفرون في تاويلات
هذه الاية مع هذه الوجوه الضعيفة والكلمات الواهية الا ان على بان ما اراد الله كاين فيزيل هذا التعجب
اولم يتفكروا ان الله تعالى بالغ في تهديد المعرضين عن المتاملين في دلايله وساله ثم عاد الى
الجواب عن شبهتهم فقال اولم يتفكروا والامر بالتفكر والتامل والتدبر والنزوي وفي اللفظ محذوف والتقدير
افلم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة من جنون وهو حالة من الجنون كالجلسة والدخول في يوجب ان
لا يكون به نوع من انواع الجنون روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يوما على الصفا فدعا قريشا فخذا
فخذا يا بني فلان يا بني فلان لحد رهم باس الله فقال قايلهم لاد صاحبكم بجنون يصوت الى الصباح فانزل
الله هذه الاية وحث على التفكر في امر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه ما دعا الا لانذار لما شبه به
الجهال وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان تغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيعتريه وجه ويصفر وجهه
ويعرض له حال شبيهة بالغشي فالجهال كانوا يقولون ان به جنة اي جنون فانزل الله ليس
به جنة لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى الله ويقيم الدلايل القاطعة الباهرة والسنات الساطعة
القاهرة بالفاظ فصيحة بليغة بلغت في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضتها
وكان حسن الخلق طيب العشرة مرضي الطريقة نقي السيرة صفي السريرة اظب على اعمال صالحة صارت بسببها
قدوة لعقلاء العالمين ولا يخفى ان مثل هذا الانسان ما به من جنة فسبب ان اصر ان على الدعوة الى الدين
كان لانه نذير مبين ارسله رب العالمين ترهيبا للكافرين وترغيبا للمومنين ولما كان النظر في امر النبي
مفرعا على تقرر دلايل التوحيد فعال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض واعلم ان دلايل ملكوت السموات
والارض على وجود الصانع ووحدانيته في القرآن اكثر من ان يحصى وما خلق الله من شيء تنبيه على ان الدلالة
على التوحيد غير مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات العالم برهان باهر قاطع ودليل
ظاهر ساطع على التوحيد ولما كان ملكوت السموات والارض مما لا يدرك بالحواس الظاهرة بل بالبصيرة
الباطنة قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فان النظر بالبصر يعدي بالى والى البصيرة
يعدى بفي قال الله تعالى فانظر الى اثار رحمة الله قال الشاعر ✽ وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

ولما نبه الله على هذه الاسرار الشريفة والدقايق اللطيفة اردفه بما يقتضي الترغيب في التفكر
والنظر فقال وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى والضمير ضمير الشان والمعنى
والم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد ان اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيهلكوا على الكفر
ويصيروا الى النار واذا كان هذا الاحتمال قايما وجب عليهم ان يسارعوا في التفكر والطلب للحق سعيا
في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم قيل معاقصة الاجل وحلول العقاب ويحتمل ان يراد
باقتراب الاجل اقتراب الساعة ولما ذكر عنه تعالى هذه البينات الجلية والدلايل العقلية قال فابي حديث
متعلق بقوله عسى كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقراب قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا **قوله تعالى** من يضلل الله فلا هادي
له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ثم بين الله العلة في اعراضهم عن القران وتركهم الايمان فقال
من يضلل الله فلا هادي له هذا شرط وجوابه فلا هادي له تنبيها على الناس منهم والمقت لهم لان
المراد ان هذا قد نزل بهم وانه مثال لهذا قرا نافع وابن كثير وابن عامر ويذرهم بالنون والرفع وكذلك عاصم
وبن عامر ونذرهم بالنون والرفع وكذلك عاصم في رواية ابي بكر على الاستيناف وروى حفص عنه بالياء
والرفع وكذا قرا ابو عمرو وليقدم اسم الله وحمزة والكسائي بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه
قيل من يضلل الله فلا يهديه احد ونذرهم قال ابو علي ومثله في الحمل على المحل قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين لانك لو لم تخلق الفا لقلت اصدق **قوله تعالى** يسئلونك
عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض
لا تاتيكم الا بغتة يسالونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وجه
الاتصال انه تعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة والقضا والقدر اتبعه بالكلام في المعاد لان المطالب
الكلية في القران هذه الاربعة وقيل انه لما قال في الاية المتقدمة وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
باعثا بذلك على المبادرة الى التوبة والاصلاح قال بعده يسالونك عن الساعة ليتحقق في القلوب
ان وقت الساعة مكتوم عن الخلق فيصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الواجبات
قال بن عباس ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك
امتحانا مع علمهم ان الله تعالى قد استاثر بعلمها وقيل ان قريشا قالت يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسرا الينا
متى الساعة والساعة من الاسماء العالية القيمة كالنجم الثريا سميت القيمة بها لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق ايان اي متى ومنه قول الراجز
ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ايانا ومعناه الاستفهام عن الوقت الذي
يجي وهو سوال عن الزمان وقيل اشتقاقه من اي فعلان من اي لان معناه اي وقت واي فعل

واي فعل

واي فعل من اويت اليه لان البعض اوالى الكل متساند اليه قاله بن جني وابي ان يكون من اين لانه
زمان واين مرساها اي ارساوها اي اثباتها واقرارها يقال رسا يرسو اي ثبت وكل شي ثقيل رسو
ثابته واستقراره ومنه رسي الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به رست السفينة ترسو
رسوا ورسوا اي وقفت على البحر والمرساة التي ترسى بها السفينة تسميها الفرس انكر ولا اثقل من الساعة
بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسي الله الساعة قل يا محمد انما علمها اي علم الساعة
اي علم وقت ارسائها عند ربي استاثر بعلمها فلا يعلمها الا هو لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد
يخفيها ليجزي كل نفس بما تسعى قال صاحب الكشاف وكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر
عن المعصية كما اخفى الاصل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها تاكيد لهذا المعنى اي لا يكشفها
ويظهرها لوقتها الا هو قال صاحب الكشاف اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفا علمها الا هو
وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيها احد من خلقه لاستمرار الخفا بها على غيره الى وقت
وقوعها ثقلت في السموات والارض وصف الساعة بالثقل ونظيره قوله تعالى ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
وايضا وصف الله تعالى زلزلة الساعة بالعظم فقال تعالى ان زلزلة الساعة شي عظيم ووصف عذابها بالشدة
فقال تعالى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال الحسن ثقل مجيها على السموات والارض لاجل ان عند
مجيها تشققت السموات وتكون الشمس والقمر واشرقت النجوم وثقلت على الارض لاجل ان في ذلك اليوم تبدل
الارض غير الارض وتبطل الجبال والبحار وقيل ان الساعة ثقلت جدا على اهل السموات والارض لان فيها
فناوهم وقيل ثقل على القلوب لان الخلق يعلمون ان مصيرهم بعدها الى البعث والحساب والسوال والخوف
من الله وقيل خفيت في السموات والارض فلم يعرف احد من الملايكة المقربين والانبيا المرسلين متى يكون
حدوثها ووقوعها وقيل ثقل على اهل السموات والارض تحصيل العلم لوقتها المعين وكما يقال في المحمول الذي
يتعذر حمله انه قد ثقل على حامله فكذلك في العلم الذي استاثر الله به يقال انه ثقل عليهم قال صاحب الكشاف
اي كل من اهلها من الملايكة والثقلين اهمه شان الحال الساعة ويرده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاوها
وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقفونها ويخافون شدايدها واهوالها لان كل شي لا يطيقها ولا يقوم
لها فهي ثقيلة فيهما الا بغتة الا فجاة وعلى غفلة منكم وهذا تاكيد لما تقدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الساعة تبيح بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها قيل كانك بار بهم لطيف بهم العشرة صديق لهم قريب
منهم ويويد هذا القول ما روي ان قريشا قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا
متى الساعة فقال تعالى يسالونك كانك حفي عنها اي كانك صديق لهم بار بمعنى انك لا تكون خفيا بهم ما داموا
على كفرهم وقيل حفي عنها اي كثير السوال عنها شديد الطلب لمعرفتها وحفي فعيل من الاحفا اي الالحاح

والالحاق في السوال ومن اكثر السوال عن الشي والبحث عنه علمه قال ابو عبيدة رضي الله عنه هو
من قولهم يحفى اي يستقصي فقوله كانك حفي عنها اي كانك اكثرت السوال عنها وبالغت في طلب
علمها قال صاحب الكشاف كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السوال عنها لان من بالغ في المسلة عن
الشي والتنقير عنه استحكم علمه فيه وروصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفا الشارب
واحفا البقل استيصاله واحفى في المسلة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في التربية وعن
مجاهد استحفيت عنها السوال حتى علمت وقيل عنها متعلق بيسلونك اي يسلونك عنها كانك
حفي عنها اي عالم بها وقيل كانك حفي بالسوال عنها تحبه وتوثره يعني انك تنكره السوال عنها لانها
من علم الغيب الذي استكثر الله به ولم يوته احدا من خلقه وتكرير يسلونك وانما علمها عند الله
للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها سوال عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها
لما جا فلم يلزم التكرار واجاب عن الاول انما علمها عند ربي واجاب عن الثاني بقوله انما
علمها عند الله والفرق بين الصورتين ان السوال للاول كان واقعا عن وقت الساعة والسوال الثاني
واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها واعظم اسماء الله مهابة وعظمة هو قولنا الله فذكر عند السوال عن
مقدار شدة القيمة الاسم الدال على غاية المهابة ثم لفه ختم الاية بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها وقيل لا يعلمون ان اصل الساعة حق لان اكثر الخلق ينكرون
المعاد ويقولون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين وقيل لا يعلمون السبب الذي
لاجله اخفيت معرفة وقته المعين عن الخلق **قوله تعالى** قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير
وبشير لقوم يومنون قيل هذا متصل بما قبله ومعناه لا اقدر ان اسوق الى نفسي خيرا وادفع
عنها شرا حين ينزل بي فكيف اعلم واملك علم الساعة وتم الكلام عند قوله لاستكثرت من الخير
وقيل ان قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وانا لا ادعي علم الغيب ان انا الا نذير وبشير لقوم
يومنون ثم قال وما مسني السوء اي ليس بي جنة وذلك لانهم نسبوه الى الجنون كما في قوله وما
بصاحبكم من جنة ونظيره قوله تعالى في سورة يونس وما بصاحبكم من جنة ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون روي ان اهل مكة قالوا يا محمد لا يخبرك ربك بالرخص والغلا فتشتري وتربح
وبالارض التي تجدب فترتحل منها الى الارض الخصبة فانزل الله هذه الاية وقيل لما رجع صلى الله عليه
وسلم من غزوة بني المصطلق جات ريح في الطريق نفرت الدواب فاخبر صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة
بالمدينة وقال عليه الصلاة والسلام انظروا اين ناقتي فقال عبد الله ابن ابي مع قومه الا تعجبون

من هذا

من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من
المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال
فانزل الله الاية اعلم ان القوم طلبوه بالاخبار عن الغيوب وطالبوه باعطا الاموال العظيمة
قال الله تعالى قل يا محمد لا املك لا اقدر لنفسي نفعا ولا ضرا اي اجتلاب نفع ولا جزا الا ما شاء الله
ان املكه بتمليكه اياي فان قدرتي قاصرة وعلمي قليل وكل من كان عبدا كذلك والقدرة الكاملة والعلم
المحيط ليس الا الله وهذا اظهارا لعبوديته والانتفا عما يختص بالربوبية من علم الغيب واحتج الرسول
صلى الله عليه وسلم عن عدم علمه بالغيب بقوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني المال ولهيات
لسنة القحط ما يكفيها وما مسني السوء اي ما اصابني الفقر والذل والضر وقيل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا يعني الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من معرفته حتى لا يخفى
علي شي وما مسني السوء اي التكذيب وقيل لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق
توثر في هذا ولا توثر في ذلك فكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقيل المراد ما يتصل بالجواب عن
السوال والتقدير لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت الخير في الحيوات عن المسايل التي سالتم عنها
مثل السوال عن وقت قيام الساعة وغيرها وما مسني السوء اي ولو كنت اعلم الغيب لاحترزت عن السوء
حتى صرت بحيث لا يمسني السوء ولما لم يذكر الامر كذلك ظهر ان علم الغيب غير حاصل عندي وقيل ولو كنت
اعلم الغيب لكانت حالتي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستقرار المنافع واجتناب السوء
والمضار حيث لا يمسني منها شيا ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في
التجارات ومصيبا ومخطيا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني اعلم الغيب
لقوم يومنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة انما يتعاقبان فيهم او يتعلق بالبشير
وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يومنون **قوله تعالى**
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت
به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لين اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون رجع في هذه الاية الى تقرير اقرار التوحيد وابطال الشرك
من نفس واحدة هي نفس ادم وخلق منها زوجها وهي حوا خلقها من ضلع من اضلاع ادم وقيل من جنسها
ليسكن اليها ليطمين اليها ويميل اليها ويستانس بها ويأوي اليها ولا ينفر لان الجنس الى الجنس يجن وهو
اميل وبه يستانس واذا كان بعضا منه كان السكون اليه والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده
ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى
النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن عن الانثى ويتغشاها فكان التذكير

احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها
ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما تستثقله وقد تسمع
بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته قيل ما الذكر خفيف عليها فمرت به اي استمرت
وقامت وقعدت به ولم تكترث بحملها وقيل فمرت به اي استبان حملها فلما اثقلت اي كبر الولد في بطنها وتحرك
وصار ذات ثقل بحملها كما يقال اثمر اي صار ذا ثمر دعوا الله اي ادم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق
بان يدعى ويلتجى اليه فقالا لئن اتيتنا وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان
الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين والضمير في اتيتنا لنكونن لهما او لهما ولكل من يتناسل
من ذريتهما وذلك اشفقا ان يكون بهيمة او شيئا سوى الانسان قيل ان ابليس اتاهما في صورة رجل لما
اثقلت في اول ما حملت فقال ما هذا الذي في بطنك قالت لما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة قالت ذلك
لادم فلم ير الا من هم في ذلك ثم عاد اليهما فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله فولدت انسانا فسميه بي
قالت نعم قال فاني ادعو الله فاتاها فولدت فقال سميه باسمي قال وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته
فسمته عبد الحارث فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح للتقوى جعلا له شركا اي جعل اولادهما له شركا على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ولذلك قال فيما اتاهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله
عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحوا بريان من الشرك ومعنى اشراكهما فيما اتاهم تسميتهم اولادهم بعبد العزى
وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وقيل الخطاب لقريش الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الى قصي الى ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يبارى وسودد ۞ ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية
يسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعتابهما الذين اقتدوا بهما
في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه قرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص
شركا على الجمع اخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ونحوها وعاصم في
رواية ابي بكر عنه شركا بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف ومعناه جعلا له ذوي شرك وهم الشركا
او يقال معناه احدث الله تعالى اشراكا في الولد وقيل شركا اي حظا نصيبا من غيره واختلف المفسرون في تاويل
الشرك المضاف الى ادم وحوا عليهما السلام فقال كان بعضهم شركا في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية
وقيل انهما لم يذهبا الى ان الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث لكنهما قصدا الى ان الحارث كان سبب
نجاة الولد وسلامة امه فسمياه رب المنزل كما يسمى رب المنزل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على
ان الضيف ربه كما قال حاتم واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في الا تيك من شيمة العبد ۞

وقال

وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركا عبد العزى وعبد اللات وعبد مناف وقال عكرمة لم يخص
بها ادم ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد ادم قال الحسين ابن الفضل رضي الله عنه وهذا اعجب اهل النظر
لما في القول الاول من الصاق العظايم بنبي الله ادم ويدل على جمعه في الخطاب حيث قال هو الذي خلقكم
من نفس واحدة ثم قال فلما تغشاها انصرف من الخطاب الى الى الخبر يعني فلما تغشى الرجل منهم امراته قال
الله يشركون يعني كفار مكة ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل ولد لادم ولد فسمياه عبد الله
فاتاهما ابليس فقال ما سميتما ابنكما هذا قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الرحمن فمات
فقالا سميناه عبد الله فقال ابليس اتظنان ان الله تارك عبده عندكما ليذهبن به كما ذهب بالاخر ولكن
ادلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس فذلك قوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعني الشمس لا تخلق شيئا وهم يخلقون يعني الشمس لا تخلق شيئا حتى يكون لها عبدا انما هي مخلوقة قال
صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين في الجنة وخدعهما في الارض وقيل انه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب
المثل وبيان ان هذه الحالة صورة هاولا المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك وتقرير هذا الكلام كانه تعالى
يقول هو الذي خلق كل واحدة منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية
فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة انهما ان اتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين
لالائك ونعمائك فلما اتاهما الله ولدا صالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما اتاهما لانهم تارة
ينسبون ذلك الولد الى الطباع كما هو قول الطبايعيين وتارة الى الكوكب كما هو قول المنجمين وتارة الى الاصنام
كما هو قول عبدة الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها فذكر تعالى قصة ادم وحوا وحكى عنهما انهما
قالا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اي ذكرا انه تعالى لو اتاهما ولدا سويا صالحا لاشتغلوا بشكر
تلك النعم ثم قال فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد والتقليل
ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله من شرك هاولا المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه
الى ادم عليه السلام ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم فعلت
في حق فلان بكذا او احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساة انه مبرا عن ذلك فغرضه من قوله
انه يقابلني بالشر والاساة النفي والتبعيد ۞ **قوله تعالى** ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين قال الامام ان هذه الاية من اقوى الدليل على انه ليس المراد بقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون من قصة ابليس اذ لو كان المراد ذلك لكانت هذه الاية حسنة عنها بالكلية وكان
ذلك في غاية الفساد في النظم والترتيب بل المراد ما ذكر في ساير الاجوبة ان المقصود من الاية السابقة

الرد على عبدة الاوثان المقصود من هذه الاية اقامة الحجة على ان الاصنام لا تصلح الالهية فقوله
ايشركون ما لا يخلق شيئا معناه ايعبدون ما لا يقدر على ان يخلق شيئا وهم يخلقون اجرت الاصنام
مجرى اولى العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا
يقدر على خلق شيء كما خلق الله سبحانه وتعالى وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء
لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يخلقونهم فهم اعجز من عبدتهم احتج اصحابنا بهذه الاية على ان
العبد غير موجد ولا خالق لافعال العبد قالوا لانه تعالى طعن في الهية الاصنام بسبب انها لا تخلق
شيئا وهذا الطعن انما يتم لو قلنا ان بتقدير انها كانت خالقة بشيء لم يتوجه الطعن في الهتها وهذا
يقتضي ان كل من كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لافعال نفسه لكان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا
ان العبد غير خالق لافعال نفسه ولا يستطيعون اي الاصنام لعبدتهم نصرا معناه ان الاصنام لا تستطيع
ان تنصر عبدتها ولا تنصر من عصاها والنصر المعونة على العدو والمعبود بحيث ان يكون قادرا على ايصال
النفع ودفع الضد والضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتبر بها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحاسبون عليهم وان تدعوهم اي وان تدعوا هذه
الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما يطلبون من الله
الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يحبونكم كما يحبكم الله ويدل عليه قوله تعالى فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وهذا مثل قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وما ذكرناه من المباحث عائد هنا الى ان الفرق ان
في تلك الاية عطف الفعل على الفعل وهاهنا عطف الاسم على الفعل لان قوله ادعوتموهم جملة فعلية
وقوله ام انتم صامتون جملة اسمية وانما وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية لانهم كانوا اذا اخبرهم
امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس فكانت حالتهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن
دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفرق الحال بين احداثكم دعاهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم
ثم اكد الله بيان انها لا تصلح الالهية فقال ان الذين تدعون اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله
عباد امثالكم قوله عباد امثالكم اي استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك
فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتم نفسكم عبيدا وجعلتموها الهة وارباباً ثم اكد هذا البيان
بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ومعنى هذا الدعاء طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم واللام في قوله
فليستجيبوا لكم لام للامر على معنى التعجب والمعنى انه لما ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها
لا تصلح للمعبودية ونظيره قول ابرهيم عليه السلام والصلاة لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنك شيئا قوله ان كنتم صادقين في ادعاء انها الهة مستحقة للعبادة ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم

فقال

فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فلا تنظرون اي انما تكون امثالا لهم اذا كان هذه الاعضاء الاربعة وهي الارجل التي
يمشون بها والايدي التي يبطشون بها والاعين التي يبصرون بها والاذان التي يسمعون بها ولا شك ان هذه
الاعضاء اذا حصل في كل واحد منها ما لا يليق بها من القوى المحركة والمدركة تكون لفضل منها اذا كانت خالية عن
هذه القوى فالرجل التي يمشي بها واليد التي يبطش بها افضل من الرجل واليد الخالية عن القوى الباصرة
السامعة فهذه الاصنام ليست امثالهم بل هي افضل من العين والاذن الخالية عن هذه الاصنام بكثير
بل لا نسبة لفضيلة الانسان الى فضيلة هذه الاجسام البتة واذا كان كذلك فكيف يليق بالاكمل الافضل
الاشرف ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الذي لا يحصل منه فائدة لا في جلب المنفعة ولا في دفع
المضرة قوله قل ادعوا شركاءكم واستعينوا به في دعواي ثم كيدوني جميعا ليظهر لكم ان لا قدرة لها على ايصال
المضار الى ذلك بوجه من الوجوه لبيت نافع وابو عمرو الباء في كيدوني والباقون حذفوها ومثله في قوله
ولا تنظرون قال الواحدي ان التواصل يشبه القوافي وقد حذفوا هذه اليايات اذا كانت في القوافي
والذي اثبتوها فان الاصل فيه هو الاثبات ومعنى قوله فلا تنظرون فلا تمهلوني واعجلوا في كيدي انتم
وشركاءكم فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك
كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون **قوله تعالى** ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين لما
بين في الاية المتقدمة ان هذه الاصنام لا قدرة لها على النفع والضر بين بهذه الاية ان الواجب على كل
عاقل عبادة الله لانه هو الذي يقدر على تحصيل منافع الدين ومنافع الدنيا فيتولى الصالحين فالواحدي
قرا القراء ولي الله بثلاث ياءات الاولى يا فعيل وهي ياء ساكنة والثانية لام الفعل ادغمت الاولى في الثانية
فصارت ياء مشددة والثالثة ياء الاضافة وروي عن ابي عمرو ولي الله بياء مشددة ووجهه ان حذف
الياء التي هي لام الفعل ثم ادغمت يا فعيل في ياء الاضافة فقلت ولي الله وهذه الفتحة فتحة الاضافة
واما الباقون فاجازوا اجتماع ثلاث ياءات اي ان ناصري عليكم وحافظي الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى
الى كتابه واعزني برسالته وهو الكلام المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة في الدين وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده ولا تضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك يأس المشركون من ان ينصر
كيدهم **قوله تعالى** والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون انما اعيد هذا المعنى لان الاول
مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله
المعبود يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك ولا تكون صالحة للالهية وقيل

ان هذه الاحوال المذكورة صفات لها ولا المشركين الذين يدعون غير الله يعني ان الكفار يخوفون رسول الله
واصحابه فقال تعالى انهم لا يقدرون على شيء بل انهم قد بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت اعظم انواع
الحجة والبرهان لم يسمعوا وتراهم ينظرون اليك فيشبهون الناظرين اليك لانهم صور الاصنام بصورة من قلب
حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا ينظرون اليك يشبهون الناظرين المرئي هذه اذا جعل هذه صفات
الاصنام واما اذا جعلت صفات المشركين فالمعنى ان المشركين وان كانوا ينظرون الى الناس الا انهم لشدة
اعراضهم عن الحق لم ينتفعوا بذلك النظر والرؤية فكانوا كانهم عمي **قوله تعالى** خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين لما بين سبحانه وتعالى في الاية الاولى بان الله هو الذي يتولاه فان
الاصنام عابديها لا يقدرون على الاهداء والاضرار بين في هذه الاية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم
في معاملة الناس والعفو ضد الجهد اي خذ ما عنا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وما يسهل من
غير تكليف ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا قال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا
قال الشاعر ٥ خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في صورتي حين اغضب ٥
وقيل خذ العفو وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذها منهم طوعا او كرها
والعرف والعارفة والمعروف الجميل من الافعال قيل هو كل امر عرف لانه لا بد من الاتيان به وان وجوده
خير من عدمه وهذا القسم ينبغي ان يامر ولا تاخذ العفو لانه لو لم يامر بالمعروف كان ذلك سعيا في تغيير الدين
وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة
والايذاء فاعرض عن الجاهلين ولا تكافي السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واعرض عما يسوءك منهم قيل لما
نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال جبريل لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد
ان ربك يقول هو ان تقبل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قيل بيان جبريل مطابق للفظ الاية
لانك ان اوصلت من قطعك فقد عفوت عنه وان عطيت امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية
اجمع لمكارم الاخلاق منها **قوله تعالى** واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه ~~هو السميع العليم~~ قيل لما نزلت قوله تعالى واعرض عن الجاهلين قال صلى الله عليه وسلم كيف
يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي ينزغنك نزغ من الشيطان هو بحسبه بان
يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به يقال نزغت بين القوم اذا افسدت ما بينهم وقيل النزغ للازعاج
واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر انه تعالى لما امر بالمعروف فعند ذلك ربما يهيج
نبيه ويظهر الشفاعة فعند ذلك امره تعالى بالسكون عن مقابلته فقال واعرض عن الجاهلين ولما كان من
المعلوم ان عند اقدام السفيه على السفاهة قد يهيج الغضب ولا يبقى الانسان على حال السلامة وعند ذلك
يجد الشيطان مجالا في حمل ذلك الانسان على ما لا ينبغي لا جرم بين الله ما يجري مجرى العلاج لهذا المرض فقال

سميع عليم صح

فاستعذ

فاستعذ بالله ولا تطعه وقيل يجوز ان يراد بنزغ الشيطان اغراء الغضب كقول ابي بكر الصديق رضي الله
عنه ان لي شيطانا يعتريني والاستعاذة بالله عند هذه الحالة ان يتذكر المرء عظيم نعم الله عليه وشديد عقابه
فقد عرفه كل واحد من هذين الامرين عن الاعراض عن مقتضى الهوى وطاعة الشيطان والاقبال على اوامر الله
واوامر الشرع وهذا الخطاب وان خصه الله بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو تاديب عام لجميع المكلفين لان
الاستعاذة بالله لطف يمنع من تاثير نزغ الشيطان ولذلك قال تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا واذا ثبت بالنص ان لهذه الاستعاذة تاثيرا في دفع
نزغ الشيطان وجبت المواظبة عليه في اكثر الاحوال انه سميع عليم كانه قال اذكر بلسانك لفظ الاستعاذة فانه
سميع واستحضر معناه بقلبك فانه عالم بما في ضميرك عليم **قوله تعالى** ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون نبه في هذه الاية
على ان الرسول لا يحصل له من الشيطان الا النزغ الذي هو كالابتداء في الوسوسة واما المتقون فيمسهم
طيف من الشيطان الذي هو ابلغ من النزغ قال صلى الله عليه وسلم ما من انسان الا ومعه شيطان قالوا
وانت يا رسول الله قال وانا لكنه اسلم بعون الله تعالى فلقد اتاني فاخذت بحلقه ولولا دعوة سليمن عليه السلام
لاصبح في المسجد طريحا قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف بغير الف والباقون طائف بالالف طيف لمة من الشيطان
مصدر من طاف يطيف طيفا قال اني الم بك الخيال يطيف طاف الخيال طيفا اذا الم في المنام ٥ ويجوز ان يكون
طيف بتخفيف طيف فعيل من طاف يطيف استثقلوا التشديد فحذفوا احد التائين وابقوا ياء ساكنة كلين
او من طاف يطوف كهين والطائف يجوز ان يكون مصدرا بمعنى اللطيف مثل العافية والعاقبة ويجوز ان يكون
فاعلا من طاف يطوف او من طاف يطيف وقيل الطائف والطيف لغتان كالميت والمائت ومعناهما الشيء الذي
يلم بك وفرق قوم بينهما واللطيف اللمم او لمس وعن ابن عباس اذا مسهم طائف نزغ من الشيطان وفرق قوم بينهما
فقالوا الطائف ما يطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة والخطرة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة
الشيطان وقال الكلبي ذنب وقال مجاهد هو الغضب وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله
عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان وللام بوسوسة تذكروا ما
امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوا انفسهم تذكروا وعرفوا وقيل انتهوا
عن سعيد بن جبير هو الذي يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم غيظه وعن مجاهد هو الرجل الذي يهم بالذنب
فيذكر الله فيدعه وعن السدي معناه اذا زلوا تابوا وعن مقاتل يقول ان المتقي اذا اصابه نزغ من الشيطان
تذكروا وعرف انها معصية فابصرها فينزع من مخافة الله فاذا هم مبصرون مواقع خطيئتهم بالتفكر والتذكر
يبصرون فيقصرون فان المتقي من يشتهي فينتهي ويبصر فيقصر قوله اذا مسهم يستدعي جزاء كقولك اتيتك اذا
احمر البسر واذا في قوله تعالى فاذا هم مبصرون للمفاجاة ثم ذكر الكفار فقال واخوانهم اي اخوان الشياطين

وهم الكفار يمدونهم اي يمدهم الشياطين في الغي اي يكونون مددا لهم في الغي ويعضدونهم اي يطيلون لهم
ويزيدونهم في الضلالة قراءة نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد
مد يمد وامد يمد وقيل مد معناه جذب قال الواحدي عامة ما جاء في القران فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت
كقولهم انما نمدهم به من مال وبنين وقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وقوله تعالى اتمدونني بمال وما كان
بخلافه فانه يجي على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فالوجه هاهنا قراءة العامة ومن ضم الياء استعمل ما هو
لنجز لصدده كقوله فبشرهم بعذاب اليم ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن اغوائهم ولا ينزعون وقيل لا يسامون
ولا يفترون عن ابن عباس بما الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم قال صاحب
الكشاف واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها وان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جار على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة
الذين اتقوا وجمع الضمير في اخوانهم والشياطين جمع شيطان لان المراد به الجنس كقوله او اباؤهم قول

قوله تعالى واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا
بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لما بين في الاية المتقدمة ان شياطين الانس
والجن لا يقصرون في الاغواء بين في هذه الاية نوعا من انواع الاغواء والاضلال وهو انهم كانوا يطلبون
ايات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا اجتبى الشي بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه اي اذا لم تات يا محمد المشركين باية قالوا
لولا اجتبيتها اي هلا افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك وقيل معنى لولا اجتبيتها هلا
اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون هذا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك
مقترحة وقيل لولا اقتضيتها واخرجتها من عند نفسك وقيل لولا تلقيتها وتقبلتها من ربك وقيل
لولا اخذتها فجئت بها من السماء قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته اذا افتعلته من قبل
نفسك وقال ابو زيد انما تقول العرب ذلك الكلام يبتدي الرجل به لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه
قل لهم يا محمد انما اتبع ما يوحى الي من ربي وليست بمفتعل الايات او ليست بمقترح لها وليس الى ان اقترح
على ربي في امر من الامور وانما انتظر الوحي وكل شي امرني به قبلت والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح
ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي طلبتموها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق دعواه
معجزة بالغة قاهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب هذه
الزيادات من باب التعجب فذكر في وصف القران اوصافا ثلثة اولها قوله تعالى هذا بصائر من ربكم
اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واصل البصيرة الابصار
ولما كان القران سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه لفظ البصيرة

تسمية

تسمية للسبب باسم المسبب وثانيها قوله وهدى والفرق بين هذه المرتبة وما قبلها ان الناس في معارف
التوحيد والنبوة والمعاد قسمان احدهما الذين بلغوا الى ذلك الحد الا انهم وصلوا الى حيث صاروا كالمشاهدين
لها وهم اصحاب عين اليقين والثاني الذين بلغوا الى ذلك الحد الا انهم وصلوا الى درجات المستدلين وهم
اصحاب علم اليقين فالقران في حق الاولين والاخرين فلاولون وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني
وهم المقتصدون هدى وفي حق المؤمنين رحمة ولما كانت الفرق الثلثة للمؤمنين قال لقوم يؤمنون

قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون لما عظم الله
شان القران بقوله هذا بصائر من ربكم اردفه بقوله واذا قرئ القران فاستمعوا له للانصات
السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة
القران في صلاة وغير صلاة فقيل يجري هذه الاية على عمومها ففي اي موضع قرا الانسان القران وجب
على كل احد استماعه والسكوت فعلى هذا القول يجب الانصات لقارئ الطريق ومعلم الصبيان وقيل
انها نزلت في تحريم الكلام والصلاة عن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلاة لحوائجهم فانزل الله تعالى
الاية ثم صار سنة في غير الصلاة ان يصيب القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل كان الرجل
ياتي وهم في الصلاة فيسالهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فانزل الله هذه الاية
وقيل انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الاية وقيل
انها نزلت في السكوت عند الخطبة وقيل معناه واذا تلي عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له
وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه وقال ابن عباس قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة
المكتوبة وقرا اصحابه وراءه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الاية

قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين
لما قال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا اعلم ان قاريا يقرا بصوت عال حتى يمكنهم الاستماع ومعلوم
ان ذلك القاري ليس الا الرسول صلى الله عليه وسلم كانت هذه الاية جارية مجرى امر الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان يقرا القران على القوم بصوت عال قائما امره بذلك ليحصل المقصود من تبليغ الوحي والرسالة
ثم انه تعالى اردف ذلك الامر بان امره في هذه الاية بان يذكر ربه في نفسه والفائدة ان انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لانه بهذا الشرط اقرب الى الاخلاص والتضرع قيل هو عام في الاذكار
من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك قيل امر الله رسوله بالذكر مقيدا بقيود الاول
واذكر ربك في نفسك والمراد بذكر الله في نفسه كونه عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها مستحضرا لصفات
الجلال والعز والعلو فان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب غير مفيد القيد الثاني حصول التضرع واليه
الاشارة بقوله تضرعا وهذا القول معتبر او يدل عليه القران والمعقول اما القران فقوله تعالى من ينجيكم

من ظلمات البر والبحر تضرعا وخفيه واما المعقول فلان كمال حال الانسان انما يحصل بانكشاف امرين
احدهما عزة الربوبية وهذا المقصود اما يتم بقوله تعالى واذكر ربك في نفسك والثاني مشاهدة العبودية
وذلك انما يحصل بقوله تعالى تضرعا وخفية والاسرار من الذكر الى التضرع يشبه الزوال من المعراج والاسرار
من التضرع الى الذكر يشبه الصعود وبهما يتم معراج الارواح القدسية القيد الثالث قوله وخفيه
اى خافيا قال الامام وهذه الحروف تجمع علوما وهو منها حروف الاعمار ومنها حروف الخاتمة والمحققون
خوفهم من السابقة لانها انما تظهر في الخاتمة بما سبق به في الفاتحة ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم
خفف القلم ما هو كائن الى يوم القيمة ومنها اني كيف اقابل النعمة التي لا احصر لها بطاعتي انما قصة
واذكار القاصرة القيد الرابع قوله ودون الجهر بان تقع ذكرا لعلم بحيث يكون متوسطا بين الجهر
والمخافتة كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا عن ابن عباس رضي
الله عنه المعنى اذكر ربك على وجه يسمع نفسه فان امر اد حصول الذكر الساني اذ كان بحيث
يسمع نفسه بتأثر الحال منه دعوى الذكر القلبي ولا يزال يتقوى كل واحد من هذه الاذكار القلبية
وينعكس الانوار من بعضها الى بعض فتزداد القوة والجلاء الانكشاف والترقي من ظلمات عالم الاجسام
الى انوار مدبر النور والظلمات القيد الخامس قوله بالغدو والاصال قيل الغدو مصدر يقال غدوت
غدوا ومنه غدوها شهر اى عدوها بسير ثم سمي وقت الغدو غدوا كما يقال دنا الصباح اى وقته وقيل الغدو
جمع غدوة واما الاصل فقال الفراء احدها اصل واحد الاصل اصيل ويقال الاصيل ما خود من الاصل واليوم
بالليلة انما يبتدأ في الشرع من اول الليل واخرها واول كل يوم متصل بالليلة الثانية لان اليوم اسم لما بين طلوع الفجر
واصلا لكونه متلاصقا لما بينوا الاصل لليوم اسم خص العدو والاصال بهذا الذكر والسر فيه ان
عند العدوة انقلاب الاحسان من النوم الثاني الذي هو الموت الى اليقظة التي هي كالحيوة والعالم
انقلب من الظلمة التي هي طبيعية عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية واما عند الاصال فالامر
بالضد لان الانسان تنقلب فيه من الحياة الى الموت والعالم ينقلب فيه من النور الى الظلمة ففي هذين
الوقتين يحصل هذان النوعان من التغير العجيب لقوى القاهر ولا يقدر على هذا التغيير الا الاله الموصوف
بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فلهذا خص الله هذين الوقتين بالامر بالذكر القيد السادس قوله تعالى
ولا تكن من الغافلين والمعنى ان الغدو والاصال دلت على انه يجب ان يكون دائما وان لا يغفل الانسان
لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية قوله تعالى واذكر ربك في نفسك
وان كان ظاهره خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم الا انه عام في حق كل المكلفين ولكل احد درجة مخصوصة
ومرتبة معينة بحسب استعداده كما قال في صفة الملائكة وما منا الا له مقام معلوم

قوله تعالى

ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون لما رغب الله سبحانه

ذكر حاصلا في كل الاوقات
ومرة واحدة من الغافلين يدل
على ان الذكر القلبي يجب ان يكون
٢

وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في الذكر والمواظبة عليه عقبه بما يقوى داعيه في ذلك فقال ان الذين
عند ربك اى الملائكة عند ربك يعني دنوا الى الغاية والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لا دنوا المكان والمسافة
لا يستكبرون عن عبادته مع نهاية قهرهم وتخلصهم عن دواعي الشهوة والغضب يسبحون الليل والنهار
لا يفترون والانسان مع دونه مبتلى بدواعي الشهوى وبواعث الغضب اولى بالمواظبة على الطاعة ولهذا السبب
قال عيسى صلى الله عليه وسلم واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره دقيقة ولا انهم يسبحونه
والتسبيح تنزيه الله من كل سوء وذلك يرجع الى المعارف ثم اردفه بقوله تعالى وله يسجدون وذلك يرجع
الى اعمال الجوارح وهذا اول اية سن السجدة عند قراتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن
ادم اية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفع الله له
درجة في الجنة وحط عنه بها خطيئة

سورة الانفال خمس وسبعون ايه

والف ومايتان وخمس وسبعون كلمة وخمسة الاف ومايتان وعشرون حرفا واكثر الناس على انها مدنية
كلها وعن مجاهد هي بمدينة غزاة واحدة واذ يمكر بك الذين كفروا الاية كلها وهذه الاية نزلت
في قصة وقعت بمكة وعكسوا ان تنزل الاية في ذلك بالمدينة ولا خلاف في ان هذه السورة نزلت في يوم بدر
وامرغنا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين
قوله يسئلونك يقتضي البحث عن السايل والمسول وحقيقة النقل والاحكام التي يكون السوال عنها
اما السايل فنقول ان قوله يسالونك اخبار عن امر سبق ذكره وحسن ذلك لان حالة النزول كانت السيال
عن هذا السوال معلوما معينا فانصرف الضمير اليهم ولا شك انهم كانوا اقواما لهم تعلق بالمغانم والانفال وهم
طايفة من الصحابة واما المسول فلا يخفى انه النبي صلى الله عليه وسلم واما الانفال فهو جمع نفل قال الزهري النفل
والنافلة ما كان زيادة على الاصل وسميت الغنايم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على ساير الامم الذين لم تحل الغنايم
لهم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض الذي هو الاصل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
اى زيادة على ما سال واما السوال فكان واقعا على حكم الانفال ونظيره قوله تعالى يسالونك عن المحيض ويسالونك
عن اليتامى فعلم منه انه سوال عن حكم من احكام المحيض واليتامى وذلك الحكم غير معين الا ان الجواب كان
معينا لان الله تعالى قال في المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فدل هذا الجواب ان ذلك السوال
كان سوالا عن مخالطتها النساء في المحيض وقال في اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فدل هذا

الجواب المعين على ان ذلك السوال كان واقعاً عن التصرف في مالهم ومخالطتهم في المواكلة فكذا هاهنا انما قال
في جواب السوال عن الانفال قل الانفال لله والرسول دل هذا انهم سالوا عن مصرفها والمستحق لها والنفل الغنيمة
لانها من فضل الله وعطايه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والغنيمة المال الماخوذ من الكفار قهراً
وقيل النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زايداً على سهمه من المغنم وهو ان يقول للامام تحريضاً على البلا
في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه وقال لسريه ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم
الامام الوفا بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم وعن بن عباس الانفال ما شذ عن المشركين
الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع هو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشا وعن مجاهد
الانفال الذي يجعله الله لاهل الخمس والسوال انما هو عن الخمس ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنايم بدر
وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار او لهم
جميعاً فقيل له قل لهم يا محمد هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشا ليس لاحد
غيره فيها حكم وعن بن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من اتى مكان كذا وكذا فله
من النفل كذا ومن قتل قتيلا فله سلبه وله كذا ومن اسر اسيراً فله كذا فلما التقوا تسارع اليه الشبان
فاقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات فلما فتح الله تعالى على المسلمين جاوا يطلبون ما جعل لهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لهم الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات كنا دراء لكم وفيه تحازون اليها انهزمتم
فلا تذهبوا بالمغانم دوننا واقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت
من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيراً فله كذا وانا قد قتلنا سبعين قتيلا واسرنا سبعين فقام سعد بن
معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هاولا زهادة في الاخرة لاجبن عن العدو ولكن كرهنا ان نقوي
مصافك فيعطف عليها خيل المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد ابو اليسر
بمثل مقالته ثم قال سعد بن معاذ بمثل كلامه وقيل يا رسول الله ان الناس كثير وان الغنيمة دون ذلك فان تعط
هاولاء ما شرطت لهم لا يبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت الاية وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر الانصار
يوم بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فرده
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص فيّ نزلت هذه الاية وذلك انه لما كان
يوم بدر قتل اخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه فاعجبني فجيت به الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في الارض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى لمن ليس بلاي فما جاوزت
الا قليلا حتى جاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزل الله سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني

السيف

السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه قل الانفال لله والرسول يقسمانها كما شاء او ينفلان
ما شا او يرضخان منها ما شاء والمعنى ان حكمهما يختص بامر الله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يشا
ويميل الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد قال صاحب الكشاف والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله
وامر به رسوله ان مواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فتقاسموهم
على السوية ولا تستاثروا بما قد شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب
والتصافي ولا حاجة لنا في تفسير الاية الى تنفيذ المراد باقتضا الحكمة فان الاية لا تدل عليه ولا يتوقف صحة
المعنى عليه فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متاخين في الله واصلحوا ما بينكم من الاحوال
حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق ولما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاصرار
لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الانا من الشراب
وذلك حين اختلفوا امرهم بالتقوى واصلاح ذات البين عن قتادة كان نبي الله صلى الله عليه وسلم
ينفل الرجل من المومنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله وكان ينفل الرجل على قدر غنايه وبلايه حتى اذا كان
يوم وملاء الناس ايديهم غنايم فقال الضعفا ذهب الاقويا بالغنايم فنزلت قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله
واصلحوا ليرد الاقويا على الضعفا فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد بعضهم على بعض وامرهم
بالطاعة فيما نهى الله لهم عن مخالفة حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
ثم اكد ذلك بان امرهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله واطيعوا الرسول ثم بالغ في هذا التاكيد بقوله
ان كنتم مومنين قال صاحب الكشاف وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم
مومنين ان كنتم كاملي الايمان **قوله تعالى** انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم لما قال تعالى واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مومنين واقتضى ذلك كون الايمان مستلزما للطاعة شرح ذلك في هذه الاية مزيد شرح
وتفصيل وبين ان الايمان لا يحصل الا عند حصول هذه الطاعات فقال انما المومنون اشارة الى مومنين في قوله
ان كنتم مومنين اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المومنون
حقا ذكر من صفاتهم امورا خمسة للاول قوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ففزعت يقال وجل يوجل
وجلا فهو وجل اذا خاف والمراد ان المومن انما يكون كامل الايمان اذا كان خايفا من الله عز ام الدردا
الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قالت بلى قالت فادع الله فان الدعا يذهبه
يعني فزعت لذكره استعطافا له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا

الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رافته ورحمته وثوابه وعن السدي
هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فينزع عنه واذا تليت هو الامر الثاني اي اذا قرئت عليهم اياته زادتهم
ايمانا اي زادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه قال الله
تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وعن ابن عباس رضي الله عنه تصديقا وعن الربيع بن انس رضي
الله عنه خشية وعن ابن حنيف وكان له صحبة ان الايمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا
الله وحمدناه فذلك زيادة واذا سهونا وقصرنا وغفلنا فذلك نقصانه وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان
ستا وفرايض وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان زيادة للايمان الذي
هو التصديق على وجهين الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل
عنده اكثر واقوى كان ازيد ايمانا لان عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض ارجح يريد ان معرفة الله اقوى الثاني
انهم يعتقدون ويصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمان الرسول صلى الله
عليه وسلم متعاقبة فعند حدوث كل تكليف كانوا يزيدون تصديقا واقرارا ومن المعلوم ان صدق انسان في
سنين كان تصديقه اكثر من تصديق من صدقه في شيء فقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه
فلما سمعوا اية جديدة وكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق قال الامام وفي الاية وجه ثالث وهو ان كمال
قدرة الله وحكمته انما يعرف بواسطة اثار حكمته في مخلوقاته وهذا بحر لا ساحل له وكلما قصر عقل الانسان
على اثار حكمته في تخليق شيء انتقل منه الى طلب حكمته في تخليق شيء اخر فقد انتقل من قرينة الى قرينة اخرى اعلى منها
واشرف واكمل ولما كانت هذه المراتب لا نهاية لها كانت مراتب التجلي والكشف والمعرفة لا نهاية لها قوله وعلى ربهم
يتوكلون هذا هو الامر الثالث لا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه وهذه مرتبة عالية
ودرجة شريفة وهي ان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في امر من الامور الا على الله وهذه الامور
الثلثة مرتبة على احسن الترتيب فان المرتبة الاولى هي الوجل من عذاب الله والمرتبة الثانية هي الانقياد
للمقامات تكاليف الله والمرتبة الثالثة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل
الله بل الغنى بالكلية عما سوى الله قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون هذا
هو الامر الرابع والخامس جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من
الصلاة والصدقة فالمراتب الثلثة المتقدمة احوال معتبرة في القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى رعاية
احوال الظاهر وراس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل النفس في الصلوة وبذل المال في مرضاة الله
عز وجل ويدخل فيه الزكوات والصدقات والصلوة يدخل فيه بذل النفس في الجهاد والانفاق يدخل فيه
الانفاق على المساجد والقناطر ولما ذكر هذه الصفات الخمس اثبت للموصوفين امورا اربعة الاول قوله

اوليك

اولئك هم المؤمنون حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة
التي هي اولئك هم المؤمنون كقوله هو عند الله حقا وقيل حقا متصل بقوله هم المؤمنون اي هم المؤمنون بالحقيقة
وقيل ان الكلام تم عند قوله اولئك هم المؤمنون ثم ابتدا وقال حقا لهم درجات عند ربهم اتفق العلماء على انه
يجوز للرجل المؤمن ان يقول انا مؤمن واختلفوا في انه هل يجوز للرجل المؤمن ان يقول انا مؤمن حقا ام لا
فقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله ولا يقول انا مؤمن حقا وقال اصحاب
ابو حنيفة رضي الله عنه الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله قال الامام
اما الذين قالوا انا مؤمن ان شاء الله فلهم فيه مقامان احدهما ان يكون ذلك لاجل حصول الشك في الايمان
والثاني ان لا يكون الامر كذلك اما المقام الاول فتقريره ان الايمان عند الشافعي عبارة عن مجموع الاعتقاد
والاقرار والعمل ولا شك ان يكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية
فوجب الشك في حصول الماهية فالانسان وان كان جازما بحصول الاعتقاد والاقرار الا انه لما كان شاكا
في حصول الايمان واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فلما كان الايمان اسما للاعتقاد والقول فكان العمل خارجا
عن مسمى الايمان لم يلزم من حصول الشك في الايمان فثبت ان من قال ان الايمان عبارة عن مجموع الامور
الثلثة يلزمه وقوع الشك في الايمان ومن قال العمل خارج عن مسمى الايمان يلزمه نفي الشك عن الايمان
وعند هذا ظهر الخلاف في اللفظ فقط واما المقام الثاني ان نقول ان قوله انا مؤمن ان شاء الله ليس لاجل
الشك ولنا فيه وجوه الاول ان كون الرجل مؤمنا اشرف صفاته واعظم نعوته واحواله فاذا قال انا مؤمن
فكانه مدح نفسه باعظم المدايح فوجب ان يقول ان شاء الله ليصير هذا سببا لحصول الانكسار في القلب
وزوال العجب وروي ان ابا حنيفة رضي الله عنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابرهيم عليه
الصلاة والسلام في قوله عز وجل والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة رضي الله عنه
هذا اقتديت به بقوله اولم تؤمن قال بلى قيل كان لقتادة ان يجيب ويقول انه بعد ان قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فطلب مزيد الطمانينة وهذا يدل على انه لا بد من قول ان شاء الله الثاني انه تعالى ذكر
في هذه الاية ان الرجل لا يكون مؤمنا الا اذا كان موصوفا بالصفات الخمس الخوف من الله والاخلاص
في دين الله والتوكل على الله والاتيان بالصلوة والزكوة لوجه الله وذكر في اول الاية ما يدل على الحصر وهو قوله
انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وكلمة انما تفيد الحصر وذلك في اخر الاية اولئك هم المؤمنون حقا وهذا ايضا
يفيد الحصر فلما دلت هذه الاية على هذا المعنى ثم ان الانسان لا يمكنه القطع على نفسه بحصول هذه
الصفات الخمس فكان الاولى ان يقول ان شاء الله وروي انه سال رجل الحسين عن الايمان فقال الايمان
ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا بها مؤمن حقا وان كنت تسالني عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله

عند ربهم فوالله لا ادري امنهم انا ام لا الثالث ان القران العظيم دل على ان كل من كان مومنا
كان من اهل الجنة فالقطع بكونه مومنا يوجب القطع بكونه من اهل الجنة وذلك لا سبيل اليه فكذا
هذا وعن الثوري انه قال من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية
وهذا الزام منه بمعنى كما لا يقطع انه من اهل الجنة فلا يقطع بانه مومن حقا الرابع ان يقول انا مومن
ان شاء الله عند الموت والمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة والعاقبة فان الرجل وان كان مومنا
حقا في الحال الا انه على تقدير ان لا يبقى ذلك الايمان في العاقبة كان وجوده بعدمه ولم يحصل فايدة اصلا
وكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء هذا المعنى الخامس ان ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع
الا ترى انه تعالى قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وهو تعالى منزه عن الشك فثبت انه
تعالى انما ذكر ذلك تعليما منه لعباده هذا المعنى فلذا هاهنا الاولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض
الامور الى الله حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الايمان السادس ان جماعة من السلف ذكروا هذه
الكلمة ورايناله ما يقويه في كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى اولئك هم المومنون حقا وهم المومنون في علم الله
وفي حكمه وذلك يدل على وجود جمع يكونون مومنين ولا يكونون ذلك فالمومن يقول ان شاء الله حتى يجعله
الله ببركة هذه الكلمة من الاولين لا من الاخرين الثاني من الامور التي اثبتها الله للموصوفين
بالصفات الخمس قوله تعالى لهم درجات عند ربهم اي من شان المومنين حقا ان يكون لهم درجات
عند ربهم اي لهم مراتب بعضها اعلى من بعض وشرف وكرامة وعلو منزلة قال مجاهد اعمال رفيعة
قال عطا يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم وقيل يعني ما اعد الله لهم في الجنة من لذيذ الماكل
والمشارب وقيل لهم درجات عند ربهم سبعون درجة خضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة
قال الامام واعلم ان الصفات المذكورة قسمان الثلثة الاولى هي الصفات القلبية والاحوال الروحانية
وهي الخوف والاخلاص والتوكل والاثنان الاخيران هي الاعمال الظاهرة ولا شك ان المؤثر كلما كان اقوى
كانت الاثار اقوى وبالضد ولا شك ان لهذه الاعمال والاخلاق تاثيرات في تصفية القلب وفي تنويره
بالمعارف الالهية ولا شك ان المؤثر كلما كان اقوى وبالضد فلما كانت هذه الاخلاق والاعمال لها درجات
ومراتب كانت المعارف ايضا لها درجات وذلك هو المراد من قوله لهم درجات عند ربهم والثواب
الحاصل في الجنة ايضا مقدر بمقدار هذه الاحوال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت
وبعد الموت ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة كثيرة ومختلفة فلهذا المعنى قال لهم درجات عند
ربهم الثاني والثالث والرابع قوله تعالى ومغفرة ورزق كريم اي تجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة
يعني لهم منافع حسنة دائمة خالصة مقرونة بالاكرام والتعظيم قال العارفون المعرفة ازالة
الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق

في معرفة

في معرفة الله وفي محبته **قوله تعالى** كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين
لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قيل الكاف محله مرتفع على
انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من تثقيل القراءة مثل
حالهم في كراهة خروجك للحرب وقيل الكاف محله منصوب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال
لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
وهم كارهون وقيل معنى ذلك فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما كان اخراج الله محمدا صلى الله عليه
وسلم من بيته بالحق خيرا لكم وان كراهة فريق منكم وقيل معناه كما اخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره فريق
من المومنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه كما فعلوه ببدر وقيل امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يمضي لامره في الغنائم على كره من اصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب عير قريش وهم كارهون
وقيل معناه يسالونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا اخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا
فنستعد له وقيل معناه اولئك هم المومنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى
على تقدير امض على الذي اخرجك ربك من بيتك وقيل هي بمعنى القسم مجازاها والذي اخرجك لان
ما في معنى الذي وجوابه يجادلونك في الله الذي اخرجك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر
اذ اخرجك ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها موضع هجرته ومسكنه فهو في اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا جحد
عنه قيل اخرجك من بلدتك لتحيي بها قلوبا عميا عن الحق وان فريقا من المومنين في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم روي ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام واقوام اخرون فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة باهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وسلم
ان تفلحوا ابدا وقيل رات اخت العباس ابن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة
فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان ينسوا حتى تتنبا نساوهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير قد اخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعصصناه فمضى بهم الى بدر
وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى

الطايفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم
قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير اليكم احب امر النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو
جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد ابن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما
احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى
تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك ما نمنع منه ابناونا ونساونا فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد ابن معاذ
فقال لكانك تريد يا رسول الله فقال اجل قال آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به من الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجلا واحدا انا نصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه
قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطايفتين والله لكاني انظر الان الى
مصارع القوم روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء
فناداه العباس وهو وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطايفتين
وقد اعطاك ما وعدك وكانت كراهة القتال لبعضهم لقوله وان فريقا من المومنين لكارهون والحق الذي
جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير على تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانهم يبصرون وجدالهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وتتاهب وذلك
لكراهتهم القتال ثم انه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسارهم الى الظفر والغنيمة بحال من
يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو يشاهد لاسبابه ناظرا اليها لا يشك فيها وقيل
كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان منهم الا فارسان **قوله تعالى**
واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق
الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ منصوب باضمار
اذكر وانها لكم بدل من احدى الطايفتين والطايفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه

لم يكن

لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك ويقال شوك الفتا لسيباها ومنها قولهم شايك السلاح اي يتمنون ان تكون لهم العير
لانها الطايفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا يريدون الطايفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ويثبته
ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبامره اياكم وبما امر الملايكة من نزولهم للنصرة
وبما قضى من قلتهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين يستاصلهم والدابر الاخر فاعل من دبر اذا
ادبر ومنه دابرة الطاير وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفايدة العاجلة
وسقينا من الامور وان لا تلقوا ما يرزوكم في ابدانكم واحوالكم والله تعالى يريد معالي الامور وما يرجع
الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم
الطايفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتكم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض
ادناه العير وما فيها وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله
الا لهما وهو اظهار الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحقه وليس هاهنا تكريرا لما قبله لان المعنيين
متناسبين فان الاول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعدا والثاني تقوية
القران والدين ونصرة هذه الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من المومنين بالكافرين كان سببا لعز الدين
وقوته ولهذا قربه بقوله ويبطل الباطل الذي هو الشرك وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والايمان
قال صاحب الكشاف الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة
على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اوليك الالهة الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب
ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع ٥
قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين
وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم لما بين
في الاية الاولى انه يحق الحق ويبطل الباطل انه تعالى نصرهم عند الاستغاثة اذ تستغيثون هو
بدل من اذ يعدكم الله وقيل متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون تعالى يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى كثرة المشركين وهم الف وقلة المسلمين وهم ثلثمايه
فدخل العريش هو وابو بكر فاستقبل القبلة ومد يده اللهم انجز ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداه فاخذ ابو بكر رداه فالقاه على منكبه والتزمه من ورايه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ولما حكى عنكم الاستغاثة بين الله
تعالى اجابهم وقال اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه فنصب ممدكم اي زايدكم ومرسل

اليكم مددًا وروا الاعم بالف من الملايكة مردفين قراء نافع وابو بكر عن عاصم مردفين بفتح الدال والباقون بكسرها ومعناه متتابعين بعضهم في اثر بعض يقال اردفته وردفته بمعنى اتبعته قال الشاعر

اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

اردفت اي جاءت بعدها او لان الجوزاء تطلع بعد الثريا ومن فعل فعل المفعول اي اردفه الله المسلمين وجاء به فامدهم الله تعالى بالملايكة فنزل جبريل في خمسمايه ملك على الميمنة ونيكا ئيل في خمسمايه على ميمنة ابي طالب رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت الملايكة يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ولا يوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين دلك الصوت الذي كنا نسمع صوتًا ولا نرى شخصًا قال من الملايكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وعن ابن عباس بينا رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيًا وشق وجهه فحدث الرجل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتل الملايكة وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين والاقلك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل مر بشدة من حناجرهم اهلك مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وما جعله الله اي الضمير عايد الى الامداد لا الى الابشري وقال الرجل وما جعل الله المددين الا بشري لكم وهذا اولى لان ما للامداد بالملايكة حصل بالبشري وقيل راجع الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم الا بشارة لكم بالنصر كما لسكينة لبني اسرايل يعني انكم استفتحتم وتضرعتم لقلتكم وضعفكم وكان الامداد بالملايكة بشارة لكم بالنصر وسكينا لكم وربطا على قلوبكم وما النصر بيد ولا تحسبوا النصر من الملايكة فان الناصر هو الله لكم لا للملايكة او ما النصر بالملايكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله فكون المومن اعتماده على اعانة الله ونصره وهدايته وكفايته فان الله هو العزيز الغالب الذي لا يغالب والقاهر الذي لا يقهر الحكيم فيما يفعل ولا يفعل الا الحق

قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم الله او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله وما ضمار اذ وقرا ابن كثير وابو عمر ويغشاكم بفتح الياء ورفع النعاس على ان الفعل له واحتجا بقوله في سورة ال عمران امنة نعاسا يغشى طايفة منكم فجعل الرفع له ونافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين على ان الفعل لله موافقا لقوله وينزل عليكم وليطهركم ويثبت واحتج لقوله كانما اغشيت وجوههم والباقون يغشاكم بضم الياء

مسددا

مسددا لقوله فغشاها ما غشى والنعاس النوم الخفيف وهو منصوب على القراتين ومعنى يغشيكم ويغشيكم واحد وامنة مفعول له على القراتين الاولتين فان قيل اذا قرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس فالضمير لله وامنة مفعول له اما اذا قرئ يغشاكم النعاس فكيف يمكن جعل قوله امنة مفعولا له مع ان المفعول له وجب ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل احسب بان قوله وان كان في الظاهر مسندًا الى النعاس لانه في الحقيقة مسندًا الى الله تعالى فصح هذا التعليل نظرًا الى المعنى قال صاحب الكشاف لما كان معنى يغشاكم النعاس يعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى فاعسوا امنة فان كان كل نوم ونعاس لا يحصل الا من الله فيه فوايد منها ان الخايف اذا خاف من عدوه الخوف الشديد على نفسه واهله لا ياخذه النوم لحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على ازالة الخوف وحصول الامن ومنها انهم خافوا من قلتهم وكثرة الكفار وعدتهم والعطش الشديد فلولا حصول هذا النعاس والاستراحة حتى تكنوا في اليوم الثاني من العمال لما تم الظفر ومنها انهم ما امنوا من ان يغروا عدوهم فاستكثروا لعدوهم فاعطاهم بل كاد ذلك النعاس يحصل لهم به زوال الاعيان انهم كانوا بحيث لو قصدهم العدو لعجزوا عن وصوله ولقدروا على دفعه ومنها ان عشيهم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس لجمع كثير في الخوف الشديد امر خارج العادة فلهذا السبب قيل ان هذا النعاس كان في حكم المعجز ويجوز ان يكون في القراتين الاخيرتين الامنة بمعنى الايمان اي يعسكم ايمانا منه او على تغشيكم النعاس فيعسون امنا ويجوز ان ينصب امنة على ان النعاس للنعاس المذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم او على انه يعاسكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت الخوف اي لا يقدم على عسيانكم وانما عسيكم امنه حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قال صاحب الكشاف لا سعد فصاحة القراان عن احتماله وله فيه نظاير وقد الم به من قال رهاب الموم اي يعشى عونًا نهاره وهو نعاد شرود قال صاحب الانتصاف وفيه بعد لان هذه الاسعاده البعيدة للموم قد تستحسن في الشعر لبنايه على المبالغة ولا يوجد مثلها في الكلام العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل ان مع استعمال المجاز في ذات الله يمتنع له هذا المنع والا هذا منه غير مستحسن لان هذا الاسلوب في درجة العليا من البلاغة وكلام الله انما كان معجزًا من حيث اللفظ والمعنى اذا استعمل فيه امثال ذلك والمعنى انما كان يهم من الخوف كان يعرض من النوم فلما من الله قلوبهم وامنهم رقدوا وقال ابن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل عليكم وروى انه المسلمين نزلوا على كثيب ابيض يسوخ فيه الاقدام وحل فيه الدواب وسهم المشركون الى ماء بدر الا العظمى وغلبوهم عليه واصبح المسلمون بعضهم محدثون وبعضهم جنبون

واصابهم الظما ووسوس لهم الشيطان فقال تزعمون ان فيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد علبكم المشركون
على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا عليهم فارسل الله تعالى عليهم مطرا سال منه
الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض
حتى ثبت عليه الاقدام ووادت وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفها اياهم من العطش
وليربط على قلوبكم بالصبر والصبر والمعنى انه تعالى قوى قلوبهم بسبب نزول المطر وازال الخوف عنهم فكل من صبر
على امر ربط قلبه عليه كانه حبس قلبه عن ان يضطرب قال الواحدي ويشبه ان يكون على هاهنا صلة والمعنى
وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من الصبر قال الامام يشبه ان لا يكون صلة لان كلمة على تفيد الاستعلاء فالمعنى
ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها واربع فوقها وينبت به الاقدام حتى لا تنسوخ في الرمل تلبيد
الارض وقيل بالمطر وقوة القلب اذ يوحي ربك الى الملائكة ان يكون بدلا باشاء من اذ بعد كم الله وان ينتصب بيثبت
اي معكم مفعول يوحي والمعنى اني معكم بالنصر معينكم على تثبيت فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم وصححوا
عزائمهم وبناتهم في الجهاد وقيل انا ذلك لتثبيت حضورهم معهم في الحرب وقيل بمعونتهم اياهم في قتال عدوهم
وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه وجهه فياتي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اني قد
دنوت من المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا لنتكشفن وعشر من الصفين يقول اشروا كان
الله ناصركم لانكم بعد وبه ولا ولا لا بعبدونه فوله سالقي فاضربوا فوق الاعناق ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم
فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واحتزاعها عاليه
النصرة ويجوز ان يكون غير مفسر فوق الاعناق عالى الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل وكان اوقع الضرب
فيها جمعا وتطيرا للرؤس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام واضرب هامة البطل
المتيقظ وقال عشيته وهو جاوا ما سلمة عضبا اصاب سواء الراس فاعلاها واثبات الاصابع يريد
الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامروا بان يجعل
عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب الى قوله كل بنان عقيب قوله
فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتون به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
او كانهم قالوا كيف نثبتهم فيقال لهم قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا على هذا
هم المومنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والعقاب العاجل والقتل والخزي والنكال ومحله
الرفع على الابتداء وانهم جزم اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب شقاقهم ولمشاقة مشتقة من الشق لان
كلا من المتعادين في شق خلاف شق صاحبه قال الزجاج حانبوا وصاروا في شق غير شق المومنين
والشق الجانب وشاقوا الله فجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودينه والكاف في ذلك لخطاب الرسول

او لخطاب

اولخطاب كل احد ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني ان هذا الذي نزل بهم في
ذلك اليوم شيء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب في القيمة والمقصود منه الزجر عن الكفر والتهديد عليه
قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار . الكاف في ذلكم خطاب للكفرة على طريق
الالتفات ومحل ذلكم الرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اي ذلكم العقاب او على انه خبر لمبتدا محذوف
اي العقاب ذلكم ويجوز ان يكون منصوبا على اعلم اي خذوا ذلكم فذوقوه وان للكافرين عطف على ذلكم
في وجهيه او نصب على الواو وعيني مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع عذاب النار الاجل الذي
لكم في الاخرة فوضع الصمير موضع الله تعالى ان العقاب قد يكون موجلا في الدنيا وقد يكون معجلا في الاخرى
ونبه بقوله فذوقوه وهو المعجل من القتل والاسر على ان ذلك يسير بالاضافة الى الموجل لهم في الاخرة
فلذلك سماه ذوقا لان الذوق لا يكون الا بالقليل ليعرف به حال الكثير فجعل ما عجل لهم من الالم في الدنيا بالذوق
العليل بالنسبة الى الالم العظيم المعد لهم في الاخرة والذوق ايضا يدل على الوجدان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فية فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الزحف الجيش
الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر
والجمع وخوف شبه مشي الصبي مشي الطيفيتي الذي يدهش كل واحدة منهما الى صاحبها للقتال فيمشي كل واحد
منهما مشيا رويدا الى الاخر قبل لقاء الاخر وزحفا حال من الذين كفروا والمعنى اذا لقيتم الذين كفروا
او هو كثير من احقوة وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تذلوا لهم فرارا لعدد او بسالة وهو يجوز ان يكون حالا من الفريقين
اي اذا التقى المسلمون هم متحاذيين هم وانتم او حالا من المومنين كانهم اشعروا انهم سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الوحوش اثنى عشر الفا ونيف مدهم الله لهم عن العز والتمهيد في قوله ومن يولهم يومئذ اشارة عليه
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم يعم انه تعالى نهاهم عن هذا التولي سمى انه هذا التولية
بحرم عظيم عند الله الا في خالتين احدهما ان يكون متحرفا لقتال هو اكر بعد الفر محل عدوه انه منهزم ثم يعطف
عليه وهو باب من خدع الحرب ومعاودها يقال تحرف وانحرف اذا زال عن جهة الاستواء والثانية ان يكون
متحيزا الى فية جماعة اخرى من المسلمين سوى الفية التي هو فيها والتحيز التنحي وفيه لغات التحيز والتحوز
من الحوز الذي هو الجمع يقال حزته فانحاز وتحوز وتحيز اذا انضم واجتمع ثم سمي لكل منحاز تحيزا لان المنحاز
ينفصل عنه ويجمع الى غيره واعلم ان هذا التحيز اذا كان لمنفرد كثرة وغلب على ظنه ان ذلك يثبت قتل من غير
فائدة وان التحيز الى جمع كانه راجيا للحملة الثانية وطامعا في العدو بالكثرة فرضا وجب عليه التحيز الى هذه الفية فضلا
عن ان يكون جايزا ومن يولهم دبره في غير هاتين الحالتين فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
ومتحرفا نصب على الحال اي فلا تولوهم الادبار في حال من الاحوال الا متحرفا للقتال او متحيزا الى فية والا فهو من حيث

اللفظ لان العامل يعمل في الحال استقلالا لكنها معطية في المعنى فايدتها او نصب على الاستثناء من المولين
اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا قيل حكم قوله تعالى ومن يولهم خاص باهل بدر وقيل عام في جميع
المومنين في جميع الحروب بدليل قوله تعالى يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فانه عام يتناول
جميع الصور ونزوله في واقعة البدر لا يخصصه لان العبرة بلفظ العموم لا بخصوص السبب وعن ابن عمر
رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم فاسروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يرسول
الله عن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا مسلم فانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله
عنه فقال يا امير المومنين فررت من الزحف فقال عمر انا فيتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف
من اكبر الكباير **قوله تعالى** فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وليبلي المومنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما كسروا اهل مكة وقتلوا
واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القايل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه قريش قد جات بخيلايها وفخرها تكذبون رسلك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه
جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة
من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا
وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وقيل فلم تقتلوهم والفا جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملايكة والقى الرعب في قلوبهم
وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني
ان الرمية التي كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة
وكانها لم توجد من الرسول قيل ان الله تعالى اضاف القتل والرمي الى نفسه لانه كان منه التسبب
والتشديد ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لان اثرها لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو
فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول قيل ان الله تعالى اضاف القتل والرمي الى نفسه لانه
كان منه التسبب والتشديد ومن رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنون الحذف والضرب والارسال
ولذلك ساير افعال الخلق الملتبسة من الله تعالى الانشا والايجاد بالقدرة القديمة ومن الخلق
الاكتساب بالقوى المحدث وفي هذا دليل على ثبوت مذهب اهل الحق وبطلان قول القدرية وقيل انما اضافهما
سبحانه الى نفسه لئلا يعجب القوم وليبلي المومنين اي ولينعم على المومنين نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة والاجر والمثوبة وقيل ليعطيهم بلاء حسنا عطا جميلا والمعنى والاحسان الى المومنين فعل
ما فعل وما فعل الا كذلك ان الله سميع لدعايهم عليم باحوالهم **قوله تعالى** ذلكم وان الله

موهن

موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن
تغني عنكم فيتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو موهن بتشديد
الهاء من التوهين كيدا نصب وحفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة والباقون موهن بالتخفيف كيد
بالنصب ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم اي ذلك الغرض وان الله موهن معطوف
على ذلكم اي الغرض ابلاء المومنين وتهوين كيد الكافرين وتهوين كيدهم يكون باشيا باطلاع المومنين على عوراتهم
والقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم وبعض ما ابرموا بسبب اختلاف عزايمهم عن ابن عباس فنهى رسول
الله ويقول اني اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على
سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف
واوصلنا للرحم وافكنا للمعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقيل انهم قالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واحدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله هذه الاية وقيل قال المشركون
اللهم انا لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر وا
قطع للرحم فاجنه الغداة اي فاهلكه فاستجاب الله دعاه وجاء بالفتح فضربه ابنا عفرا عوف ومعوذ واجاز
عليه عبد الله بن مسعود وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين اي مستنصر الله
وتسالوه الفتح فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا ايها المشركون عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لمثل الوقعة التي وقعت بكم يوم بدر وقيل وان تعودوا للاستفتاح
نعد لفتح مكة ولن تغني عنكم فيتكم شيا ولو كثرت وان الله مع المومنين وقيل وان تنتهوا ايضا خطاب
للمومنين اي وان تنتهوا عن المنازعة في امر الانفال وتنتهوا عن طلب الفدا على الاسير فقد كان منهم
نزاع يوم بدر في هذه الاشيا حتى عاتبهم الله بقوله لولا كتاب من الله سبق فقال الله ان تنتهوا عن مثله
فهو خير لكم وان تعودوا انتم الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم لان الوعد بنصرتكم مشروط بشرط
استمراركم على الطاعة وترك المخالفة ثم لا ينفعكم الفية والكثرة فان الله لا يكون الا مع المومنين الذين
لا يركبون الذنوب وان الله مع المومنين فقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ان الله بفتح الالف
في ان والباقون بكسرها اما الفتح فقيل على تقدير ولان الله مع المومنين وقيل هو معطوف على قوله ان الله
موهن كيد الكافرين اما الكسر فعلى الابتدا **قوله تعالى** يايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لما خاطب الله المومنين بقوله ان تنتهوا فهو خير لكم اتبعه بتاديبهم فقال يايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولم يبين انهم ماذا يسمعون الا ان الكلام من اول السورة

الى هذا الموضع لما كان واقعًا في الجهاد علم ان المراد وانتم تسمعون دعاه الى الجهاد والضمير في عنه
لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول
وطاعة الله شي واحد ومن يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله
وقيل وانتم تسمعون وقيل معناه ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وانتم تسمعون
اي تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة وقيل انتم تسمعون امره ونهيه والقران
ومواعظه ولا تكونوا اي ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون
لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين على الحقيقة والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا
توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه
سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب اي شر من ندب على وجه الارض او ان شر البهايم الذين
هم صم عن الحكم لا يعقلونه جعلهم من جنس البهايم ثم جعلهم شرها ثم قال ولو علم الله فيهم خيرًا اي صدقا واسلامًا
لاسمعهم لرزقهم الفهم والعلم بالقران ولو اسمعهم لتولوا عن القران وهم معرضون عن الايمان لعلم الله فيهم
وحكمه عليهم بالكفر قال صاحب الكشاف ولو علم الله في هاولا الصم البكم خيرًا اي انتفاعًا باللطف لاسمعهم
للطف بهم حتى يسمعه اسماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد
ذلك وكذبوا فلم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان صعيب بن عمير وسويد بن
حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعًا باحد وكانوا اصحاب
اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب قال صاحب الانتصاف اطلاق ان اللطف
يجعل من الله للعبد ولا ينفعه قبيح مردود فاللطف عندنا ان يخلق في قلبه قبول الحق والاصغا له وهذه
عقدة اهل الحق فلو يجب معه على مذهبه لم يستقم قوله لو علم الله فيهم خيرًا للطف بهم ولو لطف لتولاهم
فيلزم توليهم على تقدير علم الله الخير فيجب ان يجعل الاسماع الواقع شرطا للباب اي ولو علم الله فيهم خيرًا
لاسمعهم اسماعًا يحصل لهم به الهدى والقبول ولو اسمعهم لا على ان يخلق لهم الهدى والقبول ولو اسمعهم
لا على ان يخلق لهم الهدى اسماعًا مجردًا لتولوا وهم معرضون قال الامام المعنى ان كل ما كان حاصلًا فانه يجب
ان يعلمه فعدم علمه تعالى بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم
الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ولو اسمعهم بعد
ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بها وتولوا وهم معرضون قيل ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يحيي لهم قصي ابن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرًا
وهو انتفاعهم بقول هاولاء الاموات لاحياهم حين يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم ان لا يقبلون هذا

الكلام

الكلام الا على سبيل العناد والتعنت ولو انهم اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه
ثم قال للامام انه تعالى حكم عليهم بالتولي عن الدلايل وبالاعراض عن الحق وانهم لا يقبلونه انه ولا ينتفعون به
البتة فوجب ان يكون صدور الايمان منهم محالا لانه لو صدر الايمان لكان اما ان يوجد ذلك الايمان
مع بقا هذا الخبر صدقا او مع انقلابه كذبا والاول محال لان وجود الايمان مع ان الاخبار عن عدم الايمان
يكون صدقا محال لانه جمع بين النقيضين والثاني محال لان انقلاب خبر الله الصدق كذبا محال لا سيما
في الزمان المقتضي وهكذا القول في انقلاب علم الله جهلا وتقريره سبق مرارًا ثم قال النحويون يقولون كلمة لو
وضعت للدلالة على انتفا الشي لاجل انتفا غيره واذا قلت لو جيتني اكرمتك افادته ما حصل المجي وما حصل
الاكرام ومن الفقها من قال انه لا يفيده الا الاستلزام فاما الانتفا لاجل انتفا الغير فلا يفيده هذا اللفظ
والدليل عليه الاية والخبر اما الاية فهي هذه الاية وتقريره ان كلمة لو لو افادت ما ذكروه لكان قوله ولو علم
الله فيهم خيرًا لاسمعهم يقتضي انه تعالى ما علم فيهم خيرًا وما اسمعهم ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فيكون
معناه ما اسمعهم وانهم ما تولوا لكن عدم التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير واخره يقتضي حصول
الخير وذلك متناقض فثبت ان القول بان كلمة لو تفيد انتفا الشي لانتفا غيره فوجب التناقض فوجب ان
لا يصار اليه واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فلو كان لفظة
لو تفيد ما ذكروه لصار المعنى انه خاف الله وعصاه وذلك متناقض فثبت ان كلمة لو لا تفيد انتفا غيره
وانما تفيد مجرد الاستلزام ثم قال الامام واعلم ان هذا الدليل حسن الا انه على خلاف قول جمهور الادبا ثم
قال اعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام احدها جملة الموجودات وثانيها جملة المعدومات وثالثها
ان كل واحد من الموجودات لو كان معدومًا فكيف يكون حاله ورابعها ان كل واحد من المعدومات لو كان
موجودًا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والقسمان الاخيران علم بالمقدر الذي هو غير واقع
فقوله ولو علم الله فيهم خيرًا لاسمعهم من القسم الرابع وهو العلم بالمقدر الذي هو واقع وليس من اقسام العلم
بالواقعات ونظيره قوله تعالى حكاية عن المنافقين لين اخرجتم لنخرجن معكم ولين قوتلتم لننصرنكم فقال
تعالى لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون
فعلم تعالى في المعدوم انه لو كان موجودًا كيف يكون حاله وايضا قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فاخبر
عن المعدوم انه لو كان موجودا كيف يكون حاله قيل لو في الجملتين اما لامتناع الشي لامتناع غيره
او لمجرد الاستلزام او في الاولى الامتناع وفي الثانية للاستلزام او بالعكس والاول والثالث
يقتضي امتناع التولي لامتناع الاسماع والثالث يقتضي استلزام علم الله فيهم الخير للتولي لان
المستلزم للمستلزم والرابع يقتضي استلزام الاسماع للتولي وهو محال اجيب بان الرابع
غير مستلزم للمحال وذلك لان المقصود المبالغة في التولي وذلك لان المشروط الذي هو التولي

اذ اكان لازما للاسماع الذى توهم بعده عنه فهو فى لزومه لعدم الاسماع اولى فان التولى اذا كان
لازما للاسماع الذى بعيد منه فلزومه لعدم الاسماع اولى واحق والمقصود ان التولى حاصل على كل تقدير
لانه اذا كان لازما للشئ وليس له كان ثابتا عاكل حال ومثل هذا الكلام انما يأتى عند قيام القرائن الدالة
على ثبوت الثانى وذلك قد يكون من خارج وقد يكون معلوما من نفس سياق الكلام الذى يصمه لو والاية
من قبيل الثانى فان سياق الكلام يعلم منه التولى الذى وقع جوابا للو **قوله تعالى** يا ايها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه
تحشرون هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين واستجيبوا معنى اجيبوا واستجاب بمعنى اجاب
ويتعدى بلام وبدونها لام وهذا الضمير فى دعاكم لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالدعوة البعث والتحريض وبالاستجابة الطاعة
والامتثال روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابى بن كعب وهو فى الصلاة
فصاح به فعال تعالى يا ابى فعجل ابى فى صلوته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك
يا ابى ان تجيبنى اذ دعوتك قال كنت أصلى قال ليس الله يقول يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم قال لا جرم لا تدعونى الا اجبتك وان كنت مصليا قيل ان هذا ما اختص به الرسول
صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلى فله ان يقطع صلاته
لما يحييكم قيل هو الايمان يحييهم بعد موتهم اى كفرهم وقيل الحق وقيل هو القرآن فيه الحياة والسعادة والنجاة
والعصمة فى الدنيا والاخرة وقيل للحرب فى الجهاد التى اعزكم الله بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف
ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر وقيل لما يسعدكم اى الشهادة قال الله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين وقيل لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حياة كما ان الجهل موت واعلموا ان الله يحول بين
الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته وقيل يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدرى ما يعمل وقيل يحول
بين قلبه الكافر وان يعمل خيرا وقيل يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يومن ولا ان يكفر الا باذنه
وقيل معناه انه قريب من قلبه لا يخفى عليه شئ اظهر واسر وهو كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقيل ان الله يحول بين المرء وقلبه اى بين ما فى قلبه فيبدل الخوف امنا والجراة وقيل
يحول بينه وبين مراده لان الاجل حال دون الامل والهدف منع من التدبير قيل يحتمل ان يريد يحول بينهم ان لم
يسلموا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول مما حمل بالكفار الذين هم اراد بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لانه حقق عليهم بانهم لو سمعوا ونفعوا لم ينتفعوا بمقتضى انه كان سبق فى قلوبهم وكانه قال للمؤمنين فى هذه
الاية استجيبوا لله وللرسول ولا تمتنوا ان لم تفعلوا ما ان نزل بكم من الحول بينكم وبين قلوبكم

فنبه

فنبه على ما جرى على الكفار بابلغ عبارة واعلنها بالمس ويحتمل ان يكون المراد ترجيه لمحمد بان الله سبحانه
الخوف الذى فى قلوبهم من كثرة العدو فيحملهم جراة وقوة ويضيد ذلك الكفار اى فان الله يقلب القلوب
وقيل لما امرهم بالاستجابة للطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال فعال واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه بالموت والقلب اى فبادروا الطاعات وسلم مع هذا التاويل قوله واعلموا انكم اليه تحشرون
اى فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر فانه تعالى يجزيكم باعمالكم ولا يتركون مهملين وفيه ترغيب
شديد للعمل وتحذير عن الكسل والغفلة **قوله تعالى** واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ان الله تعالى كما حذر الانسان ان يحال بينه
وبين قلبه فلذلك حذر من الغفلة والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم يقتصر على الظالمين خاصة
بل يتعدى اليكم جميعا ويصل الى الصالح والطالح قوله لا تصيبن هو جواب الامر والمعنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان عليا سمع رجلا ينكر بعد ما بعثه الله
بالعذاب فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة فى جواب الامر اجيب بان فى قوله معنى النهى
اذ المعنى لا تصيبن الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علما سمع رجلا ينكر بعد ما بعثه الله
بالعذاب فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة فى جواب الامر اجيب بانه فى قوله معنى النهى
اذا قلت انزل عن الدابة لاطرحك فالذلك جاز لا يطرحنك ولا تصيبن ولا تحطمنكم ومن للتبيين
لان المعنى لا تصيبكم خاصة على ظلمكم ومن للتبعيض لان الظلم اصح فيكم من سائر الناس وقيل
هى زائدة على مذهب من يقول ما جاءنى من احد وقيل لا تعرضوا للظلم فتصيبكم العقاب اوائل الذنب
ووباله من ظلم منكم خاصة وقيل هى صفة لفتنة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن ونظير قوله حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها واختلطوا واعتنقوا هل رايت الدر تقاى مدقى مقول
فيه هذا القول لانه سمع فيه لوبة الورقة التى هى لوبة الذنب وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فى اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم خاصة امر الله تعالى المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله تعالى
بالعذاب وعن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهم يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرانا ها
زمانا وما كنا نرانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وقيل نزلت فى اهل بدر خاصة فاصابتهم يوم بدر
فاقتتلوا روى ان الزبير كان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل الى فضحك اليه الزبير فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يا رسول الله بانى انت وامى انى احبه لحبه لولدى
او اشد حبا فقال فكيف انت اذا سرت الله تقاتل عليا وعبد الله بن مسعود قال ما منكم من احد الا
وهو متسهل على فسمه ان الله عز وجل يقول انما اموالكم واولادكم فتنة فايكم استعاذ بها فليستعذ
بالله من مضلات الفتن واعلموا ان الله شديد العقاب المقصود منه لزوم الاستقامة خوفا
من عقاب الله **قوله تعالى** واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون
ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون لما امر الله

تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم امرهم بابقاء المعصية اكد ذلك التكليف
بهذه الاية لانه تعالى بين انهم كانوا قبل ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم في غاية القلة والذلة
وبعد ظهوره في غاية العزة والرفعة وذلك يقتضي الشكر بفعل الطاعة وترك المعصية اذ
انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم في العدد مستضعفين في ارض
مكة قبل الهجرة في عنفوان الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يذهب بكم الناس اي كفار
مكة وقيل فارس والروم لان الناس جميعا كانوا لهم اعداء مضادين منافين فاواكم الى المدينة
وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم
التي احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون اي نقلناكم من الضراء الى السراء ومن الباساء الى الرخاء
ومن البلاء الى الالاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فلا يليق ان تشتغلوا بالمنازعة بسبب
الانفال وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم بطنا واعراهم
جلدا وابينهم ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على راس الحجرين
الشديدين فارس والروم يوكلون ولا ياكلون وما في بلادهم شيء عليه يحسدون حتى جاء الله بالاسلام
فمكن لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى
الله ما رايتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب شكره والشاكر في مزيد من الله **قوله
تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم لما ذكر الله تعالى انه رزقهم من الطيبات في
الاية المتقدمة منع من الخيانة في هذه الاية عن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان رضي الله عنه خرج
من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان ابا سفيان في مكان كذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم
فخذوا حذركم فانزل الله هذه الاية وعن السدي ~~رضي الله عنه~~ كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله
عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة الانصاري
من بني عوف بن مالك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض
الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله
اليهم فقالوا ما ترى ما ابا لبابة انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا
قال ابو لبابة لا تفعلوا والله ما زالت قدامي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية

فلما نزلت

فلما نزلت اشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي
يحلني فجاء فحله بيده فقال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان
انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدقت به وعن المغيرة نزلت في مقتل
عثمان بن عفان رضي الله عنه الخون البغض كما ان معنى الوفاء التمام ومنه يخونه اذا ينقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فيقال
خان الدلو الركب وخان المستار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومعنى الاية لا تظهروا
له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر وقيل امانا بكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده
وعن ابن عباس لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا اماناتكم يحتمل ان يكون
جزما داخلا في حكم النهي اي ولا تخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون نصبا باضمار ان على جواب النهي اي
ولا تخونوا الله والرسول فانكم ان خنتم الله والرسول فقد خنتم اماناتكم العرب تنصب جواب النهي
بالواو كما تنصبه بالفاء قال صاحب الكشاف يحتمل ان يكون نصبا باضمار ان وتكتموا الحق وعن ابن عباس
الامانة هي ما يخفى عن اعين الناس من فرائض الله والاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يقول لا تنقصوها
وقيل معنى الامانات ههنا الدين وهاولاء المنافقون ائتمنهم الله على دينه فخانوا اذا ظهروا الايمان
واسروا الكفر وعن قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده
ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وانتم تعلمون بيعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون
انكم تخونون يعني الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن
قوله تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لما كان الداعي الى الاقدام على الخيانة وهو حب الاموال
والاولاد نبه تعالى يجب على العاقل الحذر عن المضار المتولدة من ذلك الاموال والاولاد فتنة لانهم
سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيه على
حدوده ثم قال وان الله عنده اجر عظيم تنبيها على ان السعادة الاخروية خير من السعادة الدنيوية
لانها اعظم في الشرف والقوة والمدة لانها تبقى بقاء لا نهاية لها فعليكم ان تنوطوا بطلبه ربما تؤدي اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها لقوله
تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وقيل هذه الاية من جملة ما نزل
في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم لما حذر الله عن الفتنة

بالاموال والاولاد رغب في النفوس الذي توجب نهي النفس عن الهوى ان سعوا الله بطاعته
وترك معصيته واجتناب جيانته يجعل لكم فرقانا نصرًا لانه يفرق بين الحق والباطل حتى يعرفوه
وتهتدوا به وبين الكفر بادلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان وقيل
فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم وقيل فرقانا يفرق به في قلوبكم بين
الحق والباطل حتى تعرفوه وتهتدوا به وقيل سانا وظهورًا يشهر امركم وبث صيتكم وآثاركم في اقطار
الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي سطع الفجر وقيل مخرجًا في الدين من الشبهات
وتوفيقا وشرحًا للصدور وتفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرى
ونجاة ويكفر عنكم سياتكم ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم والمراد من تكفير سياتكم ومحو عنكم
ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم والمراد من تكفير السياب سترها في الدنيا ومن المغفرة
ازالتها في الجملة لئلا يلزم التكرار والله ذو الفضل العظيم لانه تعالى يعطي ولا سفصل ولا يطلب
منه شيا من الاعواض لانه كامل بذاته فامتنع ان يستفيد من غيره

قوله تعالى

واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
لما ذكر المومنين بنعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم ذكر رسوله نعمة عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر
الماكرين عنه وهذه السورة مدنية وهذا القول والمكر انما كانا بمكة ولكن الله تعالى ذكرهم ذلك بالمدينة
كقوله لا تنصروه فقد نصره الله لتشكروا نعمة الله في نجاة الرسول من مكرهم واسلامه عليهم
وهاباح الله له من حسن العاقبة والمعنى اذكر يا محمد اذ عكر بك ممكر هذا املك على ما ذكر ابن
عباس وغيره من المفسرين ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يسعوا في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من مشايخهم وكبارهم في دار الندوة وتشاوروا في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان روسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابا جهل وابو سفيان وطعمة بن
عدي والنضر بن الحارث وابا البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيها ومنبها ابني
الحجاج وامية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمع انا
من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن يعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري اما انا فاري ان تاخذوا محمدًا وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وسدوا بابه غير كوة
تلقون اليه طعامه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك قبله من الشعراء زهير
والنابغة وانا هو كاحدهم فصرخ عدو الله الشيخ النجدي لعنه الله وقال بئسما الراي رايتم من تقاتلكم
من قومه وتخلصه منكم قالوا صدق الشيخ فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي راي ان تحملوا على
جمل فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم وكان امره في غيركم

فعال

فقال ابليس بئسما لراي رايتم تعمدون الى رجل قد افسد كم فترجوه الى غيركم فيفسدهم كما افسدكم
الم تروا حلاوة قوله وطلاوة لسانه واخذه القلوب بما يسمع من حديثه والله لئن فعلتم ما استعرض
العرب لجمعهن عليه ثم لياتينكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل اشرافكم قالوا والله صدق الشيخ قال ابو جهل
لاشيرن عليكم برای ما ارى غيره اني ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش غلامًا وتعطوا كل رجل منهم سيفا
صارمًا فيضربوه ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبايل كلها فلا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوى على
حرب قريش كلها واذا راوا ذلك وطلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال ابليس صدق هذا الفتى
هو اجودكم رايًا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين عامله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر ابن صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال الشيء سودي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه
ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه وجعل ينثر التراب
على روسهم ويقرا انا جعلنا في قلوبهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور
فدخله هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده
لصدقه واما نتة بات المشركون متصدون ليثبوا على رسول الله عليا وهو فراش النبي صلى الله عليه وسلم
يحسبونه انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله
سعيهم وردد مكرهم وما نزل بهم رجلا الا وضع على راسه التراب فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري
فاقصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل مروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت على بابه فقالوا
ثم قدم المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك قال ابن عباس ليوثقوك
وقيل ليشدوك وثاقا وقيل ليحبسوك وقيل ليضربوك بالضرب والجراحات من قولهم ضربوا حتى اثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت رجعا وعكرود وبحذوذ المراد به وبحق الله ما اعد لهم حتى
يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره اقدم من غير مكرهم وابلغ ماثرا وخير الماكرين وقد ربي مكر
الماكرين ما يكون خيرًا حسنًا او خير الماكرين ليس هو التفضيل بل المراد انه في نفسه خير وقيل خير
الماكرين حيث اسعدك منهم واهلكهم

قوله تعالى

واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه
ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون لما حكى الله مكرهم في ذات محمد حكى مكرهم في دين
محمد قال صاحب الكشاف لو نشاء لقلنا مثل هذا تفاخة منهم فانهم لم سمعوا في مشيتهم لو ساعدتهم

الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاوا عليه من تحداهم وفرعهم بالعجز حتى يفوزوا
بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان تغلبوا في باب البيان خاصة وان تمانيهم واحد
فتعللوا بامتناع المشية ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهالكهم على ان يعمروه قيل قاتله النضر بن الحارث فانه كان يختلف الى فارس والحيرة تاجرا
فيسمع شجع اهلها وذكرهم اخبار العجم وغيرهم من الامم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرون التورية والانجيل
ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم يقرا القران ويصلي فقال النضر حين سمع
اقتصاص احاديث القران السابقة لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين اخبار للامم الماضية
واخبارهم قال السدي انباء جميع اهل الحيرة والاساطير جمع الجمع واصلها من قولك سطرت اي كتبت
فواحدها سطر ثم يجمع اسطارا وسطورا ثم يجمعان اساطر واساطير وقيل الاساطير واحدها اسطورة
واسطارة والجمع العاتل اسطر واذ قالوا اللهم نزلت ايضا في النضر بن الحارث قال بن عباس رضي الله عنه
لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا ما هذا
الا سطر الاولين في كتبهم فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا يقول الحق قال فانا اقول الحق قال
عثمان فان محمدا يقول لا اله الا الله قال فانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال
ان كان هذا هو الحق من عندك قال صاحب الكشاف وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران
هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى
كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين
هذا هو الحق قال صاحب الكشاف فان قلت ما فايدة قوله من السماء والامطار لا تكون الا منها قلت كانه
اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل
كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع اخر من جنس العذاب الاليم
يعني ان امطار السجيل بعض العذاب فعذبنا به او بنوع اخر من انواعه وفي النضر سال سايل بعذاب
واقع قال عطا نزل في النضر ابن الحرث بضع عشرة اية في كتاب الله تعالى فحاق به ما سال من العذاب
يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثة من قريش صبرا مطعم بن
عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث وكان النضر اسير المقداد فلما امر بقتله قال المقداد
اسيري يا رسول الله قال انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقالها
ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال هذا الذي
اردت وعن معوية انه قال لرجل من سناء ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي

قومك

قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم قيل هذا
يستانف حكاية عنه تعالى فقيل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم بين اظهرهم قيل نزلت
هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بين اظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين
يستغفرون فانزل الله تعالى عليه بعد خروجه حين يستغفر اولئك بها وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ثم خرج اولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذبوا واذن الله في فتح مكة فهو العذاب
الذي وعدهم به قال بن عباس لم يعذب قرية حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم منها والذين امنوا ويلحق
بحيث امر فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين
فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر وقيل هذا الاستغفار راجع الى المشركين
ومعنى الاية وما كان الله ليعذب هاولا المشركين ما دمت فيهم وما داموا يستغفرون وذلك انهم
يطوفون بالبيت عراة ويقولون لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك
غفرانك وقيل قالت قريش بعضها لبعض محمد اكرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الاية فلما امنوا ندموا على ما قالوا غفرانك اللهم فانزل الله هذه الاية وما كان
معذبهم وهم يستغفرون عن ابي موسى الاشعري انه كان فيهم اما بان قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو كاين فيكم الى يوم القيمة
وقيل معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ان لو استغفروا يقول ان القوم لو استغفروا ما عذبوا
ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو استغفروا واقروا بالذنوب لكانوا مومنين وقيل وهم يستغفرون اي يسلمون
يقول لو اسلموا لما عذبوا وعن ابن عباس رضي الله عنه وهم يستغفرون اي وفيهم من قد سبق له من الله
الدخول في الايمان وروي عنه وهم يستغفرون اي يصلون وعن الحسن هذه الاية منسوخة بالاية التي
تليها وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه الى قوله فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون فقاتلوا بمكة فاصابهم فيها الجوع والحصر وقيل وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر
وقيل قوله وما كان الله ليعذبهم حكاية عن المشركين انهم قالوها وهي متصلة بالاية الاولى وذلك ان
المشركين كانوا يقولون والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها وذلك من قولهم
ورسول الله بين اظهرهم قال الله تعالى لنبيه يذكر لهم جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
ثم قال ردا عليهم وما لهم ان لا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون
عن المسجد الحرام قال صاحب الكشاف اللام لتاكيد النفي صلى الله عليه وسلم والدلالة على ان تعذيبهم

وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب
الاستيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصودون بالعذاب اذا هاجر عنهم
والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قيل
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وما لهم
اى شئ يمنعهم من عذاب يعني لاحظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وما لهم انهم
يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه ان اولياؤه اى اولياء البيت المحترمون عن المشرك
والمعاصي قال صاحب الكشاف وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم الدين ان يكونوا ولاة وامر بابه
انما اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح ان يلي امور المسلمين فضلا
عن كافر ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند
ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **قوله تعالى** وما كان
صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون لما قال الله في حق
الكفار انهم كانوا اولياء المسجد الحرام وقال ان اولياؤه الا المتقون سمى بعده عابدة خرجوا من ان
يكونوا اولياء البيت وهو ان صلوتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم مكاء وتصديه والمكاء الصفير
فعال يوزن التغاوا لرغاء من مكا يمكو مكوا ومكاء اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة
من تصدا او من صديه اذا ضرب منه تصدون والتصديه صدهم عن سبيل الله وعن دين الله
وعن الصلاة وهو على هذا الناويل التصددة فقلبت احدى الياءين دالا قال ابن عباس كانت
قريش يطوفون حول البيت وهم عراة نصفرون فيها ويصفقون وقال مجاهد كان نقوم بني عبد الدار
يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم في افواههم
ويصفرون يخلطون عليه في طوافه وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد
قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا
على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلم الله سد ذلك فقوله اعذاب الصلة
والاسى يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة **قوله تعالى**
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم

حسرة

حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون لما شرح الله احوال هؤلاء
الكفار في الطاعات البدنية اتبعها بشرح احوالهم في الطاعات المالية قال سعيد بن جبير ومجاهد
نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم
سوى من استجاش من العرب واتعدهم على المشركين اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وقيل
لما اصيب قريش من اصحاب القليب يوم بدر فرجع قبلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعير مشى عبد الله
بن ابي ربيعة وعكرمة ابن ابي جهل وصفوان ابن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم
ببدر فكلموا ابا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة وقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم
وقتل اخياركم فاعينونا بهذا المال لعلنا ندرك منه ثارا ممن اصيب منا ففعلوا ذلك
فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل هم اهل بدر وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري والنضر بن الحارث
وحكيم بن حزام وابي بن خلف ورفعه بن الاسود والحارث بن عامر ابن نوفل والعباس بن عبد المطلب
وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر ليصد واعن سبيل الله اى كان غرضهم في الانفاق
الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها اى سينفق
هذا الانفاق ثم يكون عليهم حسرة اى يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذات اموالهم يصير ندما
وحسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا
لتتب الله لا غلبن انا ورسلي والذين كفروا منهم الى جهنم يحشرون ليحصل الكفار لان منهم من اسلم
وحسن اسلامه ليميز الله بذلك الحشر الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان
والكافر النيران فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يجمعه حتى يصير كالسحاب
المركوم وهو المجتمع الكثير فيجعله في جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحد قوله ليميز الله الخبيث فيركمه جميعا
عبارة عن الجمع والضم حتى تراكبوا لقوله كادوا يكونون عليه لبدا اى لتوطا ازدحامهم واللام في قوله
ليميز متعلقة بقوله يحشرون وقيل الفعل الخبيث الصالح مثبت على الاعمال الصالحة
الجنة ومثبت على الاعمال الخبيثة النار وقيل الفعل الطيب الصالح مثبت على الانفاق الخبيث
في سبيل الشيطان فيجعل بعضها في بعض في جهنم ثم يقال لهم الحقوا بها فعلى هذا اللام في قوله ليميز الله
متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقيل ميز المؤمن في عالم السابق الذي خلقه خبيثا وذلك انهم
كانوا على ملة الكفر فبعث الله الرسول بالكتاب فميز الله الخبيث من الطيب فمن اتبعه استبان
انه طيب ومن لم يتبعه استبان انه خبيث اولئك اشارة الى الفريق الخبيث فجمع رده الى اولى

الخير يعني قوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم اولئك هم الخاسرون الذين عنيت صفتهم وخسرت
تجارتهم لانهم اشتروا باموالهم عذاب الله في الاخرة **قوله تعالى** قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين لما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية
والمالية ارشدهم الى طريق الصواب وقال قل للذين كفروا اي لاجل الذين كفروا من ابي سفيان واصحابه هذا
القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من الكفر والشرك وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقتاله والدخول في الاسلام يغفر لهم ما مضى من ذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا
لقتال محمد صلى الله عليه وسلم فقد مضت سنة الاولين في نصر الانبياء والاولياء واهلاك الكفار والاعدا
وهي قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقيل الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر وقيل معناه ان الكفار
اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه
قضاء حقوق الله ويبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه
قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا بالارتداد **قوله تعالى**
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا
ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير لما ذكر الله ان هاولاء الكفار ان انتهوا عن كفرهم يغفر لهم ما قد سلف
وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين اتبعه بان امرهم بقتالهم اذا اصروا فقال وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة اي شرك يعني الى ان لا يوجد فيهم شرك قط وقيل بلا وقيل حتى لا يفتن المومن عن دينه ويكون الدين
كله التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان
انتهوا عن الكفر والقتال واسلموا فان الله بما يعملون بصير بنيتهم وان تولوا اي وان اعرضوا عن الايمان
لم ينتهوا عن الكفر والقتال فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته فان الله نعم المولى
ونعم النصير **قوله تعالى** واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
والله على كل شيء قدير لما امر الله بالمقاتلة وكان من المعلوم ان عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة
ذكر حكم الغنيمة الغنم لغة الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما فهو غانم والغنيمة في الشريعة ما دخل في ايدي
المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل والركاب وما في ان ما موصولة على العايد اليه من شيء
بيانه تقديره جميع ما غنمتموه حتى المخيط فان لله خبر مبتدا اي فالحكم ان لله خمسه او مبتدا محذوف
الخبر اي فان لله خمسه واجب ويحتمل ان يكون بدلا من الاولى والفا زايدة قيل فان لله خمسه مفتاح الكلام

ذكر اسم

ذكر اسم الله تبركا ولله الدنيا والاخرة وانما معنى الكلام فان للرسول خمسه والاية تقتضي ان يوخذ خمسها
قيل ان ذلك الخمس يخمس فيء فسهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير ابن مطعم انهما قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هاولاء اخوتك بني هاشم لا شك فضلهم لكونك منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن منك وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في الجاهلية والاسلام انما
بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه بالاخرى وثلثة اخماس
هذه الخمس لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد وفاة الرسول فعند الشافعي انها تقسم على خمسة
اسهم سهم لرسول الله يصرفه اليه من مصالح المسلمين لعدة الغزاة من الكراع والسلاح وسهم لذوي
القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وهي اليتامى
والمساكين وابن السبيل وقال ابو حنيفة رضي الله ان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه ساقط
بسبب موته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة ساير الفقرا ولا يعطى اغنياهم فيقسم على
اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال مالك الامر مفوض الى اجتهاد الامام فله ذلك وقيل ان خمس الغنيمة يقسم
على ستة اقسام فواحد منها لله وواحد لرسول الله والثالث لذوي القربى والثلثة الباقية لليتامى
والمساكين وابن السبيل ودليل علمه انه تعالى جعل خمس الغنيمة لله ثم للطوايف الخمس فقيل سهم الله يصرف
الى الرسول وقيل يصرف الى عمارة الكعبة وقيل انه عليه السلام يضرب يده في هذا الخمس فما قبض عليه من شيء
جعله للكعبة وهي الذي سمي لله وعن ابن عباس سهم الله وسهم رسوله جميعا لذوي القربى وليس لله
وللرسول منه شيء وكانت الغنيمة تقسم على خمسة اقسام فاربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم
على اربعة فربع لله وللرسول ولذوي القربى فما كان لله وللرسول فهو للقرابة يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ولم ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا والربع الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين والرابع
لابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى
قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن
عمر ومن بعده من الخلفا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم
ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني فهو بمنزلة الغني بن السبيل الغني لا يعطى من
الصدقة شيئا ولا يقيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب
منه البراذين وقيل الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه انه قيل له
ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس

في غزوة فينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام النصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة قوله
ان كنتم متعلق بمحذوف يدل عليه قوله واعلموا يعني ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب
التقرب فاقطعوا عنه الهماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم
المتضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف
على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا من الايات والملائكة والفتح يوم الفرقان يوم فرق فيه
بين الحق والباطل ببدر يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع الكافرين ويوم بدر وكان راس المشركين
عتبة بن ربيعة وكان يوم الجمعة لسبعة عشر مضت من رمضان والله على كل شي قدير فيقدر ان ينصر
القليل الذليل على الكثير الجليل كما فعل بكم ذلك اليوم وفي التقى الجمعان من يوم الفرقان يبقى التتميم وان
المراد بالايات القدرة وفيه تصوير تلك الحالة الدالة على ضعف احد الفريقين وقوة الاخر وغلبة الضعيف
على القوي بما انزل الله من اسباب الفتح والنصر ولو قيل يوم بدر لم يفد هذا المعنى والذي يدل على التصوير
ابدال قوله اذ انتم بالعدوة الدنيا ثم ابدل اذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينهم قليلا ويقللكم في اعينهم
قوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة وان الله لسميع عليم اذ انتم بدل من يوم الفرقان وقيل مفعول اذكر وهو مقدر تقديره والعدوة
بكسر العين والضم والفتح شط الوادي قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بكسر العين في الحرفين والباقون بالضم
فيهما والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى كلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو
ياء كالعليا واما القصوى كالقود في محبة على الاصل وقد جاء القصا على القياس الا ان استعمال
القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجي استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا
هو الشفير الوادي الادنى الى المدينة وهم اي المشركون بشفير الوادي الاقصى الى المدينة والركب
يعني الركب الاربعون ابا سفيان والعير اسفل منكم بساحل البحر واسفل نصب على الظرف معناه مكانا
اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا وفايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الجمعين وان العير
اسفل منكم الاخبار عن الحالة الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب
الغلبة له وضعف شان المسلمين وانبات امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا
من الله تعالى ودليلا على ان ذلك الامر لم يتيسر الا بحوله وقوته وتاثير قدرته وذلك ان العدوة القصوى
التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي جنار يسوخ فيها
الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية
دونها تضاعف حميتهم وتسخد في المقابلة عنها ثباتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم

لتبعثوها

لتبعثوها الذب عن الحريم والحيرة عن الحرم على بذل جهدهم في القتال والا يتركوا وراءهم ما يحدثوا
انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم
ولا يخلوا مراكزهم ويبلغوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة
بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطايفتين
مبهمة غير مبينة حتى خرجوا لياخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرغوبين بما بلغهم من تعرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا غيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هاولا
بالعدوة الدنيا وهاولا بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان
ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موضع تلتقون فيه للقتال تخالف بعضكم بعضا
فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفا بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين فلم يبق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي الله امرا كان مفعولا متعلق بمحذوف
اي ليقضي الله امرا اراد ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه دبر ذلك فانه تعالى عكس القضية وجعل
الغلبة للمسلمين والدمار على الكفرة فصار ذلك من اظهر المعجزات واقوى اثبات على صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن ربه من وعد النصر والظفر والفتح وقوله ليهلك من هلك عن بينة اشارة
الى هذا المعنى وهو ان الذين هلكوا انما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة والمومنون الذين بقوا في الحياة
شاهدوا هذه المعجزة القاهرة والمراد من البينة هذه المعجزة وقيل ليموت من يموت على بينة راها وعرة
عاينها وحجة قامت عليه ولذلك حيوة من يحيى يويده قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل
ليكفر من يكفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويومن من امن على مثل ذلك قال صاحب الكشاف
ليهلك بدل من قوله ليقضي واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح
بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه
دين الحق الذي وجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة
التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه معا لطا قرا نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حي باظهار
الياين والباقون بياء مشددة ثم انه تعالى ختم الاية بقوله وان الله لسميع عليم اي سميع بدعايكم
عليم بحاجتكم وضعفكم او عليم بكفر من كفر وايمان من امن **قوله تعالى** اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور
هذا من النعم التي انعم الله على اهل بدر اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر وهو بدل ثان من يوم
الفرقان او متعلق بقوله عليم اي عليم بالمصالح او يقللهم في اعينكم في منامك في رؤياك وذلك
ان الله عز وجل ارى المشركين رسول الله في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم

وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها موضع النوم قيل للعطفة المنامة لانها تنام
فيها قال صاحب الكشاف وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يحام
كلمة ككلمة العرب وفصاحته ولو راى المشركين اياهم كثيرا لفشلهم لجبنهم وهيبتهم الاقدام ولتنازعتم
اختلفتم في الامر وتفرقت كلمتكم فيما تصنعون وترجحتم بين الكرار والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور بما يحصل فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع **قوله**
تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان
مفعولا هذا نوع اخر من النعم التي انعم الله على المسلمين يوم بدر والضميران مفعولان اي واذ ينصركم
اياهم قليلا نصب على الحال وانما قلل المشركين وقت التقائهم في اعين المسلمين تصديقا لرؤيا النبي
صلى الله عليه وسلم وليعاينوه ما اخبرهم به فتطمئن قلوبهم ويجدوا ويئسوا عن ابن مسعود لقد قللوا
في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال
الفا ويقللكم يا معشر المسلمين في اعين المشركين حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور وقال السدي قال ناس
من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى
تستاصلوهم ولا تقتلوهم بالسلاح خذوهم اخذا لا يعبد بعد اليوم انما محمد واصحابه اكلة جزور اربطوهم
بالحبال فقلل الله المؤمنين في اعين المشركين قبل اللقاء ثم كثرهم في اعينهم بعد اللقاء ليجترؤا عليهم قلة مبالاة
بهم ثم يفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك
قوله يرونهم مثليهم راي العين وليلا يستعدوا لهم ويعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الاية التنبيه
في حسابهم من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا قال الامام المقصود من ذكر قوله ليقضي الله في الاية المتقدمة هو
انه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلاء المؤمن على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول
والمقصود من ذكره في هذه الاية انه انما فعل ذلك ليصير سببا لعدم مبالغة الكفار في تحصيل الاستعداد
والحذر فيصير سببا لانكسارهم والى الله ترجع الامور تنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة
لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون زادا ليوم المعاد **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط لما ذكر انواع نعمه على المؤمنين
يوم بدر علمهم انهم اذا التقوا فيه امرين الاول الثبات اي اذا حاربتهم جماعة من الكفار نزل ان يضعها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اصم للقاء غالب فاثبتوا القتال ولا تخونوا انفسكم بالتولي
ولا تفروا الثاني ذكر الله اي اذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به

داعين له

داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم عن ابن عباس امر الله اولياءه بذكره في اشد احوالهم
تنبيها على ان الانسان لا ينبغي ان يخلو قلبه ولسانه من ذكر الله ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق
وينفق الاموال سخاء والاخر من المشرق الى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله لكان الذاكر اعظم اجرا لعلكم
تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة واطيعوا الله ورسوله في كل ما امر به ولا تنازعوا ولا تختلفوا
فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي اي الشارع يستلزم امرين الفشل وذهاب الريح
والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت عليه الدولة
ونفذ امره وقيل لم يكن قط نصرا لا بريح بعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلك عاد بالدبور وعن مجاهد
نصرتكم وذهبت ريح اصحاب محمد حين نازعوه يوم احد وعن السدي جرتكم وحدكم وعن مقاتل حدتكم وعن عطاء
جلدكم وقيل قوتكم واصبروا ان الله مع الصابرين المقصود ان كمال امر الجهاد على الصبر وامرهم بالصبر ان الله
مع الصابرين بالنصرة والمعونة ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين خرجوا من ديارهم بطرا هم اهل مكة حين
خرجوا من مكة لحام العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فاتى ابو جهل حتى
يقدم بدرا تشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاهم الناس
باطعامهم فوافوها فسقوا كاس المنية مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان
يكونوا مثلهم بطرين طريين مرائين باعمالهم والبطر الطغيان من النعمة فان النعمة اذا كثرت من الله على العبد فان
صرفها في مرضاته وعرف انها من الله فذاك هو الشكر وان يرسل بها الى المفاخرة على الاوان والمكاثرة على اهل الزمان
فذاك البطر ورئاء الناس عبارة عن القصد الى اظهار الجميل مع ان في باطنه قبيحا روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما راهم في موقعة بدر قال اللهم ان قريشا اقبلت بفخرها وخيلائها لمعارضة دينك ومحاربة رسولك
ويصدون عن سبيل الله اي ويمنعون الناس من قبول دين الله اي الاسلام ويكون بطرا ورئاء الناس حالا
على تاويل بطرين طريين مرائين ويصدون بمعنى وصادين ويجوز ان يكون بطرا ورئاء الناس بمنزلة يبطرون
ويراؤن قال الامام انما عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل لان الاسم يدل على الثبات والاستقرار
والفعل على التجدد وابو جهل وشيعته كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب وصدهم عن سبيل الله
انما حصل في الزمان الذي ادعى محمد صلى الله عليه وسلم النبوة والله بما يعملون محيط المقصود ان الانسان
ربما اظهر من نفسه ان الحامل له والداعي الى الفعل المخصوص طلب مرضاة الله مع انه لا يكون الامر كذلك
في الحقيقة فبين الله تعالى عالما في القلوب وتهديدا وزجرا عن البطر والرياء والتصنع **قوله تعالى**
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت
الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب قيل تقديره اذكر اذ زين وقيل هو عطف على ما تقدم تقديره واذ يمكروا ويريكهم

الله وادرين اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون
ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجرهم فلان في الفريقان نكص على عقبيه وتبرا
منهم اي بطل كيده حين نزلت جنوده عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وعن بن عباس
وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم ان قريشا لما اجتمعت على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد
مناة بن كنانة من الحرب فكان ذلك بينهم فتمثل ابليس في جند من الشياطين معه راية في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني
مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان راى ابليس الملائكة تنزل من الملائكة وعلم انه لا طاقة
لهم به نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم قال الضحاك ولى مدبرا وقيل رجع القهقرى على عقبيه فقاه هاربا وقيل
رجع من حيث جاء وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحرث يا سراقة اتخذلنا عن هذه
الحال فقال اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى الا جراسيس يثرب فقال اني اخاف الله فقال الحرث فهلا كان هذا
امس ودفع في صدر الحرث وانطلق به وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فلما بلغ ذلك سراقة
قال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا ما اتيتنا في كذا
فحلف لهم فلما اسلم علموا انه الشيطان والله شديد العقاب قيل هذا حكاية عن ابليس وقيل انقطع الكلام
عند قوله اني اخاف الله ثم قال والله شديد العقاب وفي الحديث ما روي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا
اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما راى يوم بدر **قوله تعالى** اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم
لم يدخل الواو في قوله اذ زين عطف هذا التزين على حالهم وخروجهم بطرا او رياء الناس وقوله اذ يقول
عطف على ما قبله بل كلام مبتدا منقطع عما قبله وعامل اذ اذكر اي اذكر واذ يقول المنافقون اما المنافقون
فهم من الاوس والخزرج واما الذين في قلوبهم مرض شك قيل هم كانوا بمكة على حرف ليس اثباتي الاقدام
في الاسلام وما قوي اسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا
الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني المؤمنين اغتروا بدينهم وانهم يغترون به
وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف فقتلوا جميعا وعن الحسن الذين في قلوبهم
مرض هم المشركون ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي ويوصل الثواب الى احبابه والعذاب الى اعدائه **قوله تعالى** ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس
بظلام للعبيد لما شرح حال هؤلاء الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذي يصل اليهم في ذلك
الوقت قرا ابن عامر وحده تتوفى بالتاء على تانيث الملائكة والباقون بالياء للمعنى ولو ترى جواب لو محذوف

والتقدير

والتقدير لرايت منظرا هائلا وامرا فظيعا وعذابا شديدا اي ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد
المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف رفعها بالفعل
ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر عن
مجاهد ادبارهم اشباههم ولكن الله لو لم يكن وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما
اشد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم وتقديره يضربون اجسادهم كلها وعن بن عباس
كانوا اذا اقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادركتهم الملائكة فضربوا
ادبارهم وعن الحسن قال رجل يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك قال ذاك ضرب الملائكة وقيل
ضرب الوجوه عقوبة كفرهم وضرب الادبار عقوبة معاصيهم وذوقوا معطوف على قوله يضربون على ارادة
القول او يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار في الجراحات او يقال لهم يوم القيمة
ذوقوا قوله ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت
خبره اي ذلك العذاب الذي هو عذاب الحريق بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي اضيف الفعل
الى اليد لان اليد آلة للفعل وفي الحقيقة الفعل لصاحب اليد وان الله عطف على ما قدمت اي ذلك
العذاب بسبب ما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل ٥
قوله تعالى كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم
ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وان الله سميع عليم كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون وكل كانوا ظالمين انه تعالى لما بين ما انزل باهل بدر من الكفار عاجلا واجلا كما شرحناه
اتبعه بان بين ان هذه سنته تعالى في الكل فقال كداب الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء كداب
آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه وواظبوا وعن بن عباس كفعل آل فرعون
وقال الضحاك كفعلهم وقال مجاهد وعطاء كسنتهم وقيل كمثالهم اي ان اهل بدر فعلوا كفعل آل فرعون
من التكذيب ففعل الله بهم كما فعل بآل فرعون من الاهلاك والعذاب وقيل كشان آل فرعون جحدوا
كما جحدتم وكفروا كما كفرتم وقيل كعادة آل فرعون وهذه كلها متقاربة والذين من قبلهم عطف على آل فرعون
كفروا تفسير كداب آل فرعون فاخذهم الله فعاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب تنبيه على
ان لهم عذابا مدخرا سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي
انزله بهم فقال ذلك اي ذلك العقاب او الانعام بسبب ان سنة الله جارية بانه لم يكن مغيرا نعمته
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال قال الكلبي يعني اهل مكة اطعمهم من جوع وامنهم من خوف وبعث
اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فغيروا نعمة الله وتغييرها كفروا بها وقال السدي نعمة الله محمدا صلى الله

عليه وسلم انعم به على قريش كفروا به وكذبوه فنقله الى الابصار قال صاحب الكشاف فان قلت فما كان
من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غيره نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فغيروها الى حال مسخوط قلت
كما تغير الحال المرضية الى المسخوط الذي اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم فترة عبدة اصنام
فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ
مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الانهار وعجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسول عليم بما
يفعلون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي
ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وجار مجرى التفصيل في الكلام الاول لان الكلام الاول ذكر اخذهم وفي الثاني
ذكر اغراقهم قيل اريد بالاول ما نزل بهم من العقوبة في القبر وقيل الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية
والاحسان مع كثرتها وتوالها عليهم فاللازم من الاول الاخذ ومن الثاني البوار والاهلاك ثم ختم الكلام بقوله
وكل كانوا ظالمين اي ظالمي انفسهم بالكفر والمعصية وظالمي سائر الناس بالايذاء والايحاش وان الله انما اهلكهم
بسبب ظلمهم **قوله تعالى** ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون لما وصف الله تعالى كل الكفار بقوله وكل
كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزية في الشر والفساد فقال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اي في حكمه
وعلمه من حصل له صنفان احدهما استمرار الكفر والاصرار عليه بحيث لم يتغير عنه اصلا الثاني نقض
العهد انما عطف المستقبل على الماضي لبيان ان من شأنهم نقض العهد مرة بعد اخرى فقال ابن عباس هم بنو
قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح
بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق
كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس
الكفار وشر الكفار المصرون الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون فيه من النار
والقتال **قوله تعالى** فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن
من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين انه تعالى يرشد الرسول صلى الله
عليه وسلم الى الرفق تارة كما في قوله تعالى واستغفر لهم والى التغليظ اخرى كما في هذه الآية فانه تعالى
لما ذكر الذين ينقضون عهده في كل مرة بين ان ما يجب ان يقابلوا به تثقفنهم تصادفنهم وتذكرنهم وتظفرن
بهم وقيل تربهم في الحرب فشرد بهم ففارق بهم عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم
من خلفهم من ورائهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احدا اعتبارا بهم واتعاظا لحالهم عن ابن عباس
رضي الله عنه وكل بهم من وراءهم عن قتادة عظ بهم من سواهم سعيد بن جبير عظ بهم من انذرتهم وانذر بهم
من خلفهم ابن زيد ارجفهم بهم وقيل فرق جمع كل ناقض بما تبلغ من هؤلاء عن عطاء اثخن فيهم القتل حتى

يخافك

يخافك اهل مكة واهل اليمن وغيرهم وعن ابن بشار اقتلهم قتلا يعرب عنك من وراءهم وعن القتبي
سمع بهم وانشد اطوف في الاباطح كل يوم مخافة ان يشردني حكيم ه واصل التشريد التطريد والتفريق
والتبديل لعلهم المشردين من ورائهم يتعظون ويعتبرون ولا ينقضون العهد واما تخافن تعلمن
يا محمد من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات يظهر لك منهم من آثار الغدر والخيانة ونقض العهد
كما ظهر لك من بني قريظة فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستوقصد اي لا تباحرهم
الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك اي اعلمهم قبل حربك اياهم انك فسخت العهد
وقطعت ما بينك وبينهم حتى تصير انت وهم على سواء من العلم بانك لهم محارب فيأخذوا للحرب
اهبتها وتتبرأ من الغدر وقيل على سواء اي مهل وذلك قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر ان الله لا يحب
كيد الخائنين فلا يكن منك اخفاء نقض العهد والخداع **قوله تعالى** ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون لما بين ما يفعله الرسول في حق من ينقضه في الحرب وما يفعله فيمن
ظهر منه نقض العهد بين حال من فاته يوم بدر وغيره لكيلا تبقى حسرة في قلبه فقد كان فيهم من بلغ
في اذنه الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما فقال ولا يحسبن الذين كفروا قرأ ابن عامر والكسائي
وحفص عن عاصم بالياء على ان الفعل للذين كفروا اي لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين فائتين
من عذابنا وقيل اصله ان يسبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن
مسعود انهم سبقوا وحذف ان كثير كقوله قل اغير الله تأمروني اعبد اي ان اعبد وقيل وقع الفعل على
انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه
ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين
كفروا سبقوا قال صاحب الكشاف وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها
حمزة نبيرة وفي التيسير قرأ حفص وابن عامر وحمزة ولا يحسبن بالياء ووجهها مستقيم على وجوه كما صححه
ابو البقاء فانه قال في الفاعل وجهان احدهما هو مضمر اي ولا يحسبن من خلفهم اي ولا يحسبن احد
والمفعول الثاني سبقوا وثانيهما ان الفاعل الذين كفروا والمفعول الاول محذوف اي انفسهم ولانها
متواترة ما تواتر فهو نه على انه اجاز حذف المفعول الاول من باب حسب في غير موضع من هذا الباب
منها في قوله تعالى ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ الى
غير ذلك وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا
والذين كفروا المفعول الاول وسبقوا المفعول الثاني والمعنى ولا تحسبن الذين كفروا سابقين انهم
قرأ ابن عامر بالفتح بمعنى الاول لانهم والباقون بالكسر على طريقة الاستئناف وكل واحدة من المفتوحة
والمكسورة تعليل الا ان المفتوحة تعليل صريح والمكسورة على الاستئناف لا يعجزون لا يفوتون

ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم من قولهم اعجزت الرجل وجدته عاجزا او اعجزه الشي اي فاته
قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء يوف اليكم وانتم لا تظلمون
لما اوجب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشرد من صدر منه نقض العهد وان ينبذ العهد الى من
خاف منه الخيانة والنكث امره في هذه الاية بالاعداد لها ولا الكفار وقيل انه لما اتفق لاصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا اله ولا عدة امرهم ان يعدوا للكفار ما استطاعوا
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها اي من الالات التي تكون قوة لكم عليهم من الخيل والسلاح
والكراع وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وعن
عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط
الذي هو بمعنى المرابط ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل
تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال ترهبون يخوفون به اي بما استطعتم
عدو الله وعدوكم هم اهل مكة واخرين من دونهم قال مجاهد هم بنو قريظة وقال ابن زيد هم المنافقون
لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويعلمون ويعبرون معكم وقال السدي هم اهل فارس وقيل
هم كفار الجن وقيل كل عدو للمسلمين غير الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يشردوهم وما تنفقوا
من شيء هو عام في الجهاد في ساير وجوه الخيرات يوف اليكم يدخر لكم ويوفر لكم اجره اي لا يضيع في الاخرة
اجره وقيل يعجل الله عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون لا تنقصون من الثواب **قوله تعالى**
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم لما بين ما يرهبون به العدو بين بعده
انهم عند هذا الارهاب ان جنحوا للسلم اي مالوا للصلح فاجنح لها اي مل اليها وصالحهم جنح له واليه
اي مال والسلم يانث تانيث نقيضها وهي الحرب قال الشاعر ه السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جزع ه قرا ابو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين
والباقون بالفتح وهما لغتان قيل هذه الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله وقيل بقوله
فاقتلوا المشركين وقيل غير منسوخة لانها تتضمن الامر بالصلح الا اذا كان الصلاح فيها فاذا راى
مصالحهم فلا يجوز ان يهاديهم سنة كاملة اذا كانت القوة للمسلمين وان كانت القوة للمشركين جاز يهاديهم
عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هادن اهل مكة عشر
سنين وتوكل على الله ولما يجب من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك
من خدعهم ومكرهم انه هو السميع بما يقولونه العليم بما يضمرونه **قوله تعالى**

وان

وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه
عزيز حكيم لما امر بالصلح ان جنحوا لها ذكر في هذه الاية انهم ان صالحوا وارادوا ان يخدعوك
فلا تمتنع من السلم فان الله ينصرك ويويدك فان يحسبك الله قال جرير ه اني وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا يقال حسبي وحسبك اي كفاك وهذا رجل حسبك
من رجل وهو مدح للنكرة لان فيها تاويل فعل كانه قال يحسب لك اي كاف لك من غيره استوى فيه
الواحد والجمع والتثنية لانه مصدر هو الذي ايدك بنصره يوم بدر وبالمومنين بالانصار والف
بين قلوب المومنين اي جمع بين قلوب الاوس والخزرج على دينه كان بينهم من الحروب والوقايع
ما اهلك سادتهم ورواساهم ودق جماجمهم ولم يكن لتعصابهم امد ومنتهى وبينهما التحاور الذي
يهيج الضغاين ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طايفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب ما اثرتها
اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله كل ذلك حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا
اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته وقيل التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله
من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والمعصية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقايه
بين اعينهم الى ان يتنقموا لا يكاد يتالف فيهم قلبان ثم ايتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم
واخذت بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله ولا يقدر
على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويطبع فيها ما اراد **قوله تعالى** يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المومنين يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
لما وعده بالنصر عند مجادعة العدو وعده بالنصر والظفر مطلقا عن سعيد بن جبير اسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية وقيل نزلت هذه
الاية بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال فعلى الاول مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بعض العلما الواو بمعنى مع وما بعده منصوب يقول حسبك وزيد درهم اي حسبك
مع من اسمك الله ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف
مهند والمعنى كفاك وكفى بتباعك من المومنين الله ناصرا وقيل هو في محل الرفع عطفا على اسم الله تقديره
حسبك الله ومتبعوك من المومنين اي كفاك الله وكفى من اتبعك من المومنين ثم بين انه وان
كان يكفيك الله ومن اتبعك من المومنين لكن بشرط ان تحرض المومنين على القتال فان الله انما يكفيك

بالكفاية بشرط ان يحصل منهم بذل النفس والمال في الجهاد والتحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو
ان ينهكه المرض ويبالغ فيه حتى يشفي على الموت وقيل التحريض ان يسميه حرضا ان يكن منكم حرضا في هذا الامر
وممرضا فيه لنهجه ويحرك منه فعلى الاول معناه يا ايها النبي حث المومنين على القتال اي بالغ في الامر بالقتال وعلى الثاني
معناه سمهم حرضا ان يكون منكم عشرون رجلا صابرون محتسبون يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم وان تكن
مائة صابرة محتسبة تثبت عند لقاء العدو يغلبوا الفا من الذين كفروا وليس المراد منه الخبر بل الامر كانه قال
ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين بمائتين بسبب ان الكفار قوم جهلة
يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب كالبهائم فهم لا يثبتون اذا قاتلتموهم خشية ان يقتلوا وكل هذا يوم
بدر عن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا وبعث الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في
ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل فرض الله على الرجل من المومنين قتال عشرة من الكافرين فثقل على
المومنين وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في
الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وهو قوله تعالى الان خفف الله عنهم قرا نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء في
الموضعين وابو عمرو الاول بالتاء والباقون بالياء فيهما وعلم ان فيكم اي في الواحد عن قتال العشرة وايمانه عن قتال
الالف قرا عاصم وحمزة بفتح الضاد دون العين وفي الروم مثله والباقون فيهما بالضم وهما لغتان صحيحتان الضعف
والضعف كالمكث والمكث والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا
متفاوتين في ذلك احتج هشام على قوله الباطل انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند وقوعها بقوله وعلم ان فيكم ضعفا
وهذا يقتضي ان علمه تعالى بضعفهم ما حصل الا في هذا الوقت واصحابنا اهل السنة والجماعة اجابوا بان معنى الاية
انه تعالى قبل حدوثه لا يعلمه واقعا حادثا قبل حدوثه يعلمه بانه سيقع وسيحدث وعند حدوثه يعلم انه واقع
حادث فمعناه ان الان علم بوقوعه وحدوثه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكفار وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله اي لا يقع الغلبة الا باذن الله وارادته والله مع الصابرين عدة من الله
وبشارة بان الجماعة الى المومنين ان صبروا غلبوا مثليهم وكيف لا يغلبون من كان الله معهم فرد من عشرة الى اثنين
فاذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا واذا كانوا اكثر من ذلك لم يجب عليهم القتال وجاز لهم الهزيمة
والصبر احسن قال صاحب الكشاف فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مفارقة الجماعة لاكثر منها مرتين
قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحد لا يتفاوت لان الحال قد يتفاوت
بين مقاومة العشرين المائة والمائة الالف وكذلك بين المائة المائتين والالف الالفين **قوله تعالى**
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز
حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
ان الله غفور رحيم المقصود من هذه الاية تعليم حكم اخر من احكام الجهاد في حق النبي صلى الله عليه وسلم

قرا ابو عمرو

قرا ابو عمرو تكون بالتاء على لفظ الاسرى والباقون بالياء لتقدم الفعل ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة
فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبته حتى يثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثخنه من الثخانة التي
هي الغلظ والكثافة والمعنى حتى يثخن في القتل حتى يبالغ في قتل المشركين واسرهم وقهرهم تقول العرب ان اثخن
فلان في هذا الامر اي بالغ واثخنه معرفة بمعنى قتلته معرفة بمعنى حتى يذل الكفر ويضعفه بامتناعه القتل
في اهله ويعز الاسلام ويقويه باستيلاء القهر ثم الامر بعد ذلك ومعنى ما كان له ما صح له وما استدام قال
قتادة كان هذا يوم بدر ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ باربعة الاف اربعة الاف ولعمري
ما كان اثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان اول قتال قاتل المشركين وعن ابن عباس كان هذا
يوم بدر والمسلمون يومئذ كثير فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما
فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم في امر الاسارى بالخيار ان شاء فاداهم وان شاء اعتقهم روي انه
كان يوم بدر وجيء بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله
قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على المشركين وقال عمر يا رسول
الله كذبوك قومك واخرجوك قدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن
عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيت لعمر فاضرب عنقه وقال عبد الله بن رواحة
يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطع الله رحمك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم قام فدخل فقال يا ناس ناخذ بقول ابي بكر وقال
ناس ناخذ بقول عمر وقال ناس ناخذ بقول ابن رواحة ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه الصلاة والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم
قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يلفتن احد منكم الا بفداء او ضرب عنق روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم اديتموهم واستشهد منكم
بعدتهم قالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وعن محمد بن سيرين كان فداهم مائة اوقية والاوقية
اربعون درهما وستة دنانير وقيل كان فدى الاسارى عشرون اوقية وقال العباس اربعون اوقية قيل
فاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ باربعة الاف اربعة الاف وروي انهم لما اخذوا الفداء
نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان
وجدت بكاء وان اجد بكاء تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ فقوله

الاخذ في القتل احب الي تريدون ايها المومنون عرض الدنيا حطامها لانه حديث قليل اللبث قال الراغب
العرض ما لا ثبات له ومنه اسفار المتكلمون لما لا ثبات الا بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر
تنبيها على ان لا ثبات لها اي تريدون عرض الدنيا في اخذكم الفدا والله يريد لكم ثواب الاخرة بقهر المشركين
ونصر دين الله واعزاز الاسلام بالاثخان في القتل قيل هذه الاية دالة على ان الانبيا يجتهدون وانه قد يكون
خطاء ولكن لا يقرون عليه والله عزيز يغلب اوليايه على اعدايه ويمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفدا
ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يعزوا ويكثروا وهم معجلون لولا كتاب من الله سبق عن بن عباس كانت الغنايم
قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم حراما على الانبيا والامم كلها كانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم
عليهم ان ياخذوا منه قليلا او كثيرا وكان الله عز وجل قد كتب في ام الكتاب ان الغنايم واخذ الفدا فانزل
الله تعالى لولا كتاب من الله سبق اي لولا قضا من الله سبق لكم باهل بدر في اللوح المحفوظ بان الله
محل لكم الغنيمة وعن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن
شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن بن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم
حتى يبين لهم ما يتقون فانه لا ياخذ قوما فعلوا شيا بجهالة وقيل لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو
ان لا يعاقب احدا بحكم وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاهم ربما كان سببا في اسلامهم
وتوبتهم وان فداهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز الاسلام واثبت لمن ورايهم
واقل لشوكتهم وقيل لولا كتاب من الله سبق اني لا اعذب الا بعد النهي لعذبتكم فيما صنعتم وانه تعالى ما نهاكم
عن اخذ الفدا وقيل معناه لولا انه حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسكم عذاب عظيم لنالكم واصابكم فيما
اخذتم من الغنيمة والفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم وكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنايم ولم يمدوا ايديهم
اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفدا لانه من جملة الغنايم ومعنى الفاء السبب والسبب محذوف
معناه قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
واتقوا الله ولا تقدموا على المعاصي بعد ذلك وقيل لا تقدموا الى شيء لم يعهد لكم فيه واعلموا ان الله غفور لكم
ما اقدمتم عليه في الماضي من الزلة ورحيم ما اتيتم من الحرام والمعصية واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله
غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية وقيل معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل
ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم لما اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الفدا من الاسرى
وشق عليهم اخذ اموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الاية استمالة لهم عن بن عباس نزلت في العباس وعقيل ابن
طالب ونوفل بن الحرث كان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان

اخذ الذين

اخذ الذين ضمنوا اطعام اهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا قبل ذلك
وبقيت العشرون الاوقية مع العباس فاخذت منه في الحرب وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله لا يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فكلم العباس
النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذلك الذهب عليه فابى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت لتستعين
به علينا فلا اتركه فكلف فدا ابني اخيه عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فاين حدث بي حادث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله
وللفضل وقثم فقال العباس له عليه الصلاة والسلام وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس فانا اشهد
انك صادق وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من
ذلك لي الان عشرون عبدا ما ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع
اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون
الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا
خير مما اخذ مني وارجوا المغفرة وهذه الاية نازلة في جملة الاسارى فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ويدخل في الخير الايمان والعزم على الطاعة في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي والعزم على نصرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتوبة عن محاربته قرا ابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى اي من الاسارى
الذين اخذتم منهم المال ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الايمان وان يريدوا خيانتك اي وان يريدوا
الاسرى خيانتك نقض ما بايعوك عليه من الاسلام والردة روي انه صلى الله عليه وسلم لما اطلقهم من الاسر عهد معهم
ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين فقال تعالى وان يريدوا نكث العهد فقد خانوا الله من قبل في كفرهم
به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه وقيل المراد انهم كانوا يقولون لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
ثم اذا خلصوا من البلية ووصلوا الى النعمة نكثوا العهد ونقضوا الميثاق فامكن منهم كما رايتم ببدر وقيل مفعول
امكن محذوف اي فامكن المومنين منهم فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا
والله عليم ببواطنهم وضمايرهم حكيم يجازيهم باعمالهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم

والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاوليك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله
بكل شيء عليم ان الله تعالى قسم المومنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام وذكر حكم كل قسم
منهم وتقرير هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت بعثته بمكة ودعا الناس الى الدين ثم هاجر الى المدينة
فمنهم من وافقه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها اما الذين وافقوه في تلك الهجرة فهم المهاجرون الاولون لانه تعالى
قال في اخر الاية والذين امنوا من بعد وهاجروا فقوله الذين امنوا اشارة الى هاولا اي الذين امنوا بالله وملايكته
وكتبه ورسله وهاجروا اي فارقوا اوطانهم وهجروا قومهم وعشيرتهم حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم
بانفاقها في الجهاد وبانهم لمفارقة الاوطان ضاعت دورهم ومساكنهم ومزارعهم وبقيت في ايدي الاعدا وبانفاقها
في المهاجرة وانفسهم باقدامهم على الجهاد ببذر من غير الة وعدة مع الاعدا الموصوفين بالكثرة والشدة وذلك يدل على
انهم بذلوا انفسهم في سبيل الله والقسم الثاني من المومنين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين
اووا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه الى ديارهم اي اسكنوهم منازلهم ونصروهم على اعدايهم
وبذلوا النفس والمال في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار فلو انهم اووا ونصروا لما تم المقصود
والمهاجرون اعلى مرتبة من الانصار لسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضايل ولحملهم المشقة والاذى زمانا
مديدا من كفار قريش وصبرهم عليه وعلى المضار الناشية من مفارقتهم الاوطان والاهل والجيران وتفتحهم الباب
في قبول الدين والشريعة من الرسول صلى الله عليه وسلم اوليك بعضهم يتولى بعضا في الميراث دون اقاربهم الكفار
عن بن عباس كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابات وكان الذي امن ولم يهاجر لا يرث
من اجل انه لم يهاجر ولم ينصره وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله فنسخت هذه الاية وصار الميراث لذوي الارحام بعضهم اولى ببعض من المومنين ولا يتوارث اهل
ملتين شتا قال الامام ان لفظ الولاية غير مشعر بهذا المعنى لان اللفظ مشعر على ما قررناه بالقرب في مواضع
من هذا الكتاب ويقال السلطان ولي من لا ولي له ولا يفيد الارث وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا يفيد الارث بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير الارث وهو كون بعضهم معظما للارث مهتما
بشانه مخصوصا بمعاونته ومناصرته والمقصود ان يكونوا ايدا واحدة على الاعداء وان يكون حب كل واحد لغيره
جاريا مجرى حبه لنفسه واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى كان حمله على الارث بعيدا عن دلالة اللفظ لا سيما
وهم يقولون ذلك الحكم صار منسوخا بقوله تعالى في اخر هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واي حاجة
تحملنا على حمل اللفظ على هذا المعنى الذي لا اشعار بذلك الحكم به ثم انه تعالى الحكم بانه صار منسوخا
بانه مذكورة معه هنا في غاية البعد اللهم الا اذا حصل اجماع المفسرين على ان المراد ذلك فحينئذ يجب المصير
اليه لكن دعوى الاجماع بعيد والقسم الثالث من المومنين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
الذين امنوا ولم يهاجروا بل بقوا في مكة ما لكم من ولايتهم يعني الميراث من شيء حتى يهاجروا يعني الميراث من شيء

حتى يهاجروا

حتى يهاجروا لانهم توهموا ان ولايتهم سقطت مطلقا فازال الله هذا الوهم بقوله حتى يهاجروا يعني
انهم لو هاجروا لعادت تلك الولاية على اكمل الوجوه فلا شك ان هذا يصير مرغبا له في المهاجرة وان في الدين
فواجب عليكم النصر على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم اذ الميثاق
مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في العون والنصرة ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله
في المسلمين اوليك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان كانوا يتوارثون بعضهم بعضا عن بن عباس رضي الله عنه نزلت
في مواريث مشركي اهل العهد وقال السدي قد قال رجل يورث ذوي ارحامنا من المشركين فنزلت هذه الاية
الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة
الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلايق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة
في الارض وفساد كبير لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا وللفساد زايدا والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اوليك هم المومنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم
وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار
لان هذه الاية واردة للثنا عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى الامر بالتواصل والذين امنوا من
بعد وهاجروا القسم الرابع من المومنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الذين امنوا من بعد
وهاجروا يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان عن بن عباس رضي الله عنه هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد بدر وقيل بعد الهجرة
الاولى هم التابعون باحسان كما قال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فاوليك منكم يدل
على ان مرتبة هاولا دون مرتبة المهاجرين السابقين لانه الحق هاولا بهم وجعلهم منهم في معرض التشريف
واولوا الارحام اولوا القرابات وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة قال الامام اما الذين فسروا الولاية
بالنصرة والمحبة والتعظيم قالوا ان تلك الولاية لما كانت محتملة للولاية بسبب الميراث بين تعالى في هذه
الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة الا ما خصه الدليل فيكون المقصود من هذا الكلام
ازالة ذلك الوهم وهذا اولى لان تكفير الشيخ من غير ضرورة وحاجة لا يجوز في كتاب الله في حكمه قسمة وقيل
في اللوح وقيل في القران وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام واجاب
اصحابنا ان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى جاء في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب
الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي بينها الله في كتابه
وتلك الاحكام ليست الا ميراث العصبات فوجب ان لا يكون المراد من هذا المجمل هو ذلك فقط فلا يتعدى
الى توريث ذوي الارحام ثم قال في ختم السورة ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها

وحصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها شيء من العبث والباطل ان العالم بكل شيء لا يحكم الا بالصواب

سورة التوبة مدنية

وهي مائة وثلثون اية واربعة الاف وثمان وتسعون كلمة وعشر الاف واربعمائة وثمانية وثمانون حرفا
قال صاحب الكشاف لها عدة اسماء براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المرشدة ، المخزية ،
الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها وتبرها وتحفر عنها وتفضحهم
وتنكلهم وترشدهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة وانما هي سورة العذاب والله
ما نزلت احدا الا نالت منه عن بن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمان رضي الله عنه ان لا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذات العدد فاذا نزل عليه الشيء ما حملكم
على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بهما ولم تكتبوا عنهما سطر بسم الله
الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذات العدد فاذا نزل عليه الشيء يدعوا بعض من يكتب عنده
فيقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال مما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر
ما نزل وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن ثم قرنت
بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال وعن ابي بن كعب انه قال انما توهموا ذلك
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى وقيل ان الصحابة اختلفوا
في ان سورة الانفال وسورة التوبة شيء واحد ام سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لان كليهما نزلتا
في سورة واحدة في القتل ومجموعهما السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المائون وهذا قول ظاهر
لانهما معها مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان ونزلت بسم الله
لقول من قال هما سورة واحدة وقيل انه تعالى ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا
وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه تعالى شرح هذا المعنى في قوله تعالى براءة من الله ورسوله
فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتاكيدا له وتقريرا له وقع الفصل بينهما وكان ايقاع الفصل بينهما على كونهما
سورتين متغايرتين وترك كتبة بسم الله بينهما على ان هذا المعنى هو عين ذلك المعنى وعن بن عباس
رضي الله عنه سالت عليا رضي الله عنه لم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله الرحمن الرحيم
امان وهذه السورة بالسيف ونبذ العهد وليس فيها امان وسيل سفيان بن عيينة رضي الله عنه فقال
اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة واكد بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام

لست

لست مؤمنا فقيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذاك
ابتداء منه يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا براءة قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله
فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذة فاعملوا البراءة واللعنة واهل الحرب
لا يسلم عليهم ولا يقال لا يفرق ولا يخاف ومترس ولا باس هذا امان كله

قوله تعالى

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا
انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة من لابتدا
الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة في قولك بريت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله
الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب فلان من فلان وقيل يجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصيصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي
عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين لان الله تعالى
قد اذن في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما
نقضوا العهد اوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله
ورسوله قد بريا مما عاهدتم المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب
فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر
امنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهم الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر
الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها
عتاب بن الاسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا
رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا
رجل مني فلما دنا على ما سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال اميرا ومامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطرق هبط جبريل فقال يا محمد
لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقال علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا ثلثين اية او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشر
اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء
ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل

منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا
هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فارتجت عليهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه قوله تعالى فسيحوا رجع
من الخبر الى الخطاب اي قل لهم سيحوا اي سيروا في الارض مقبلين مدبرين امنين غير خائفين احد من المسلمين
بحرب ولا سلب ولا قتل ولا اسر يقال ساح في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا والسياحة في الارض
الضرب فيها والاتساع في السير والبعد عن البدن وموضع العمارة من الاقلال من الطعام والشراب يقال
للصائم سائح لانه يشبهه لتركه الطعام والشراب اربعة اشهر قيل المشركون الذين برئ الله ورسوله
اليهم من العهود صنفان احدهما كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة اشهر والاخر كانت
مدة عهده بغير اجل محدود فقصر به عن اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك ولرسوله وللمؤمنين
يقتل حيث ما ادرك ويؤسر الا ان يتوب وابتدا هذا الاجل بعد الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع
الاول واما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وعن الزهري ان براءة
نزلت في شوال فهو اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة
ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا بها وحرم قتالهم
وقتلهم او على التغليب لان ذي الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع
الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذي
الحجة وقال الكلبي انما كانت اربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون
اربعة اشهر فاتم له الاربعة الاشهر ومن كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهو الذي امر ان يتم له عهده
وقال فاتموا اليهم عهدهم الى مقاتل وقال مقاتل نزلت في ثلثة احياء من العرب خزاعة وبنو مدلج وبنو
خزيمة كان النبي صلى الله عليه وسلم وقال عاهدهم بالحديبية سنتين فجعل الله اجلهم اربعة اشهر
ولم يعاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احدا من الناس وقال الحسن رضي الله عنه بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعوا الناس الى التوحيد والطاعة وفرض الشرائع وامره بقتال
من قاتله من المشركين يقال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وكان لا يقاتل الا من قاتله وكان
كافا عن اهل العهود الذين يعاهدونه الثلاثة والاربعة الاشهر حتى ينظروا في امرهم فاما ان يسلموا
واما ان يؤذنوا بحرب من الله ورسوله ولم يكن لاحد منهم اكثر من اربعة اشهر لان من كان له عهد قبل
البراءة ولا من يكن له عهد وكان الاجل يجمعهم اربعة اشهر واحل دماء المشركين كلهم من اهل العهد وغيرهم
بعد انقضاء الاجل قال عبد الرحمن بن زيد نقض كل عهد كان اكثر من اربعة اشهر فرده الى الاربعة وقال محمد
بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا
عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يانس فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فدخلت خزاعة

في عهد

في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل ابو بكر في عهد قريش وكان مع ذلك عهود بين النبي صلى الله عليه
وسلم وبين قبائل من العرب خصائص فغزت بنو بكر على خزاعة ونقضوا فصالت منه ووفدتهم قريش بالسلاح
فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة فصالت منها ووفدتهم ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رب اني ناشد محمدا خلف ابيه وابينا ان لا تلدا كنت لنا ابا وكنا ولدا
ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا اعتدا ودع عباد الله ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجرد
ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا وزعموا ان لست تدعوا
احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالحطيم جهدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا نصرت ان لم انصركم وخرج الى مكة وتجهز وفتح الله مكة وهي سنة ثمان من الهجرة ثم لما خرج الى غزوة
تبوك وخلف من خلف من المنافقين وارجفوا الاراجيف جعل المشركون ينقضون عهودهم فامره الله تعالى
بالقاء عهودهم اليهم ليأذنوا بالحرب وذلك قوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الاية
فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا
احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم
للناس الحج فبعث معه باربعين اية من صدر براءة ليقراها على اهل الموسم فلما سار رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اخرج بهذه السورة من صدر براءة واذن بذلك في الناس اذا اجتمعوا فخرج علي رضي الله عنه على
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى ادرك ابا بكر رضي الله عنه بذي الحليفة فاخذها منه فرجع
ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري
او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانت صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله قال جابر كنت
مع علي حين اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كنا بالعرج ثوب بصلاة الصبح فلما استوى ابو بكر سمع الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحج فاذا عليها علي فقال ابو بكر اميرا او مامورا فقال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقراءها
على الناس فسار معه ابو بكر اميرا على الحاج وعلي يؤذن ببراءة فقدها ملة فلما كان قبل التروية قام ابو بكر
فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم التي كانوا
عليها في الجاهلية من الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم سورة
براءة واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين ولا سابقين وان امهلكم وقيل اعلموا ان هذا الامهال ليس
بعجز ولكن بلطف ومصلحة ليتوب من تاب وقيل تقديره فسيحوا عالمين انكم لا تعجزون الله في حال والمقصود
اني امهلتكم واكلفت لكم فافعلوا كل ما امنكم فعله من اعداد الالات والادوات فانكم لا تعجزون الله
بل الله يعجزكم ويقهركم وقيل اعلموا ان هذا الامهال لاجل انه لا يخاف الفوت لانكم حيث كنتم في ملك الله

وارسل م

عليا م

ابا بكر م

وسلطانه وان الله مخزي الكافرين اي مذللهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة وهذا ضمان من الله
بنصرة المومنين على الكافرين وللاخر بالاذلال مع اظهار الفضيحة والعار والخزي بالنكال الفضيح ٥

قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين
ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم واذان
اعلام ومنه الاذان بالصلاة يقال اذنته فاذن اي اعلمته فعلم واصله من الاذن اي اوقعته في اذنيه
وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على الجملة قال صاحب الكشاف ولا وجه لقول من قال
انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قايم وعمرو قاعد والجملة الاولى اخبار بثبوت
البراءة وهذه الجملة اخبار توجب الاعلام بما ثبت والبراءة مختصة بالمعاهدين والتاكيد منهم والاذان عام
لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث من الله ورسوله اي اذان صادر
من الله ورسوله واصل الى الناس فقولك اعلام صادر من فلان الى فلان يوم الحج الاكبر عن ابن عباس رضي الله
عنه يوم عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطا وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن
علي رضي الله عنه ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نافع بن جبير وقيس
ابن عباد وعبد الله بن شداد والشعبي والنخعي والسدي وابن زيد هو يوم النحر وهو احدى الروايتين عن
علي وعن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بعكاظ وذي المجاز ومجنة
ويوم نادى علي بما نادى وكان سفين الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها مثل يوم صفين ويوم الجمل
ويوم بعاث ابن اذينة الحسن والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة ووصف الحج بالاكبر
لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وقيل يوم الحج الاكبر كان حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود
والنصارى والمشركين ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مومن وكافر وقيل الحج الاكبر القران
والحج الاصغر افراد الحج وقيل الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة لنقصان عملها من عمل الحج وقيل الوقوف
بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واحيانه لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل
معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان باي شي فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله
حذفت الباء التي هي صفة الاذان تخفيفا ورسوله عطف على المنوي على بريء فهو مرفوع على الابتدا وخبره
مضمر تقديره ورسوله ايضا بريء فان تبتم اي رجعتم عن الشرك والغدر واخلصتم التوحيد فهو خير لكم
وذلك ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لبراءة الله ورسوله منهم وان توليتم
اعرضتم عن التوبة والايمان وابيتم الا الاقامة على الكفر والاعراض عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير
معجزي الله غير سابقين الله ولا فايتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا على سبيل التهكم بعذاب اليم ثم
قال الا الذين وهو مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الخطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله

الى الذين

الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا لهم عهدهم
قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل
بعد ان امروا في الثانيين ولكن لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي
كالغادر وقيل استثنا من قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا ان
الذين لم ينقضوا العهد وهم بنو ضمرة من كنانة ثم لم ينقصوكم شيئا من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه
وقيل لم يصلوكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم بانفسهم ولا بسلاح ولا بخيل ولا
رجال ولا مال كما عدت بنو بكر على خزاعة عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتم قريش بالسلاح
وقد عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نصرت ان لم انصركم فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا واوفوا اليهم بعهدهم الى مدتهم اجلهم الذي عاهدتموهم
عليه ان الله يحب المتقين بمعنى ان قضية التقوى لا تسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك
قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله
غفور رحيم انسلخ انجرد وانقضى ومضى وخرج والاشهر الحرم التي ابيح فيها للثانيين ان يسيحوا فاقتلوا
المشركين الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل ارضهم وخذوهم واسروهم وللاخيذ للاسير
واحصروهم وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد المسلمين واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز
ومرقد ترصدونهم به يقال رصدت فلانا اي ارصده رصدا اذا رقبته وانتصابه على الظرف كقوله تعالى
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا من الشرك واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
فدعوهم فليتصرفوا في امصارهم ويدخلوا مكة فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر اي فكفوا عنهم ولا تعرضوا
لهم كقوله تعالى فخلوا سبيلهم وكقوله خل السبيل لمن بنى المنارة ان الله غفور ما سلف من الشرك
والغدر رحيم بالمومنين الناس عن الشرك **قوله تعالى** وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون مرتفع بفعل الشرط مضمرا تفسيره
الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتدا الا ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره
والمعنى وان احد من المشركين الذين امرت بقتالهم وقتلهم استجارك اي استعاذك واستامنك بعد
انقضا الاشهر الحرم لا عهد بينه وبينه ولا ميثاق ليسمع كلام الله وما تدعوه اليه من التوحيد والقران
وتبين ما بعث اليه فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر فيقيم عليه حجة الله
ويبين له دين الله ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شيت من غير غدر

ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وان اسلم فقد نال عن الاسلام وخير الدنيا والاخرة وصار
رجلا من المسلمين وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وليست بمنسوخة قال سعيد بن جبير جاء رجل
من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال الرجل ان اراد احد منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل فيسمع
كلام الله او ياتيه لحاجة قيل علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
فاجره الاية ذلك اي الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام
وما تدعوا له فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق **قوله تعالى**
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام على سبيل الانكار والاستبعاد والتعجب
لان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم اضداد وغيره صدورهم يعني محال ان تثبت
لهاولاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله
الا الذين اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منكم نكث لشي كنانة وبني ضمرة فتربصوا
انفسهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على عهدهم فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين الموفين
بالعهد يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين **قوله تعالى** كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله
ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة واولئك هم
المعتدون كيف مردود على الاية الاولى وتكرار الاستبعاد ثبات المشركين على العهد وترك الفعل
لكونه معلوما اي كيف يكون لهاولاء المشركين وقيل وكيف يقتلونهم وحالهم هذه انهم ان يظهروا عليكم
يظفروا بكم فيقتلوكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لا يرقبوا لم ينظروا في حلف ولا عهد
ولا ميثاق ولم يبقوا عليكم ولا يراعوا لاحد قيل قرابة ورحما شاهده قول حسان لعمرك ان الك من قريش كال
السقب من رال النعام السقب الذكر من ولد الناقة والرال ولد النعام الال الحلف شاهده قول ابن حجر
لولا بنوا مالك والال مرقبة ومالك فهم الالال والشرف واشتقاقه من الال الذي هو الجوار وله الال
اي انين يرفع به صوته ودعت اللها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان
القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وقيل الاول هو الله عز وجل وفي الخبر ان ناسا قدموا
على ابي بكر رضي الله عنه من عند مسيلمة فاستقراهم ابو بكر رضي الله عنه كتاب مسيلمة فقرءوا فقال
ابو بكر ان هذا الكلام لم يخرج من ال ولا ذمة عهدا يرضونكم كلام مبتدا محذوف في وصف حالهم من
مخالفة الظاهر الباطن مقررا لاستبعاد الثبات منهم على العهد اي يرونكم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
مثل قول المنافقين وتابى قلوبهم الايمان وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونها على السنتهم

من الكلام

من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون ناكثون للعهد ناقضون كافرون متمردون خلعا لامروه نزعهم ولا شمايل
مرضية تزد عنهم اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران والاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الهوى بالشبهات وذلك
انهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم باكله اطعمهم ابن حرب عن مجاهد
اطعم ابو سفيان حلفا محمد صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله فمنعوا الناس من دخولهم في دينه فعدلوا عنه
وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان رضي الله عنه واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس
ما كانوا يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة اي لا يبقون عليكم ايها المومنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا
واولئك هم المعتدون بنقض العهد **قوله تعالى** فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة
فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون انه تعالى لما بين حال من لا يترقب في مومن الا ولا ذمة
وينقض العهد وينطوي على الميثاق ويتعدى ما حد له بين من بعد انهم ان اقاموا الصلاة واتوا الزكوة
كيف حكمهم فجمع ذلك الشي في قوله فاخوانكم في الدين وهو يفيد جملة احكام الايمان ولو شرح لطال فان
تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فهم اخوانكم في الدين على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا
اباهم فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليكم ما عليهم ونفصل الايات ونبينها وهذا
اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين
وعلى المحافظة عليها وان نكثوا نقضوا ايمانهم عهودهم من بعد عهدهم عقدهم وطعنوا قدحوا في دينكم فثلموه
وعابوه وذلك انهم قالوا ليس دين محمد بشي فقاتلوا ائمة الكفر قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ائمة بتليين
الهمزة الثانية طلبا للجنة والباقون بالهمزتين على التحقيق لان اصلها ائمة الكفر نحو مثال وامثلة
وعماد واعمدة ثم ادغمت الميم التي هي عين افعلة في الميم الثانية ونقلت حركتها الى الهمزة الساكنة التي هي
فاء الفعل فصارت ائمة وانما كتبت الهمزة الثانية ياء لما فيها من الكسرة وهي لغة بني تميم فقاتلوا ائمة
الكفر اي فقاتلوهم وضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردوا طغيانا
وطرحا لعادات الكرام الا وفدا من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين
في الدين ثم رجعوا وارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفا بالعهود وقعدوا يطعنون
في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشي فهم ائمة الكفر ودووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر عنادهم
وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه ان لا يطعن فاذا
طعن فقد نقض عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين اي لا عهود لهم وقيل لا وفاء لهم بالعهد
والمنافاة بين وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي
رضي الله عنه يمينهم يمين وقال معناه انهم لما لم يوفوا بها صارت كانها ليست بايمان بدليل انه تعالى

قوله وان نكثوا ايمانهم وبين قوله لا ايمان لهم اي ايمانهم التي اظهروها ليست ايمانا لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان صح

وصفها بالنكث اى ايمانهم التى اظهروها ليست ايمانا لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان قوله وان
نكثوا ايمانهم وبين قوله لا ايمان لهم لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اى فقاتلوا ائمة الكفر
لكى غرضكم فى مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا فى انتهائهم عما هم
عليه من الكفر والطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم وهذا من غاية كرم الله سبحانه وتعالى وفضله
وعوده على المشى بالرحمة كلما عاد **قوله تعالى** الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا
باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين لما قال
تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اتبعه بذكر السبب الذى يبعث المومنين على مقاتلتهم دخلت الهمزة على لا تقاتلون
استفهاما لنفى المقاتلة والكلام عليه مع الذين قتلوا عن المقاتلة والمراد تحضيضهم عليها والمعنى انهم
قد يستقرون على ما كنتم عليه من عدم المقاتلة توبيخا على التثبط عن المقاتلة والمراد تحضيضهم
عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التى حلفوها على المعاهدة قيل نزلت فى كفار مكة الذين
نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهذا يدل على ان قتال الناكثين اولى
من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجرا لغيرهم وهموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة
حين تشاوروا فى امره بدار الندوة حتى اذن الله فى الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة قبل
بدؤكم بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بالقتال يوم بدر لانهم حين سلموا العير
قالوا لا نرجع حتى نستاصل محمدا واصحابه ومن معه وقيل وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم فعدلوا عن المعارضة بعجزهم
عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادى الحلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر
كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان فى مثل
صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول صلى الله عليه وسلم والبداءة بالقتال من غير موجب حقيق بان
لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها اى اتخافونهم فتتركون
قتالهم فالله احق ان تخشوه كانه قيل ان كنتم تخشون احدا فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم
مومنين يعنى ان قضية الايمان الصحيح الا تخشى المومن الا ربه ولا يبالى عن سواه كقوله تعالى
ولا يخشون احدا الا الله **قوله تعالى** قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم لما وبخهم الله تعالى على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم
لتثبيت قلوبهم وتصحيح نياتهم ان يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم
ويشف صدور طائفة من المومنين ويبرئ داء قلوب قوم مومنين بما كانوا يبالونه من الاذى

والمكروه

والمكروه منهم وقيل يشفى صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بن عباس
رضى الله عنه هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا من المشركين من المكروه وقد انجز الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ثم قال مستانفا مخبرا بان الله يتوب على من يشاء من
اهل مكة فهدية للاسلام كما فعل بابى سفيان وعكرمة فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم والله
عليم حكيم اى عليم بكل ما يفعل فى ملكه وملكوته حكيم مصيب فى احكامه وافعاله **قوله
تعالى** ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون المقصود من هذه الاية مزيد بيان فى الترغيب
ام منقطعة وهو من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ولو اريد به الابتداء لكان بالالف او بهل
فبادخال الميم يفرق بينه وبين الاستفهام المبتداء ومعنى الهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان
والمعنى انكم لا تتركون ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله اوجه ولم يتخذوا
وليجة اى بطانة واولياء يوالونهم وليجة الرجل خاصته وبطانته والمراد ان المكلف فى هذه الواقعة
لا يتخلص عن العقاب الا عند حصول امرين الاول ان يعلم الله الذين جاهدوا منهم العلم المتعلق بالواقع
بان يصدر الجهاد منهم والثانى ان لا يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة فان المجاهد
قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه خلاف ظاهره وهو الذى يتخذ الوليجة من دون الله
ورسوله والمومنين فبين انه لا يتركهم الا اذا اتوا بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن النفاق والريا
والتردد الى الكفار وابطان ما عالن الدين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان بين ذلك واتضاحه
متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا
داخل فى حيز الصلاة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون
الله والوليجة فضلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقول القائل ما علم الله منى ما قيل
فى يريد ما وجد ذلك منى والله خبير بما تعملون **قوله تعالى** ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر
مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين لما بدا الله السورة بذكر براءة عن الكفار وبالغ فى ايجاب ذلك وذكر من انواع
فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة حكى عنهم شبها عن بن عباس لما اسر العباس يوم بدر اقبل
عليه المسلمون فعيروه بالكفر بالله وقطيعة الرحم واغلظ على له القول فقال له العباس ما لكم تذكرون

مساوينا وتنكرون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونفك
العاني فانزل الله ردا على العباس ما كان للمشركين ما ينبغي للمشركين وما صح لهم وما استقام ان يعمروا
مسجد الله اي المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام قرا ابن كثير وابو عمرو ومسجد الله اي المسجد الحرام شاهده
قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام والباقون مساجد الله لان قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر
جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد ويجوز ان يراد منه جنس المساجد واذا لم يصلحوا الان يعمروا
جنسها دخل ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة
الكناية كما لو قلت فلان لا يقرا كتب الله كنت ابقى لقراته القران من تصريحك بذلك شاهدين حال من الضمير
المرفوع في يعمروا والمعنى ما صح لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة مسجد الحرام الذي هو اشرف
متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم
حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها ثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا
لله وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك اوليك حبطت اعمالهم التي هي الحجابة
والعمارة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر الاعمال الثابتة الصحيحة فما ظنك بالمقارن والى ذلك
اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون سوء العمارة والشهادة على انفسهم
في حال واحدة وذلك غير مستقيم وفي النار هم خالدون يفيد الحصر اي هم فيها خالدون لا غيرهم انما يعمر
مساجد الله انما تصح عمارة مساجد الله ويكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استمر منها وقمها وتنظيفها
وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة للذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها
ممن لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث من امن بالله لان المسجد موضع
العبادة فما لم يكن مومنا بالله امتنع ان يبني موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر لان عبادة الله انما تفيد
في اليوم الاخر فمن انكره لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يعمر بنا لعبادته وانما لم يذكر الايمان برسول الله
لانه لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه باقامة
ذكر الصلوة وايتا الزكوة لان ذكر الصلاة المحلا بالالف واللام ينصرف الى المعهود السابق ثم المعهود
السابق عند المسلمين الذين ياتي بها محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذكر الصلاة دليلا على العبادة والنبوة
من هذا الوجه واقام الصلوة لان المقصود الاعظم من بنا المساجد اقامة الصلاة والانسان ما لم
يكن مقرا بوجوب الصلاة امتنع ان لا تصح منه عمارة المساجد وايتا الزكوة قال الامام واعلم ان الاعتبار
باقامة الصلاة وايتا الزكوة في عمارة المسجد كانه يدل على ان المراد من عمارة المسجد الحضور فيه
وذلك ان الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في المسجد فيحصل عمارة المسجد واذا كان موتيا
للزكاة فانه يحضر في المسجد طوايف الفقرا والمساكين لطلب احد الزكاة فيحصل عمارة المسجد به

واما

واما ان حملنا العمارة على اصلاح البناء فايتاء الزكوة معتبر في هذا الباب ايضا لان ايتا الزكوة واجب
وبناء المسجد نافلة والانسان ما لم يفرغ من الواجب لا يشتغل بالنافلة والظاهر ان الانسان ما لم يكن
موديا للزكوة لم يشتغل ببنا المساجد ولم يخش الا الله الخشية والتقوى في ابواب وان لا يختار علي رضي الله عنه
لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيوثر حق الله على حق نفسه
ان يخاف فيوثر حق الله على حق نفسه وروي ان ابا بكر رضي الله عنه رضي غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران
احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيوثر حق الله على حق نفسه وروي ان ابا بكر رضي الله عنه بنى في
اول الاسلام على باب داره مسجدا وكان يصلي فيه ويقرا القران والكفار تؤذنه بسببه فيحتمل ان يكون المراد
منه هو تلك الحال يعني انه ان خاف الناس من بنا المساجد الا انه لا يلتفت اليهم ولا يخشاهم ولكنه بنى المسجد
للخوف من الله وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ان يبني المسجد الا لاجل الريا والسمعة وان يقال ان فلانا بنى مسجدا
ولكنه بنيه لمجرد طلب رضوان الله ولمجرد طلب تقوية دين الله وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد
نفي تلك الخشية عنهم فعسى من الله واجب لتعاليه عن التردد والشك وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
وقيل راجع الى العباد وهو يفيد الرجا وكان المعنى ان الذين ياتون بهذه الطاعات انما ياتون بها على رجا الفوز
بالاهتدا كقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا والتحقيق فيه ان العبد عند الاتيان بهذه الاعمال لا يقطع بالفوز بالثواب
لانه يجوز من نفسه انه قد اخل بقيد من القيود المعتبرة في حصول القبول قال صاحب الكشاف المراد منه تبعيد
المشركين عن موافقة الاهتدا وختم اطماعهم والانتفاع باموالهم الى ان استعظموها وافتخروا بها فانه تعالى
بين ان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع وضموا اليها الخشية من الله فهولاء صار حصول الاهتدا
لهم دايرا بين لعل وعسى فما بال هاولا المشركين يقطعون بانهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله
وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على الرجا **قوله تعالى** اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله
والله لا يهدي القوم الظالمين عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال الاخر ما ابالي الا ان اعمل عملا
بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثم قال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت
دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله هذه الاية وعن بن
عباس رضي الله عنه قال العباس لين كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد قد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي
الحاج فانزل الله هذه الاية يعني ان ذلك كان في الشرك ولا اقبل شيا كان في الشرك وعنه ان المشركين قالوا عمارة
بيت الله الحرام وقيام على السقاية خير ممن امن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله

وعمارة فانزل الله هذه الاية واخبرهم ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامتهم على السقاية لا ينفعهم عند الله من الشرك
بالله وان الايمان بالله والجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم خير مما هم عليه وعن الحسن والشعبي نزلت هذه الاية
في علي بن ابي طالب وعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك انهم اختلفوا فقال طلحة انا صاحب البيت
بيدي مفتاحه لو صليت ستة اشهر الى القبلة قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية وعن ابن
سيرين قال علي للعباس الا تهاجر الا تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست في افضل من الهجرة اسقي
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الاية وعن مجاهد رضي الله عنه لما امروا بالهجرة قال العباس انا
اسقي الحاج قال طلحة احد بني عبد الدار انا صاحب الكعبة فلا اهاجر فانزل الله هذه الاية السقاية والعمارة
مصدر ان كان كالرعاية والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن امن بالله وقيل يجوز ان يكون السقاية بمعنى الساقي والعمارة بمعنى العامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج
وعامر المسجد الحرام كقوله تعالى والعاقبة للتقوى اي للمتقين وقيل يجوز ان يكون التقدير اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كايمان من امن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين
واعمالهم المخطئة باعمالهم المبينة وان يسوى بينهم وجعل تسميتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لما ذكر تعالى وصف
الفريقين قال لا يستوون ولما كان نفي المشاورة بينهما لا يفيد ان الراجح من هو منه على الراجح بقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين فبين ان الكافرين ظالمون لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر وكانوا ظالمين لان الظلم
عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه وايضا ظلمه بسبب المسجد الحرام فان الله تعالى خلقه ليكون موضعا لعبادة
لا لعبادة الاصنام وكان هذا ظلما **قوله تعالى** الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ان الله تعالى ذكر ترجيح الايمان
والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام على طريق الرمز ثم اتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح
فقال الذين امنوا وهاجروا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة فضيلة عند الله من اهل
السقاية والعمارة واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم ولم يذكر المفضل عليه ليفيد
انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق لانه لا يعقل حصول سعادة الانسان اكمل واعلى من هذه الصفات
وفي قوله عند الله دلالة على ان المراد من كون العبد عند الله الاستغراق في عبوديته فيلوح انه كما حصلت
للملائكة منفية العندية في قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته فكذلك الارواح المقدسة البشرية
اذا تطهرت عن دنس الاوصاف البدنية والقاذورات الجسدانية اشرقت بنور ربها وترقت من العبدية الى العندية
بل كانه لا كمال في العبدية الا مشاهدة حقيقة العندية وكذلك قال سبحانه الذي اسرى بعبده ليلا فيصير الانسان
شهيدا مشاهدا لعالم الجلال مكاشفا بنور الجلال مشهودا له بقوله يبشرهم ربهم وهذه اشارة الى انواع من الدرجات

العالية

العالية وانه تعالى ابتدا فيها بالاشرف فالاشرف نازلا الى الادون فالادون فالمرتبة الاولى منه وهي اعلاها
واشرفها كون تلك البشارة حاصلة من ربهم بالرحمة والرضوان وهذا هو التعظيم والاجلال من قبل الله وجنات لهم
اشارة لهم الى المنافع العظيمة فيها نعيم اشارة الى كون المنافع خالصة عن الكدورات مقيم اشارة الى كونها دائمة
غير منقطعة ثم انه عبر عن دوامها بثلث عبارات اولها مقيم وثانيها خالدين فيها وثالثها ابدا فحصل من مجموع ما ذكر
انه تعالى يبشر المؤمنين المهاجرين المجاهدين منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم وذلك هو حد الثواب وفائدة
تخصيص هؤلاء المؤمنين كون هذا الثواب على الدرجة كامل المرتبة بحسب كل واحد من هذه القيود الاربعة
وقيل يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان معناه خيرات الدنيا على وجه انه تعالى يكون راضيا عنهم حال كونهم في الحياة
الدنيا وجنات لهم المراد منه المنافع وكونه في الحياة الدنيا راضيا عنهم وقوله ان الله عنده اجر عظيم المراد منه
الاجلال والتعظيم الذي يجب حصولهما في الثواب ومن العارفين من قال المرتبة الاولى من المذكورة قوله تعالى
يبشرهم ربهم منهم من كان فرحه بسبب الفوز بتلك الرحمة وانما فرح لان مولاه خصه بتلك الرحمة فيكون فرحه
بالراحم فمنهم من يكون فرحه بالراحم لانه رحم ومنهم من يتوغل في الخلوص فينسى الرحمة ولا يكون فرحه الا بالمولى
فان العبد ما دام يرى الحق من حيث انه راحم فهو غير مستغرق في الحق بل تارة مع الحق وتارة مع الخلق فاذا تم
الامر انقطع عن الخلق وغرق في بحر نور الحق وغفل عن المحبة والمحنة والنعمة والنقمة والالاء والبلاء والمحققون
وقفوا عند قوله يبشرهم ربهم فكان ابتهاجهم بهذا ومرورهم به وتعويلهم عليه ورجوعهم اليه ومنهم من لم يتصل
الى تلك الدرجة العالية فلا يتبع نفسه الا بمجموع يبشرهم ربهم برحمة منه ومنهم من لم يصل الى تلك المرتبة
بل استبشاره بالرحمة وهذه المرتبة هي المرتبة النازلة عند المحققين قال الامام ومن لطايف هذه الاية
هو انه تعالى قال يبشرهم ربهم وهو مشتمل على انواع من الرحمة والكرامة ومنها ان البشارة لا تكون الا بالرحمة
والاحسان ومنها ان بشارة كل احد بحسب حاله فلما كان المبشر هو اكرم الاولين جاز ان تكون البشارة بخيرات
تعجز العقول عن وصفها وتقاصر الافهام عن نعتها ومنها انه تعالى سمى نفسه بالرب كانه قيل الذي رباكم
في الدنيا بالنعم التي لا حد لها ولا حصر لها يبشرهم بخيرات عالية وسعادات كاملة ومنها انه تعالى قدم ذكرهم
على ذكره فقال يبشرهم ربهم ومنها ان البشارة هو الاخبار عن حدوث شيء ما كان معلوم الوقوع اما لو كان
معلوم الوقوع لم يكن بشارة فيكون هذه البشارة بشارات عن سعادات لا تصل العقول الى وصفها رزقنا الله
تعالى الوصول اليها بفضله واعلم انه تعالى لما قال يبشرهم ربهم بين الشيء الذي به يبشرهم ربهم وهو امور اولها
قوله تعالى رحمة منه وثانيها ورضوان وانما اطلق والمراد والله اعلم بهذين الامرين ما ذكره في قوله تعالى ارجعي
الى ربك راضية مرضية والرحمة كون العبد راضيا بقضاء الله وذلك لان من حصلت له هذه الحالة كان
نظره على المنعم والمبلي لا على النعمة والبلاء ومن كان نظره على المبلي والمبلي لم يتغير بالحالة الحاصلة بسببه يكون
مرتبة عن التغير اما من كان طالبا بحظ النفس كان ابدا في التغير من الفرح الى الحزن ومن السرور الى الغم

ومن الواحة الى الجراحة ومن الذلة الى الالم فمنت ان الرحمة التامة لا تحصل الا عند ما يصير العبد راضيا بقضاء الله فقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هو انه نزل على قلبهم الالتفات الى غير هذه الاله وتجعله راضيا بقضاء الله ثم انه تعالى يصير راضيا وهو قوله تعالى ورضوان وعند هذا يصيرها ثلاثا الحالة الثانية هما المذكورتان في قوله تعالى راضية مرضية واطلق قوله ورضوان ولم يقيده بقوله منه لسابق رضاه ورضاهم وهذه هي الحالة الروحانية النورانية القدسية الالهية ثم الله تعالى بعد ذكر هذه الحالة العالية المقدسة ذكر الحالة الجسمانية وهي قوله لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا واما ذكر هذه الاحوال قال ابن الله عنده اجر عظيم والمقصود شرح تعظيم هذه الاحوال قيل وهذه الاية تدل على ان الخلود هو طول المكث لا التابيد لانه لو كان الخلود للتابيد لما كان ذكر ابدا بعد ذكر الخلود تكرارا ۞

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا ابائكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ۞ عن محاهد هذه الاية متصلة بما قبلها منزلة في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وهي بن عباس رضي الله عنه لما امر الله المومنين بالهجرة وكان قبل فتح مكة من امن ولم يهاجر لم يقبل الله امانه الا ان يجدده او يحابنة الا بابا او الا قربا ان كانوا كفارا فقال المسلمون يا رسول الله انا نخشى عائلتنا من خالفنا في الدين نقطع اماناوعشايرنا ونذهب تجارتنا ونحرب ديارنا فانزل الله هذه الاية وعن بن عباس رضي الله عنه لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين بالهجرة الى المدينة حمل الرجل يقول لابيه واخيه وامراته وقرابته انا قد امرنا بالهجرة الى المدينة فاخرجوا معنا اليها فمنهم من يحمد ذلك ويسارع اليه ومنهم من ياتي الى صاحبه اذا يهاجر معه فعول الرجل لهم والله ليتي ضمني وايا كم دار الهجرة لا انفعكم بشيء ابدا ولا اعطيكم ولا اعو عليكم ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده ينشدك بالله ان تضيعنا فيرق ويجلس ويترك الهجرة فنزلت هذه الاية وعن مقاتل نزلت في السعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن الاسم فانزل الله هذه الاية اي لا تحبوا ابائكم واخوانكم بطانة واصدقاء مشورة اليهم اسراركم وتوبروا المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا اختاروا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم بطاعتهم على عورة الاسلام واهله وتوثر المكث معهم على الهجرة والجهاد فاولئك هم الظالمون اذ اضعوه الولاية غير موضعها

قوله تعالى قل ان كان ابائكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ هذه الاية تصريح الجواب الذي ذكر في الاية الاولى وذلك لان جماعة من المسلمين قالوا يا رسول الله كيف نملك الراة منهم بالكلية وان هذه البراة توجب انقطاعنا عن اباءنا وابنائنا وازواجنا وعشيرتنا وذهاب اموالنا وهلاك تجارتنا وخراب

ديارنا

ديارنا فبين الله تعالى انه يجب حمل جميع هذه المضار في الدين لسعي الدين سليما قال يا محمد للمتخلفين عن الهجرة والجهاد ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم عشيرة الرجل اهله الادنون الذين يعاشرونه قرا ابو بكر عن عاصم عشيراتكم بالجمع والباقون عشيرتكم على التوحيد واموال اقترفتموها اكتسبتموها وقيل اصبتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها فسكنتموها اي المنازل والقصور احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا انتظروا حتى ياتي الله بامره قيل بقضايه وقيل بعقوبة عاجلة او اجلة وقيل هو فتح مكة والمقصود منه الوعيد والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته وهذه اية شديدة لا يرى الله منها قال صاحب الكشاف كانها تبقى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس وانقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والتثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والاموال والمساكن وجميع خطوط الدنيا ويحرد منها لاجله وروى ان الله عنده لا حقر شيء منها عن مصلحته فلا يدري اي طريقه اطول وتغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا سالني كانما وقع على تلك باب فظيع من التهديد ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس وبعد في الله اقرب الناس

قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم لما ذكر في الاية المتقدمة ما يقتضي ترجيح رعاية امر الدين على الاشياء المذكورة علم انه شق ذلك على النفوس فذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل اليقين والدين يوصله الى مطلوبه من الدنيا ايضا وضرب لهذا مثلا وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين حين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما نصروا الى الله فواهر به حتى هزموا الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فانه لا يحصل له الدين والدنيا ومن اطلع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وكان ذكر هذا تسلية لاولئك الذين امروا بقطع الله عن قطاعة الاباء والابناء والاخوان والازواج والعشيرة والاموال والمساكن وبالصبر عنها ووعدالهم على سبيل الكرم انهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى قادرهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها مواطن كثيرة اي مشاهد ولما كان غالب ستوطنوه فيها انفسكم على لقاء عدوكم والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وحنين وادي الطايف ومكة وقيل هو واد الى جانب ذي المجاز ويوم حنين اي وفي يوم حنين ولا مانع من عطف ظرف الزمان على المكان لعطف احد المفعولين على الاخر يقول ضربت زيدا وعمرا قال

صاحب الكشاف فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على مواطن كثيرة قلت
معناه ومواطن يوم حنين او في ايامه مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل
الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر لان قوله اذ اعجبتكم
بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبة هذا الظاهر لم يصح ممنوع قوله لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك
المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان تكون ناصبة فعلا خاصا به ممنوع فانه يجوز اختصاص المعطوف
ببدل او صفة او حال وغيرها دون المعطوف عليه خصوصا اذا كانت قرينة معنوية او لفظية دالة
على عدم الاشتراك فلا يقتضي ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه تشاركهما في الاعجاب والكثرة قوله اذ
اعجبتكم كثرتكم قال الثعلبي كانت قصة حنين على ما ذكره المفسرون بروايات كثيرة نفقها ونسقتها
ليكون اقرب الى الافهام واحسن للنظام وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة وقد بقيت
ايام من شهر رمضان ثم خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن في اثني عشر الفا عشرة من المهاجرين والانصار
والفان من الطلقاء وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وعلى هوازن
مالك بن عوف فلما التقى الجمعان قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة نسبات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل ابو بكر رضي الله عنه قد قتلوا قتالا شديدا وانهزم المشركون وضلوا عن الدراري ثم نادوا
يا حماة السواد كروا الفضائح فتراجعوا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله
لنا ناصر لا لكثرة الجود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وعن قتادة ذكر ان الطلقاء انجعلوا يومئذ بالناس
وسال رجل البراء ابن عازب فقال اقررتم يوم حنين فقال كانت هوازن رماة وانا لما حملنا انكشفوا
والبينا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الكلبي رضي الله عنه كان حول النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين وانهزم عنه
سائر الناس وقيل لم يبق يومئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم غير العباس ابن عبد المطلب وابي سفيان
بن الحارث وايمن ابن ام وقيل لم يبق يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسعة كلهم من بني
هاشم العباس وابناه الفضل وقثم وابو سفيان ابن الحرث وايمن وعنبسة ومعتب ابنا ابي لهب وربيعة
بن الحارث وعبد الله بن الزبير ولهذا قال العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر
فافشعوا وعاينا لا في الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع وقيل انزام ايمن يومئذ بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار لا انا ولو كانت بغلة شهبا اهداها له فروة الجذامي قيل
للبراء اكان النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ولى دبره يوم حنين فقال لا والذي لا اله الا هو ما ولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم دبره قط قد رايته وابو سفيان ابن الحارث اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام
الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على بناهي

شجاعته

شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات النبوة وقال صلى الله عليه وسلم يا رب ائتني بما وعدتني وقال
العباس وكان صبيا قال يا معشر الانصار يا معشر المهاجرين فجعل العباس ينادي يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فعطف المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا عصابة من الانصار فقالوا هل معكم غيركم قالوا
بلى يا رسول الله لو عمدت الى ترك العماد من اليمن لكنا معك ثم اقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون ونادت
الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على ابن الحرث بن الخزرج فنادوا فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ بيده اناء من الحصباء فرماهم بها
وقال شاهت الوجوه ثم قال انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال امرهم مدبرا وجدهم كللا حتى هزمهم الله
تعالى قال يعلى ابن عطاء فحدثني ابناؤهم عن ابائهم انهم قالوا ما بقي منا احد يومئذ الا امتلات عيناه من ذلك التراب
وقال زيد بن عامر كنت في المشركين يومئذ فانصرفنا ما يلقى احد منا احدا الا اعيى عينا وكان اعيننا عميت
فانجز الله وعده وانزل جنده ونصر عبده وقهر المشركين ونصر المسلمين عن سعيد بن المسيب امد الله
نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وعن الحسن ومجاهد كانوا ثمانية الاف
وعن عطاء كانوا ستة عشر الفا لان سعيد بن جبير قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما
التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم
حتى اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاء رجال بيض الثياب
حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها يعني الملائكة وفي الخبر
ان رجلا يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال ان الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم
الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تلك الملائكة
عن الزهري بلغني ان شيبة بن عثمان رضي الله عنه قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت
فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله قد اطلعك
على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين ولوا مدبرين فانطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوطاس رجل من الاشعريين يقال له عامر وامره على الناس
فسار اليهم فاقتتلوا بها ثم ان الله هزمهم وسبوا عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى
الطائف وتحصن فيها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل امير المسلمين ابو عامر ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى الطائف من فوره ذاك فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل شهر ذو القعدة وهو

شهر حرام لا يحصل فيه القتال انصرف عنهم فاتى الجعرانة فاحرم فيها بعمرة وقسم بها السبي والمال
وغنايم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفين ابن الحرث وهشام وسهيل بن عمرو الاقرع بن حابس
فاعطاهم وجعل يعطي الرجل منهم الخمسين والماية من الابل فقالت الانصار امن الرجل واثر قومه يا للعجب
ان اسيافنا تقطر من دمايهم وان غنايمنا ترد عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة
من ادم فجمعهم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني عنكم فقالوا هو الذي بلغك وكانوا لا يكذبون فقال
الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي وكنتم اذلة فاعزكم الله بي وكنتم وقال سعد بن عبادة ايذن لي يرسول الله
فاتكلم قال تكلم قال اما قولك ضلالا فهداكم الله بي فكما لذلك واما قولك كنتم اذلة فاعزكم الله بي فقد علمت
العرب انه ما كان حي من احيا العرب امنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد اتدري من تكلم فقال يا عمر
اكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار
واديا لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار كرسي وعيني فاقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيهم ثم قال يا معشر الانصار اما ترضون ان ينقلب الناس بالابل والبنا وتنقلبون
برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك
الا ظنا بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم فلما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قام خطيبا فقال اما خطيب الانصار لو شاء قال كنت طريدا
فاويناك وكنت خايفا فامناك وكنت مخذولا فنصرناك وكنت وكنت لكان قد صدق فبكت الانصار
وقالت بل الله ورسوله اعظم علينا منة قوله تعالى بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها
وحقيقة ملتبسة على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقوله دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا
بها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهزيمتكم اليه وبحالكم لفرط الرعب فكانها
ضاقت عليهم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني
الملايكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري واخذ الاموال وذلك جزاء الكافرين
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فيهديه الى الاسلام ولا يواخذه بما سلف منه والله غفور لعباده
المومنين رحيم بهم روي ان ناسا منهم جاوا فبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا
يرسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساوكم
واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بين الاحسان شيا فاما ما اصاب بنو هاشم ممن رددناه اليهم
فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا ولتكن فرضا علينا حتى نصيب

شيا

شيا فنعطيه مكانه ومن لم يرد ففديته خمس من الابل فلما راى المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رد قالوا يا نبي الله رضينا وسلمنا فقال اني لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاكم فليرجعوا ذلك الينا
فرفعت اليه العرفا انهم قد رضوا وسلموا وردوا جميعا غير رجل واحد وهو صفوان بن امية وقع على
امراة فاصابها فحملت منه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله
عليم حكيم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا يقرا على مشركي مكة اول سورة براة
ويبدا لهم عهدهم قال اناس باهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبيل وبعد الحمولات
فنزلت هذه الاية النجس مصدر يقال نجس ينجس نجسا وقدر قدرا ومعناه ذو نجس اي ذو قدر لانهم
معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي
ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا والفقها اتفقوا على طهارة ابدانهم لما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم شرب من اوانيهم ولانه لو كانوا نجسة العين كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام
فلا يقربوا المسجد الحرام قيل اراد بهذا منعهم من دخول الحرم فقد قربوا المسجد الحرام عن عطا الحرم كله قبله
ومسجد وتلا هذه الاية عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الحرم الا اهل الجزية او عبد
لرجل من المسلمين ونساوهم حل لهم وقيل فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم
هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابو حنيفة رضي الله
عنه واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وعند مالك يمنعون من المسجد الحرام ومن غيره من المساجد وعند الشافعي
رضي الله عنه يمنعون عن المسجد الحرام خاصة والاية مطابقة لقول الشافعي رضي الله عنه مخالفة لقول
ابي حنيفة بمنطوقه ولقول مالك بمفهومه وعن عطا انه على المسلمين ان لا يمكنهم من دخول الحرم
ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لهم
في قدومهم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم باحوالكم
لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قال المفسرون كان المشركون يجيئون الى البيت بالطعام ويتجرون
ويتبايعون فلما منعوا من دخول الحرم شق ذلك على المسلمين والقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال لهم
من اين تاكلون وتعيشون وقد نفي المشركون وانقطعت عنهم الميرة فقال المومنون يرسول الله قد كنا نصيب
من تجاراتهم وبياعاتهم فالان ينقطع عنا الاسواق وتهلك التجارة ويذهب ما كنا نصيب فيها من المرافق

فانزل الله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله من فضله وذلك
انه انزل عليهم مطرا مدرارا فكثر خيرهم حتى ذهب المشركون واسلم اهل تبالة وجرش من اهل اليمن
فحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون وعن الضحاك وقتادة
عوضهم الله تعالى ما هو خير لهم فامرهم بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وذلك **قوله تعالى**
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ~~ورسوله~~ ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون
دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون نفى عن اهل الكتاب الايمان
بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فلا يكون ايمانهم بالله حقيقة والايمان باليوم الاخر لانهم
في اليوم الاخر على خلاف ما يجب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب
والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل بل حرفوهما واتوا باشيا كثيرة من قبل انفسهم
ولا يدينون دين الله اي لا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه باطل اراد الدين الحق واضاف
الاسم الى الصفة وقيل الحق هو الله عز وجل ودينه الاسلام يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه
ومعتقده وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام وكان من اطاع ملكا فقد دل له دينا
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه حتى يعطوا الجزية الجزية ما يعطي المعاهد على عهده
وهي فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه سميت جزية لانها طائفة ما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه
او لانهم يجزون بها من من عليهم ما لا عفا عن القتل عن يد اما ان يراد به يد المعطي فمعناه عن يد غير
ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى هذه اذا انقاد واصحب
الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد
نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما ان يراد به يد الاخذ فمعناه حتى
يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليه لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة
عليهم وهم صاغرون اي يؤخذ منهم على الصغار والذل وهي ان ياتي بها ماشيا بنفسه غير راكب ويسلمها
وهو قائم والمتسلم جالس وان تلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤدها
ويزج في قفاه واختلف فيمن يضرب عليه الجزية فقال الشافعي رضي الله عنه تضرب على اليهود والنصارى
والصابئين والسامرة لان سبيلهم في اهل الكتاب سبيل اهل البدع فينا والمجوس لانه قد قيل انهم
كانوا من اهل الكتاب فرفع كتابهم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذ الجزية من مجوس بعمر وان عمر اخذها من مجوس السواد وان عثمان اخذها من بربر وعن عمر
رضي الله عنه قال لا ادري كيف اصنع بالمجوس فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وانما منعنا من نكاح نسائهم واكل ذبائحهم

لان

لان اهل الانصاع والاعطية على الخطر ولا يقدم عليها بالشك ولا تؤخذ الجزية من عبدة الاوثان من العرب
والعجم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب
وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من
العرب وادت اليكم الجزية العجم والماخوذ عند الشافعي رضي الله عنه قدر دينار في اخر السنة من كل
واحد فقيرا كان او غنيا له كسب او لم يكن ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي والماخوذ عند ابي حنيفة
في اقل كل سنة من الفقير الذي له كسب اثني عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر
ضعفا تضعف ثمانية واربعون ولا يؤخذ من فقير لا كسب له **قوله تعالى**
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون
قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون لما ذكر في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى
لا يؤمنون بين في هذه الاية انهم اثبتوا لله ابنا ومن اثبت لله ابنا فلا يؤمن بالله حقيقة قرا عاصم
والكسائي عزير ابن الله بالتنوين لانه عربي وقيل لانه اسم خفيف فوجهه ان ينصرف وان كان اعجميا
مثل نوح ولوط وهود والباقون بغير تنوين لانه غير منصرف لتعريفه وعجمته لانه اسم اعجمي كعازر وعزير
او عزرائيل قال صاحب الكشاف واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا
احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فيحمل عنه مندوحة وعزير ابن الله
مبتدا وخبر كقوله تعالى المسيح ابن الله وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم
عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان ابن اوفى
وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وان لا تزعم ان عزير ابن
الله وقيل قاله رجل واحد من اليهود فنحاص بن عازورا فعلى القولين بعض اليهود قائل بهذا الا انه
نسب الله ذلك الى اليهود بناء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان ركب الخيول
ولعله لم يركب ولعله لم يركب الا واحدا منها وفلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا ويحتمل
ان يكون اللام للمعهود وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة
لانكار اليهود لذلك فان حكاية الله عنهم اصدق وسبب هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه ان اليهود بعد ان علموا بالتورية ما شاء الله ان يعلموا اضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت
فيهم فدفع الله عنهم التابوت واساهم التورية وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا بعد ان محا الله
التورية من قلوبهم وكان عزير من علمائهم فدعا الله ان يرد اليه الذي محا من قلوبهم فبينما هو يصلي
متبتلا الى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان محي من قلبه من التورية فاذن
في قومه قال يا قوم قد اتاني الله بالتورية وردها علي فعلق بهم بعلمهم فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو

يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه
مثله فقالوا والله ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقيل ان اليهود قتلوا الانبيا بعد موسى فرفع الله
سبحانه وتعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظ التورية فاملاها عليهم على ظهر لسانه
لا يحرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على هذا ان القوم كان فيهم
ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب ذلك القول قولهم بافواههم اي قول لا
يعضده برهان فاهوا الالفاظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل
على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظ مقول بالفم ومعناه موثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم
لا غير ونظيره قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وقيل يجوز ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول
الشافعي يريد مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه
ولا شبهة حتى يوثر في القلوب وقيل ان الانسان قد يخيل مذهبا اما على سبيل الخفية واما على سبيل
الرمز والتعريض فاما اذا صرح به وذكر بلسانه وذلك هو الغاية في اختياره لذلك المذهب والنهاية
في كونه ذاهبا اليه قايلا به والمراد هاهنا انهم يصرحون بهذا المذهب ولا يخفونه اصلا وقيل ان الله
لم يذكر قولا مقرونا بذكر الافواه الا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم وقوله كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا يضاهون تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم
الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين كفروا يضاهي قول المشركين حين قالوا
اللات والعزى ومناة الهة والملايكة بنات الله وقيل قول الذين كفروا في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث وقيل قول النصارى
المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود وعزير ابن الله لانهم اقدم منهم قاتلهم الله اي هم احقا بان يقال لهم هذا
تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنيعا قاتلهم الله ما اعجب يفكهم عن ابن عباس رضي الله عنه
لعنهم الله وكل شي في القران قتل فهو لعن اني يوفكون كيف يكذبون ويصرفون عن الحق بعد قيام الدلالة
عليه قرا عاصم يضاهيون بالهمزة وكسر الهاء والباقون بغير همز وضم الهاء يقال ضاهيته وضاهاته لغتان
قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ثم انه تعالى وصف اليهود والنصارى
بضرب اخر من الشرك الاحبار العلما الواحد حبر وحبر والرهبان جمع راهب وهي الذي تمكنت الرهبة
في قلبه وظهرت اثارها على وجهه ولباسه وفي عرف الاستعمال صار الاحبار مختصا بعلما اليهود من ولد
هرون والرهبان بعلما النصارى اصحاب الصوامع اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل

ما حرم الله

ما حرم الله وتحريم ما احل الله كما يطاع الارباب في اخر امرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس
به عبادة قال الله تعالى بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك
قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرا من سورة براة فقرا هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله
فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم والمسيح ابن مريم واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه
للعبادة الا ترى الى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص عليه في التورية والانجيل والمسيح عليه انه من شرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة وقيل معناه وما امر المتخذين اربابا الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا
اربابا وهم مامورون مستعبدون غيرهم سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد في ان يكون له
شريك في الامر والتكليف وان يكون له شريك في كونه مسجودا ومعبودا وان يكون له شريك في وجوب نهاية
التعظيم **قوله تعالى** يريدون ان يطفوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون المقصود بيان نوع ثالث من الافعال الصادرة القبيحة عن روسا اليهود
والنصارى وهو سعيهم في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته بالتكذيب بحال من يريد
ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة
ليطفيه بنفخه ويطمسه وانما دخل الا لان في ياتي طرف امر من الجحد معناه ولا يريد الله شيا الا ان يتم نوره
قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون لما خلى الله عن هاولا الكفار انهم يريدون ان يطفوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره اشارة الى كيفية ذلك الاتمام فقال ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
فان اتمام نور الله انما هو بارسال رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى بالمعجزات الدالة على انه
رسول الله اليكم ودين الحق اي المشتمل لكل ما يبين لكل عاقل انه موصوف بالصواب والصلاح
مطابق للحكمة نافع في الدنيا والاخرة ليظهر دين الحق على كل دين وليظهر الرسول على اهل الاديان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون لما وصف الله تعالى روسا اليهود بالتكبر
والتجبر وادعا الربوبية والترفع على الخلق وصفهم الله في هذه الاية بالطمع والحرص واكل اموال الناس

بالباطل تنبيها على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر والفخر اكل اموال الناس بالباطل ياكلون
اي ياخذون الرشا في احكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون كتابا بايديهم يقولون هو من عند الله وياخذون
به ثمنا قليلا من سفلتهم وهي الماكل التي كانوا يصيبونها منهم على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو امنوا به لذهب عنهم تلك الماكل فاستعار للاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ للاموال وتناوله وقيل الاموال
يوكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله ياكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ويصدون ويصرفون
الناس ويمنعونهم عن سبيل الله دين الحق قيد ذلك بقوله كثيرا قال الامام ليدل بذلك على ان هذه الطريقة
طريقة بعضهم لا طريقة الكل فان العالم لا يخلوا عن المحق واطباق الكل على الباطل كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان
اجامع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم والذين يكنزون الذهب والفضة قيل الذين هم
الكثير من الاحبار والرهبان فان فيهم اجتماع خصلتين مذمومتين اخذ اموال الناس بالباطل وكنز الاموال
والفتن بهما عن الانفاق في سبيل الخير وقيل هم المسلمون الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله وفرق بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت
ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في الوعيد بالبشارة بالعذاب الاليم عن ابن عمر كل ما ادى زكوته ليس بكنز
وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وعن جابر بن عبد الله اذا خرجت
الصدقة من بيت فقد اذهبت عنه شره وليس هو بكنز وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له
باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك فقال يا امير المومنين اليس بكنز فقال كل ما اديت
زكوته فليس بكنز وعن علي رضي الله عنه كل ما زاد على اربعة الاف درهم فهو كنز اديت زكوته او لم تؤد
وما دونها نفقة وقيل ما فضل عن حاجة صاحبه فهو كنز شاهده ما روي عن سالم بن الجعد انها لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فشق ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال المهاجرون واي مال نتخذ قال عمر رضي الله عنه فاني اسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك قال فادركته فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا اي المال نتخذ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة مومنة تعين احدكم على دينه وعن ابي ذر رضي الله عنه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة فدخلني غم وجعلت اتنفس قلت هذا شي
حدث في هذا اليوم قلت من هم فداك ابي وامي قال الاكثرون الا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا
عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي ان ابا ذر وابا هريرة كانا يقولون كل صفر او بيضا او كاعلها
صاحبها فهو كنز حتى يفرقها وعن ابي ذر من ترك بيضا او حمرا كوي به كل جسمه يوم القيمة وعن ابي هريرة من ترك
عشرة الاف درهم جعلت صفائح يعذب بها يوم القيمة قبل القضا وروي انه توفي رجل من اهل الصفة
فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي رجل فوجد في مئزره ديناران فقال

كيتان

كيتان واولى الاقاويل بالصواب القول الاول لان الوعيد وارد في منع الزكوة لا في جمع الاموال
الحلال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من ادى زكاة ماله فقد ادى الحق الذي عليه ومن زاد
فهو خير له وقوله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقول ابن عمر وقد سال عن هذه
الاية فقال من كنزها فلم يؤد زكوتها فوكل له ثم قال لا ابالي لو كان لي مثل احد اعلم عدده وازكيه واعمل
بطاعة الله واصل الكنز في كلام العرب كل شي مجموع بعضه الى بعض على ظهر الارض كان او في بطنها يدل
عليه قول الشاعر ٥ لا در دري ان اطعمت نازلهم فرق الخنى وعندي البر مكنوز ٥ اراد
مجموعا بعضها الى بعض ولذلك يقول العرب للشي المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض قال صاحب
الكشاف كان هذا قبل ان تعرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل والزم من ان يجمع عنده مالا
من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد
الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن الفتنة
لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا وللاقتنا مباح موسع لا يذم صاحبه
ولكل شي حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل
ولم يقل ينفقونها ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير
ودراهم فهو كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال
وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقتار ذلك وانما خص الذهب والفضة
بالذكر من بين ساير الاموال لانها قانون التمول واثمان الاشيا ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته
ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم ساير اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فبشرهم
بعذاب اليم على سبيل التهكم لان الذين يكنزون الذهب والفضة انما يكنزونهما ليتوصلوا بهما
الى تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل هذا هو الفرج كما يقال بجهنم ليس الا الضرب والزامهم ليس الا الشتم
يوم يحمى عليها قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الموسم واحميته
ولا يقال احميت على الحديد قيل معناه ان النار يحمى عليها اي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية
ولو قيل يوم يحمى لم تعط هذا المعنى ويوم منصوب بقوله فبشرهم وذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور
واصله يوم يحمى النار عليها فلما حذف النار قيل يحمى عليها لانتقال النار عن الاسناد اليها تقول رفعت القضية
الى الامير فان لم تذكر القضية قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء فتكوى بها جباه كانزيها
وجنوبهم وظهورهم خص هذه الاعضا لان المعنى صاحب الكنز اذا راى الفقير انقبض جبينه واذا ضمه
واياه مجلس ازور عنه وولى ظهره عنه وقيل انهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا
الاعراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وينهزم وان يكون ما وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون

بالاكرام ويحتشمون ومن اجل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب
يطرحونها على ظهورهم كما يرى اغنياء زمانك هذه اعراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يحضرون بالهم قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل انهم يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم
وتاخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول اى يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم اى كنزتموه لينتفع به
انفسكم ويلتذ ويحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما كنزتموه لتستنصر به انفسكم وتنعذب وهو
توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون اى ذوقوا وبال ما كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين **قوله تعالى**
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك
الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين
هذا بيان نوع اخر من قبائح افعال الكفار وهو اقدامهم على تغيير احكام الله فانه تعالى لما حكم فى كل وقت بحكم
خاص غيروا تلك الاوقات وكان ذلك زيادة فى كفرهم ان عدة شهور السنة عند الله اى فى حكم الله وعلمه
اثنى عشر شهرا لا اقل ولا ازيد فى كتاب الله فيما اثبته من حكمه وراه حكمه وصوابا وقيل فى اللوح وقيل فى قضائه
الذى قضاه الله يوم خلق السموات والارض منها من الشهور اربعة حرم ثلاثة سرد ذوا القعدة وذوا الحجة
والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوا القعدة
وذوا الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد
الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذى الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها
فى ذا القعدة ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم وقيل ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم
دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به دابة منها وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال
فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسئ فغيروا
فلا تظلموا فيهن فى الاشهر الحرم انفسكم بالعمل بمعصية الله وترك طاعته وقيل لا تجعلوا حلالها حراما وحرامها
حلالا كما فعل اهل الشرك وعن ابن عباس رضى الله عنه باستحلال القتل والغارة فيهن قال قتادة لان العمل
الصالح والاجر اعظم فى الاشهر الحرم انفسكم والذنب والظلم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن
الله يعظم من امره ما شاء يصطفى من خلقه صفايا وقاتلوا المشركين كافة جميعا عامة غير مختلفين مؤتلفين
كما يقاتلونكم كافة حال من المفعول او الفاعل واعلموا ان الله مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر
لاهلها **قوله تعالى** انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما
ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم اعمالهم والله لا يهدى القوم ~~الفاسقين~~ الكافرين صح قرا نافع
وابو بكر وابن عامر وابو عمرو وحمزة والكسائى النسئ ممدود مهموزا وهو مصدر يقال نسأه نسأ ونسا

ونسياء

ونسياء كقولك مسه مسا ومسيسا ومساسا ومسيسا وابن كثير النسئ باسكان الياء وابن كثير
النسئ باسكان الياء وابن كثير وورش النسئ بالتشديد من غير همز اى المتروك قال الله تعالى نسوا الله
فنسيهم من النسيان ويحتمل ان يكون اصله الهمز فخفف والنسئ تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك
انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة ومكثهم ثلثة اشهر
متوالية لا يغيرون منها شيئا ارفضوا تخصيص الاشهر فالحرم فكانوا يحرمون من شهر العام اربعة اشهر وذلك
قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو احد
الواجبين وربما زادوا فى عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر تسعهم الوقت ولذلك قال الله
تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا يعنى من غير زيادة زادوها والضمير فى يحلونه ويحرمونه عاما
للنسئ اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما فحرموه فى العام القابل يروى انه حدث فى كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج
الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى الجاهلية فكان يقوم على جمل فيقوم على جمل فى الموسم فيقول
باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل
النسئ زيادة فى الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا وزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا
احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون قيل ان الحرم جمع حرام وان العرب كانت تحرم
الشهور الاربعة وكان ذلك مما تمسكت به عن ملة ابرهيم الخليل وابنه اسمعيل عليهما السلام وكانت العرب
اصحاب حروب وغارات فشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متوالية لا يغيرون فيها شيئا وقالوا لئن توالت
علينا ثلثة اشهر حرم لا نصيب فيها شيئا لنهلكن وانما نصيب على ظهور دوابنا وربما احتاجوا مع ذلك الى
تحليل غيره من الاشهر الحرم لحرب يكون بينهم فيكرهون استحلاله ويكرهون تاخير حربهم فنسئوا اى اخروا تحريم
ذلك الشهر الى الشهر الذى يليه وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ويقولون هذا اخر
الصفرين وقد تاول بعض الناس قول النبى صلى الله عليه وسلم ولا صفر على هذا ثم يحتاجون ايضا الى تاخير
صفر الى الشهر الذى بعده فحاجتهم الى تاخير المحرم فيؤخرون تحريمه الى ربيع ثم يكون بذلك ما شاء ثم يحتاجون
الى مثله ثم كذلك فكذلك يتدافع شهرا فشهرا حتى استدام التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم
الى موضعه الذى وضعه الله به وذلك بعد ظهر طويل وعن مجاهد رضى الله عنه كان المشركون يحجون فى كل شهر
عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك فى الشهور حتى وافقت حجة
ابو بكر رضى الله عنه الى حجها قبل الوداع فى السنة الثانية من ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم
فى العام القابل حجة الوداع فوافقت ذى الحجة فذلك حين قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته الا ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذوا القعدة
وذوا الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان اراد بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ان اشهر الحرم

رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسي قيل اول من نسا النسا بنو مالك بن كنانة يقال
نعيم بن ثعلبة وكان من بعد نعيم رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادركه النبي صلى الله عليه وسلم
وعن بن عباس رضي الله عنه ان اول من نسا النسا عمرو بن لحي قرا اهل المدينة وعاصم وابو عمرو يضل بفتح
الياء وكسر الضاد لانهم هم الضالون يحلونه عاما ويحرمونه عاما وقرا اهل الكوفة يضل على البنا للمفعول
فاسندوا الفعل الى المفعول لقوله تعالى زين لهم سوء اعمالهم يحلون النسي عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا
ليوافقوا وعن بن عباس رضي الله عنه ليشابهوا زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ٥

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل لما ذكر الله قبائح افعال
هاولا الكفار وفضائحهم عاد الى الحث على قتالهم ذكر في الايات السابقة اسبابا كثيرة مستدعية لقتالهم
ومنافع معدودة مترتبة على مقاتلتهم فلا يبقى للانسان مانع من قتالهم الا خر فالقتل وجبت الحياة فبين
الله ان هذا المانع خسيس لان سعادة الدنيا يسير وسعادة الاخرة جليل وترك الخير الكثير لاجل الشر
القليل شر عظيم وقيل هذا حث من الله تعالى في غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الطايف اقام بالمدينة فامر الناس بجهاد الروم في سنة عشر فاستنفروا في وقت عسرة من الناس
وجدب من البلا وشدة من الحر حين اينعت الثمار وطابت مع بعد المشقة وكثرة العدو فشق عليهم
غزوة الروم واحبوا الظلال والمقام في المسكن والمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج في غزاة
الا ودى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك لبعد شقتها ولتاهب الناس فامرهم بالجهاد واخبرهم بالذي يريد
فلما علم الله تثاقل الناس انزل الاية ما لكم اي شي امركم اذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا
اخرجوا في سبيل الله اصل النفير مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك اثاقلتم اصله تثاقلتم ادغمت
التاء في الثاء واحدث لها الف ليتوصل الى اللفظ بها فان الابتدا بالساكن متعذر وتثاقلتم معناه تباطاتم
وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه
ونحوهم اخلدتم الى الارض واتبع وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم ارضيتم بالحياة الدنيا بحصص الدنيا و
دعتها من الاخرة بدل للاخرة وعوضها عنها كقوله تعالى ولو نشا لجعلنا منكم ملايكة اي لجعلنا بدلكم ملايكة
فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل **قوله تعالى** الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شي قدير لما حثهم في الاية الاولى على الجهاد اوعدهم
في هذه الاية على ترك الجهاد وسخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق متناول عذاب
الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم
فيها شيئا وقيل هو احباس القطر عنهم سيل بن عباس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم استنفر حيا من احيا العرب فتثاقلوا عنه فامسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم وقيل
اراد بقوله قوما غيركم ابنا فارس وقيل اهل اليمن ولا تضروه اي ولا تضروا الرسول شيئا لان الله تعالى
وعده ان يعصمه الله من الناس وان ينصره ووعد الله كاين لا محالة **قوله تعالى**
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ذكر الله تعالى طريقا اخر حثا على الجهاد والمعنى
ان لم تنصروه فقد نصره الله الذي نصر حين لا يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل
بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
كقوله ثالث ثلاثة هما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه وانتصاب
ثاني على الحال اذ هما في الغار وهو نقب في اعلى ثور وهو جبل بمكة على مسيرة ساعة مكثنا فيه ثلاثا
اذ اخرجه منصوب بقوله نصره الله وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه وقوله اذ يقول بدل
ثان اي اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه لا تحزن
ان الله معنا بالعون والنصرة ولم يكن حزن ابي بكر رضي الله عنه جبنا منه ولا يتوطن وانما كان
اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه رضي الله عنه قال يا رسول الله ان قلت فانا رجل واحد وان
قتلت هلكت الامة عن انس ان ابا بكر رضي الله عنه حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن
في الغار لو ان واحدا نظر الى تحت قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما عن عروة
قال كان لابي بكر رضي الله عنه مسحة من غنم فكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالغار وقال قتادة كان عبد الرحمن ابن ابي بكر يختلف اليهما فلما اراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخروج جاهم بناقتين فانطلقوا فكانوا اربعة النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعامر بن فهيرة
وعبد الله بن اريقط الليثي وعن الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله
زوجا من حمام حتى باضا في اسفل البيت والعنكبوت فنسجت عليه فلما جاوا الذين في طلبهما فراوا بيض
الحمام وبيت العنكبوت قالوا لو دخلا لتسكر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرفوا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم عن دخوله فجعلوا يترددون حول الغار لا يفطنون فاخذ الله
ابصارهم عنه عن بن سيرين ذكر رجال كانوا في عهد عمر فكانهم فضلوا عمر على ابي بكر رضي الله عنهما فبلغ ذلك
عمر رضي الله عنه فقال لليلة من ابي بكر خير من ال عمر وليوم من ابو بكر رضي الله عنه خال من ال عمر لو خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق على الغار ومعه ابو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة
خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي

فقال رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اطلب الرصد فامشي امامك فقال يا ابا بكر لو كان شي
احسست ان يكون بك دوني قال نعم والذي بعثك بالحق لقد اسهنا الى الغار قال يا رسول الله مهما بك
حتى استبرأ الغار فدخل فاستبراه حتى اذا كان في اعلاه ذكر انه لم يستبرئ الحجر فدخل فاستبرأ ثم
قال انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر رضي الله عنه والذي نفسي بيده لتكونن لله خير من الف عمر وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال النبي ولم يحزن لو قرني وحي في سقف من ظلمة الغار لا يحشى
سمسا فان الله ثالثنا وقد نكفر الى منه باظهر رواما لله من يحشى بوايده كيد الشيطان قد عادت
للكفار والله يهلكهم طرا مما صنعوا وجاعل المسي مهم الى الثنا رقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكار
كلام الله وليس ذلك شعار الصحابة فانزل الله سكسبه سكونته وطمانينته عليه اي على رسوله
صلى الله عليه وسلم فقد كانت السكينة عليه قبل ذلك والله يحزنه لم يروها وهم الملايكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوة الكفر السفلى اي المقهورة المغلوبة وكلمة الله هي
العليا وهو مبتدا الضمير فصل والعليا خبره ومهما تاكيد فصل الله كلمة الشرك في السفلى وكلمة الله هي
دون سايرالكلم وعن ابن عباس الكلمة السفلى كلمة الشرك والعليا لا اله الا الله **قوله تعالى** انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون لما ترغب المتثاقلين عند امرهم بالنفر في سبيل الله ورغبهم في الجهاد وذكر امورا
مرغبة فيه عقبه بهذا الامر الجزم لحماها شبانا وشيوخا وقيل خفافا من المال اي فقرا وثقالا
اغنيا وقيل خفافا لا صنعة لهم وثقالا لهم صنايع يكرهون ان يدعوا صنايعهم ويخرجوا وقيل خفافا
في النفور لنشاطهم له وثقالا عنه لمشقته عليكم وقيل خفافا لعلة عيالكم واذنا لكم وبعالا لكثرتها وقيل
خفافا من السلاح وثقالا منه وقيل خفافا غزابا وثقالا مناهبين وقيل خفافا مسرعين خارجين
ساعة استماع النفير يقال خف الرجل خفوفا اذا مضى مسرعا وبعالا اي بعدا لرومه فيه والاستعداد له
وقيل خفافا ركبانا وثقالا مشاة وقيل خفافا مهازيل وثقالا سمانا وقيل خفافا صحاحا وثقالا مراضا
وقيل خفافا من حاشيتكم وثقالا متكثرين بهم والاولى ان يحمل على الكل اذ لا ساوي بينهما عن مكتوم انه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي
الله عنه نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى وعن ابي عروة نسخت والله على حمص فلقيت
سحا كثيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق عاما حملة يريد الغزو فقلت يا عم اعذرك الله اليك فرفع
حاجباه وقال يا بني اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري رضي الله
عنه خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انه عليك صاحب ضرر
فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم

وانفسكم

وانفسكم في سبيل الله الجاء بالجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال ومقتضى الكنه ذلكم
خير لكم قيل لا شك فيه صح ان يقال الجهاد خير من القعود عنه ولا خير في القعود عنه احسب عنه من وجهين
احدهما ان لفظ خير مستعمل في معنيين احدهما هذا خير من ذلك والثاني انه خير في نفسه لقوله تعالى
لما انزلت الى من خير فقير وقوله وانه لحب الخير لشديد ويقال لشر يد خير من الله اي هو خير في نفسه
حاصل من الله ذلكم خير لكم المراد هذا الوجه الثاني وثانيهما ان معناه ما استفاد بالجهاد من نفع الاخرة
خير مما استفيده القاعد من الراحة والسعة ولذلك قال ان كنتم تعلمون لان ما حصل من الخيرات
في الاخرة عن الجهاد لا يدرك الا العالم ولا يعرفه الا المومن الذي عرف بالدليل ان القول بالقيمة وان القول
بالثواب والعقاب صدق **قوله تعالى** لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم
انهم لكاذبون لما بالغ في الحث على الجهاد وكان ذكر قتل هذا باعبها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم عاد الى بعض قولهم متثاقلين لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا غنيمة حاضرة العرض
ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا وسطا مقاربا وقيل
سفرا قاصدا قصد ميل يا مر ولا ين وراح وقيل منها قريبا وقيل هو طريق مقصود فجعلت صفته على ما عهد من فاعل كقوله
عيشة راضية ومادة لا تبعوك ولو بعدت عليه الشقة المسافة وقيل هي السفر البعيد سميت شقة
لانها تشق على الانسان وسيحلفون بالله متعلق بسيستطيعون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
اي سيحلفون المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك متعذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جمعا والاخبار عما سوف
يكون بعد الحصول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من حال المخبرات ومعنى الاستطاعة العدة او استطاعة
الابدان كانهم عارضوا رسول الله ليعلموه انهم سيحلفون وقيل هو حال بمعنى مهلكين والمعنى تزعجون
انفسهم في الهلاك بحلفهم الكاذب وما حلفوا عليه من التخلف وقيل يحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا
معكم وانما اهلكنا انفسنا والقاها في المهلكة بما تحملنا من المسير في تلك المشقة وجاء على لفظ الغايب
لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا لكان شديدا يقال حلف بالله
ليفعلن ولا فعلن والغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية **قوله تعالى** عفا الله
عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين طهر من الاية المتقدمة
انه خلف طايفة من ذلك الغزو ولم يسع ان ذلك الخلف كان بادن الرسول صلى الله عليه وسلم
امرا فلما قال بعده عفا الله عنك لم اذنت لهم دل على ان ذلك الاذن من المخلفين من تخلف باذنه صلى الله عليه وسلم
قدم العفو على العتاب تسلية له على انه تعالى معتنى بشانه متصل باحسانه وصل ان الله عز وجل وفر

وعظم اجره ومحله بافتتاح الكلام بالدعا له كما يقول الرجل لمخاطبه اذا كان كريما عنده عفا الله عنك
ما صنعت في حاجتي ورضي الله عنك الا زرتني وعافاك الله ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام
الا زيادة التعظيم والتبجيل وقال علي الجهم فيما يخاطب به المتوكل وقد امر بنفيه عفا الله عنك الا حرمة يجود
بفضلك ابن العلا الم تر عبدا عدى طو مولا عافاه ورشدا هدى وقيل معناه ادام الله لك العفو
قال صاحب الكشاف عفا الله عنك كناية عن الخيانة لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما
فعلت ولقايل ان يقول لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك كناية عن الخيانة قوله لان العفو لها
رادف ممنوع فانه يجوز ان يراد به المبالغة في تعظيمه وتوقيره كما ذكر وايضا يجوز ان يكون كناية عن ترك
الاولى فانه اذا كان امران متشاركين في الفضل واحدهما افضل من الاخر يستعمل العفو عند ترك
الافضل واختيار الاخر شاهده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخر الوقت
عفوه واما قوله اخطات وبئس ما فعلت فهو في غاية البشاعة والشناعة قيل لا اعلم كيف ذهب الى هذا
القول الشنيع وانه العلم في استخراج لطايف المعاني وذهب عنه ان في امثال هذه الاشارات اشعارا
بتعظيم المخاطب وتوقيره لم اذنت لهم لم يرد به الانكار لانه ان لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
ذنب امتنع الانكار عليه فحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاجمل لا سيما في هذه الواقعة المتعلقة
بالحروف ومصالح الدنيا مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا
استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وعن قتادة وعمرو بن ميمون بيان
فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واحدة من الاسارى فعاتبه الله
تعالى كما يسمعون **قوله تعالى** لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله
واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي ليس من عادة المومنين يستاذنونك
في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم
ابدا في الجهاد فان ربنا ندبنا في الجهاد مرة بعد اخرى فاي فايدة في الاستيذان ولنجاهدن معه باموالنا
وانفسنا وكان بحيث لو امرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقعود لشق عليهم ذلك الا ترى لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه لما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك
ولم يرض الى ان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى وقيل لا بد ههنا
من اضمار اخر لان ترك استيذان الامام في الجهاد غير جايز فالتقدير لا يسالك هاولاء في ان لا يجاهدوا
الا انه حذف لها كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والذي دل على هذا المحذوف ان ما قبل الاية
وما بعدها يدل على ان خصوص هذا الذم انما كان على الاستيذان في القعود والله عليم بالمتقين

شهادة لهم

شهادة لهم بالانتظام في سلك المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني
المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا بين الله تعالى ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عند
عدم الايمان بالله واليوم الاخر ووجود الارتياب والشك وفيهم في ريبهم يترددون معناه
ان الشاك المرتاب يبقى مترددا بين النفي والاثبات غير حاكم باحد القسمين ولا حام باحد النقيضين
والتردد بدن التحير كما ان الثبات والاستقرار دين المستبصر والحاصل المومن لا يستاذن للتخلف
عن الغزو والاستيذان للتخلف عن الغزو مختص بالمنافقين **قوله تعالى**
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
عدة قوة واهبة وهي المتاع والكراع عن ابن عباس العدة الما والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد
في زمان شديد وتركهم العدة دليل على انهم ما ارادوا الخروج بل ارادوا التخلف وقيل هذا اشارة الى انهم
كانوا مباشرين قادرين على تحصيل الاسنة والعدة دليل ولكن كره الله انبعاثهم لم يرد الله انبعاثهم
خروجهم فثبطهم فمنعهم وحبسهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم فيه والمعنى انه تعالى كره
خروجهم فصرفهم عنه وقيل اقعدوا في بيوتكم يعني المرضى والزمنى والصبيان والنساء ذم لهم وتعجيز
والحاق بها ولا الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف وبينه قوله
تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف **قوله تعالى** لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا
خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين بين الله
تعالى في هذه الاية انواع المفاسد الحاصلة من خروجهم وهي ثلثة الاول زيادة الخبال وهو
الفساد والشر والعدو والمنكر قيل الا خبالا استثنا منقطع وليس بمستقيم هو ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه نحو قولك ما زادوك الا خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا المكان غير مذكور
وحينئذ يقع الاستثنا من اعم العام الذي هو الشي فكان استثنا متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه
قيل ما زادوكم شيا الا خبالا والثاني ايضاع ركابهم بينكم اي وليسعوا بينكم بالتضريب والنمايم وافساد
ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واودعها صاحبها اضاعا اي حدها واسرع والمعنى
ولاوضعوا ركابهم بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقيل لاسرعوا الفرار في
اوساطكم واهل الخلال من الخلل وهو الفرجة بين الشيين او بين القوم في الصفوف وغيرها يبغونكم
الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا ثباتكم في مغزاكم وقيل يبغون لكم ما
تعتنون به عن مخرجكم ومغزاكم يقولون لقد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم وقيل الفتنة العبث والشر
وقيل الكفر النوع الثالث قوله وفيكم سماعون اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم وقيل
وفيكم من يسمع كلامهم ويصيبهم والله عليم بالظالمين انفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم وغيرهم بسبب

انهم سعوا في القاء غيرهم **قوله تعالى** لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك
الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة
سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين لما ذكر الله تعالى ابتغاءها ولا الكفار الفتنة من قبل وقعة
تبوك اي طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم الى الكفر والعنت ونصب الغوايل والمشي في تشتيت
شملك وتفريق اصحابك عنك كفعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف عنك باصحابه وقيل وقفوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الثنية يوم العقبة وكانوا اثني عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك
الامور في ابطال دينك الراي بالتحويل عنك ودبروا لك الحيل والمكايد حتى جاء الحق النصر والظفر وقيل الحق
تاييدك ونصرك وظهر امر الله اي غلب دين الله علوا شرعه وهم لمحي هذا الحق ولظهره امر الله كارهون ومنهم
من يقول ائذن لي في ترك الجد بن قيس المنافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك
قال له يا جد كل لك في جلاد بني الاصفر تتخذ منهم سراري ووصفا يعني الروم سموا بذلك لان الحبش غلبت على ناحية
الروم فولدت لهم بنات قد اخذت من بياض الروم وسواد الحبش فكن من احسن النساء فلما قال ذلك له
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جد يا رسول الله لقد عرف قومي الانصار اني مشتهر بالنساء واني اخشى
ان رات بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا توقعني في الفتنة اي الاثم واعينك بمالي فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله ومنهم اي المنافقين من يقول ائذن لي
بالتخلف والقعود ولا تفتني ببنات الاصفر اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة الشرك والنفاق
والتخلف وخلافهم امر الله ورسوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي انها تحيط بهم وقيل هي محيطة الان لان
اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها **قوله تعالى** ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ذكر الله تعالى انواعا اخر من خبث بواطنهم ان تصبك
في بعض الغزوات حسنة نصر وظفر وغنيمة تسؤهم تخزيهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة
نكبة قتل وهزيمة وبعده في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل هذه المصيبة
اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم ويتولوا عن محمد صلى الله عليه وسلم
ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له ان اهاليهم وهم فرحون مسرورون معجبون بما ناله من
المصيبة قل لهم يا محمد لن يصيبنا خير ولا شر ولا رجا ولا خوف ولا رخا ولا شدة الا ما كتب الله
لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا واللام في قوله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا
الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة هو مولانا ولينا وناصرنا وحافظنا
ومتولي امورنا وعلى الله وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم **قوله تعالى**

قل هل

قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا
فتربصوا انا معكم متربصون قل يا محمد هل تربصون تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اما
النصر والغنيمة مع الاجر الكثير واما القتل والشهادة وفيها الفوز الكبير عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج الا ايمانا بالله وتصديقا لرسوله
ان يرزقه الشهادة او يرده الى اهله مغفورا له مع ما نال من اجر وغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوءيين
من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده فيهلككم كما هلك الله الامم الخالية عن ابن عباس رضي الله
عنهما يعني الصواعق او بايدينا يعني او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ان اظهرتم ما في قلوبكم فتربصوا بنا
ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما نتربصه لا يتجاوزه وعن الحسن
تربصوا مواعيد الشيطان انا معكم متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه وكان
الشيطان يمني المنافقين موت النبي صلى الله عليه وسلم قوله فتربصوا امر التهديد **قوله تعالى**
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون لما بين في
الاية الاولى ان عاقبة هؤلاء المنافقين ان يصيبهم الله بعذاب من عنده او بايدينا بين في هذه
الاية ان انفاقهم طوعا او كرها غير مقبول قل يا محمد لهؤلاء المنافقين انفقوا في سبيل الله ووجوه البر
هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم
طوعا او كرها ونحو قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقول الشاعر اسيئي بنا او احسني
لا ملومة اي لا نلومك احسنت الينا او اسات وانما يجوز نحو هذا اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه
في قولك رحم الله زيدا وغفر له ولا بد في مثل هذا من نكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لغيره امتحنتني لطف
محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة
كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك
في الود ولذلك المعنى في الاية انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم او استغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى
اختلافنا بين حال الاستغفار وتركه قوله لن يتقبل منكم اي لن يتقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منكم ويرد عليكم ما تبذلون منه ولن يتقبل الله منكم ذاهبا هباء لا ثواب له قوله طوعا او كرها نصب على
الحال اي طائعين من غير الزام من الله ورسوله او مكرهين ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه وقيل معناه طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق
كانوا يحملون على النفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم قرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف
هاهنا وفي النساء والاحقاف وعاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم بمعنى المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح

من الاكراه والباقون بالفتح في الكل فقيل هما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح الاكراه وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت الاية في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو
وما منعهم ان تقبل قرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف يقبل بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء على
التانيث قوله انهم فاعل منع قوله هم وان تقبل مفعولاه بين الله تعالى بصريح هذا اللفظ ان المانع
من القبول الكفر فدل ان الفسق لا يحبط الطاعات فانه تعالى قال فانكم كنتم قوما فاسقين فكان سايلا
سال وقال هذا الحكم صار معللا بعموم كون تلك الاعمال فسقا او بخصوص تلك الاعمال موصوفا بتلك الفسقية
فبين تعالى ما ازال هذه الشبهة وهو كون عدم القبول غير معلل بعموم كونه فسقا بل بخصوص وصفه وهو
كون ذلك الوصف بالفسق كفرا ودل الفسق صريحا على ان الكفر هو المانع من قبول نفقاتهم لا الفسق مطلقا
ولا مانع من كون عدم القبول معللا بالكفر والكسل في اتيان الصلاة والانفاق على سبيل الاكراه فان هذه
معرفات لا موثرات ولا منافاة بين قوله طوعا وبين قوله وهم كارهون لان المراد بقوله طوعا انهم يبذلونه
من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من روساهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهية واضطرار
لا عن رغبة واختيار ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلون لانهم لا يرجون ما دابها ثوابا
ولا يخافون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ولا ينفقونها الا وهم كارهون
لانهم يعدونها مغرما لا مغنما **قوله تعالى** فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون لما قطع في الاية الاولى رجا المنافقين
عن جميع منافع الاخرة بين بين في هذه الاية ان الاشيا التي يظهرونها من باب المنافع في الدنيا
فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم في الدنيا الاعجاب بالشي ان يسر به سرورا راض به متعجب من حسنه
والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا من اموالهم واولادهم لان العبد اذا كان
من الله في استدراج كثر ماله وولده انما يريد الله ليعذبهم في الحيوة الدنيا عن مجاهد وقتادة والسدي
في الاية تقديم وتاخير اي فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم في الاخرة
وعن الحسن انما يريد الله ليعذبهم في الاخرة وعن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا باخذ
الزكوة والنفقة في سبيل الله وقيل بالمصايب فيها وقيل بالتعب في جمعه والوجل في حفظه
والكثرة في انفاقه وتزهق اي تخرج وتذهب انفسهم وهم كافرون عن الكفر يقال زهقت الخيل اذا
خرجت من الحلبة وزهق السهم اذا خرج من الجانب الاخر وزهق ما عندك من المال اذا فني **قوله
تعالى** ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات
او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ثم عاد الى ذكر فضايحهم وقبايحهم ويحلفون اي المنافقون يحلفون

بالله لكم

بالله لكم ايها المؤمنون انهم لمنكم لمن جملتكم وعلى دينكم وما هم من جملتكم ولا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام فرقا لو يجدون ملجا مكانا يلجؤون اليه متحصنين
به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات غيرانا في الجبال وقيل سراديب وقيل كلما غرت فيه وغبت فهي
مغارة وهي مفعلة من غار الرجل في الشي يغور فيه ومنه غار الما وغارت العين اذا دخلت في الحدقة
ومنه غورتهامة والغور ما انخفض من الارض او مدخلا موضع دخول وهو مفتعل من ادخل يدخل
قال مجاهد مدخلا محرزا وقال قتادة سربا وقال الكلبي نفقا ينفق فيه اليربوع وقال ماوى ياوي اليه وقال
الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن كيسان دخلا من اهل حرمكم لا ينالهم
منكم ما يخافون من القتل لولوا اليه هربا منكم وهم يجمحون وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام **قوله تعالى**
ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
هذا من جملة قبايحهم ومن المنافقين من يلمزك يعيبك في قسمك الصدقات ويطعن عليك عن ابي سعيد
الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما قال ابن عباس كانت غنايم هوازن يوم حنين اذ جاه
ابن ذي الخويصرة اصل الخوارج قال اعدل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل
ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ايذن لي فاضرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية فينظر في قدده فلا يوجد فيه شي ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شي ثم ينظر في فضله
فلا يوجد فيه شي قد سبق الفرث والدم اتيهم رجل اسود في احدى يديه او قال احدى ثديه مثل ثدي
المراة وفي غير هذا الحديث فاذا خرجوا فاقتلوهم يتحرون فنزلت ومنهم من يلمزك الاية قال ابو سعيد فاشهد
اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا حين قاتلهم وانا معه جيت بالرجل على
النعت الذي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي نزلت في المولفة قلوبهم وهم المنافقون
قال رجل منهم يقال له ابو الجواظ الا ترون اني صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب
قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم
لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف اهل مكة يومئذ بتوفير
الغنايم عليهم ففخر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجاروا السخط جواب لو محذوف
تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به
نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى

فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون
وفي ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس عن بن عباس رضي الله عنه
راغبون فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا العقاب **قوله تعالى** انما الصدقات
للفقرا والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم لما لمز المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الله لهم
ان تصرف الصدقات هاولاء ولا تعلق للرسول بها ولا اخذ لنفسه نصيبا منها فلم يبق لهم طعن في رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبب اخذ الزكاة والصدقات انما تفيد قصر جنس الصدقات على الاصناف
المعدودة وانها مختصة بها لا يتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما بني لهم لا لغيرهم ونحوه قوله انما الخلافة
لقريش يريد لا يتعداهم ولا يكون لغيرهم قال الامام ههنا مقامان للاول بيان الحكمة في اخذ القليل من الاغنيا
وصرفه الى المحتاجين من الناس الثاني بيان هاولا المنافقين الاصناف الثمانية المذكورين في هذه
الاية اما الاول فنقول الحكمة في ايجاب امور بعضها مصالح عايدة الى معطي الزكوة وبعضها عايد الى اخذ الزكوة
اما الاول فهو امور منها ان المال محبوب لانه من اعظم الوسايل الى تحصيل المطالب التي هي محبوبة وما
يتوسل به الى المحبوب محبوب لكن الاستغراق في حبه يذ نفس عن حب الله وعن التاهب
للاخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال باخراج طايفة منه من يده ليصير ذلك الاخراج كسرا من شدة
الميل الى المال ومنعا من انتصاب النفس بالكلية اليها وتقريرا للنفس عن رجس محبة ما يذهلها عن حب الله
تعالى وهو المراد من قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اي حب الدنيا واما الثاني فهو ايضا
امور منها ان المال ليس المطلوب منه عينه فان الذهب والفضة لا ينتفع بهما في اعيانهما الا في الامور
القليلة بل المقصود من خلقهما ان يتوصل بهما الى تحصيل المنافع ودفع المضار فالانسان اذا حصل له من المال
مقدار حاجته كان هو اولى من اختصاص غيره به اما اذا فضل المال على قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج
فهناك حصل سببان كل منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فلانه اكتسبه وتعلق قلبه به
واما في حق الفقير فلاحتياجه اليه يوجب تعلقه به فالسببان متعارضان فاقتضت الحكمة الالهية
رعاية كل من السببين بقدر الامكان رعاية المالك من جهة الاكتساب ورعاية الفقير من جهة الحاجة
فرجح جانب المالك بابقا الكثير عليه وصرف الى الفقير جزو يسير منه توفيقا بين المتعارضين بقدر الامكان
واما المقام الثاني فهو بيان حال هاولا الاصناف الثمانية المذكورين في الاية عن بن عباس رضي الله عنه
والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد الفقير المتعفف عن المسالة والمسكين المحتاج السايل وعن
الضحاك وابرهيم والنخعي الفقرا فقرا المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين المحتاجين وعن
قتادة الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس الفقير الذي

لامال له

لامال له ولكن الفقير الا خلق الكسب وعن عكرمة رضي الله عنه الفقرا فقرا المساكين والمساكين
من اهل الكتاب وعن ابي بكر العبسي وابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكفوفا مطروحا على باب المدينة
فقال له عمر رضي الله عنه ما لك قال استكرهوني في هذه الجزية حتى كف بصري تركوني فليس احد يعود علي
بشي فقال عمر رضي الله عنه ما انصفت اذا فامر له بقوته وما يصلحه ثم قال هذا من الذين قال الله فيهم انما
الصدقات هم زمنى اهل الكتاب وعن بن عباس رضي الله عنه المساكين هم الطوافون والفقرا فقرا
المساكين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين هم الطوافون والفقرا فقرا المساكين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
انما المسكين الذي لا يجد غنا يغنيه ويستحيي ان يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وقيل الفقرا
اهل الصفة لم يكن لهم عشاير ولا مال يلتمسون الفضل ثم ياوون الى مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمساكين الطوافون على الابواب وقيل المسكين الذي يخشع ويتمسكن وان لم يسال والفقير
الذي يتجمل ويقبل الشي سوا ولا يخشع وقيل الفقير الذي لا مال له ولد البلغة من العيش والمسكين
الذي لا شي له واحتج بقول الشاعر اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبدا
فجعل له حلوبة وجعلها وفقا له اي قوتا لا فضل فيه يدل عليه ما روى عبد الرحمن ابن ابزى قال كان ناس من
المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزوا فنسبهم الله الى انهم فقرا وجعل
لهم سهما من الزكوة وعن محمد بن سلمة الفقير الذي له المسكن يسكنه والخادم والذي هو اسفل
من ذلك والمسكين الذي لا ملك له وكل محتاج الى شي فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال
الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والمسكين المحتاج الى كل شي الم تر كيف حض على اطعامه
وجعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الحاجة الى سد الجوعة واما قوله تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين فان تسميتهم مساكين على جهة الرحمة والاستضعاف لا لفكهم السفينة
كما يقال لمن امتحن بنكبة او دفع الى بلية مسكين وفي الحديث مساكين اهل النار وقال مساكين
اهل الجب حتى قبورهم عليها ثياب الذل بين المقابر لا خلاف ان الفقرا هم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم
بدخلهم وذهب الشافعي رضي الله عنه واصحابه الى ان يكون اشد حاجة هو الذي يكون اشد
حاجة هو المسكين ومن الناس من قال بان لا فرق بين الفقرا والمساكين والله تعالى وصفهم
بهذين الوصفين وهم شي واحد وهو قول ابو يوسف ومحمد رحمهما الله واختيار ابي علي الجبائي
وقال ذكرهم الله تعالى باسمين ليوجد امرهم في الصدقات لانهم هم الاصول في الاصناف الثمانية
وليصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسايرهم حجة الشافعي رضي الله عنه انه انما اثبت الصدقات
لهاولا الاصناف دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم وهذا يدل على ان الذي وقع الابتدا بذكره

يكون له سد حاجة لان الظاهر وجوب تقديم الاهم على المهم وان كونه مسكينا لا ينافي كونه مالكا للمال بدليل
قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ولم يحد في الكتاب الله ما يدل على ان الانسان سمي فقيرا مع
انه يملك شيأ تحفة ابي حنيفة رضي الله عنه قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة
وذلك يدل على نهاية السدة وذلك قوله تعالى ذا متربة وانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة والافاقة
اعظم من الحاجة الى ازالة الجوع اجيب عن تمسكهم بالاية بما قدمنا المسكين المذكور ههنا بكونه
ذا متربة دل ذلك على انه قد يوجد مسكين لا هذه الصفة والا لم يسق لهذا التقييد فائدة وعن جعل الكفارات
له بانه اوجب صرفها الى المسكين المقيد بكونه ذا متربة وهذا يدل على انه اوجب الصرف الى مطلق المسكين
والعاملين عليها هم الصنف الثالث يعني سعاتها وحماتها الذين يتولون قبضها من حقها ويعملون عليها
بقطع ذلك بالسعاة اغنياء كانوا او فقراء قد جرت اعمالهم وكلمة على بعد الولاية كما يقال فلان على بلد
كذا اذا كان واليا عليها والمؤلفة قلوبهم هم الصنف الرابع قيل هم اشراف العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كانوا في الاسلام قلة قال الكلبي هم دون
من الاحياء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليحبب به اسلام قومهم وهم الذين هتم سهم يوم حنين
الابل ثم اختلفوا في المؤلفة قلوبهم اليوم وهل يعطون من الصدقة وغيرها ام لا قال الحسن رضي الله عنه
اما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم وقال الشعبي رضي الله عنه انه لم يسق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم
واحدا انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر رضي الله عنه انقطعت الرشى وهذا
قول اهل العراق يدل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه عيينة بن حصين رضي الله عنه
فقال قل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الاسلام اجل ان يرشى عليه اي ليس اليوم
مؤلفة وروى ابو عوانة عن مهاجر ابي الحسن قال اتيت ابا وايل وابا بردة بالكوفة وهما على بيت المال
فاخذا هاتم جيت من اخري فوجدت ابا وايل وحده فقال ردها فصفها مواضعها قلت في اي صنع بنصيب
المؤلفة قلوبهم قال رده علي الاخري وقال ابو جعفر بن محمد بن علي اليوم المؤلفة قلوبهم ضربان ضرب مشركون
فلا يعطون وضرب مسلمون اشراف مطاعون يجاهدون ويقوى بهم المسلمون فاري ان يعطون من سهم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو خمس الخمس ما سألوا له سوى سهامهم مع المسلمين يدل عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اعطى المؤلفة قلوبهم بعد ان فتح الله عز وجل عليه الفتوح وفشا الاسلام واعز اهله
فاما سهامهم من الزكاة فاري ان تصرف في بعوله الذين وصله خلة المسلمين ولا يعطى مشرك تالف على
الاسلام لان الله تعالى اعز دينه عن ذلك وفي الرقاب هذا هو الصنف الخامس اي وفي فك الرقاب
عن الرق قال اكثر الفقهاء هم المكاتبون وهو قول الشافعي رضي الله عنه وابي بن سعد وروى ان مكاتبا
قدم الى ابي موسى الاشعري وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال ايها الامير حث علي فحث عليه ابو موسى والقى

الناس

الناس ملاءة وعمامة وخاتما حتى القوا سوادا كثيرا فلما راى ابو موسى ما القى الناس قال احمعوه فجمعوه
ثم امر به فوسع فاعطى المكاتب مكاتبته ثم اعطى الفضل في الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما اعطى
الناس في الرقاب وقال ابن عباس والحسن يعتق منه الرقاب وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي
عبيدة وابي ثور وقال سعيد بن جبير والنخعي لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منه في رقبة
ويعان به مكاتب وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وقال زفر هي سهم الرقاب نصفان لكل مكاتب
محمد يدعى الاسلام والنصف الثاني يشتري به رقاب ممن قد صلى وصام وقدم اسلامه من ذكر وانثى
بصغير قال اصحابنا والاحتياط في سهم الرقاب دفعه الى السيد ادا الى المكاتب والدليل عليه انه
تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة الذين تقدم ذكرهم بلام التمليك وهو قوله انما الصدقات
للفقراء الى ذكر الرقاب ادخل حرف اللام بحرف في فقال وفي الرقاب فلا يدل هذا الفرق من فايدة وتلك الفائدة
هي ان تلك الاصناف الاربعة المتقدمة تدفع اليهم نصيبهم من الصدقات حتى يتصرفوا فيها كيف ما شاؤا
واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم عن الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف في ذلك
كيف شاؤا بل يوضع في الرقاب بان يعتق عنهم وكذا القول في الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي
الغزاة يصرف المال الى اعدادها يحتاجون اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك والحاصل انه في الاصناف
الاربعة الاول يصرف اليهم حتى يتصرفوا فيه كيف شاؤا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف اليهم بل يصرف الى
جهات الحاجات المعتبرة في الصدقات التي لاجلها استحق اسهم الزكاة والعاملين هم الصنف السادس
قال الزجاج اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم وسمي العشق غراما لانه امر
شاق وسمي المعشوق غراما لانه امر شاق ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسمي الدين غرما
لكونه شاقا على الانسان ولزمانه فالمراد بالغارمين المديونون الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها
مبلغ النصاب وعن قتادة عرفهم المديونون في غير املاق ولا سرف ولا فساد وعن مجاهد رضي الله عنه
الغارمون الذين يستدينون في غير فساد سمي الامام ان يعني غرم من بيت المال وقال ابن زيد الغارم
الذي يدخل عليه الغرم قال الشافعي رضي الله عنه الغارمون صنفان صنف ادانوا في مصلحتهم او في
معروف اي غير معصية ثم عجزوا عن اداء ذلك من العرض والنقد معطون قدر غرمهم وصنف ادانوا في حمالات
وصلاح ذات بين ومعروف ولهم عروض ان بعت اضعافهم فيعطى هؤلاء ويوفر عروضهم وذلك اذا كان
دينهم في غير سرف ولا تبذير ولا معصية فاما من ادان في معصية الله فلا ارى ان يعطى وفي سبيل الله
هذا هو السهم السابع هم فقراء الغزاة والمرابطين وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا يعطى الغازي الا اذا
كان محتاجا منقطعا وقال الشافعي ومالك واسحق وابو عبيدة وابو ثور يعطى الغازي منها وان كان غنيا
يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة رجل عمل عليها او رجل اشتراها بماله

1141

او في سبيل الله او ابن السبيل او رجل كان له جار يصدق عليه فاهداها له واعلم ان ظاهر لفظ في
سبيل الله لا يقتضي القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات
الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون في عمارة المسجد لان قوله في سبيل الله عام يتناول
الكل وابن السبيل هذا هو الصنف الثامن المسافر المجتاز المنقطع عن ماله عن مجاهد والزهري
لابن السبيل حق في الزكوة وان كان غنيا اذا كان منقطعا وقال مالك هو الحاج المنقطع وقال الشافعي
رضي الله عنه ابن السبيل من جيران الصدقة الذين يريدون السفر في غير معصية فيعجزون عن
بلوغ سفرهم الا بمعونة وقال قتادة رضي الله عنه هو الضيف ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه
انه يجوز لرب المال صرف الصدقة الى من يشاء من الاصناف الثمانية وانما سمى الله الاصناف الثمانية
في الاية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الى غيرها الا ايجابا لقسمتها بينهم وهو قول
عمر بن الخطاب رضي الله وحذيفة وبن عباس وابن جبير وعطا وابي العالية وميمون ابن مهران عن
سعيد بن جبير في قوله انما الصدقات للفقرا الاية قال اي الاصناف هذه وجدت اجزاك ان تعطيه
وحده صدقتك وكان الشافعي رضي الله عنه يجري الاية على ظاهرها يقول اذا تولى رب المال فان عليه
وضعها في ستة اصناف لان سهم المولفة ساقط وسهم العاملين يبطل بقسمته اياها وان تولى الامام
قسمتها فعليه ان يقسمها على سبعة اصناف ولا يجزي ان يعطي كل صنف منهم اقل من ثلثة انفس ولا يصرف
منها سهم ولا شي عن اهله ما دام من اهله احد يستحق ذلك ولا يخرج من بلد وفيه اهله ويرد حصة من لم
يوجد من اهل السهمين على من وجد منهم وهو قول عمر بن عبد العزيز وعكرمة والزهري ولا بد من
التسوية في انصبا هذه الاصناف مثلا اذا وجدت خمسة اصناف ولزمك ان تتصدق بعشرة
دراهم جعلت العشرة خمسة اسهام كل سهم درهمان ولا يجوز التفاضل ثم يلزمك ان تدفع الى كل
صنف درهمان واقل عددهم ثلثة والا يلزمك التسوية بينهم ولك ان تعطي فقيرا درهما وفقيرا خمسة
اسداس وفقيرا سدس درهم قوله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقرا معناه
فرض الله الصدقات لهم فريضة وذلك كالزجر عن مخالفة هذا الظاهر والله عليم بمقادير المصالح حكيم
لا يشرع الا ما هو صواب **قوله تعالى** ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم ثم رجع الى ذكر المنافقين اي ومن المنافقين الذين يؤذون النبي
ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا وقال الاخرون بل نقول
ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة ونظيره قوله للريبة عين ومن جملة ابدانهم
فانزل الله هذه الاية الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي الة

السماع

السماع كما حملته اذن سامعة ونظيره قولهم للريبة عين ومن جملة ابدانهم قوله فيه اذن قل اذن
خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن وقيل هو اذن في الخير
والحق وفيما يجب سماعه وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراة حمزة ورحمة بالجر عطفا عطف على خير اي
هو اذن خير ورحمة لا يسمعها غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من
الادلة ويصدق المؤمنين الخلص المهاجرين والانصار وانما عدى الايمان بالباء الى الله لانه قصد
التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر وباللام للمؤمنين لانه قصد السماع من المؤمنين وسلم لهم ما يقولونه
ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام وهو رحمة لمن امن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين
فهو اذا كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو ممدوح له وثناء
عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بعطيته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والعزة
قرا عاصم في رواية البرجمي عن ابي بكر عنه والحسن والاعمش اذن خير مرفوعين منونين على ان اذن خبر
مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم معناه ان كان محمد كما وصفتموه فانه يسمع منكم ويصدقكم
خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم لانه حينئذ يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء خلتكم قراة حمزة
ورحمة بالخفض على معنى اذن خير ورحمة جعل الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفتاح الرحمة ومصباح
الظلمة والذين يؤذون رسول الله اي ان كل من اذاه استوجب العقاب الاليم لانه اذا كان يسعى
في ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم في غاية الخزي والخبث ثم انكم مع ذلك يقابلون احسانه بالاساة
وخيراته بالشرور فلا شك انهم يستحقون العذاب الاليم من الله **قوله تعالى**
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين هذا نوع اخر
من قبائح افعال المنافقين وهو اقدامهم على اليمين الكاذبة قيل هذا بنا على ما تقدم يعني يؤذون النبي
ويسيئون القول فيه ثم يحلفون لكم وعن السدي وقتادة اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن
سويد ووديعة بن ثابت فرفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن
شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر ابن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة
فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبوه فصدقهم النبي صلى الله عليه
وسلم فدعا عامر فقال اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب وقد كان قال بعضهم في ذلك يا معشر
المنافقين والله اني لارانا شر خلق الله ولقد وددت اني قدمت جلدت مائة انه لا ينزل
فينا شي يفضحنا فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل والكلبي نزلت في من المنافقين

تخلفوا عن غزاته اي غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك اتوا الى المومنين
يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فانزل الله تعالى يحلفون بالله والخطاب للمومنين فقيل
ان كنتم مومنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفات وانما وحد الضمير لانه تفاوت
بين رضى الله ورضى رسوله فكانوا في حكم مرضى واحدا كقوله احسان زيد واجماله خير مني او والله احق ان
يرضوه ورسوله كذلك وقيل انما خص الله تعالى نفسه بالذكر لانه هو العالم بالاسرار والضماير واخلاص
القلب لا يعلمه الا هو **قوله تعالى** الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحادد الله يخالف الله والمحادة المخالفة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق والضمير في انه ضمير الشان والمعنى ان الشان كذا والفايدة فيه تعظيم الامر الذي يذكر بعده
فان ذكر الشي مبهما ثم مفسرا اوقع من النفس من ذكره مفسرا ابتداء فان له على ذكر الخبر اي فحق ان له نار جهنم
وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا وقيل هو معطوف على انه وجواب من محذوف تقديره
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم **قوله تعالى** يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون يخشى المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم عن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون
عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون اي محصل مبرز انزال السورة
وقيل ان الله يظهر ما تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم عن قتادة رضي الله عنه كانت تسمى هذه
السورة الفاضحة والمثيرة والمبعثرة اثارت مخازيهم وسالتهم وعن الحسن كان المسلمون يسمون هذه
السورة الحفارة حفرت ما في قلوب المنافقين واظهرته وعن ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر
رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا
به اذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شانه وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما قدروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله
عليه وسلم وحذيفة يسوق به فقال لحذيفة رضي الله عنه اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل
قال لحذيفة من رايت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فلان
وفلان حتى عدهم كلهم الا نبعث اليهم فنقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابهم اقبل يقتلهم
بل يكفينا نهم الله تعالى بالدبيلة قيل يا رسول الله ما الدبيلة قال شهاب من جهنم يضعه على نياط فواد
احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك فان قيل المنافق كافر ينكر الوحي فكيف يحذر نزول الوحي على الرسول
صلى الله عليه وسلم اجيب بان هذا حذر اظهره المنافقون على وجه الاستهزا حين
راوا الرسول صلى الله عليه وسلم يدعي كل شي ويزعم انه من الوحي فكان المنافقون يكذبون بذلك

فيما بينهم

فيما بينهم فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك واخبره ان يعلمهم انه يظهر سرهم الذي حذروا
ظهوره فدل على قوله قل استهزوا والضمير في عليهم ونبيهم للمومنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك
ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازل عليهم ومعنى تنبيهم بما في
قلوبهم كانها تقول لكم في قلوبكم بمعنى ليت وليت بمعنى انها تدفع اسرارهم عليهم حتى يسمعوا مذاعة منتشرة
فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر للامر بالحذر اي ليحذر المنافقون استهزا امر تهديد كقوله اعملوا ما شيتم
قوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله
كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة بانهم
كانوا مجرمين ۵ عن عمرو بن قتادة وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب قال رجل من المنافقين في غزاة
تبوك ما رايت مثل هولا القرا اغرب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقا يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذهب عوف بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وارتكب ناقة فقال
انما كنا نخوض ونلعب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون
لا يلتفت اليه ولا يزيده على ذلك وعن قتادة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك
وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقال انظروا الى هذا الرجل يظن انه يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فاطلع الله تعالى على ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
احبسوا على الركب فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شي من امرك ولا من
امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب ولكن كنا في شي مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
بالله واياته لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزايهم وبانه موجود
منهم حتى ونحوا باخطايهم موضع الاستهزا حيث جعل المستهزا به بل حرف التقدير وذلك انما يستقيم
بعد وقوع الاستهزا وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بها لا تنفعكم بعد ظهور
سوكم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزايكم بعد اظهاركم الايمان وقيل قد كفرتم بقولكم
هذا واقراركم ان نعف عن طايفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طايفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تايبين منه وقيل ان نعف عن طايفة منكم لم يوذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يستهزوا فلم يعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طايفة كانوا مجرمين مودين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزين قرا عاصم ان نعف بنون مفتوحة وفاء مضمومة ونون
مضمومة وكسر الدال طايفة بالنصب والباقون بضم الياء في نعف والتا في نعذب على البنا للمفعول
قيل الطايفة في هذه الاية رجل واحد يقال له مخشي بن حمير الاشجعي انكر عليهم بعض ما سمع ولم يمالهم

عليه وجعل يسير محابنا لهم فلما نزلت هذه الاية برى من مقامه وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقر عينى
بها تقشعر منها الجلود وتوجل منها القلوب اللهم اجعل قتلى فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت
انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فيمن قتل فما احد من المسلمين الا وقد وجد وعرف مصرعه غيره

قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون هذا نوع
اخر من فضائح الكفار وقبائحهم والمقصود ان المنافقات كالمنافقين فى تلك الافعال القبيحة
والخصال الخبيثة بعضهم من بعض فى صفة النفاق كما يقول الانسان انت منى وانا منك اى امرنا
واحد يعنى انهم صنف واحد على امر واحد والمقصود نفى ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم يحلفون بالله
انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم بحال المومنين يامرون بالمنكر والكفر
والمعصية وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم يمسكونها ويكفونها عن الصدقة
والنفقة فى الحق ولا يبسطونها بخير واصله ان المعطى يمد يده ويبسطها بالعطا وقيل لمن بخل ومنع فقد
قبض يده ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اى ممسكة عن النفقة نسوا الله اى تركوا
طاعة الله واغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم الله من توفيقه وهدايته فى الدنيا ومن فضله ورحمته
فى العقبى ان المنافقين هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير

قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم
ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم لما بين الله تعالى انه نسى الكافرين والكافرات بسبب كفرهم وتركهم
الايمان والطا هذا الوعيد وضم المنافقين الى الكفار فقال تعالى وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ولا شك ان الخلود فى نار جهنم اشد العقوبات هى حسبهم
اى تلك العقوبات كافيتهم دلالة عذابها وانه لا شى ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم
طردهم وابعدهم من رحمته واهانهم على التكذيب ولهم عذاب نوع من العذاب سوى الصلى بالنار مقيم
دايم لعذاب النار قيل معناه ولهم عذاب مقيم فى العاجل لا ينفكون وهو ما يقاسونه من تعب النفاق
والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم

قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا
بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا اولئك حبطت
اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب والكاف للتشبيه
قيل محلها الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى فعلتم فعلا مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم
كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كالنمر مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كالذين من قبلكم تشبيه منهم

لم يعلم

لم يعلم انهم فيم شبهوا بمن قبلهم وقوله كانوا اشد منكم تفسيرهم تشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم
وجه الشبه هو القوة والمال والتشبيه تمثيل لما فيه من تشبيه حال المخاطبين بحالهم والمعنى انهم
كالذين من قبلكم ذوى قوة وشدة واصحاب اموال ابطرتهم قوتهم واموالهم حتى اشتغلوا بما اوتوا
من حظوظ الدنيا وشهواتها عن طلب الفوز برضوان الله تعالى فبطل ما كانوا فيه وخسروا خسرانا مبينا
كانوا اشد منكم قوة وبطشا ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم
من الدنيا ورضوا به عوضا من الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اى قدر من خير كما قيل له
قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى اثبت وعن ابى هريرة والحسن بخلاقهم بدينهم فسلكتم انها المنافقون
والكافرون سبيلهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم فى اللهو والباطل والكذب
على الله وتكذيب رسوله والاستهزا بالمومنين كالذى خلصوا كالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى
خاضوه قال صاحب الكشاف فان قلت اى فايدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم يغنى عنه كما اغنى قوله كالذى خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا قلت فايدته
ان يلزم للاولين بالاتباع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهايهم بشهواتها الغايبة عن
النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الاخرة فانه يحسن امر الاستمتاع ويهيج امر الراضى به ثم يشبه
بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما يريد ان ينبه بعض الظلمة على سماجة فعله فيقول انت مثل فرعون كان
يقتل بغير حق ويعذب ويضيق وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذى خاضوا على ما قبله
مستند اليه مستغن باسناده اليه عن التقدية اولئك حبطت اعمالهم اى بطلت اعمالهم فى الدنيا
بسبب الموت والفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وفى الاخرة بسبب انهم لا يثابون
بل يعاقبون اشد العقاب واولئك هم الخاسرون حيث اتبعوا انفسهم بالرد على الانبيا والرسل
فما وجدوا منه الا فوت الخيرات فى الدنيا والاخرة والا حصول العقاب فى الدنيا والاخرة وقوله
حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة نظير قوله واتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين

قوله تعالى الم ياتهم نبؤا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب
مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فيما تقدم بين اولئك الكفار فذكرها ولا الطوايف الست
فاولهم قوم نوح الم ياتهم اى المنافقين والكافرين نبا خبر الذين من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا
امرنا كيف اهلكناهم وعذبناهم فقال قوم نوح بالخفض بدلا من الذين قوم نوح اهلكوا بالطوفان وعاد
اهلكوا بالريح وثمود بالرجفة وقوم ابرهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين واهل مدين
يعنى قوم شعيب بعذاب يوم الظلة والموتفكات مداين قوم لوط بالمنقلبات التى جعلت عاليها سافلها

وقيل الموتفكات قريات قوم لوط وهود وصالح واسفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر
اتتهم اى انت كل هاولا الطوايف رسلهم بالبينات فعذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر المنافقين
والكفار فجعل الله هلاكهم فاحذروا تعجيل النقمة فما كان الله فما صح منه ان يكلمهم لان العذاب الذى اوصله
الله اليهم ما كان ظلما من الله لانهم استحقوه بسبب افعالهم القبيحة ومبالغتهم فى تكذيب انبيايهم
ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به واستحقوا عقابه **قوله تعالى** والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله اوليك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المومنين والمومنات جنات
تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
لما بالغ فى وصف المنافقين بالافعال القبيحة والاعمال الخبيثة ثم ذكر عقيبه انواع الوعيد فى حقهم فى
الدنيا والاخرة ذكر بعده فى هذه الاية كون المومنين موصوفين بصفات الخير واعمال على عكس صفات
المنافقين ثم ذكر بعد هذه الاية انواع ما اعد لهم من الثواب الدايم والنعيم المقيم بعضهم اولياء بعض
فى الدين والملة والعون والنصرة والرحمة والمحبة فى مقابلة قوله فى المنافقين بعضهم من بعض عن جرير
بن عبد الله سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول للمهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض فى الدنيا
والاخرة والطلقا من قريش والعتقا من ثقيف بعضهم اولياء بعض فى الدنيا والاخرة قال الامام فان
قيل ما الفايدة فى انه تعالى قال فى صفة المنافقين بعضهم من بعض يدل على ان نفاق الاتباع كفرهم
وحصل بسبب التقليد لاولئك الركايد وبسبب مقتضى الهوا والطبيعة والعادة اما الموافقة
الحاصلة من المومنين فانما حصلت لا بسبب الميل والعادة بل بسبب المشاركة فى الاستيذان
والاستدلال والتوفيق والهداية ولما وصف المومنين بكون بعضهم اولياء بعض ذكر بعده ما يجرى مجرى
التفسير فقال يامرون بالمعروف بالايمان والخير وينهون عن المنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة قال
ابو العالية كل ما ذكر الله تعالى فى كتابه من الامر بالمعروف فهو الدعا من الشرك الى الاسلام والنهى
عن المنكر فهو النهى عن عبادة الاوثان والشيطان ويقيمون الصلاة المفروضة ويطيعون الله ورسوله
اوليك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهى توكد الوعد كما تاكد الوعيد فى قوله سانتقم
منك يوما يعنى انك لا تفوتنى وان تطاولك سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف
نوتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شى قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم مدبر
امر عباده على ما يقتضيه الفضل والعدل والصواب لما ذكر الوعيد فى الاية الاولى على الاجمال
ذكر فى هذه الاية على التفصيل فانه وعد بالرحمة ثم بين فى هذه الاية ان تلك الرحمة هى هذه الاشيا
ومساكن طيبة منازل طيبة فى جنات عدن عن الحسن قصورا من اللولو والياقوت الاحمر والزبرجد

وعدن

وعدن علم بعموم قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده يدل عليه ما روى ابو الدرداء رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلاث النبيون والصديقون والشهدا يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هى مدينة فى الجنة
وقيل نهر جناته على حافاته قال الامام هذا هو البرهان العظيم القاطع على ان السعادات الروحانية
اشرف واكمل من السعادات الجسمانية والمذهب الصحيح الحق وجوب الاقرار بهما معا كما جمع الله منهما
فى هذه الاية وذلك الفوز العظيم فالانسان مركب من جوهرين لطيف علوى روحانى وكثيف
سفلى جسمانى وانضم اليهما حصول وانضم اليهما حصول سعادة وشقاوة فاذا حصلت الخيرات
الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية كان الروح وافرا بالسعادات الاخروية
ولا شك ان ذلك هو الفوز العظيم ورضوان من الله اكبر وهى من رضوان الله الاكبر من ذلك كله
ان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف
النعيم ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عليه فهو اكبر فى العين مما وراه من النعم وانما ينتهى له برضاه
كما اذا علم بسخطه تبغضت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا
وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا ربنا واى شى افضل من ذلك قال احل لكم رضوانى ولا اسخط عليكم
بعده ابدا ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اى هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا
قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبيس
المصير لما وصف المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بانواع العقاب وكانت عادته
فى هذا الكتاب العزيز جارية بذكر الوعد مع الوعيد ذكر عقيبه وصف المومنين بالصفات الشريفة
ووعدهم بالثواب العظيم ثم امر النبى صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
وعن بن مسعود رضى الله عنه جهاد المنافقين بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه وعن بن عباس رضى الله عنهما باللسان وترك الرفق وعن الضحاك
وبن جريج بتغليظ الكلام وعن الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم فى الجهادين
ولا تحابهم **قوله تعالى** يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا
يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم عذابا اليما فى الدنيا والاخرة وما لهم فى الارض من ولى
ولا نصير عن بن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل

حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع
رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام لم تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل
فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الاية وعن الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى تبوك فانهم كانوا اذا خلا فيهم بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه فقال صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق الذي بلغني عنكم فحلفوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله الاية تكذيبا لهم وعن الكلبي رضي الله عنه نزلت في الجلاس
بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقون فسماهم
رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا
واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فلما
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب
يا رسول الله علي ما قلت شيئا من ذلك فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحالفا عند المنبر
بعد العصر وحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي ما قلت شيئا من ذلك عامر ثم قام عامر
فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذب عليه ثم رفع عامر يده الى السماء وقال اللهم انزل على
نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة امين ونزل جبريل عليه
السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يا رسول الله اسمع الله
قد عرض علي التوبة صدق عامر فيما قال لك ولقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم توبته ثم تاب فحسنت توبته وعن قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا رجل من جهينة
ورجل من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار وظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي
يا بني الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك ثم قال لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فانزل الله الاية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر هو الطعن
في نبوته ونسبته الى الكذب والتصنع في ادعاء الرسالة والاولى ان يحمل هذه الاية على ما روي ان المنافقين
هموا بقتله عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وهم خمسة عشر رجلا تعاهدوا ان يدفعوه عن
راحلته الى الوادي اذا استنم بالعقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته وحذيفة خلفها يسوقها
فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا عدو الله
فهربوا والظاهر انهم لما اجتمعوا لذلك الغرض قد طعنوا في نبوته ونسبوه الى الكذب والتصنع في ادعاء الرسالة
وذلك هو قوله كلمة الكفر وكفروا الظهر وانفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال الكلبي هم خمسة عشر هموا ليلا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فاخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
هو رجل من قريش يقال له الاسود هم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون بقتل عامر
لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجروا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا منهم وما انكروا منهم ولا راوا سواء الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك ان مولى
للجلاس قتل فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنا عشر الفا فاستغنى وقال الكلبي كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم في ضنك من عيشهم لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما
قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم وهذا المثل اتق شر من احسنت
اليه فان يتوبوا من نفاقهم وكفرهم بك خيرا لهم وان يتولوا يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله عذابا
اليما شديدا في الدنيا بالقتل والخزي وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ٥

قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما
اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب
اعلم ان هذه السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين وهم اصناف فذكرهم على التفصيل ومنهم من
عاهد الله روي ان ثعلبة ابن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من قليل لا تطيقه فراجعه
وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذت غنما فنمت
كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسال عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح
ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى راي
فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تكلماه ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه
بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحث التراب على راسه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء ابو بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان قوله
لئن اتانا من فضله اي اتانا المال باي طريق كان سوى كان بطريق التجارة او بطريق الاستغنام

او بغيرها لنصدقن الاصل لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد لقربها منها ولنكونن من الصالحين
اي لنعملن ما عمل اهل الصلاح وعن بن عباس رضي الله عنه كان ثعلبة عاهد الله تعالى لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنحجن فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا الحق وتولوا عن العهد وهم
معرضون عن تكليف الله وامره فاعقبهم الله نفاقا في قلوبهم اي فاتبعهم وقيل فجازاهم وعن الحسن
وقتادة ان الضمير المستتر للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا لانه كان سببا فيه وداعيا اليه
قال صاحب الكشاف والظاهر ان الضمير لله والمعنى فخذهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك
عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل
خلف الوعد ثلثا النفاق قوله والظاهر ان الضمير لله صحيح قوله والمعنى فخذلهم باطل لانه عدول عن
الظاهر من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر الحق قال صلى الله عليه وسلم اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر والاية يستفاد منها هذه الخصال فالعهد
من قوله عاهدوا الله والوعد من قوله لنكونن من الصالحين والكذب من قوله بما كانوا يكذبون
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وهو ما ينطوي عليه صدورهم ونجواهم ما يعاوض فيه بعضهم
بعضا فيما بينهم وهو ماخوذ من النجوة وهو الكلام الخفي وان الله علام الغيوب والعلام مبالغة في العلم
والغيب ما كان غايبا عن الخلق والمراد انه تعالى عالم بجميع المعلومات فيكون عالما بالضماير والسراير
فكيف يمكن الاختفا منه **قوله تعالى** الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات
والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم هذا نوع
اخر من اعمالهم القبيحة وهو يلمزهم من اتى بالصدقات طوعا الذين محله النصب او الرفع على
الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم المطوعين المتطوعين المتبرعين
من المومنين في الصدقات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث اصحابه على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم فقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جيتك باربعة الاف
فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى صولحت امراته عن ربع الثمن على ثمانين
الفا وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر بت ليلي
اخر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي واتيتك بالاخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يثبتوه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم يعني ابا عقيل فيسخرون منهم سخر الله اي جازاهم لقوله الله يستهزئ بهم

فانه

فانه خبر غير دعا الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم **قوله تعالى** استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى قد خص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وهذا
الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم وفيه معنى الشرك والتقدير ان استغفرت لهم او لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعين جار مجرى
المثل في كلامهم للتكثير والسبعون عند العرب غاية مستقصاه لانه جمع سبعة والسبعة تتمة
عدد الخلق كالسموات والارض والبحار والاقاليم والاعضا في بعض التفاسير ان تستغفر لهم سبعين
مرة بازا صلوتك على حمزة لن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله فبين ان العلة التي لاجلها لا ينفعهم
استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم وان بلغ سبعين مرة هي كفرهم وتسليم الكامل وهذا المعنى
قايم في الزيادة على السبعين فصار هذا التعليل شاهدا بان المراد قطع الطمع في ان ينفعهم استغفار
الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصرارهم على كفرهم ويوكده قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
والمعنى ان فسقهم الكامل مانع من الهداية **قوله تعالى** فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا
في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون هذا نوع اخر من قبايح افعال المنافقين وهو فرحهم بالقعود وكراهتهم للجهاد
المخلفين الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين وخلفهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم عن الغزو
وعن بن عباس رضي الله عنه يريد المدينة فعلى هذا المقعد اسم للمكان خلاف رسول الله اي مخالفة
لرسول الله لانهم خالفوه حين ساروا وانتصابه على انه مفعول له او حال اي بعدوا لمخالفته
او مخالفين له وقيل خلاف رسول الله او خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن
معهم ويقوي هذا الوجه قراة عمرو بن ميمون خلف رسول الله والخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف
وكرهوا ان يجاهدوا والفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب فذكره للتاكيد وقيل المراد ان
طبعهم مال الى الاقامة لاجل الفهم تلك البلدة واستيناسهم باهلهم وولدهم وكرهوا الخروج
الى الغزو لانه تعريض المال والنفس للقتال وللاهدار وهذا تعريض بالمومنين وتحملهم المشاق العظام
لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض

فكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وليس فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان
وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزاة تبوك في شدة الحر فمنعتهم من الخروج في سبيل الله مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة
شاغرة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا
اي فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على ان حتم واجب
لا يكون غيره وقيل تقديرها فليضحكوا فسيبكون كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون وعن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه ان اهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو اجريت السفن في دموعهم لجرت ثم انهم
ليبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اهل النفاق
ليبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم **قوله تعالى** فان رجعك
الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم
رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين لما بين مخازي الكفار وقبايح افعالهم
بين من بعد ما عرف به الرسول صلى الله عليه وسلم ان الصلاح ان لا يستصحبهم في غزواته
لان خروجهم معه فيه مفاسد فان رجعك الله فان ردك الله يا محمد الى طايفة من المخلفين وانما
قال الى طايفة منهم لان ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقا فاراد بالطايفة المنافقين منهم
وقيل لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح فاستاذنوك للخروج
معك في غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا الى غزوة وسفر ولن تقاتلوا معي عدوا
عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المخلفين ثم انه
تعالى علل ذلك المنع بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة في غزاة تبوك فاقعدوا مع الخالفين عن
ابن عباس رضي الله عنه الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك بغير
عذر عن الضحاك النساء والصبيان وقيل المرضى والزمنى وقيل مع الخالفين يقال عبد خالف
وصاحب خالف اذا كان مخالفا وقيل خساس الناس واذنابهم يقال فلان خالفة اهله اذا كان
دونهم وقيل من اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله اي خلف خلوفا كما افسد والاولى ان
يحمل على الجميع **قوله تعالى** ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون انه تعالى امر رسوله ان يسعى في اهانتهم واذلالهم
فمنعهم من الخروج معه الى الغزوات سبب قوي من اسباب اهانتهم وفي هذه الاية
منع الرسول صلى الله عليه وسلم على من مات منهم وهو اقوى الاسباب في اذلالهم واهانتهم
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مر من

فاسقون

راس النفاق

راس النفاق عبد الله بن ابي ابن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل
عليه قال صلى الله عليه وسلم اهلكك حب اليهود قال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي
لا لتوبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات انطلق ابنه الى النبي
صلى الله عليه وسلم ودعاه الى جنازته فساله النبي صلى الله عليه وسلم عن اسمه قال حباب فقال
صلى الله عليه وسلم انت عبد الله بن عبد الله حباب اسم شيطان ثم انطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قام ليصلي عليه قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتصلي على عدو الله ابن ابي
سلول القائل يوم كذا وكذا بعد ايامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا اكثر عليه قال
اخر عني يا عمر اني قد خيرت فاخترت فقيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم ولو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت ثم شهده وكفنه في قميصه ونفث في جلده
فدلاه في قبره قال عمر رضي الله عنه فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
ولا تقف على قبره وقيل ولا تتولى دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اي كفاه امره انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم كافرون للنهي تعليل فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره
ولما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن ابي في تكفينه في قميصه وصلاته عليه وقيامه
على قبره قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من بنيه وقومه
وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم استر الى حذيفة اثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة يسلمهم الله
من الدبيلة شرار من نار تاخذ احدهم حتى يخرج الى صدره وستة يموتون موتا فسال عمر حذيفة عنهم فقال
ما انا مخبرك باحد منهم ما كان حيا فقال عمر يا حذيفة امنهم انا قال لا قال اني عما لي منهم احد فقال رجل واحد قال
فكانما دل عليه عمر حتى نزعه من غير ان يخبره به قوله مات صفة لاحد وانما قال مات وماتوا بلفظ الماضي
المعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كاين موجود لا محالة قوله ابدا متعلق باحد والتقدير
ولا تصل ابدا على احد منهم وتكفين النبي صلى الله عليه وسلم في قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا
لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابه له الى مسئلته اياه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرد سايلا وكان يتوفر على داعي المروة فعمل بعد ذات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال
له لا اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به الاعدا وعلما بان تكفينه في قميصه
لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه
قيل له وجهت اليه بقميصه وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اومل من الله ان يدخل

في الاسلام كثيرا بهذا السبب روي انه اسلم الف من الخزرج لما رواه طلب الاستسقا بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولذلك ترحمه واستغفاره كان للدعا الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم
على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطا قلبه لسانه وراه حتما
عليه قيل انما صلى عليه لانه لم يتقدم نهي الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك
من المصلحة وقيل انه لما مات جاء ابنه يعرف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لابنه صل عليه وادفنه فقال
عمر رضي الله عنه ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فقام عمر بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الاية واخذ جبريل عليه
السلام بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا وهذا يدل على مبقبة عظيمة لعمر لان الوحي نزل على وفق
قوله في ايات كثيرة منها انه فدا اسارى ومنها تحريم الخمر ومنها تحويل القبلة ومنها انه الحجاب فنزول الوحي على مطابقة
قول عمر رضي الله عنه منصبا عليا ودرجة له رفيعة في الدين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في حق عمر رضي الله
عنه لو لم ابعث لبعثت يا عمر بنبا **قوله تعالى** ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون هذه الاية قد سبق ذكرها وقد
اعيدت لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه
ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه
الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثنا حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب
ان يحذر منه **قوله تعالى** واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون بين في الاية المتقدمة ان المنافقين احتالوا في الاية المتقدمة ان المنافقين
احتالوا في رخصة التخلف من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الغزو في هذه الاية زاد رقيقة
اخرى وهي انه متى نزلت اية مشتملة على الامر بالايمان وعلى الامر بالجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم
استاذن اولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ذرنا نكن مع القاعدين سورة يجوز ان يراد بها السورة بتمامها وان يراد بها بعضها كما يقع القران والكتاب
على كلمة وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان هي المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة
من طال عليه طولا وقيل الروسا والكبر المنظور اليهم قيل انما خصصهم بالذكر لان الذم لهم الزم لاجل كونهم
قادرين على السفر والجهاد وقيل لان من لا مال له ولا قدرة له على السفر لا يحتاج الى الاستيذان مع
القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا واللاتي يخلفن
في البيت فلا يبرحن وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف

من الشقاوة

من الشقاوة والهلاك **قوله تعالى** لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
واوليك لهم الخيرات واوليك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم لكن الرسول اي ان تخلف هاولا عن القتال فقد نهد الى الغزو من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هاولا فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان
استكبروا فالذين عند ربك الخيرات الحسنات تتناول منافع الدارين كلها لانه جمع محلى بالالف
واللام وقيل الحور الفاضلات قال الله تعالى فيهن خيرات حسان **قوله تعالى**
وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم
ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له قيل اصل المعذرون المعتذرون ادغمت التاء في الذال ونقل حركة
التا الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل عن الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم تبوك دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان نحن غزونا معك نغير اولادنا
على اهالينا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد انباني عن اخباركم وسيغني
الله عنكم وقيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان لنا جهدا ايذن لنا في التخلف وعن مجاهد
رضي الله عنه نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله
ورسوله في ادعايهم الايمان سيصيب الذين كفروا من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بالنار **قوله تعالى** ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا
ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الصحيحة وبين
ان تكليف الله بالجهاد عنهم ساقط ليس على الضعفا الزمنى والهرمى والعجزة ولا على المرضى وهم ما كان
موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من القتال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون قيل هم مزينة وجهينة
وبنو عذرة حرج ما ثم هو اسم ليس اذا نصحوا لله ورسوله في منعهم والنصح لله ورسوله الايمان بهما
وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين
المعذورين الناصحين من سبيل في مغيبهم لا جناح عليهم ولا طريق للعابث عليهم قيل نزلت في عباد بن
عمرو واصحابه وعن الضحاك نزلت في عبد الله زايدة وهو ابن كلثوم وكان ضرير البصر فقال يا نبي الله اني
شيخ ضرير البصر خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي فايدة فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت

النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما في قوله اوجاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها دمع فايض وفي لسان تفرك اذنيك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على الحال من ضمير حزنا مفعول له لا يجدوا اليلا حدوا او محله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا ما سعفون في المركوب ولقد حقق الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم عذر اذا هم استطاعة والذين عدموا الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها قيل ولا على الذين اذا ما اتوك نزلت في البكائين وكانوا سبعة معقل بن يسار وصخر بن خنساء وهو الذي كان وقع على روجته في رمضان فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفر وعبد الله بن كعب الانصاري وعليه بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل ندبنا الخروج معك فاحملنا فقال الحفاة المخصوفة النعال معك فقال صلى الله عليه وسلم لا احد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون **قوله تعالى** انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم عاب اهل السعة والمعنى ليس السبيل الا على الذين يستاذنونك وهم اغنياء لاعذار لهم في التخلف رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع حملة الخوالف النساء اي رضوا بالدناءة والصفة والانتظام في جملة النساء وطبع الله على قلوبهم عطف على قوله رضوا اي رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فلهذا استاذنوا وهم اغنياء فهم لا يعلمون اي لاجل ذلك الطبع لا يعلمون ما في الجهاد من المنافع قيل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد اسعدلوا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم نزلوا فعال ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه لانه وسط بين الشرط والجزا كانهم يعتذرون اليكم قل لا تعتذروا لن نومن لكم علة لنهي عن الاعتذار لانه علم ان المعتذر ان يصير عذره مقبولا فاذا اعلم بانه لا يصدق فوقه وجب عليه ان يتركه قد نبانا الله من اخباركم عليه لا لتقف تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الا اعلام باحبارهم واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنبيه ان ما تبتدون ثم تردون الى الله وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على ذلك فيسكم عا كنتم تعملون من الحسن والسيء وفيه تخويف شديد وزجر عظيم لهم **قوله تعالى** سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم

اليهم

اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومادوهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ذكر في الاية المتقدمة انهم كانوا يولدون الاعذار الفاسدة بالايمان الكاذبة سيحلفون بالله لكم على انهم ما قدروا على الخروج اذا انقلبتم انصرفتم اليهم من غزوكم لتعرضوا التصفح عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم ولا تعذبوهم فاعرضوا فاعطوهم طلبهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وعن ابن عباس رضي الله عنه يريد ترك الكلام والسلام عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قبلها ولا طلبوا اعراضي الصفح فاعطوا اعراضي المقت انهم رجس بخس تعليل لوجوب الاعراض عنهم وترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تسفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الادميون ذوو البشرة والمومن يوخ على زلة تفرط منه ليطهره من الرجس بالحمل على الطاعة والتوبة والاستغفار وما ماهم ولا فاوجاس لا سبيل الى تطهيرهم وما وبهم في الاخرة جزاء بما كانوا يكسبون يعني وكفتهم النار عذابا وتوبيخا فلا تتكلف عتابهم يحلفون لكم سوى الاية الاولى يحلفون بالله لتعرضوا عنهم فبين في هذه الاية انهم يحلفون لكم لترضوا عنهم اي عرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم ليسقطوا عنهم ذلك في اعانهم ودنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قال ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المومنين يقتضي رضى الله عنهم عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في جد بن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حلفا ان لا تخلف عنه بعد اليوم معه على عدوه وطلب الى رضي عنه النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه **قوله تعالى** الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم الاعراب اي اهل البدو اشد كفرا ونفاقا واجدر من اهل الحضر لجفاياهم وقوتهم وتوحشهم وتشاغلهم عن مشاهدة العلما ومعرفة الكتاب والسنة واجدر واولى واحرى ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفا والقسوة في الفدادين والله سميع عليم بحال كل احد من اهل البدو والحضر حكيم فيما يصيب محسنهم ومسيئهم من عقابه وثوابه ثم قال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما سعوا لرجل وليس يلزمه لانه لا سعوا لا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء الثواب عنده ويتربص بكم الدوائر يعني صروف الزمان التي مرة بالخير ومرة بالشر عن عياش عن ابي بكر عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون على ابرة السوء دعا معرض دعا عليهم تخوفا لهم ما دعا به لقوله

تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم قرا ابن كثير بضم السين هاهنا وفي سورة الفتح
ومعناه الضر والشر والبلا والمكروه والباقون بالفتح على المصدر وهو دم للدابر رجل سوء في
نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه دام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم
الصدقة عليهم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم **قوله تعالى**
ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول
الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم قربات جمع قربة هي مفعول
ثان لقوله ويتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة يستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات
الا انها شهادة من الله للمتصدقين بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات
وتصديق لرجايه على سبيل الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المودي بثبات الامر
وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين
وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها ان الله غفور لسيئاتهم رحيم بهم حيث
وفقهم لهذه الطاعات قرا نافع قربة بضم الراء والباقون باسكان الراء وهما لغتان والاصل الضم
والاسكان تخفيف نحو كتب ورسل وطب **قوله تعالى** والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ٥ لما ذكر فضايل الاعراب الذين يتخذون
ما ينفقون قربات عند الله وصلوات الرسول وما اعد لهم من الثواب بين ان فوق منزلتهم منازل
السابقين الاولين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا اوطانهم ومنازلهم وقيل هم الذين صلوا الى
القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا عن الشعبي رضي الله عنه من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان
ما بين الهجرتين والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه من اهل المدينة
واووه واصحابه وقيل اهل العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين
والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وهو اول من جمع الصلوة بالمدينة
وكانت الانصار تحبه فاسلم معه سعد بن معاذ وعمرو بن الجموح وبنو عبد الاشهل كلهم وخلق من النسا
والصبيان وكان مصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم احد حتى
انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقاه بنفسه حتى نفدت المشامص في جوفه فاستشهد
يومئذ والذين اتبعوهم باحسان اي الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة والنصرة الى يومنا هذا وقيل

هم الذين

هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالرحمة والدعا ويذكرون محاسنهم ويسالون الله ان يجمع بينهم
ثم جمعهم في الثواب فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه قرا ابن كثير من تحتها الانهار في مصاحف اهل مكة والباقون
بغير من كما في ساير المصاحف قيل والفرق بينهما ان قوله تجري من تحتها الانهار معناه تجري من تحت الجنات
وقوله تجري تحتها ثم تجري من تحت الجنات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل اين
السابقون قال قد مضى ناس فقال السابقون المشهورون بذكر الله ومن احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله عز وجل **قوله تعالى** وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم يعني حول بلدتكم وهي
المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانت منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة عطف
على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان تكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذ قدرت ومن اهل المدينة
قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول
لا يخلو من ان يكون مردوا كلاما مبتدا وصفة لقوله منافقون فصل بينها وبينها بمعطوف على خبره مردوا
على النفاق اي مرفوا وتمهروا فيه من هون فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر
فيه ودل على مراتبهم ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم يا محمد يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق
فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكل في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي ما نعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر في سويدات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظهارا كظهار المخلصين بين المومنين لا تشك
معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وصرفوا فيه فلهم فيه اليد الطولى فسنعذبهم مرتين قيل هي الفضيحة
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم بدر فقال اخرج يا فلان فانك منافق واخرج من المسجد
ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وقيل العذاب الاول وقيل العذاب الاول القتل
والسبي والثاني عذاب القبر وقيل الجوع والقتل وقيل السلب وعذاب القبر وقيل المرة الاولى بالمصايب
في الاموال والاولاد والمرة الاخرى في جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه المرة الاولى اقامة الحدود عليهم
والاخرى عذاب القبر وعن الحسن رضي الله عنه اخذ الزكاة من اموالهم والاخرى عذاب القبر وقيل هو
ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذابهم في القبر اذا صاروا اليه وقيل الاولى
ضرب الملايكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل تفسيره في سورة النحل
زدناهم عذابا فوق العذاب وقيل الاولى بالسيف يوم بدر والاخرى عند الموت والاخرى عذاب القبر
قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وعذاب القبر وقيل الامراض في الدنيا والاخرة وذلك
انه من مرض من المومنين كفر الله عنه سياته ومحص الله عنه ذنوبه فابدل له لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه واعقبه ثوابا عظيما ومن مرض من المنافقين زاده الله نفاقا واثما وضعفا كما قال

في هذه السورة اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يريدون انهم يمرضون في كل عام
مرة او مرتين ثم يرددون الى عذاب عظيم الى عذاب النار **قوله تعالى** واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم
الى ومن المدينة وليس راجع الى المنافقين اعترفوا بذنوبهم لم يعتذروا بما يحلفهم بالمعاذير
الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا مقتدين بنادمين وكانوا سبعة ابو لبابة
مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم وثقوا انفسهم
باغصانهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته فلما قدم من سفر فعل من هاولا قالوا يحلفوا عنك
فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وتعفو عنهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى امرت بالطلاقهم رغبوا عني وحلفوا عني
الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالهم شيئا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا
صالحا حزوجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه وعوا الحسن رضي الله عنه توبة وانما قال صاحب الكشاف
فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا به لانه اريد معنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن
وقد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن واللبن مخلوطا بالماء لانك
جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت
خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم عندي لشاة ودرهم بمعنى شاة بدرهم فان قيل
كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكروا اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة
فقد ذكرت توبتهم عسى الله ان يتوب كلمة عسى من الله واجب ويحصل القول فيه ان القرآن يرد
على عرف الناس في الكلام والسلطان اذا التمس المحتاج اليه شيئا فانه لا يحسب الله الا على سبيل الطمع
ومع كلمة عسى ولعل سهما على انه ليس لاحد ان يلزمني شيئا وان يحلفني شيء بل كل ما افعله فانما افعله
على سبيل التفضل وذكر كلمة عسى بعد هذا المعنى مع انه يفيد القطع بالاجابة وقيل المقصود منه
ان يكون المحلف على الطمع والاشفاق لانه اعدم الاذلال والاهمال قيل عسى ان يتوب يقتضي
ان هذه التوبة انما تحصل في المستقبل قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم دل على ان ذلك الاعتراف
حصل في الماضي وذلك يدل على ان هذا الاعتراف ليس نفس التوبة بل كان مقدمة للتوبة وان
التوبة انما تحصل بعده لما قال بعده صلى الله عليه وسلم انما امرت ان اخذ اموالكم انزل الله تعالى

خذ من

خذ من اموالهم صدقة عن الحسن هذا راجع الى هاولا الذين تابوا لانهم بذلوا اموالهم للصدقة
فاوجب الله تعالى عليهم اخذها وصار ذلك في حقهم حاديا بجرى العادة وليس المراد من هذا الصدقة
الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر منه وقيل ان هذه الاية كلام مبتدا والمقصود منها
اصحاب اخذ الزكوات من الاغنياء وعليه اكثر الفقهاء اذا استدلوا بهذه الاية في اصحاب الزكوات اما
القايلون بالقول الاول فقد احتجوا على صحة قولهم بان الايات لابد وان تكون منتظمة متناسبة
فلو حملناه على الزكوات الواجبة ابتداء لم يتعلق هذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها وصار كلاما لا يليق
بكلام الله واما القايلون بان المراد منه اخذ الزكوات الواجبة قالوا المناسبة حاصلة على هذا التقدير
لانهم لما اظهروا الندامة والتوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم اقروا بان السبب الموجب لذلك التخلف
حبهم للاموال وشدة حرصهم على صونها عن الانفاق فعند قيل انما يظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة
والندامة لو اخرجتم الزكوات الواجبة ولم يصانعوا فيها لان الدعوى والدعوى لا تسمع الا بالمعنى فان
ادوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والا فهم كاذبون ومما يدل على ان
المراد الصدقات الواجبة قوله تطهرهم وتزكيهم بها والمعنى تطهرهم من الذنب بسبب اخذ تلك الصدقات
وهذا انما يصح لو قلنا انه لو لم يوجد تلك الصدقة لحصل الذنب وذلك انما يصح حصوله في الصدقات الواجبة
واما القايلون بالقول الاول فانهم قالوا انه صلى الله عليه وسلم لما عذر اولئك الذين سموا واطلقهم قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي بسببها تخلفنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال صلى الله
عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله هذه الاية واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلث اموالهم وترك الثلثين لانه تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم فانهم يفيد التبعيض
وقوله تطهرهم بعدس تطهرهم انت وقيل تطهرهم الصدقة مكون تطهرهم صفة لقوله صدقة وانما حسن جعل
الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ
فكانه اندفاعها جاريا مجرى التطهير قال الامام على هذا القول وجب ان قوله وتزكيهم يكون منقطعا
عن الاول ومكونا ابتداء خذ ما يحصل من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها وقيل
التاء في تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ومكون المعنى تطهرهم انت ايها الاخذ باخذها منهم وتزكيهم بواسطة
تلك الصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزاده فيدا ومعنى الاناء والبركة في المال وقيل تطهرهم وقيل
ترفعهم من منازل المنافقين الى منازل المتخلفين وقيل تسمى اموالهم وصل عليهم واستغفر لهم واعطف
عليهم بالدعاء وترحم لهم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي
رضي الله عنه احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله لك طهورا
وبارك لك فيما ابقيت ان صلواتك قرار لهم والكسائي صلواتك بغير واو وفتح التاء على التوحيد

والمراد بالحسنى وكذلك في سورة هود اصلوتك تامرك بغير واو على التوحيد والباقون صلواتك
على الجمع بالواو وكذلك في هود سكن لهم والسكن كما سكنت اليه والمعنى تسكن نفوسهم اليه وتطمئن
قلوبهم وعن ابن عباس رحمة لهم وعن قتادة رضي الله عنه وقار لهم وعن الكلبي طمانينة لهم ان الله
قد قبل منهم وقيل تزكية لهم منك وقيل تثبيت لهم والله سميع عليم يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم
عليم بما في ضمايرهم من الندم والعزم لما فرط منهم **قوله تعالى** الم يعلموا ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمومنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وجهان احدهما ان يراد
المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتوب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة عن
عباده المخلصين ويقبل الصدقات اذا صدرت عن نية خالصة وهو التخصيص والتاكيد وان الله
من شانه قبول توبة الناس وقيل معناه التخصيص في هذا وذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الله هو الذي يقبل التوبة وردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقيل لها ولاناس اعملوا فان
عملكم لا يخفى خيرا وشرا على الله ورسوله والمومنين كما رايتم وتبينكم وتاويلهما اراد عزا لتا يبين
نوعسا لهم في التوبة فقد روي انه لما نزلت توبة هاولاء قال الذين لم يتوبوا من المخلفين هاولاء كانوا
معنا الامس لا يكلمون ولا يجالسون فانا لهم فعال الله عز وجل الم يعلموا الا الله قوله فسيرى الله عملكم
وعيدلهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وترغيب عظيم للطيعين وفي الخبر لوان رجلا
عند الله تعالى في صخرة لا باب لها ولا كوة تخرج عملها الى الناس كايناس كان **قوله تعالى**
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم قسم الله تعالى للمتخلفين
ثلثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني الناسون الذين اعترفوا بذنوبهم
والثالث الذين وقفوا موقفين وهم المذكورون في هذه الاية والفرق بين الثاني والثالث ان الثاني
بادروا الى التوبة وهاولاء لم يبادروا اليها قيل لهم لان الثالث الذين خلفوا لم يوثقوا انفسهم ولم يالفوا
انفسهم في التوبة والاعتذار قرا نافع والكسائي وحفص عن عاصم مرجون بغير همز والباقون بالهمز
وهما لغتان من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجية اي واخرون من المتخلفين موقوف امرهم
ليقضي الله فيهم ما هو كاين وسيتي قصتهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما ان يتوب عليهم
ان تابوا اي ليكون امرهم على الخوف والرجا ليجعل الناس يقولون هلكوا اذا لم يفعل الله لهم عذرا واخرون يقولون
عسى الله ان يغفر لهم فصار وا مرجين لامر الله لا يدرون اتعذبون ام ترحمون **قوله تعالى**
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون قرا نافع وبن عامر الذين

اتخذوا

اتخذوا بغير واو وكذلك في مصاحف مكة والعراق اما من قرا بغير واو فلانها قصة على حيالها ومن
قرا بالواو على عطف على قصة مسجد ضرارا الذي احدثه المنافقون على ساير وصفهم ان نبتعروا بني
عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنيهم فاتاهم فصلى فيه حسدتهم
اخوتهم بنو عتم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كما
صلى في مسجد اخوتنا وليصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام لبست لهم الفضل والزيادة
على اخوتهم وكان ابو عامر رجلا منهم والدا في حنظلة غسيل الملايكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر
ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الذي جيت به قال
جيت بالحنيفية السمحاء دين ابرهم قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال
بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكني جيت بها بيضا
بقية قال ابو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا
فقال صلى الله عليه وسلم امين وسماه ابو عامر الفاسق فما كان يوم احد قال ابو عامر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم نزل نقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن سار
وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب
الى قيصر وات بجنود واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى مسجد قبا وكان الذي بنوه اثني
عشر رجلا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله
انا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية ونحب ان تاتي فتصلي لنا فيه
وتدعو لنا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى
صلينا فيه فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك سالوه اتيانه المسجد فنزلت عليه
قد علم الذين الدهشم ومعن ابن عامر ومعتب بن السكن ووحشي قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سريعا حتى اتوا سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم
فقال لهم مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنارمن اهلي فدخل فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجوا
يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يحدم امانه كناسه تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام وحيدا طريدا
غريبا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعارة وكفرا وتفريقا للمسلمين وبعثا للمومنين
لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيختص بهم فاراد وا ان يتفرقوا عنه ويخالف كلمتهم
وارصادا وانتظارا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله من قبل وهو ابو عامر الراهب اعدوه
ليصلي فيه اذا رجع من الشام فينظر على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة ورياء

وسمعة او لغرض سوا ابتغا وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن سفين انه لم يدرك
الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه
بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار ورياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطا
رضي الله عنه لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا
في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه والذين اتخذوا محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين
الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة
قوله قيل متصل بقوله اتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان تنافوها ولا بالتخلف وليحلفن ما اردنا ببناء
هذا المسجد الا الفعل الحسن وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير
الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى والتوسعة
على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم وحلفهم **قوله تعالى** لا تقم فيه ابدا
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
الى ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم قوله لا تقم فيه نهي له صلى الله عليه وسلم عن ان يقوم فيه
عن ابن جريج فرغوا من اتمام ذلك المسجد يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم وكذلك يوم الجمعة ويوم السبت
ويوم الاحد وانهار في يوم الاثنين ثم قال انه لمسجد اللام للابتدا والقسم تقديره والله لمسجد اسس
على التقوى اي بني اصله وابتدى بنيانه من اول يوم بني وقيل معناه متداول يوم وضع اساسه احق واولى
ان تقوم فيه مصليا قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه
بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي
قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره وعن ابن عمر وزيد بن
ثابت وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم ان المسجد الذي اسس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب به الارض فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات
والذنوب والمعاصي والكفر والنفاق عن الكلبي هو غسل الادبار بالماء وعن عطا كانوا يستنجون
بالماء ولا ينامون الليل على الجنابة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا لما نزلت هذه
الاية ان الله تعالى قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء والله يحب المطهرين اصله

المتطهرين

المتطهرين ادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجهما روي ان الحمى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صورة جارية سودا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قالت انا ام ملدم انشف الدم واكل
اللحم واصفر الوجه وارقق الجلد وادقق العظم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مري فاقصدي الانصار
فان لهم علينا حقوقا فحمي الانصار فلما كان من الغد قال ما الانصار قال حموا عن اخرهم فقال قوموا بنا نعودهم
فعادهم وجعل يقول ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا يا رسول الله ادع الله ان يديمها علينا اياما حتى
تكون كفارة لذنوبنا فانزل الله يثني عليهم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا بالحمى عن معاصيهم والله
يحب المتطهرين من الذنوب قوله تعالى افمن اسس قرا نافع على فعل ما لم يسم فاعله وكذا قوله
ام من اسس والباقون اسس على بناء المعروف والفاعل هو الباني والمؤسس والمعنى افمن اسس
بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على
قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بلاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف
هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في موضع التقوى لانه مجاز عما ينافي التقوى
شفا كل شي جرفه وشفيره وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا
والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط دونه فعل فعل يصير عن فاعل كخلف
من خالف ونظيره شاك ومات في ثيابك وصابت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله
هور وشوك وصوت ولما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح
به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجي بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ولتصور ان المبطل
كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها وانهار انهدم
ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل قرا ابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم
جرف باسكان الراء والباقون بضم الراء وهما لغتان عن قتادة رضي الله عنه والله ما تناهى
ان وقع في النار وقيل حفرت بقعة من مسجد ضرار فرئي الدخان يخرج منها وعن جابر رضي الله
عنه رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار وعن خلف بن يسار الكوفي رضي الله عنه حججت مع ابي
في زمن بني امية فرايت بالمدينة قبلتين يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبا
وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمن ابي جعفر قالوا يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ورايت
مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القران وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة شكا ونفاقا يحسبون انهم كانوا في بنيانهم محسنين كما حبب
العجل الى قوم موسى وقيل حبر وندامة لانهم ندموا على بنيانه وقيل لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا فيه
اي حزازة وغيظا في قلوبهم وقيل كان القوم منافقين وانما حملهم على بنا ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم

كما قال الله تعالى ضرارًا وكفرًا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك
وعظم عليهم بصمما على النفاق ومنتهى الاسلام معنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا تزول شبهة عن قلوبهم ولا يضمحل
اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعًا وتفرق اجزاء محمد يسئلونه عنه ولها ما دامت سالمة محتمعة
فالريبة متمكنة في قلوبهم محتمعة فجوز ان تكون ذكر التقطع تصويرًا لحال زوال الريبة عنها وجوز
ان يراد حقيقة بقطعها وما هو كائن بفعلهم او في القبور او في النار قرأ ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بتخ
التاء والطاء مشددًا اعني سقطع حذفت احدى التاءين تخفيفا وابن كثير ونافع وعاصم وابو بكر والكسائي
بضم التاء وتشديد الطاء على غير تسمية الفاعل وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تقطع بها قلوبهم ندمًا واسفًا
والله عليم باحوالهم حكيم في الاحكام التي يحكم بها عليهم

قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا
في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم لما بين الله تعالى فضايح المنافقين وقبايحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك
وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة المجاهدين باموالهم وانفسهم شبه
الله اياتهم الجنة على بذلهم اموالهم وانفسهم في سبيله بالشري وروي باحرهم الله فاعلى لهم الثمن
قيل لما باعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسًا قال عبد الله
بن رواحة رضي الله عنه يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال صلى الله عليه وسلم
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم
قال فاذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نستقيل ولا نقيل فنزلت ان الله اشترى اتباع من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة عن قتادة رضي الله عنه ثامنهم والله فاغلى لهم وعن الحسن رضي الله عنه
اسمعوا الى صفقة ربح باع الله بها كل مؤمن والله ما على الارض مؤمن الا دخل في هذه البيعة ومر اعرابي
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الاية فقال كلام من هذا قال كلام الله قال بخ بخ لا نقيل
ولا نستقيل فخرج الى الغزو واستشهد وعن الحسن رضي الله عنه انفسًا هو خلقها واموالا هو رزقها وعن
عمر رضي الله عنه جعل لهم الصفقتين جميعًا يقاتلون فيه الامر كقوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم وقيل يقاتلون كالتفسير لتلك المبايعة وكالامر اللازم قراء حمزة والكسائي وفعلون على بنا الاول
للمفعول والثاني للفاعل على معنى ان طايفة كذين من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعًا للباقين
عن المقاتلة بل يقوون بعد ذلك مقاتلين مع الاعداء بالين لهم بقدر الامكان وهو كقوله وما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الى وما وهن من بقي منهم والباقون بالعكس على انهم يقتلون الكفار

ولا يرجعون

ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين وعدًا مصدر مؤكد اي وعدهم بان لهم الجنة وعدًا واخبارًا بان
هذا الوعد الذي وعده المجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل انه اشترى من امة
محمد صلى الله عليه وسلم انفسهم واموالهم بالجنة كما بين في القرآن وقيل ان الامر بالجهاد ثابت في جميع الشرايع
ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف لما يعاد ونقض العهد قبيح لانه تقدم عليه الكرام من الناس مع
جوان عليهم بحاجتهم فالغني عن كل الحاجات اولى ان يكون منزها عنه من استفهام بمعنى الانكار اي لا احد
اوفى بعهده من الله ولا تزى ترغيبًا في الجهاد احسن منه وابلغ ثم هنأهم فقال فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم

قوله تعالى التاسبون العابدون الحامدون السايحون
الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين
لما ذكر في الاية الاولى انه اشترى من المؤمنين بين في هذه الاية ان اولئك المؤمنين هم الموصوفون
بهذه الصفات التسع التايبون رفع على المدح اي هم التاسبون يعني المؤمنين المذكورين وجوز الزجاج ان
يكون مبتدا خبره محذوف اي التاسبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا والحق قوله وكلا وعد الله
الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل التاسبون مبتدا والعابدون خبره وما بعده
خبر بعد خبر اعلم ان التاسبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الصفات وعن الحسن رضي الله عنه الذين
تابوا من الشرك وبرءوا من النفاق وقيل هم الذين تابوا من كل معصية وهم الراجعون الى الله بالكلية عن جميع
ما هم عليه من صفاتهم واحوالهم العابدون المطيعون الذين اخلصوا لله العبادة وعن ابن عباس رضي الله
عنه الذين يودون عبادة الله الواجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة التي هي الاتيان بفعل مشعر
بتعظيم الله تعالى على اقصى الوجوه في التعظيم وعن الحسن رضي الله عنه الذين عبدوا الله بالسر والعلن
وعن قتادة رضي الله عنه هم الذين اخذوا من ايامهم ولياليهم ونهارهم الحامدون الله تعالى على كل حال وفي كل
نعمة وقيل هم الذين يقومون بشكر الله تعالى على تعهد دينا ودنيا ويحمدون ذلك عادة لهم وقيل العارفون
بعلم الله عليهم في كل خطرة ولحظة عين السايحون الصايمون شبهوا بذوي السياحة في الارض وامتناعهم
من شهواتهم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسايحون الصايمون الحديث
ان الله عز وجل اذا ذكر الصايمين لم يذكر السايحين واذا ذكر السايحين لم يذكر الصايمين وعن الحسن رضي
الله عنه السايحون الغزاة المجاهدون وقيل طلبة العلم وقيل هم الذين حسنوا انفسهم عن مرادها طالبًا
لرضى الله الراكعون الساجدون المصلون قيل انما رجع الركوع والسجود عن الصلاة لان سايرا شكال
المصلي موافق للعادة وهو قيامه وقعوده والذي يخرج عن العادة في ذلك هو الركوع والسجود وبه يتبين
الفضل من المصلي وعيني ويمكن ان يقال مراتب التواضع اولها القيام والركوع وسطها والسجود غايتها
فخص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع والعبودية ونسبها على ان المقصود من الصلاة

نهاية الخضوع والتعظيم قيل الراكعون الخاضعون له على الدوام الساجدون الطالبون قربه الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر البدعة ومخالفات السنن قيل في دخول الواو في قوله النهي عن المنكر فعبارة
متعلقة بالغير وهذا النهي يوجب ثوران الغضب وظهور الخصومة وربما اقدم ذلك النهي على ضرب الناهي
وربما حاول قتله فكان النهي عن المنكر اصعب اقسام العبادات والطاعات فادخل عليهما الواو تنبيها على
ما يحصل من زيادة والمحنة والحافظون لحدود الله عن بن عباس العاملون على طاعة الله عز وجل وقيل اهل
الوفا بسعة الله وقيل المراعون اوامر الله عليهم في جوارحهم وقلوبهم واسرارهم وارواحهم وقيل الحافظون
لحدود الله اي التكاليف المتعلقة باعمال الجوارح وافعال القلوب وبشر المومنين المقصود منه انه
تعالى قال في الاية المتقدمة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فذكر هذه الصفات التسع ثم ذكر عقيبها
وبشر المومنين تنبيها على ان البشارة المذكورة في قوله فاستبشروا لم يتناول الا المومنين الموصوفين
بهذه الصفات **قوله تعالى** ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم انه تعالى بين من اول
هذه السورة الى هذا الموضع وجوب اظهار البراة عن المشركين والمنافقين من جميع الوجوه ثم
بين في هذه الاية انه يجب اظهار البراة عن اموالهم وان كانوا اولي قربى كالاب والام وانما وجب
كما يجب اظهار البراة عن احيائهم والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم احياء وامواتا ومنع مواصليهم
روي انه لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل على النبي صلى الله عليه وسلم اي عم انك اعظم الناس علي
حقا وامسهم عندي يدا ولا انت علي حقا من والدي فقل كلمة يجب لك بها شفاعتي يوم القيمة قل لا اله
الا الله احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن امية لعنهما الله يا ابا طالب اترغب عن
ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شي تكلم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه فنزلت الاية ونزلت انك لا تهدي من احببت قيل هذا
بعيد لان السورة اخر ما نزل من القران ومات ابو طالب في عنفوان الاسلام والنبي صلى الله عليه
وسلم بمكة وقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ابرهيم وهو مشرك فلا ازال استغفر لابي
طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال اصحابه ونحن والله لنستغفرن لابائنا كما استغفر النبي صلى الله
عليه وسلم لعمه فانزل الله هذه الاية وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال بلغني انه لما اشتكى ابو طالب
شكواه التي قبض فيها قالت قريش يا ابا طالب ارسل الى ابن اخيك يرسل لك من عنده الجنة التي يزعم
فيكون لك شفا فخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه جالس
معه فقال يا محمد ان عمك يقول لك يا ابن اخي اني كبير ضعيف سقيم فارسل الي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها

وشرابها

وشرابها شيئا يكون في فيه شفاء فقال ابو بكر رضي الله عنه ان الله حرمهما على الكافرين فسكت فحملوا انفسهم
عليه حتى ارسل رسولا من عنده فوجده الرسول في منزله فقال له مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حرمهما على الكافرين طعامها وشرابها ثم قام في اثره حتى دخل معه البيت فوجده مملوا رجالا فقال
خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت احق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك
فجلس اليه فقال يا عم جزيت عني خيرا يا عماه اعني على نفسك بكلمة اشفع لك بها عند الله تعالى يوم القيمة قال
ما هي يا ابن اخي قال قل لا اله الا الله وحده لا شريك له قال انك لي ناصح والله لولا ان تعيرني بها بعدي العرب يقال جزع
من الموت لاقررت بها عينك قال فصاح القوم يا ابا طالب انت راس الحنيفية ملة الاشياخ فقال على ملة الاشياخ
لا تحدث شيا قريش اني جزعت عند الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال استغفر لك ربي حتى
يردني ربي فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا وقد استغفر
ابرهيم عليه السلام لابيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه فاستغفر المسلمون للمشركين فنزلت
هذه الاية وعن ابي هريرة وابي زيد رضي الله عنهما لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم اتى قبر امه امنة فوقف
عليها حتى حميت عليه الشمس رجا ان يوذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين فقام وبكى فابكى من حوله ثم قال اني استاذنت ربي ان ازورها فاذن لي واستاذنته ان استغفر لها
فلم ياذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت فما روي باكيا اكثر من يومئذ وعن بن عباس رضي الله
عنه كانوا يستغفرون لامواتهم المشركين فنزلت هذه الاية فامسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم
ينههم ان يستغفروا للاحيا حتى يموتوا وعن قتادة رضي الله عنه قال رجل من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا نبي الله ان من ابائنا من يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي الذمم افلا نستغفر
لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى وانا والله لاستغفرن لي كما استغفر ابرهيم عليه السلام
لابيه فانزل الله تعالى ما كان للنبي اي ما يصح للنبي وما ينبغي له والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
قيل ما كان في القران على وجهين احدهما بمعنى النفي كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله والاخر بمعنى النهي كقوله تعالى وما كان لكم ان تودوا رسول الله وقوله
ما كان للنبي نهي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الكفر والشرك وتاول بعضهم
الاستغفار في هذه الاية على الصلوات ثم بين ان النهي عن الاستغفار غير مختص بدين محمد صلى الله
عليه وسلم بل هو في شريعة ابرهيم عليه السلام ايضا فيكون المبالغة في تقرير وجوب المقاطعة والمباينة
الكفار اكمل واقوى وعذر ابرهيم خليله عليه السلام فقال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه وهو قوله تعالى لاستغفرن لك عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما انزل الله تعالى
قوله خبرا عن ابرهيم صلى الله عليه وسلم سلام عليك ستا ستغفر لك ربي الاية سمعت رجلا يستغفر لوالديه

وهما مشركان فقلت له لم تستغفر لهما فقال ابرهيم الم تستغفر ابرهيم عليه الصلاة والسلام لابيه
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله هذه الاية قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابرهيم وانزل الا عن موعدة وعدها اياه وقيل الها في اياه عايدة على ابرهيم عليه السلام وذلك ان اباه
وعده ان يسلم فعند ذلك قال له ساستغفر لك ربي وقيل هي راجعة الى ابيه فان ابرهيم عليه السلام
وعد اباه ان يستغفر له رجا اسلامه وهو قوله تعالى ساستغفر لك ربي وقوله ساستغفر لك
فلما تبين له انه عدو الله بموته على الكفر تبرا منه وقيل فلما تبين له في الاخرة انه عدو لله تبرا منه وذلك
ما رواه في الاخبار ان ابرهيم عليه السلام يقول يوم القيمة رب والدي رب والدي فاذا كانت الثالثة
يريه الله تعالى اباه فيقول له ابرهيم عليه السلام اني كنت امرك في الدنيا فتعصيني ولست بتاركك
اليوم بشر فخذ بخزي فيتعلق به حتى يريد الجواز على الصراط فاذا اردت ان تجاوزه به جانت من ابرهيم عليه
السلام التفاته فاذا هو بابيه في صورة ضبع فتخلى منه وتبرا منه يوميذ وعلى هذا التاويل يكون معنى الكلام
على الاستقبال تقديره سيرا وسيرا منه فان قيل كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جايز حتى وعده
اجيب بانه يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار
للكافر غير جايز انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر ان ابرهيم لاواه فعال من اوه الرجل تاوها
اذا قال اوه فالاواه هو الذي يكثر التاوه وقيل كان ابرهيم عليه السلام اذا ذكر النار قال اوه وقيل الخاشع
المتضرع وعن انس رضي الله عنه تكلمت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي يكرهه فنهاها عمر
رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانها اواهة قيل يا رسول الله وما الاواهة قال الخاشعة وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الاواه الدعا وعنه الاواه الرحيم وعن الضحاك رضي الله عنه هو الجامع
للدعا وعن الحسن وقتادة الرحيم بعباد الله وقيل الاواه الرضم بلغة الحبشة وعن بن عباس رضي الله
عنه المومن بالحبشة وعنه المومن التواب وعنه الموقن وعن عكرمة رضي الله عنه هو المستيقن بلغة
الحبشة وقيل هو المومن وقيل المسبح الذي يذكر الله تعالى في الارض القفرة الموحشة وقيل الكثير الذكر
لله عز وجل روي ان رجلا كان يكثر ذكر الله تعالى ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه اواه
وقيل هو الذي يكثر تولاة القران عن ابن عباس رضي الله عنه دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ميتا فقال يرحمك الله ان كنت لاواه يعني تلاء للقران وقيل هو الذي يجهر صوته بالذكر والدعا والقران وعن
ابي ذر رضي الله عنه كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعايه اوه اوه فشكاه ابو ذر للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال دعه فانه اواه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك
الرجل ليلا ومعه المصباح وعن النخعي رضي الله عنه الاواه الفقيه وعن الفرا هو الذي يتاوه من الذنوب
وعن سعيد ابن جبير رضي الله عنه المعلم للخير وقيل هو المشفق وكان ابو ذر رضي الله عنه يسمي الاواه

لشفقته

لشفقته ورافته عن عطاء هو الراجع عن كل ما يكره الله والخايف من النار وعن ابي عبيدة رضي الله عنه
هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج اصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر
صوتا من تنفس الصعدا والفعل منه اوه وتاوه حليم عمن مسه وناله بالمكروه فانه صلى الله عليه وسلم
استغفر لابيه عند وعيده اياه وشتمه وقوله لين لم تنته لارجمنك واهجرني مليا فقال صلى الله عليه
وسلم ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وعن بن عباس رضي الله عنه الحليم السيد قال صاحب الكشاف
ومعناه انه لفرط ترحمه ورافته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه
وقوله لارجمنك يعني ما امر الله عز وجل بايقانه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه

قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل
شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
انه تعالى لما منع المومنين ان يستغفروا للمشركين والمومنون كانوا قد استغفروا للمشركين قبل نزول
هذه الاية فانهم قبل نزول هذه الاية كانوا يستغفرون لابايهم وامهاتهم وساير قرابيهم ممن مات على الكفر
فلما نزلت هذه الاية خافوا بسبب ما صدر منهم قبل ذلك من الاستغفار وغيره للمشركين وايضا ان
اقواما من الذين استغفروا للمشركين كانوا قد ماتوا قبل نزول هذه الاية فوقع الخوف في قلوب المسلمين
كيف يكون حالهم فازال الله عنهم بهذه الاية وبين انه تعالى لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انهم يجب
عليهم ان يتقوه ويحترزوا منه وما كان الله يعني ما امر الله عز وجل بايقانه واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما نهى الله عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم الله للاسلام ولا يسميهم
ضلالا الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظرهم عليه وعلمهم بانه واجب للاجتناب والاتقا واما قبل العلم
والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر
من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وعن مجاهد رضي الله عنه بيان الله
سبحانه للمومنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في ترك معصيته ومخالفته وطاعته
عامة فافعلوا او ذروا وعن مقاتل والكلبي لما انزل الله تعالى الفرايض فعمل بها الناس جاء ما نسخها من القران
ومات ناس وهم يعملون الامر الاول من القبلة والخمر واشباه ذلك فسالوا عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم اي ما كان الله ليضل عمل قوم عملوا
بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ وعن الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون ما ياتون
وما يذرون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض لما امر بالبراة عن المشركين والمنافقين
احياء وامواتا بين ان له ملك السموات والارض وهو ناصركم فهم لا يقدرون على اضراركم قيل ان قوما من
المومنين قالوا لما امرنا بالانقطاع من المنافقين والمشركين فحينيذ لا يمكننا ان نختلط باباينا واولادنا

واخوانا لانه رءاكان اكثيرمنهم كافرين والمراد انكم وان صرتم محرومين عن معاونتهم ومناصرتهم فان
الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ناصركم فلا يضركم انقطاعكم عنهم وقبل لما امر الله تعالى
بهذه التكاليف الشاقة كانه قال وجب عليكم ان تنقادوا لحكمي لكوني الهكم ولكونكم عبيدا له ٥

قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم انه تعالى لما بين احوال
غزوة تبوك وبين احوال المتخلفين عنها وبسط القول في ذلك على الترتيب عاد في هذه الاية الى شرح
ما بقي من احكامها لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر
لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من هم من الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبي والمهاجرين والانصار وانما له لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاولين
صفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب
الله على النبي باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك وقال اهل المعاني هو مفتاح
كلام لما كان سبب توبتهم ذكر معهم لقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والانصار الذين
اتبعوه قيل ان المهاجرين والانصار رضي الله عنهم ما تحملوا مشاق هذا السفر ومتابعة وصبروا على تلك
الشدايد والمحن اخبر انه انما تحمل تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في طول
العمر وصارت قايمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص عن ظلها وقيل ان البرهان على ان اشد عليهم في ذلك
السفر وكان الوساوس تقع في قلوبهم فكلما وقعت وسوسة في قلب واحد منهم تاب الى الله سبحانه
وتعالى منها وتضرع الى الله في ازالتها عن قلبه فلكثرة اقدامهم على التوبة بسبب خطرات تلك الوساوس
سالهم قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وقيل لا بعد ان يكون صدر عنهم
معاصي لا انه تعالى تاب عليهم وعفى عنهم بسبب انهم تحملوا مشاق ذلك السفر ثم ان الله تعالى ضم ذكر
الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تعظيما على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة
التي لاجلها ضم الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم في قبول التوبة في ساعة العسرة اي وقت العشرة
ولهذه ساعة بعسرها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلقة كما استعملت الغداة والعشية
والنوم غداة طفت علماء بكر ان وابل عشية فارعنا جذام وحميرا اذ جاءنا يوما وادنى سمعي الغنا
والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقبون العشرة على بعير واحد وفي عسرة
من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة ولعنت بهم الشدة
اذ اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل
واعتصروا فرثها في شدة وظمإ من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة

من بعد

من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج
معه وفي كاد ضمير الشان وتشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله قراحمزة وحفص بالياء والباقون
بالتاء كاد عند بعض تفيد المقاربة وعند بعض تفيد المقاربة مع عدم الوقوع فهذا التوبة توبة عن تلك
المقاربة ثم تاب ذكرا ولا التوبة قبل ذكر الذنب ثم ذكرها احرازا تفخيما لشانهم وقيل انه تعالى قال لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة بسبب الوساوس التي كانت تقع في قلوبهم
في ساعة العسرة ثم ان الله تعالى قال من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم فبين ان الزيغ في قلوب فريق منهم
لا في كلهم وهو الوسوسة لا التوبة فذكر التوبة مرة اخرى بالنسبة الى هاولا الفريق ليلا يبقى في خاطر احد شك
في كونهم مواخذين سلك الوساوس للتوبة ثم قال انه بهم رؤف رحيم قيل الرؤف عبارة عن السعي في ازالة
الضر والرحمة عبارة عن السعي في ايصال النفع وقيل احدهما ارحم السابقة والاخرى اللاحقة ٥

قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ٥ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وعلى الثلاثة عطف على من تقدم والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار والذين اتبعوه
في ساعة العسرة وعلى الثلاثة والاولى ان يقال عطف على الضمير الذي في عليهم والضمير عايد على فريق منهم
والتقدير ثم تاب على فريق منهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك فلم يخرجوا وقيل خلفوا عن توبة
ابي لبابة واصحابه وارجي امرهم والثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية عن كعب
بن مالك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طاب الثمار واجنت الظلال
وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض
شيا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيا فقلت اتجهز بعد يوم او يومين ثم الحقهم
فغدوت بعد ان وصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيا ثم غدوت ثم رجعت ولم اقض شيا فلم يزل
بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك وكنت
اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفقت فيهم احزنني اني لا ارى الا
رجلا معموصا عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى وصل تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله
حبسه بردان ونظره في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله ما علمنا عليه الا خيرا يا رسول الله
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب رضي الله عنه فلما بلغني انه توجه قافلا فطفقت
اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لن اخرج منه ابدا
بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر
بدا بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه
ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم
واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت
امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى والله لو جلست عند
غيرك من اهل الدنيا لرايت اني سأخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن
حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق
تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي عذر والله ما كنت اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال
من بني سلمة فاتبعوني فقالوا والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوالله ما زالوا يوبخوني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا
معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع
وهلال بن اميه فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما
لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس
او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي
فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم وكنت اخرج فاشهد الصلاة
مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وهو في مجلسه
بعد الصلاة واقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم اصلي قريبا منه فاسارقه
النظر فاذا اقبلت على صلاتي اقبل الي واذا انفتلت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة الناس
مشيت حتى تسورت جدار حايط ابي قتادة رضي الله عنه وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه
فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت
فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا
انا امشي بسوق المدينة اذا انا ببعض من انباط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول
من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي جبرتا من ملك غسان فاذا فيه
اما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك

فقلت

فقلت لما قرأتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين
اذا رسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل
امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي مثل ذلك فقلت لامراتي
الحقي باهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال
لا ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه
هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك كما اذن لامراة هلال بن امية
ان تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسين ليلة
من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الصبح صبح خمسين ليلة وانا على
ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض
بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل يبلغ باعلى صوته يا كعب بشر فقال فخررت ساجدا
وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله سبحانه وتعالى علينا
حين صلى صلاة الفجر فذهبت الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركب الي رجل فرسا
وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني
نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله الذي سمعت ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئني بالتوبة يقولون لي لهنك
توبة الله تعالى عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها
لطلحة قال كعب رضي الله عنه فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول
الله ام من عند الله قال بل من عند الله سبحانه وتعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر
استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من
توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله سبحانه وتعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول
الله ان الله نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم احدا من المسلمين
ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني وما تعمدت

منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجوا ان يحفظني الله سبحانه
وتعالى فيما بقيت وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله سبحانه وتعالى علي من نعمة
قط بعد اذ هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون اكذبته فاهلك
كما هلك الذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب رضي الله عنه وكنا تخلفنا ايها الثلاثة عن
امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه قبل ذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو انما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه
فقبل منه حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي بما اتسعت اي ضاقت عليهم الارض بسعتها فضاقت
عليهم انفسهم هما وغما وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم
فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انين ولا سرور لانها خرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا
وايقنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ثم رجع اليهم بالقبول
والرحمة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة
ان الله سبحانه وتعالى تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة ان الله هو التواب الرحيم سئل ابو بكر
الوراق رضي الله عنه عن التوبة عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه قال ابو يزيد البسطامي رحمة الله عليه غلطت في اربعة اشياء في الابتدا
ظننت اني احبه فاذا هو حبني بقوله يحبهم ويحبونه وظننت اني ارضى عنه فاذا هو رضي عني لقوله رضي الله
عنهم ورضوا عنه وظننت اني اذكره فاذا هو ذكرني قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وظننت اني اتوب فاذا هو
تائب علي قال الله عز وجل ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب
يدل على ان قبول التوبة لمحض الرحمة واللزم لا للوجوب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله لما حكم سبحانه وتعالى
بقبول التوبة من هؤلاء الثلثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل ما مضى وهو التخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجهاد اتقوا الله سبحانه وتعالى في مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم وكونوا مع
الصادقين الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدهم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم على الطاعة من قوله سبحانه وتعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قيل محمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه وعن سعيد بن جبير مع ابي بكر رضي الله عنه وعمر وابن جريج رضي الله عنه مع المهاجرين
يدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون وعن ابن عباس رضي الله عنه واصحابه

وقيل

وقيل مع ال محمد صلى الله عليه وسلم وقيل مع الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن
عباس رضي الله عنه الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار الذين صدقت
نياتهم فاستقامت قلوبهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ووافقوهم
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل الخطاب لمن تخلف من الخلفاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود
رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا
مع الصادقين فهل فيها من رخصة **قوله تعالى** ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من
الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب
لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون ۞ لما بين الله سبحانه وتعالى بقوله وكونوا مع
الصادقين وجوب الكون في موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الغزوات والمشاهد اكد ذلك
فنهى هذه الله عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة ظاهره خبر ومعناه نهي ومن حولهم من الاعراب
سكان البوادي مزينة وجهينة واشجع وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله اذا غزا ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه في مصاحبة ومعاونة والجهاد معه عن الحسن لا يرغبون بانفسهم ان يصيبهم الشدائد مثل
ما يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه
الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما يلقاه نفسه علما بانها اعز نفس
عند الله سبحانه وتعالى واكرمها يدل عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للحرص في شدة وهول وجب
على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث بها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا ويكون اخف
شيء عندهم واهونه فضلا ان يرغبوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه
عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفسه وحمية ذلك اشارة الى ما دل
عليه قوما كان لهم عليه ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم
لا يصيبهم ظماء عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة والا مجاعة في سبيل الله على طريق الاجتهاد
ولا يطؤن موطئا مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون
في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا قتلا واسرا او غنيمة او هزيمة
يقال نلت الشيء فهو منيل ومنال الا كتب لهم به عمل صالح قال ابن عباس رضي الله عنه بكل روعة تنالهم
في سبيل الله سبعين حسنة ان الله لا يضيع اجر المحسنين فان اصابه ظماء سقاه الله
من نهر الحيوان فلا يصيبه ظماء بعده وان اصابه نصب اعطاه الغسل من نهر الحيوان فانقطع

منه النصب ومن خرج في سبيل الله لم يضع قدما ولا يدا ولا جنينا انفا ولا ركبة ولا ساجدا
ولا راكعا ولا ماشيا ولا راكبا ولا نائما من بقاع الارض الا اذن الله له بالشفاعة ويجوز ان يراد
بالوطء الارتفاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر لقوله صلى الله عليه وسلم اخر وطيئة وطيها الله
برج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كانا مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل
ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام
في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا
من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه
القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة مما يغيظهم وشكى فيهم ولقد اسهم النبي صلى
الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد انقضاء الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين
ابي امية وزياد ابن ابي لبيد وعكرمة ابن ابي جهل مع خمسماية نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم
وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين عن قتادة رضي الله عنه هذا الحكم من خواص
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الايمة
والولاة فان لمن شاء من المومنين ان يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين ضرورة ماسة قال وذكر لنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان اشق على امتي ما تخلف خلف راية تغزوا في سبيل الله تعالى
لكني لا اجد مدفعا فانطلق بهم معي ويشق علي ان ادعهم بعدي وقيل انها لاول هذه الامة واخرها
وقيل ان هذا كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى واباح التخلف لمن شاء فقال
وما كان المومنون لينفروا كافة الاية ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوطا في سبيل
الله ولا كبيرة مثل ما انفق عثمن في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم مقبلين او مدبرين
والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه
الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك
الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله متعلق بكتب اي
اثبت في صحايفهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون من جزا بالحسنة فله خير منها **قوله تعالى**
وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ۝ قيل ان هذه الاية من بقية احكام الجهاد عن بن عباس انه عليه
السلام كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب علم فلما بالغ الله في عيوب المنافقين
في غزاة تبوك قال المومنون والله لا نتخلف عن شي من الغزوات مع الرسول ولا مع سرية فلما قدم الرسول
عليه السلام المدينة وتعد الرايا الى الكفار نفر المومنون جميعا الى العدوة تركوه وحده بالمدينة

فنزلت

فنزلت هذه الاية والمعنى انه لا يجوز للمومنين ان ينفروا بكليتهم الى الغزو بل يجب ان يصيروا طايفتين
تبقى طايفة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلم تلك الشرايع ويحفظ تلك التكاليف ويبلغها الى الغايبين
فكان الواجب في ذلك الوقت ان ينفروا من كل فرقة طايفة الى الغزو وطايفة يقيموا في حضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة
اعظم اثرا من الجهاد بالسيف والطايفة النافرة من بينهم ولينذر الفرق النافرة قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم لعلهم يحذرون ولا يعملون بخلافه وقيل ان
هذه الاية ليست من بقايا احكام الجهاد بل هو حكم مستقل بنفسه فانه تعالى لما بين في هذه
السورة امر الجهاد والهجرة وهما عبادتان بالسفر بين ايضا عبادة التفقه من جهة الرسول صلى
الله عليه وسلم وله تعلق بالسفر فقال وما كان المومنون لينفروا كافة الى حضرة الرسول صلى الله
عليه وسلم ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وليس حاله كحال الجهاد معه الذي يجب ان يخرج فيه
كل من لا عذر له فلولا نفر من كل فرقة من الفرق الساكنين في البلاد طايفة الى حضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال والحرام ويعودوا الى اوطانهم فينذروا ويحذروا
قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم وهذه الاية حجة على ان خبر الواحد حجة بيانه ان الله تعالى اوجب ان يخرج
كل فرقة طايفة والفرق ثلاثة فالطايفة واحد او اثنين وقد اوجب العمل باخبار كل طايفة لقوله تعالى
لينذروا اي ليخبروا قومهم قوله لعلهم يحذرون ايجاب على قولهم باخبارهم وهذا يقتضي ان يكون خبر
الواحد او الاثنين حجة في الدين والاية دالة على انه يجب ان يكون المقصود من التفقه والتعلم
دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فانها دالة على ان الله تعالى امرهم
بالتفقه في الدين لاجل انهم اذا رجعوا الى قومهم ينذروهم بالدين الحق وهم يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون
في قبول الدين **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين عن الحسن رضي الله عنه انه قال هذه الاية نزلت
قبل الامر بقتال المشركين كافة ثم انها صارت منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين كافة والمحققون
انكروا هذا النسخ وقاتلوا المشركين القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الله
تعالى ارشدهم الى الطريق الاصوب وامرهم بان يبتدوا من الاقرب فالاقرب ونظيره قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا
الشام بكونكم يقربون منكم عن بن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك ونحوها وقيل اراد بهم
الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وهكذا الفروض على اهل ناحية
ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطروا اليهم اهل ناحية اخرى وليجدوا فيكم غلظة شدة وحمية وعن الضحاك

عنفا وعن الحسن صبرا على جهادهم ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو لجميع الجراة والصبر على القتال
وشدة العداوة والعنف في القتل وللاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين
ينصر من اتقاه فلم يتراف على عدوه ويكون اقدامه على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب الجاه والمال
فاذا راه قبل الاسلام احجم عن قتاله واذا راه مال الى قبول الجزية وهو من اهلها تركه واذا كسر العدو واخذ
الغنائم عمل فيها على وفق حكم الله تعالى **قوله تعالى** واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون لما ذكر قبائح افعال المنافقين وفضائحهم قال
واذا ما انزلت سورة فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء
بالمومنين وباعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتدا وقيل
مقصودهم تثبيتهم قومهم على النفاق وقيل يقول المنافقون لعوام المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان
ثم انه تعالى اجاب فقال فاما الذين امنوا فزادتهم السورة المنزلة ايمانا لانهم ازيد نفس وطمانينة
القلب وابلج للصدر وقيل فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الدنيا والايمان لان الايمان يقع على
الاعتقاد والعمل وهم يستبشرون بنزول الفرايض وثواب الاخرة وما يحصل في الدنيا من النصر والظفر
والفرح والسرور ثم جمع للمنافقين امرين مقابلين للامرين المذكورين في المومنين الاول زيادة الرجس
والى هذا اشار بقوله واما الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما
الى كفرهم وضلالا الى ضلالهم وشكا الى شكهم وايما الى اثمهم لانهم كلما جددوا بتجدد الوحي كفرا ونفاقا
ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم والثاني ان يموتون على كفرهم واليه الاشارة بقوله وهم كافرون
واما الذين في قلوبهم مرض يدل على ان الروح لها مرض فمرضها الكفر والاخلاق الذميمة وصحتها العلم
والاخلاق الجميلة **قوله تعالى** اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون لما بين الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون وذلك يدل على عذاب
الاخرة بين انهم لا يتخلصون في كل عام مرة او مرتين عن عذاب الدنيا قرا حمزة اولا ترون بالتاء على الخطاب
للمومنين والباقون بالياء خبرا عن المنافقين فعلى قراة المخاطبة كان المعنى ان المومنين سواء على
اعراض المنافقين عن النظر والتدبر وعلى المغايبة كان المعنى تقريع المنافقين بالاعراض عن المنافقين
بما يحدث في حقهم في ذلك من الامور الواجبة للاعتبار انهم يفتنون يختبرون في كل عام مرة او مرتين
عن حذيفة رضي الله عنه يكذبون كذبة او كذبتين يصلون فيه وعن مجاهد يفتنون بالقحط والشدة
والمرض والوجع وعن قتادة بالغزو والجهاد وقيل يفتنون فيعترفون مرة انه نبي وينكرون اخرى وقيل
يفتنون وقيل يكرون وعن مقاتل يفتضحون باظهار نفاقهم وعن عكرمة ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون

وعن ثمان

وعن ثمان ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون بما صنع الله
بهم ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم **قوله تعالى** واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون هذا نوع اخر من فضايح
المنافقين ومخازيهم وهو انه اذا ما انزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وفضائحهم وسمعوها تادوا
من سماعها ونظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قايلين هل يريكم من احد من
المسلمين ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم قاموا وثبتوا ثم انصرفوا عن
الايمان بها عن الضحاك هل يريكم من احد يعني اطلع احد منهم على سرايركم مخافة القتل قال الله تعالى
صرف الله قلوبهم عن الايمان بالقران عن ابن عباس عن كل رشد وخير وهدى وعن الحسن صرف الله
قلوبهم فطبع عليها بكفرهم وقيل اضلهم الله بانهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يتفقهوا **قوله
تعالى** لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم
لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ في هذه السورة الى الخلق تكاليف شاقة شديدة
صعبة يعسر تحملها الا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب
سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا
فهو عايد اليكم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم تعرفون نسبه وجنسه وحسبه
ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شقاق لكونه بعضا
منكم عنتكم ولقاوكم المكروه ونزول المشقة والمضرة عليكم وعن ابن عباس ما ضللتم وعن الكلبي والضحاك
اثمتم وعن الكلبي ما اعنتكم فضركم وقيل ما هللتم عليه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم اي على ايمانكم وهدايتكم وصلاحكم وعن قتادة حريص عليكم اي على ضلالكم ان يهديكم الله
وقيل حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين
منكم ومن غيركم روف رحيم وقيل روف بالمومنين رحيم بالمذنبين وقيل روف باقربايه رحيم باوليايه
روف بمن راه رحيم لمن لم يره قوله بالمومنين روف رحيم يفيد الحصر على معنى لا رافة ولا رحمة
الا بالمومنين واما الكافرون فليس لهم به رافة ورحمة عن الحسن بن الفضل لم يجمع الله لاحد
من الانبيا بين اسمين من اسمايه الا للنبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۝ فان اعرضوا
عن الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله فاستعن بالله تعالى وفوض اليك فهو كافيك معرتهم
ولا يضروك وهو ناصرك عليهم

سورة يونس عليه السلام مكية

وهي مايه وتسع ايات وعشرة الاف وثمان مايه وتسعة وثمانون حرفا والفان وخمس مايه

كلمة غير واحدة وعن بن عباس ان هذه السورة مكية الا قوله ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به
وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت في اليهود ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم قرا نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء
على التفخيم وابو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الراء على الامالة وروى نافع وابن عامر وحماد عن عاصم
بين الفتح والكسر واعلم ان كلها لغات صحيحة قال الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات
من نحو ما ولا لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء واما من امال فلان هذه الالفاظ اسما للحروف
المخصوصة فقصد بذكر الامالة التنبيه على انها اسما لا حروف واتفقوا على ان قوله الر وحده ليس
اية واتفقوا على ان طه وحده كلمة قال الامام والفرق ان قوله الر لا يشاكل تقاطع الاي التي بعده
بخلاف قوله طه فانه يشاكل تقاطع الاي التي بعده عن بن عباس رضي الله عنه الر معناه انا الله
ارى وقيل انا الرب لا رب غيري وقيل الر وحم ونون حروف اسم الرحمن وقيل الر تعديد للحروف على طريق
التحدي تلك ايات الكتاب قيل اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران وقيل اشارة الى ما تضمنه
هذه السورة من الايات وقيل الكتاب الحكيم هو القران وقيل هو الكتاب المخزون المكنون عند الله الذي
منه نسخ كل كتاب كما قال تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون وقال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل الكتاب
السورة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمعنى ان القصص المذكورة في هذه السورة موافقة للقصص
المذكورة في التورية والانجيل مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان عالما بالتورية والانجيل فحصول
الموافقة لا يمكن الا اذا خص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بانزال الوحي اليه وقيل تلك اشارة الى حروف
التهجي يعني ان تلك الحروف هي الاشيا التي جعلت ايات وعلامات لهذا الكتاب الذي وقع به التحدي
فلولا امتياز هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف العجيب والا لكان اختصاصه بهذا النظم دون
ساير الناس القادرين على التلفظ بهذه الحروف محالا الحكيم قيل المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام
وقيل الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها وقيل وصف وقيل وصف الكتاب بصفة من تكلم به
قال الاعشى وعربية ياتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها وقيل الحكيم الحاكم فعيل بمعنى فاعل دليله
قوله تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فان القران كالحاكم في الاعتقادات
يميز حقها عن باطلها وفي الافعال يميز صوابها عن خطايها وكالحاكم على ان محمدا صادق في دعوى النبوة
لان المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليست الا القران وقيل الحكيم المحكم والاحكام المنع
من الفساد والمراد منه انه لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا يغيره الدهور والمراد براته من الكذب
والتناقض وعن الحسن وصف الكتاب بالحكيم لانه تعالى حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى

وينهى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وحكم فيه بالجهل والنار لمن عصاه والجنة لمن اطاعه فعلى هذا الحكيم
المحكوم فيه فعيل بمعنى المفعول وعن عطا حكيم بما حكم فيه من الارزاق والاجال وبما شاء وقيل ان الحكيم
هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على هذه المعاني صار كانه هو الحكيم في نفسه **قوله
تعالى** اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين عن بن عباس لما بعث الله عز وجل محمدا
صلى الله عليه وسلم رسولا تعجب كفار قريش من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة والوحي
اليه مع انه رجل منهم فانكر الله تعالى عليهم ذلك التعجب اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب والتعجب
منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره تقديره اكان للناس عجبا ايحاونا الى رجل منهم يعني محمدا للناس
عجبا اي انهم جعلوه لهم عجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاوهم وانكارهم والذي
تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من اقتار حالهم دون عظيم من عظمايهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله للناس الا اسم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار
ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا
بشرا مثلهم قال الله تعالى لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ان انذر الناس ان
هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله ان انذر الناس
على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق اي بان لهم الباء محذوف
قدم صدق اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقيل ثواب صدق وقيل الاعمال الصالحة وعن بن عباس
رضي الله عنه سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وعن قتادة رضي الله عنه سلف صدق وعن زيد
ابن اسلم محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم وعن يمان ايمانهم وعن عطا مقام صدق لا زوال فيه ولا بوس
نعيم مقيم وخلود لا موت فيه وعن الحسن رضي الله عنه عملا اسلفوه يقدمون عليه وقيل هو تقديم
الله هذه الامة في البعث يوم القيمة بيانه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وقيل
هو عدة الله لهم وقيل سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة سميت السابقة قدما لان السعي والسبق
بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته
الى صدق دالا على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة واضيف القدم الى الصدق وهو بعثه كما
لمسجد الجامع وحب الحصيد قال الكافرون ان هذا لسحر قرا ابن كثير وحمزة والكسائي لساحر اي ان محمدا
لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون لسحر ان هذا القران الذي جاء به
محمد لسحر ووصف الكفار محمدا بالساحر والقران بالسحر دال على عظم محل القران عندهم وعلى انهم عجزوا

عن معارضته وعلى اعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا قيل اراد به انه كلام من حرف جنس الظاهر
لكنه باطل في الحقيقة ولا حاصل له وقيل ارادوا به انه اكمال فصاحته وتعذر مثله جاريا مجرى السحر وهذا الكلام
في غاية الفساد لانه صلى الله عليه وسلم كان منهم ونشا بينهم وما غاب عنهم ولا خالط احدا سواهم وما كان مكة
بالذة العلما والاذكيا حتى يقال انه تعلم السحر منهم او تعلم العلوم الكثيرة منهم فقدر على الاتيان بمثل هذا القران
واذا كان الامر كذلك حمل القران على السحر كلاما في غاية الفساد في هذا فلهذا السبب ترك جوابه **قوله
تعالى** ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ۝ لما حكى عن الكفار انهم تعجبوا
امر الوحي والرسالة ثم انه تعالى ازال ذلك التعجب في انه لا بعد البتة في ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا
يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وعلى الاعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب كان هذا الجواب انما يتم ويكمل
باثبات امرين احدهما اثبات ان لهذا العالم الها قادرا قاهرا نافذ الحكم والنهي والامر والتكليف والثاني
اثبات الحشر والنشر والبعث والقيمة حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان اخبر الانبيا عليهم السلام
عن حصولهما فلا جرم انه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيق هذين المطلوبين اما الاول وهو اثبات
الاله فقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض واما الثاني وهو اثبات المعاد والحشر
والنشر فقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا فثبت ان هذا الترتيب في غاية الحسن يدبر الامر
يقضي ويدبر بقدر بارادته ومشيته على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في افعاله
الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي والامر الشان اي يدبر احوال الخلق
كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه لخلق السموات والارض
مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستوا على العرش وابتغا هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج امر من الامور من قضايه وتقديره ما من شفيع اي تدبير هذه الاشيا وصنعه لها لا يكون بشفاعة
شفيع وتدبير مدبر ولا يستجري احد ان يشفع عنده بشي الا بعد اذنه لانه تعالى اعلم بمواضع الحكمة والصواب
فلا يجوز لهم ان يسلوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح فان قيل ذكر الشفيع انما يليق باحوال القيمة
فكيف ذكر في مبدا الخلق اجيب بان الكفار كانوا مخاطبين بهذه الاية وكانوا يقولون ان الاصنام
شفعاونا عند الله فالمراد منه الرد عليهم في هذا القول فهو دليل على العزة والكبريا لقوله تعالى يوم يقوم
الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وبانه تعالى بين كونه الها للعالم مستقلا بالتدبير
من غير شريك ولا منازع بين امر المبتدا بقوله يدبر الامر وبين حال المعاد بقوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه وبانه تعالى وضع تدبير الامور في اول خلق العالم عن احسن الوجوه واكملها فدل على انه اله العالم
ناظر لعباده يحسن اليهم مريد للخير رحيم بهم ولا حاجة في كونه سبحانه كذلك الى شفيع يشفع فيه وقيل

الشفيع

الشفيع ها هنا هو الثاني وهو ماخوذ من الشفيع الذي يخالف الوتر فمعنى الاية خلق السموات والارض
ولا شريك يعينه ثم خلق الملايكة والجن والبشر الا من بعد اذنه اي لم يحدث احدا ولم يدخل في الوجود الا
من بعد قال له كن حتى كان وحصل ذلكم الله ربكم اشارة الى العلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف
بما وصف هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيا من ملك او بشر
فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه
من عبادة الاصنام وهذا يدل على ان التفكر في مخلوقات الله والاستدلال بها على عزته وعظمته
اعلى المراتب واكمل الدرجات فانه يخلص عن الشرك بالله **قوله تعالى** اليه
مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون لما ذكر الدلايل الدالة على المبدا
اردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا
للقايه اي مرجعهم لا بحيث لا حاكم سواه والمرجع بمعنى الرجوع وجميعا نصب على الحال وعد الله
منصوب على انه مصدر موكد اليه مرجعكم على معنى وعدكم الله وعدا لان قوله اليه مرجعكم معناه الوعد
بالرجوع وقوله حقا مصدرا منصوب موكد لقوله وعد الله اي صدقا لا خلف فيه انه يبدا الخلق لما
اخبر عن وقوع المعاد ذكر بعده ما يدل على انه ممكن في نفسه بيانه انه بين بالدلايل القاطعة والبراهين
الساطعة كونه خالقا للسموات والارض وخالقا لكل شي اي مشي وقد ثبت في عقل كل عاقل ان كل من كان
قادرا على كل شي وكانت قدرته باقية يمتنع الزوال وكان عالما بجميع المعلومات فانه يمكنه اعادته بعينه
فقوله انه يبدا الخلق استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه ليجزي الذين امنوا المقصود منه
اقامة الحجة على انه لا بد من حصول المعاد حتى يحصل الفرق بين المسي والمحسن وحتى يحصل الثواب بين
المطيع والكافر على اللام في قوله ليجزي للعاقبة لا للتعليل حقيقة لما ثبت بالدلايل القطعية ان افعال الله
لا تعلل بالقسط وهو متعلق بقوله ليجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه وحصر المومنين بالقسط افادة لزيادة
العناية في حقهم والمعنى ليجزي الذين امنوا بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يقسطوا انفسهم حين امنوا
وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهذا اوجه
لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار قد انتهى حره وهو بمعنى مجموع
يقال حممت الماء اسخنته احميته ومنه الحمام **قوله تعالى** هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات
لقوم يعلمون لما ذكر الدلايل الدالة على الالهية ثم فرغ منها صحة القول بالمعاد عاد مرة اخرى الى
ذكر الدلايل الدالة على الالهية وهو الاحتجاج باحوال الشمس والقمر وفيه حجة الى ما يوكد الدليل الدال على صحة

المعاد لانه تعالى اثبت القول بصحة المعاد بناء على انه لا بد من ايصال الثواب الى اهل الطاعة
وايصال العقاب الى الكفار وانه يجب في الحكم تمييز المحسن عن المسيء ثم انه تعالى ذكر في هذه الاية انه
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ليتوصل بذلك المكلفون الى معرفة السنين والحساب
فيمكنهم ترتيب مهمات معاشه من الزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف فكانه تعالى يقول
تمييز المحسن عن المسيء والمطيع عن العاصي اقتضى في الحكمة تعليم احوال السنين والشهور فلما اقتضت
الحكمة والرحمة خلق الشمس والقمر لهذا المهم الذي لا يقع له فبان يقتضي الحكمة والرحمة تمييز المحسن عن المسيء
بعد الموت مع انه يقتضي النفع الابدي والسعادة السرمدية كان ذلك اولى فلما كان الاستدلال باحوال
الشمس والقمر من الوجه المذكور في هذه الاية مما يدل على التوحيد من وجه وعلى صحة المعاد من الوجه
الذي ذكره الله هذا الدليل بعد ذكر الدليل على صحة المعاد ضياء اصلها ضواء قلبت الواو ياء لانكسارها
قبلها والنور كيفية قابلة للشدة والضعف اضعف نورا من نور اول الصباح قبل طلوع الشمس
وهو اضعف من النور على الجدران عند طلوع الشمس وهو اضعف من الساطع من الشمس على الجدار
وهو اضعف من الضوء القائم بتحريم الشمس والنور عرض وكذلك الشعاع الفائض من الشمس وحدوثه
في هذا العالم باحداث الله تعالى هذه الكيفية اذا كانت قوية والدليل على هذا انه تعالى سمى الكيفية القائمة
بالشمس ضياء والكيفية القائمة بالقمر نورا والمضاف محذوف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور
ويجوز ذلك لانه لما عظم الضياء والنور فهما جعلا نفس الضياء والنور كما قال للرجل العادل انه عدل والرجل
الكريم انه كرم وقدره اي قدر القمر منازل اي مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه فالضمير
المفعول في قدره راجع الى القمر وحده لانه يسير القمر يعرف الشهور لان الشهور المعتبرة في الشريعة هي
القمرية كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
وقيل انما وحد الضمير للايجاز والا فهو في معنى التثنية اكتفاء بالمعلوم لان عدد السنين انما يعرف
بسير الشمس ونظيره قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه قال الامام انتفاع الخلق بضياء الشمس
ونور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة الشمس ينفصل السنة الى الفصول
الاربعة ينتظم بصالح هذا العالم وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة ضوئه ونقصانه
يختلف احوال رطوبات هذا العالم وبحسب الحركة اليومية يحصل النهار والليل فالنهار يكون زمانا للكسب
والطلب والليل يكون زمان الراحة والحساب وحساب الاوقات من الاشهر الايام والليالي وكل هذا
يدل على عظم قدرته وغاية رحمته ثم قال ما خلق الله ذلك الا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا
ونظيره قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا يفصل الايات نبين الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة واحدا عقيب الاخر

فصلا

فصلا فصلا مع الشرح والبيان قرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم يفصل بالياء والباقون بالنون
لقوم يعلمون علما يعم الكل ترك المفعول واطلاق العلم يفيد هذا وقيل يتفكرون ويعلمون فوائد مخلوقاته واثار
احسانه خص العلماء بالذكر لانهم المنتفعون بهذه الدلائل كما في قوله تعالى انما انت منذر من يخشاها ه

قوله تعالى ان في ~~خلق السموات والارض~~ واختلاف الليل والنهار وما خلق الله
في السموات والارض لايات لقوم يتقون استدل على الالهية والتوحيد اولا بخلق السموات والارض
من احوال البرق والرعد والسحاب والامطار والثلوج ومن الاحوال الحادثة في النار والهواء والماء والارض
واحوال البحار والجور واحوال الصواعق والزلازل والخسف واحوال المعادن واحوال النبات والحيوانات
وتفاصيل تلك الاحوال والاستقصاء في بيانها خارجة عن طاقة البشر لقوم يتقون لانهم يحذرون العاقبة
فيدعوهم الحذر الى النظر والتفكر قيل من تدبر في هذه الاحوال يعلم ان الدنيا غير مخلوقة لبقاء الناس
فيها وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب
وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال على الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المعاد ه

قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم
عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون لما اقام الدلائل القاهرة على صحة
القول باثبات الاله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد شرع بعده في بيان احوال من يكفر بها
واحوال من يؤمن بها فذكر احوال الكافرين في هذه الاية ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون
عقابنا ولا يرجون ثوابنا ولا يتوقعون لقاءه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم
المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء
او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة فاختاروها
وعملوا لها واثروا العليل الفاني على الكثير الباقي لقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة واطمأنوا
بها وسكنوا اليها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن اياتنا
اذ لنا غافلون لا يعتبرون وعن ابن عباس رضي الله عنه عن اياتنا محمد والقران غافلون معرضون
تاركون مكذبون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب **قوله تعالى**
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات نعيم
دعواهم فيها سبحانك اللهم ~~وبحمدك~~ وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
ذكر احوال الكافرين في الاية المتقدمة ثم ذكر في هذه الاية احوال المؤمنين الذين عملوا الصالحات
قال الامام ان النفس الانسانية لها قوتان نظرية كمالها في معرفة الاشياء وسلطانها ومعرفة
الله تعالى وغلبة كمالها في فعل الخيرات والطاعات ورئيس الاعمال الصالحة وسلطانها عبودية الله

تعالى وقوله ان الذين امنوا اشارة الى كمال القوة النظرية معرفة الله وقوله وعملوا الصالحات اشارة
الى كمال القوة العملية بعبودية الله تعالى ولما كانت القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف
والرتبة قدمها في الذكر وقيل ان الذين امنوا اى صدقوا بقلوبهم وعملوا الصالحات ثم حققوا التصديق
بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله وقيل ان الذين امنوا اشغلوا قلوبهم وارواحهم
بتحصيل المعرفة وعملوا الصالحات شغلوا ارواحهم بالعبودية فاعينهم مشغولة بالاعتبار كما قال تعالى
فاعتبروا يا اولى الابصار واذانهم مشغولة بسماع كلام الله كما قال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
والسنتهم مشغولة بذكر الله كما قال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وجوارحهم مشغولة
بطاعة الله كما قال تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء لما وصفهم بالاعان والعمل الصالح ذكر بعد ذلك
درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي اربعة الاول قوله يهديهم ربهم باعانهم الى الجنة وكذلك
جعل يجري من تحتهم الانهار والاخر بنورا عانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يجري من تحتهم الانهار ساقاه
وتنكيرا لان التمسك بالاعان الذي هو العروة الوثقى يهديهم الى جنة الخلد وملك لا يبلى وقيل يهديهم
في الاخرة بنورا عانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايانهم وقوله تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به وقال صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فتكون له فيه نور وقايد الى الجنة والكافر اذا خرج
من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فتطلق به حتى يدخله النار يجري من تحتهم بحور
او يكون مستانفا وان يكون حالا من ضمير المفعول في يهديهم وقيل يجوز ان يكون خبرا بيانا ولم يرد انها
تجري من تحتهم لانهم فوقها لان الجنة تجري من غير اخاديد بل اراد منه انهم يكونون جالسين
على سرر من فوعة في المساكن والانهار تجري من تحت ايديهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك
سريا وهي ما كانت قاعدة عليها ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي اى بين يدي
قال صاحب الكشاف فان قلت دلت هذه الاية على ان الاعان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والسرور يوم القيمة هو اعان مقيد وهو الاعان المقرون بالعمل الصالح والاعان الذي لم يقترن بالعمل
الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع العمل محموعا فيما سبق الاعان
والعمل كانه قال ان الذين امنوا جمعوا بين الاعان والعمل الصالح ثم قال باعانهم اى باعانهم هذا المضموم
الى العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه ولقايل ان يقول مفهوم الترتيب وان دل على ان
سبب الهداية هو الاعان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله باعانهم على استقلال الاعان بالسببية
وان العمل الصالح كالتمة والردف له وعود الضمير في يهديهم وفي اعانهم على الموصول مع صلته المشتملة
على المعنيين لا ينافي استقلال الاعان بالسببية والحق ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم

ربهم بايمانهم بمقتضى الوعد الى الجنة والذين لا يرجون لقاء الله والذين هم عن اياتنا غافلون اى
الكفار ما واهم النار بمقتضى الوعيد بيان الذين امنوا وعملوا الصالحات خارجون عن الفريقين
فهم تحت المشية ان شا عفا عنهم وادخلهم الجنة وان شا ادخلهم النار ثم يكون عاقبتهم الخروج من النار
والدخول في الجنة تحكم في مثقال ذرة خيرا يرون دعواهم فيها دعاؤهم يقال دعا بدعوا دعا
ودعوى لان اللهم نداء الله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول الناس في دعا القنوت اللهم اياك
نعبد ولك نصلي ونسجد وقيل دعواهم اى عباداتهم كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله اى
وما تعبدون وقوله انكم وما تعبدون اى تدعون على معنى انكم لا عبادة لاهل الجنة الا تسبحانك اللهم
والحاصل انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عاداتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس
بعباده انما هو تنعم مشغوف بالمدة او ابتهاج لا طلفة فيه كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا
مكا وتصدية سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسبيح الله قال تنزيه من كل سوء
قال المفسرون هذه الكلمة علم بين اهل الجنة وبين الخدام في الطعام فاذا اشتهوا شيا من الطعام
والشراب قالوا سبحانك اللهم فياتيهم في الوقت ما يشتهون على مايدة ميل في ميل فاذا فرغوا من الطعام
والشراب حمدوا الله على ما اعطاهم وذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولم يرد
اخر كلام يتكلمون به ولكن اخر دعاهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وقيل علم الله
ان اهل الجنة يفتتحون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بحمده وثنايه وقيل ان اهل الجنة لما استعدوا
بذكر تسبحانك اللهم وبحمدك وعاينوا ما فيه من السلامة عن الافات والمخافات علموا ان كل هذه الاحوال
السنية والمقامات القدسية انما تيسر بفضل الله واحسانه اشتغلوا بالحمد والثناء فقالوا
الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على هذا الكلام لان اشتغالهم بتسبيح الله من اعظم نعم الله
عليهم والاشتغال بشكر النعم متاخر عن رويته بل النعمة فلهذا السبب صار اخر دعواهم ان الحمد
لله رب العالمين وتحيتهم فيها سلام اى حيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم
بالسلام فالاول اضافة المصدر الى الفاعل والاخر الى المفعول وقيل تحية الله اياهم وانا هي المخففة
من الثقيلة واصلها انه الحمد لله على ان الضمير للشان وقيل ان لكل انسان بحسب مرتبته معراج
فتارة ينزل عن ذلك المعراج وتارة يصعد اليه ومعراج العارفين الصادقين معرفة الله وتسبيحه
وتحميده فاذا قالوا سبحانك الله فهم في عين المعراج ثم اذا نزلوا منه الى عالم المخلوقات كان الحاصل
عند ذلك الزوال مشاهدة افاضة الخير على جميع المحتاجين وايده الاشارة بقوله تحيتهم فيها
سلام ثم انه مرة اخرى يصعد الى معراجه وعند الصعود يقول الحمد لله رب العالمين فهذه
الكلمات العالية اشارة الى اختلاف احوال العبد بسبب الجزال والعروج قوله تعالى

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون لما وصف الله الكفار بانهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وكانوا
عن اياتنا غافلين بين ان من غفلتهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم متى انذرهم استعجلوا العذاب
جهلا منهم وسفها اي ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير لعجل له والمعنى ولو يعجل الله للناس اي
لاهل مكة اجابة دعايهم في الشر كاستعجالهم له بالاجابة لقضي اليهم اجلهم اي لفرغ من هلاكهم ولماتوا
جميعا وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء يدل عليه قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث والحساب ولا يأملون
الثواب ولو يعجل الله متضمن نفي التعجيل كانه قيل ولا يعجل الله لهم الشر ولا يقضي لهم اجلهم فنذرهم
في طغيانهم يعمهون بحكم المشية قرا ابن كثير لقضي بالفتح ونصب اجلهم على البنا للفاعل وهو الله والباقون
بضم القاف ورفع اجلهم **قوله تعالى** واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
بين الله تعالى في الاية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد في الدنيا لقضي اجلهم فبين في هذه الاية
ما يدل على ضعفه ليكون ذلك مؤكدا ما ذكر من انه لو انزل عليه العذاب لمات وقيل انه تعالى حكى عنهم
انهم يستعجلون في نزول العقاب ثم بين في هذه الاية انهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال لانه
لو نزل بالانسان ادنى شي يكرهه ويوذيه فانه يتضرع الى الله في ازالته عنه وذلك يدل على انه غير صادق
في هذا الطلب والمقصود من هذه الاية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند وجود
النعماء فاذا مسه الضر الشدة والجهد دعانا لجنبه مضطجعا في موضع الحال يدل على ذلك عطف الحالين
عليه اي دعانا مضطجعا او قائما او قاعدا معناه ان الانسان اذا مسه الضر لا يزال داعيا لا يفتر
عن الدعا حتى يزول عنه الضر يدعونا في جميع حالاته كان مضطجعا عاجز النهض متخاذل النوء او كان
قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها
والمسحة بتمامها وقيل يجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف
وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلا لان
الانسان للجنس من اي مضى واستمر على طريقة الاولى قبل ان يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد
والبلاء والشكر والدعا وقيل مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين الله او الشيطان
بوسوسته ما كانوا عن الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات وقيل زين للمسرفين المجاوزين الحد في الكفر
والمعصية ما كانوا يعملون من الكفر والمعصية والاسراف يكون في النفس والمال ومعنى الكلام اسرفوا في عبادتهم

واسرفوا

واسرفوا في نفقاتهم **قوله تعالى** ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم
رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم
لننظر كيف تعملون لما بين انهم كاذبون في الطلب لانه لو نزلت بهم افة اخذوا في التضرع الى الله
في ازالتها والكشف عنها بين في هذه الاية ما يجري مجرى التهديد وهو انه تعالى قد انزل بهم عذاب الاستيصال
ولا يزيله عنهم والغرض منه ان يكون ذلك رادعا لهم عن قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء لانهم متى جمعوا ان الله تعالى يجيب دعاهم وينزل عليهم عذاب الاستيصال ثم سمعوا من اليهود
والنصارى ان ذلك قد وقع مرارا كثيرة صار ذلك رادعا لهم وزاجرا عن ذكر ذلك الكلام لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا للتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله
ما كانوا ليؤمنوا اللام في ليؤمنوا لتاكيد النفي اي وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وما كانوا ليؤمنوا يجوز
ان يكون عطفا على ظلموا فيكون تاكيدا لمضمون الكلامين عند مجيئهم بالبينات هو نفي ايمانهم ويجوز ان يكون اعتراضا
فيكون تاكيدا لمضمون الكلامين اي اهلكنا القرون وجاءتهم رسلهم بالبينات لان مثل ذلك الاهلاك حال
مجيئهم بالبينات لا يكون الا لمن لم يؤمن قط وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وتكذيبهم يجري ويعاقب
ويهلك القوم المجرمين المشركين بتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تخويف لكفار مكة فعذاب
الامم الخالفة المكذبة ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض
بعد القرون التي اهلكناهم لننظر لنرى كيف تعملون وهو اعلم بهم وكيف في محل النصب بقوله تعملون لا بنظر
لان معنى الاستفهام فيه يجب ان يتقدم عليه عامله فان قيل كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقاتلة
اجيب بانه مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشي موجود شبه بنظر الناظر وعيان المعاين
في تحققه **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ايت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم هذا نوع اخر من شبهاتهم وكلماتهم التي ذكروها في الطعن
في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حكاها الله في كتابه واجاب عنها واذا تتلى عليهم اي على مشركي مكة وعن مقاتل
هم خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة وبكر بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي
قيس العامري والعاص بن عامر قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ايت بقران ليس فيه ترك عبادة اللات
والعزى ومناة وهبل وليس فيها عيبهم عاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
قالوا ايت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بكلام تكلم به انت من تلقاء نفسك
عن الكلبي نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد ايت بقران غير هذا فيه ما يسالك او بدله ايت بان تجعل مكان
اية عذاب اية رحمة وان تسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل فقال قل يا محمد ما يكون لي

ان ابدله من تلقاء نفسي كقولك ما يكون لي اذا قول ما ليس لي بحق من تلقاء نفسي من قبل نفسي ومن عندي
ان اتبع الا ما يوحى الي لا اني ولا اخر رسما من نحو ذلك الا متبعا الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت
اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم قال صاحب الكشاف فان قلت ما ظهر وتبين لهم
العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ايت بقران غير هذا قلت بلى ولكن كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا
يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فنسبوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم
ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله بمثل علمهم بان العرب مع كثرة فصاحتها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد
منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ايت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته
واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان
قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال
قران مكانه اخر ففيه انه من عندك واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان
وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله تعالى فيتخلصوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعل التبديل حجة عليه
وتصحيحا لافترائه على الله **قوله تعالى** قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون قد بين فيما سلف ان القوم لما التمسوا منه ذلك
الالتماس لاجل انهم اتهموه بانه هو الذي ياتي بهذا الكتاب من عند نفسه على سبيل الاختلاق لا على سبيل
كونه حيا من عند الله فلهذا المعنى احتج النبي صلى الله عليه وسلم على فساد هذا الوهم بما ذكره تعالى في هذه
الاية وتقديره ان اولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول عمره الى ذلك
الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا
الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على حقايق علم الاصول ودقايق علم الفروع ولطايف علم الاخلاق
واسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته مصاقع الفصحاء واكابر البلغاء فكل من له عقل سليم فانه يعرف
ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي من عند الله لو شاء الله ما تلوته عليكم اي تلاوته ليست بمشية الله
واظهاره امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة
من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليهم كتابا فصيحا يبهر به كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين
ظهرانيكم اربعين سنة يطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك
ولا عرفه احد بعده من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادريكم ولا اخبركم به من الدراية بمعنى العلم فقد
لبثت فيكم عمرا اي اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم يعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت

متواصفا

متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من قبلي
وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ايت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه **قوله تعالى**
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون انهم التمسوا منه قرانا من
عند نفسه ونسبوه الى انه انما ياتي بهذا القران من عند نفسه ثم انه اقام البرهان القاهر
الظاهر على ان ذلك باطل وان هذا القران ليس الا بوحي الله وتنزيله فعند هذا قال ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا والمراد ان هذا القران لو لم يكن من عند الله لما كان احدا اظلم على نفسه
من حيث افتريته على الله ولما اقمت الدلايل على انه ليس الامر كذلك بل هو بوحي من عند الله تعالى
وتنزيله وجب ان يقول انه ليس في الدنيا احد اجهل ولا اظلم على نفسه منكم لاجل انه لما ظهر بالبرهان
المذكور كونه من عند الله فاذا انكرتموه كنتم كذبتم بايات الله فوجب ان يكون اظلم الناس والحاصل
ان قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا المقصود منه نفي الكذب عن نفسه وقوله او كذب
باياته المقصود منه الحاق الشديد بهم حيث انكروا الدلايل وكذبوا بايات الله وقيل فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا وزعم ان له شريكا او صاحبة او ولدا او كذب باياته بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران انه لا يفلح المجرمون المشركون تاكيد لما سبق من الكلامين **قوله تعالى**
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون لما التمسوا من الرسول
قرانا غير هذا القران او تبديل هذا القران لان هذا القران مشتمل على ذكر الاصنام التي جعلوها
الهة لانفسهم ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما يدل على قبح عبادة الاوثان ويعبدون من دون الله
الاوثان التي هي جماد لا تضرهم ولا تنفعهم وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم
ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطايف يعبدون
اللات واهل مكة العزى وهبل واساف ونايلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت اللات والعزى قل اتنبئون الله قل لهم يا محمد اتنبئون
الله تخبرون الله بما لا يعلم بكونهم شفعاء عنده وهو انبا بما ليس معلوم لله واذا لم يكن معلوما لله وهو العالم
بكل شيء المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيء اصلا ولا وجود له لانه لو كان موجودا لكان معلوما لله
تعالى وحيث لم يكن معلوما لله ممتنع ان يكون موجودا ومثل هذا الكلام مشهور في العرف فان
الانسان اذا اراد نفي شيء عن نفسه يقول ما علم الله هذا مني ومقصوده انه لا وجود له اصلا لا في
السموات ولا في الارض وقوله اتنبئون الله تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام
واعلام بان الذي انبوا به باطل غير منطو تحت الصحة فانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمهم ثم نزه نفسه

فقال سبحانه وتعالى عما يشركون قرا حمزة والكسائي يشركون بالتاء وفي النحل والروم والباقون
بالياء في المواضع الثلثة وما في عما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن
اشراكهم **قوله تعالى** وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون لما اقام البرهان القاطع والدليل الساطع على بطلان
القول بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا الاعتقاد الباطل وما كان الناس الا امة
واحدة حنفا متفقين على ملة واحدة على دين ادم وذلك في عهد ادم عليه السلام الى ان قتل احد بني
ادم قابيل اخاه هابيل فاختلفوا عن بن عباس كان بين ادم ونوح عليهما السلام عشرة دون كلهم على شريعة
من الحق فاختلفوا على عهد نوح فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا امة واحدة مجتمعة على التوحيد والميثاق
في انهم خلقوا لفطرة الاسلام ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم وقيل اهل سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان حين لم يدر الله من الكافرين ديارا وقيل
كانوا على دين واحد الاسلام من لدن ادم عليه السلام الى ان غير عمرو بن لحي ولولا كلمة سبقت وهو
تاخر الحكم بينهم الى يوم القيمة وقيل سبقت من ربك ان جعلنا للدنيا مرة ولكل امة اجلا لا يعدم ذلك
وقيل انه سبحانه اخر هذه الامة ولا يهلكهم بالعذاب في الدنيا عاجلا فيما هم فيه يختلفون فادخل المؤمنين
الجنة باعمالهم والكافرين النار بكفرهم ولكنه سبق منه للاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل لقضي بينهم
لاقام عليهم الساعة وقيل لفرغ من هلاكهم **قوله تعالى** ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين هذا نوع اخر من شبهاتهم
في انكار نبوته ويقولون يعني اهل مكة ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها بما انزل عليه من
الايات العظام المتاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقران وحده اية باقية على صفحات
الدهر ووجنات العصر معجزة ظاهرة واية قاهرة لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم تنزل عليه اية قط حتى قالوا
لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفظ عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل يا محمد انما الغيب
لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة
امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول الاية التي اقترحتموها اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم
لعنادكم وجحودكم الايات القاهرة والسيئات الباهرة وقيل فانتظروا قضاء الله باظهار المحق على المبطل
وعن الحسن فانتظروا مواعيد الشيطان وكانوا من ابليس على موعد فيما بعدهم ويمنيهم اني معكم من
المنتظرين لوعد ربي فانجز الله وعده ونصر عبده **قوله تعالى** واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما يمكرون

واذا

واذا اذقنا الناس اي كفار مكة رحمة ورخاء وسعة من بعد شدة وبلاء وقحط خالطتهم حتى
احسوا بسوء اثرها فيهم وقيل سلط الله القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانوار والكواكب
او الى الاصنام وطفقوا يطعنون في ايات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا لهم مكر اي اخفا الكيد وطيه من الحارثة المملوة المطوية الخلق واذا اذقنا للشرط وقوله اذا لهم
مكر جوابها وهي للمفاجاة وعن مجاهد اذا لهم مكر في اياتنا استهزاء وتكذيب وعن مقاتل لا يقولون
هذا رزق الله بل يقولون سقينا بنوء كذا قل الله اسرع مكرا قل يا محمد الله اسرع مكرا اعجل عقوبة
واشد اخذا واقدر على الجزاء وعن مقاتل صنيعا وقوله اسرع يقتضي سرعة مكرهم واذا المفاجاة تدل
على سرعة مكرهم كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجروا وقوع المكر وسارعوا اليه قبل ان
يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسعون عصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم
وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
اي يكتبون مكرهم ويحفظونه ويعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيمة اعلم الله بان
ما يظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله فيفضحهم ويوبخهم **قوله تعالى**
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها
جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض
بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم
بما كنتم تعملون ه انه تعالى لما قال واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم
اذا لهم مكر في اياتنا وكان هذا الكلام كليا لا ينكشف معناه لكل احد الا بذكر مثال جلي يذكر
الله لنقل الانسان من الضراء الى النعماء مثالا ولكن الانسان مثالا حتى تكون هذه الاية
كالاية المفسرة للتي قبلها هو الذي يسيرها قرا ابن عامر ينشركم بالنون من النشر وهو البسط
في البر على الظهر وفي البحر على الفلك والباقون يسيركم من التسيير اي يجريكم ويحملكم حتى اذا
كنتم في الفلك اي في السفن تكون واحدا وجمعا وجرين بهم يعني جرت السفن بالناس حرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة كانه يذكر لغيرهم حالهم لتعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير
في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون
الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة

وكان ذلك وهبت في مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعا بالانجاز وجواب
اذا جاتها وقوله دعوا الله بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم الهلاك فبينهما ملابسة قوله جاتها
اي جات الريح الطيبة ريح عاصف وجاهم الموج من كل مكان من جميع امكنة الموج وقيل جات
الفلك ريح عاصف احيط بهم اي احاط بهم الهلاك جعل احاطة العدو مثلا في الهلاك والريح العاصف
الشديد دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ للاوثان معه وكان
مفزعهم حينئذ الى الله دون الاوثان لئن انجيتنا اي قالوا لئن خلصتنا بارسا عن ارادة القول
او لان دعوا من جملة القول من هذه الريح العاصف لنكونن من الشاكرين لك بالايمان والطاعة فلما
انجاهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون فيها ويتجاوزون الى غير امر الله ويعيثون مترافين في ذلك ممعنين
من قولك بغى الجرح اذا تراخى في الفساد بغير الحق فان البغي قد يكون بالحق وهو استيلا المسلمين على ارض
الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فبين الله
تعالى انهم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم قرا الكل متاع بالرفع على ان يكون خبرا
للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم
جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها قيل يجوز ان يكون متاع خبر مبتدا
محذوف والتقدير هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وحفص عن عاصم متاع بالنصب على ان يكون
على انفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد والتقدير تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم
الينا اي الى ما وعدنا من المجازاة على اعمالكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا وهو وعيد بالعذاب

قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل
الايات لقوم يتفكرون لما قال تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه
بهذا المثل البليغ الذي ضربه لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها ويقوي اعراضه عن
امر الاخرة والتاهب لها انما مثل الحيوة الدنيا هذا من التشبيه المركب شبهت حالة الدنيا في
سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه حطاما بعد ما التف وتكاثف
وزين الارض بخضرته ورونقه واختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا انما مثل الحياة
الدنيا في فنائها وفنا من فيها وزوالها كماء انزلناه من السماء مما ياكل الناس من الحبوب والثمار
والبقول والانعام من الحشيش والمراعي حتى اذا اخذت الارض زخرفها حسنها وبهجتها كلام فصيح
جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل كالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت

بغيرها

بغيرها من الوان الذين واصل ازينت تزينت فادغم التاء في الزاء وسكنت الزاء فاجتلبت لها الف
الوصل ومعناه انت بالزينة وظن اهلها انهم قادرون عليها يتمكنون من منفعتها يحصلون لثمرتها رافعون
لغلتها اتاها امرنا هلاكنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد اهبتهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبها بما يحصل من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم يغن بالامس كان لم تغن
زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى والامس مثل في الوقت
القريب كانه قيل كان لم تغن انفا كذلك نفصل الايات اي نذكر واحدة فيها بعد اخرى على الترتيب ليكون
تواليها كثرة ويزين قوم يتفكرون في ايات الله ويستخرجون فيها يزيل الشك والشبهة فيتيقنون انهم
خلقوا للاخرة **قوله تعالى** والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون لما نفر الله تعالى الناس عن الدنيا بالمثل الاسبق رغبهم في الاخرة ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سيد بنى دارا ووضع مايدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل واكل ورضي عنه
السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام عن قتادة
السلام الله ودار الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها والمايدة الجنة والداعي محمد صلى الله
عليه وسلم ولانه قال ما يوم تطلع فيه الشمس الا ويحييها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق
الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام عن قتادة السلام الله ودار
الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وافة
قال الله تعالى ادخلوها بسلام امنين وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملايكة عليهم الا قيلا
سلاما سلاما وعن الحسن ان السلام لا ينقطع عن اهلها قال ذو النون المصري رحمه الله سميت
لان من دخلها سلم عليه المولى لان الله تعالى يعلم ما في اهل الجنة من ذكر الذنوب والهيبة لعلام الغيوب
فيبداهم بالسلام بسطا لهم وتقريبا وايناسا وترحيبا قال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك الله الى دار السلام
فانظر من اين تجيبه فان اجبته من دنياك دخلتها وان اجبته من ترك منفعتها ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم بالدعوة اظهار الحجة وخص بالهداية استغناء عن خلقه وقيل الدعوة الى دار السلام عامة
لانها طريق الجنة والطريق الى النعمة وهداية الصراط خاصة لانها الطريق الى المنعم عن بعض المحققين
حرمت هداية المريد من الاجتهاد في قوله عز وعلا والذين جاهدوا فينا وخرجت هداية المراد من المشية
وهو قوله تعالى ويهدي من يشاء وهو الفرق بين المريد والمراد وقال بعضهم والله يدعوا الى دار
السلام بالاداب ويهدي من يشا للحقايق والمعارف الدعوة لله والهدى عن الله للذين احسنوا
الحسنى لما دعا الى دار السلام ذكر السعادات التي تحصل لاهل الاحسان فيها سيل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن هذه الاية فقال للذين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهو الجنة والزيادة الى
رحمة الله الكريم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة ونودوا يا اهل الجنة
ان لكم عند الله موعدا لن تروه فيقولون ما هو الم تبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة
فيكشف الحجاب تبارك وتعالى فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا هو احب اليهم منه وعن ابن عباس
الذين احسنوا الحسنى يعني الذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وعنه ان الحسنى هي ان واحدة
من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف الى عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وقيل الحسنى النفس
والزيادة النظر قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعن علي رضي الله عنه ان الحسنى
الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة الاف وعن مجاهد الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة
مغفرة من الله ورضوان قيل الحسنى الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيمة
وقيل الزيادة هي ان تمر السحاب باهل فتمطرهم مقنعات فيقولون لهم ما تريدون ان امطركم فلا
تريدون شيئا الا امطرتهم ولا ترهق ولا تغسل وجوههم تزعبر فيها سواد ولا ذلة ولا هوان وكآبة
وكسوف المعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما يتعهدهم به برحمته الا ترى الى قوله ترهقها
قترة وترهقهم ذلة **قوله تعالى** والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لما بين حال الذين احسنوا في الاية المتقدمة بين في هذه
الاية حال الذين كسبوا السيئات قيل والذين كسبوا السيئات معطوف على قوله جزاء سيئة
بمثلها وقيل التقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كانه قيل جزاهم ان يجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها قال صاحب الكشاف وهذا اوجه من الاول لان في الاول
عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وقيل يجوز ان يكون الجزاء مرفوعا باضمار اي لهم جزاء
ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره بمثلها اي بمثلها والباقون زيادة كقوله بحسبك قول السوء والمراد بالذين
كسبوا السيئات الكفار بقرينة قوله كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لان سواد الوجه
من علامات الكفر يدل عليه قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وكذلك
قوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولانه تعالى ذكر بعد هذه
الاية ويوم نحشرهم جميعا والضمير في قوله هم الى هؤلاء المذكورين والصيغة وان كانت عامة الا
ان الدليل الذي ذكر مخصص لها ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه
ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت البست وجوههم
قطعا قرا ابن كثير والكسائي قطعا بسكون الطاء القطعة وهي البعض والباقون بفتح الطاء جمع قطعة

مظلما

مظلما حال من الليل على هذه القراءة والعامل فيه اغشيت من قبل ان الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه
الى الموصوف كافضائه الى الصفة ويجوز ان يكون العامل فيه معنى الفعل في من الليل وعلى القراءة
الاولى صفة لقوله قطعا ومعنى الاية وصف وجوههم بالسواد حتى كانما البست سوادا من الليل
قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين
هذا نوع اخر من فضائحهم في القيمة والضمير المفعول في نحشرهم عائد الى المذكور المتقدم وهو قوله والذين
كسبوا السيئات فلما وصف الله هؤلاء الذين نحشرهم بالشرك دل على ان المراد من قوله والذين
كسبوا السيئات الكفار والحاصل انه تعالى يحشر العابد والمعبود ثم ان المعبود يتبرأ من العابد
والحاصل انه ان القوم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبين الله تعالى ان المعبودين
لا يشفعون لهؤلاء الكفار بل يتبرؤن منهم وذلك يدل على نهاية الخزي والنكال في حق هؤلاء الكفار
والحشر الجمع من كل جانب الى موقف واحد وجميعا نصب على الحال اي نحشر الكل حال اجتماعهم في مكانهم
لسده مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من
التواصل في الدنيا وباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وتبرؤا منهم ومن
عبادتهم وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فصيروهم شركاء لانفسهم
في تلك الاموال وقيل ان الكفار هم الذين اسسوا تلك الشركة فحسنت اضافة الشركاء اليهم وقيل لما خاطب
الله العابدين والمعبودين بقوله مكانكم صاروا شركاء في هذا الخطاب وقيل الشركاء هم الملائكة بدليل قوله
تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل هي الاصنام لان الخطاب
مشتمل على التهديد والوعيد وذلك غير لائق بالملائكة والله تعالى خلق الحيوة والعقل والنطق فيها
فقدروا على ذكر هذا الكلام وفيه انه تعالى يخلق فيها الكلام من غير ان يخلق فيها الحياة حتى يسمعوا منهم
هذا الكلام وقيل الشركاء كل من عبد من دون الله من صنم وشمس وقمر وانسي وجني وملك والمراد
من قولهم ما كنتم ايانا تعبدون هو انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا يدل على ذلك انهم استشهدوا
بالله في ذلك حيث قالوا وكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم وانهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين
فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقيل انهم تخيلوا في الاصنام التي عبدوها
صفات كثيرة في الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذواتنا خالية عن
تلك فهم ما عبدونا وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان وقيل ما كنتم ايانا تعبدون
انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل

قوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون هذه الاية كالتتمة لما قبلها هنالك معناه في ذلك المقام وفي ذلك
الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا قرا حمزة والكسائي اي تتبع
كل نفس ما قدمت من خير او شر وقيل تقرا كل نفس ما قدمت من خير او شر في صحيفتها وعاصم تبلوا كل
نفس بالنون ونصب كل اي تختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفت من العمل فيعرف حالها
بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان قبيحا فهي شقية والمعنى تفعل بها فعل المختبر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا والباقون تتلوا بالتاء والباء اي تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف
كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشي ويتعرفه ليكتنه حاله
ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وردوا الرد صرف الشي الى الموضع الذي جاء منه اي وردوا الى الله
ما ظهر لهم عن الله من ثواب او عقاب منبها بذلك على ان حكم الله بالثواب وبالعقاب لا يتغير وقيل
معناه جعلوا ملجئين الى الاقرار بالهيته بعد ان كانوا في الدنيا يعبدون غير الله ولذلك قال مولاهم
الحق اي اعرضوا عن المولى الباطل ورجعوا الى المولى الحق وضل عنهم وزال وبطل وضاع عنهم ما كانوا
يفترون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة **قوله
تعالى** قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون لما بين
فضائح المشركين اتبعها بذكر الدلايل الدالة على بطلان الشرك من السماء بنزول المطر والارض
بالنبات لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة اي يرزقكم منهما جميعا ليقتص عليكم نعمته ويوسع رحمته
ام من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة
ومن يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المداد الطوال وهما لطيفان يؤديهما ادنى شي لكلامه وحفظه
عن علي رضي الله عنه يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ومن يخرج الحي اي الانسان
والطاير من الميت والنطفة والميتة ويخرج الميت اي النطفة والبيضة من الانسان والطاير
وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ومن يدبر ومن يلي تدبير امر العالم كله جا بالعموم بعد
الخصوص فانه تعالى ذكر الخصوص ثم ذكر بعده العموم على طريق الكل لان تدبير اقسام العالم العلوي
والعالم السفلي وعالم الارواح والاجساد امور لا نهاية لها وذكر كلها مفصلا لا يطيق قوى البشر
حملها فذكر البعض ثم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين ان الرسول عليه الصلاة والسلام
اذا سالهم عن مدبر هذه الاحوال فسيقولون الله هو الذي يفعل هذه الاشيا فقصد ذلك قال

للرسول

للرسول صلى الله عليه وسلم فقل افلا تتقون ان تجعلوا هذه الاوثان شركاء الله في العبودية مع
اعترافكم بان كل خير في الدنيا والاخرة انما يحصل من رحمة الله افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها
عقابه في شرككم فذلكم الله الذي تكون هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب
فيه لمن خفق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اي اذا ثبت ان هذا هو الحق وجب ان يكون ما سواه
ضلالا اذ لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى
الباطل وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاوة وعن الكلبي فمن اين تصرفون عن
عبادته وانتم مقرون كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال كذلك
حقت كلمة ربك عن الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون
وقيل كما حق انهم مصروفون عنه كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة
اي حق عليهم انهم لا يؤمنون وقيل اراد بالكلمة العدة بالعذاب وقوله انهم لا يؤمنون تعليل بمعنى
لانهم لا يؤمنون قرا نافع وابن عامر كلمات ربك على الجمع وبعده ان الذين حقت عليهم كلمات وفي حم المؤمن
وكذلك حقت كلمات كله بالالف على الجمع والباقون كلمة ربك في جميع ذلك على لفظ الواحد ان والمراد
من كلمة اما اخباره عن ذلك وخبر صدق لا يقبل التغير والزوال واما علمه بذلك وعلمه حتى لا يقبل
التغير **قوله تعالى** قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده قل الله يبدا الخلق
ثم يعيده فانى تؤفكون هذا دليل ثاني تقريره ما بين الله في ساير الايات من كيفية ابتدا
تخليق الانسان من النطفة والعلق والمضغة وكيفية اعادته ومن كيفية خلق السموات فلما
فصل هذه المقامات اكتفى بذكرها هاهنا على سبيل الاجمال والفايدة في ذكر هذه الحجة على سبيل
السوال والاستفهام ان الكلام اذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على طريق الاستفهام وتفويض الجواب
الى المسول كان ذلك ابلغ واوقع في القلب فاذا قيل القوم منكرون للاعادة فكيف يحتج عليهم بها
اجيب بانه قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دافع كان مكابرا اراد للظاهر
البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته
عند العقلا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل الله يبدا الخلق ثم يعيده امره بان ينوب عنهم في الجواب
يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى يؤفكون فانى يصرفون عن قصد
السبيل والمقصود التعجب منهم في الذهاب عن هذا الامر الواضح الذي دعاهم الهوى واللجاج
والمكابرة الى مخالفته لان الاخبار عن كون الاوثان الهة كذب وافك **قوله تعالى**
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع
ام من لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق

شيئاً ان الله عليم بما يفعلون هذا دليل ثالث والاستدلال على العلم بالصانع بالخلق اولاً ثم بالهداية
ثانياً عادة مطردة في القران فحكى الله عن الخليل عليه السلام انه ذكر ذلك فقال الذي خلقني فهو يهدين
وعن موسى عليه السلام انه ذكر ذلك فقال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامر محمداً صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى فالاستدلال باحوال الجسد
هو الخلق وباحوال الروح الهداية فههنا ايضا لما ذكر دليل الخلق في الاية الاولى وهو قوله ام من يبدا الخلق
ثم يعيده اتبعه بذكر الهداية في هذه الاية والمقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح كما قال
تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون والمعقول مضطربه والشيطان عدو والهوى متبع والانكار مختلطه والحق صعب
ولم يسلم الا قليل فالهداية الا من الله تعالى والهداية عبارة عن الدعوة الى الحق او تحصيل معرفته
وعلى التقديرين ليست الا من الله واما الاصنام فانها جمادات لا تاثير لها في الدعوة الى الحق ولا في
الارشاد الى الصدق فالله تعالى هو الموصل الى جميع الخيرات في الدنيا والاخرة وان الاصنام لا تاثير لها
في شيء من ذلك فالاشتغال بعبادتها جهلاً محضاً وسفهاً صرفاً فقال هداة للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
ويقال هدى بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ام من لا يهدي قرا ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع
بفتح الياء والهاء والتشديد في الدال لان اصله تهدي ادغمت التاء في الدال ونقلت فتحة الياء المدغمة
الى الهاء ونافع ساكنة الهاء مشددة الدال ادغمت الياء في الدال وتحركت الهاء على حالها فجمع في قراءته
بين ساكنين كما جمعوا في يخصمون وابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهي بين الفتحة
والجزم تحرك الى الكسر مجلسه على اصل مذهبه اختياراً للتخفيف وعاصم بفتح الياء وكسر الهاء
وتشديد الدال فراراً من التقاء الساكنين والجزم تحرك الى الكسر وحمزة والكسائي يهدي ساكنة الهاء
وتخفيف الدال على معنى يهتدي ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق فهل من شركائكم الذين
جعلتم انداد الله احد من الملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم
الا اذا هداهم الله تعالى فكان التمسك بدين الله اولى من قبول هؤلاء الجهال ثم قال افمن يهدي
الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان
يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينقل اليه الا ان يهدى الا ان
ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الا ان يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه
والحاصل ان في معنى الاية وجهين احدهما صرفها الى الرؤساء والمضلين اي لا يرشدون الا ان يرشدوا
وثانيهما صرفها الى الاصنام قيل هو وجه الكلام والمعنى لا يمشي الا ان يحمل ولا ينتقل عن مكانه الا ان
ينقل قال الشاعر للفتى عقل يعيش به حيث يهدي ساقه قدمه يريد حيث يحمل فما لكم

كيف

كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظناً لانه
قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم الاصنام
انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن ان الظن في معرفة الله وفي اصول الدين لا يغني من الحق
اي من العلم شيئاً ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء قوله

قوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما
ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اعلم انهم قالوا
لولا انزل عليه اية من ربه ذكروا ذلك لاعتقادهم ان القران ليس بمعجز وان محمداً ما اتى به من عند
نفسه على سبيل الاختلاف ثم انه تعالى ذكر اجوبة عن هذا الكلام وامتدت تلك البينات على
الترتيب الذي ذكر وفصل الى هذا الموضع ثم انه تعالى بين في هذا المقام ان اتيان محمد بهذا القران
ليس على سبيل الافتراء على الله ولكنه وحي نازل عليه من عند الله ثم انه تعالى احتج على صحة هذا الكلام
بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز نازل عليه من عند الله وانه مبراء
من الافتراء والاختلاف قيل ان قوله ان يفترى في تقدير المصدر والمعنى وما كان هذا القران افتراء من دون
الله كما تقول ما كان هذا الكلام كذباً وقيل ان جاءت بمعنى اللام اي ما كان هذا القران ليفترى من دون الله
لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما كان الله ليذر المؤمنين وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي لم يكن ينبغي لهم ان يفعلوا ذلك فكذلك ما كان ينبغي لهذا القران ان يفترى اي ليس وصفه وصف شيء
يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر والافتراء افتعال من فريت الاديم اذا
قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب كما استعمل قولهم اختلق فلان هذا الحديث في الكذب والمعنى
وما صح وما استفهام وكان محالاً ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى ثم احتج على صحة هذه الدعوى
بامور الاولى ولكن تصديق الذي بين يديه تقرير هذه الحجة من وجوه منها ان محمداً صلى الله
عليه وسلم كان رجلاً امياً ما سافر الى بلد لاجل التعلم وما كانت مكة بلدة العلماء وما كان فيها شيء
من كتب العلم ثم انه عليه السلام اتى بهذا القران وكان هذا القران مشتملاً على اقاصيص الاولين
والقوم كانوا في غاية العداوة له ولو لم يكن له هذه الاقاصيص موافقة لما في التورية والانجيل
لقدحوا فيه وبالغوا في الطعن فيه ولقالوا انك جئت بهذه الاقاصيص لا كما ينبغي فلما لم يقل احد ذلك
مع شدة حرصهم على الطعن فيه وعلى تقبيح صورته علمنا انه اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لما في التورية
والانجيل مع انه ما طالعهما ولا تلمذ لاحد فيهما وذلك يدل على انه عليه السلام انما اخبر بهذه الاشياء

بوحي من عند الله ومنها ان كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لما في تلك
الكتب من البشارة بمجيئه صلى الله عليه وسلم فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه الثانية وتفصيل
الكتاب اي القران مشتمل على العلوم الدينية الاعتقادية التي هي معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة
صفات اكرامه ومعرفة صفات افعاله ومعرفة احكامه ومعرفة اسمائه وعلى دلايل هذه المعارف وتفاريعها
وتفاصيلها على وجه لا يساويه شي من الكتب بل الابدانية والعملية التي هي علم التكاليف المتعلقة بالظواهر
وهو علم الفقه فان الفقها انما استنبطوها عن القران وعلم صفة الباطن ورياضة النفوس وقد حصل في القران
من مباحث هذا العلم ما لا يكاد يوجد في غيره كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فثبت ان القران مشتمل على تفاصيل
العلوم الشريفة عقلها ونقلها اشتمالا يمتنع حصوله في ساير الكتب وكان ذلك معجزا واليه الاشارة بقوله
وتفصيل الكتاب اي اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شي وقيل معناه ويتبين ما كتب وفرض من الاحكام
والشرايع من قوله كتاب الله عليكم الثالثة لا ريب فيه تقريره ان القران لو كان من عند غير الله لكان فيه
اختلافا كثيرا اي تناقضا وريبا وحيث لم يكن فيه ريب وتناقض علم قطعا انه وحي من عند الله تعالى قيل
لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كاينا من رب العالمين وقيل يجوز ان يكون المراد ولكن كان تصديقا لرب العالمين وتفصيلا منه لا ريب
في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك
فيه كريم ولما ذكر في اول هذه الاية ان القران ما صح واستحال ان يكون في علو امره واعجازه مفترى على الله
واقام عليه الحجج المذكورة اعاد مرة اخرى بلفظ الاستفهام على سبيل الانكار فقال ام يقولون افتراه بل يقولون
اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان ثم انه تعالى
ذكر حجة اخرى على ابطال هذا القول فقال قل يا محمد ان كان الامر كما يقولون من انه افتراه فاتوا انتم على وجه
الافترا بسورة مثله اي شبيهة بهذا المفترى في البلاغة وحسن النظم فانكم مثلي في العربية والبلاغة
والفصاحة وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر
على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده بل استعينوا بكل من دونه وقيل
وادعوا من استطعتم ممن تعبدون من دون الله ليعينوكم على ذلك وقيل وادعوا من استطعتم من الامم
المخالفة له ليعينوكم وقيل من استطعتم اي ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه ثم
قال بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بالقران وفاجوه في بديهة قبل ان يفقهوه وتعلموا كنه امره
وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط توقرهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة
دين ابايهم ومعنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل

تقليدا

تقليدا للاباء وكذبوه قبل التدبر تمردا وعنادا قدمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليوذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وزاروا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم
عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا وعن الضحاك معنى عاقبة ما وعد الله عز وجل في القران انه كاين من الوعيد
والتاويل ما يوول اليه الامر وقيل للحسن بن الفضل هل تجدون في القران من جهل شيا عاداه قال نعم
موضعين قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله وان لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم كذلك
اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية يعني قبل النظر في معجزات الانبيا
وقبل تدبرها من غير انصاف ولكن قلدوا الاباء وعاندوا وقيل في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما ياتهم تاويله ولما ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق
يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيب فسرعوا
الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه
وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اخبر امر المكذبين المشركين بالهلاك والعذاب **قوله
تعالى** ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك
فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون لما ذكر في الاية المتقدمة
قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وكان المراد من ذلك تسليط العذاب عليهم في الدنيا اتبعه
بقوله ومنهم من يومن به منبها بذلك على ان الصلاح عنده كان في هذه التنبيه دون الاستيصال
من حيث كان المعلوم ان فيهم من يومن به قيل اي ومن قومك من سيومن بالقران ومنهم من لا يومن
لعلم الله السابق فيهم وقيل ومنهم من يصدق بالقران في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب
ومنهم من يشك فيه لا يصدق به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين على ان لا يومنوا وان
كذبوك يا محمد واصروا على تكذيبك وتيسب من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقل لي عمل عمل الايمان والطاعة
ولكم عملكم الشرك انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون كقوله فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وعن مقاتل
والكلبي هذه الاية منسوخة باية الجهاد قال الامام هذا بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ
ومدلول هذه الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا ينافي
وجوب الجهاد فلا تكون اية الجهاد رافعة لشي من مدلولات هذه الاية **قوله تعالى**
ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي
ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون في هذه الاولى قسم
المشركين قسمين منهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وفي هذه الاية قسم من لا يومن به قسمين
منهم من يكون في نهاية البغض له ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول

في هذه الآية فقال ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع
ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون
ولا ينفعهم ذلك ولا يهتدون لارادة الله عز وعلا وعلمه فيهم ثم قال انطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم ربما يفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع الصم
وعدم العقل جميعا فقد تحقق سلب الاسماع واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمى سلب
البصيرة لان الاعمى الذي له بصيرة قد يتفطن ويدرك بالبصيرة واما عمى البصيرة مع عمى القلب فهو
نهاية في عدم الهداية يعني انهم في الباس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصاير
وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله كما لا يقدر على رد الاصم والعمي المسلوبي
الاصل والعقل حديدي البصر والسمع راجحي العقل الا هو وحده والاسماع انما يمكن بسماع الصوت
الدال على المعنى والمانع من الاول الصمم ومن الثاني عدم العقل والهداية نوعان هداية الطريق الظاهر
وهداية الطريق المعنوي والاول لا يمكن الا بالبصر والاخرى لا تمكن الا بالبصيرة فلهذا ضم الى الصم
قوله ولو كانوا لا يعقلون وضم الى العمى قوله ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا لانه متصرف
في ملكه ومتفضل في جميع افعاله ومن كان كذلك لا يكون ظالما ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب
والمعصية قرا حمزة والكسائي بكسر النون مخففة ورفع الناس والباقون بفتح النون مشددة وفتح
الناس **قوله تعالى** ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون لما وصف هؤلاء الكفار بقلة الاصغاء وترك
التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم قرا حفص عن عاصم يحشرهم بالياء والباقون كان لم
يلبثوا في موضع الحال اي مشابهين من لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقرئون وقت لبثهم في
الدنيا لانهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها لم ينتفعوا بعمرهم فكان وجود ذلك
العمر كالعدم فلذلك استقلوه وقيل قل ذلك عندهم لما شاهدوا من احوال الاخرة وقيل قل مقامهم
في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة يستقرئون وقت لبثهم في القبور لهول ما يرون قوله كان هي
المخففة من الثقيلة التقدير كانهم لم يلبثوا يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا ثم ينقطع التعارف
بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة لشدة الامر عليهم وقوله يتعارفون متعلق بقوله ويوم يحشرهم
وقيل مبين لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب ماكرا قد خسر
على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قايلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فعلى هذا يكون قد خبر

من كلامهم

من كلامهم وقيل هو كلام الله وهي شهادة من الله على خبر انهم والمعنى ان الذين باعوا الايمان
بالكفر واخرته بدنياه قد خسروا في تجارتهم باعطاء الشيء الشريف الكثير الباقي واخذ الخسيس القليل
الفاني وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخبرهم
قوله واما نرينك جوابه محذوف والتقدير اما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا او نتوفينك فالينا
مرجعهم اي واما نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فنحن نريك في الاخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون
في الدنيا والاخرة معاقب عليه وقيل المراد ان الله تعالى مورد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين تنطق
جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم **قوله تعالى** ولكل امة رسول
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لما بين الله تعالى حال محمد صلى الله
عليه وسلم مع قومه بين ان حال كل امة مع رسولهم كذلك اي ولكل امة خلت رسول بعث اليهم
لشبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي
بينهم اي بين النبي وبين مكذبيه بالبدل وهم لا يظلمون لا يؤاخذون بغير حجة ولا يعذبون بغير ذنب
ولا ينقصون ولا يزدادون على سيئاتهم وقيل لكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسب اليه وتدعى
به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بالقسط كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون فالتكرير لاجل التاكيد والمبالغة في نفي الظلم **قوله
تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي ويقول
المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد من العذاب ان كنت يا محمد واتباعك صادقين
استعجال ما وعدوا من العذاب استبعادا له والظاهر انهم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسول
فيما اخبرهم به من نزول العذاب الاعداء والنصرة للاولياء على سبيل الاستبعاد لكونه محقا
في ذلك الاخبار وقيل هذا يدل على ان كل امة فانها قالت لرسولها مثل ذلك القول بدليل قوله ان كنتم
صادقين وذلك لفظ جمع وهو موافق لقوله ولكل امة رسول ثم انه تعالى امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يجيب هذا القول بجواب يحسم المادة وهو قوله لك لا املك اي قل يا محمد
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا لا اقدر لها على ضر ولا نفع الا ما شاء الله ان املكه وقيل الا ما شاء الله
استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كاين فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل
امة اجل يعني ان عذابكم اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوعد انجز
وعدكم لا محالة فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يتقدمون فلا يستعجلوا **قوله تعالى**
قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان

وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
هذا هو جواب ثان عن قولهم متى هذا الوعد والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطلبون
نزول العذاب بتقدير ان يحصل هذا الموعود وينزل هذا العذاب ما الفايدة لكم فيه فان قلتم
نؤمن عنده فذلك باطل لان الايمان في ذلك الوقت لا ينفع فثبت ان هذا الذي تطلبونه لو حصل
لم يحصل منه الا العذاب في الدنيا ثم يحصل عقيبه يوم القيمة عذاب اشد منه وهو ان يقال
للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد ثم يقرن بذلك العذاب كلام يدل على الاهانة والتحقير وهو انه
يقال هل تجزون الا ما كنتم تكسبون فحاصل هذا الجواب ان هذا الذي تطلبونه هو محض الضرر
العاري عن جهات النفع والعاقل لا يفعل ذلك بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات وانما قال
بياتا ولم يقل ليلا لانه يريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فينبئكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
كما يبيت العدو الباعث والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا
في وقت وانتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا او هم نائمون ضحى وهم يلعبون
ماذا يستعجل منه من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق يوجب للنفار فاني
يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل
اي شيء هذا شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من البيان في هذا الوجه وقيل الضمير
في منه لله تعالى والاستفهام في ماذا متعلق بقوله ارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه
المجرمون وجواب الشرط محذوف معناه ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ندموا على الاستعجال
وتعرفوا الخطاء فيه وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه لانه اريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه
وان ابطا فضلا ان يستعجله وقيل يجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقوله
ان اتاكم زيد ماذا تفعلون ويتعلق الجملة بقوله ارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب
الشرط ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والهاء في قوله او امن اهل القرى
الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المضمر قبل الان والتقدير قيل الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا
عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون في الدنيا **قوله تعالى** ويستنبئونك
احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به

واسروا

واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون انه تعالى
اخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعد واجاب عنه لا تقدم وحكى عنهم انهم رجعوا
الى الرسول صلى الله عليه وسلم مرة اخرى وقال احق هو وقال يستنبئونك اي ويستخبرونك
يا محمد فيقولون احق هو ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الانكار
والاستهزاء ثم انه تعالى امرهم بان يجيبهم بقوله قل اي وربي اي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان
هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة قال صاحب الكشاف وسمعتهم يقولون في التصديق
ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده انه لحق كاين لا شك فيه وما انتم بمعجزين
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة قيل اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم ثم اكد بقوله
وما انتم بمعجزين التقدير وما انتم بمعجزين لمن وعدكم بالعذاب ان ينزله عليكم والغرض منه
التنبيه على ان احدا لا يجوز ان يمانع ربه ويدافعه عما اراد وقضى ولو ان لكل نفس ظلمت اشركت
جيفة لنفس ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها
لافتدت به فجعلته فدية لها الى يوم القيمة يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه
واسروا الندامة واخفوا الندامة على كفرهم لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه
ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب وتغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا وساهم الندامة من سفلتهم
الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاها اخلاصا واما من
قولهم شر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة
اظهروها من قولهم اسر الشيء لخالصه معاد وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل
اسروا الندامة اظهروها واسره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين
والمظلومين دل ذكر الظلم على ذلك **قوله تعالى** الا ان لله ما في السموات والارض
الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون قيل ان تعلق
هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى قال قبل هذه الاية ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به
فلا جرم قال في هذه الاية ليس الظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء ملك الله وملكه وقيل لما قال
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله يثبت المعاقب وما وعده
من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه
وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون **قوله تعالى**

يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة اي كتاب جامع لهذه الفوايد موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين
قال الامام وصف الله تعالى القران بهذه الامور الاربعة الاول الموعظة فنقول الارواح
لما تعلقت بالاجساد وكان ذلك التعلق بسبب حب غريزي للروح على الجسد والتلذذ الروح
بمشتهيات هذه الحياة الدنيا وطيباتها بتوسط المشاعر الخمسة وتعودوا الف هذه الطريقة
ولا يخفى ان نور العقل انما يحصل في اخر الدرجة حيث قويت العلايق الحسية والروابط الجسدية
وحينئذ حدث في الروح عقايد باطلة واخلاق ذميمة في الروح وهذه العقايد والاخلاق امراض روحانية
فان لم يتفق له طبيب حاذق يعالجه بعلاجات صحيحة مات لا محالة فان اتفق ان صادفه مثل هذا
الطبيب وكان الروح قابلا للعلاج فربما صح وزال المرض اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كان الطبيب الحاذق والقران فيه الادوية التي تعالج بها القلوب ثم الطبيب في المعالجة
يمنع المريض عن تناول ما هو سبب للمرض وهذا هو الموعظة فانها زاجرة عن كل ما يشغل القلب
بغير الله وثانيها الشفا وهو ان تسقيه ادوية تزيل عن باطنه تلك الاخلاط الفاسدة المفضية
الى المرض وكذلك الانبيا اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهرة عن فعل ما لا
ينبغي ثم يامرونهم بطهارة البدن وذلك بالمجاهدة في تخلية الروح عن الاخلاق الذميمة وتحليته
بالاخلاق الحميدة التي هي شفاء لما في الصدور وثالثها الهدى وهو لا يحصل الا بعد الدرجة الثانية
لان الروح قابل للجلايا القدسية والمعارف الالهية وفيض الرحمة عن منقطع على ما قال
صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالمنع انما يكون للعجز او الجهل
او البخل والكل في حق الله تعالى ممتنع فالمنع ممتنع في حقه فعلى هذا عدم حصول هذه الاضوا الروحانية
انما كان لاجل ان العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة يمتنع حصول النور فاذا
زالت تلك الاحوال فقد زال العايق فلا بد وان يقع ضوء عالم القدس في النفس القدسية ولا معنى
لذلك الضوء الا الهدى فعند هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد انطبع فيها نفس الملكوت وتجلى لها روح
اللاهوت واول هذه المرتبة قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واوسطها
قوله ففروا الى الله واخرها قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ومجموعها قوله ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وهذه المرتبة هي
المراد بقوله وهدى ورابعها ان تصير النفس الواصلة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية
سخت تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وهذا هو

المراد

المراد بقوله ورحمة للمومنين لان ارواح المعاندين لا تستضي بانوار ارواح الانبيا عليهم السلام
لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس هو الذي يكون وجهه مقابلا لوجه الشمس فان لم يحصل هذه المقابلة
لم يقع ضوء الشمس عليه فلذلك كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبيا عليهم السلام المطهرين
لم ينتفع بانوارهم ولم يصل اليها اثار تلك الارواح المطهرة المقدسة كما ان الاجسام التي لا تكون مقابلة
لقرص الشمس مختلفة الدرجات والمراتب عن البعد عن هذه المقابلة ولا يزال يتزايد درجات هذا البعد
حتى ينتهي الى ذلك الجسم وكمل بعده عن مقابلة قرص الشمس فلا جرم يبقى خالص الظلمة فلذلك تتفاوت
مراتب النفوس في قبول هذه الانوار عن ارواح الانبيا عليهم السلام ولا يزال يتزايد حتى ينتهي الى النفس
التي كملت ظلمته وعظم شقاوته وانتهت في العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة الى اقصى الغايات
والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفا اشارة
الى تطهير الباطن عن العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور
نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث
تصير مكملة للناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الالفاظ
القرانية لا يمكن تاخير ما تقدم ذكره ولما نبه الله في هذه الايات على هذه الاسرار العالية الالهية قال
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والمقصود منه الاشارة الى ما قرره
حكما الاسلام من ان السعادات الروحانية افضل من السعادات البدنية الجسمانية وقيل قد جاءكم
كتاب جامع لهذه الفوايد من موعظة وتنبيه على التوحيد هو شفا اي ذر الماء في صدوركم من
العقايد الفاسدة ودعا الى الحق ورحمة لمن امن به منكم وقيل الموعظة للنفوس والشفا للقلوب
والهدى للاسرار والرحمة لمن هذه صفته وقيل شفاء لما في الصدور وراحة لما في السراير وقيل
لبعضهم شفا التسليم والرضا ولبعضهم شفا التوبة والوفا ولبعضهم شفا المشاهدة واللقا اصل
الكلام قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتاكيد للتقرير والتاكيد وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احدى الفعلين لدلالة
المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوا فضل الله ورحمته بالفرح
فانه لا يفرح به احق منهما وقيل يجوز ان يكون التقدير بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا
وقيل يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمحبتهما فليفرحوا قيل فضل الله القران
ورحمته ان جعلكم من اهله وقيل فضل الله الايمان ورحمته القران وقيل فضل الله القران ورحمته
وقيل فضل الله التوفيق ورحمته العصمة وقيل فضل الله النعم الظاهرة ورحمته النعم الباطنة وقيل
فضل الله النعما وهو ما اعطى وحيا ورحمته الالاء وهو ما صرف وروى وقيل فضل الله الايمان ورحمته

الجنة وقيل فضل الله دخول الجنة ورحمته النجاة من النيران وقيل فضل الله كشف الغطا ورحمته الرويه
واللقا وقيل انسهم ان يكون لهم شي من عندهم بقوله قل بفضل الله وبرحمته قرا ابن عامر تجمعون بالتاء
اي مما تجمعون من اذكاركم وافعالكم واقوالكم وقيل مما تومّلون على الثواب على الافعال والباقون بالياء خبرًا
عن الكفار اي مما تجمعون من الاموال ومن متاع الدنيا **قوله تعالى** قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون لما ذكر الدلايل الكثيرة على
صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبين فساد سوالهم وشبهاتهم في انكارها اتبع ذلك بيان فساد
طريقتهم في شرايعهم واحكامهم وبين ان التمييز بين هذه الاشيا بالحل والحرمة مع انه لم يشهد بذلك لا عقل
ولا نقل طريق باطل قل يا محمد ارايتم اخبروني ما انزل ما بمعنى الذي وهو منصوب بانزل ويجوز ان
ينتصب بارايتم في معنى اخبروني به وانزل الله اي خلق الله لكم نبه عن الخلق بالانزال لان ما في الارض
من رزق فما انزل الله من السماء من زرع وضرع فجعلتم منه حرامًا وحلالًا اي انزله الله رزقًا حلالًا كله
فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام وهو ما حرموه من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والحام وعن
الضحاك هو قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبًا وقيل وهذا حرام كقولهم
وهذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قل الله اذن متعلق بارايتم وقيل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني اذن لكم في التحليل
والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تفترون تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه وهو قولهم
والله امرنا بها ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة يعني بل اتفترون على الله تقريرًا للافترا
وما ظن الله تفترون على الله الكذب يوم القيمة يعني اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم الحسبون ان الله
لا يواخذهم به ولا يعاقبهم عليه ويوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع يوم القيمة وهو يوم الجزا بالاحسان
والاساة وهو وعيد عظيم حين امهل امره ان الله لذو فضل على الناس انعم عليهم بالعقل وارسال الرسل
وانزال الكتب وبيان الحرام والحلال ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة حيث لا يستعملون العقل في
التامل في دلايل التوحيد ولا يقبلون دعوة الانبيا عليهم الصلوة والسلام ولا يتبعون ما هدوا اليه
قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران وما تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودًا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين لما اطنب الكلام في امر الرسول صلى الله عليه وسلم
بايراد الحجج على بطلان ما عليه الكفار وفي امره بايراد الاجوبة عن شبهاتهم وفي امر يتحمل اذاهم وبالرفق
معهم ذكر هذه الاية ليحصل بها تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف للمذنبين وهو كونه عالما

بعمل

بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف فان الانسان ربما اظهر من نفسه نسكًا وطاعة
وزهدًا وتقوى ويكون باطنه مملوا من الخبث وربما يكون بالعكس من ذلك فاذا كان الحق سبحانه عالمًا
بما في البواطن كان ذلك من اعظم انواع السرور للمطيعين ومن اعظم انواع التهديد للمذنبين وما تكون
ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر والفعل والخطب واصله الهمزة
بمعنى القصد يقال شانت شانه قصدت قصده وما تتلوا منه اي من الله من قران وقيل من
التنزيل كانه قال وما تتلوا من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له
وقيل من شان لان تلاوة القران شان من شان النبي صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه
قوله وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران امران مخصوصان بالرسول صلى الله عليه وسلم
ولا تعملون من عمل خاطبه وامته من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودًا اذ تفيضون فيه من افاض
في الامر اذا اندفع فيه قيل تفيضون فيه اي تاخذون وتدخلون فيه اي في العمل عن بن عباس
رضي الله عنه تفيضون تفعلون وقيل تكلمون وقيل تكثرون وقيل تخوضون وقيل تسرون كما يقال
حديث مستفيض وقيل تسعون وقيل تشيعون في القران من الكذب وما يعزب قرا الكسائي
وما يعزب بكسر الزا والباقون بالضم وما يغيب وما يبعد من مثقال ذرة اي وزن ذرة هي النملة
الصغيرة يقول العرب خذ هذا فانه اثقلهما مثقالًا واخفهما مثقالًا اي وزنًا في الارض ولا في السماء
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قرا حمزة برفع الزاين عطفًا على موضع المثقال قبل دخول من والباقون
بفتحهما عطفًا على الذرة اي ولا مثقال اصغر واكبر قال صاحب الكشاف النصب على نفي الجنس والرفع
على الابتدا ليكون كلامًا براسه وفي الرفع العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة
فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عليه شي الا في كتاب مشكل واجيب
عنه بانه اذا جعل الاستثنا من باب قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يزول
الاشكال والمعنى لا يعزب عنه شي قط لا الصغير ولا الكبير الا في اللوح المحفوظ او في علمه ان
عد ذلك من العزوب فهو العزوب ومعلوم انه ليس من العزوب لانه حينئذ يلزم ان يكون
ذلك الشي في الكتاب خارجًا عن علم الله وانه باطل واجاب بعضهم بان يجعل كلمة الا فيه استثناء
منقطعًا على معنى لكن هو في كتاب مبين وقيل الا بمعنى الواو اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب
تضع الا في موضع واو النسق كثيرًا على معنى الابتدا كثيرًا كقوله اي لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم
يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا وهذا الوجه فيه تعسف
وقيل الاشكال انما جاء اذا عطفنا قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر على قوله في الارض ولا في السماء
اما بحسب الظاهر او بحسب المحل لكنا لا نقول ذلك بل نقول الوجه في قراة النصب في قوله ولا اصغر

من ذلك الحمل على تفسير الجنس وفي القراءة بالرفع الحمل على الابتدا وخبره قوله الا في كتاب مبين فان
قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض اجيب بان حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على
احوال اهل الارض واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه ناسب ان تقدم الارض على السما في هذا
الموضع على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية **قوله تعالى** الا ان اولياء الله لا خوف
عليكم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم قد تبين ان قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه
من قران مما تقوى قلوب المطيعين ومما يكسر قلوب الصالحين فاتبعه ببيان المخلصين الصادقين
الصديقين في هذه الاية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر الله الاية
في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فقوله امنوا اشارة الى كمال القوة العلمية وقوله وكانوا يتقون اشارة
الى كمال القوة العملية وقيل الايمان مجموع الاعتقاد والعمل والولي متوقف الكل اما التقوى في موقف العلم
فلان جلال الله اعظم من ان يحيط به عقل البشر فالصديق اذا وصف الله بصفة من صفات الجلال
فهو يقدس الله عن ان يكون كماله وجلاله مقتصرا على ذلك المقدار الذي عرفه ووصفه واذا عبد الله
فهو يقدس الله ان يكون العبد في مقام الخوف والتقوى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين تذكر الله برويتهم يعني السمت والهيئة وعن بن عباس
رضي الله عنه الاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء لا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من
الله عز وجل قالوا يا رسول الله خبرنا منهم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم فقال قوم تحابوا في الله عز وجل
على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله الاية وعن علي رضي الله عنه
اولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الحزن وقيل هم الذين
تولى هداهم بالبرهان الذي اتاهم وتولوا القيام بحقه والدعا اليه وقيل الولي من لا يرائي ولا ينافق
وما اقل صديق من كان خلقه هذا وقيل قلوب اهل الولاية مصانة عن كل معنى لانها موارد الحق وقيل
علامة الولي اربعة الاول ان يحفظ سرايره التي بينه وبين ربه مما يرد على قلبه من المصايب فلا يشكوا
والثاني ان يصون كرامته فلا يتخذها رياء ولا سمعة ولا يغفل عنها هوانا والثالث ان يحمل اذى خلقه
فلا يكافيهم والرابع ان ينادي ويداري عباده على تفاوت اخلاقهم وسيل بعضهم ما علامة الاوليا
قال هموهم مع الله وشغلهم بالله وفرارهم الى الله وقيل ولي الله من يكون اتيانا بالاعتقاد الصحيح المبني

على الدليل

على الدليل ويكون اتيانا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة ثم قال في صفتهم لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والحزن انما يكون في المستقبل اي لا يخافون حدوث شي في المستقبل من المكاره والحزن
انما يكون على الماضي اما لانه قد حصل في الماضي ما كرهه او لانه فات شي اخر وبقي الخوف والحزن يكون
في الاخرة لا في الدنيا قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب فاولياء الله هم الذين يكونون
في غاية القرب من الله وهذا القرب باستغراقهم في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله في تلك
اللحظة شي مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة حاصلة فان
صاحبها لا يخاف شيا ولا يحزن بسبب شي وكيف يعقل ذلك والخوف من الشي والحزن على الشي
لا يحصل الا بعد الشهود به والمستغرق في نور جلال الله غافل من كل ما سوى الله فيمتنع ان يكون
له خوف او حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذقها لم يعرفها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين
دون السامعين للاثرين الذين امنوا اما في محل النصب لكونه صفة للاوليا او على المدح او في محل
الرفع على المدح او على الابتدا وخبره لهم البشرى والبشرى الرويا الصادقة الصالحة عن عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل لهم البشرى
قال صلى الله عليه وسلم هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا نبوة
بعدي الا البشارات فقيل يا رسول الله وما البشارات فقال الرويا الصالحة وقيل البشرى محبة الناس
له والذكر الحسن عن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه
الناس فقال تلك عاجل بشرى المومن وعن عطا رضي الله عنه لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملايكة
الرحمة قال الله تنزل عليهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاه الصحايف بايمانهم وما
يقرون منها وغير ذلك من البشارات والبشارة خبرها ويظهر اثره في بشرة الوجه بكل ما كان كذلك
دخل في هذه الاية ومجموع الامور المذكورة مشتركة في الصفة فيكون الكل داخلا فيه بكل ما يتعلق
من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالاخرة
فهو داخل تحت قوله وفي الاخرة لما ذكر صفة اولياء الله واحوالهم قال لا تبديل لكلمات الله اي
لا تغيير لاقواله ولا اختلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين وجلا الجملتين اعتراض قوله تعالى ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع
العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون لما اوردوا الشبهات التي حكاها الله عنهم فيما تقدم من
هذه السورة واجاب الله عنها بالاجوبة الشافية الكافية عدلوا الى طريق اخر بان هددوه وخوفوه

وزعموا انا اصحاب التبع والمال فنسعى في قهرك وفي ابطال امرك فاجاب الله عن هذا الطريق بقوله
ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتكلمون به
في شانك انه تعالى ازال حزن الاخرة بقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك
ازال حزن الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي قول المشركين وتم الكلام ههنا ثم قال مبتدا مستانفا
بمعنى التعليل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر لله يعطي ما يشاء لمن يشاء والمراد انه لا يعطي
الكفار قدرة عليه بل يعطيه قدرة عليهم فامنه الله بهذا القول من اضرار الكفار به بالقتل والايذاء
ومثله قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله ما في السموات اي كل ما لا يعقل فهو تلك لله وههنا ذكر من
وهو مختص بمن يعقل فدل على ان العقلاء داخلون تحت ملك الله فيكون الاتيان دالا على ان الكل
ملكه وملكه قيل انما خصهم بالذكر ليوذن ان هاولاء اذا كانوا له في ملكيته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه
ربهم لا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل حق ان لا يكون له فيها ندا
وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو بطل تابع لما ادى
اليه التقليد وترك النظر وما يتبع الذين يدعون ما بقي وحجة والمعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون
حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة لان شركة الله في الربوبية محال وقيل
ما استفهام كانه قيل اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمراد تقبيح فعلهم اي انهم ليسوا على
شيء فعل الاول شركاء نصيب يتبعونك اي حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء فاقتصر على
احدهما للدلالة وعلى الثاني نصب شركاء بيدعون ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل
ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي ولهم شركاء وهم ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء اي
انما اتبعوا ظنونهم الباطلة ثم بين ان هذا الظن لا حكم له وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان يكون شركاء تقديرا باطلا **قوله تعالى** هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون لما ذكر تعالى ان العزة لله جميعا نبه في هذه الاية
على عظيم قدرته ونعمته الشاملة على عباده الذي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة والمعنى جعل لكم
الليل مظلما لتسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش وجعل النهار مبصرا مضيئا
تبصرون فيه مطالب ارزاقكم ومكاسبكم والمبصر الذي يبصر والنهار يبصر فيه وانما جعل مبصرا على طريق
نقل الاسم من المسبب الى السبب ان في لايات لقوم يسمعون سماع معتبر مذكر اي يتدبرون
ما يسمعون ويعتبرون **قوله تعالى** قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما
في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون هذا نوع اخر

من الاباطيل

من الاباطيل التي حكاها الله عنهم وهي قوله اتخذ الله ولدا ويحتمل ان يكون المراد حكاية قول من يقول
الملائكة بنات الله ويحتمل ان يكون المراد قول من يقول من الاوثان اولاد الله ويحتمل ان يكون قد كان
فيهم قوم من النصارى قالوا ذلك ثم استنكر هذا القول وقال بعده هو الغني له ما في السموات وما في
الارض سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد مطلقا فلانه
لو كان محتاجا لافتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ليس بالة اما ان الغني يمتنع ان يكون له ولد لان الغني
فرد منزه عن الاجزاء والابعاض وكل من كان كذلك فانه يمتنع ان ينفصل جزء من اجزائه والولد يقتضي
انفصال جزء من اجزاء الانسان ثم يتولد من ذلك الجزء جزؤه فاذا كان هذا محالا ثبت ان كونه تعالى
غنيا يدل على انه يمتنع ان يكون له ولد ولان الغني انتفى عنه الحاجة ومن كان الحاجة عنه منتفية
كان الولد عنه منتفيا لان الحاجة هي التي تكون سببا لطلب الانسان الولد حتى يعينه ما بقي ويقوم
مقامه اذا فني له ما في السموات وما في الارض اي ما سواه تعالى ملك له فهو مستغن بملكه عن اتخاذ احد
منهم ولدا ولا ما سوى الواحد الاحد الحق ممكن وكل ممكن محتاج وكل محتاج محدث فكل ما سوى الواحد
الاحد الحق محدث والله تعالى محدثه وخالقه فلا يكون له صاحبة فلا يكون له ولد واليه اشار بقوله
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ولما بين بالبرهان القاطع
والدليل الصادق الساطع امتناع ان يكون ذكر انه لا حجة عندهم على ان يكون له ولد فقال ان عندكم
ما عندكم من سلطان من حجة بهذا القول ومن صلة وسميت الحجة سلطانا لقوتها واعتلاء المتمسك
بها وعندكم الخبر وبهذا حال من الضمير في الصرف العايد الى سلطان ومن سلطان فاعل الظرف لانه
اعتمد على النفي وبهذا ظرف والباء بمعنى في اي ما حصل عندكم في هذا سلطان ثم بالغ في ذلك الانكار
فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل ان ذلك جهل وليس بعلم
قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا
مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون لما بين بالحجة البالغة ان قولهم اتخذ الله ولدا
باطل ثم بين انه ليس لهذا القايل حجة على هذا القول ظهر ان القول بانه تعالى اتخذ الولد افتراء على
الله الكذب متاع اي افتراؤهم على الله الكذب منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في
الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به وقيل لا يفلحون لا يامنون وقيل لا ينجون
ولا يفوزون وقيل لا يبقون في الدنيا ولكن متاع قليل يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به الى وقت
انقضاء اجالهم ومتاع رفع على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم متاع ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون **قوله تعالى** واتل عليهم نبا نوح اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم

وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين انه تعالى بالغ في تكرير الدلايل وفي الجواب عن الشبهة
والسوالات شرع بعد ذلك في قصص الانبيا ليكون للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه اسوة
بمن سلف من الانبيا فان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع ان عادة الكفار مع الانبيا عليهم
السلام على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت ولان الكفار اذا
سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذا الانبيا المتقدمين فقد نصرهم الله وايدهم
وقهر اعداهم ينكسر قلوبهم ويقع الخوف والوجل في قلوبهم وحينئذ يقللون من انواع الايذا والسفاهة
واتل عليهم واقرا يا محمد على اهل مكة بتاخير نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عظم وثقل وشق
عليكم مقامي مكاني اي نفسي كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لفلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف
مقام ربه وقيل مقامي اي طول مكثي بين اظهركم الف سنة الا خمسين عاما وقيل مقامي وتذكيري
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن
عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قايما وهم قعود وتذكيري وعظي بايات الله الحجة وبرهانه
فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت وبالله وثقت قوله ان كان كبر شرط قيل فعلى الله توكلت جزاوه
والمعنى ان شدة بغضكم تحمله على الاقدام على ايذاي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله وقيل جواب
الشرط قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم يعني اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال
يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اعودن يوما وامري مجمع وشركاوكم الواو بمعنى مع اي فاجمعوا
امركم مع شركايكم واسناد الاجماع الى الشركاء على وجه التهكم لقوله فاجمعوا امركم قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدوني وقيل فيه اضمار اي وادعوا شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي خفيا مظلما
ملتبسا مبهما من قولهم غم الهلاك على الناس اذا اشكل عليهم فلم يتبينوه قال طرفة لعمرك ما امري علي
بغمة نهاري ولا ليلي البهيم بسرمد ه وقيل غمة اي غما وهما والغم والغمة والهم كالكرب والكربة
والامر الاول القصد الى اهلاكه اي فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم
في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلامه وعصمته وانهم لن يجدوا
اليه سبيلا والامر الثاني فيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا معه فيه من الحال
الشديدة عليهم المكروهة عندهم ثم اهلكوني ليلا يكون عيشكم بسبب غصة وحالكم عليكم غمة
غما وهما والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة والسترة من غمه اذا ستره ومنها قوله
صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض الله اي لا تستر ولكن تجاهر بها اي ولا يكن قصدكم الى اهلاكي
مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي اي امضوا الى ما في انفسكم

وافرغوا

وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا اداه وفرغ منه وقيل ثم اقضوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الي
ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم فان اعرضتم
عن تذكيري وقولي وابيتم ان تقبلوا نصيحتي فما سالتكم عن الدعوة وتبليغ الرسالة من اجر
جعل وعوض فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان
اجري ما اجري وجزاي وثوابي الذي يثبتني به في الاخرة على سبيل التفضل بمقتضى وعده الا على الله
اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين انكم سوا قبلتم
دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام اي واني مامور بالاستسلام لكل ما يصل
الي لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه اليق بهذا الموضع لانه لما قال ثم اقضوا الي بين انه مامور بالاستسلام
لكل ما يصل اليه وقيل المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيا ولا يطلبون به ذنبا يريد ان ذلك
مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرى ساحته فذكر ان توليهم
لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم
لا غير **قوله تعالى** فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح عليه السلام
وبين اولئك الكفار ذكر انه الى ماذا رجعت عاقبة تلك الواقعة اما في حق نوح واصحابه فامران
احدهما انه تعالى نجاهم من الكرب العظيم والثاني انه جعلهم خلايف واما في حق الكفار فهو انه تعالى
اغرقهم واهلكهم وهذه القصة زجر للمكذبين من حيث انهم يخافون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح
ويكون داعية للمومنين الى الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة
في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عمن تقدم كانت ابلغ من الوعد والوعيد المبتدا
وعلى هذا الوجه كثير تعالى اقاصيص الانبيا فكذبوه فيموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة
المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلايف سكان
الارض يخلفون الهالكين بالغرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي اخر امر الذين انذرتهم الرسل
فلم يومنوا تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية
لهم **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم
يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاوهم بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كان ايمانهم الا متمنعا
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل اي من قبل انهم كانوا قبل بعثة الرسل

اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حاليتهم قبل بعثة الرسل وبعدها كان لم يبعث اليهم
احد كذلك نطبع على قلوب المعتدين **قوله تعالى** ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى
فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر
مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ثم بعثنا من بعده من بعد
الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه اي اشراف قومه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها
واعظم الكبر تهاون العبد برسالة ربهم بعد تنبيهها وتعظمهم عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي
اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها فلما جاء فرعون وملاه الحق من عندنا اي فلما عرفوا
انه الحق من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لاستيلاء الهوى وحب الشهوات ان هذا لسحر
مبين وهم يعلمون انه الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا وفيه سؤال وهو ان فرعون
وملاه قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر وكيف قال لهم موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر
هذا على سبيل الاستفهام واجيب عنه بان معنى قول موسى اتقولون للحق اتعينون
الحق وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال موسى اسحر هذا
فانكر ما قالوه في عينه والطعن عليه وبان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا
لسحر مبين كانه قيل اتقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وبان يكون جملة قوله اسحر
هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانه قيل اجئتنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحر كما قال
موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ولا يفلح الساحرون لان حاصل صنعهم تخييل وتمويه ولا
يفلح الساحر واما قلب العصا حية وفلق البحر فمعلوم بالضرورة انه ليس من باب التمويه والتخييل فثبت
انه ليس بسحر **قوله تعالى** قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون
لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل
المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون انه تعالى حكى عن فرعون وملائه انهم
لم يقبلوا دعوة موسى وعللوا عدم القبول بامرين الاول قوله اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والقتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون
عبادة الاصنام والحاصل انهم قالوا لا نترك الذي نحن عليه لانا وجدنا اباءنا عليه فقد تمسكوا بالتقليد
ودفعوا الحجة الظاهرة بمجرد الاصرار والسبب الثاني في عدم القبول قوله وتكون لكما الكبرياء في
الارض اي الملك والسلطان لان الملوك موصوفين بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد

والشوس

والشوس واعلم ان السبب الاول اشارة الى التمسك بالتقليد والسبب الثاني اشارة الى
الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ولما ذكر القوم هذين السببين مرجوا بالحكم وقالوا وما نحن
لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني لما ذكروا هذه المعاني جاؤا ولو بعد ذلك ان يعارضوا
معجزة موسى عليه السلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون
السحرة واحضرهم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ان كنتم لا بد ملقين فلما القوا اي
حبالهم وعصيهم وخيلوا بها وظنوا انهم قد ظهروا قال لهم موسى ما جئتم به السحر قرا ابو عمرو بمد الالف
قيل السحر استفهاما فما فيما جئتم استفهام رفع بالابتداء وجئتم به الخبر وهذا على جهة التقرير وقوله السحر
استفهام ايضا كذلك وهو بدل من الاستفهام الاول ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بمضمر يفسره جئتم
به تقديره اي شيء انتم جئتم به والباقون به السحر فما في الرفع على الابتداء بمعنى الذي وصلتها قوله جئتم والعائد
الضمير في به وخبرها السحر والتعريف في السحر لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد
كما يقال في اول الرسالة سلام عليكم وفي اخرها والسلام عليك اي الذي جئتم به هو السحر لا ما قلتم
فبان هذا السحر مبين فانه من ايات الله ويجوز ان يكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتداء وجئتم به
الخبر والسحر خبر ابتداء مضمر تقديره هو السحر ان الله سيبطله سيظهر للناس بطلانه ويجعله هباء منثورا
باظهار المعجزة على السعودة ووجه استفهامه هذا هو التقرير والتوبيخ ويجوز ان يكون ما في موضع
نصب بمضمر يفسره جئتم به على معنى اي شيء انتم جئتم به والسحر مرتفع على خبر المبتدا تقدير الكلام اي شيء جئتم به
هو السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يجعل عملهم نافعا ولا يثبته ولا يديمه
ولكن يسلط عليه الدمار يصح ان يكون من كلام موسى عليه السلام ويصح ان يكون ابتداء خبر من الله
ويحق الله الحق اي يظهر الحق ويثبته بكلماته السابقة الازلية في الوعد بذلك وقيل بكلماته بقوله لا
تخف انك انت الاعلى وقوله ويحق الله الحق يحتمل ان يكون من كلام موسى عليه السلام ويجوز ان يكون
من اخبار الله قبل كون ذلك كله من كلام موسى عليه السلام اقرب وهو الذي ذكره الطبري ولو كره
المجرمون ذلك **قوله تعالى** فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملائه ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين انه تعالى بين فيما تقدم ما كان
من موسى عليه السلام من المعجزات القاهرة والايات الظاهرة وما ظهر من تلقف
العصا ما يافكون ثم انه تعالى بين انهم مع مشاهدة هذه المعجزات العظيمة ما امن
به منهم الا ذرية من قومه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فما امن لموسى اي فما صدق

لموسى مع ما اتاهم به من الايات في اول امره الا طايفة من ذراري بني اسرايل الذين ارسل اليهم موسى
صلوات الله عليه مات اباوهم لطول الزمان وامنوهم قال مجاهد وعن بن زيد هم الذين نشاوا مع
موسى حين كف فرعون عن ذبح الغلمان وانما قيل لها ذرية ولا ذرية لانهم الذين بعث اليهم موسى
وان كانوا بالغين وعن بن عباس الا ذرية الا قليل وقيل ان الذرية قوم امهاتهم من بني اسرايل واباوهم
من القبط وانما سموا ذرية كما قيل لاولاد اهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابنا لان امهاتهم من نعالج
اسرايل واباوهم من القبط وانما سموا ذرية كما قيل لاولاد اهل فارس الى هنا من غير جنس ابايهم والذرية المعقب
من الصغار والكبار من قومه اي من قوم موسى وذلك انه دعا الابا فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طايفة من ابنايهم مع الخوف وقيل من قومه من قوم فرعون اي القبط والذرية الاولاد
والشبان من قوم فرعون وقيل الذرية مومن ال فرعون واسية امراته وخازنه وامراة خازنه
وماشطته وعن بن عباس ان الذرية سبعون لاهل بيت من القبط من ال فرعون امهاتهم من بني
اسرايل فجعل الرجل يتبع امه واخواله على خوف من فرعون وملايهم فمن جعل الضمير الذي اضيف اليه
الملا لفرعون وانما جمع وفرعون واحد لانه ذو اصحاب ياتمرون له والملك اذا ذكر ذهب القوم اليه
والى اصحابه كما يقال قدم الخليفة يراد هو ومن معه وقيل معنى فرعون ال فرعون كما يقال ال ربيعة ومضر
ومن جعل الضمير في قوله لفرعون جعل الضمير في ملايهم للذرية اي خوف من فرعون وخوف من
اشراف بني اسرايل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله
ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وقيل ان يقتلهم وانما لم يقل يفتنوهم لان قومه كانوا على مثل ما كان عليه
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها لقاهر متكبر وانه لمن المسرفين المجاوزين الحد في الظلم والفساد
والكبر والعتو لانه كان عبدا فادعى الربوبية قوله وقال موسى لما شكى بنوا اسرايل الى موسى ما تهددهم
به فرعون من ذبح اولادهم واستحيا نسايهم قال لهم يا قوم ان كنتم امنتم صدقتم بالله وباياته
فعليه توكلوا في امركم في العصمة من فرعون ولا توكلوا على الغير ثم شرط في التوكل الاسلام وهو
ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها لهم سالمة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع
التخليط وجواب قوله ان كنتم امنتم قوله فعليه توكلوا وجزا قوله ان كنتم مسلمين محذوف يدل
عليه ما قبله اي ان كنتم مسلمين ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ونظيره في الكلام ان ضربك زيد
فاضربه ان كانت بك قوة اي ان كانت بك قوة ان ضربك زيد فاضربه قالوا على الله توكلنا اي لا
توكلنا على الغير انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه وتعالى قبل توكلهم
واجاب دعاهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه
والتفويض اليه فعليه برفض التخليص الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا اي لا تظهرهم علينا فيروا انهم على الحق

فيزدادوا

فيزدادوا طغيانا ويقولوا لو كان هاولا على الحق لما اصيبوا وقيل لا تهلكنا بعذاب على ايدي قوم فرعون لو كانوا
على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم ونجنا برحمتك من القوم الكافرين **قوله تعالى** واوحينا
الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المومنين
روي ان بني اسرايل لا يصلون الا في مساجدهم وكنايسهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون
بمساجد بني اسرايل فخربت كلها ومنعهم من الصلاة فاوحى الله عز وجل الى موسى وهارون ان تبوا بوا وتبوا
متعديان لقطعته وتقطعته وخلصته وتخلصته وقيل بوات لنفسي منزلا وتبوات لغيري منزلا بمصر
قيل هو الاسكندرية ومصر ما بين البحر الى اصفران والاسكندرية من اهل مصر معنا بيوتا بحرا واتخذ وهي
لفظة مستعملة في الاماكن تبوا المكان اتخذه مباة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا
من بيوته مباة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قبل القبلة وعن مجاهد
القصور وعن مجاهد اجعلوها مساجد فان فرعون امر بهدم المساجد فقيل لهم اجعلوا بيوتكم قبلة بدلا
عن المساجد وعن بن عباس اجعلوا بيوتكم قبل مكة وعن مجاهد امروا ان يجعلوها مستقبلة الكعبة
وعنه ايضا اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا وقيل اجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلوة فهي
قبلة اليهود الى اليوم وقيل واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة
وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من
الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيودونهم ويفتنونهم عن دينهم كما كان المومنون على ذلك في اول الاسلام بمكة قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وجد اخرا قلت خوطب موسى
وهارون عليهما السلام ان يبوا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبيا ثم سبق
الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى
صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقيل يا محمد المومنين بالنصرة
في الدنيا والجنة في العقبى **قوله تعالى** وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون لما بالغ موسى في اظهار المعجزات القاهرة وعرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا
وردد عليهم النصايح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه
من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على اظهار المعجزات وعرض الايات الا كفرا وعلى الانذار
الا استكبارا وعلى النصيحة الا اصرارا وعلم بوحي من الله تعالى انهم لا يومنون اشتد غضبه عليهم
اخذ يدعوا عليهم فقدم على الدعا تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وقيل ومن حق من يدعوا على الغير ان يذكر اولا

بسبب اقدامه على تلك الجرائم وكان جرمهم هو انهم بسبب حبهم للدنيا تركوا الدين فالهذا قال موسى
صلوات الله عليه ربنا انيت اعطيت وملكت فرعون واشراف قومه زينة ما يتزين به من حلي ولباس وفرش
واناث ومراكب وغير ذلك واموالا ذهبا وفضة ونعما وضيعا عائشة الحيوة الدنيا وعن ابن عباس كانت لهم بسطا
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد ويا قوت ربنا اكبر ربنا استعانة كما يقول
الداعي يا الله يا الله ليضلوا قرأ عاصم وحمزة والكسائي ليضلوا بضم الياء على معنى ليضلوا غيرهم والباقون
بفتح الياء على معنى ليضلوا انفسهم قيل اللام لام الامر على وجه الدعاء عليهم اي ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال
والاضلال وقيل هي لام كي والاستفهام مقدر اي اتيت فرعون وملاه زينة واموالا لكي يضلوا ويضلوا عن
سبيلك وقيل ايتهم املاء واستدراجا لكي يضلوا وقيل ايتهم ليضلهم بها فيضلوا ويضلونا ابتلا منك وهذا
كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقيل هي لام العاقبة اي ليكون عاقبة ذلك الضلال والاضلال كقوله
تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي الى امرهم الى ان صاروا عدوا وحزنا لا انهم قصدوا ذلك وقيل ليضلوا ولا
مقدر ربنا اطمس على اموالهم اطمس المحو والاذهاب قيل اهلكها وقيل امسخها وغيرها عن هيئاتها عن مقاتل
صارت دنانيرهم ودراهمهم وحبوبهم وسكرهم حجارة وبقي شكلها ونقشها واشدد على قلوبهم معناه اشدد عليها
الاسنساف منها حتى لا يدخلها الايمان وقيل اطبع على قلوبهم وختم فلا تلين ولا تنشرح للايمان وقيل اهلكهم
كفارا وقيل اشدد على قلوبهم ليصيروا على الاموال المطموسة ولا سعوا الى الخصب والسعة فلا يومنوا وقيل
عطف على قوله ليضلوا على انهم جعلوا علة اسند سببا الى الضلال والاضلال دعائهم انتوها ليضلوا فلا يومنوا
وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعا معترضي بين المعطوف والمعطوف عليه حتى يروا العذاب
الاليم هو الغرق قال قد اجيبت دعوتكما اي لاحد قال موسى وهارون ربنا وهما يدعوان وقيل كان
موسى يدعو وهارون يومن فلهذا بسبب الدعاء لهما قال الله لموسى وهارون قد اجيبت دعوتكما اي
دعاؤكما مستجاب وما طلبتما واقع ولكون في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والرسالة
وما امرتما به والزيادة في النهي للحث فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما ولا تستعجلان عن
جريج تكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة وقيل فاستقيما على ديني وطاعتي ولتباع امري وقيل فاستقيما
في دعائكما على فرعون وقومه ولا تتبعان قرا ابن عامر بخفف النون وشدد الباقون بتشديد النون
على التشديد نون سعدان قال الزجاج محل سعدان جزم الا انه لما نون النون الشديدة دخلت لسكنة موكدة وكسرت
لسكونها وسكون النون التي قبلها واختير لها الكسر لانها بعد الالف وشبهت بنون الاثنين والمعنى
لا سعا طريق الجهال اي الكفار بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح على سبيل التفضل ولا تعجلا فان
العجلة من الشيطان وقيل سبيل الذين لا يعلمون قضائي ولا خلف في وعدي وان وعدي نازل بفرعون
وقومه **قوله تعالى** وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى

اذا ادركه

اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس
عن اياتنا لغافلون ۞ لما اجاب الله تعالى دعاء موسى وفرعون امر بني اسرائيل بالخروج من مصر في الوقت
وليس لهم اسباب وكان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج
على عقبهم وجاوزنا اي قطعنا بنبي اسرائيل البحر حتى جاوزوه يقال جاوز الشيء وجاوزه وجازه واجتازه
فارقه وصار قدامه وجاوز بغير الشيء جعله قدامه فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته حتى
اتبعته بغيا وعدوا باغيا عاديا اي مستكبرا ظالما وقيل بغيا على المعدو وعدوا الى الفعل حتى اذا ادركه
الغرق اي احاط به الغرق اي لحقه الموت بالماء قال امنت انه فرحمن والكسائي انه بالكسر على الاستيناف
بدلا مما امنت اي قال فرعون انه لا اله الا الذي وقيل باضمار القول اي قال فرعون امنت وقالت انه
لا اله الا الذي والباقون بالفتح على حذف الباء والتي هي صلة الايمان ذر فرعون المعنى الواحد ثلث
مرات وثلث عبارات حرصا على القبول فلم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقال حيث لا يكن سعه
ايمانه وكانت المرة الواحدة كافية في وقته عند بقاء التكليف الا ترى اي قال جبريل وقيل قال الله الا ان
يومئذ اي في هذا الزمان الذي ينفع الايمان فيه اي حين ادركك الغرق واستيقنت ان لفسك ولسائق
التكليف وقد عصيت قبل اي في زمان وقت من المفسدين الضالين المضلين الماغين الناس من الايمان
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان
جبريل صلوات الله عليه اتاه يوما فوجده يحدث نفسه بان لو شاء لاخذ من ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه
وادعى لنفسه ما دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن
سيده الكافر بنعماه ان يغرق في البحر فلما لجمه الغرق تاوله جبريل حطه فعرفه فاليوم ننجيك ببعدك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل بلفيك بحوة من الارض اي مكان مرتفع ببدنك بحسدك لا روح
فيك ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن وقيل ببدنك كاملا سويا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير وقيل عريانا لست الا بدنا من غير لباس وقيل بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقيل من لؤلؤ قيل ان موسى عليه السلام واصحابه لما خرجوا قال من بقي في المدائن من قوم
فرعون ما غرق فرعون لكن هو واصحابه يتصدون في جزائر البحر فاوحى الله الى البحر ان الفظ فرعون عريانا
فكانت نجاة فرعون عبرة وقيل ان اصحاب موسى قالوا انا نخاف ان فرعون ما غرق ولا نومن بهلاكه
فدعا موسى ربه فاخرجه حتى ابصروا هلاكه وقيل كان يدعي انه رب وكان بعده قوم ممن
امنوا فاغرقه هو واصحابه ثم اخرجه من سدم ليكون لمن خلفك اية ليروا ان فرعون ما غرق ولا نومن بهلاكه
وهم بنو اسرائيل وكان في امسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يموت او يغرق وروي انهم قالوا ما مات

فرعون ولا يموت ابدا وقيل لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته
ومهابته وان ما كان من الرؤية محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبريا الملك الى امره
الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما
اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله وقيل يجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك
وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظيمة ان مثله
لا يغرق ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة
في امرك **قوله تعالى** ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ذكر الله
تعالى في الاية المتقدمة عاقبة حال امر فرعون وقومه وفي هذه الاية خاتمة امر بني اسرائيل
فقيل قوم موسى مبوا صدق اي انزلناهم منزلا صالحا مباركا مرضيا ومبوا نصب على انه مفعول
ويجوز ان يكون مصدرا والمفعول محذوف وانما وصف المبوا بكونه صدقا لان عادة العرب
انها اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق تقول رجل صدق وثوب صدق وقدم صدق قال الله
تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والسبب في ذلك ان ذلك الشي اذا
كان كاملا في فنه صالحا للغرض المطلوب بصدق ما يظن به من الخير فمعنى مبوا صدق ان يصدق
فيه ظن قاصده وساكنه واهله من الخير قيل هي الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة التي
كتبها الله ميراثا لابرهيم عليه السلام وذريته وقيل هي الشام وبيت المقدس وقيل هو مصر فما
اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وعن بن عباس رضي الله عنه
بنوا اسرائيل هم قريظة والنضير وبنوا قينقاع فبوانا هم مبوا صدق ما بين المدينة والشام
ورزقناهم من الطيبات ما في تلك البلاد من الرطب والتمر ثم انهم بقوا على دينهم ولم يظهر
فيهم اختلاف حتى جاءهم الحق اي القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم سمي القران علما لانه
سبب العلم تسمية السبب باسم المسبب واختلافهم انهم كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله
عليه وسلم ويفتخرون به على ساير الناس فلما كذبوه حسدا وبغيا وايثارا لبقا الرياسة
وامن به طائفة وقيل العلم محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم ببعثه وذلك لانهم
لما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم فالعلم بمعنى المعلوم قال الله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز
المحق من المبطل والصديق من الزنديق وقيل فيما كانوا فيه يختلفون في امرك يعني يدخل

المصدقين

المصدقين الجنة والمكذبين النار **قوله تعالى** فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فسال الذين اوتوا الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ولا تكونن من الممترين
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يومنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم لما ذكر الله تعالى في الاية الاولى
اختلافهم عند ما جاءهم العلم اورد على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ما يقوي
قلبه في صحة القران والنبوة قد اكثر المفسرون في تاويل هذه الاية عن مقاتل كانت كفار قريش
انما تلقى هذا الوحي على لسان محمد صلى الله عليه وسلم شيطان فانزل الله هذه الاية قبل الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الشاكين على عادة العرب في خطابهم للشي ويريدون
به غيره كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فالخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به المومنون يدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل وقيل ان الله تعالى
يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الخطاب شامل للكل والمعنى فان كنتم في شك فاسلوا يدل
عليه قوله بعد هذا قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني عن بن عباس لم يرد النبي صلى الله عليه
وسلم لانه لم يشك في الله ولا فيما اوحي اليه ولكن يريد ما امن به وصدقه امرهم ان يسلوا لئلا
يتاوتوا كما شك المنافقون على ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسل بل اشهد انه
لحق وعن بن عباس رضي الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليك كتابا كقوله تعالى
وانزلنا اليكم نورا مبينا ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وتحت راية ذلك الامير رعية
واراد ان يامرهم بامر فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجهه الى الامير ليكون اقوى تاثيرا في قلوبهم وقيل
انه تعالى علم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشك في ذلك الا ان المقصود انه اذا سمع هذا الكلام فانه
يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من اهل الكتاب بل كفى ما انزلته علي من البينات الظاهرة
والايات القاهرة ونظيره قوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله والمقصود
ان يصرح عيسى بالبراة عن ذلك وقوله للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن وقيل اراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقال كيف قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفار وانهم لفي شك منه مريب لانا نقول
نقول عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله
فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان منه تقديرا
فان قوله فان كنت في شك قضية شرطية لا اشعار فيها فان الشرط وقع او لم يقع ولا بان الجزا

وقع او لم يل الاشعار لها بان الشرط ممكن الوقوع او غير ممكن الوقوع ونظيره قوله تعالى قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني
اسرائيل وهم قراة القران ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يوكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من اختلج
بباله شبهة في الدين المبادرة الى حلها والمسارعة الى اماطتها اما بالرجوع الى اصول الدين وبراهين
العقل واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل الذين يقرون الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة
ما انزل اليك علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ
في العلم بصحة ما انزل الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات الساطعة والبراهين القاطعة
ان ما اتاك هو الحق الذي لا ريب فيه وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا
عزا اخوك فهن ويحتمل ان يقال ليس هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم بل خطابه مضمر تقديره قل يا محمد
للشاك في نبوتك فان كنت في شك مما انزلنا اليك فان القران منزل الى كل احد كقوله قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وقيل ان هاهنا للنفي اي ما كنت في شك مما انزلنا اليك فسل اي لا نامرك بالسواك لانك شاك ولكن
لتزداد يقينا وطمانينة كما ازداد ابرهيم صلوات الله عليه بمعاينة احياء الموتى فسل الذين يقرون الكتاب
من قبلك اي مومني اهل الكتاب ومتدينيهم وقيل عبد الله بن سلام وامراته ليخبروك بصحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل في شك في ضيق صدر فان الشاك في الشيء يضيق به الصدر فيقال لضيق الصدر
شاك يعني ان ضقت به ذرعا فاصبر واسل الذين يقرون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى
قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر والتمكين فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله وقيل
هذا على طريق التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد
اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك قرا نافع وابن عامر
كلمات على الجمع والباقون كلمة على لفظ التوحيد اي الذين ثبت عليهم قوله سبحانه وتعالى الذي كتبه
في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم يموتون وهم كفار وعن ابن عباس قول ربك بالسخط عليهم
وعن قتادة سخط ربك بما عصوه وعن مقاتل وجبت كلمة العذاب وقيل وجب عليهم الوعيد وقيل قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل كلمته لعنته في قوله الا لعنة الله على الظالمين وقيل
كلمة ربك اخباره انهم لا يومنون يريد به مشركي العرب ولو جاءتهم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ان ياتيهم بالايات حتى يومنوا فقال تعالى لا يومنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفعهم
حينئذ ايمانهم كما لم ينفع فرعون حين ادركه الغرق **قوله تعالى** فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين لما بين الله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا
العذاب الاليم اتبعه بهذه الاية دلالة على ان قوم يونس امنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك
الايمان وذلك يدل على ان الكفار فريقان منهم من حكم عليه بخاتمة الكفر ومنهم من حكم عليه بخاتمة الايمان
وكل ما قضى الله به واقع فلولا معناه النفي اي فما كانت قرية واحدة من القرى امنت فنفعها ايمانها الا
قوم يونس وانتصب قوم يونس استثناء منقطع من القرى لان المراد اهاليها ولكن قوم يونس لما
امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا
قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقيل لولا معناه هلا اي فهلا كانت قرية واحدة من القرى
التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون
الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس فانهم لما راوا
امارات العذاب امنوا فنفعهم ايمانهم وهو قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي الهلاك والهوان في الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين الى اجالهم وقيل كشفنا عنهم العذاب الى يوم القيمة فيجازون بالثواب والعقاب
وقيل انما نفعهم ايمانهم في وقت الياس لان اجالهم قد بقيت منها بقية فنجوا لما بقي من اجالهم فاما ايمان
من قد مضى اجله فغير نافع عند حضور العذاب قصة يونس على ما ذكره المفسرون ان يونس عليه
السلام بعثه الله الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الاسلام وترك ما هم عليه فابوا ثم دعاهم
فابوا فاوحى الله اليه ان اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه
كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف
الليل خرج يونس عليه السلام من بين اظهرهم فلما اصبحوا غامت السماء غيما اسودها يلا يدخن دخانا
شديدا فهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلما ايقنوا ذلك الهلاك فطلبوا يونس عليه
السلام فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
وذراريهم ولبسوا المسوح واخلصوا النية واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها
من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات واختلطت اصواتها باصواتهم وحنينها
بحنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا امنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستخاف دعاهم
وكشف عنهم العذاب بعد ما ظهر وتدلى عليهم وذلك يوم عاشورا وعن ابن مسعود رضي الله عنه
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه

فيرده روى انه لما غشى قوم يونس العذاب خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب
فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فكشف عنهم العذاب ومتعوا
الى حين وعن الفضيل ابن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل
بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **قوله تعالى** ولو شاء ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن
الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قال الامام ان هذه السورة من اولها الى هذا الموضع
بيان حكاية شبهات الكفار في انكار النبوة مع الجواب عنها وكانت احدى شبهاتهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يهددهم بنزول العذاب على الكفار وبعد اتباعه بان الله ينصرهم ويعلي شانهم ويقوي
جانبهم ثم ان الكفار ما راوا ذلك فجعلوا ذلك شبهة في الطعن في نبوته وكانوا يبالغون في استعجال
ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم ان الله سبحانه بين ان تاخير العذاب به لا يقدح في صحة الوعد ثم
ضرب لهذا امثلة وهي واقعة نوح وواقعة موسى وامتدت هذه البيانات الى هذا المقام ثم في هذه
الاية بين ان جد الرسول صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الايمان لا يقدح ومبالغته في تقرير الدلايل
وفي الجواب عن الشبهات لا تفيد لان لا يحصل الا بمشية الله تعالى وخلقه وارشاده وهدايته
واذا لم يحصل هذا المعنى لا يحصل الايمان عن بن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حريصا على ايمان جميع الناس فاخبر الله انه لا يومن الا من سبقت له المشية والسعادة
وقيل نزلت في ابي طالب ولو شاء ربك لو تفيد انتفاء الشي لانتفاء غيره اي لو شاء ربك ايمان كل من
في الارض لامن كل من في الارض كلهم جميعا لكن لم يشا ايمان من في الارض كلهم جميعا فعلم من الاية ان
الله تعالى لو شاء ايمان الكفار لامنوا لكن لم يتحقق ايمان الكفار فهذه الاية حجة لنا على المعتزلة والتقييد
بمشية الالجاء على خلاف الظاهر من غير دليل بل مع وجود الدليل على عدم التقييد جاء بقوله جميعا مع
كل تاكيدا لقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين والمعنى لان كل من في الارض على وجه الاحاطة والشمول
جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
المعنى انه لا قدرة لك على التصرف في احد والمقصود منه بيان ان القدرة القاهرة والمشية النافذة
ليست الا للحق وما كان وما ينبغي لنفس من النفوس ان تومن الا بامر الله وقيل بقضاء الله وقيل بمشية
الله وقيل بعلم الله وقيل بتوفيق الله وقيل الا باذن الله لها فيه فلا تجهد نفسك في هداها فان ذلك
الى الله ويجعل الله الرجس العذاب وقيل الاثم والعدوان وقيل الفتن والعذاب وقيل الشيطان وقيل
الغضب والسخط وقيل ما لا خير فيه قرا ابو بكر عن عاصم نجعل بالنون والباقون بالياء على الذين لا يعقلون
دلايل توحيده وحجج تنزيهه واوامره ونواهيه **قوله تعالى** قل انظروا ماذا في السموات

والارض

والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون قرا عاصم وحمزة قل انظروا بكسر اللام
لالتقاء الساكنين والباقون بضمها نقلوا ضمة الهمزة الى اللام لما بين في الاية المتقدمة ان الايمان
لا يحصل الا بمشية الله تعالى امر بالنظر في الدلايل حتى لا يعتقد ان الحق هو الخبر المحض فقال قل
انظروا قال الامام هذا يدل على مطلوبين الاول انه لا سبيل الى معرفة الله الا بالتقدير في الدلايل
كما قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والثاني ان الدلايل اما ان تكون من عالم
السموات او من عالم الارض اما الدلايل السماوية وهي حركات الافلاك ومقاديرها وارتفاعها والكواكب
وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوايد واما الدلايل الارضية وهي احوال العناصر والمعادن
واحوال النبات واحوال الحيوانات واحوال الانسان خاصة ثم ينقسم كل واحد من هذه الاجناس الى انواع
لا نهاية لها ولو ان الانسان يتفكر في كيفية حكمة الله في خلق جناح بعوضة لانقطع فكره قبل ان يصل
الى اول مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوايد فلهذا ابهم قوله ماذا في السموات والارض ولم يذكر التفصيل
فكانه تعالى نبه على القاعدة الكلية حيث يتنبه لاقسامها ثم انه تعالى لما امر بهذا التفكر والتدبر
في هذه الايات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى في الازل بالشقا والضلال وقيل يا محمد لهاولا المشركين
الذين يطلبون منك الايات انظروا ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والارض من الجبال والبحار
والانهار والاشجار وغيرها من الايات وما تغني الايات والنذر الرسل المنذرون او الانذارات عن قوم
لا يومنون اي علم الله انهم لا يومنون وحكم بكفرهم وما نافية او استفهامية اي اي شيء يغني عنهم وهو
استفهام بمعنى الانكار **قوله تعالى** فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين فهل ينظرون يعني مشركي مكة الا اياما مثل ايام
الذين خلوا مضوا من قبلهم من مكذبي الامم يعني وقايع الله في قوم عاد وثمود والعرب تسمي الوقايع
اياما سوا كان وقايع خير او شر قل فانتظروا مثلها ان لم تومنوا اني معكم من المنتظرين لذلك
وقيل انتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم جواب لهم حين قالوا نتربص بكم الدواير
قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المومنين ثم ننجي
رسلنا معطوف على حكاية الاحوال الماضية اي كنا اهلكنا الذين خلوا ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
معهم كذلك اي مثل ذلك الانجا ننجي محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين منكم ونهلك المشركين وحقا
علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا بحسب الوعد والحكم لا واجبا بحسب الاستحقاق وقع تاكيدا
للكلام اي حقا غير شك وقيل يجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انجا حقا قرا الكسائي وحفص ننجي
بالتخفيف من الانجا والباقون بالتشديد من التنجية **قوله تعالى** قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم

وامرت ان اكون من المومنين لما ذكر الادلة على اقصى الغايات امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم باظهار دينه وانفصاله عن المشركين قل يا محمد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف
لتعلموا انه دين لا مدخل للشك فيه وهو اني لا اعبد الحجارة التي لا تخلق ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم
شيا من دون الله الذي هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتزلي ليريهم
بانه الحقيق بان يخاف ويتقى فتعبدون من لا يقدر على شي الذي يتوفاكم يقدر ان يميتكم ويقبض ارواحكم
وامرت ان اكون من المومنين بما اتى به الانبيا قبل يعني ان الله امرني بذلك بما اوحى الي في كتابه وقيل ان كنتم
لا تعرفون ما انا عليه فانا ابينه لكم وقيل ان كنتم في شك من ديني فانا على يقين وقيل ان شككتم في ان ديني
افضل ام دينكم فاسمعوا وجعلهم شاكين لاضطرابهم عند نزول الايات وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني
ومما انا عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال فلا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا
اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون **قوله تعالى** ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان اقم معطوف وفي المعطوف
عليه وجهان احدهما ان قوله وامرت ان اكون وقيل لي كن مومنا ثم عطفه على قوله وان اقم وثانيهما
ان قوله وان اقم وجهك قايم مقام قوله وامرت باقامة الوجه قال صاحب الكشاف فان عطف قوله
وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا اخلو من ان تكون التي للعبارة اي المفسرة او التي تكون
مع الفعل في تاويل المصدر اي ان المصدرية فلا يصح ان يكون التي للعبارة وان كان الامر يتضمن
معنى القول لان عطف ان اقم على الموصولة التي هي ان في قوله ان اكون باي ذلك لانها متصلة
بالفعل مفيدة معها معنى المصدر وشرط ان المفسرة ان لا يتصل بها شي من صلة الفعل الذي يفسره
اذ لو اتصل به شي صار في جملة ذلك الفعل ولم يكن تفسيرا له فاذا عطفها على الموصولة اتصلت
بها لان المعطوف في حكم المعطوف عليه فيقتضي الاتصال والقول بكون ان في قوله ان اقم موصولة
مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق
والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي لانهما دالان على المصدر دلالة
غيره من الافعال وان اقم وجهك ان اقم وجهك اي استقبل القبلة في الصلاة وتوجه نحوها
وقيل اخلص عملك وقيل استقم مقبلا بوجهك على الذي امرك الله وقيل استقم اليه ولا تلتفت
يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من الشرك الخفي لان الشرك الظاهر مذكور
فلا اعبد الذين تعبدون ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان دعوته واطعته ولا يضرك ان خذلته

وان اقم وجهك للدين حنيفا صح

وعصيته

وعصيته اي لا تدع الهة كما تدع المشركون الهة وهذا تحقير للاوثان وهوان فان فعلت معناه
فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته ولا يضرك ان عصيته فكنى عنه بالفعل انجازا
فانك اذا من الظالمين لانفسهم الواضعين الدعوة في غير محلها فانك اذا من الظالمين لانه لا ظلم
اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم **قوله تعالى** وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم ه اتبع النهي عن دعاء غير الله ووصفه بانه لا ينفعك ولا يضرك ان الله
هو الضار النافع الذي ان قال يمسسك يصيبك بضر فلا كاشف لذلك الضر الا هو
وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وان يردك بخير يرد بك خيرا يوصله
اليك فلا راد لمراده عبر عنه بالفضل تنبيها على ان ما يوصل اليه من الخير بفضله لا بالوجوب فكيف
بالاوثان فهو الحقيق باذن ان يعبد وحده وانما ذكر المس في احدهما والارادة في الاخر لانه اراد ان
يذكرهما جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما
يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل
بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به اي بالخير من يشاء من عباده
واراد بالمشية المشية على الاطلاق لا مشية المصلحة فان التقييد بها عدول عن الظاهر
من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر هو الحق وهو الغفور الرحيم فلا تياسوا من
غفرانه ورحمته **قوله تعالى** قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل ه قل يا ايها الناس يا اهل مكة
قد جاءكم الحق يعني محمدا والقران فمن اهتدى امن بمحمد وعمل بما في الكتاب فانما يهتدي لنفسه فلنفسه
ثواب اهتدايه ومن ضل كفر بهما فانما يضل على نفسه ونال ضلاله واللام دل على معنى النفع وعلى دل
على معنى الضرر وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى
امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير لمن اهتدى نذير لمن ضل **قوله تعالى**
واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين امره الله تعالى باتباع الوحي والتنزيل
من التبليغ والتبشير والاعذار واصبر على تبليغ الرسالة ودعوتهم واحتمال المكاره والاذى
واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع على السراير ه ه

سورة هود عليه السلام مكية

بالاجماع وعن ابن عباس انها غير مكية الا اية واحدة وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي
النهار وعن مقاتل مكية كلها الا ثلاث ايات قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى

اليك وقوله اوليك يومنون به نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في رهاب التمار وهذه الملايه مدنية قالوه متاتل على ان الاول يشبه المكي وهي مايه وثلث وعشرون ايه والف وتسعمايه وخمس وعشرون كلمه وسبعة الاف وستمايه وستة احرف روي انه قيل يرسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقه والواقعه وعم يتسالون وهل اتاك حديث الغاشية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ۞ قيل الرا اسم كتاب او حروف كتاب وعلى التقديرين مبتدا كتاب خبره ومن تاول الربغير ذلك قال الكتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب والمراد بالكتاب القراءة والتنكير للتعظيم احكمت اياته عن الباطل والتناقض والكذب وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح قال حرير ابني حنيفة احكموا سفهاكم اني اخاف عليكم ان اغضبا ۞ وقيل جمعت وقيل احكمت من ان ينسخ كسائر سواه كما نسخ سايرالكتب به وقيل احكمت ايات هذه السورة من النسخ فليس فيها منسوخ وقيل احكمت اياته بالحج والدلايل والامر والنهي وقيل احكمت نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكمة لقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل احكمت اياته بنظم عجيب بليغ بديع وصيغ محكم منيع لا يقع فيه نقض ولا خلل فالنبا المحكم الموصف وعم الايات بالاحكام هاهنا وخص بعضها به في قوله ايات محكمات هن ام الكتاب اما لحمل العام على الخاص واما لان المراد بالاحكام هنا بلوغ نظمها في البلاغة والفصاحة حيث تسمع المعارضة وتعجز الالسنة عن الاتيان بسورة من مثله وعن معرفتها ثم فصلت اي بينت احد الشيئين عن الاخر حتى يكون بينهما فرجة ومنه قيل للفاصل والواحد مفصل وفصل القوم عن مكانهم كذا فارقوه قال الله تعالى فلما فصلت العير وتستعمل في الافعال والاقوال قال الله تعالى انه لقول فصل وقوله ان يوم الفصل كان ميقاتا اي يفصل بين الناس بالحكم وفصل الخطاب ما فيه قطع الحكم وعن قتاده احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد من دلايل التوحيد والنبوة والشرايع والاحكام والامر والنهي والحرام والحلال والوعد والوعيد والثواب والعقاب والمواعظ والقصص وسائر كل شي مما تحتاج الناس اليه من الدنيا والاخرة وقيل فرقت في التنزيل فصلا فصلا وبخبا بخبا ولم تنزل جملة واحدة او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية ثم معناها التراخي في الحال لا في الوقت كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل من لدن الموضع الذي هو الغاية وهو ظرف غير متمكن عنزلة عند لكنها مختصة بما قرب مكان وعند القريب والبعيد ولهذا تقول عندي كذا ما لم تكن حضرا وغاب عنك ولا تقول لدى كذا الا ما هو بحضرتك وقد دخل عليها من وحدها من حرف الجر احكمت فصلت للدعاء ثم فصلت عطف على احكمت من لدن صفة ثانيه

ويجوز

ويجوز ان تكون خبرا بعد خبر وان تكون صلة لاحكمت وفصلت اي من لدن حكيم خبير احكامها وتفصيلها اي احكمها حكيم وفصلها بينها خبير عالم بكيفيات الامور وفيه طباق بديع حسن وحكيم يحتمل ان يضاف لدن اليه وان لا يضاف ونتكير وصفه بالخبير على هذا الوجه يفيد التعظيم وانه لا يدرك كنهه

قوله تعالى الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ۞ ان في محل نصب اما على اضمار فعل اي تكتب ان لا تعبدوا واما بنزع الخافض اي فصلت بان لا تعبدوا واما انه مفعول له على معنى لئلا تعبدوا اي كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله وهذا التاويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب الا المنع من عبادة غير الله والحث على عباده الله فكل من صرف عمره الى سايرالمطالب فقد خسر خسرانا مبينا وضل ضلالا بعيدا وقيل يجوز ان تكون محلها الرفع اي الكتاب ان لا تعبدوا الا الله او بفصلها ان لا تعبدوا الا الله وعلى التعاديران مصدرية ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل امركم الا تعبدوا الا الله او قال لا تعبدوا الا الله والمفسرة لا محل لها ويجوز ان تكون قوله ان لا تعبدوا كلاما مبتدا منقطعا عما بعده من حيث اللفظ متصلا به من حيث المعنى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اخر من عبادة غير الله احصاص الله بالعبادة كانه لما قيل انزل اليك كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير امتنانا قال صلى الله عليه وسلم فاذا نحب على اذا فقيل ان تامر امتك ان لا تعبدوا الا الله ويدل على هذا قوله تعالى اني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله اني لكم منه نذير وبشير اي اذا كان الامر كذا فان لا تعبدوا منقطعا فان لا يجوز ان تكون مصدرية فهو نهي عن ترك عباده غير الله سركا لحذف الفعل وقدم المصدر وناب مناب الفعل ثم اضيف الى المفعول وفيه احتصار مع اعطاء معنى التاكيد اني لكم منه اي من الله اي اني لكم نذير وبشير من جهته الله كقوله رسول من الله وهي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه اذا منتم قوله ان لا تعبدوا الا الله نهي عن عبادة غير الله وامر بعباده الله وهو تذيير على الاول بشير للثاني والرسول صلى الله عليه وسلم ما بعث الا لانذار على فعل ما لا ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ثم توبوا اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل استغفروا والاستغفار توبة ثم احصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا وقيل معنى قوله استغفروا اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشي الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والمحرك عليه هو الاستغفار الذي هو طلب المغفرة وهذا يدل على انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا باظهار التوبة وقيل استغفروا

لما مضى من الذنوب ثم توبوا لما عسى ينفع من الذنوب في المستانف وقيل اخر التوبة لان التقدير سلوا
المغفرة وتوسلوا اليها بالتوبة فالمغفرة اول في الطلب واخر في السبب يمتعكم متاعا حسنا مصدر
جار على فعله اي يعيشكم عيشا في حفظ ودعة وامن وسعة ولا يهلككم ولا يبتليكم بالقحط ويطول
نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى لكل واحد
وهو اجل الموت وعن سعيد بن جبير يوم القيمة وعن بن عباس الى وقت لا يعلمه الا الله ويعط كل ذي
فضل عمل صالح فضله اجره وثوابه في الدنيا والاخرة سمي الجزاء بالفضل تنبيها على انه على سبيل الفضل
الا الوجوب وسمي العمل الصالح فضلا على سبيل المشاكلة وقيل الضمير في فضله لله اي يوت كل ذي
فضل فضل الله وقيل يريد تضعيف الحسنات وقيل من كان ذا فضل في دينه فضله الله في الدنيا
بالمنزلة كما فعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاخرة بالثواب الجزيل قال صاحب الكشاف
ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يحسن منه شيا او فضله في
الثواب والدرجات يتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات عن بن مسعود رضي الله عنه من عمل
سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل صالحا كتب له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها
في الدنيا بقيت له عشر حسنات فان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من الحسنات العشرة واحدة
وبقيت له تسع ثم قال هلك من غلبت احاده عشاره وعن بن عباس رضي الله عنه من زادت
حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار ومن استوت
سياته وحسناته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة بعد وعن مجاهد هو ما يحتسبه الانسان
من كلام بقوله بلسانه او بعمله بيده ورجله او ما يطوع به من ماله وان تولوا اي وان يتولوا وقيل
وان تولوا ماض وعليكم بلفظ الخطاب على الالتفات فاني اخاف عليكم وقيل اعلم عذاب كبير يوم القيمة
وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم بين ايتاء ذي فضل فضله وعذاب يوم كبير
بان مرجعهم الى الله لا الى غيره وهو على كل شيء قدير اي قادر على ما شاء من الثواب والعقاب والنفع
والضر يتادى الفضل فضله وعذاب المتولي وهذا وعد عظيم بالنسبة الى ذي الفضل ووعيد
شديد بالنسبة الى المتولي **قوله تعالى** الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ه انه تعالى
لما قال وان تولوا يعني عن عبادة الله وطاعته فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير بين ان التولي عن
ذلك باطنا كالتولي عنه ظاهرا فقال انهم اي الكفار من قوم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على الكفر
وقيل على حديث النفس استخفوا منه يعني ويزيدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسول الله والمومنين
على ازورارهم ونظير اضمار يزيدون لقود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر

فانفلق

فانفلق معناه فضرب فانفلق وهذا يحتاج الى بيان فان ثني بالصدور على الكفر والعداوة لا يكون
علة لاستدارة النفوس ووجه ذلك ان يقال تقديره ليستخفي سوهم فحذف المضاف واسند الفعل
الى الضمير الذي هو المضاف اليه فارتفع به او يقال تقديره ليستخفوا بما اسروا فحذف لان معنى استخفى به
واخفاه واحد ومن جعل معناه ولو اظهورهم لم يحتج الى هذا التاويل ويكون منه عايدا الى النبي صلى الله
عليه وسلم الا حين يستغشون ثيابهم اي ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم اي يغطون
رؤسهم بثيابهم ايضا كراهية لاستماع كلام الله تعالى لقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم عن قتادة وذلك اخفى ما يكون ابن ادم اذا ثنى صدره واستغشى ثوبه
واضمر همه في نفسه يعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا يقا في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه
لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله سبحانه وتعالى مطلع على سيهم في صدورهم واستغشاهم
ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها لما نزلت في الاخنس ابن شريق رجلا حلوا الكلام حلوا
المنظر يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وكان يعجب رسول عليه مجالسته
ومحادثته وكان يبطن خلاف ما يظهر وقيل نزلت في بعض المخالفين اذا مر برسول الله صلى الله
عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطا وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين ه لما ذكر تعالى في الاية الاولى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون انه
عليم بذات الصدور اردفه بما يدل على كونه عالما بكل شيء فذكر ان رزق كل حيوان انما يصل اليه
من الله فلو لم يكن عالما بكل شيء لما حصلت هذه المهمات وما من دابة من صلة تفيد تاكيد العموم
والدابة كل حيوان دب على وجه الارض وقيل كل ما اكل فهو دابة الا على الله رزقها قوتها وغذاوها
وما تعيش به والله المتكفل بذلك فضلا لا وجوبا ولما وعد ان يتفضل به عليهم صار واجب التحقق
بمقتضى الوعد وقيل على بمعنى من الله رزقها يدل عليه قول مجاهد ما جاها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها
حتى تموت جوعا ويعلم مستقرها مكانها ومسكنها الذي تستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها موضعها
الذي تودع فيه قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة وقيل مستودعها موضعها الذي تودع فيه
انما تموتها فيه او دفنها وقيل يعلم مستقرها في الجنة والنار ومستودعها القبر قوله تعالى في وصف اهل
الجنة والنار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقرا ومقاما كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها وغيرها في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقها يعني ذكرها مكتوب فيه مبين **قوله تعالى**
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولين
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين لما ثبت بالدليل

المتقدم كونه عالما بالمعلومات اثبت بهذا الدليل كونه قادرا على كل المقدورات وفي الحقيقة فكل واحد من هذين
الدليلين على كمال علم الله تعالى وعلى كمال قدرته وكان عرشه على الماء اي فوق الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق
السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض عن كعب خلق الله
عز وجل ياقوتة ثم نظر اليها بالهيبة فصار ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقيل
معنى قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالاخر قيل
ان الله كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض بالحق وخلق العلم يكتب به ما هو خالق وما هو كاين من خلقه
ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قيل ان يخلق شيئا من الخلق والفائدة في ذكر قوله وكان عرشه على الماء
بيان كمال قدرة الله فان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك العرش
العظيم بغير عمد لما صح ذلك وانه امسك الماء على الاقرار وان العرش الذي هو اعظم المخلوقات قد امسكه تعالى
فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك يدل على كمال قدرته ليبلوكم قال صاحب الكشاف
ليبلوكم متعلق بمحذوف اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم بما يقتضون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن عصى وكفر عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاخوانكم كيف فقوله ليبلوكم من الاستعارة التبعية الواقعة على طريق
مشبه حال المكلف الممكن المختار مع تعلق علم الله تعالى بافعاله بحال المختبر ثم استعير لجانب المشبه
ليبلوكم موضع ليعلم وجعل قرينة الاستعارة علم العالم الخبير بما ظهر وما بطن قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جاز تعليق فعل التولي قلت لما كان في الاختبار من معنى الظن لانه طريق اليه فهو ملابس
كما تقول انظر ايهم وجها احسن واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم قيل وفيه نظر
لان في سورة الملك قد ذكر في نظيره انه ليس بتعلق وعلله بقوله انما التعليق ان يوقع بعد ما يسد مسد
المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق ومعناه ان من شرط التعليق ان لا يذكر شيء بين
المفعولين قبل الجملة وههنا سبق المفعول الاول وهو الضمير المنصوب فلا يكون تعليقا قيل ويمكن ان يراد
بالتعليق ههنا ان قوله ليبلوكم سبب لما علق علمه بالاستفهام وهو العلم وقد اكتفى بالسبب وهو الابتلاء
عن المسبب وهو العلم وهو المراد من قوله لانه طريق اليه كما ان النظر والسمع طريقان الى العلم فتقدير
الكلام ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا قال الامام في ليبلوكم يقتضي انه تعالى خلق السموات والارض لابتلاء
المكلف فظاهر هذا يقتضي انه تعالى خلق هذا العالم لمصلحة المكلفين وقد قال بهذا طوايف من العقلاء
والذين قالوا ان افعاله تعالى واحكامه غير معللة بالمصالح قالوا لام التعليل معناه ههنا ان الله تعالى
فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للحث على احاسن الاعمال والحث على الترقي دائما

في مراتب

في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يدل على عموم عمل القلب والجوارح قال صاحب الكشاف فان
قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المومنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى
تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه
وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وما ذكره حسن لولا قوله ما هو غرض الله
من عباده تقريرا لمذهبه فانه تعالى منزه عن ان يكون له غرض قوله ايكم احسن عملا اي احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ايكم اعمل بطاعة
الله وقيل ايكم اتقى لله وازهد في الدنيا واقوى لها تركا ولئن قلت انكم مبعوثون لما بين انه انما خلق هذا
العالم لابتلاء المكلفين وجب القطع بالحشر والنشر لان الابتلاء يدل على تخصيص المحسن بالثواب
والمسيء بالعقاب وذلك لا يتم الا بعد الاعتراف بالبعث بعد الموت فخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون اي انهم يستنكرون هذا الكلام ويحكمون بفساد القول بالبعث ان هذا
الا سحر مبين اي ما هذا الذي يقول اي البعث بعد الموت الا باطل وان بطلانه كبطلان السحر يشبه له
به وقيل السحر ههنا الخداع اي ان هذا الاخداع منكر وضعتها لتصرف وجوه الناس عن لذات الدنيا
الى الانقياد لك والدخول تحت طاعتك وقيل اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا باطلا اندرج تحته انكار ما فيه البعث وغيره **قوله تعالى** ولئن اخرنا
عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن ه انه تعالى في الاية الاولى انهم يكذبون الرسول في قوله انكم مبعوثون بعد
الموت فحكى عنهم في هذه الاية نوعا اخر من اباطيلهم وهو قولهم ما يحبسه ولئن اخرنا عنهم اي عن اهل مكة
العذاب اي عذاب الاخرة وقيل عذاب بدر الى امة معدودة اي الى جماعة من الاوقات معدودة
محدودة معلومة قوله تعالى واذكر بعد امة اي جماعة من الزمان وقيل الى مجيء امة وانقراض امة وقوله
معدودة قليلة ما يحبسه ما يمنع العذاب من الوقوع استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء
الا يوم ياتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم خبر ليس عنهم في محل الرفع بانه اقيم مقام الفاعل ويوم ياتيهم
منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها
عليها فكان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق
بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون لان استعجالهم على وجه
الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره عن احوال القيمة بلفظ الماضي
مبالغة في التقرير والتاكيد لتحقق وقوعه **قوله تعالى** ولئن اذقنا الانسان منا رحمة

ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير لما ذكر ان عذاب
هاولا الكفار يحيق بهم قطعا ذكر بعده ما يدل على كفرهم واستحقاقهم للعذاب ولئن اذقنا اعطينا
الانسان للجنس رحمة ونعمة وسعة من صحة وامن وجدة واذقناه حلاوتها ومكناه من التلذذ بها ثم
نزعناها منه سلبنا تلك الرحمة منه انه ليؤس شديد الياس ان يعود اليه تلك الرحمة المسلوبة فانظ
من رحمة الله وفضله من غير صبر ولا تسليم لقضاء الله تعالى ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف
له من التقلب في نعمة الله نسأله ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته بعد الفقر الذي ناله والضر
الفقر الذي يضر بالبدن لعدم المال ليقولن ذهب السيئات عني اي المصيبات التي مسني انه لفرح
اشر بطر فخور على الناس ما اذاقه الله سبحانه وتعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين
صبروا على الضراء وعملوا الصالحات وشكروا على النعماء فان عادتهم ان زالت عنهم نعمة ان يصبروا وان
نالتهم رحمة ان يشكروا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة والاستثناء صحيح لان الانسان
اسم للجنس اي الانسان بهذه الصفة الا المؤمنين وقيل منقطع اي ليكون الذين امنوا **قوله تعالى**
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
انما انت نذير والله على كل شيء وكيل هذا نوع اخر من اباطيلهم كانوا يقترحون عليه صلى الله
عليه وسلم ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت امة واحدة مما جاء به كافية في
رشادهم وعن ابن عباس ان روسا مكة قالت يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا ومن اقتراحاتهم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغير ما جاء به البينات
فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما يقبلونه ويضحكون منه محركة الله
تعالى منه وهيجه لاداء الرسالة فطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك اي فلعلك تترك ان تكفيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال المشركون للنبي صلى الله عليه ايتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا وضائق به صدرك
بان تتلوه عليهم بان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه قيل وضائق به صدرك غير مبلغه اياهم اللفظ خبر والمعنى نهي اي
لا تركن الى كلامهم ولا يضيق به صدرك باقتراحهم ولا تهتم ان لم تؤت ما سالوكه ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز بنفقة لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقيل لان يقولوا وقيل هو ان يقولوا وقيل يجوز في الضمير
به ثلاثة اوجه احدها ان يعود الى بعض ما يوحى والثاني الى التبليغ والثالث الى التكذيب ثم قال انما انت
نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما يوحى اليك وتبلغهم ما امرت من تبليغه ولا عليك ردوا او تهتدوا او تهاونوا

ام افترحوا

ام افترحوا وليس عليك ان تاتيهم باقتراحهم من الايات والله على كل شيء من حفظك وما يقصدونك
به وكل متوكل وكل امرك اليه وبلغ ما انزل اليك بقلب فسيح وصدر منشرح ولا تلتفت الى استكبارهم
ولا تبال بسفههم واستهزائهم والعدول عن ضيق الى ضائق للمناسبة وليدل على انه عارض غير
ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا فلهذا قال فلعلك تارك **قوله**
تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين ۝ اعلم ان القوم لما طلبوا منه المعجز قال معجزي هذا القران ولما حصل المعجز
الواحد كان طلب الزيادة ديدنا وجهلا ثم قرر معجزا بان تحداهم بالمعارضة وام منقطعة بمعنى بل
والف الاستفهام كانه اضرب عن الكلام الاول واستفهم في الثاني على معنى التقرير والضمير المنصوب
في افتراه لما يوحى اليك اي يقولون ما يوحى اليك مفتري قل لهم فاتوا بعشر سور مثله مفتريات تحداهم اولا
بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين
له العجز عن مثل خطه قال لقد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة
منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله
فاردهم على دعواهم فاوحى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح وان الامر كما قلتم
فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم وانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه
من الكلام وهذا يقتضي ان يكون هود متقدمة في الزوال على يونس وعند المبرد انكار نزول هود متقدما
على يونس وقيل معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله في الخبر عن الغيب ونظمه ووعده ووعيده
تعجزوا فقيل لهم في هذه السورة ان عجزتم بسورة مثله في الخبر والنظم والوعد والوعيد فاتوا بعشر
سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة فهذا غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا
عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجي معارضة سورة بسورة مفتريات ولا تبالي عن تقديم نزول هذه
الى هذه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى
قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى ويجوز ان يقال مثله على زعمهم انه مفترى فان
قيل كيف وهذا القول في قوله قل فاتوا ثم جمع في قوله فان لم يستجيبوا لكم وقوله فاعلموا ففيه جوابان
احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الموضعين فيكون الخطاب له بقوله لكم تعظيما لان
خطاب الواحد بلفظ الجمع تعظيم ۝ والثاني معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك وقيل يجوز ان يكون
الخطاب للمشركين والضمير المرفوع في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم ايها المشركون
من تدعونهم من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه

فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون صح

فاعلموا ايها المشركون انما انزل بعلم الله اي انزل متلبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار
بغيوب لا سبيل للخلق اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به
ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة والبينة الساطعة وعلى تقدير
ان يكون الخطاب للمسلمين معناه فاثبتوا ايها المسلمون على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات
قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون واما وجه التعلق
بين الشرط المذكور في هذه الاية وبين الخبر فهو ان القوم ادعوا كون القران مفترى على الله فقال
لو كان مفترى لوجب ان يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل
من عند الله كناية عن كونه من عند الله لا يقول الحاكم هذا الحكم ثبت بعلمي وتعلق قوله وان لا اله الا هو
لعجزهم عن المعارضة هو انه تعالى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار وان يستعينوا
بالاصنام مبطلا الهية الاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا تضر
في شيء من المقاصد واذا كان كذلك فقد بطل القول بانهم الهة فصار عجز القوم عن المعارضة بعد
الاستعانة بالاصنام مبطلا الهية الاصنام ودليلا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان قوله
وان لا اله الا هو اشارة الى ما ظهر من القول بفساد الهية الاصنام **قوله تعالى**
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ۞ اعلم ان الكفار كانوا ينازعون النبي
صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال وكانوا يظهرون من انفسهم ان محمدا مبطل ونحن محقون ومنازعتنا
معه لتحقيق الباطل وكانوا كاذبين فيه بل منازعتهم للحسد والاستنكاف عن متابعته فانزل الله تعالى
من كان يريد الحياة الدنيا بعمله واحسانه الى الناس كاطعام الفقير وكسوتهم والعدل بين الناس ولم يؤمن
بالاخرة نوف اليهم يوصل اليهم اجور اعمالهم كافية كاملة في الدنيا وهم في الدنيا لا يبخسون لا ينقصون اي
وفاه الله جزاء عمله في الدنيا بالحظ منها وبالجاه والرياسة من غير بخس ولا نقص عن قتادة رضي الله عنه
يقول الله تعالى من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يمضي الى الاخرة وليس له
حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة قال صلى الله عليه وسلم
من احسن فقد وقع اجره على الله في عاجل الدنيا واجل الاخرة قيل نزلت الاية في الكفار فاما المؤمن فانه
يريد الدنيا والاخرة وارادته الخير غالبة على ارادة الدنيا يدل عليه قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقيل هم اهل الرياء روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيمة دعا العباد ليقضي بينهم وكل امة
جاثية فاول من يدعوه رجل جمع القران ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ

الم اعلمك

الم اعلمك ما انزلت على رسول قال بلى فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم انا الليل واطراف النهار فيقول الله
له كذبت ويقول الملائكة له كذبت فيقول الله تبارك وتعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
فيؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا عملت
فيما اتيتك قال كنت اصل الارحام واتصدق فيقول الله كذبت ويقول الملائكة له كذبت ويقول الله تبارك
وتعالى بل اردت ان يقال فلان كريم جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له وماذا قتلت
فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان جري فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلثة اول خلق
الله تسعر بهم النار يوم القيمة وعن انس هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم
جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقسم لهم في الغنائم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لانهم استوفوا جزاءهم في الدنيا
وحبط ما صنعوا او صنعهم في الدنيا اي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى ولا الاخرة
ولم يؤمنوا بها انما ارادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي حبط لان اعمالهم كانت
باطلة لانه لم يعمل بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له ونوف مجزوم لانه جواب للشرط **قوله تعالى**
افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به
ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون ۞ قيل معناه ان من كان يريد الحياة الدنيا افمن كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة
والجهالة او يكون يريد الحياة الدنيا وزينتها فحذف الجواب لظهوره على بينة اي على برهان من الله وبيان
اي دين الاسلام حق وهو دين العقل وقيل يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا شاسعا واراد بهم
من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ويتلوه شاهد اي يتبعه من يشهد بصدقه وهو القران
منه من الله او شاهد من القران وعن ابن عباس رضي الله عنه ويتلوه ويقرا عليه شاهد جبريل منه
من الله وقيل ويتلوه ويتبعه ملك يحفظه وعن الحسن رضي الله عنه شاهد منه لسان محمد صلى الله
عليه وسلم فيكون معنى يتلوه يقراؤه وعن محمد بن الحنفية انه قال قلت لابي انت التالي قال قلت وما تعني
بالتالي قلت قوله سبحانه ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان النبي صلى الله عليه
وسلم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما شاهد منه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون من كان هو المؤمن
على بينة من ربه على بيان وبصيرة من دينه ويتلوه شاهد منه ويشهد له محمد صلى الله عليه وسلم
يوم القيمة من قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل يتلوه تبع محمد صلى الله عليه وسلم شاهد منه
علي بن ابي طالب رضي الله عنه روي انه قال علي رضي الله عنه ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الاية

والايتان فقال له رجل فانت اى شى نزل فيك فقال على رضى الله عنه اما تقرا الاية التى فى هود ويتلوه شاهد
منه وقيل شاهد منه ابو بكر رضى الله عنه وقيل افمن كان على بينة من ربه بيان وبصيرة ويتلوه شاهد منه
عقله وقيل الشاهد هو صورة النبى صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان كل من كان له عقل ونظر اليه
علم انه رسول الله وقيل هو ملك يحفظه ويسدده ومن قبله كتاب موسى اى ومن قبل نزول القران كتاب
موسى التورية او يتلوه ذلك البرهان ايضا من قبل نزول القران وقيل قبل محمد كتاب موسى التورية اى ويتلوه
ذلك البرهان ايضا من قبل نزول القران او محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى فيكون كتاب موسى عطفا على
شاهد وقيل مبتدا اى ومن قبله كتاب موسى كذلك لان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم اماما كتابا موتما به
فى الدين قدوة فيه ورحمة للناس جميعا وقيل للمنزل اليهم اى اليهود اوليك اى من كان على بينة يومنون به اى
بالقران وقيل اصحاب موسى يومنون بكتاب موسى قيل نزلت فى عبد الله بن سلام وهذا ضعيف لان السورة
مكية وقيل فيمن امن من اليهود بمكة ومن يكفر به بمحمد وقيل بالقران وقيل بكتاب موسى من الاحزاب يعنى اهل مكة
وما ضامهم من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وعلى عداوته فالنار موعده
مصيره وموره فلا تكن فى مرية منه اى من ان موعده النار وقيل من القران قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم والمراد به غيره ويحتمل ان يكون التقدير قيل للشاك فى ذلك فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يومنون بما تقدم ذكره **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوليك
يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هاولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ه اعلم ان الكفار لهم طرق مختلفة
فمنها شدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها وقد ابطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحياة الدنيا الاية
ومنها انكارهم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدحهم فى معجزاته وقد ابطل تعالى ذلك بهذه الاية ومن اظلم
اعنى اشد كفرا ممن افترى على الله كذبا ان له ولدا وشريكا ووصفه بما هو منزه عنه وافترى عليه ما لم ينزله
اوليك يعرضون على ربهم فى المحشر للحساب يعنى يحبسون فى الموقف ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من
الملايكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم عليهم فى الدنيا وقيل الانبيا وقيل الخلايق يعرفونهم بسيماهم وقيل
السنتهم وايديهم وارجلهم هاولا الذين كذبوا على ربهم بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على
الظالمين الكاذبين على ربهم وهم الذين يصدون عن سبيل الله دين الله ويبغونها عوجا عدولا عن طريق
الصواب وهم بالاخرة هم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به **قوله تعالى**
اوليك لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اوليك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم
انهم فى الاخرة هم الاخسرون وصف الله هاولا المنكرين بصفات كثيرة فى تعرض الذم منها كونهم مفترين

على الله

على الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ومنها انهم يعرضون على ربهم ومنها حصول الخزى والنكال ويقول
الاشهاد هاولاء الذين كذبوا على ربهم ومنها كونهم ملعونين من عند الله الا لعنة الله على الظالمين ومنها
كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق الذين يصدون عن سبيل الله ومنها سعيهم فى القاء
الشبهات وتعويج الدلايل ويبغونها عوجا كونهم كافرين وهم بالاخرة هم كافرون ومنها كونهم عاجزين عن
القران من عذاب الله اوليك لم يكونوا معجزين فى الارض اى وما كانوا يعجزون الله فى الدنيا ان يعذبهم لو اراد
عذابهم وقيل وقيل اوليك لم يكونوا معجزين فى الارض فايتين هربا يقال اعجزه الشى اى فاته واعجزت فلانا
اى وجدته عاجزا وعن الواحدى الاعجاز المنع من تحصيل المراد يقال اعجزنى فلان اى منعنى عن مرادى
ومعنى لم يومنوا معجزين انه لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه
سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات ولا يتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف ومنها
انه ليس لهم اوليا يدفعون عذاب الله عنهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
فجمع الله تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم فى الخلاص من عذاب
الدنيا ومن عذاب الاخرة قيل المراد لم يكونوا معجزين عما يريد انزاله عليهم من العذاب فى الاخرة او فى الدنيا
ولا يجدون وليا ينصرهم ويدفع ذلك عنهم وقيل اراد ان عدم نزول العذاب ليس لاجل انهم قدروا على
منع الله من انزال العذاب ولا لاجل ان لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب منهم بل انما حصل ذلك الامهال لانه
تعالى امهلهم كى يتوبوا فيزولوا عن كفرهم فان ابوا الا الاصرار على الكفر فلا بد من مضاعفة العذاب
فى الاخرة ومنها ان يضاعف لهم العذاب وقيل سبب تضعيف العذاب لهم انهم كفروا بالله وكفروا
بالبعث والمعاد وقيل سبب تضعيف العذاب انهم مع ضلالهم الشديد اضلوا غيرهم ومنعوهم
عن الدين الحق ومنها ما كانوا يستطيعون السمع اى انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له
كانوا لا يستطيعون السمع وعن قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعونه ولا يبصرون الهدى كقوله
انهم عن السمع لمعزولون عن بن عباس رضى الله عنهما انه تعالى منع المشركين من الايمان فى الدنيا
والاخرة اما فى الدنيا ففى قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة ففى قوله
يدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم وقيل المراد بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع استثقالهم له ونفورهم عنه الناس يقولون فى كل لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه
وهذا مما يمجه سمعى وقيل يحتمل ان يريد بقوله ما كان لهم من اوليا انهم جعلوا الهتهم اوليا من دون الله
وولايتها ليست بشى فما كان لهم فى الحقيقة من اوليا ثم نفى كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد ومنها
قوله اوليك الذين خسروا اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم ما لا خسران اعظم

منه وهو انهم خسروا انفسهم والمعنى خسروا راحة انفسهم وسعادتها ومنها قوله وضل عنهم
وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها وقيل بطل سعيهم وخاب
رجاؤهم وقيل لم ينفعوا بكذبهم ومنها قوله لا جرم معناه حقا وقيل لا جرم معناه حق له وقيل في الاصل
بمنزلة لا بد ولا محالة مجرى ذلك وكثر استعمالهم اياها حتى صارت بمنزلة حقا وقيل لا بقا لما ظنوا انه
ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك جزم انهم في الاخرة هم الاخسرون اي كسب لهم ذلك الفعل الخسران
وقيل لا رد لكلام سابق ومعنى جزم كسب وفاعله مضمر تقديره كسب فعلهم انهم في الاخرة هم الاخسرون
ولذلك قوله لا جرم ان لهم النار ومنه قول الشاعر ه ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جزمت فزارة
بعدها ان يغضبوا وقيل معنى جزم قطع اي لا قطع قاطع عن ذلك وقيل جزم اسم بني مع لا على الفتح كقوله
لا بد ولا محالة فمحل لا جرم رفع مبتدا قوله انهم خبره وقيل انهم في الاخرة هم الاخسرون محلها رفع فاعل
حق اي حق ووجب خسرانهم ومعنى لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم ضلوا واضلوا الا ترى احدا
ابين خسرانا منهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ه لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر احوال
المومنين والاخبات الخضوع والخشوع وهو ماخوذ من الخبيث قال نفع الطيب القليل من الرزق
ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التاء فيه بدل من الثاء واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليها وانقطعوا عن
الاوثان الى عبادة ربهم بالخشوع والخضوع والى ربهم وقيل تولوا الى ربهم وقيل اخلصوا وقيل انما
اوثرت الى على اللام والعادة جارية بان يقال اخبتوا لربهم لان المعنى وجهوا خوفهم وخشوعهم
واخلصوا الى ربهم واطمانوا الى ربهم **قوله تعالى** مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون لما ذكر الفريقين المشركين والمومنين ضرب
للفريقين مثلا شبه فريق المشركين بالاعمى والاصم والبصير والسميع وفريق المومنين بالبصير والسميع
وهو من الكف والطباق وله معنيان ان يشبه الفريق بشبهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب
الطير بالخسف والعناب وان يشبه جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان
يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصمم كقوله الصالح فالغانم فالآيب
هل يستويان اي الفريقين مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز افلا تذكرون فتنتفعون بضرب
المثل **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم بدا بذكر قصة نوح في سورة يونس وقد اعادها في هذه ايضا لما
فيها من زوايد الفوايد قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي اني بفتح الهمزة اي باني لكم ومعناه ارسلنا نوحا
الى قومه المرسل اليهم ملتبسا باني لكم نذير مبين جعل الجار والمجرور حالا من المفعول والمعنى على الكسر

لان

لان قوله اني لكم نذير مبين في الاصل مقول والكسر لازم بعد القول فلما اتصل به الجار غير اللفظ دون
المعنى ففتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد قال ابو البقا اني بالفتح على تقدير
باني وهو في موضع نصب اي ارسلناه بالانذار اي منذرا والباقون بالكسر على ارادة القول اي فاتاهم
فقال اني لكم نذير مبين قيل المراد من النذير كونه مهددا للعصاة بالعقاب ومن المبين كونه مبينا ما
اعد الله للمطيعين من الثواب والاولى ان يكون المعنى انه نذير للعصاة من العقاب وانه مبين
بمعنى انه بين ذلك الانذار على طريق الاكمل والبيان الاقوى الاظهر ان لا تعبدوا الا الله بدل
من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون جزما على النهي ويجوز ان يكون
في محل النصب بان يكون مفعولا له لقوله مبين اي ابين لكم ان لا تعبدوا ويجوز ان تكون مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ضيف اليوم باليم من الاسناد المجازي
لوقوع الالم فيه واذا وصف به العذاب فهو مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظير ذلك
قوله نهار صايم وجد جده **قوله تعالى** فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا
مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
لما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم انهم طعنوا في نبوته
بثلاثة انواع من الشبهات فالشبهة الاولى انه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين احاد البشر يمنع
انتهاوه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين والشبهة الثانية لعله ما اتبعه
الا اراذل قوم كالحاكة واهل الصنايع الخسيسة ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف
منهم ونظير قوله تعالى قالوا انومن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة قوله تعالى وما نرى لكم علينا
من فضل اي لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا في شي
من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضله علينا في اشرف الدرجات واعلى المقامات قال الامام
الشبهة الاولى لا تليق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق واما الشبهتان الباقيتان
فيمكن ان يتمسك بهما من اقر بنبوة ساير الانبيا الملا الاشراف من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا
فقال الملا الذين كفروا من قومه الاشراف الذين كفروا من قومه ما نراك الا ادميا مثلنا سمى
الانسان بشرا لظهور بشرته خلافا والطيور وغيرهما من الحيوانات قال صاحب الكشاف تعريض
بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد
من الملا وموازنهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا
انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل وهو الناقص القدر وقيل جمع رذل على
ارذل ثم اراذل ككلب واكلب واكالب وهذا اظهر لان الفعل يقتضي الشركة اولا ثم الزيادة ومعنى

اراذلنا احسانا الذى لا شرف لهم والاراذل بالذى لا راى قراء ابو عمرو باذى مالهمز من بدأ يبدأ وابدع
ان تكون من بداء مسهلا الا والراء بترك همزة والباقون بادى بدون همز والراء همز والمعنى اتبعوك
اول الراى اوظاهر الراى وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم اووقت حدوث ظاهر
رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه واراد والا اتباعهم لك انما هو شئ لهم بديهة من غير رويه
ونظر وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون
الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما نرى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون
ذلك ويحسدون عليه اكرامهم واما نتهم ولقد نزل عنهم ان الدنيا لا يقرب احدا من الله عز وجل وانما
نزعه فضلا ان تجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا
مرغبين فى طلب الاخرة وزهدين فى الدنيا مصغرين لشانها واوشاد من اخلد اليها فما ابعد
حالهم من الانصاف عما سعد من اراد الله والتشرف بما هو صنعة عند الله ومانرى لكم علينا من فضل
علينا من فضل اى ليس لكم علينا زيادة شرف ولا زيادة فى مال ولا نسب ولا دين يوهلكم للنبوة
بل نظنكم كاذبين فما تدعونه وقيل نوحا فى دعواه وانتم فى تصديقكم اياه **قوله تعالى**
قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها
كارهون ارايتم اى اخبرونى ان كنت على بينة برهان ساطع وشاهد من عندى يشهد لصحة
دعواى واتانى رحمة نبوة ورسالة او معجزة دالة على النبوة والرسالة من عنده وقيل البينة
فى نفسها هى الرحمة ويحتمل ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فعميت قراءة حمزة والكسائى وحفص
عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله عنى اخفيت ولبست وشبهت والباقون
بفتح العين مخففة الميم فقط عنى خفيت والبست واشتبهت حقيقته اى الحجة كما جعلت
بصيرى ومبصرة جعلت عينا لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى عينى عنى فعميت عليكم البينة فلم
تهتدوا كما لو عمى على القلب القوم دليلهم فى المفازة بغير هاد انلزمكموها اى البينة والرحمة
استفهام معناه الانكار اى لا يلزمكم البينة وانتم لها كارهون لا يريدونها ولا تختارونها وقيل لكم
لها لا تصح مع الكراهة قال تعالى لا اكراه فى الدين وقد جمع ضميرى المفعولين متصلين جميعا وفيه
ان تكون الثانى منفصلا كقوله انلزمكم اياها فسكت عليكم الله ويحزن فسكتك اياهم عن مقاتلة
لو استطاع بنى الله لالزمها قومه ولكن لله علك ذلك اعلم ان النبى المبعوث الى قومه امره الدعوة
بالنسبة الى غير المعاند والمجادلة بالنسبة الى المعاند والدعوة الى سبيل الله بالحكمة فى حق الكاملين
فى العقول وبالموعظة والطاعنة فى حق الناقصين الذين لا يعاندون ويحسنون الظن فى الداعى والمجادلة
فى حق المعاندين وهى لا تفيد الا الالزام على الظاهر مع الانكار والكراهة فى الباطن قال الله تعالى

ادع

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن وقال نوح عليه السلام
ياقوم ان كنت على برهان وحكمة شاهد على نبوتى وقد خفيت عليكم واسبهت بسبب ضعف
عقولكم وقصوركم عن فهم ما بعده فلا سعكم البته فلا سعكم البته لم يسع الا الموعظة والخطابة وهى
لا تفيد الا مع حسن الظن وعدم الانكار وعدم الكراهة والانكار فلا سعكم نصحى وموعظتى ولا فايدة
فى المجادلة الا الالزام والالزام مع كراهة الباطن والانكار لا سعة لكم فيه **قوله تعالى**
وياقوم لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى
اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندى خزائن الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى
انفسهم انى اذا لمن الظالمين لما هذا هو الجواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا والضمير عليه راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين الا نعبد والا الله الى الله وقيل الى
سلم الرسالة كناية عن غير مذكور وقيل عليه اى على نصحى ودعائى مالا وجعلا فتتهمونى ان اجرى ما ثوابى
الا على الله يقتضى الوعد والفضل كائنا عليه السلام قال لهم انكم لما نظرتم الى ظاهر الامر وجدتمونى فقيرا
وظننتم ان نصحتكم ودعوتكم الى سبيل ربى طمعا فى مالكم وهذا الظن منه خطا فانى لا اسالكم على تبليغ
الرسالة والنصح والدعوة مالا اجعلا ان اجرى الا على ربى ولا اطرد هم ابتغاء مرضاة الله فيسكن عن سعادة الدين بهذا
الظن الفاسد وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم ليومنوا به انفة من المجالسة
معهم انهم ملاقوا الله فيعاقب من طردهم او ملاقوه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من اعمال صحيح ثابت
كما ظهر لى منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما يعرفونه من بناء امرهم على بادى الراى
من غير نظر وتفكر وما على ان اشق فى قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر على
ما تزعمون او انهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة وقيل يعرون بالبعث
والنشور وقيل ملاقو ربهم فيخاصمونى عند الله ولكنى اراكم قوما تجهلون تتسافهون على المومنين
وتدعونهم اراذل ومن قولها لا ما تجهل احدا علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون تتسافهون على المومنين
وتدعونهم اراذل ومن قوله هنا فى سواكم طردهم وكفر بايات الله وتجهلون انها ولا خير منكم لامانهم
ويا قوم من ينصرنى يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم ابعدتهم افلا تذكرون افلا تراجعون عقولكم
فتعلمون ان ذلك لا يصح ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب معطوف على عندى خزائن
الله اى ولا اقول انى اعلم الغيب ومعناه ولا اقول لكم عندى خزائن الله فادعى فضلا عليكم فى الغنى
حتى تحسدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اقول انى اعلم الغيب فتسبونى الى الكذب
والافتراء وقيل حتى اطلع على ما فى قلوب اتباعى وضمائرهم ولا اقول انى ملك حتى يقولوا لى ما انت

الا بشر مثلنا اي لست ادعي ما ليس لي ولا اقول اني ملك للذين تزدري بعينهم اعينكم
وتحققهم والازدراء افتراء من قولهم زريت على الشي اذا عبته وازريته به اذا قصرت به
يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه لن يوتيهم الله خيرا توفيقا وايمانا جواب لقولهم اتبعوك
في ظاهر الراي وباطنهم على خلاف ذلك الله اعلم بما في انفسهم من النية والعزم والخير والشر لست
ماخوذا به اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك والحاصل ولا احكم على من استرذلكم
من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما يقولون مساعدة لكم
ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيا من ذلك **قوله تعالى**
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله
ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو
ربكم واليه ترجعون ۝ قد جادلتنا ما ربينا وخاصمتنا والجدال قيل الخصم عن رايه بالحجاج قيل
معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر واطاب عن الكلبي دعوتنا
وقيل وعظتنا فاكثرت الدعوة وقيل فاكثرت الوعظ فما صحت لنا دعواك فاتنا بما تعدنا من العذاب
المعجل ان كنت من الصادقين ان ياتينا قال انما ياتيكم بالعذاب الله ان شاء عاجلا او اجلا وليس
الاتيان بالعذاب الي وما انتم بمعجزين اي اذا اراد انزال العذاب لا تقدرون على الهرب ولا تفوتون
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم لا ينفعكم نصحي هذا
شرط دخل على شرط قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزا محذوف دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا
الدال في حكم ما دل عليه فوصل شرط كما وصل الجزا بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك
ان امكنني فصار التقدير ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم هو ربكم
خالقكم فيتصرف فيكم على وفق ارادته واليه ترجعون بالموت والبعث فيجازيكم على اعمالكم **قوله
تعالى** ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ام يقولون
افتراه عن ابن عباس يعني افترا نوحا ما اخبر به انه وحي وعن مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ما اخبر به قل يا نوح وقل يا محمد ان افتريته فعلي اجرامي فعلي عقوبة جرمي ووباله وجزاه دونكم يقول
اجرم الرجل اذا اذنب ومعاداتكم وقيل ليس على من اجرامكم شي ولا اواخذ بذنوبكم **قوله تعالى**
واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لما اوحى الله
اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن استجاز الدعا عليهم فدعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فلا تبتئس قيل هذا خطاب لنوح عليه السلام بعد الدعا لانه لما دعا عليهم
حزن واغتم وقيل متصل بالاولى فان نوحا عليه السلام لشدة محبته لايمانهم كان يسال ربه تبقيتهم

فاعلمه

فاعلمه الله انه لا يومن من قومك الا من قد امن ليزول عن قلبه ما كان قد حصل فيه من تلك المحبة
فقال تعالى فلا تبتئس اي لا تحزن من ذلك ولا تغتم والابتياس افتعال من البوس وهو الحزن
اي فلا تحزن حزن بايس مستكين قال ما يقسم الله منه غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذايك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم ۝
قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون لما فهم من قوله تعالى انه لن يومن من قومك انه معذبهم بين انه معذبهم
بالغرق ولما كان السبيل الذي يحصل به النجاة من الغرق يكون الفلك امره الله بان يصنع
الفلك باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقة ملتبسا باعيننا كان لله معه
يكلوه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدايه عن ابن عباس
رضي الله عنه بمراء منا اي حيث نراها وقيل يحفظنا وقيل يعلمنا وقيل باعين اوليائنا اي الملايكة
ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعته الفلك فاوحى
الله اليه ان اصنعها مثل جوجو الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تسالني العفو عن هولاء
الكفار من قومك ودفع العذاب عنهم انهم مغرقون بالطوفان قد قضى به القضا وجف به
العلم وقيل اراد بالذين زوجته واعلة وابنه كنعان **قوله تعالى** ويصنع
الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ۝ ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية اي في ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك قيل واصل ويصنع الفلك فاقتصر
على قوله ويصنع وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا من عمله استهزوا به وقالوا يا نوح صرت نجارا
بعد النبوة وانما سخروا لانه كان يعملها في بريه ولا ما هناك يحمل مثلها وقيل لم يكونوا راوا سفينة
قبلها وكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها قال نوح ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل
كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخريه مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الاخرة قيل نجازيكم على سخريتكم وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر
والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم
في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة
الجهلة في البعد عن الحقايق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وبابها في عرضها وكانت من خشب
ساج وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت ثلث طبقات طبقة للناس وهي العليا منه وطبقة

للدواب والانعام وهي الوسطى وطبقة للوحوش والسباع والهوام وهي السفلى وعن وهب رضي
الله عنه عمت في مايه سنة وقيل في اربعمايه سنة وركب هو ومن معه في الطبقة العليا مع
ما يحتاج اليه من الزاد وحمله معه جسد ادم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن
رضي الله عنه كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستمايه ذراع وقيل ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب
فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام
فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب
فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لامته وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت
قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستمايه ذراع وكانت
ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله
كما كنت فعاد ترابا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مكث نوح في قومه الف سنة
الا خمسين عاما يدعوهم الى الله حتى كان اخر زمانه غرس شجرة فطلعت وذهب كل مذهب فقطعها
وجعل يعمل سفينة ويمرون فيسالونه فقال اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون يعمل سفينة في البر
فكيف تجري فيقول فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه في محل النصب تعملون اي فسوف
تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه يفضحه ويهلكه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو
الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عذاب مقيم دايم وهو عذاب الاخرة

قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل حتى هي التي تفيد الكلام
بعدها ادخلت على الشرط والجزا وقعت عليه لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء
وقت الموعد وقوله وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا حال اي والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه
سخروا منه وجواب كلما سخروا وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سوال سايل ويجوز
ان يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقوله قال جوابا لكلما اذا جاء امرنا بعذابهم واهلاكهم
وقيل عذابا وهو الماء وفار التنور الفور الغليان من فارت القدر وتفور فورا وفوورا وفورانا
جاشت ومنه قولهم ذهبت في حاجة ثم اتيت فلانا من فوري اي قبل ان اسكن قبل التنور اسم
فارسي معرب لا يعرف العرب له اسما غير هذا ولذلك جاء في التنزيل لانهم خوطبوا بما عرفوا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما التنور بكل لسان عجمي وعربي وهو الذي يخبز فيه وعن علي رضي الله عنه هو وجه الارض
وذلك انه لما قيل لنوح اذا رايت الماء على وجه الارض فاركب انت ومن اتبعك وهذا قول ابن عباس وعكرمة

والزهري

والزهري وابن عيينة وروى ابو جحيفة عن علي رضي الله عنه وفار التنور اي طلع الفجر والتنور تنوير
الصبح وعن ابن قتيبة التنور عند الصلاة وعن قتادة التنور اشرف موضع في الارض واعلا مكان
فيها وعن الحسن والاكثرين انه اراد التنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لحوا حتى صار
الى نوح وكان علامة لمجي العذاب فقيل له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك فنبع
الماء من التنور فعلمت به امراته فاخبرته وهذا قول مجاهد ورواية عطية عن ابن عباس واختلفوا
في موضعه عن مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كندة وكان
فوران الماء منه علما لنوح عليه السلام ودليلا على هلاك قومه وعن مقاتل كان ذلك تنور ادم
عليه السلام وانما كان بالشام في موضع يقال له عين ورده وعن ابن عباس رضي الله عنه
فار التنور بالهند وقيل فار التنور كناية عن اشتداد الامر وصعوبته كما يقال حمي الوطيس اذا
اشتد قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين الزوج الفرد من قوله ثمانية ازواج
والزوج ايضا اثنان مما لا يتباينان في الاكثر كزوج نعل وزوج حمام والزوج الصنف ايضا من قوله
من كل زوج بهيج الزوجان عبارة عن كل شيئين يكون احدهما ذكرا والاخر انثى والتقدير كل شي هما كذلك
فاحمل منهما في السفينة اثنين واحد ذكر وواحد انثى فاثنين مفعول وقرا حفص عن عاصم من كل اي
بالتنوين اي واحمل من كل شي زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج فزوجين مفعول واثنين تاكيد وكذلك
واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن امن وعلى قراة حفص يكون عطفا على زوجين اراد باهله
عياله وولده اي احمل عيالك وولدك الا من سبق عليه القول من الله بالهلاك اي امراته وابنه
كنعان وهو استثنا من اهله ومن امن اي واحمل من امن وما امن معه الا قليل عن قتادة لم يكن
في السفينة الا نوح وامراته وثلثة بنيه سام وحام ويافث ونساوهم فجميعهم ثمانية وعن الاعمش
كانوا سبعة نوح وثلثة كنايين له وثلثة بنين وعن ابن اسحق كانوا عشرة سوى نساوهم نوح وبنوه
سام وحام ويافث وستة رجال ممن كان امن به وازواجهم جميعا وعن مقاتل كانوا اثنين وسبعين
رجلا وامراة وبنيه الثلاثة ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نفسا نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في سفينة نوح ثمانون انسانا احدهم جرهم وعن مقاتل وحمل نوح معه جسد
ادم جعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والبهايم والوحوش والطير وغيرها
ليحملها وعن ابن عباس اول ما حمل نوح عليه السلام معه في الفلك الدرة واخرها حمل الحمار فلما دخل
الحمار ودخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فنهض
فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك ادخل ولو كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها
نوح خلى الشيطان سبيله فدخل الحمار معه فقال له نوح ويحك ما ادخلك علي يا عدو الله قال

الم يقل ادخل ولو كان معك الشيطان قال اخرج عني يا عدو الله قال مالك بد ان تحملني معك وكان فيما يزعمون
في ظهر الفلك وقيل ان الحية والعقرب اتتا نوحا فقالتا احملنا معك فقال نوح انكما سبب الضر والبلاء
والاوجاع فما احملكما قالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين خاف مضرتهما سلام
على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين لم يضرباه ابدا **قوله تعالى**
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ٥ وقال نوح للذين امر بحملهم
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها تجري مجرى المركوب من الدواب وقال فيها
لاستقرارهم فيها فلما ركبها نوح واصحابه ارسل الله عليهم السماء مدرارا وفجر الارض عيونا والتقى الما
ان حتى غرق الجبال ومن عليها قال بن عباس ركبوا فيها لعشر مضين من رجب بسم الله مجراها قرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم مجريها بفتح الميم والباقون وهم بن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم مجريها بضم
الميم وكلهم قرا وابضم الميم من مرساها وابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وبن عامر بفتح الرا
والسين على معنى اجرائها وارسائها ونافع وابو بكر عن عاصم بين الكسر والتفخيم فيهما وحمزة والكسائي
يميلونهما وليس في هاولاء احد حطها نعتا لله وانما جعل الوصفين نعتا لله الحسن وقتادة وحميد الاعرج
واسمعيل ابن خالد عن عاصم فقرا وا مجريها ومرسيها بضم الميمين وهاين صحيحتين مثل مبديها ومنشيها
قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها كلاما واحدا بان يتصل
بسم الله باركبوا حالا من الواو الذي هو ضمير الفاعلين على معنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله
وقت اجرائها وارسائها اما لان المجري والمرسي للوقت واما لانهما مصدران كالاجرا والارسا وانتصابهما بما
في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول اي اركبوا الان متبركين باسم الله في الوقتين او المكانين
اللذين لا ينفك الراكبون فيهما من الاجرا والارسا ولا يجوز ان ينتصبا باركبوا اذ ليس المعنى على اركبوا في وقت
الاجرا والارسا ويجوز ان يكون كلامين اما ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة مقتضبة من مبتدا
وخبر على معنى ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله او بامره
وقدرته روي انه كان اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسوا قال بسم الله فرست
ويجوز ان يفخم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراوها وارساوها اي بقدرته وامره
ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان يكون في موضع الحال كقوله وجاونا بهم سكرى عليه فلا يكون كلاما
براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا
فيها مجراة مرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور لمن امن منهم رحيم حين
خلصهم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم **قوله تعالى** وهي تجري بهم في موج
كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني

من الماء

من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون
بسم الله وهي تجري اي السفينة تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال جمع موجة كتمر وتمرة
والموج حركة الماء الكثير بدخول الرياح الشديدة في خلاله كالجبال في العظم شبه كل موجة منه بالجبل
في تراكمها وارتفاعها قال صاحب الكشاف فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره
وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكان الفلك يجري في جوف الماء كما تسبح السمكة
فما معنى جريها في الماء قلت كان ذلك قبل التطبيق قبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه
ساوي الى جبل يعصمني من الماء ونادى نوح ابنه كنعان وقيل اسمه يان ولا خلاف في انه كان
كافرا وحمل المفسرين على انه ابنه لصلبه وعن علي رضي الله عنه والحسن انه لم يكن ابنه وانما كان ابن
امراته وكان يقرا ابنها قيل روي عن الحسن انه قال لغير رشده وهذا قول ساقط مرغوب عنه لان
الله تعالى عصم انبيائه عن مثل هذا وحمل المفسرون قوله تعالى فخانتاهما على الدين لا على الفرج
وكان في معزل عن ابيه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل عنه
نفسه عن ابيه وعن مركب عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل في دين الله يا بني
بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين
اي اسلم واركب وقيل كان منافق قال ابنه ساوي ساصير الى جبل يعصمني من الماء يمنعني من
الغرق والعصمة المنع من الافة قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو
الله تعالى وقيل لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحمه الله من المومنين
وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء
قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم
يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحم الله كقولك ماذا فق وعيشة راضية
وقيل الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحم الله فهو المعصوم كقوله ما لهم من علم
الا اتباع الظن وحال بينهما الموج اي بين ابنه والجبال وقيل بين نوح وابنه فكان من المغرقين اي
صار من المهلكين بالماء **قوله تعالى** وقيل يا ارض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين اعلم ان المقصود
من هذه الاية شرح واقعة الطوفان فكان التقدير انه لما انتهى امر الطوفان قيل يا ارض
ابلعي مائك اجمع المعاندون الذين هم صفوة البلغا وقدوة الفصحا الذين هم قد خصوا
من البلاغة والفصاحة ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من سحر البيان ما لم يوت انسان

على ان ظاهر البشر قاصرة عن الاتيان بما يوازنه بل عاجزة عن ايراد ما يدانيه بعد ان استقصوا
كلام العرب العربا وتراكيب البلغا فلم يجدوا مقابلا لها في فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة
معانيها في تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلاف قال صاحب المفتاح والنظر في هذه الاية من
اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحتين
المعنوية واللفظية اما النظر فيها من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة
والكناية وما يتصل بها فنقول انه عز سلطانه لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر
من الارض الى بطنها فارتد وان يقع طوفان السماء وان يغيض الما النازل من السماء فغاض
وان تقضى امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضى وان يسوي السفينة على الجودي
فاستوت واقينا الظلمة عن قي بنى الكلام على تشبيه المراد بالمامور الذي يتاتى منه العصيان
لكمال هيئة الامر وبهاء ويفرغ من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من
غير ريب وتشبيه تكوين المراد بالامر الجازم النافذ في تكوين البصيرة وتصويرا لاقتداره العظيم
ولان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا تابعة لارادته ايجادا
واعداما ولمشيته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه
وعقابه وقدرته على كل ما يشاء وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم لامره وادعانهم بحكمه ووجوب
بذل المجهود في تحقيق مراده فكما يرد عليهم امره كان المامور مفعولا لا حبس ولا ابطا ثم بنى على تشبيهه
هذا نظم الكلام فقال عز سلطانه قيل على سبيل المجاز عن ازيد لان صدور القول انما يكون بعد
ارادته فاستعمال قيل بدل ازيد استعمال المسبب مكان السبب وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد
وهو يا ارض ويا سماء ثم قال كما ترى يا ارض ويا سما مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للتشبيه المذكور
وهو كون السماء والارض كالمامور الذي لا يتاتى منه العصيان فهذه الاستعارة هي المكنى عنها
لان الظرف المذكور هو المشبه ثم استعار لغور الماء في الارض البليغ الذي هو جذب المطعوم الى
المعدة من غير مضغ للتشبيه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي وهذه الاستعارة مصرح بها بتبعيد ثم
استعار الما للغذا استعارة بالكناية تشبيها له بالغذا لتقوي الارض بالماء في الانبات للزرع والاشجار
تقوي الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة الاستعمال في الغذا دون
الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للتشبيه المقدم ذكره وهو كون السماء والارض كالمامور الذي
لا يتاتى منه العصيان فهذه الاستعارة هي المكنى عنها لان المخاطب في الامر اي ابلعي واقلعي
ترشيحا لاستعارة النداء وتعقيب النداء بلفظ ابلعي مستعار منه انها منقادة لتكوينه فيها ما يشا
فان من عادة ما يامر المطيع الذي اذا امر لم يتوقف ادعائه ان يقدم النداء على الامر ليتمكن الامر

الوارد

الوارد عقيبه في نفس المامور فيكون امتثاله للامر اسرع ما لم يكن معه النداء سيما فانها
تدل على ان الخطاب المتلو بعده معنى به حدا فالامر بعد النداء هاهنا ترشيح لاستعارة النداء ثم
قال ماوك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال
الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب لاجل ترجيح استعارة النداء لان المخاطب وصف المشبه
به ثم اختار لاحتباس المطر بالاقلاع الذي هو الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى والاقلاع
ترك الفاعل الفعل المشبه بين احتباس المطر وترك الفعل في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة
وخاطب في الامر قايلا اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال وغيض الماء اي نقص وغاض متعد ولازم يقال
غاض الشي وغاضه اي نقصه كنقص وقضي الامر فرغ من الهلاك من هلك وانجى من نجا وانجز الله
ما وعد نوحا من انجا من امن به وهلاك من كفر واستوت واستقرت على الجودي وهو جبل
بالموصل قيل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بناحية ادم وقيل بعدا يقال بعد بعد وبعدا اذا اريد البعد
البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السوء ومجي اخباره على الفعل
المبني للمفعول وعدم تصريحه عن غاض الماء ومن قضي الامر وسوى السفينة وقال بعدا كعدم التصريح
بقايل يا ارض ويا سماء في صدر الاية سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية للدلالة على الحال
والكبريا وعلى ان تلك الامور العظام لا يتاتى الا من فاعل قادر لا يكتنه وقهارا لا يغالب وواحدا
لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ما يك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي
ذلك الامر الهايل غيره ولا ان يستوي السفينة على متن الجودي ويستقر عليه الا بتسويته واقراره
ثم ختم الكلام بالتعريض فلم يقل بعدا لقوم كذبوا نوحا تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل
ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار لمكان السخط وان قيامة الطوفان وتلك الواقعة الهايلة
ما كانت الا لظلمهم واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فايدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم
وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختيار يا من بين اخواتها لكونها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه
مقام اظهار العظمة وايذان شان العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به
ولكثرة استعمالها ولم يقل يا ارض بالكسر لزيادة التهاون فان الكسرة دالة على اختصاص المنادى
بالمنادى والاختصاص ينافي التهاون ولم يقل يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز عما في ايتها
من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون ساير اسمايها لكونه اخف
وادور واختير لفظ الماء لمثل ما تقدم في الارض مع قصد المطابقة اي بين السماء والارض
لان مع الارض يذكر السما واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ومجي خط التجانس بينه وبين
اقلعي اوفر وقيل ماوك بالافراد دون الجمع لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المنافي عنها مقام

اظهار الكبرياء والجبروت وهو الوجه في امر الارض والسماء وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول لما لا يستلزم تركه
ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للحيال والسلال والبحار وساكنات الماء باسرها نظرا الى مقام ورود الامر الذي
هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذا بين المراد اختصر الكلام مع اقلعي فاقلعت واختير غيض على غيض المشدد لكونه
اخصر وقيل الماء دون ان يقال ماطوفان السما وكذا الامر في قضي الامر دون ان يقال امر نوح وهو انجاز ما كان
الله وعد نوحا من اهلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل سويت
على الجودي بمعنى استقرت على نحو قيل وغيض وابنا للمفعول اعتبارا بنا الفاعل للفاعل مع السفينة في قوله
تعالى وهي تجري بهم في موج مع قصد الاختصار والتفنن ثم قال بعدا للقوم ولم يقل لسعدا لقوم طلبا للتاكيد
مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة لبعد وا بعدا مع فايدة اخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى
ان البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليساوي كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة التنبيه على وقاحة سو
احتيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث النظم الى تركيب الجملة واما من حيث النظم الى تركيب الجمل وذلك
انه قدم النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء حرصا على مقتضى اللازوم
فيما كان مامورا حقيقة من تعدم التشبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى وصدر الكلام
لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض على امر السماء وابتدائه لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة
من له الاصل والاصل ابعد مما اول ثم اتبعها قوله وغيض الماء لاتصاله بقضية الماء واخذه بحجزتها الا ترى
اصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماءها ويا سما اقلعي عن ارسال الماء فاقلعت عن ارساله
وغيض الماء النازل من السماء ففاض ثم اتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر
اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجا نوح ومن معه في السفينة ثم اتبعه حديث السفينة وهو
قوله واستوت على الجودي ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظرا الاله من جانبي البلاغة واما النظر
فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم المعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد
يعثر الكفر في طلب المراد ولا التواء يشكك الطريق الى المراد بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجذب
الفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق الفاظها فما من لفظة في تركيب الاله ونظمها تسبق الى اذهنك
الا ومعناها اسبق الى قلبك واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى
عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن الشوائب بعيدة عن الشناعة عذبة على الاذواق
سلسلة على الالسنة كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة وقد ذرشاء
التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظن الاية مقصورة على ما ذكرت
ولعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان المقصود لم يكن الا مجرد الارشاد لكيفية احصاء ثمرات علم المعاني
والبيان والعلم وان لا علم في التفسير بعد علم الاصول اقرامها على تعاطي تاويل مشتبهاته ولا ابعد في

دوك

دوك لطايف نكته واسراره ولا اكشف للقناع عن وجه اعجازه وهو الذي يتوفى كلام رب
العزة مما لا يلاغة حقه ويصوغ له من مطارف الماويل ماء ورونقه وكم ايته من ايات القراءة
تراها قد ضميت حقها واستلبت ماءها ورونقها او وقعت الى من ليس من اهل هذا العلم
فاخذوا بها في ماخذ مردودة وحملوها على اطلمة مجاهل غير مقصودة وهم لا يدرون ولا يدرون انهم
لا يدرون فتلك الاي من ماخذهم في عويل ومن محاهلهم على ويل طويل وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وعن عبادة رضي الله عنه استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين
ومايه يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت
وطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه الصلاة والسلام صام يوم
الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى **قوله تعالى** ونادى نوح ربه
فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب
اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين اي دعا نوح
ربه فقال يا رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انك تنجيني واهلي وان وعدك الحق لا خلف فيه واراد
بقوله ونادى وارادا لنداء اي الدعاء اي واراد نوح الدعا فقال رب فلا يلزم عطف الشي
على نفسه اي ابني من اهلي اي ان ابني بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان رسالة فهو
بعض اهله وانت اعدل العادلين لا تسلط في حكمك ولا تميل حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم
بالهلاك وقيل اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل قال صاحب
الكشاف ورب عرق في الجور والجهل من مقلدي الحكومة في زماننا فقد لقب اقضى القضاة
ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ومحوا ان سئ من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع
من الدرع وحايض وطالق عامذهب الخليل قال الله يا نوح انه ابنك ليس من اهلك الذين وعدتك
انجاهم انه عمل غير صالح بفتح اللام على انه فعل ماض ونونه من اهله اي انه دو عمل غير صالح لانه من الكافرين ومخالفته
اياه وقيل اينه بانه قرابة الدين عامي لقرابة النسب وان نسبك في دينك ومعبدك من الاماعد
في المنصب وانه كان حبشيا وكنت قريشيا لصنعك وخصصك وهي لم يكن على دينك وانه
كان امس قاربك رحما فهو اليوم بعيد منك وجعلت ذا انه عمل غير صالح مبالغة في ذمه وانما لم يقل
انه عمل فاسد لانه لما انتفاه عن كونه اهله نفى عنه صفتهم بكمله النفي التي تستبق معها الفظا المنفي
واذ قد بذلك انه انما ابنى من ابنى من اهله لصلاحه لا لانهم لا ينفعوك لانهم اقاربك واهلك
وانه هذا لما انتفى عنه الصلاح لم يسعه ابوك لقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين

فجانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قرا الكسائي عمل بكسر الميم وفتح اللام وفتح الراء في غير
اي عمل عملا غير صالح اي ان ابنك عمل عملا غير صالح اي اشرك بالله وكفر وقيل سال نوح قبل ان عرف
هلاكه وقيل سال مغفرته بعد ان عرف هلاكه وقيل ان سوالك اياي تخليصه بعد كفره وعمله غير صالح
اي غير مرضي وقيل سوالك تخليصه بعد قولك لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عمل غير صالح فلا تسالن
يا نوح ما ليس لك به علم قرا ابن كثير ونافع وابن عامر فلا تسلن بفتح اللام وتشديد النون غير ان نافعا
وابن عامر كسرا النون وفتحها ابن كثير وحذفوا الياء في الوصل والوقف وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي
بسكون اللام وتخفيف النون غير ان ابا عمرو اثبت الياء في الوصل وحذفها في الوقف والباقون يحذفونها
في الحالين من كسر النون فقد عدي السوال الى مفعولين احدهما اسم المتكلم والاخر الاسم المفعول وحذفت
النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات واما اثبات الياء في الوصل فهو الاصل وحذفها اخف
والكثير تدل عليها ويعلم ان المفعول مراد في المعنى معناه فلا يلتمس مني ملتمسا او التماسا لا يعلم اصواب
هو او غير صواب حتى يقف على كهنه وذكر المسالة يدل على ان النداء كان قبل ان تغرق حين خاف عليه
وقيل ما ليس لك به علم بجواز مسالته وقيل لا تعلم انه جائز في حكمي اني اعظك ان تكون من الجاهلين
بوعدي وقيل من الجاهلين بنسبك وهذا يشبه قول الحسن وقيل اعظك بمواعظي لئلا تكون من الجاهلين
بما امرتك وقيل من الجاهلين فتظن ان لا افي بوعدي قال نوح رب اني اعوذ بك اعتصم وامتنع ان
اسالك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحتها وان لم تغفر لي ما فرط مني من ذلك اي
ذنبي بسوالي وبرحمتي بفضلك اكن من الخاسرين **قوله تعالى** قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم قيل يا نوح اهبط
انزل من السفينة بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وقيل بسلامة
وخلاص من المكان اي سالما وقيل بتحية منا وبركات ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية
وقيل وزيادات في نسلك حتى صار ابا البشر بعد ادم وعلى امم ممن معك من يحتمل ان يكون للبيان
فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم
وان يكون لابتداء الغاية اي على امم يلدون ممن معك يريد اولاد اولادك ما تناسلوا الى اخر الدهر
وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان
قوله ممن معك يدل على قوله معك والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين يشون ممن
معك امم ممتعون بالدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش ثم يمسهم منا عذاب اليم في القيمة وهم
الكفار من اولاد نوح عليه السلام ابناء الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سام بن نوح ابو العرب ويافث ابو الروم وحام ابو الحبش ولم يتصل

من غيره

من غيره ممن كان معه نسل بقوته وجعلنا ذريته هم الباقين وعن محمد بن كعب القرظي دخل في
ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب **قوله تعالى** تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين لما شرح قصة نوح على التفصيل
قال تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة
عندك وعند قومك لم يكن من عندك ولا من عند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها
وقبل قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة والقيام بامر الله وادى قومك كما صبر نوح عليه السلام
وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قص لنوح عليه السلام ولقوله ان العاقبة للمتقين في الفوز
والنصر والسعادة للمتقين كما كان لمومني قوم نوح وقوله ولا قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم
اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم امي لم يخالط اهل العلم **قوله تعالى**
والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسالكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون والى عاد اي وارسلنا الى عاد اخاهم هودا
وانتصاب اخاهم للعطف على نوحا والى عطف على قوله الى قومه في قصة نوح وهود عطف بيان لاخاهم
وسماه اخاهم لانه كان من نسبهم وقرابتهم وقيل اخاهم اي واحدا منهم وقيل اخاهم باعتبار المنشاء
واللسان والجيرة وقيل هو اخوهم من حيث انه من ولد ادم وهم اولاده قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه
واكثر العبادة في القران بمعنى التوحيد ما لكم من اله غيره قرا الكسائي غيره بالكسر حملا على لفظ اله على النعت
او البدل والباقون بالرفع صفة او بدلا من محل قوله من اله ان انتم الا مفترون على الله الكذب
باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا وقد واجه قومه بهذا القول لان بيان الرسل النصيحة
والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيئا منها لم ينجع ولم ينفع يا قوم لا
اسالكم عليه تبليغ الرسالة اجرا جعلا وقيل رزقا ان اجري ثوابي ورزقي الا على الذي فطرني خلقني ولم
اك شيئا افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة
ولا شيء ابقى للتهمة من ذلك **قوله تعالى** ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين استغفروا ربكم اي
امنوا به يغفر لكم والاستغفار ههنا بمعنى الايمان ثم توبوا اليه من عبادتكم غيره لان التوبة لا تصح
الا بعد الايمان وقيل اطلبوا المغفرة وتوسلوا اليها بالتوبة بالندم على ما مضى وبالعزم على ان لا تعودوا
الى مثله متى فعلتم ذلك يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا كثيرا متتابعا المدرار الكثيرة الدرور كالمغزار

وذلك انفع ما يكون واصله من در اللبن اذا نزل متتابعا وقيل هو المطر في وقته وقيل كثير البركة
ومفعال من بنا المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويزدكم قوة الى قوتكم شدة الى شدتكم وانما قصد
استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع
وعمارات حراصا عليها اشد الحرص وكانوا احوج شيء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش
والباس والمجده مستحرين بها من العدو ومهسس بكل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل اراد الفوز
على الحاح وذلك ان الله تعالى حبس عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم بثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام
المطر والاولاد على الايمان والاستغفار والتوبة ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم
فيه مجرمين مصرين على الشرك **قوله تعالى** قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي
الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم قال عاد اي قوم هود
يا هود ما جئتنا ببينة تحجة وبرهان على ما تقول فنسلم لقولك ومن المعلوم انه صلى الله عليه وسلم
قد اظهر المعجزات الا ان القوم سمجا لهم وعنادهم انكروها وزعموا انه ما جاء بشيء من المعجزات وهذا كذب
منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية مني ربه مع فوت اتانه
الحصر وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي لا نترك عبادة عن جهة قولك كما تقول جئته عن عمد عن قولك
حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما
يصح لامثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اما لما طالبه من الاجابة الى قوله الا اعتراك اي ما نقول
فيك الا قولك اعتراك اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون وخبل اي خبلك بعض الهتنا ومسك بجنونه
بسبب سبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مجازاة لك منها على اساءتك فعلك بسوء الجزاء فمن ثم
تتكلم بما يسمع من كلام المجانين قال هود اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
اعدائي من الهتكم التي تخوفوني بها اكيدني انا ومن الهتهم وشركهم ووقفها بجاجرت به عادة الناس
من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا او يقول
لقوم كونوا شهدا علي اني لا افعل كذا شهادة الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبت
التوحيد وشدة معاقده واما اشهادهم مما هو الانها وبين بدينهم ودلالة على قوة الملابة بهم حسب
معدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما سيما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يسيء الثوى
سمعه وسدده اشهد اني لا احبك بهكذا به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم الهة من
دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء لله ولم تجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا

وقيل

وقيل معناه اني ارى من الاصنام ضعفون مما شيخ فكيدوني انتم والهتكم احتالوا في هلاكي اعجل ما تفعلون
من غير انتظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف مؤتكم وان تعاديتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تقدرون
الهتكم وما هي الاجماد لا تضر ولا تنفع وكيف تسلم مني اذا بلت منها وصددت عن عبادتها ان تخبلني
وتذهب بعقلي اني توكلت على الله فوضت امري اليه ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وولايته من كيدهم
وصفه بما يقتضي التوكل عليه من استيلائه على ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت
قهره وسلطانه ربي وربكم خالقي وخالقكم وما من دابة حيوان يدب الا هو اخذ بناصيتها اي هو مقتدر
عليه متمكن من تصريفه فما يريد والناصية شعر مقدم الراس وقيل ناصية الشعر وقيل اخذ بناصيتها
تحسها وتميتها وقيل تقهرها لان من اخذت ناصيته فقد قهر ومنه لنسفعا بالناصية ونجذ بالنواصي
والاقدام ان ربي على صراط مستقيم يقول ان ربي على طريق الحق مجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه
لا يظلم احدا سيئا ولا يقبل الا الاسلام وقيل فيه اضمار اي يدل ويحث او يحملكم على صراط مستقيم وهو
الاسلام وقيل هو تعليل قوله ان ربكم لبالمرصاد **قوله تعالى** ولما جاء امرنا نجينا هودا
والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا
رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم
الا بعدا لعاد قوم هود ولما جاء امرنا عذابنا وهلاكنا امرنا عذاب عاد نجيناهودا والذين امنوا
وكانوا اربعة الاف برحمة منا لايمانهم وعملهم الصالح وقيل ما هداهم اليه من الايمان والعمل الصالح
وقيل رحمهم في ذلك الوقت فنجاهم عما كان مزمعا في العقاب ونجيناهم من عذاب غليظ ذكر او لا حين اهلك
عدوهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم ريحا صرصرا سموما تدخل في انوفهم
وتخرج من ادبارهم فمطعهم عصوا عتوا وقيل اراد بالعذاب الغليظ عذابا لهم ولا عذاب اغلظ منه
واشد اي كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الاخرة من العذاب وتلك عاد قيل جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله اي رسل الله اي هودا وسائر الانبياء عليهم السلام لانهم اذا عصوا رسوله
الذي ارسل اليهم فقد عصوا رسل الله لانه ما من نبي احد منهم وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده فاراد
برسله هودا ونظيره قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات اي محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن
في عصر نبي سواه واتبعوا امر كل جبار كافر قهار يجبر غيره على ما يريد عنيد طاغ باغ لا يقبل الحق ولا يدعى له
يقول عند عندا وعندا وعنودا اذا تجبر وطغى وعند عن الحق مال وقيل هو فعل من عند كان فيه معنى
الانحراف وحسن اتباعه اياه بفسقه والمعنى عنده يريد وساهر وكبرهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم والحاصل انهم عصوا من دعته طاعته سعادتهم واطاعوا من دعته شقاوتهم واتبعوا
وارد فوا الحق في هذه الدنيا لعنة طردا وبعدا وعذابا وهلاكا وفي يوم القيمة لما كانوا تابعين لهم

دون الرسل جعلت اللعنة نافعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم
الا تذكر قبل كلام يعظم موقعه وقيل كفروا بنعمة ربهم والاية وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم
وتفظيع لشانهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وبعدا دعاء بالهلاك ومعنى الدعاء به عليهم بعد
هلاكهم الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا وقوم
هود عطف بيان لعاد والفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه ان يسموا بهذه الدعوة اسما ويجعل
فهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة
فيهم والاخرى ارم **قوله تعالى** والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه
مريب انشاكم ابتدا خلقكم من وذلك ان ادم خلق من الارض وهم منه وقيل لان الانسان خلق من
المني والمني خلق من الدم والدم من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من الارض وقيل انشاكم في الارض
واستعمركم فيها جعلكم عمارها وسكانها قيل كان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا
الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من تخسف الرعايا فسال نبي من الانبياء ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه
انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية انه اخذ من احيا الارض في اخر عمره فقيل له فقال ما حملني
عليه الا قول القايل ليس الفتى بفتى يستضي به ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر نحو
استبقاكم من البقاء اي اعاشكم فيها وقيل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك
استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان
يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورى داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها
عمره ثم لغيره ان ربي قريب لراجيه مجيب لداعيه وقيل قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن
دعاه وساله وقيل قريب سريع الاجابة قالوا اي ثمود يا صالح قد كنت مرجوا قبل هذا القول كنت
تلوح فيه مخايل الخير وامارات الرشد كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا بل ونكون مشاورا في الامور
ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا منك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس
رضي الله عنه فاضلا خيرا يقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن
عليه لانه كان يخالفهم في عبادة الاصنام ولا ينهاهم عنها قبل هذا اليوم اتنهانا ان نعبد ما يعبد
اباؤنا حكاية حال ماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب من عبادة الله وتوحيده مريب
موقع في الريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين
وقيل من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي **قوله تعالى**

قال

قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته
فما تزيدونني غير تخسير ه ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة
لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي فانه بني على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم
وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير اي تخسرون
اعمالي وتبطلونها وقيل فما تزيدونني بما تقولون وتحملوني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم
انكم خاسرون تقول خسرته كما تقول فسقته وزينته اذا نسبته الى شيء من ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه
بصارة في خسرانكم وقيل غير تضليل وقيل معناه ما تزدادون الا خسارا فنسبوه الى نفسه لانهم اعطوا
ذلك وكان يسالهم الايمان وقيل ان اجيبكم الى ما تدعوني اليه كنت بمنزلة من يريد الخسران وقيل
ما تزيدونني الا خسرانا **قوله تعالى** ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل
في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك
وعد غير مكذوب ه جرت العادة بطلب المعجزة ممن يدعي النبوة وامر صالح هكذا روي ان قومه خرجوا
في عيد لهم فسالوه ان ياتيه ان يخرج لهم من صخرة معينة عينوها ناقة فدعا صالح ربه فخرجت كما سالوا
هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل لكم متعلق باية
حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها فدعوها تاكل
في ارض الله ترعى في ارض الله والاكل عام في كل ما يتغذى اي ترعى نبات الارض وتشرب ماؤها ولكم ذرها
ولا تمسوها تصيبوها بسوء عقر او نحر ان تمسهم بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل في الدنيا لا يستاخر
عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا استمتعوا
بالعيش في دياركم في بلادكم ومنازلكم وتسمى البلاد الديار لانه يدان فيها اي يتصرف يقال ديار بكر
لبلادهم ويقول العرب الدير حوالي مكة عن عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في بلادكم في داركم
في دار الدنيا وقيل انما وحد لان المراد بها البلد ويحتمل كل واحد في داره ذلك وعد غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف الحرف واجرايه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه
قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول
وكالمصدوقة بمعنى الصدق **قوله تعالى** فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه
برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود اي نجيناهم من العذاب بالصيحة ومن الخزي
قرا نافع والكسائي يومئذ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن والمضاف الى المبني يصح جعله مبنيا
والباقون بالكسر للاضافة ونون اذا لانه عوض مما حذف فهي المحكمة المقدرة ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذلة

ومهانة وفضيحة ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وقيل يريد بيومئذ يوم
القيمة ان ربك هو القوي العزيز فلا يغلب ولا يمتنع عليه شي واخذ الذين ظلموا كفروا الصيحة هي حرور
صوت في فم وحلق حيوان وقيل الصيحة العذاب كما تقول صاح بفلان اذا زجره وردعه فاصبحوا في ديارهم
في منازلهم جاثمين مسترخي والجثوم السقوط على الوجه وقيل النفوذ على الركب فاماتهم الله الا رجلا كان
في حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها لانقطاع اثارهم بهلاكهم
باجمعهم الا من بقي من اجسادهم الدالة على الخزي النازل بهم الا ان ثمودا قرا حفص عن عاصم وحمزة بفتح الدال
من غير تنوين هنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم ووافقهما ابو بكر عن عاصم في والنجم والباقون بالتنوين
في الاربعة الا بعدا لثمود قرا الكسائي بخفض الدال مع التنوين والباقون بفتح الدال من غير تنوين **قوله
تعالى** ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته
قايمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ه قيل دخلت كلمة قد هاهنا لان
السامع لقصص الانبيا عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع ودخلت اللام في قد لتاكيد الخبر
رسلنا يريد الملايكة وعن بن عباس رضي الله عنهما كانوا ثلثة جبريل وميكاييل واسرافيل وعن الضحاك
تسعة وعن السدي احد عشر على صورة الغلمان الوضا وجوههم ابرهيم الخليل عليه السلام بالبشرى
بالبشارة بالولد واسحق ويعقوب وقيل بسلامة لوط واهلاك قومه قالوا اي الرسل سلاما قال ابرهيم
سلام اي امركم سلام او عليكم سلام وللرفع مزية على النصب لانه اخبار عن شي ثابت والنصب طلب
ايقاع ما لم يقع فصار مندرجا في قوله فحيوا باحسن منها قراء حمزة والكسائي بكسر السين من غير الف ومثله
في الذاريات وله وجهان احدهما سلم وسلام لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وانشد مررنا فقلنا ايه
سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام الكوابح والثاني سلم صلح لكم غير حرب والباقون سلام بفتح السين والالف
بعد اللام فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه بعجل حنيذ محنوذ وهو المشوي بالحجارة المحماة وقيل
مشوي بالوصف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عليه
عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما راى ابرهيم ايدي الرسل لا تصل الى العجل الحنيذ نكر ابرهيم الرسل انكر ذلك
منهم نكره واستنكره بمعنى واحد قال الاعشى ه وانكرني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب
والصلعا ه فجمع اللغتين في بيت واحد واوجس منهم خيفة اضمر ابرهيم واحس من الرسل خوفا وقيل وقع
في قلبه خوفا وقيل استشعر وقيل حدث به نفسه واصل الوجوس الدخول كان الخوف دخل قلبه قيل انهم
اذا نزل بهم ضيف ولم يوكل من طعامهم ظنوا انه لم يجي غير وانه يحدث نفسه بشر قيل ان ابرهيم عليه السلام
احس بانهم ملايكة ونكرهم لانه يخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قول

الرسل

الرسل لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا قالوا لا تخف
قال الرسل لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لا الى قومك وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف
والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة موجب الخوف لانهم كانوا
لا ينزلون الا بعذاب وامراته اي وامراة ابرهيم سارة قايمة وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام
ابرهيم وقيل كانت قايمة تخدم الرسل وابرهيم جالس فضحكت سرورا بزوال الخيفة وحصول
الامن لانها خافت كما خاف ابرهيم وقيل سرورا باهلاك اهل الخبايث وقيل ضحكت ضحك انكار
لغفلة قوم لوط وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوط ابن اخيك اليك فاني اعلم
انه ينزل بها ولا القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل ضحكت من امتناع
الضيف من الاكل ولم تكن رات مثل ذلك وقيل ضحكت من خوف ابرهيم عليه السلام وهو بين اهله
وحشمه وقيل ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فقيل هذا من المقام الذي
معناه التاخير كان معنى الكلام وامراته قايمة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت
وقالت يا ويلتى الد وانا عجوز الاية وقيل فضحكت فحاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب
اذا حاضت قال الشاعر ه وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الخوف يوم اللقا فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتدا كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود وموجود
اي من بعده وقيل الورا ولد الولد وعن الشعبي انه قال له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان
ولد ولده وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب بالنصب بنزع الخافض اي ومن وراء
اسحق بشرناه بيعقوب فلما حذف الجار نصب وقيل باضمار فعل اي ووهبنا له والباقون برفعه
قوله تعالى قالت يا ويلتى الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ه يا ويلتى
ايذان بامر فظيع والويل حلول الشر والالف في اخره بدل من يا الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا الد وانا
عجوز وكانت ابنة تسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وهذا بعلي زوجي سمي بذلك لانه قيم امرها
كما سمي مالك الشي بعله والبعال الجماع ومنه بعل النخلة لاستغنايه عن تكلف السقي له شخصا نصب
بما دل عليه اسم الاشارة وكان ابرهيم عليه السلام ابن ماية سنة وقيل ابن عشرين وماية ان هذا
الذي بشرت به لشي عجيب ان يولد وله من شيخين هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي
اجراها الله وانما انكرت عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوفر ولا ترد هاهنا ما ترد هي ساير النساء
الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتحمده مكان التعجب والى ذلك اشارات الملايكة صلوات الله

عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اراد الملايكة ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب
العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله وقدرته وحكمته
وقوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرايل لان الانبيا عليهم السلام منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلام قيل رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت دعا لهم وقيل اخبار وتذكير للنعمة ومن بركاته ان جميع الانبيا بعده من نسله انه تعالى
حميد محمود على كل حال وقيل حميد محمد المومنين من عباده مجيد كثير الخير من قبله والمجد نيل الشرف
مجد فهو ماجد ومجد فهو مجيد قيل المجيد الكريم وقيل العظيم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص
لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن **قوله تعالى** فلما ذهب عن ابرهيم
الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب الروع ما اوجس
من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلب ابرهيم بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى
بدل الغم فرع للمجادلة وجواب لما محذوف وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب تقديره اجترا
على خطابنا او قطع لمجادلتنا ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه
اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا اي يكرر السوال باي شي استحقوا عذاب الاستيصال
وان ذلك واقع لا محالة اي على سبيل الاضافة ويجادله ابرهيم الرسل انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية فقال ابرهيم عليه السلام ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونهم قال الرسل
لا قال ابرهيم واربعون قالوا لا قال وثلثون قالوا لا حتى بلغ عشرة قال وخمسة قالوا لا قال ابرهيم ارايتم
ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال ابرهيم عليه السلام عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قيل كان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف
انسان لان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تايب
راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك
مما حمله على المجادلة فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله
على الاستغفار لابيه **قوله تعالى** يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك
وانهم اتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم
عصيب ۵ فقال الرسل عند ذلك لابرهيم عليه السلام يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت
له الرسل اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة خلقك فلا فايدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاوه

وحكمه

وحكمه بعذابهم وانهم اتيهم نازل بهم اي بقوم لوط عذاب غير مردود غير مصروف عنهم ولما جاءت رسلنا
يعني الملايكة لوطا فرارهم وهيابهم وجمالهم سيء بهم ساء لوطا مجي الرسل لانه لم يعرفهم واشفق عليهم
من قومه وقيل ساء ظنه بقومه وضاق بهم ذرعا قلنا قيل الاصل فيه وضاق ذرعه بهم فنقل الفعل
عن الذرع الى ضمير لوط ونصب الذرع بتحول الفعل عنه وقيل يقال ضاق فلان بامره ذرعا اذا لم يجد من
المكروه في ذلك الامر مخلصا قيل معناه وقع به مكروه عظيم لا يصل الى دفعه عن نفسه وقيل معناه
ضاق صبره وعظم المكروه عليه واصله من ذرع فلان القي اذا غلبه وسبقه وقيل معناه ضاق بهم
وسعة فناب الذرع والذراع عن الوسع لان الذراع من اليد والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون
ليس هذا في وسعي قيل كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه
وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وقال لوط هذا يوم عصيب شديد من قولك عصبه شدة عن قتادة
والسدي خرجت الملايكة من عند ابرهيم عليه السلام نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو
في ارض له يعمل بها وقد قال الله تعالى للملايكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية
في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات ودخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احدا الا اهل بيت لوط فخرجت
امراته فاخبرت بهم قومها وقالت ان في ذلك بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وجاءه قومه يهرعون
اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيات ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون
السيات الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاء الملايكة
يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه لا ياتون الرجال في ادبارهم وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قوله تعالى قال يا قوم هاولاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي
اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم
قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قال لوط يا قوم هاولاء بناتي
هن اطهر لكم بالتزويج اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هاولاء بناتي فتزوجوهن
وكان تزويج المسلمات من الكفار جايز كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن
ابي لهب وابي العاص ابن وايل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجها
ابنته وعن ابن جبير اراد نساء امته وكل نبي ابو امته وعن الحسن كانوا من قوم يخطبون بناته فيابى
محمله ضيق الامر على ان ضمن اسعافهم وقيل شرط عليهم الايمان بدليل قوله تعالى فاتقوا الله هاولاء مبتدا
بناتي عطف بيان له وهو مبتدا ثان واطهر خبره والجملة خبر للمبتدا الاول فان قيل ظاهر قوله اطهر لكم
يقتضي كون العمل الذي يعملونه ظاهرا ومعلوم انه لا طهارة في نكاح الرجال اجيب بانه ليس هذا

زيادة الفعل انما يقال لهذه الالف الف التفضيل وهو شايع جايز في كلام العرب كقول الناس
الله اكبر فهل كابر الله احد حتى يكون اكبر منه يدل عليه ما روي ان ابا سفيان قال يوم احد اعلى
هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه قل الله اعلى واجل وهبل لم يكن قط عاليا فاتقوا
الله ياتنا وهن عليهم ولا تخزون ولا تهينون من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهو الجبا بركونكم
منهم ما تكرهون في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من
عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل واحد رشيد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف
عن السوء وقيل مومن صالح شديد وقيل آمر بالمعروف ناه عن المنكر وقيل رجل يقول لا اله الا الله
وليس في الاية بمعنى ما النفي والاستفهام للانكار قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون غرض
الثبات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اورد عليه طمعا في ان يستحيوا
منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم
ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدا بعلمه ما لنا في بناتك من حق لا ترى
مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل من حق من حاجة وشهوة وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور
مذهبا ودينا لتواطيهم عليه كان عندهم انه الحق وان نكاح الاناث فبين الباطل فلذلك قالوا ما لنا
في بناتك من حق وشهوة قط لان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان
يقولوا على وجه الخلاعة والعرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه
من الشهوة فقال لهم عند ذلك لو ان بكم قوة منعة وشيعة ينصرونني او اوي الى ركن شديد
وانضم الى عشيرة ومنعة وجواب لو محذوف اي لقاتلتكم ودفعتكم يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة
ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل والمعنى لو قويت عليكم
نفسي او اويت الى قوي استنده اليه وامتنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الخيل
في شدته ومنعته ولذلك قالت الملايكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي
صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد يريد نصر الله وعونه وقيل
جواب لو لا لاخبرتكم عن ترك ما انتم عليه والله لا يجبر وعن ابن عباس اغلق لوط بابه والملايكة
معه في الدار وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رات
الملايكة ما لقي لوط من المشقة والنصب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
لا تراهم بعد هذا لانا مهلكوهم وقيل لن يصلوا اليك والى ضيفك بمكروه فهون عليك فافتح الباب
ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه عليه السلام في عقوبته فاذن له
فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر له جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا

فضرب

فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم فعماهم كما قال عز وعلا وطمسنا اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت
لوط سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه
ولم يقدروا على ضرره **قوله تعالى** فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم
احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب قرا نافع
وابن كثير فاسر موصولة والباقون بقطع الالف وهما لغتان والسرى سير الليل يقال سرى يسري
اذا سار بالليل واسرى بفلان اذا سير بطل الليل والقطع من الليل بعضه وهو مثل القطعة يريد
اخرجوا ليلا تسبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح عن ابن عباس بقطع من الليل هو اخر الليل
وعن قتادة بعد طايفة من الليل وقيل نصف الليل فانه في ذلك الوقت قطع بنصفين ولا يلتفت منكم
احد نهي من معه من الالتفات اي لا يتخلف منكم احد وقيل لا ينظر الى ورايه وقيل لا يلتفت الى ما له
هناك اي ولا يبالي به الا امراتك قرا ابن كثير وابو عمرو امراتك بالرفع والباقون بالنصب قال الزجاج
من قرا بالنصب فعلى معنى فاسر باهلك الا امراتك فيكون استثناوها من قوله فاسر باهلك
والدليل عليه قراءة عبد الله بن كثير فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك قال صاحب الكشاف ويجوز
ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثنا وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع
فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معه وامر ان لا يلتفت منهم احد الا
هي فلما سمعت مدة العذاب التفت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقطعها وروي انه امر بان يخلفها
مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراتين لاختلاف الروايتين قال ابن الحاجب
هذا التفصيل باطل جعل القراة بالرفع محمولة على البدل من قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وقراة
النصب محمولة على الاستثنا الموجب من قوله فاسر باهلك فان القراتين ثابتتين قطعا فيمتنع حملهن
على وجهين احدهما باطل قطعا والقضية واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ما سرى فان كان قد سرى بها
فليس مستثنى الا من قوله فلا يلتفت منكم احد وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله فاسر باهلك
فقد ثبت ان احدى التاويلين باطل قطعا فلا يصار اليه في احدى القراتين قطعا والاولى ان يكون
الا امراتك في الرفع والنصب مثل قوله ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اقل القراة على الوجه
الاقوى واكثرهم على الوجه الذي دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان يجمع القراة على قراة غير الاقوى
ولقايل ان يقول قول ابن الحاجب وان كان ما سرى به فهو مستثنى من قوله فاسر باهلك غير لازم يجوز
ان يكون لوط ما سرى بها وهي سرت بنفسها روي عن قتادة رضي الله عنه انه قال ذكر لنا انها كانت مع
لوط حين خرج من القرية فلما هذه العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقول صاحب

اختلاف القراتين لاختلاف الروايتين قول ساقط فان القراة ليست بتابعة للرواية والا يلزم الريب
في كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا ريب فيه انه اي ان للامر مصيبها من العذاب ما اصابهم من العذاب
غير مخطيها ولا مخطيهم قال لوط للرسل متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال لوط اريد اسرع من ذلك فقالوا
اليس الصبح بقريب **قوله تعالى** فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة
من سجين منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ٥ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
عذابنا وقيل امرنا بالاهلاك اي قيل له كن وقيل امرنا الملايكة اي امر الله تعالى الملايكة بعذابهم
جعلنا عاليها اي علا قرى قوم لوط وهي المؤتفكات سافلها عن بن عباس رضي الله عنه امر جبريل لوطا
بالخروج فقال اخرج واخرج غنمك وبقرك فقال كيف لي بذلك وقد اغلقت ابواب المدينة فبسط جناحه فحمله
وبيته وما لهم من شيء فاخرجهم من المدينة وسال جبريل ربه فقال يا رب وكلني هلاك هاولاء القوم
فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان تول هلاكهم فلما ان بدا الصبح غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه
فرفعها حتى سمع اهل السماء اصواتهم وصياح الديكة ونباح الكلب ثم جعل عاليها سافلها وامطرنا على
القرى وقيل على الامة وقيل على شدادها ومسافريها حجارة اي جعلنا الحجارة بدل الحجارة والمعنى اتبعوا
الحجارة من فوقهم من سجيل عن بن عباس رضي الله عنه فارسي معرب من سنك كل بدليل قوله حجارة
من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين يدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل
من السجل وهو الكتاب تقديره من مكتوب الحجارة وقيل ان السجيل اسم السما الدنيا فالمعنى حجارة
من السما الدنيا وقيل الشديد من الحجارة الصلب وقيل من مثل السجل في الارسال والسجل الدلو
وقيل من اسجلته اعطيته اي مثل العطية في الادرار منضود نضد في السماء نضدا معدا في سماء
العذاب وقيل نضد بعضه على بعض لانه طين جمع فجعل حجارة وقيل يرسل بعضه في اثر بعض حين
امطرت كالمطر قطرة بعد قطرة مسومة معلمة للعذاب من السومة وهي العلامة عن الحسن كانت
معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيمى يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من
يرمى به وقيل انها مختومة فالحجر ابيض وفيه نقطة سوداء او اسود وفيه نقطة بيضا عند ربك اي
جاءت من عند ربك معدة وقيل معناه هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله ايذانا بنفاذ قدرته
وشدة عذابه وقيل معنى عند ربك في خزاينه التي لا يتصرف في شيء منها الا باذنه وما هي من الظالمين
قيل من كفار قريش خوفهم الله بها وقيل عام في كل ظالم وقيل انهم قوم لوط اي من قوم لوط ببعيد لم تكن لتخطيهم
وقيل الضمير للقرى اي قرى قوم لوط قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويحتمل ان
يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهو اسرع
شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه **قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال

يا قوم

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني
اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم
بحفيظ اي وارسلنا شعيبا الى بني مدين ابن ابرهيم وقيل الى ساكني مدين ومدين هذا
يقال انه ابنا لابرهيم فصار اسما للقبيلة او سميت البلدة باسمه ولا تنقصوا المكيال المكيل
بالمكيال والموزون بالميزان اي لا تبخسوا الناس حقوقهم كانوا مع كفرهم مطففين والكيل تعديل الشيء
بالمكيال في القلة والكثرة والميزان الة الوزن تعديل الشيء بالشيء في الخفة والثقل اي اراكم بخير ونعمة
وخصب وثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف وقيل اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون
وقيل اريكم بخير فلا تزيله عنكم بما انتم عليه واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط
بثمره واصله من احاطة العدو وقيل هو غلا السعر وقيل الاستيصال في الدنيا والعذاب بالاخرة
ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب بما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا اتموا المكيال
والميزان والوفا تمام الحق والايفا اتمامه بالعدل ولا تبخسوا اي لا تنهضموا ولا تنقصوا البخس الهضم
والنقص ويقال للمكس البخس قال دهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون
من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون
من الاشيا فنهوا عن ذلك ذكر ناعم قال صاحب الكشاف نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه
من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح بعثا على المنهي وتغيرا له ثم امروا بالايفاء الذي هو
حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفا
على وجه العدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما وراء العدل فضل وامر
مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفا القسط لان الايفا وجه حسنه انه
قسط وعدل فهذه ثلاث فوايد ولا تعثوا العثي في الارض اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع
السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما ابقى الله لكم من الحلال
بعد ايفا الكيل والوزن والتنزه عما هو حرام عليكم من البخس والتطفيف خير لكم من التطفيف
ان كنتم مؤمنين اي بشرط ان تؤمنوا لان الله سبحانه وتعالى يجعل فيها البركة وقيل طاعة الله
لانها تبقى وقيل فرايض الله وقيل رزق الله وقيل رحمة الله من قوله وما عند الله خير وابقى وقيل وصية
الله قال صاحب الكشاف وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط
الايمان فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان

قلب لظهور فائدتها مع الاعلان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفا فائدتها
مع فقده لانعكاس صاحبها في غرات الكفر وفي ذلك استعظام للاعلان وبسه على حلاله شائه
ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين بي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله
من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث
انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا وما انا عليكم
بحفيظ يحفظ عليكم نعمكم فاحفظوها بترك المعصية وقيل يحفظكم عن البخس وقيل وما بعثت
لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبينها على الخبر وناصحا وقد اعذرت حيث انذرت
وانما قال هذا لان شعيبا لم يومر بالقتال **قوله تعالى** قالوا يا شعيب اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك انت الحليم الرشيد ۝
قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم اصلاتك بغير واو والباقون صلواتك على الجمع امرهم
شعيب بالتوحيد ونهاهم عن البخس فردوا عليه بما فقوله ان نترك ما يعبد اباونا اشارة
الى انه عليه السلام امرهم بالتوحيد وقوله ان نفعل في اموالنا ما نشاء اشارة الى انه نهاهم
عن البخس عن ابن عباس رضي الله عنه كان شعيب عليه السلام كثير الصلوة وكان قومه اذا راوه
صلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلاتك تامرك السخرية والهزو بالصلاة وان جاز
ان تكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان
يقال ان الصلاة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعوه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق
الطنز وجعلوا الصلاة امرة على سبيل التهكم بصلاته واراد وا ان هذا الذي تامر به من ترك
عبادة الاصنام باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا تامرك به امارة نطنة
فلم يبق الا ان تامر به امر هديان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليالك
ونهارك وعندهم انها من باب الجنون وما تولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال
ومعنى تامرك ان نترك تامرني بتكليف ان نترك ما يعبد اباونا حذف المضاف الذي هو التكليف
لان الانسان لا يومر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي نترك بعضنا ما نشاء
في اموالنا وليس بعطف على ان نترك قيل كان نهاهم عنه وعذبوا لاجله قطع الدراهم والدراهم
ولذلك قالوا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقيل او في الاية بمعنى الواو وقيل هو كقولك تركب البغل
او الفرس اي مرة هذا ومرة ذاك انك لانت الحليم الرشيد اراد وا به سبته الى غاية السفه والغي
فعكسوا لتهكموا به كما تهكم بالسخي الذي لا يصلي حجي فقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل هو على الصحة
اي انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلس يحل بك شتم عصا قومك ولا مخالفة دينهم كما قال قوم صالح

يا صالح

يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا **قوله تعالى** قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود ۝ حكى الله عن شعيب ما ذكره في الجواب عن كلامهم على بينة
من ربي وهان من ربي ورزقني منه اي من لدنه وقيل من السماء رزقا حسنا حلالا لا طسما من غير
بخس ولا تطفيف وقيل رزقا حسنا علما ومعرفة وقيل نبوة وحكمة وجواب الشرط محذوف يدل
اتكرهون ذلك وقيل يدل عليه افاعدل عنها واتبع الضلال وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين
اي قصة نوح ولوط دل على مكانه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي
وكنت على الحقيقة سماء ايصح ان لا مركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي التي انتم
عليها والانبياء لا يامرون الا كذلك وما اريد ان اخالفكم فاقع ما انهاكم عنه فاكون كمن قال لغيره
قول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واراد وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي تنهونكم عنها لاستبد بها دونكم
والحاصل انه يقول لا انهاكم عن شيء ثم اتيته وقيل معناه لا اجعل نفسي مخالفا لقولي ان اريد الا الاصلاح
امركم بموعظتي ونصحي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح
ومادمت متمكنا فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه وقيل يجوز
ان يكون ما بمعنى حذف المضاف على ولكن الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقولك
صعوبا لبكا في اعداوه اي ما اريد الا الاصلاح ما استطعت اصلاحه مني فاسد انه صلى الله عليه
وسلم اكد ذلك الكلام بقوله وما توفيقي لدعائكم الى الاسلام وعبادة الله وتركت لتطفيف الا بالله
اي لا تكون افعالي موافقة للصواب الا بمعونة الله على الله توكلت استعنت ووثقت به واليه
ارجع في السراء والضراء والمعاد فقوله وما توفيقي الا بالله يفيد الحصر وعليه توكلت يفيد الحصر
ايضا ومن ههنا ان اعتماده في سعد كل الاعمال الصالحة على توفيق الله وهدايته وانه لا ينبغي للانسان
ان يتوكل على احد الا على الله وهذا اعظم مراتب المبدا ولانه لامات للخلق الا الى الله وهذا اشارة
الى معرفة المعاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا عليه السلام قال
هو خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه لا يجرمنكم جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد
والى مفعولين يقول جرم دينا ركسبه وجرمته دينا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اى لا يكسبنكم شقاقي خلافي وعداوتي ان يصيبكم
اى اصابة العذاب مثل ما اصاب قوم نوح الغرق او قوم نوح الغرق او قوم هود الريح او قوم صالح
الرجفة قراءة ابى كثير بضم الياء من احرمته دينا اذا جعلته جارما لدانى كاسبا وهو منقول من جرم
المتعدى الى مفعول واحد كما فعل كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكتسبته اياه فكذلك
لا فرق بين جرمته دينا واجرمته اياه والباقون بفتح الالف والراء ان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما
الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة اعلى السنة
الفصحاء من العرب والموثوق بعربيتهم اذ ورودهم له اكثر استعمالا وما قوم لوط منكم ببعيد انما هالكوا
في عهد قريب من عهدكم وقتل وما دار قوم لوط منكم ببعيد وقيل وما قوم لوط منكم ببعيد في الكفر والمساوي
واستحقاق الهلاك ويجوز ان يراد وما اهلاك قوم لوط او وما هم شيء بعيد او بزمان او مكان بعيد
ويجوز ان يسوى في معاني بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها عاريا عن التاء في المصادر
التي هي التنهيق والصهيل ونحوهما واستغفروا ربكم عن عبادة الاوثان وعن التحسي والتطفيف
وسائر المعاصي ثم توبوا وداوموا على التوبة ان ربي رحيم بالمحسنين المستغفرين التائبين ودود
عظيم الرحمة للمستغفرين التائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة من بذله من الاحسان
والاجمال **قوله تعالى** قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا
ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز لكل ما بالغ شعيب في النصح وتقرير رسالته
احابه قومه بحالات فاسدة ما بعضها ناشئ من ولا بعضها كثيرا مما تقول لانهم لا يلقون اليه ادهانهم
رغبة عنه وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وكانوا يفهمونه
ولكنهم لم يعملوا بمعانيه لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا
لم يعجبه حديثه ما ادري ما تقول او جعلوا هذا بانا وتخليطا لا فقههم كثيرا منه وضعف لا فقههم كلامه
وهو خطيب الاسلام وقيل كان اذا تكلم سقط من كلامه الثلثان وقيل كان ألثغ لك ولا عزما سالا نقدر
على الامتناع منا الا ارادتنا كارهون لها وعمى الحس ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحقيقة الاعمى
ضعيفا كما يسمى ضريرا وهذا القول ضعيف لانه ترك الظاهر من غير دليل ولان مساعي هذا القول
الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن مستقيما لان الاعمى اعمى وهم وفي عرهم ولولا رهطك عشيرتك
حيث حطوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة ولولا رهطك عشيرتك
وكان في عز ومنعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا
من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وهو القتل برمي الحجارة وما انت علينا بعزيز اي انت
لا تعز علينا ولا تكرم حتى يكرمك من اجل القتل ورفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل

دينا

دينا لم يحتاروك علينا ولم يبتغوك دوسا وقد دل ايلاء ضمير شعيب حرفا لنفي على ان الكلام
في الفاعل لا في الفعل اي لو ان التردد في الفاعل لا في الفعل ودلك بان يكون هناك وجود فعل وعالم
به لكنه يحطى في فاعله او في تفصيل فاعله وانت بقصد ان ترده الى الصواب وهذا يقتضي ان
يكون اصل الكلام ما عزرت انت فقدم للاختصاص وانما الرم لعدم لاذ بالنفي الحال والمحال
اختصاص بالزمان والقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم لا سيما الضمير
قد دل على ان لعدم للاهتمام والاختصاص كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعز علينا
ولذلك قال شعيب في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
لان الكلام حينئذ في عزته فقط فالجواب المطابق لم لم اكن عزيزا عاشرفني الله برسالته اهديكم
الى سبيل الرشاد واحلصكم من ورطة الضلال اذا لا مدخل للقوم فيه ولا وجه لقوله
ارهطي اعز عليكم من الله **قوله تعالى** قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ان القوم رعوا انهم
لم يرجموه لا لعزته عليهم ولكن لعز رهطه فقال شعيب يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله وهذا انكار
اي حفظكم اياي في الله اولى من حفظ رهطي فان قيل الكلام واقع في شعيب وفي رهطه اي القوم نفوا
العزة عن شعيب واثبتوها لرهطه فكيف يصح قوله ارهطي اعز عليكم من الله اي فلم ذكر الله شعيب
واتى بالفعل الذي يقتضي الشركة في العزة المنفية اجيب بان تهاونهم بشعيب وهو نبي الله تهاون
بالله سبحانه حين عز عليهم رهط دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله واتخذتم الله وقيل واتخذتم امر الله وراءكم ظهريا منسيا منزوكا اي تستهونه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ خلف الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب
ونظيره قولهم في النسبة الى امس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط بما علمكم علما فلا يخفى عليه شيء
منها وما قوم اعملوا على مكانتكم بحوز ان يكون مكانتكم بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة
فيكون المعنى اعملوا اقصى ما يمكنكم على جهتكم التي انتم عليها من الشرك وعبادة الاوثان والبسناء لي
وان يكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين فالمعنى اعملوا تمكنكم من عداوتي مطبقين لها اني
عامل على حسب ما يوسى الله من النصح والتسديد وعكسي من ذلك بحوز ان يكون من استفهامية
معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه فسوف تعلمون اساتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وادخال
الفاء في سوف وصف ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزع الفا من سوف وصل حتى بعد ري الاستيناف
الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال

سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للدلالة على البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين واتمهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان سكاكي محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم انى معكم رقيب اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب كالضريب والضريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرهب كالنفير والوفيع بمعنى المفتخر والمرتفع وقيل اسطوا هلاكى انى معكم رقيب لهلاككم وقيل اسطروا العذاب انى معكم منتظر وكرعاقبة العاملين منه ومنهم فان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه اليهم ومع هو صادق اليه لكنهم لما كانوا يدعون شعيبا دائما قال ومن هو كاذب اى فى دعكم ودعواكم يحهلا لهم

قوله تعالى ولما جاء امرنا بخينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود جاثمين لا زمين لمحالهم لا يرعوه كالا بد يعنى ان جبريل صلوات الله عليه صاح بهم صحة فزهقت روح كل واحد منهم بحث هو نفضا قال صاحب الكشاف فان قلت ما بال ساقى قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والسابقتان الوسطيان بغير واو قلت الواو لتسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا تلك المثابة وانما وقعتا مبتدئتين وكان حقهما ان تعطفا بالحرف الجمع عاما قبلهما كما تعطف قصة على قصة كان لم يغنوا فيها كان لم يعمروا ديارهم احياء متصرفين متزددين البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله تعالى كما بعدت ثمود قال صاحب الكشاف وقرا السلمى بضم العين والمعنى القراءتين واحد وهو بعصى العرب الا انهم ارادوا الفصل بين البعد من جهة الهلاك وبين البعد عن فقير وا البنا كما فرقوا بين قولهم ضمان الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمى جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله تعالى كما بعدت ثمود منها

قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بايانتا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ك بايانتا وسلطان مبين قيل يريد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وقيل يريد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها الى فرعون وملايه فاتبع الملاء امر فرعون وخالفوا امر موسى وما امر فرعون برشيد بسديد وقيل برشد وقيل بصلاح وقيل ارشيد بمعنى المرشد وهذا بجهيل للملاء الذين اتبعوا حيث شايعوا على امر وهو ضلال مبين لا يخفى على ما فيه ادنى شكة من العقل وذلك انه اذا دعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذى لا يابى الا من كل شيطان مارد ومثله معزول من الالهية حقا وادعى الا فاتبعوه وسلموا له هواه وتبايعوا على طاعته والامر الرشيد الذى فيه رشد انما هو نحى صريح وضلال

ظاهر

ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين فى امر موسى عليه السلام وعلموا ان دعواه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط يقدم قومه اى سعدهم ويقودهم الى النار يوم القيمة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك سعدهم فى الضلال كذلك سعدهم الى النار وهم سعوته قيل يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امر فرعون بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه مفسرا لذلك وايضاحا اى كنت ارشد امرين هذه عاقبته والرشد مستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يدم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وانما قال فاوردهم بلفظ الماضى لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذى وردوه شبيه بالمفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورود انما يراد للتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة اى ملعونين فى الدنيا وملعونين فى الاخرة بئس الرفد المرفود وفدهم اى بئس العون المعان لان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الاخرة وقيل بئس العطا المعطى

قوله تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب ك ذلك لبنا بعض ابنا القرى نقصه عليك ذلك مبتدا من اسما القرى خبره نقصه خبر بعد خبر اى ذلك لبنا بعض ابنا القرى مقصوص عليك منها اى من القرى اى بعض القرى قايم باق عامر وبعضها حصيد خراب قد اهلك والحصد قطع الشى من اصله والحصيد المحصود وقيل قايم بناؤها خال عن اهلها وحصيد مطموس العين والاثر ويحتمل ان يراد بالقرى قرى من تقدم ذكرهم وان القايم منها ديار قوم هود وصالح وموسى عليهم السلام والحصيد ديار قوم نوح ولوط وهذه الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بالهلاك اياهم ولكن ظلموا انفسهم بالكفر وعبادة الاوثان فما اغنت عنهم ما نفعتهم ولا دفعت عنهم الهتهم التى يدعونها بعد ونها وهى حكاية حال ماضية من دون الله من شيء لما منصوب بما اغنت جاء امر ربك عذابه وما زادوهم تتبيب تخسير وتدمير يقال بت اذا خسر وسده غيره اوقعه فى الخسران

قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ك محل الكاف الرفع هو مبتدا خبره اخذ ربك اى ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى اى اهلها وهى ظالمة حال من القرى اى اهلها كقوله ان اخذه اليم مولم شديد صعب على المأخوذ من اذا عذابه ليس بمقصور على من تقدم بل الحال فى اخذ كل ظالم كذلك وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيعاقب بها فسادروا التوبة ولا يغتروا بالامهال ان فى ذلك

ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم

لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود ان
في ذلك الذي نزل بالامم المهلكة من انواع العذاب لاية لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الاخرة اي
اعتقد وجود عذاب الاخرة وصحته لانه ينظر الى ما نزل بالكفرة في الدنيا وما هو الا امر يسير في
جنب ما اوعدهم في الاخرة فاذا راى عظمته وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة
وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل لاية
علامة ان الله ينجز وعده للمؤمنين وقيل للانبياء ان ينصرهم ذلك يعني يوم القيمة يدل عليه عذاب
الاخرة يوم مجموع له الناس والناس مرفوع بمجموع كما يرفع بيجمع اذا قيل يجمع له الناس اي يوم يحشرهم
فيه الناس وليس يوم بهذه الصفة الا يوم القيمة وانما اوثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول
من دلالة على ثبات معنى الجمع اليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجميع الناس فيه
وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو ايضا انسب لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفلون منه
ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك مجزوب فيومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وان شئت فوازن بينه وبين قوله يجمعكم يعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه
من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود اي تشهد فيه اهل السموات والارض وهو يوم القيمة
فاتسع بحرف الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا والمراد بالمشهود
الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال الشاعر ه في محفل
من نواصي الناس مشهود وانما جعل الناس مشهودا فيه ولم يجعل مشهودا في نفسه كما قال
تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الايام فان جعل مشهودا في نفسه فساير الايام مشهودات كلها فجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز
كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه
لان ساير ايام الاسبوع مثلها يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر
فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضر الوطئة في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا
فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره اي اليوم
المذكور وقيل الجزاء الا لاجل الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف **قوله تعالى**
يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير
وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ه

قرا

قرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء والباقون بالياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل
قيل فاعل ياتي الله بالجزاء كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء امر ربك وقيل الفاعل
ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة وحينئذ يكون المراد اتيان هوله وشدايده
لا تكلم لا يتكلم نفس تتبع من شفاعة او وسيلة الا باذنه كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
ويوم ظرف منصوب باضمار اذكر وقيل بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم
ياتي وذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي بعضها تختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وفي بعضها
يؤذن لهم فيتكلمون فمن الذي جمعوا في ذلك اليوم وقيل فمن اهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي كتبت عليه الشقاوة فيدخل
الناس وسعيد كتبت عليه السعادة فيدخل الجنة وقيل شقي معذب وسعيد منعم وتخصيص هذين القسمين
بالذكر لا يدل على نفي قسم ثالث عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلى ماذا نعمل على شيء قد فرغ منه فقال يا عمر جرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق
له فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير اخراج النفس وشهيق رده عن ابن عباس رضي الله عنه
الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار
والشهيق اخر حين يفرغ من صوته اذا رده في جوفه وعن ابي العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر
خالدين فيها لابثين مقيمين فيها حال مقدرة يقول العرب جررت برجل معه صقر صائدا به غدا والعامل فيه
معنى الاستقرار في قوله ففي النار ما دامت السموات والارض اي دوام السموات والارض واراد بالدوام
وقت الدوام وقيل الخلود بالدوام لان العرب لا تفهم خلودا لا نهاية له وهذه لفظة وضعت للدوام
ولها امثال وفي هذه الاية والتي عليها سؤالان احدهما ان السموات والارض فانيان وان بقاء اهل
الدارين بصفة الدوام فكيف علق ما يبقى بما يفنى والثاني ثم يتصل الاستثناء اما السؤال الاول
فالجواب عنه من وجوه منها انه اراد بقوله ما دامت السموات والارض التابيد وعدم الانتهاء ونفي
الانقطاع وللعرب الفاظ في معنى التابيد يقولون هو باق ما حنت البنت وفي المثل لا افعل ذلك ما حنت
البنت واطت الابل واينع التمر واورق الشجر وما خر ليل وما اختلف الليل والنهار وما دامت السموات
والارض واشباه هذا كثيرة ظنا منهم ان هذه الاشياء دائمة غير متغيرة فخاطبهم الله تعالى بما يستعملون
في كلامهم ومنها انها سموات الجنة والنار وارضهما وهي دائمة مخلوقة للابد ومنها انهما يعادان واذا اعادا
بقيتا او فنيتا يقويه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا وعن الحسن اراد ما دامت
الاخرة كدوام السماء والارض في الدنيا قدر مدة بقائهما وعن الحسن وابن عباس ما دامت السموات

والارض من ابتداكونها الى وقت صاحبها ومنها ما دامت السماء والارض رضا ولاشئ لا يفارقها
في ذواتها بقينا او حسا واما السؤال الثاني فاجاب عنه من وجوه منها ان الاسمين المذكورين في حق
اهل النار في الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة قال ابن عباس والضحاك ومنها انه استثنا لانه علم
الا الله يقول والله لاضربنك الا ان اراى غير ذلك وعزمتك على ضربه ومنها انه الاستثنا يصرف
الى السموات والارض والخلود بحاله اى الا ان شاء الله في السموات والارض ما شاء ومنها الا ما يشا
الله من زيادة الدوام على دوام السموات ومنها ان المعنى خالدين فيها ابدا غير ان الله سبحانه وتعالى
يامر النار فتاكلهم وتمسهم ثم تجدد خلقهم فرجع الاستثنا الى ذلك الحال قاله ابن مسعود ومنها ان
ما بمعنى من وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل
الجنة ايضا المفارقتهم اياها بخروجهم فيها اياما منها ولاء لم يشقوا شقاء من يدخل النار على التابيد ولا
سعدوا سعادة من لا يمسه النار ومنها ان الا بمعنى سوى يقول لك على الف الا الفا اى الفا تعرفها
فيلزمك بالاستثنا الف فالمعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والارض سوى ما شاء ربك من الخلود
والزيادة ومنها ان هذا الاطلاق توجب ان يكونوا في حال الاخبار في الجنة او في النار فاستثنى
مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ وقيل انهم اذا حشروا وبعثوا في شروط القيمة فالاسمين وقع من
الخلود مقدار موقفهم للحساب فالمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا مقدار موقفهم
للحاسبة ذكره الزجاج وهو بين كسائر الاستثنا يعود الى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف
للحساب قال ابن قتيبة فالمعنى خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والارض الا ما شاء
ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك فعانه جعل دوام السماء والارض عبرة على الابد على ما كانت العرب تستعمل
وان كانتا قد تتغيران واستثنى المشية من دوامهما لان اهل الجنة واهل النار قد كانوا في وقت ما وقبل
دوام السماء والارض في الدنيا لا في الجنة ولا في النار ومنها الا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة
دوام السماء والارض ومنها ما اختاره صاحب الكشاف وهو انه استثنا من الخلود في عذاب النار
ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل بعد ان يعذبوا بالزمهرير
وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وعاهوا غلظا منها كلها وهي سخط الله عليهم وخسوه لهم
واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منها وهو رضوان الله
كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما سفصل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف
كنهه الا هو فهو المراد بالاستثنا والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته
ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاه الذي لا انقطاع

له

له فتامله فان القرائن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المحرف ان المراد بالاستثنا خروج
اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاسمين الذين ساد على تكذيبهم وتسجيل افترائهم وعلى
ذلك بقوم سندوا كتاب الله لما روى لهم بعض الثوابين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
لياتين يوم على جهنم تصفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان
من الضلال من اعتبر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ
بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وبسنة نبيه ولا يوفق
هذا عن بن العاص لعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير وذلك خلود جهنم وصفق ابوابها
واقى لها ما كان لابن عمر في سيفيه بما الذي قال علي ابن طالب رضي الله عنه ما يشعله عن نشر هذا
الحديث انتهى كلام صاحب الكشاف قلت كلا بل كلا الاستثنا من قبيل وصحيح من تاويلك اما
الاول فان اسم النار علمت لدار العقاب لقوله تعالى فقنا عذاب النار انك من تدخل النار فقد
اخزيته ولو لم يكن اسم الزمهرير كذلك طلب الوقاية عنها مطلقا لا يغني عن الثلوجات ولا
من اطلاق اسم النار في عرف الشرع لا يتبادر الى دار العقاب كما ان من اسم الجنة لا يفهم الا
دار الثواب قال صاحب الكشاف في اول تفسير سورة البقرة الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي
تشتمل على جنان كثيرة وهي على نيف الاسماء العالية الاعلام واما الثاني فلان الذوق
السليم والطبع المستقيم يابى ان يقال ان الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها الا ان ينقلوا الى
رضوان الله ورضوان الله كائن في الجنة على ما روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير
في يديك فيقول الله عز وجل هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول عز وجل الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون ولاي شئ اعلى من ذلك يا رب فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا هذا ثم قوله الا سمين الثاني على تكذيبهم يعني
كما لا يوجب خروج اهل الجنة من الجنة ذلك الاول يرده بتبدل كل شئ من الاشياء ما خلا الاخير
فانه اصلا فهما يدخل على احلاف الحكيم فان قوله تعالى فعال لما يريد رد لما عسى ان يقول المعتزلي في
افعال الله بالحسن والقبح وان الثواب والعقاب واجبان رد ابليغا بحيث حق به مصدرا ان يقوى
على وجه يقول الحكم وبنا فعال للمبالغة ويعضد هذا التفسير ما رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للجنة انت رحمتي
ارحم بك من اشاء من عبادي وللنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحد ملاها ثم
ان قوله تعالى عطاء غير مجذوذ يدل على ان هذا الاستثنا ليس على طريقة الاولى لانه اسم مصدر

تؤكد مضمون الجملة فلو جعل الاستثناء من الخلود في نعيم الجنة لخرج عن ان يكون موكدا فوجب ان يجعل
الاستثناء من اسلوب قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يعني ان انقضاء مدة بقائهم فيها
بمثابة الموت فهما بمحال لخلودهما ابدا الا ما شاء ربك معناه هاهنا لا شاء ان يخرجهم منها كما يقول انا افعل كذا وكذا الا
ان اشاء غيره ذلك ثم يقع على ذلك الفعل وانت قادر على غيره ذلك والفائدة انه فيه انه تعالى لو شاء ان
يخرجهم لقدر ويكفيه قد اعلمنا انهم خالدون ابدا مذهب من مذاهب اهل اللغة وصرح صاحب الكشاف
في الكهف في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ان الاستثناء معنى التابيد وامّا
قوله قول المحبر ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فليس من تلقاء نفسهم لانهم
يرفعون حديث الخروج الى الصادق المصدوق صلوات الله عليه رواه البخاري ومسلم عن جابر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثغارر يعني الثغارر بالمثلثة
والعين المعجمة صغار الضفادع وروى البخاري والترمذي عن عمران بن الحصين ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين والاحاديث
في هذا الباب بلغت مبلغ التواتر كثيرة وصحة لكون الحديث الذي رواه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ونسبة الى اهل السنة فهم بريئون منه فقد صرح بذلك ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ورواه عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني ادم احد يصفق ابوابها
كانها ابواب الموجبين ولما تفسير الاستثناء بالمقل من النار الى الزمهرير فجاء فيه نقل يعتمد
عليه واما قوله اما كان لابن عمرو في سيفيه ما يشغله عن نسر هذا الحديث ففيه والعياذ بالله
طعن فيمن هو من اكابر الصحابة ومن العلماء المشاهير ومن العابدين منهم ومن العامدين وفيهم
من وجهين احدهما انه عدالي وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك اجتهد في
نسرها وثانيهما انه قاتل عليا رضي الله عنه بسيفيه لسانه وحسامه هذا والله جسارة عظيمة
لا تقدر عليها مسديس قال في ابن عبد البر في الاستيعاب انه كان فاضلا حافظا عالما وكان يسرد الصوم
ولا ينام الليل وحديث مراجعته مع النبي عليه السلام في صيام وختم القرآن مشهور وقال انه اعتد
من شهوده صفين واقسم الا يرم رمحا برمح ولا سهما بسهم وانما سهدها لعزمه ابنه عليه وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان له اطلع اباك وكان يقول مالي ولصفين مالي ولقتال المسلمين والله لوددت
اني مت قبل هذا بعشر سنين قال اما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت فيها برمح ولا رميت بسهم
واما الذين سعدوا فقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم سعدوا بفتح السين
وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضمها وهما لغتان بمعنى واحد عطاء غير مجذوذ وغير مقطوع عنهم وعطا
نصب على المصدر اي اعطوا عطاء وقيل حال من الجنة كقوله بصدهم غير منقوص قوله تعالى

فلا تكن

فلا تكن في مرية مما يعبد هاؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم
غير منقوص ٥ لما قص تخصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من بعد وما اعد لهم من عذاب قال
فلا تك في مرية اي فلا تشك بعد ما انزل اليك من هذا القصص من سوء عاقبة عباد بهم ونقوضها
بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم ووعيدا لهم
ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اباءهم من غير تفاوت بين
الحالين وقد بلغك ما نزل باباءهم فستنزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية
وما في مما يعبدون كما تحوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم واعتقادهم او مما يعبدونه
من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباهم
انصباهم غير منقوص حال عن النصيب الموفى فانه يحوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل
يقال وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا قوله تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب
وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير ٥ لما بين في الاية الاولى اصرار كفار مكة على
انكار التوحيد ايضا بين انصا اصرارهم على انكار نبوته عليه السلام وتكذيبهم كتابه وبين تعالى
انها هاولاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو انه
لما انزل التوريه على موسى اختلف فيه امته فقوم وكفر به قوم ولولا كلمة سبقت من ربك تاخير العذاب
عن امة محمد عليه السلام وتكذيبهم كتابه وبين تعالى انها ولاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة
مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو انه لما انزل التوريه على موسى اختلف فيه امن به قوم
وكفر به قوم كما اختلف في القرآن فامن به قوم كما اختلف في القرآن فامن به قوم وكفر به قوم ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير العذاب عن امة محمد عليه السلام الى يوم القيمة لقضي بين قوم موسى او قومك اي لاهلكوا
وفرغ من عذابهم وهذه من جملة التسلية ايضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم لفي شك منه مريب
اي ريب موقع الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه وان كلهم وان جميع المختلفين فيه المؤمنين
والكافرين قرا ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بتشديد النون والميم في لما والكسائي وابو عمرو بتشديد
ان وتخفيف الميم في لما فمن شدد ان اعمل المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو الثقيل ومن
خفف الميم من لما فلان لما عنده موطية للقسم وما مزيدة وقوله ليوفينهم جواب قسم محذوف
والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم وقيل في خفف الميم من لما فالكراهة اجتماع اللامين زيد بينهما ما
وهي صلة واللام في لما لام الابتداء وهو الذي يدخل في خبر ان وان نافية اي اللام في ليوفينهم لام القسم
وقيل ما بمعنى الذي اي والذي ليوفينهم وقيل بمعنى مهما اي لمن ليوفينهم ومن شدد الميم في لما فهو مشكل قال

الكسائي لا اعرف للتشديد وجها قال ابو علي لم يعد فما قال وقال بعضهم معناه الاكما يقول لشدتك الله لما فعلت كذا اي ما اسالك بالله الا كذا وهذا بعيد لان التاصية لا تقع بعد ما ولا الا انما تقع اذا تقدمها نفي وطلب قال الما زني اصله لما فالتخفيف فشدد وهذا بعيد وقال الفراء اصله لمن ما فادغم النون فصار مما ثم حذف النون وادغم الميم الموصولة ولا تحتى بعد هذا وقيل انما هو لمّي فعلى من لمت اولما واصله لما فاجرى الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لما شاذا كقوله اما لما والمعنى وان كلا ما لمين بعثي يحوعيا كانه قيل وان كلا جميعا لفوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون ومعنى الاية ان من عجلت عقوبته في الدنيا ومن اخرت ومن صدق الرسل ومن كذب يجازيهم سواء فانه تعالى يوفيهم جزاء اعمالهم في الاخرة مجملا لاية الوعد والوعيد فان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم انه بما تعملون خبير تاكيد للوعد والوعيد **قوله تعالى** فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون انه تعالى لما بالغ في شرح الوعد والوعيد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت قال الامام هذه الكلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقايد والاعمال سواء كان مختصا او متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرايع ولا شك ان البناء على الاستقامة الحقيقة مشكل جدا فاولها معرفة الله وتحصيل هذه المعرفة على وجه سوي العقل مصونا في طرفي الاثبات عن التشبيه وفي طرفي النفي عن التعطيل وغاية الصعوبة واعتبر سايير مقامات المعرفة من نفسك وايضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحد منهما طرفا افراط وتفريط وهما مذمومان والفاضل هو المتوسط منهما بحيث لا يميل على احد الجانبين والى وقوف عليه صعب ثم العمل به اصعب ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية اشد ولا اشق من هذه الاية فلهذا قال شيبتني هود وقال لاصحابه حين قالوا لقد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود وفي بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم اي استقم استقامة من الاستقامة التي امرت بها على جادة الخلق غير عادل عنها وقيل فاستقم كما امرت اي كما امرك ربك وبلغ الرسالة وادع الناس الى الاعتقاد بالله قالت عايشة في جماعة استقم على القران عن السدي الخطاب للرسول والمراد به الامة ومن تاب معك معطوف على المستقيم في فاستقم وانما جاز العطف ولم يوكد بمنفصل لفاصل مقامه والمعنى فاستقم وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تجاوزوا امر الله ولا تخرجوا عن حدوده انه بما تعملون بصير فيحاربكم ولا تركنوا ولا تميلوا الى الذين

ظلموا

ظلموا النهي متناول الانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومحالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتردي برديهم ومدانيتهم الى رفدتهم وذكرهم عافيه تعظيم لهم والركون هو الميل اليسير الى الذين ظلموا الى الذين وجد منهم اصل الظلم فتمسكم النار اي ان ركنتم اليهم فتمسكم اي هذه عاقبته وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار وانتم على هذه الحال اي ليس لكم اولياء تخلصونكم من عذاب الله لا تقدرون على منعكم من عذاب الله حتى لا تصرون لا تحدثون من نصركم من تلك الواقعة وثم معناه الاستبعاد اي النصرة من عذاب الله مستبعد **قوله تعالى** واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لما امره بالاستقامة اردفه بالامر بالصلوة وذلك يدل على اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلوة عن ابن مسعود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني اخذت امراة في البستان فصلت بها وضممتها الي وباشرتها وفعلت بها كل شيء غير اني لم اجامعها وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الاية فدعا الرجل فقرا عليه فقال له عمر اهي له خاصة ام للناس كافة فقال بل للناس كافة وفي رواية اخرى عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له فنزلت هذه الاية فقال الرجل الى هذه الاية فقال لمن عمل بها من امتي وعن معاذ بن جبل كنت قاعدا عند رسول الله فجاءه رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل اصاب من امراة لا تحل له فلم يدع شيا يصيبه الرجل من امراته الا اصابه منها غير انه لم يجامعها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضا وصوا حسنا ثم قم فصل فانزل الله هذه الاية فقال معاذ اهي له خاصة ام للمسلمين عامة فقال هي للمسلمين عامة لا خلاف في ان المراد بالصلوة المفروضة وكثرت الاقوال في المراد بطرفي النهار وزلفا من الليل فقيل طرفا النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغداة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لانه ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشا قاله مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وروي انا النبي صلى الله عليه وسلم قال في المغرب والعشا هما زلفا الليل وقيل الطرف الاول الصبح والثاني العصر قاله الحسن وقتادة والضحاك والزلف المغرب والعشا وليست الظهر في هذه الاية على هذا القول بل هي في غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس والحسن ايضا والزلف العشا وليست الظهر والعصر في هذه الاية وقيل الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشا والصبح كان هذا القايل راعى حمزة القراة والاول اظهر هذه الاقوال ورجح ان الطرفين الصبح والمغرب وانه ظاهر الا ان عموم الصلوات الخمس بالاية اولى وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت

كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف الليل واوله واخره ينصب هذا كله على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار ان الحسنات اى الطاعات يذهبن السيئات اى الصغاير
وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكباير واكثر المفسرين على ان الصلوات
يذهبن الخطيات وفيه حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عثمان ابن عفان
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا وقال من توضا وضوى هذا ثم صلى الظهر غفر له ما كان
بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر
ثم صلى العشا غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله ان يبيت لليله يتمرغ ثم ان قام وتوضا وصلى الصبح
غفر له ما بينها وبين العشآء الحسنات يذهبن السيئات والسيئات هى الصغاير من الذنوب قاله
المفسرون عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله اوصنى قال اين الله حيث ما كنت قال قلت زدنى قال
اتبع السيئة الحسنة تمحها قلت زدنى قال خالق الناس بخلق حسن وقيل الحسنات هى قول العبد
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قيل هذا كله انما هو على جهة المثال فى الحسنات
ومن اجل ان الصلوات الخمس هى اعظم العبادات والظاهر ان لفظ الاية عام فى الحسنات بقوله صلى
الله عليه وسلم ما اصبت الكباير بذلك اشارة الى ما تقدم من قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن
وقيل اقام الصلاة وقيل الى الاخبات وان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى قيل التوبة وقيل
موعظة للذاكرين وقيل للذين شانهم ان ينتهوا وقيل للمريدين للتوبة وقيل للمتعظين واصبر ثم كرر الى
الامر بالصبر والمذكر به بعد ما جاء على هو جائة للتذكر وهذا التكرر لفضل خصوصية ومزية
ونسبه على معاناة الصبر كانه وعليك بما هو الهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال
ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا تنج شئ منه الا به وقيل واصبر على ما تلقى من الاذى وقيل على
الصلوات نظيره قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين
الذين يعبدون الله كانهم يرونه فان لم يروته فانه يراهم وقيل هم المصلون وقيل المخلصون وقيل
المحسنون فى اعمالهم قيل جاء على هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان
والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات على وجه الاخلاص **قوله تعالى**
فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا
منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين لما بين امر الامم السالفة نزل بهم عذاب
الاستيصال بين ان السبب فيه امران الاول انهم ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد فى الارض
وعال فلولا فلة التحصيص لكى يقترب بها هنا معنى التوبيخ والتاسف الذى سبق ان نفع من
البشر على هذا الامم الذى لم يهتد ولا كان من القرون الذين اهلكتهم من قبلكم اولوا بقية فضل وعقل

ودين وخير وسمى هذه الامور بقية لان الرجل يستبقى ما يرجحه اجوده وافضله فصار مثلا فى
الجودة والفضل وقيل لان الشرايع والدول ونحوها قوتها فى اولها ثم لا يراك تضعف ممن ثبت
فى وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول وقيل اولوا بقية اصحاب جماعة بقى من سلاح وقيل من سقى
على نفسه وقومه من عذاب الله ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى اى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على
انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ينهون عن الفساد اى لو كان منهم من هذه صفته لما
نزل بهم العذاب الا قليلا استثناء للمتصفين لان النجاة انما هى للناسين وهذه دليل قوله عز وجل
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا قال صاحب الكشاف فان قلت هل لوقوع هذا
الاستثنا متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلت متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا
لانه يكون تخصيصا لاولى البقية عن النهى على الفساد الا بقليل من الناجين منهم كما يقول هذا قرا
قومك القرآن الا الصلحا منهم يريد استثنا المخصصين على قراة القراءة وان قلت فى تخصيصهم على
النهى عن الفساد معنى بقية منهم دون ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان اسدما متصلا
ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا
اى الناركون للنهى عن الفساد فى الارض لم يهتموا باهو كما عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واسعوا ما عرفوا فيه السعى والشرف من حب الرياسة والثروة
وطلب اسباب العيش الهنى ودفضوا ما وراء ذلك وبنذوه وراء ظهورهم عن ابن عباس ما اترفوا
انعموا فيه وقيل اطروا فيه اثروا الدنيا والتنعم فيها على الاخرى ويجوز ان يكون المعنى فى القراءة المشهورة
انهم اتبعوا جزا ابرائهم وهذا معنى قوى لعدم الانجاء انه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السايرون
فان كان معنى قوله واتبع الذين ظلموا واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن
انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزا
الاترات قالوا والحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وكانوا مجرمين عطف على قوله
اترفوا اى اتبعوا الاترات وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام وقيل تالاجرام اعفاء لهم
بالشكر وقيل عطف على قوله اسعوا شهواتهم وكانوا مجرمين وقيل هو على اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون
قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين ان الله تعالى ما اهلك القرى بظلم قبل الظلم هاهنا الشرك والمعنى
انه تعالى لا يهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين فى المعاملات فيما بينهم على السداد
والصلاح قال صاحب الكشاف كان معنى صح واستقام واللام لتاكيد النفى وبظلم حال من الفاعل

والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك اهل القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم
وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم والاول تاويل اهل السنة والثاني تاويل المعتزلة وقيل
يظلم منهم اي بعضهم والاكثر على الصلاح ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم امة واحدة على ملة واحدة عن بن
عباس رضي الله عنه على دينك الذي بعثت به اي مسلمين ولكن لم يشاء ذلك ولا يزالون مختلفين
على اديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ونحو ذلك مشية تعلقت بهداية البعض وضلالة
البعض الا من رحم ربك فهداهم الى الايمان وهم المومنون واهل الحق ولذلك خلقهم ولاجل ما هم عليه خلقهم
فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وقيل انه يرجع الى الشقاء والسعادة لاجل اختلافهم
مودتهم الى شقاوة وسعادة قاله بن عباس واختاره الزجاج وعن بن جرير واللام في قوله بمعنى على وقيل
اشارة الى الاختلاف روي عن الحسن وقيل يرجع الى الرحمة وقيل وللاختلاف وللرحمة خلقهم عن الحسن
خلق هاولاء لجنته وهاولاء لناره وهاولاء لرحمته وهاولاء لعذابه وتمت كلمة وعيده وقيل هي لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل يمينه وهي لاملان جهنم من الجنة والناس اي منهما لا من احدهما
وليس ذلك للاحاطة وقيل من عصاة الجنة والناس اجمعين فيكون للاحاطة **قوله تعالى**
وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى
للمؤمنين ه التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقصه عليك من انباء الرسل
بيان لكل ما نثبت به فوادك بدل من كلا وقيل المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من
انواع الاقتصاص نقص عليك اي على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى نثبت فواده
زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين **قوله**
تعالى وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله
غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ه
لما بالغ الغاية في الانذار والاعذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بان قال للرسول وقل
للذين لا يومنون ولم يوثر فيهم هذه البينات البالغة اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي
انتم عليها عاملون ما نحن عليه وانتظروا بنا الدوائر وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان وقيل
انتظروا ما يحل بنا من رحمة الله انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة
باشباهكم وقيل انا منتظرون ما يعد ربنا ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل
المطالب الشريفة المقدسة فقال ولله غيب السموات والارض اي عالم ما غاب عن العباد
فيها لا تخفى عليه خافية فيما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله قرا نافع وحفص

عن عاصم

عن عاصم يرجع بضم الياء والباقون وابو بكر عن عاصم بفتح الياء والمعنى ان كل الامور ترجع اليه
في المعاد فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه وحده وثق به فانه
كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم يعملون بالتاء
والباقون بالياء فمن قرا بالياء فالمعنى وما ربك بغافل عما يعمل المشركون من اهل مكة ومن قرا
بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وبجميع الخلق مومنهم وكافرهم وهذا وعمله والمعنى يجزي المحسن
باحسانه والمسيء باساءته

سورة يوسف عليه السلام مكية

وهي مائة واحدى
عشرة اية والف وسبعمائة وست وسبعون كلمة وسبعة الاف ومائة وستة وسبعون
حرفا وهو السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف والثانية والخمسون في النزول عن ابي بن كعب
علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه من القوة ان لا يحسد مسلما ونقل انه لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح
قيل سبب نزول هذه السورة ما روي عن سعد بن ابي وقاص انه انزل القران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم فكانهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى قوله
الله نزل احسن الحديث كتابا الاية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك
احسن القصص وروي ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي احل بني
اسرائيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القران شيء كما تكررت
قصص الانبياء ففيها حجة على من اعترض بان الفصاحة تمكنت بترادف القول وفي تلك القصص حجة على
من قال لو كررت لفترت فصاحتها ه بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
الر تلك ايات الكتاب المبين ه تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب السورة
وقيل القران اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة او القران المبين من ابان وهو
لازم ومتعد يقال ابان الشيء فهو مبين اي اتضح وظهر فهو واضح ظاهر فالمبين الواضح الظاهر وابنت
الشيء اوضحته واظهرته فالمبين الموضح والمظهر قيل المبين الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي
تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر وقيل المبين حلاله وحرامه وقيل المبين رشده
وهداه وقيل الواضح الذي لا يشتبه على العرب لنزولها بلسانهم وقيل المبين فيها ما سالت عنه اليهود
من قصة يوسف وقيل مواعظه ونوره وقيل المبين للحروف التي سقطت من السن الاعاجم وهي ستة
الصاد والضاد والطاء والظاء والعين والحاء وكذلك الثاء والقاف واما الذال المعجمة فلا تقع ايضا في

اوايل الكلم المحمد واذا وقع في الحشو والاخر فمنهم من جعله والاولى ان يحمل عاجميع هذه المعاني لاطلاقه
هذا القرآن عربي وبلسانكم يا معشر العرب والاولى ان يحمل عاجميع هذه المعاني لاطلاقه
قوله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ك اى انزلنا هذا الكتاب
الذى فيه هذه المعاني وقصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمى بعض القرآن قرانا باعتبار
ان القرآن اسم جنسي يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون طلبا منكم ان تفقهوا معانيه وقيل
اراد ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه وقيل لتكونوا على رجاء من تدبر ومعنى الطلب والارادة يعود
الى الله تعالى ومعنى الرجا يعود اليهم والطلب موافق لمذهبنا والارادة موافق لمذهب المعتزلة
اللهم الا ان يقال فهم هذه القصة والاحاطة بمعانيها فحينئذ ليس بمخالف لمذهبنا قوله
تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله
لمن الغافلين ك القصص مصدر وقولهم قص عليه الخبر قصصا اى نقص عليك احسن
الاقتصاص بايحائنا اليك هذه السورة فان اقتصاصه على ابدع طريقة واعجب اسلوب وكيف
لا وهذا الحديث مقتص في كتب الاولين وكتب التواريخ ولم يوجد اقتصاصه في كتب منها مقاربا
لاقتصاصه في القرآن ويجوز ان يراد بالقصص المقصوص اى نحن نقص عليك احسن ما هو مقصوص
من الاحاديث وكيف لا وهو متضمن للعبر والنكت والحكم التي خلت عنها عين من الكتب فانه فيها ذكر
حسن محاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضائه عند لتقائهم عن ذكر ما تعاطوه وكرمه في
العفو عنهم حتى لا تثريب عليكم اليوم وفيها ذكر الانبياء والصالحين والملايكة والشياطين والانس
والجن والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والعمال والرجال والنساء
ومكرهن وحيلهن وفيها ذكر التوحيد والنبوة والاعجاز وتعبير الرويا والسياسة والمعاشرة وتدبير
المعاش وجميع الفوايد التي تصلح للدنيا والدين وفيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما واعلم ان كل قصة
مذكورة في القرآن يبتدأ من شيء منها وهذه القصة من اولها الى اخرها مذكورة من غير تداخل فيها
وانقطاع وهذه القصة عقباها الى خير وسلامة واجتماع شمل مع عفو الله تعالى وتجاوزهم عن
جميعهم من غير عذاب ووعيد عن سعيد بن حسن انه قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم الى سلمان فقالوا حدثنا عن التورية فان فيها حسن فانزل الله عز وجل نحن نقص
عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون
احسن منصوبا بنصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
اليك هذا القرآن معين عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك
احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك

احسن

قال ط

احسن ما نقص من الاحاديث والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس
وافضلهم تريد في فنه واشتقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتتبع ما حفظ
منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قراه لانه يتلو اى يتبع ما حفظ منه اية بعد آية وان مخففة من الثقيلة
واللام هي التي فرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى القرآن وقيل الى القصص وقيل الى قوله
ما اوحينا والمعنى ان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عن قصة يوسف
ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرق منه اذ قال يوسف قوله تعالى لابيه يا ابت اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل
الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص فاذا وقتي وقته فقد قصها وباضمار اذكر يوسف اسم
عبراني فيكون غير منصرف للعجمة والتعريف وقيل عربي قيل الاسف لغة الحزن والاسيف العبد
فاجتماعاني يوسف فلذلك سمي به وهذا ليس بصحيح لانه لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب
آخر سوى التعريف يا ابت قرا ابن عامر بفتح التاء في جميع القرآن ووقف بالها وافقه ابن كثير
في الوقف بالها والباقون بكسر التاء وهذه التاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة ومن فتح
التاء اراد يا ابتا فحذف الالف كما حذف في اية فبقيت الفتحة دالة على الالف ومن كسر التاء فالكسرة
عنده هي التي كانت قبل الياء في قولك يا بني قد زخلفت الى التاء لاقتضاء التانيث ان يكون ما قبلها
مفتوحا وامتنع اسقاط الكسرة بالفتحة التي اقتضتها الياء وابقاء التا ساكنة لان الاسم والاسما
حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف
لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قيل يشبه الجمع بين التاء ومن
هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض لان التاء في حكم الياء اذا قلت يا ابتي فلا يجوز يا ابت
احسب بان الياء والكسرة قبلها شيئا واحدا والتاء عوض من الياء وحدها والكسرة غير متعرض لها
فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لانه غير الا ترى الى قولهم يا امت مع
كون الالف فيه بدلا من التاء كيف جاز الجمع بين الالف وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض
والمعوض منه فالكسرة بعد من ذلك فان قيل فقد دلت الكسرة في ايا غلام على الاضافة لانها قرينة
الياء ولضيفها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالبا المعوضة لغير وجودها كعدمها اجيب
بان حال الكسرة مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابتي ان رايت احد عشر كوكبا وبنيا على الفتح
لتضمن الحرف كوكبا نصب على التمييز وهو النجم رايت من الرويا لا من الروية لانها وكي معلوم انه
منام لان الشمس والقمر لا يجتمعان مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة
ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس روى ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال يا محمد اخبرني عن الكوكب الذي راها يوسف عليه السلام في المنام ساجده له ما
اسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ فنزل جبريل عليه السلام واخبره
باسمائها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عزمت ان اخبرتك باسمائهم قال نعم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريان ، والطارق ، والذيال ، وقابس ، وعمودا
والفليق ، والمصبح ، والضروح ، والفرع ، ووثاب ، وذو الكتفين ، راها
يوسف عليه السلام والشمس والقمر تنزلن من السماء وسجدن له فقال الرهوي اي والله انها
لاسماؤها وعن ابن عباس رضي الله عنه الشمس والقمر ابواه والكواكب اخوته وعن السدي
الشمس ابوه والقمر خالته لان امّ يوسف راحيل كانت قد ماتت قيل لما بلغ يوسف سنتين ماتت
امّه راحيل وحضنته عمته اخت يعقوب وعن وهب بن منبه كان يوسف راى وهو ابن تسع
ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئته واذا عصى صغيرة تنتن عليها حتى قتلتها
وغلبتها ووصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة ان احدى
عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له ففصّها على ابيه فقال يا بني لا تقصص روياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا فيصنعوا لك الغوائل ويحتالوا في هلاكك لانهم يعلمون تاويلها فيحسدونك وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصير اخوته اليه وقيل ثمانون واخر الشمس والقمر لعطفهما على الكواكب على طريق
الاختصاص ببيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل
عن الملايكة ثم عطفها عليهم لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس
والقمر رايتهم كلام مستانف وقع جوابا لسوال مقدر كانه يعقوب قاله عند قوله اني رايت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال يوسف رايتهم لي ساجدين وانما
اجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى
عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشئ الشئ من بعض الوجوه فيعطى
حكما من احكامه اظهر ولان الملابسة والمقارنة قيل كون الرويا في اول الليل وقيل في الاخر بالمقال وقيل لما طال الكلام اعادها وقيل ان يوسف راى في المنام اخوته وابويه ساجدين
له فلكن من ذكرهم عرف يعقوب دلالة الرويا على ان الله يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه بالنبوة
ويتم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرويا عن الرويّة الا انها
مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما عرفا لما نيث كما قيل القربة والقربى فكيدوا
منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك ومن فعل الكيد معنى يتعدى باللام ليفيد
معنى فعل الكيد مع افادة الفعل المضمر فكونوا اكد وابلغ في التحويف وذلك نحو فتح الله لك الا ترى

الى تاكيده

الى تاكيده بالمصدر وان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة مظهر لها ما فعل
بادم وحوا بقوله ولا قعدن لهم صراطك المستقيم فهو محمل على الكيد والمكر وكل شر لبوره من
يحمله ولا يوصف ان يحارم على مثله واعلم ان الرويا حالة شريفة ومنزلة رفيعة قال النبي صلى
الله عليه وسلم لم يبق بعدي من المبشرات الا الرويا الصادقة يراها الرجل الصالح او تُرى له
وقال عليه السلام اصدقكم رويا اصدقكم حديثا وقال صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة هذا حديث صحيح اخرجه مسلم في صحيحه قيل معنى قوله
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على راس
سنة والصحيح في سنة ثلث وستون سنة فاوحى الله اليه ثلثا وعشرون سنة منها سنة
اشهر الرويا الصادقة فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلث وعشرين سنة كوفي جزءا من سنة
واربعين جزءا وفي هذه الاية دليل على ان الرويا لا تقص الا على شفيق ناصح

قوله تعالى

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما
اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم قال يعقوب ليوسف الاجتباء
اختيارا ومعالي الامور للمجتبى من جبيت الشئ اذا اخلصته لنفسك ومنه جبيت الماء في الحوض
اي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك ربك لمثل هذه الرويا العظيمة
الدالة على شرف وعز وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظيمة للنبوة واعلا الدرجة وتعظيم
المزية ومنها ان يجعل رويا حيا تا يفسره قال الله تعالى وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل
رويا ي من قبل قد جعلها ربي حقا ويعلمك كلام مبتدا داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك
من تاويل وهو ما يوول اليه المعنى واكثر استعماله فيما يوول اليه المعنى في الرويا وللاحاديث الرويا
جمع الرويا التي يراها النايم في المنام كالمشاهد سمي لرويا احاديث لان الرويا اما حديث نفس او
تشيطان وتاويلها تعبيرها وتفسيرها سمي تاويلا لانه يوول امره الى ما راى في منامه وكان يوسف
اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها وكان نبينا صلى الله عليه وسلم اعبر الرسل وكان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه اعبر الصحابة للرويا وكان محمد بن سيرين اعبر التابعين وسعيد بن المسيب قريبا منه
وقيل يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما عصم واشتبه على الناس
من اعراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وكيفية الاستدلال
باصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله وحكمته وجلالته وسميت احاديث
لانها يحدث عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي
حديث بعده يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس لجمع احدوثة ويتم

نعمته عليك بالنبوة وبعصمتك من ارتكاب ما لا يليق بالانبيا وبان يجعل اخوتك محتاجين
اليك وبانجايك من كل مكروه ويتم نعمته على ال يعقوب بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
بان جعل فيهم انبيا وجعلهم ملوكا في الدنيا ورفع لهم الدرجات في الاخرى ولا يستعمل الال الا فيمن
له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا يقال ال الحايك وال الحجام ولكن اهلهما وال يعقوب نسله واهله
وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ابرهيم بالخلة
والانجا من النار ومن ذبح الفدا قال الله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا وقال تعالى فانجاه الله
من النار وقال تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا
لهو البلاء المبين واتمام النعمة على اسحق باخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل بانجائه من
الذبح واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان
وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك وقيل علم يعقوب بالوحي من عند
الله وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك
قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته
حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه
من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره
ولا يصبر عنه فيتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص روياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمع الله
لك بعد دهر طويل ان ربك عليم حيث يجعل رسالاته على مقتضى مشيته حكيم في تدبير خلقه

قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين ه اي قصته
واخوته روبيل وهو اكبرهم سنا شمعون لاذى يهودا وهو اكبرهم رايا وعقلا زبالون بشجر
ها ولا الستة من ام واحدة وهي ليا بنت ليان وليا بنت خالة يعقوب دان يغتالي
حاد اشرها ولا الاربعة من سريتين ليعقوب اسم احديهما زلفة والاخرى بلهة فلما توفيت
ليا تزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان بنوا يعقوب اثني عشر قبل
ان يعقوب عليه السلام واخاه العيص كانا توامين ولدتهما امهما معا وكان ابوهما اسحق عليه
السلام وذكر ان العيص تكلم في بطن امه وسمعته امه فاخبرت به اباه اسحق عليه السلام فتعجب
فقالت اني اسمعه كل يوم يتحدث فقال لها اذا سمعتي ذلك فاعلميني وجعل يرتقب ذلك فدعته
يوما اليها فالقى اذنه عند سرتها فسمع العيص وهو يقول ليعقوب اريد ان اصدمك براسي
فاقتلك واقتل امك فقال اسحق لا يا ولدي ارع حرمة امك وابيك ولا تقصد اذية اخيك
ولما كان عند البعض تسابق الى الخروج وتاخر يعقوب فخرج العيص ويعقوب في عقبه فسمي يعقوب

وكانت

وكانت الام تحب يعقوب اكثر وسمي العيص عيصا لاجل عصيانه على اخيه حال المزاحمة
في الخروج وكان اسحق عليه السلام يحب العيص اكثر من يعقوب فلما كبر او كبر اسحق وطعن
في السن قال لولده العيص يا بني اعلم انه قد دنا موتي وان القربان فينا سنة ايتني بكبش سمين
حتى اقربه ويكون يدك مع يدي وادعوا لك في عقب القربان دعوة ينتفع بها ان شاء الله فمضى
لياتيه بذلك وقد سمعت ام يعقوب ما جرى بينهما فاخبرت يعقوب وقالت له يا بني عجل بكبش
واخفض صوتك والبس فروة مقلوبة على جسمك فان اخاك العيص على بدنه شعر كثير كشعر المعز فاذا وقعت
يدا ابيك على بدنك فلا ينكر ذلك ثم اسرع يعقوب واتى بكبش الى ابيه فقال له اسحق جئت به يا عيص
فاخفى يعقوب صوته وقال نعم فطرح اسحق يده على يده وقال له يا بني بارك الله فيك وجعل في نسلك
النبوة والملك ففاز بها يعقوب ومضى مسرورا واتى العيص ومعه كبش فقال له اسحق اما كنت
الساعة عندي وذبحت الذبيحة ويدك على يدي ودعوت لك بما يفيد ان شا الله ويحمد
عاقبته من بعدي قال العيص اني ما اتيت لك لقد احتال يعقوب عليك فقال اسحق يا بني قضي الامر
وسوف ادعوا لك بكثرة المال والولد فجميع الروم من نسله ولم الاموال ولم يكن من نسله نبي الا ايوب
عجب عجيب كان اسحق يريد العيص وكان الخلاق يريد يعقوب فكان ما اراد ووقع الحسد
في قلب العيص وعزم على قتل يعقوب وخشي اسحق عليهما من قصة هابيل وقابيل ولما مات اسحق هرب
يعقوب الى خالة له وترك اخاه وكانت بخالته بنتان راحيل وليا فخطب يعقوب راحيل فقالت له ارع
غنمي عشر عشر سنين حتى ازوجك راحيل فرعى عشر سنين فبعثت اليه ابنتها الكبيرة ليا فقال يعقوب
ما اشترطت عليك الا الصغيرة فقالت ما ازوج الصغرى وادع الكبرى تزوج بهذه وارع غنمي عشر
سنين اخر حتى ازوجك بالاخرى فرعى عشر سنين اخر حتى زوجته براحيل فصار له اثنى عشر ولدا فرجع
الى كنعان وقال لاولاده اني اخاف من العيص اسبقوني اليه فهو لا يعرفكم فاذا قال من انتم فقولوا
اولاد خادمك يعقوب فلما وصلوه اليه واخبروه بذلك طاب قلبه ليعقوب وذهب جميع ما كان
في قلبه من الحسد وصار موضعه رحمة وحبه على يعقوب والاولاده ووصل يعقوب اليه ولم يجد
العيص بعد ذلك صبرا على فراقهم وصار العيص مشتملا عليهم قوله ايات للسائلين اي في قصة يوسف
واخوته علامات ودلايل على قدرته تعالى للذين سالوا عن قصتهم فان كل حال من احوالهم اية وقيل
ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع
من احد ولا قراة كتاب ولا نظر فيه **قوله تعالى** اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى اسامنا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ه اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق
لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه بنيامين وانما قالوا

اخوه وهم جميعًا اخوته لان امهما كانت واحدةً وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين
الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف
جاز الامران ونحن عصبة الواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان
صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما
لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة يعصب بهم
الامور ويستكفون النوايب **قوله تعالى** اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ۝ اي قال اخوة يوسف اقتلوا يوسف كانهم اطبقوا على احد
الامرين قتله او طرحه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران يخل لكم يخلص لكم وتصفوا لكم ~~وتصفوا لكم~~
وجه ابيكم يقبل عليكم اقباله واخذه لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد انه تسلم محبته من غير مشاركة
غيركم فيها ومنازعته اياها وتكونوا من بعد قتله او طرحه ايضا قوما تائبين الى الله تعالى مما جنيتم
عليه وقيل يصلح حالكم عند ابيكم بعذر تمهدونه او يصلح دنياكم وبينكم اموركم يخلوا وجه ابيكم قيل وفي
قصتهم نكتة عجيبة وهو انهم عزموا على التوبة قبل الذنب وكذلك المومن لا ينسى التوبة وان كان
مرتكبا للخطايا وتكونوا اما جزم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله
وتكتموا الحق **قوله تعالى** قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب
يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ۝ قيل انه روبيل وهو بن خالة يوسف وهو اكبرهم
سنا وقيل شمعون وقيل يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض اي قال
لا تقتلوا يوسف فان قتله عظيم والقوه في غيابة الجب في قعر البير وغيابة الجب غوره
وقعره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اشغله والجب البير التي لم تطو اراد غيابة حفرته
التي يدفن فيها قرا نافع غيابات الجب جعل كل جزء منه غاية والباقون غيابة على الواحد في الحرفين
عن مقاتل هو بارض الاردن وقيل هو بارض الارض على ثلثة مراسح من منزل يعقوب وقيل بيت
المقدس يلتقطه ياخذه بعض السيارة الذين يسيرون في الطريق من المسافرين تذهب به
الى ناحية اخرى فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين اي ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم
فهذا هو الراي واختلفوا في اخوة يوسف حين قالوا هذا وفعلوا فقيل انهم كانوا مراهقين غير
مكلفين وقيل انهم كانوا بالغين اقويا لم يكونوا انبيا **قوله تعالى** قالوا يا ابانا
ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
۝ فعند ذلك اجمعوا على راي القايل لا تقتلوا يوسف فالقوه في غيابة الجب فاحتالوا في

التفريق

التفريق بينه وبين يعقوب واحسوا من يعقوب بان لا يامنهم عليه فان يعقوب احس منهم
ما اشتد في ان لا يامنهم عليه فقالوا ما لك لا تامنا اي لم تخافنا على يوسف وانا نريد له الخير
ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه الا النصيحة ارادوا بذلك استزالة عن رايه وعادته
في حفظه منهم لما عزموا على التفريق بينه وبين ابيه ارسله يوسف معنا غدا الى الصحرا نرتع
نتسع في اكل الفواكه وغيرها والرتعة الخصب والسعة قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نرتع ونلعب
بالنون فيهما وسكون العين وعاصم وحمزة والكسائي نرتع ونلعب بالياء فيهما وسكون العين والياء
يعنون يوسف ونافع نرتع بكسر العين من نرتع من غير بلوغ الى الياء وقيل نرتع نلهو وقيل نسعى وقيل
ناكل وقيل معنى نرتع نتحارس ونرعى بعضنا بعضا اي نحفظ ومنه يقال رعاك الله اي حفظك ونلعب
نلهو وننشط وقيل نلعب بالرمي وقيل بالرمي وقيل بالشد والعدو وروى هارون صاحب ابي عمرو انه
قال قلت لابي عمرو كيف تقرا نلعب بالنون قال لم يكونوا يومئذ انبيا وقيل كان لعبهم الاستباق
والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورته ومن قرا بالياء اي نرتع يوسف ساعة ونلعب ساعة وانا له
لحافظون مما يسوءه **قوله تعالى** قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله
الذيب وانتم عنه غافلون ۝ قال يعقوب لبنيه اي ليحزنني اللام لام الابتدا كقوله ان ربك
ليحكم بينهم ودخولها احد سمتي المضارعة وهما دخول اللام والسين للحال والاستقبال اعتذر
يعقوب الى بنيه بشيين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر ساعة وثانيهما خوفه عليه
من ان ياكله الذيب اذا غفلوا عنه برتعهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق بحفظه وعنايتهم قيل راى
يعقوب في منامه ان الذيب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العدة وفي امثالهم
البلا موكل بالمنطق وقيل راى في منامه كانه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن واحد فاذا عشرة من الذياب
قد احتوشته يريدون اكله قد راى عنه واخذ ثم انشقت الارض فتوارى يوسف فيها ثلثة ايام فكان
العشرة اخوته لما تمالوا على قتله والذي دفع عنه اخوه يهودا وتواريه في الارض هو مقامه في الجب ثلثة
ايام وقيل انما اراد ذلك لخوفه منهم عليه وانه اراد هم بالذيب فخوفه كان من قتلهم اياه فكنى عليهم بالذيب
وقيل ان ارضهم كثيرة الذياب قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة الذيب بالهمزة في المواضع
الثلثة والكسائي بغير همز والذيب مهموزا في الاصل يقال تذاءبت الريح اذا هبت من كل جانب وانتم عنه
غافلون في اللعب وقيل تشتغلون برعيكم **قوله تعالى** قالوا لئن اكله الذيب ونحن
عصبة انا اذا لخاسرون قال اخوة يوسف لابيهم والله لئن اكله الذيب فالقسم محذوف
واللام توطية للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزا الشرط والواو في ونحن

عصبة واو الحال حلف اخوة يوسف لابيهم لئن كان ما خافه من اكل الذيب يوسف من بينهم والحال
انهم عصبة عشرة رجال عثلهم يعصب الامور وتكفي الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون هالكون ضعفا عجزة
مغبونون او مستحقون ان يهلكوا لانه لا يقع في حياتهم ولا غنا عندهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار
وان يقال خسرهم الله حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذن وخسرناها قد اعتذر يعقوب الى بنيه بعذرين فاجاب بنوه عن احدهما لان غيضهم
وحقدهم بسبب ذلك العذر الذي لم يجيبوا عنه وسكتوا عنه **قوله تعالى**
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
روي انه قال اخوة يوسف اما تشتاق ان تخرج معنا فنلعب ونتصيد قال بلى قال فاسئل اباك ان
يرسلك معنا قال افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا فقال
يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت قد ارى من اخوتي اللين واللطف فانا احب ان تاذن لي فارسله
معهم فلما اصحروا اظهروا له العداوة واغلظ له القول وجعل يلجا الى هذا فيضربه والى هذا فيوذيه فلما فطن
لما قد عزموا عليه جعل ينادي يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكا شديدا
عن ابن عباس فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم ختم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني
قال يا ابن راحيل صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه ليكسرها فنادى يوسف يا هوذا
اتق الله في وخل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة فقال يهوذا يا اخوتاه الا ادلكم على امر هو خير لكم
وارفق به قالوا وما ذاك قال تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة قالوا نفعل فانطلقوا به الى الجب
فخلعوا قميصه فقال يا اخوتاه لم زعتم قميصي ردوه على استر به عورتي ويكون كفنا لي في مماتي فاخرج الله
له حجرا في البير مرتفعا في الماء فاستقرت عليه قدماه وعن السدي جعلوا يدلونه في البير فيتعلق بشفير
البير فيربطوا يديه ويترعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحدى عشر
كوكبا فدلوه في البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادوا ان يموت فكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة
فيها فقام عليها فلما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انه رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة
فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وعن كعب جمعوا يديه الى عنقه وترعوا قميصه فبعث الله اليه
ملكا فحل عنه واخرج له حجرا من الماء فقعد عليه وكان يعقوب قد ادرج قميص ابرهيم الذي كساه الله اياه يوم
القي في النار في قصبة وجعلها في عنق يوسف فالبسه اياه الملك حينئذ واضاء له الجب وعن الحسن
القي في البير فعذب ماوه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض
جبريل ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت شيئا فقل يا صريخ
المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كل كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى

عليك

عليك شي من امري فلما قالها حفته الملايكة فاستانس في الجب ومكث فيه ثلثة ايام وكان اخوته
يرعون حول الجب وعن محمد بن مسلم الطايفي لما القي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير
بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا فيه قيل سنه حين القي في الجب اثنتا عشرة سنة قاله
الحسن وعن الضحاك ست سنين وعن ابن السايب والحسن ايضا سبع عشرة سنة وقيل ثماني
عشرة سنة فلما ذهبوا به اجمع رايهم ان يجعلوه في غيابة الجب قوله واوحينا اليه قيل انه الهام وقيل
انه وحي حقيقة اوحى الله اليه كيونس في الظلمة والوحشة وبشر بما يوول اليه امرهم ومعناه لتتخلص
مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما صنعوه وانت عال عليهم وهم لا يشعرون انك يوسف وقت اخبارك
لهم لعز شانه وكبريا سلطانه وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للميئات والصور والاشكال
وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضع على يده ثم نقره وطن فقال
انه ليخبرني ان هذا الجام ان كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم
به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وقيل وقال يوسف وبعتموه بثمن بخس فعلى هذا
يكون قوله وهم لا يشعرون متعلقا بقوله لتنبئنهم ويجوز ان يتعلق بقوله واوحينا على انا انسنا
يوسف بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون انا اوحينا الى يوسف ويحسبون انه مرهق
مستوحش لا انيس له **قوله تعالى** وجاوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا
ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
روي ان يهوديا قال لهم انطلقوا فالطخوا قميصه بدم كذب بعض ذبايحكم ثم اخبروا اباكم انه قد اكله الذيب
وهذا قميصه فيه دمه حين افترسه واقيم انا يومي هذا هاهنا فاني اخاف ان يرد لو ارد الى الجب فيستغيث
بهم فيرحموه ويخرجوه ويبطل علمنا واخبروا اباكم اذا هو يعتقد في انه يطلب الذيب الذي اكله والى على نفسه
ان لا يرجع ابدا حتى يقتل الذيب الذي اكله فصدقوه وانما اراد يهوذا بتخلفه عنهم اذا ولوا عن الجب
ان يخرج يوسف من الجب ورده على ابيه فلما ولوا عن يهوذا التفت منهم ملتفت فاذا هو بيهوذا يدلي
ثوبه الى يوسف ليلبسه فرجعوا اليه مقبلين فقال لهم يهوذا اني لم افعل ذلك متعمدا ولكني ادليت
راسي في الجب فاصغيت سمعي لاعلم اهو حي ام ميت فوقع عني ثوبي فلم اقدر على نزعه فرجعوا جميعا الى ابيهم
وجاوا اباهم عشاء اي ليلا باكين ليكونوا احرى في الظلمة على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قيل لا تطلب
الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار فيتلجلج في الاعتذار اي تردد في الكلام فلا يقدر
على اتمامه وهذه الاية دالة على ان بكا الرجل لا يدل على صدق مقالته لاحتمال ان يكون تصنعا ومن
الناس من يقدر على ذلك روي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت وكان الشعبي حاضرا عنده فقال لشريح
يا ابا امية اما تراها تبكي قال شريح فقد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان

يقضي به من البينة وروى انه لما سمع يعقوب اصوات بنيه فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في
غنمكم شي قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف فقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال
والافتعال يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في
الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا رحلنا وثيابنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا
بمصدق لانك تسيء ظنا لشدة محبتك ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة ما صدقتنا لاتهامك
لنا في امر يوسف وكيف وما كنا عندك صادقين لسوء ظنك بنا وعدم وثوقك بقولنا **قوله تعالى**
وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
ه وجاء اخوة يوسف فوق قميص يوسف بدم كذب اي مكذوب فيه والعرب تجعل المصدر في كثير
من الكلام مفعولا فيقولون للكذب مكذوب وللعقل معقول وللجلد مجلود ووصف بالمصدر مبالغة
كانه عين الكذب يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل ه
روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم اي تمزقوه وروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكا حتى خضب ثوبه بدم القميص فقال يا الله ما رايت
كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات دليلا ليعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر على قميصه محله النصب
على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جهالة باجمال ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة
لان حال المجرور والاستفهام لا يتقدم عليه قال يعقوب بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخا
اي سولت سهلت لكم انفسكم امرا عظيما او تلتموه من يوسف وهونته في اعينكم وزينت لكم غير
ما تصفون استدل يعقوب على فعلهم به ما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى الى يعقوب
بانهم قصدوه ففزع يعقوب الى الصبر والاستعانة من الله فقال فصبر جميل خبر مبتدا محذوف
اي فامري صبر جميل او مبتدا موصوف محذوف خبره اي فصبر جميل اجمل والصبر الجميل هو الذي
لا شكوى الى الخلق فيه ولها قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال لا اعايشكم على كابة الوجه بل
اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل ما هذا فقال طول
الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة فقال يا رب
خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون من الكذب ومن هلاك الامم ومن هلاك يوسف
وعلى الصبر والرزء فيه **قوله تعالى** وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى
دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ه انه تعالى بين كيف
سهل السبيل في خلاص يوسف من تلك المحنة فقال وجاءت سيارة رفقة تسير للسفر من قبل

مدين

مدين مدينة شعيب وهو على قرب بيت المقدس يريدون مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف
في الجب فاخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق ويدورون حتى وقعوا الى الارض الذي فيها الجب
فنزلوا قريبا من الجب وكان في قفيرة بعيدة لم تكن الا للرعاة وكان ماؤه مالحا فعذب حين القى عليه يوسف
فارسلوا واردهم الذي يريد الماء ليسقي للقوم وهو مالك ابن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فبلغ الجب فادلى
دلوه اي ارسل دلوه في الجب يقال ادليت الدلو في البير اذا ارسلتها فيها ودلوتها اخرجتها منها فتعلق
يوسف بالحبل فلما خرج فاذا هو بغلام احسن ما يكون من الغلمان في صحيح مسلم في حديث الاسرا قال النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا انا بيوسف اذا هو قد اعطي شطر الحسن والنصف الاخر لساير الناس
عن كعب كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين
والعضدين والساقين خميص البطن اي ضامر صغير السرة اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا
تكلم رايت في كلامه شعاع النور يبتهر بين ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان جبينه كضوء النهار
عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله عز وجل وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب
ما اصابه وقيل انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة ام اسحق بن ابرهيم روي ان النبي عليه الصلاة والسلام
قال هبط علي جبريل فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول حبيبي اني كسوت حسن يوسف من نور
الكرسي وحسن وجهك من نور عرشي ما خلقت خلقا احسن منك يا محمد فلما راى واردهم يوسف
نادى البشرى فهذا النداء شبيه لاصحابه المخاطبين لان البشرى لا تجيب ولا تعقل فالمعنى ابشروا
ويا ايتها البشرى تعالي فهذا اوانك وكذلك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت اعجبوا ويا ايها العجب هذا
اوانك قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يا بشراي بفتح الياء واثبات الالف وروى ورش عن نافع بشراي
ومحياي ومثواي بسكون الياء وعاصم وحمزة والكسائي يا بشرا بالف بغير ياء وعاصم بفتح الراء وحمزة
والكسائي يهملانها ومن قرا يا بشرا يجوز ان يكون المعنى يا بشرا هذا اوانك على ما سبق بيانه من تنبيه
المخاطبين وذكر السدي انه نادى بذلك احدهم وكان اسمه بشرى وعن ابن الانباري يجوز فيه هذه
الاقوال ويجوز ان يكون اسم امراة واجاز الكوفيون ان يكون المنادى محذوفا وتقديره يا قوم بشراي
هذا غلام وقد ذهب به فلما دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الاسرار ضد الاعلان
والبضاعة ما بضع اي قطع من المال للتجارة بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة وفي
الضمير المرفوع في اسروه قولان احدهما قاله مجاهد وهو ان الوارد مالك بن ذعر واصحابه اخفوه من
التجار الذين معهم اي اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها
بعض اهل الماء لنبيعه لهم بمصر خفية ان يطلبوا منه فيه الشركة ان عملها بثمنه وثانيهما عن ابن
عباس ان الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا ياتيه بالطعام كل يوم لانه بقي فيها ثلثة ايام فاتاه

يومئذٍ بالطعام فلم يجده في الجب فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بملك بن ذعر واصحابه نزول فاوهم
فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبدنا فكنم يوسف شانه مخافة ان يقتلوا اخوته وقيل قالوا ليوسف
بالعبرانية ان لم تقر بانك عبد انتزعناك من السيارة ثم نقتلك وقال يوسف اني عبد واراد
عبد الله فكتموا حريته فباعوه على انه بضاعة عن قتادة اسروا بيعه عن بن عباس اسر اخوة يوسف
انه اخوهم وجعلوه بضاعة وباعوه ويحتمل ان يكون معنى اسروه بضاعة اظهروه بضاعة سرًا يعود
الضمير الى الوارد واصحابه اوالى الاخوة وهذا كما نقول هذا شيء اظهره اعجوبة وهذا مما اظهرته
بضاعة والمعنى اظهروا حال يوسف على هذا الوجه والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم
من سوء الصنع لم يخف عليه اسرار الوارد واصحابه اواسرار اخوة يوسف وهو وعيد لهم حيث
استبضعوا ما ليس لهم ولا خوة يوسف من سوء الصنيع **قوله تعالى**
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴿ وشروه من الاضداد مفعول
يقول شريت الشيء بمعنى بعته واشتريته فان كان بمعنى باعوه فقيل قولان احدهما ان السيارة
اشتروا يوسف من اخوته بثمن بخس مبخوس اى ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرًا اوزيف ناقص العيار
حرام دراهم لانها ناير معدودة قليلة تعد عدًا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي
الاربعون وتعدون ما دونها وقيل القليل معدود لان الكثير تمنع من عدها الكثرة عن ابن عباس
كانت عشرين درهمًا وعن السدي اسي وعشرين درهما وقيل عشرين درهما وحلة ونعلان وكانوا
اى وكان السيارة في يوسف من الزاهدين ممن يرغب عما في يده سمعه ما ظن من الثمن لانهم اسقطوه
والمبخوس الشيء ما وزنه لا لسانى ما باعه ولانه يخاف ان بعض له مستحق سرعة من يده فسمعه
من اول مساوم ما وكس الثمن وقيل معنى شروه اشتروه اى لزيفه السيارة اشتروا يوسف من اخوته
وكان السيارة في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يحطوا
ما لهم فيه وروى ان اخوته اسوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة
الزاهدين لان الصلة لا تسبق على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في اى شيء وهدوا فيه اى رغبوا
عنه فان الزهد قلة الرغبة **قوله تعالى** وقال الذي اشتراه من مصر لامراته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدًا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل
الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴿ روى ان الذي اشتراه من اخوته
او من السيارة الواردين على الملاء ذهب به الى مصر وباعه والذي اشتراه من مصر هو قطفير
او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن الارض والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة
وقد امن بيوسف ومات في حياة يوسف الى الاسلام فاى واشترى العزيز يوسف وهو ابن سبع

عشرة

عشرة سنة واقام في منزل ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاث
سنة واتاه الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مايه وعشرين سنة
وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمايه سنة تدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وهو فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين
دينارًا وزوجي بغل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوا السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى
بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرًا فانتابعه فطفر بذلك المبلغ وقال لامراته راعيل اكرمي
رعاييل اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كرمًا اى حسنًا مرضيًا بدليل قوله تعالى انه ربي
احسن مثواي والمعنى تعهديه بالاحسان وتفقديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة
في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن نزل به من رجل او امراة يراد هل
تطيب نفسك بثوايك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه
عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نخشى
بسببه فينفعنا فيه بكفايته واما نتخذه ولدًا او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان
تطفير عقيمًا لا يولد له وكانت امراته راعيل حسناء عمة طاعمة في ملك ودنيا قد نفرس فراسة الرشد
فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين نفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك الكاف منصوب بمكنا ودلك اشارة الى ما تقدم من ايجابه وعطف قلب العزيز عليه
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكناله اى كما انجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله
في ارض مصر وجعلنا ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه وقيل وكما انقذنا يوسف من ايدي اخوته
وقد هموا بقتله واخرجناه من الجب بعد ان القي فيه فصيرناه الى الكرامة والمنزلة الرفيعة
عند عزيز مصر كذلك مكنا ليوسف في ارض مصر فجعلناه على خزائنها وتصرف فيها بامره ونهيه
ولنعلمه من تاويل الاحاديث اى تعبير الرويا مكناله في الارض اى كان ذلك الانجاء والتمكين
لما تحمد عاقبته من علم وعمل قوله ولنعلمه انما دخل الواو لفعل مضمر اما قبل قوله لنعلمه وبعد
الواو اى واحتصصنا يوسف بذلك لكي نعلمه واما بعد اى ولنعلمه من تاويل الاحاديث وقد
مكناله في الارض لنوحي اليه ولنعلمه والله غالب على امره اى امر تعالى لا يمنع عما يشاء ولا ينازع
ما يريد ومحكم او على امر يوسف اى والله مستول على امر يوسف فهو يسوسه ويحوطه ويدبر امره
فلا يكله الى غيره قال اهل العلم والله غالب على امر حيث امر يعقوب يوسف فغلب امر الله حتى
لم يعد ما امر واراد والتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب امره حتى لم يندرس اسمه

وصار مذكورًا مشهورًا ثم باعوه ليكون مملوكًا فغلب امره حتى صار مالكا وسجدوا بين يديه
ثم ارادوا ان يخلوا لهم وجه ابيهم فغلب امره حتى ضاق عليهم قلب ابيهم ثم ارادوا ان يغروا
اباهم بالقميص والدم والبكا فغلب امره حتى لم ينخدع وقال بل سولت لكم انفسكم امرًا ثم تدبروا
ان يكونوا من بعده قومًا صالحين تائبين فغلب امره حتى نسوا الذنب واصروا حتى اقروا به بين
يدي يوسف في اخر الامر بعد اربعين وقالوا وان كنا لخاطئين ثم احتالوا ان يمحوا محبته من قلب
ابيه فغلب امره حتى ازدادت المحبة والشوق في قلبه ثم راودت امراة العزيز زليخا اوراعيل
عن نفسه فغلب امره حتى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ثم احتالت
امراة العزيز ان تلقي التهمة على يوسف حين قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءًا فغلب امره حتى
شهد شاهد من اهلها ثم تدبر يوسف ان يتخلص من السجن بذكر الساقي حين قال اذكرني عند ربك
فغلب امره حتى نسي الساقي ذكر يوسف ولبث في السجن بضع سنين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله وان الله غالب على امره وقيل ولكن اهل مكة واهل مصر لا يعلمون لطائف
صنع الله **قوله تعالى** ولما بلغ اشده اتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين
ه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وشانه عن بن عباس ما بين ثماني عشرة سنة
الى ثلثين سنة وقيل ثماني عشرة وقيل ثلاثون وثلث وقيل اربعون وقيل ستون سنة وقيل
ثمان وستون اتيناه حكمًا حكمة وعقلًا وقيل حكمًا على الناس وقيل نبوة وقيل فقها وقيل اصابة
القول والعمل وعلما بتاويل الاحاديث وكذلك اي ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته نجزي
المحسنين الذين يعبدون الله ويعلمون الصالحات ويجتنبون الفواحش كانهم يرون الله وان
لم يكونوا يروه فانه تعالى يراهم وقيل المحسنين المومنين وقيل المهتدون وقيل الصابرون على النوايب
وعن محمد بن كعب هذا وان كان مخرج ظاهره على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم يقول
كما فعلت هذا بيوسف بعدما لقي من اخوته وقاسا من البلاء ما قاسى فمكنته في الارض ووطات له البلاد
واتيته الحلم والعلم كذلك افعل بك وانجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وامكن لك في
الارض واريدك الحكم والعلم وهذا تنبيه على ان يوسف كان محسنًا في علمه متقيًا في عنفوان امره
وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسن انه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله
الحكمة في اكتهاله **قوله تعالى** وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ه
المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل

المخادع

المخادع لصاحبه عن الشي الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذ منه وهي
عبارة عن التمحل لمواقعته اياها يعني زليخا طلبت من يوسف ان يواقعها وغلقت الابواب وكانت
سبعة وقالت هيت لك قرا ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء ونافع وبن عامر
بكسر الهاء وسكون الياء وفتح التاء وعن بن عامر بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء والباقون
بفتح التاء والهاء وسكون الياء قال الزجاج هو اجود اللغات واكثرها في كلام العرب ومعناها
اقبل وتقدم لنفسك اي لك في التقدم حظ قال يوسف معاذ الله اعوذ بالله معاذًا من هذا الامر
اي اعتصم واستجير بالله مما تدعونني اليه انه ربي ان الشان والحديث ربي وسيدي ومالكي احسن
مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاوه ان اخلفه في اهله سواء بخلافه واخونه فيهم ومنهم
من جعل الضمير المنصوب الذي هو اسم ان للعزيز اي ان زوجك قطفير سيدي احسن مثواي
وقيل ان الضمير لله اي ان الله خالقي احسن مثواي اي اواني ومن بلاء الجب عافاني انه لا يفلح
الظالمون الواضعون الشي في غير موضعه الذين يجازون السيء بالحسن وقيل اراد الزنا لانهم
ظالمون انفسهم وقيل معناه ان الله تعالى احسن مثواي وجعل القطفير واسطة بان قال لك
احسني مثواي لانه مسبب الاسباب فلا اكفر نعمة ربي ولقد همت هم بالامر اذا قصده وعزم
عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلايله ومنه قولك لا افعل ذلك
لا كيدًا ولا همًا اي ولا اكاد ان افعله كيدًا ولا اهم بفعله همًا حكاه سيبويه ومنه الهمام
وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه قيل الهم بالشي في كلام العرب حديث المرء نفسه بمواقعه
ما لم يواقع فاما هم زليخا فقال المفسرون دعته الى نفسها واستلقت واختلفوا في هم يوسف قيل
انه كان من جنس همها فلولا ان الله تعالى عصمه لفعل ذلك والى هذا المعنى ذهب الحسن وسعيد
بن جبير والضحاك والسدي وهو قول عامة المفسرين المتقدمين واختاره من المتاخرين
جماعة منهم بن الانباري عن بن قتيبة لا يجوز في اللغة هممت بفلان وهم بي وانت تريد
اختلاف الهمين واحتج من نصر هذا القول بانه مذهب الاكثرين من السلف والعلما والاكابر
الذين يوخذ عنهم التاويل وهم قد اخذوا عن الذين شهدوا التنزيل ولما روي في الخبر الصحيح ان يوسف
لما دخل على الملك واقرت المراة وقال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي الاية عن بن عباس قال حل الهميان
وجلس منها مجلس المجامع وعنه استلقت له على قفاها وقعد بين رجليها لينزع ثيابه عن سعيد
بن جبير اطلق تكة سراويله عن مجاهد حل السراويل وجلس منها مجلس الرجل من امراته وعن الضحاك
جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وباليد الاخرى الى جيد المراة حتى جمع بينهما

وعن السدي وبن اسحق لما اراد امراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن
نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر عن جسدي
قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال هي اول ما تسيل الى الارض من جسدي قالت ما احسن
وجهك قال هو للتراب ياكله فلم تزل تطمعه مرة وتخيفه اخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب
يجد من شبق الشباب ما يجد الرجل وهي حسنا جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به ولما
يخوف منها حتى خلا في بعض البيوت وهم بها فهذه اقاويل المفسرين من السلف الصالح وقال طايفة
ان الهم همان هم مقيم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ونية ورضى مثل هم امراة العزيز والعبد
ماخوذ به وهم عارض واراد وهو النظر والفكر وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل
هم يوسف والعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم به او يفعله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يقول الله
عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبع
مائة ضعف واذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها عليه سيئة واحدة فان
تركها من اجلي كتبتها له حسنة والقول باثبات مثل هذه الزلات والصغاير على الانبيا صلوات
الله عليهم غير محظور لضروب من الحكمة منها ليكونوا منها على وجل اذا ذكرها فيجدون في طاعته اشفاقا
منها ولا يتكلون على سعة رحمة الله ومنها ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم ومنها ليجعلهم ائمة
لاهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الاياس من فضله وعفوه عن ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من احد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة وعملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها
ولم يعملها واما البرهان الذي راى يوسف عليه السلام فان العلما اختلفوا فيه فعن بن عباس قال
مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وعن الحسن
وسعيد بن جبير وحميد بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وابن سيرين راى صالح وبن عطية والضحاك
انفرج له سقف البيت فراى يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه وعن بن جبير وكل ولد يعقوب
ولد له اثنى عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين راى
صورة ابيه فاستحيا منه عن قتادة راى صورة يعقوب فقال له يا يوسف تعمل عمل السفها وانت
مكتوب في الانبيا عن بن ابي مليكة عن بن عباس قال نودي يا يوسف تزني فتكون كالطير وقع ريشه
فذهب يطير بلا ريش عن السدي نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء
لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات وقع في الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ومثلك
ما لم تواقعها كمثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور حين يموت تدخل
النمل في اصول قرونه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل ان جبريل عليه السلام مثل له يعقوب

فلم يزدجر

فلم يزدجر فنودي اتزني فيكون مثل الطاير نتف ريشه فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره فوثب
وقيل انها قامت الى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب فقال لها يوسف اي شي تصنعين قالت استحيي
من الهي ان يراني على هذه الصورة فقال اتستحيين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحيي من الهي القايم
على كل نفس بما كسبت وقيل ان الله بعث اليه ملكا فكتب في وجه المراة بالدم ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا روي انه راى هذه الاية مكتوبة بين عينيها وفي رواية اخرى انه راها
مكتوبة في الحايط وروى مجاهد عن بن عباس قال بدت فيما بينهما كف ليس لها عضد ولا معصم وفيها
مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب
عادت وعاد فلما قعد اذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فقام
هاربا فلما عادا قال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطية فانحط جبريل عاضا على كفه
او اصبعه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وعن وهب
ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت فانصرفا فلما عادا رجعت
واذا فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فانصرفا فلما عادا عادت وعليها مكتوب ولا تقربوا الزنا
فعادا فعادت الرابعة وعليها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فولى يوسف هاربا وقيل
ان سيده العزيز دنا من الباب وعن ابي اسحق ان البرهان خيال سيده راه عند الباب فهرب
وقيل ان البرهان انه علم ما احل الله مما حرم الله فراى تحريم الزنا عن بن الجوزي ان هذه ليست بشي
وانما هي احاديث من اعمال القصاص قد اشرت الى فسادها في كتاب المغني في التفسير وكيف يظن
نبي انه يخوف ويرغب ويضطر الى ترك هذه المعصية وهو مصر هذا غاية القبيح قال الامام اعلم ان
هذه الاية مما يجب الاعتنا بالبحث عنها وفي هذه الاية مسايل الاولى في انه عليه السلام هل صدر
منه الذنب ام لا وفي هذه المسالة قولان الاول ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشة قال
الواحدي في البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم هم يوسف ايضا بهذه المراة
هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من امراته فلما راى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه قال ابو جعفر
الباقر باسناده عن علي كرم الله وجهه انه قال طمعت فيه وطمع فيها وكان طمعه فيها انه هم ان يحل التكة و
عن ابن عباس حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وعنه ايضا انها استلقت له وقعد بين رجليها ينزع
ثيابه ثم ان الواحدي طول في كلمات عديمة الفايدة في هذا الباب وما ذكر اية يحتج بها او حديثا صحيحا يعول
عليه في تصحيح هذه المقالة ولما امعن عن الكلمات العارية عن الفايدة روى ان يوسف عليه السلام
لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك
وما ابرئ نفسي ثم قال والذين اثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا اعرف بحقوق الانبيا وارتفاع منازلهم

عند الله من الذين نفوا الهم عنه فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب والقول الثاني ان يوسف
كان بريا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين والمفسرين من المتكلمين ونه نقول
وعنه نذب ثم قال الامام واعلم ان الدلايل الدالة على عصمة الانبيا عليهم السلام قد مرت
فلا نعيدها الا نريد هاهنا وجوها فالوجه الاول ان الزنا من منكرات الكباير والخيانة في معرض
الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم الدايم بالاساة الموجبة للفضيحة
والعار الشديد من منكرات الذنوب وايضا الصبي اذا تربى في حجر الانسان وبقي مكفي المونة مصون
العرض من اول صباه الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع الاساة
الى ذلك المنعم المعظم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية التي نسبوها الى
يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع ومثل هذه المعصية التي نسبوها
الى يوسف لو نسبت الى افسق خلق الله وابعدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز اسناده
الى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة الثاني انه تعالى قال في غير هذه الواقعة كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وذلك ليدل على ان ماهية السوء وماهية الفحشا مصروفة عنه ولا شك
ان المعصية التي نسبوها اليه اعظم انواع السوء والفحشا وايضا يدل على قولنا من وجه اخر
وذلك لانا نقول هب ان هذه الاية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تفيد
المدح العظيم والثنا البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكي عن انسان اقدامه على معصية
عظيمة ثم يمدحه ويثني عليه باعظم المدايح والاثنية عقيب ان حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان
مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب وافحش الاعمال ثم يذكره بالمدح العظيم
والثنا البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا هاهنا الثالث ان الانبيا عليهم السلام متى
صدرت عنهم زلة او هفوة فاستعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة الكثيرة فكان من المحال
ان لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى الله بالتوبة لحكى عنه اتيانه كما في ساير المواضع وحيث
لم يوجد شي من ذلك علمنا انه ما صدر عنه في هذه المواضع ذنب ولا معصية الرابع ان كل من كان
له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراة يوسف من المعصية واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه
الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراته من الذنب
وابليس اقر ايضا ببراته من المعصية واذا كان كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا
الباب اما بيان ان يوسف عليه السلام ادعى البراة عن الذنب وهي قوله عليه السلام
هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما
بيان ان المراة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم

وايضا

وايضا قالت الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة
اقر بذلك انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك واما الشهود
فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله بذلك فقوله لنصرف عنه السوء
والفحشاء اي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله في
هذه الاية على طهارته اربع مرات اولها قوله لنصرف عنه السوء واللام للتاكيد والمبالغة والثاني
قوله والفحشا والثالث قوله انه من عبادنا مع انه قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والرابع قوله مخلصين يدل على انه استخلصه لنفسه
واصطفاه بحضرته وعلى كل الوجهين فانه من ادل الالفاظ على كونه منزها مما اضافوه اليه واما
بيان ان ابليس اقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
فاقر بانه لا يمكنه اغوا المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين وكان
هذا اقرارا من ابليس بانه ما اغواه ولا اضله عن طريق الهدى وعند هذا يقول هاولا الجهال الذين
نسبوا الى يوسف هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته
ولعلهم يقولون كنا في اول الامر بلا مدة ابليس الا انا تحرجنا وزدنا عليه في السفاهة وكنت فتى
من جند ابليس فارتقى بي الحال الامر حتى صار ابليس من جندي فلو مات قبلي كنت احسن
بعده طرايق فسق ليس يحسنها بعدي فثبت بهذه الدلايل ان يوسف عليه السلام بري
عما يقول هاولا الجهال اذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر هذه الاية يقع في مقامين الاول ان نقول
لا نسلم ان يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وجواب لولا هاهنا مقدم وهو كما يقال قد كنت من الهاكين لولا ان فلانا خلصك وطعن الزجاج
في هذا الجواب من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح والثاني
ان لولا تجاب باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال ولهم بها وذكر عن الزجاج سوالا ثالثا وهو انه
لو لم يوجد الهم لم يكن لقوله لولا ان راى برهان ربه فايدة ثم قال الامام ما ذكره الزجاج بعيد لانا
نسلم ان تاخير جواب لولا جايز حسن الا ان جوازه وحسنه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب
وكيف وقد نقل عن سيبويه انه قال انهم يقدمون الاهم فكان الامر في جواز التقديم والتاخير
مربوطا بشدة الاهتمام فاما تعيين بعض الالفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة وايضا ذكر جواب
لولا باللام جايز وهذا لا يدل على ان ذكره بغير اللام لا يجوز ثم انا نذكر اية اخرى تدل على فساد قول
الزجاج في هذين السوالين وهو قوله نفي لنبدي به لولا ان راى ربطنا على قلبه واما السوال الثالث
وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا ان راى برهان ربه فايدة فنقول بل فيه اعظم الفوايد وهو

بيان ان ترك الهم بها ما كان بعزم رغبته في الدنيا وعدم قدرته عليها بل لاجل ان دلايل دين
الله يعمه عن ذلك العمل ثم نقول الذي يدل على ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا يستدعي جوابا وهذا
المذكور يصلح جوابا له فوجب الحكم بكونه جوابا لا يقال انا نضمر له جوابا وترك الجواب كثير في القران فنقول
لا نزاع انه كثير في القران الا ان الاصل ان يكون محذوفا فليس في اللفظ ما يدل على تعيين ذلك
الجواب فان ههنا انواعا من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها بتقدير ان يكون الجواب محذوفا
فليس في اللفظ ما يدل على تعيين ذلك فان هاهنا وليس اضمار بعضها اولى من اضمار الثاني بظهير
الفرق المقام الثاني في الكلام على هذه الاية ان نقول سلمنا ان الهم قد حصل الا انا نقول ان قوله
وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لان تعلق الهم بذات المراة محال لان الهم من جنس القصد والقصد
لا يتعلق بالذات الثانية فثبت انه لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وقيل الفعل
غير مذكور فزعموا ان ذلك المضمر هو ايقاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيئا اخر يغاير ما ذكروه من ذلك
النسخ لان الهم هو القصد فوجب ان يحمل في حق كل احد على الفعل الذي يليق به واللايق بالمراة القصد
الى تحصيل اللذة والتمتع والتنعم واللايق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى زجر المعاصي عن معصيته
والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقال هممت بفلان الى نصرته ودفعه فان قيل فعلى هذا التقدير
لم يبق لقوله لولا ان راى برهان ربه فايدة قلنا بل فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين الاول انه
تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم بفعلها لقتلته او لكانت تامر الحاضرين بقتله فاعلمه ان الامتناع
من ضربها او الى ضربها للنفس عن الهلاك والثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه وبما تعلقت
به فكان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف
هو الخاين ولو كان ثوبه متمزقا من خلف لكانت المراة هي الخاينة فالله تعالى اعلمه هذا المعنى لا جرم
لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براته عن
المعصية الوجه الثاني في الجواب ان تفسير الهم بالشهوة وهذا مستعمل في اللغة الشايعة يقول
القايل فيما لا يشتهيه ما يهمني هذا وفيما يشتهيه هذا اهم الاشياء اي سمى الله تعالى شهوة يوسف
هما فمعنى الاية ولقد اشتهاه واشتهاها ولولا ان راى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود الثالث
ان تفسير الهم بحديث النفس وذلك لان المراة الفايقة في الحسن والجمال اذا تزينت وتهيات للرجل الشاب
القوي فلا بد ان يقع هناك من الشهوة والحكمة والنفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى
داعية الطبيعة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة وروية
البرهان عبارة عن جواذب العبودية ومثاله ان الرجل الصالح الصايم الضعيف اذا راى الجلاب
المبرد بالثلج فان طبيعته تحمله على شربه الا ان دينه يمنعه منه فهذا لا يدل على حصول الذنب بل كلما كانت

هذه

هذه الحالة اشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية اكمل فقد ظهر بحمد الله صحة القول
الذي ذهبنا اليه ولم يبق في مجرد يد الواحدي الا مجرد التصلف وتعديد اسما المفسرين ولو كان
قد ذكر في تكرير ذلك القول شبهة لاحتياجها الا انه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين
ثم قال الامام واما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقد ذكر في تفسير ذلك البرهان امور الاول
ان المراة قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بالثوب فقال يوسف
ولم قالت استحي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحيين من صنم لا يعقل
ولا يسمع ولا استحيي من الحي القايم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا فهذا هو البرهان
الثاني نقلوا عن ابن عباس انه مثل له يعقوب فراه عاضا على اصابعه اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب
في زمرة الانبيا واستحيا منه قالوا وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة
والضحاك ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته
من انامله الثالث انه سمع في الهوا قايلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير له ريش فاذا زنى
ذهب ريشه والرابع نقلوا عن ابن عباس ان يوسف لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه
جبريل فلم يبق فيه شي من الشهوة الا خرج ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال هذا الذي
ذكرناه قول ايمة التفسير الذين اخذوا التاويل عمن شاهد التنزيل فقال انك لا تاتينا البتة الا
بهذه التصلفات التي لا فايدة فيها فاين الحجة والدليل والعجب ايضا انهم زعموا ان يوسف لم يمتنع
عن ذلك العمل بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام الى ان ركضه على ظهره ولو ان افسق
الخلق واكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فاذا دخل عليه رجل من زي الصالحين استحيا منه وفر
وترك ذلك العمل وههنا ذكروا ان يعقوب عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت ثم ان جبريل
على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل الى ان
ركضه على ظهره نسال الله ان يصوننا عن الضلالة والخذلان قال صاحب الكشاف ولقد همت
به بمخالطته وهم بها بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جواب محذوف تقديره لولا ان راى برهان
ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا
اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون له هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب مقرمة ميلا يشبه الهم به
والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزايم وهو يكسر ما به
ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله سبحانه بالامتناع لان الاستعظام

الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من
عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله
يريد مشافهة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله
ولقد همت به اي هو خارج منه قلت الامران جايزان وهو من حق القارى اذا قدر خروجه من حكم
القسم وجعله كلاما براسه ان تقف على قوله ولقد همت به وتبتدى وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وفيه ايضا اشعار بان الفرق بين الهمين فان قلت لم جعل جواب لولا محذوفا بدل وهم بها وهلا
جعلته هو الجواب مقدما قلت لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط والشرط صدر
الكلام وهو ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف
بعضها اذا دل الدليل عليه فجايز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة
بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقرير المخالطة والمخالطة
لا تكون الا من اثنين معا وكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت
ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وما كان
اغفاله الغاله فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخاطبين
توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان
راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لو حقيقة بان تعلق بهم بها
وقد فسرهم يوسف بما ذكره المفسرون بما تقدم ذكره وفسر البرهان بما ذكر ايضا ونحوه بما يورده اهل
الحشو الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله من سبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لبعثت على ادم صلوات الله
عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ايوب وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى
عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة
والعزم ناظرا في ذلك التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثنا فيما انزل من كتب الاولين ثم في القران
الذي هو حجة على ساير كتبه ومصداق له ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة
عليها ليجعل له لسان صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم صلوات الله وليقتدي به الصالحون
الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اوليك في ايرادهم ما يودي
الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القران العربي المبين ليقتدي بنبي من انبيا
الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل نكثه للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به
من عنده ثلث صيحات بقوارع القران وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبه بالطاير الذي سقط

ريشه

ريشه حين سفد غير اثنا وهو خاتم في مربضة لا يتحلحل ولا يتهيى ولا ينتبه حتى تداركه الله
بجبريل واخباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي نبي الله
بما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فما له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه اعلم
ان الحق ان يوسف عليه السلام ما وقع منه الهم الذي هو القصد يدل على ذلك قوله معاذ الله انه
ربي احسن مثواي وقوله هي راودتني عن نفسي وكيف يجوز ان يقع الكذب منه وهو يكذب زليخا
في قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فان زليخا ما نسبت الى يوسف الا ارادة السوء والقصد
اقوى من الارادة وقول الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان
كيدكن عظيم فان زليخا نسبت الى يوسف ارادة السوء ويوسف نفاها والشاهد كذب زليخا
وصدق يوسف فانتفى عن يوسف ارادة السوء فبالاحرى ان ينتفي عنه قصد السوء قول
سيدها ان كيدكن عظيم فانه يفيد تصديق يوسف في نفي الارادة وتكذيب زليخا في اثباتها وكذا
قوله يوسف اعرض عن هذا وقوله لامراته واستغفري لذنبك وقوله انك كنت من الخاطئين
وقوله تعالى ذلك لنصرف عنه السوء وقوله انه من عبادنا المخلصين كل هذا يفيد نفي السوء اعم
من ان يكون سوء الفعل او سوء القصد اذا عرفت هذا فنقول ينبغي ان يفسر قوله تعالى وهم بها
لولا ان راى برهان ربه على وجه يطابق ما يدل على عدم قصد السوء من يوسف من غير اخلال
بالبلاغة والفصاحة ومن غير ارتكاب تعسف واعلم ان كل حادث سواء كان ذاتا او وصفا عينا
او معنى قولا او فعلا او اعتقادا وقوعه متعلق باسباب وشرايط وارتفاع موانع بتقدير الله
تعالى ومشيته وارادته قال الله تعالى وان من شيء الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر
معلوم فما لم يتحقق اسبابه وشرايطه ولم ينتف موانعه لم يقع ولا شك ان قصد السوء حادث
من الحوادث كما ان فعل السوء حادث من الحوادث فلما لم يتحقق اسبابه وشرايطه ولم يرتفع
موانعه لم يتحقق وقصد فعل المواقعة من يوسف بالنسبة الى زليخا حادث لانه لم يكن موجودا
فوقوعه موقوفا على توافي اسبابه وشرايطه ما يمنعه من الوقوع ولا شك ان ما يعد من اسبابه
القوة الشهوانية التي يكون كمالها بحسب كمال القوى البدنية والمحل القابل المتهيا للفعل وغير
ذلك مما يتوقف عليه الفعل ويوسف عليه السلام في كمال الشباب وكمال القوة البدنية فقوة
شهوته في غاية الكمال وزليخا وهي حسنة وهي جميلة وللابواب مغلقة والدار خالية والموانع
مرتفعة الا البرهان فشارف ان يهم بها فاطلق الهم على تلك الهيئة الجامعة لاسباب الهم
ولشرايطه ولارتفاع الموانع الا البرهان اطلاقا لاسم الشيء على ما يقاربه وليس بينه وبين الشيء

الهلاك م

الا مانع واحد كما يطلق على المرض القريب من الموت وعلى اجتماع الاسباب المفضية الى الهلاك فقوله
وهم بها اراد به قرب ان يهم بها لتوافي اسبابه لكن لما راى برهان ربه ما تم لان روية البرهان مانعة
من وقوع الهم والمراد بالبرهان النبوة التي اودع الله في صدره وحجة الله عليه في تحريم الزنا والعلم
بما على الزاني من العقاب وان الله طهر نفوس الانبياء عن الهيات الردية والاخلاق الذميمة بل طهر
نفوس المتصلين بهم عنها كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والحق
ان البرهان هو حجة الله القاطعة على وجوب اجتناب المحارم فعلا وقولا ونية وعزما ورويه
البرهان ملاحظة تلك الحجة وتذكرها فقوله وهم بها شارف ان يهم بها لولا ان راى برهان ربه لهم
بها لكن راى برهان ربه فلم يهم بها فعلى هذا لم يقع هم يوسف اصلا فان قيل لا نسلم ان جواب لولا لهم بها
اجيب بان لولا لا بد لها من جواب وجوابها غير مذكور لفظا فلا بد من مقدر يدل عليه قرينة
سابقة او لاحقة او غيرهما وللاخيرين منتفيان فتعين الاولى والقرينة السابقة ليست الا قوله
وهم بها بالمعنى الذي ذكر فيكون قوله لهم بها من حيث الحقيقة جوابا للولا وقوله وهم بها بالمعنى المذكور
قرينة لها ولا محذور فيه والتفسير مطابقا للحق للصريح موافق للبلاغة العبرانية جار على سنن تراكيب
البلغا من العرب فان تفسير قوله وهم بها لقولنا وشارف ان يهم بها في غاية البلاغة وجعل لهم
بها جوابا للولا وقوله وهم بها قرينة صالحة للجواب المحذوف على سنن تراكيب البلغا كذلك اي كذلك
اريناه البرهان لنصرف عنه السوء اي قصد الخيانة والفحشا اي فعل الزنا انه من عبادنا المخلصين
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام انه من عبادنا الذين اخلصوا دينهم لله والباقون بفتح اللام
اي الذين اخلصهم الله من السوء والفحشا لطاعته قوله من عبادنا اي بعض عبادنا المخلصين اي
هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم اي من ذرية ابرهيم الذين قال تعالى فيهم انا اخلصناهم

قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي
وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين استبقا
الباب اي وتسابقا الى الباب على حذف الجار واتصال الفعل كقوله واختار موسى قومه اي سابق
كل واحد منهما صاحبه الى الباب وقيل على تضمين استبقا معنى ابتدرا اسرع يوسف يهرب عنها
واسرعت هي لترده الى نفسها وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب
البراي الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل

سار

سار ويخرج حتى خرج من الابواب فادركت زليخا يوسف في الاستباق فتعلقت بقميصه من خلفه
فجذبته اليها مانعة من الخروج فقدت قميصه من دبر اي شقت قميصه من خلف لا من قدام والفيا
اي صادف يوسف والمراة سيدها اي بعلها قطفير لدى الباب قيل تقول المراة لبعلها سيدي
وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا لهما على الحقيقة قيل الفياه مقبلا
يريد ان يدخل وقيل الفياه جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها سيدها على تلك الهيئة المريبة وهي
مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها عرضها وهما تبرية ساحتها عند سيدها من الريبة
والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته
طوعا قيل قالت لسيدها ادخلت خائنا وامنته على نفسك واهلك وانا نائمة فلم اشعر الا وهو اراد
ان يدخل معي في فراشي فوثبت اليه من نومي فبادرني الى الباب واراد ان يابق منا من خوف ما فعل
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ما نافية اي ليس جزاء من اراد باهلك سوءا اي الزنا الا السجن
قيل ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن او عذاب اليم اي الضرب بالسياط
كما تقول من في الدار الا زيدا وانما لم يذكر يوسف وانه اراد بها سوءا وقصدت العموم وان كل من اراد
باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف قال سيدها
يا يوسف خنتني في اهلي مع اني كنت ارى من صلاحك ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب غضب
يوسف هي راودتني عن نفسي اي طلبتني ودعتني الى السوء فابيت وفررت منها فادركتني وشقت
قميصي ولو لم يقل زليخا لسيدها ذلك لكتم يوسف عليها فانه لم يرد ان يذكر وشهد شاهد من اهلها
قيل الشاهد كان صبيا في المهد من خال لها انطقه الله يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن
مريم وقيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها
واوثق لبراءة يوسف عليه السلام وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب
وقيل كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون
بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام
بالحق وانما سمي شهادة وما هو بلفظ الشهادة لما ادى مودى الشهادة في ان ثبت به يوسف وبطل
قولها سمي شهادة وانما جازت الجملة الشرطية حكايتها بعد فعل الشهادة لانها قول من القول او على
ارادة القول كان قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه قد من قبل قال صاحب الكشاف فان قلت
ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين
دل قده من دبر على انها صادقة وانه كان تابعا قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها

وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني انه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر
في مقام قميصه فلشقه وانما جاز الجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان تعلم
انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن تمن عليك باحسانه
تريد ان تمن علي فجي بالقميص فاذا هو قد من دبر فلما راى قطفير قميصه قد من دبر علم خيانة امراته
وبراة يوسف وصدقه وكذبها قال لامراته ان هذا الصنع من كيدكن وقيل ان هذا الامر وهو طمعك
وقيل ان قد القميص وقيل اي السوء الذي دعته اليه وقيل ان كيدكن من قول الشاهد كن الخطاب
لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النسا الطف كيدا وانفذ
حيلة ولهن في ذلك نيقة ورنق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد
والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من النوايق وعن بعض العلما انا اخاف من النساء
اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم
ثم قال قطفير يوسف يريد يا يوسف حذف منه حرف الندا لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه
تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر او الحديث واكتمه ولا تذكره وقيل لا تكترث له فقد
بان امرك وعذرك وبراتك وكما امر يوسف بالاعراض عن هذا الامر امر امراته بالاستغفار فقال لها
واستغفري لذنبك وقيل هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل واراد بقوله واستغفري لذنبك
يقول سل لزوجك لا يعاقبك على ذنبك ويصفح عنك وهذا معنى قول بن عباس انك كنت من الخاطئين
من القوم المتعمدين للذنب حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعظم الذنب
عليه يقال خطي يخطا خطاء وخطا اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطيات
لانه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء وانما قصد بذلك الخبر عمن يفعل ذلك فغلب الذكور على
الاناث وما كان قطفير الا رجلا حليما روي انه كان قليل الغيرة

قوله تعالى

وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال
مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكاء واتت كل واحدة منهن سكينا
وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم قيل ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء وقال نسوة جماعة من النساء
في المدينة اي في مصر وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدوات وامراة
صاحب السجن وامراة الحاجب العزيز دون قطفير وهو الملك بلسان العرب تراود فتاها عبدها
يقال فتاها وفتاي وفتاتي اي عبدي وجاريتي وانما تكلم النسوة في حقها طعنا فيها وتحقيقا لبراة
يوسف قد شغفها اي احبه حتى دخل حبه شغاف قلبها وهي حجابه وغلافه وقيل جلدة رقيقة

على القلب

على القلب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب قال النابغة الذبياني
وقد حاك هم دون ذلك وابح مكان الشغاف تبتغيه الاصابع حبا نصب على التمييز انا
لنراها في ضلال مبين في خطا بعد عن طريق الرشد بسبب حبها اياه فلما سمعت زليخا بمكرهن
باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتتها وسمي الاغتياب
مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل بقولهن وعيبهن لها سمي مكرا لانها كانت
اطلعتهن على امرها واستكتمتهن فمكرن وافشين سرها وقيل انه مكر حقيقة وانما قلن ذلك لتريهن
يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله ارسلت دعتهن الى مائدة اتخذتها قيل دعت اربعين
امراة منهن الخمس الذكورات اللاتي اطلعتهن على سرها واستكتمتهن فافشين سرها واعتدت
واعدت من العتيد وهو المعد لهن متكيا ما يتكين عليه من نمارق ووسايد قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن متكات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رويته ويشغلن
عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المثلي اذا بهت لشي وقعت يده على يده ولا يبعد
ان يقصد الجمع بين المكر بيوسف وبالنسوة فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن
بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن توهمه انهن يثبن
عليه وقيل متكا مجلس الطعام لانهم كانوا يتكون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين
ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا وانتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك
اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوه ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكي عليها قال
جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى
يعتمد بالسكين لان القاطع يتكي على المقطوع بالسكين وانت كل واحدة منهن قيل كانوا في ذلك
الزمان لا ياكلون الا بالملاعق والسكاكين كفعل الاعاجم والعرب تنهش نهشا لا تسعى سكينا
وقالت راعيل ليوسف اخرج عليهن وذلك انها قد اجلست يوسف في مجلس غير المجلس الذي كن فيه
جلوسا فخرج يوسف عليهن قال عكرمة وكان فضل يوسف عليهن في الحسن والجمال كفضل القمر ليلة
البدر على نجوم السما وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر تلالا وجهه على الجدار كما يرى نور الشمس
في الماء على الجدران فلما راينه اكبرنه اي اعظمنه واجللنه وهبن ذلك الحسن الرايع والجمال
الفايق قيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت
المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وقطعن ايديهن
كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها قيل حززن ايديهن بالسكاكين وخلن فقطعن
الاترج عن قتادة ابن ايديهن حتى القينها فلما احسسن بالدم وهن لم يجدن من حز الايدي الا لم

وعن وهب بلغني ان سبعًا من الاربعين مُتْنَ في ذلك المجلس وجدًا بيوسف وقلن حاش لله تنزيه
الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله قرا ابو بكر حاشا باثبات الالف على الوصل
والباقون حاش لله بغير الف حذفوها لكثرة دورها على الالسن وهي كلمة تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثنا تقول اساء القوم حاش زيد قال الشاعر حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم
وهي حروف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا لله براه الله وتنزيه الله ما
هذا بشرًا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية
وبين بها الحكم وذلك لان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من
الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما قال صاحب الكشاف وما ذكر ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع ان لا يدخل في الشرين الشياطين ولا اجمع للخير من الملايكة الا ما عليه الفية
الحاسية المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم العلوم
الضرورية ومكابرتهم في كل باب قيل اكثر صاحب الكشاف السفاهة وحسب ان هذه المسئلة
من الضروريات وقنع في ذلك بانه ركز في الطباع والمراد هاهنا طباع النسا وميلها الى الشهوات
وايثار العاجلة والاية دلت ان صح كلام النسوة على ان الملك اجمل واحسن من البشر وليس الخلاف
الا في انهما افضل ولا يلزم من كونه اجمل ان يكون افضل واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها
ورد القران ومنها قوله تعالى ما هن امهاتهم ان هذا الا ملك كريم وقيل ما قلن ما هذا بشرًا لاعراضه
عن طبع البشرية في الشهوة وجواذب الغضب ودخل في زمرة الملايكة **قوله تعالى**
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن
وليكونن من الصاغرين قالت امراة العزيز فذلكن ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعة لمنزلته في
الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادًا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى
المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن
ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه نحو صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
ولقد راودته عن نفسه اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها فاستعصم امتنع واستعصى والاستعصام
بنا مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها
وهذا بيان لما كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الظاهر
مما فسروا به الهم والبرهان عن السدي فاستعصم بعد حل السراويل قال الامام ولا ادري ما الذي يحمله
على الحاق هذه الزيادة الباطلة ببعض الكتاب فقلن ليوسف اطع مولاتك راعيل ثم قالت امراة العزيز
ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن ليحبسن والسجن مصدر سجنه اي منعه من التصرف بالحبس

والضمير

والضمير في امره راجع الى الموصول والمعنى ما امره به بحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان يجعل
ما مصدرية فيرجع الى يوسف والمعنى ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه او ليكونن
من الصاغرين الاذلا ونون التاكيد تخفف وتثقل والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة
على قوله وليكونا بالالف لانها مخففة وهي شبيهة بنون الاعراب في الاسما كقولك رايت رجلا فاذا
وقفت قلت رجلا ومثله قوله تعالى لنسفعا بالناصية ٥ **قوله تعالى**
قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من
الجاهلين لما قالت امراة العزيز ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغرين
والنسوة سمعن هذا التهديد والظاهر انهن اجتمعن على يوسف وقلن له مصلحة لك في مخالفة
امرها والا وقعت في السجن فعند ذلك اجتمع في حق يوسف عليه السلام انواع الوسوسة منها
ان امراة العزيز كانت في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات مال وثروة وكانت على عزم ان تبذل
الكل ليوسف بتقدير ان يفعل ما امرته ومنها ان النسوة اجتمعن عليه وكل واحدة منهن كانت
ترغب وتخوف بطريق اخر ومكر النساء شديد ومنها انه عليه السلام كان خايفا من شرها ومن
اقدامها على قتله واهلاكه فاجتمع في حقه جميع جهات الرغب على موافقتها وجميع جهات التخويف
على مخالفتها فخاف عليه السلام ان يوثر هذه الاسباب الكثيرة فيه وعلم ان القوة البشرية والطاقة
الانسانية لا تفي بحصول هذه العصمة القوية فعندها التجى الى الله وقال رب السجن احب الي
مما يدعونني اليه اسند الدعوة اليهن جميعا لانهن نصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك
والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال نزول السجن احب الي من المعصية
وكانت المشقة التي هي نزول السجن احب الي مما يدعونه اليه مما هو لذة عظيمة فاثر عنده نظرًا
في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرًا في مشتهى
النفس ومكروهها والا تصرف اي وان لم تصرف عني كيدهن اصب اليهن فاتابعهن يقال صبا فلان
الى كذا مال واشتاق اليه واقبل بطبعي وغلب شهوتي الى احابتهن وذكر بلفظ الجمع لانهن قلن له اطع
مولاتك وقيل اصب الى قولهن وقيل كل واحدة منهن دعته الى نفسها سرًا وظاهرًا لانه يدل على ان ذلك
والن من الذين لا يعملون بما يعلمون لان العالم الذي لا يعمل بعمله والجاهل سواء او من السفها لان
الحكيم لا يفعل القبيح **قوله تعالى** فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم فاجاب الله دعاه فصرف عنه كيدهن وانما ذكر الاستجاب ولم يتقدم
الدعا لان قوله والا تصرف عني كيدهن فيه معنى طلب الصرف وطلب العبد من الله دعا انه هو
السميع لدعا الداعين العليم باحوالهم واخلاصهم ومصالحهم ومفاسدهم **قوله تعالى**

ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ٥ ثم بدا ظهر للعزيز واهله من بعد
ما عاينوا الايات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من الدبر وشهادة الشاهد وقطع
النسوة ايديهن ليسجننه الى زمان يرون فيه رأيهم وقيل فاعل بدا بداء وراى والعرب يقولون
بدا لي ولا يذكرون بدا للتربية قال لعلك والموعود حق وفاه بذلك من تلك القلوص بداء والبدا في
الراي التلون فيه وقال الكوفيون فاعل بدا ليسجننه وعند البصريين لا يقع الجملة فاعلة قط بل قوله
ليسجننه تفسير البدا وقيل بدا لهم سجنه قوله حتى حين قيل سبع سنين وقيل خمس سنين كانت
امراة العزيز اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وانما بدا لهم ان يسجنوه كتما بالقضية
حتى لا تشيع في العامة وما كان ذلك الراي الا باستنزال امراة العزيز لزوجها وكان مطاوعا لها
وحملا دلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في جميع الامور في سجنه
والحاق الصغار به كما اودعته امراة العزيز به وذلك لما ايسته من طاعته لها او لان طمعها في ان
تذلله وتسخره لها عن وهب بن منبه اشار النسوة على زليخا بسجن يوسف رجاء ان يستوينه حتى
يحلوا لهن في السجن وقلن لزليخا متى سجنتيه قطع ذلك عنك مقالة الناس التي قد شاعت فاروا
انك تبغضيه وتذله السجن فقالت امراة العزيز لسيدها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في
الناس يعتذر اليهم ويخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فاما ان تاذن
لي فاخرج فاعتذر بعذري واما ان تحبسه كما حبستني فظهر للعزيز واهله من الراي حبس يوسف
الى الوقت الذي يرون فيه رايهم فحبسه بعد علمه ببراءته **قوله تعالى**
ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه انا نراك من المحسنين ٥ ودخل مع يوسف السجن مع يدل على معنى الصحبة
واستحداثها يقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخول يوسف السجن مصاحبا
لفتيان قيل هما مملوكان كانا للملك بان ابن الوليد احدهما خبازه صاحب طعامه وللاخر ساقيه صاحب
شرابه بلغ الملك ان خبازه يريد ان يسمه وان ساقيه مالاه فغضب عليهما فامر بهما الى السجن فادخلا
السجن ساعة ادخل يوسف وكان يوسف لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد
الفتيين اني اراني معنى في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسميه للعنب بما يؤول
اليه والعصر استخراج المايع وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب انا نراك من المحسنين الذين يحسنون
عبارة الرويا اي نجيد وانها راياه يقص عليك بعض اهل السجن روياه فيؤولها له ذلك وقيل انا راك
من العلما لانهما سمعاه يذكر وللناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرويا روي انه كان اذا مرض رجل منهم

قام

قام عليه واذا اضاق اوسع له واذا احتاج جمع له ولما انتهى الى السجن وجد فيه قوما قد
انقطع رجاوهم واشتد بلاوهم وطال حزنهم فجعل يقول اصبروا واشروا وتوجروا ان لهذا لاجرا
فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما احسن وجهك واحسن خلقك واحسن حديثك لقد بورك لنا في
جوارك ما يحب انا كنا في غير هذا منذ حبست لما يخبرنا به من الاجر والثواب والكفارة والطهارة
من انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم
عليهم السلام فقال له صاحب السجن لو عامل استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك
وايثارك فكن في اي بيوت السجن شيت وعن مجاهد لما راى الفتيان يوسف قالا له والله لقد
احببناك حين راك قال لهما يوسف انشدكما بالله ان تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل
علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من محبتها اياي بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما فاتا الاحبة
والفتنة حيث كان وعن الشعبي انهما تحاكما له ليمتحناه فقال الشراني اراني في بستان فاذا باصل حبلة
عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها نبينا اخبرنا بتاويل ما قصصنا
عليك والضمير يجري مجرى الاشارة في نحو كانه قيل نبيناه بتاويل ذلك **قوله تعالى**
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة ابائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
كره يوسف عليه السلام ان يعبر لهما ما سالاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن
سوالهما وطفق في غيره قيل لما استعبر فتيان يوسف ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل
بما وصف نفسه بما هو فوق علم العلما وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما لا ياتيهما من الطعام
في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما
اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما
الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم
ان يقدم الهداية والارشاد والموضعة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه
مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو
بصدده وعرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية قيل لا ياتيكما طعام
ترزقانه في اليقظة الا اخبرتكما قبل ان يصل اليكما بتاويله بيان ما بينته وكيفيته لان ذلك يشبه
تفسير المشكل والاعراب عن معناه لان يوسف كان يخبر بما غاب لعيسى وقيل لا ياتيكما طعام ترزقانه

في المنام الا نبا تكما بتاويل قبل ان ياتيكما فى الربط هذا قول اكثر المفسرين وقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فعال يوسف ما انا بعراف ولا كاهن انما ذلكما التاويل والاخبار من فضل ربى ومما علمنى ربى واوحى به الىّ ولما قابل على تكهين ونجم انى تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واراد بقوم لا يومنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصًا كافرين بالاخرة وان غيرهم كانوا قومًا مومنين وتركت معناه رغبت عن ملة قوم ويحوز ان يكون قد تعريضى بها من حيث هم حيث اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة على براءته وان ذلك لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزا واتبعت ملة اباى ابرهيم واسحق ويعقوب وهى الملة الحنيفية التى هى توحيد صرف لا شرك فيه وذكراباه لبرهانه الذى عرفهما انه نبى يوحى اليه مما ذكر اليه من اخباره ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح معشر الانبيا ان نشرك بالله من شئ ملك اونبى اوصنم لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنكما شيئًا ذلك التوحيد علينا من فضل الله علينا وعلى الناس اى على الرسل والمرسل اليهم وهذا يدل على ان عدم الاشراك وحصول الايمان من الله ثم من ان الامر كذلك بحسب عينه وفى حق الناس ثم من ان اكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة الايمان **قوله تعالى** ياصاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسمآء سميتموها انتم وابآؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يريد ياصاحبى السجن لما حصلت مواقعهما فى السجن مدة قليلة اضيفا اليه واذا كانت المرافقة القليلة كافية فى كون صاحبها ممن عرف الله واحبه طول عمر اولى ان يبقى عليه اسم المومن العارف المحب ولما ادعى المحبة بالاية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات الاله القادر العليم شرع فى اثبات الاله لقدر العالم ولما كان اكثر الخلق مقرين بوجود الاله القدير العليم وانما الشان فى انهم يحدثون اصنامًا يعبدونها ويتوقونها الضر والنفع كان سعى اكثر الانبيا فى المنع من عبادة الاصنام وكان الامر على هذا فى ومن يوسف عليه السلام فلهذا السبب شرع فى ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الاصنام فدعاهما الى الاسلام فاقبل عليهما وعلى اهل السجن وكانوا من اندادهم اصنام يعبدونها من دون الله قال الزامًا للحجة ءارباب متفرقون خير الهة شتى مختلفة الذوات والحقايق والافعال وقيل متفرقة اى الاصنام واوثان وجن وملايكة خير اعظم ولوفى بالاتباع ام الله الواحد الذى لا ثانى له القهار الذى يقهر كل شئ ولا يقهره وقيل يقول ان كنتم ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب

واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه الله لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام وانما سماها ارباًبا على سبيل الفرض والتقدير ولاعتقادهم فيها انها ارباب والمعنى ان كان ارباًبا فهى خير ام الله الواحد القهار والتفاضل بين الله وبين الاصنام على سبيل الفرض والتقدير ولو سلمنا انه حصل فيها ما يوجب الخيرية ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ثم بين عجز الاصنام وصفتها فقال ما تعبدون من دونه الا اسمآء سميتموها انتم وابآؤكم لا دين لهما ولا حق على دينهما من اصحاب السجن اى ما تعبدون من دون الله الا اسما سميتموها انتم وابآؤكم لا مسمى لها اونا نزع الالهة وارباًبا من غير ان يكون لتلك التسمية حقيقة وقيل الا اسما لا طايل تحتها ولا معانى فيها وقيل الاصحاب اسمآء وقيل كانهم اعتقدوا وجود ما ليس بموجود فصاروا يعبدون اسمآء مسمى لها وقيل انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفتم يعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسما فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها تقول سميته بزيد وسميته زيدًا وقيل انه تعالى قال ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ودلك يدل على وجود هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الاية ما تعبدون من دونه الا اسمآء سميتموها وهذا يدل على ان المسمى غير عاجل وتمسك اصحابنا بهذا فى ان الذوات موجودة لان المسمى بالاله غير موجود ولان ذوات الاصنام وان كانت موجودة الا انها موصوفة بصفات الالهية واذا كان كذلك كان الشئ الذى هو مسمى بالاله فى الحقيقة غير موجود واعلم ان طايفة من عبدة الاصنام والاوائل ان هذه الاصنام الهة خلقت العالم ولكن سميناها الهة وعبدناها وعظمناها لان الله تعالى امرنا بذلك فاجاب الله عنه ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم فى امر العبادة والدين والقضاء والامر والنهى لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الذى دعوت اليه الدين القيم اثبات الذى دلت عليه ابراهين القاطعة والحجج الساطعة ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيشركون بالله ويعبدون الاصنام **قوله تعالى** ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرًا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان لما قررا التوحيد عاد الى الجواب عن سوالهما فعبر رويا ه فقال ياصاحبى السجن اما احدهما اى الساقى فيسقى ربه خمرًا وجاز تسميته ربًا للاضافة وروى انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسبى حاكى عنده واما الاخر فيصلب الاية التى راها فانها للاثة ايام تبقى فى السجن ثم يخرجه الملك ويعود على ما كان عليه واما الاخر فيصلب واما السلاسل للاثة التى راها فانها للاثة ايام ثم يخرجه الملك فى اليوم الرابع فيصلبه تاكل الطير من راسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ من الامر الذى عنه تسالان وجب وحكم الله الذى

اخبرتكما به وهو هلاك احدهما ونجاة الآخر عن ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئاً انا كنا نغلب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان صدقتما او كذبتما روي انه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعن عطا ابن ابي رباح انه قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رأيت في المنام كأن ساقه سقي انكسرت وان زوجي غائب فقال صلى الله عليه وسلم هل قصصتها على احد قبلي قالت بلى على ابي بكر او قالت على علي فقالت لها ما دا قال قالت قال قدمات زوجك فقال عليه الصلاة والسلام هو على ما قيل وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فان قيل استفتيا في امرين مختلفين فاوجدا لتوجيد احيب بان المراد بالامر ما انتهيا به من سمع الملك وما سجنا من اجله وظناه ان ما رآياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي اعاقبته نجاة ام هلاك **قوله تعالى** وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه قلبت في السجن بضع سنين قال يوسف للذي ظن يوسف انه ناج منهما والظن ها هنا بمعنى اليقين واليقين اذا كان عن طريق الوحي ومعناه الحقيق اذا كان تأويله بطريق الاجتهاد وقيل وقال يوسف للذي ظن اي الساقي انه ناج منهما فالظان هو الساقي اذكرني عند ربك سيدك اي الملك اي صفني عنده وقص عليه قصتي وقيل له ارو في السجن علاماً مجوساً طالما علله برحمتي وخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه اي فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف لربه فان قيل فما وجه اضافة الذكر الى ربه وما هي اضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول اجيب بانه قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فانسا يوسف الشيطان ذكر الله ربه حتى اسى الفوج من عين وكل امر الى غير الله واستعان بالمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان فلبث في السجن بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث سبع سنين قيل ان جبريل اتاه في السجن وهو ينظر في وجوه اهل السجن فعرفه يوسف فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل ما ظاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحمقت مني اذا استشفعت بالآدميين قول لا لسيدك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا ابالي روي ان جبريل قال ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حسنك الذي بك قال الله قال فمن ابيضك قال الله قال في البئر وانت غريق قال الله قال فمن انجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فكيف استسقعت آدمياً مثلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد

في عون

في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت حفيظه وهل ذلك الا مثل الدواء يا الدوية والبغوي يا الاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافراً فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والحرق والغرق ونحو ذلك كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور واجملها واولاها والاحسن والاولى ان لا يكل من اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصاً اذا كان المعتضد به كافراً ليلا يسمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول يحق ان انا نزل بنا امر فزعنا الى الناس **قوله تعالى** وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملاء افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين لما دنى فرج يوسف راى ملك مصر الاكبر الوليد ابن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس يأكلهن سبع بقرات عجاف مهازيل ضعاف اي ابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم يرمن منهن شيئاً وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت وادركت فركبت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فحمع الملك السحرة والكهنة والحزاة والقافة وقصها عليهم واستعبرها وقال لهم ماذا رأيتم في منامي هذا ايها الملاء اي الاشراف كأنه اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي اي عبروني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما يقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه ونحوه اولت الرؤيا اذا دبرت ما لها ومرجعها قال الملاء اضغاث اي هذه اضغاث احلام اي احلام مختلفة مختلطة مشتبهة اهاويل باطيل واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والاحلام جمع الحلم وهو الرؤيا قال صاحب الكشاف فان قلت ما هو الاحلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما يقول الاعراب يركب الخيل ويلبس عمايم الخز لمن لا يركب الا فرساً واحداً ولا له الا عمامة فرده يريد الى الوصف بها ولا اضافة تزيد واني وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد فرض عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اي ليس بعبر الرؤيا من شاننا وعلمنا فعلى هذا اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا من اهلها في تأويل الاحلام مطلقا بعالمين وقيل اراد والاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها تأويل عندنا فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة **قوله تعالى** وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون

يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال الذي نجا من الفتيين وهو الساقي
اي نجا بالقتل وادكر بالدال وهو الفصيح اي تذكر الذي نجا من الفتيين قول يوسف
وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه
واعضل على الملاء تاويلها تذكر الساقي الذي هو الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه
وطلبه ان يذكره عند الملك انا انبئكم اخبركم بتاويله عن من عنده علم تاويله فارسلون فابعثوني
اليه اساله ومروني باستعباره فارسلوه فاتى السجن قال بن عباس رضي الله عنه لم يكن السجن
بالمدينة فقال الرسول اي الساقي يا يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق فيما عبرت
لنا من الرؤيا لانه جرب حاله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك
كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه لم يكن على يقين من الرجوع فربما
احترم قبل الرجوع ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فيطلبوك ويخلصوك
من محنتك التي انت فيها وقيل لعلهم يعلمون تاويلها **قوله تعالى** قال تزرعون
سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون ۝ قال يوسف تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون وانما خرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو
يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها بفتحها
عادة وهما مصدر داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على يدانون دابا واما على ايقاع
المصدر حالا بمعنى ذوي داب اي ملازمة وعادة اي تزرعون زراعة متوالية على عادتكم المستمرة
تزرعون اي تحرثون والزرع من الخلق حرث ومن الله تعالى انبات والمعنى قال يوسف للرسول الساقي
قل لهم ازرعوا سبع سنين دابا اي دائبين مجتهدين ملازمين للزرع على عادتكم المستمرة في الزراعة
زراعة متوالية فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس ولا يبقى فاسدا الا قليلا مما تاكلون ثم
ياتي من بعد ذلك يعني سبع سنين جدوبا قحطة على الناس يوكل على الناس فيهن ما اعددتم لهن
مما ابتقيتم في السنبلة في السنين السبع المخاصيب وياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن
مسندا اليهن الا قليلا مما تحرزون وتدخرون فان القليل من المحصن لا يوكل في السبع الشداد
عام في ذلك العام يغاث الناس اي يمطر من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت ومنه قول
الاعرابية غيثا ما شئنا وقيل هو من الغوث اي يغاثون بالخصب اي يغيثهم الله من القحط والجوع

يقال

يقال استغاث فاغاثه وفيه اي وفي ذلك العام الناس يعصرون العنب والزيتون
والسمسم وقيل يحلبون الضرع اي تكثر الثمار والاعناب والزيتون والسمسم ويتخذون
الاشربة والادهان ويحلبون ~~الضرع اي تكثر الثمار~~ المواشي من كثرة المرعى قرا حمزة والكسائي
يعصرون بالتاء وجها الخطاب الى المستفتين والباقون بالياء وقيل يعصرون ينجون وهو من
العصر وهو الملجا والعصرة المنجاة يقال فلان في عصره اذا كان في حصن لا يقدر عليه وقيل
يعصرون يصيبون ما يحبون والمعتصر الذي يصيب الشيء وياخذه وقيل يعطون ويفضلون
لسعة عيشهم اول البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين مخاصيب والبقرات العجاف
والسنبلات اليابسات سنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن
يجي مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك
ولكنه من علم الغيب الذي اتاه الله وعن قتادة زاده الله علم سنة **قوله تعالى**
وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن ان ربي بكيدهن عليم ۝ لما رجع الساقي الى الملك واخبره بتاويل رؤياه وامره بما يصنع
وقع في نفس الملك صحة ما قاله وعرف انه واقع اعجب به وانكشف عنه الهم والحزن الذي
كان به وقال ايتوني بهذا العالم الذي عبر عن هذه الرؤيا حتى اكرمه فلما جاء يوسف الرسول وهو الساقي
وقال له اجب الملك فانه يدعوك ليكرمك قال يوسف للرسول ارجع الى ربك الملك فسله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن ليعلم صحة براتي انما تاني يوسف وثبت في اجابة الملك وقدم
سوال النسوة ليظهر براة ساحته عما قذف به وسجن فيه لئلا يؤذيه الحاسدون بتقبيح امره
عنده ويجعلوه طريقا الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما لبث يوسف في السجن بضع سنين
الا لامر عظيم وذنب كبير اوجب ان يسجن ويعذب وفي هذا دليل على ان السعي والاجتهاد في نفي
التهمة حسن بل واجب وجوب اتقاء الوقوف في مظان التهمة قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين سيل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى
اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره الله يغفر له حين اتاه الرسول فقال
ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب
ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش
عن شانهن لان السوال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما يسال عنه فاراد يوسف ان يورد عليه
السوال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يبين له براته بيانا مكشوفا

يبين فيه الحق من الباطل ومن كرمه وحسن ادبه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر اللاتي قطعن ايديهن قيل عمهن بالذكر دون امراة العزيز
صيانة لها وانها معهن تعريضا لا تصريحا وقيل ان المعنى ما بالهن لم يشهدن ببراءتي وقد عرفن ذلك
باقرار امراة العزيز عندهن وقيل ويحتمل انه خاف ان يحيل الذنب عليه فالاول ان ربي الله بكيدهن
عليم حين قلن له اطع مولاتك وقيل اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله
على انهن كذبن وانه بريء مما قذف به وقيل اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه وقيل
اراد ان سيدي العزيز عالم بكيدهن وببراءتي مما قذفن به المراة **قوله تعالى**
قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت
امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ۞ فرجع الرسول
الساقي من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتي قطعن ايديهن وامراة العزيز
فقال الملك لهن ما خطبكن ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف اي انكن راودتن يوسف
عن نفسه قطعا لا كلام فيه هل وجدتن من يوسف ميلا اليكن فان قيل انما راودته زليخا وحدها
فلم جمعهن الملك اجيب بلغ الملك ان بعض النسوة راودته فجمعهن في السوال ليستعلم المراودة
بعينها ولم يكن عالما بها قبل السوال وقيل ان زليخا راودته عن نفسه على نفسها وراودته النسوة على
القبول منها وقيل يحتمل ان يكون النسوة راودته عن نفسه على انفسهن لانهن ايضا احببنه فاجابت
النسوة الملك وقلن حاش لله معاذ الله ما علمنا على يوسف من سوء تعجبا من عفته وذهابه بنفسه
عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها وقيل معناه ما دعونا الى انفسنا وانما دعوناه الى امراة العزيز
وما علمنا سوءا في ان ندعوا المملوك الى طاعة صاحبته قالت امراة العزيز الان حصحص الحق ظهر
وثبت واستقر انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد
على شهادتهن ليوسف ببراءته ونزاهته واعتراف امراة العزيز على نفسها بانه لم يتعلق بشيء مما قذفته
به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لاحد مقال
وهذا كالتاكيد لما ذكرنا في اول الاية في حقه **قوله تعالى** ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ثم رجع الرسول الى يوسف وهو بعد في السجن فاخبره
بكلام النسوة وبراءتهن يوسف عن سوء وبجواب زليخا وتكذيبها نفسها وتصديقها يوسف
قال يوسف ذلك التثبت والتشمر ورد الرسول الى الملك وامتناعي من الخروج لظهور البراءة ليعلم
العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب
عنه خفي عن غيبه او وهو غائب عني خفي عن غيبي ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفا

والاستتار

والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذ
ولا يسدده وكانه تعريض بامارته في خيانتها امانة زوجها وبالعزيز في خيانته امانتها وامانة الله
حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى
الله كيده ولا سدده ثم اراد يوسف ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا ويخالها في
الامانة معجبا ومفتخرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه
من الامانة ليبين به وانما هو بتوفيق الله وفضله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم اي ما ابرئ نفسي من الخطا والزلل ولا اشهد لها بالبراءة
الكلية ولا ازكيها ان النفس لامارة بالسوء في كل وقت اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء
ويحمل عليه لما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي بالعصمة ويجوز ان يكون الا ما رحم في معنى الزمان اي
الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة فعلى هذا قوله ذلك الى قوله ان ربي لغفور كلام
يوسف وهذا من اغمض ما يكون من الكلام ان يحكي عن شخص شيئا ثم يصله بالحكاية عن اخر ونظيره
قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا قول الملاء قوله فماذا تامرون قول فرعون ومثله وجعلوا اعزة
اهلها اذلة هذا قول بلقيس وكذلك يفعلون قول الله ومثله قوله من بعثنا من مرقدنا قول الكفار
وقوله هذا ما وعد الرحمن قول الملائكة وانما يجوز مثل هذا في الكلام لظهور الدلالة على المعنى وقيل
فاعل ليعلم الملك اني لم اخن الملك بالغيب اي لم اخنه في امراة وزيره وقيل لم اخنه في بنت اخته زليخا
وكانت زليخا بنت اخت الملك وقيل ليعلم اني لم اخنه نسب العلم الى الله تعالى في الظاهر وهو في المعنى
للمخلوقين كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم وقيل ذلك من كلام امراة العزيز اي قالت امراة العزيز ذلك
الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال غيبته وجئت بالصحيح والصدق فيما
سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن يريد الاعتذار بما كان منها فقالت ان كل نفس لامارة
بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يعقوب ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته
مما ارتكبت **قوله تعالى** وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ۞
لما تبين للملك عذر يوسف وامانته وعلمه قال ايتوني بيوسف استخلصه اجعله خالصا
لنفسي خاصا بي لا يشاركني فيه غيري فلما جاء الرسول يوسف قال ليوسف اجب الملك الان
فخرج يوسف من السجن ودعا لاهل السجن بدعوة تعرف الى اليوم اللهم اعطف عليهم قلوب

الاخبار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلدة وفي الواقعات وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف
من دون السجن ولبس ثيابا جددا احسانا وقصد باب الملك فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي
من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره فلما ان نظر الملك اليه سلم يوسف عليه بالعربية
فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال
لسان اباي وكان الملك يتكلم بستين لسانا وكلما كلم الملك يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فتعجب الملك
منه وكان يوسف يومئذ ابن ثلثين سنة فلما راى الملك حداثة سنه قال لمن عنده ان هذا علم رؤياي
ولم تعلمه السحرة والكهنة ثم اجلسه وقال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال
يوسف عليه السلام نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل
فطلعن عليك من شاطيه شخب تميد اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وتعجبك حسنهن اذ نضب
النيل وغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته ورجله سبع بقرات عجاب شعث غبر تقلصات البطون
ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع
فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومشمشن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن
في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك كيف هاولاء خضر مثمرات وهاولاء سود يابسات والمنبت
واحد واصولهن في الماء اذ هبت دلج فذرت الاوراق من اليابسات السود الخضرات المثمرات
فاستعلت فيهن النار فاحترقن وصرن سودا متغيرات فهذا اخر ما رايت ثم انتبهت من نومك
مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي
ايها الصديق فقال له يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني
الاهرا والخزاين فتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من الطعام
الخمس فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك
بحمتك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ومن يبيعه
ويكفي الشغل فيه فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شي قال
يوسف اجعلني على خزاين الارض واني خزاين ارضك اي خزاين الاموال وخزاين الطعام اني حفيظ
احفظها وليتني وقيل عليم بسني المجاعة وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن اعلم لغة من سياسي وقيل
حفيظ لتقديره في هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع وقيل حفيظ بما وصل الي عليم بجباية المال

وصف

وصف يوسف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك
ليتوصل الى امضا حكم الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبيا الى العباد وليعلمه
ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب يوسف التولية ابتغا لوجه الله تعالى لا يحب الملك
والدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فاقام في بيته عنده قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف جاز ان يتولى الانسان عملا من يد كافر ويكون تبعا له من سلطان جاير وقد كان السلف
يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع
الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض
عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وقال الملك ليوسف اني اريد ان تخالطني في كل شي سوى
باي انف ان ياكل معي فقال يوسف انا احق ان انف انا ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم
خليل الله وكان الملك ياكل بعد ذلك معه روي ان العزيز لما اشترى يوسف قالت له مره فليتغد مع
الغلمان فقال له اذهب فتغد مع الغلمان فقال يوسف تنكف ان ياكل معي انا والله يوسف ابن يعقوب
ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه عرض على ابي هريرة الامارة
فقال لقد طلب الامارة من هو خير منك يوسف قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قيل لما
مضت السنة من يوم سال يوسف التولية على خزاين الارض دعاه الملك فتوجه وختمه بخاتمه
ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من استبرق
وطول السرير ثلثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلثون فراشا وستون مقرمة ثم امره ان يخرج
فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر لونه في صفا ولون جهه فقال يوسف للملك اما
السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس اباي فقال
الملك ان لم تلبس التاج فاقبله مني حتى تعلم اني قد فضلتك على نفسي فوضع الملك زمن يوسف كله
التاج اجلالا واقرارا بفضله فانطلق يوسف حتى جلس على السرير ودانت الملوك وفوض الملك اليه
امر مصر وعزل العزيز عما كان عليه وجعل مكانه وسلم خزاين الارض والاموال والطعام وغيره اليه
وجعل امره نافذا في ملكه وروي انه لما اخرج الملك يوسف من السجن وبان له ان يوسف كان
ظلما غضب على العزيز وقال كيف فعلت هذا مع العبد المطهر من العيب المنزه من الريب وعزله
واخرج زليخا من القصر ثم مات قطفير في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امراة العزيز زليخا فلما دخل
عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذرا فقالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسنا
ناعمة كما ترى في دنيا وملك وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعل الله في حسنك وهيئتك

فعلتني نفسي فاصابها يوسف فولدت له ولدين افرايم وميشا وقيل ان زليخا مات زوجها قطفير
وافتقرت بعد ذلك في سني الغلا وعميت واطرشت فصارت تكفف الناس فمنهم من يرحمها ومنهم من
لا يرحمها ويقول لها لو ذهبت الى يوسف العزيز لذكر ما سلف من تربيتك وجاد عليك بما يصرف في
مصالحك ومنهم من يقول لها لا تفعل هذا فانه ربما يذكر بعض ما كان منك مما تكلمت فيه حين قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءً ويذكر حبسك اياه فيامر بقتلك فقالت انا اعلم بخلقه منكم اني اعرف
من اعرض علمه واعرف من كرمه ما لا تعرفون ثم تركته حتى ركب في موكبه وكان يوسف يركب في كل اسبوع
في موكب زهاء مائة الف من عظما قومه فقامت ونادت يا علي صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدًا
بمعصيته وجعل العبيد ملوكًا بطاعته فقال يوسف من هذه فقال لها من انت قالت انا الذي كنت
اخدمك على صدور قومي وارجل شعرك بيدي وتربيت في بيتي واكرمت مثواي ولكن فرط ما فرط من
جهلي وعتوي فذقت وبال امري فذهب مالي وتضعضع بالي وتغير حالي وطال ذلي وعمي بصري وبعد
ما كنت مغبوط اهل مصر صرت مرحومهم اتكفف الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وهذا جزا
المفسدين فنجا يوسف بكا شديدًا ثم قال لها هل تجدين في قلبك فما كان من حبك فقالت والله لنظرة
الى وجهك احب الي من الدنيا وما فيها ناولني صدر سوطك فناولها فوضعته على صدرها فوجد
يوسف للسوط في يده اضطرابًا وارتعاشًا من خفقان قلبها ثم مضى الى منزله وقال لها طيبي قلبك
فسوف ابلغك املك واتزوجك قالت لا يليق بكرمك ان تسخر بي فانك تعلم اني كريمة العنصر واني
من بنات اشراف الملوك وقد كنت اخدمك بنفسي وانت ما اردتني في ايام جمالي تتزوجني وانا على
هذه الحالة ثم بكت بحرقة فقال لها اطلبي ما تريدين فقالت له افعل ما يليق بك فتزوجها وهي على
تلك الحالة وحملها الى قصره فقام يوسف عليه السلام تلك الليلة يصلي ويدعوا الله باسمه
وقامت هي خلفه نسال الله تعالى ان يعيد بصرها وجمالها وشبابها حتى عادت احسن مما كانت
يوم راودته عن نفسه اكرامًا ليوسف لما استعصم وكف عن محارم الله واقام معها اربعين
سنة في اخضض عيشة كل يوم يجدد الله لهما خيرًا ورزق منها ولدين افرايم وميشا قوله

قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في دفع المكروه عنه وتخليصه من السجن وتقريبه
الى قلب الملك مكنا ليوسف اي اقدرناه على ما يريد في ارض مصر روي انها كانت اربعين
فرسخًا في اربعين يتبوا منها ينزل حيث يشاء لم يمنع منه لاستيلايه على جميعها ودخوله تحت
سلطانه نصيب اي نخص بنعمتنا وعطايانا من النبوة والملك والغنى من نشا ولا نضيع اجر

المحسنين

المحسنين بصبره في الجب وصبره في الرق وصبره عما دعته اليه المراة وصبره في السجن ولم يزل
يقيم العدل بمصر ويدعوا الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم على يده الملك وكثير من الناس
واحبته الرجال والنسا فهذا في الدنيا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون من الكفر روي
انه لما استوى يوسف على مصر دخلت السنون المخصبة فامر يوسف الناس باصلاح المزارع
وسد الجسور وامرهم ان يتوسعوا في الزراعة فلما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهرا
فجمعت فيها في تلك السنة غلة ملات المخازن لكثرتها ثم جمعت غلة كل سنة كذلك حتى خلت السنون
المخصبة ودخلت السنون المجدبة فاصاب الناس جوع وجات تلك السنون بهول عظيم لم يعهد
الناس بمثله ولما كان ابتدا القحط فبينا الملك ذات ليلة اصابه جوع في نصف الليل فهتف الملك
يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط قال بعض اهل التجارب للقحط علامتان احديهما ان
النفس تشتهي الطعام اكثر من العادة ويسرع اليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك وياخذ من
الطعام فوق الكفاية والثانية ان يفقد الطعام ويعز على النفس الى الغاية فلما دخلت السنة
الاولى من سني القحط هلك فيها كل شي اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل يوسف فباع منهم
في السنة الاولى بالنقود الدنانير والدراهم حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه ثم باع منهم في
السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شي ثم باع منهم في السنة الثالثة بالمواشي
والدواب حتى احتوى عليها اجمع ثم باع منهم في السنة الرابعة بالعبيد والاما حتى لم يبق عبد ولا امة
في يد احد ثم باع منهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى ملكها كلها ثم باع منهم في السنة
السادسة باولادهم ونسايهم فاشتراهم جميعًا ثم باع منهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق
بمصر حر ولا حرة الا صار عبدًا له فقال الناس والله ما راينا ملكًا اجل ولا اعز من هذا فقال يوسف
للملك كيف رايت صنع الله ربي فيما خولني فما ترى لي فقال الملك الراي رايك وانما نحن لك تبع فقال
يوسف فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم روي ان
يوسف كان في تلك الايام لا يشبع من الطعام فقيل له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف
ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف ايضا طباخي الملك طعم الجوع فلا ينسى الجايعين ويحسن الى
المحتاجين ففعلوا ذلك فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل اوب
يمتارون وكان يوسف عليه السلام لا يبيع الطعام من احد من الممتارين وان كان عظيمًا اكثر
من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسعًا اليهم واصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط
ما اصاب مصر فنزل بيعقوب ما نزل بالناس فقال لاولاده ان بمصر ملكًا صالحًا يبيع الطعام ويمير
الناس قال اولاده من ان يكون بمصر رجل صالح وهم يعبدون الاوثان فقال يعقوب انتم تذهبون

اليه لتشتروا منه الطعام تدفعون اليه دراهمكم ودنانيركم وتاخذون الطعام فما لكم ولدينهم
فارسل بنيه الى مصر ليمادوا وامسك بنيامين اخا يوسف **قوله تعالى**
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم
من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقريات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا
اهل بادية وابل وشاء فلما دخلوا على يوسف عرفهم واخوته له منكرون اي لا يعرفونه لطول عهدهم به
ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم به واهتمامهم
بشانه ولبعدها له التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في الجب حتى لو تخيل
لهم انه هو اكذبوا انفسهم وظنوا انهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام
ما ينكر له المعروف وقيل ان يوسف ما راوه الا من بعيد بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف
طلاب الحوائج وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب من حرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب
وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل كان بينه وبينهم ستر فلذلك لم يعرفوه وانما عرفهم يوسف لانهم
فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيه اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم
فكان يتامل ويتفطن والحق انه تعالى لما اراد ان يبلغ يوسف ما اراد خلق معرفة يوسف لهم فيه
ولم يخلق معرفتهم ليوسف فيهم وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا وهذا ضعيف فلما نظر اليهم يوسف
وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم ومن اين اقبلتم فاني انكر شانكم فقالوا نحن
قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي
قالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبيا
قال فكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احب الى ابينا منا
قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخر قال عند ابينا يتسلى به من الذي هلك لانه اخوه
من امه قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا يا ايها الملك انا ببلاد
لا يعرفنا فيها احد قال فايتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين ولما جهزهم اي اصلحهم
بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركابهم بما جاز له من الميرة
وحمل لكل رجل منهم بعيرا بعدته قال يوسف ايتوني باخ لكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم
ودعوا بعضكم عندي رهينة فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف
فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه وانا خير المنزلين
المضيفين فانه احسن انزالهم وضيافتهم ثم اوعدهم على عدم الاتيان باخيهم فقال فان لم تاتوني

به

به باخيكم من ابيكم فلا كيل لكم عندي فليس لكم عندي طعام اكيله لكم بعد هذا ولا تقربون
فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزا مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل
فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان تكون بمعنى النهي اي ولا تقربوا بابي ولا ملاذي **قوله**
تعالى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون قالوا اي اخوة يوسف سنراود
سنخادع عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننزعه من يده ونخرجه معنا وقيل نطلبه ونسله ان يرسله
معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به لا نفرط فيه ولا نتوانا **قوله تعالى** وقال
لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
وقال يوسف لفتيته قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فتيانه بالالف والنون والباقون
لفتيته بالتاء بعد الياء من غير الف وهما جمع فتى كاخوان واخوة في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم ثمن طعامهم عن قتادة اوراقهم وعن ابن عباس
كانت النعال والادم في رحالهم اوعيتهم وهي جمع رحل وهو كل شي بعد الرحيل يقال للرعا رحل
وللمسكن رحل لعلهم يعرفون حق ردها وحق الكرم باعطا الثمن والمثمن اذا انقلبوا اذا انصرفوا الى
اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الي وقيل تخوف ان لا يكون
عند ابيه من الطعام ما يرجعون وقيل لم يومن الكرم ان ياخذ من اخيه واخوته ثمنا وقيل علم ان
ديناتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل اراهم كرمه في رد البضاعة
وبره واحسانه ليكون ادعى الى عودهم اليه وقيل خشي ان يضر اخذه ذلك منهم بابيهم اذ كانت السنة
سنة جدب وقحط فاحب ان يرجع اليه وانما اراد ان يتسع به ابوه وقيل راى لوما اخذ ثمن الطعام
من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده اليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل معنى لعلهم
يرجعون لعلهم يردونها **قوله تعالى** فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع
منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون فلما رجع اخوة يوسف الى ابيهم يعقوب
قالوا يا ابانا انا قدمنا على خبر رجل انزلنا والزمنا كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته
فقال يعقوب لبنيه اذا اتيتم ملك مصر فاقروه مني السلام وقولوا له ان ابانا يدعو لك بما
اوليتنا ثم قال اين شمعون قالوا ارتهنه الملك واخبروه بالقصة فقال يعقوب لهم ولم اخبرتم
الملك قالوا ان الملك اخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العربية وقصوا عليه القصة
وقالوا يا ابانا منع منا الكيل بعد هذا ان لم نذهب باخينا بنيامين اليه وقد منع منا اتمام الكيل
الذي اردنا فارسل معنا اخانا بنيامين يرفع المانع من الكيل نكتل قرا حمزة والكسائي نكتل بالياء
اي يكيل اخونا لنفسه فينضم اكتياله لنفسه الى اكتيالنا ويكون اخونا سببا للاكتيال فان منع

الكيل بسببه والباقون نكتل بالنون اى نكتال نحن من الطعام ما نحتاج اليه وانا لاخينا لحافظون
من كل ما نخاه حتى نرده اليك وقيل وانا لحافظون عن ان يناله مكروه **قوله تعالى**
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال
يعقوب لبنيه هل امنكم على اخيكم بنيامين الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل فانكم قلتم في
يوسف ما قلتم وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتموه فما تؤمنونني من مثل ذلك لم يثق
بهم لما كان منهم في حق يوسف فالله خير قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حافظا بالالف وهو
تمييز كما يقال هو خير رجلا والاصل خيركم حافظا لقولك خيرهم رجلا ولله دره فارسا فحذف المضاف
اليه ويجوز ان يكون حالا والباقون حفظا بغير الف على المصدر اى خيركم حفظا فتوكل يعقوب
على الله في بنيامين ودفعه اليهم وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحم علي بحفظه ولا يجمع علي
مصيبتين عن لما قال فالله خير حفظا قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعد
ما فوضت الي **قوله تعالى** ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير
ذلك كيل يسير ه ولما فتح اخوة يوسف متاعهم اوعيتهم التي حملوها من مصر وجدوا بضاعتهم
التي حملوها من كنعان ثمنا للطعام فرحوا بها وقالوا من فضل الملك ما نبغي يجوز ان تكون ما نافية
اى ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفناك من احسان الملك واكرامه وقيل ما نطلب منك ما نردنا
به الى مصر وقيل ما نبغي وراء ما فعل بنا من الاحسان وقيل ما نكذب فيما نخبرك عن صاحب مصر
ويجوز ان تكون ما استفهامية اى ما نطلب وراء هذا اوف الينا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا
ان يطيبوا نفس ابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي اى هذه
بضاعتنا ما حملنا في ثمن الطعام ردت الينا هل فوق هذا من مزيد اكرمنا وباعنا ورد علينا
الثمن والحمل بعدها وهي قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير معطوفة على قوله هذه
بضاعتنا على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل
بعير في رجوعنا الى الملك اى نجلب الى اهلنا الميرة ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد
باستصحاب اخينا وسق بعير زايدا على وسق ابا عزنا فاى شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح
بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد الرجل على حمل بعير
للتقسيط قال صاحب الكشاف هذا اذا فسر بالتزيد في القول والكذب كانت هذه بضاعتنا
ردت الينا بيانا لصدقهم وابتغاء التزيد عن قبلهم فالجمل الباقية معطوفة على قوله ما نبغي على معنى
لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي

ان نمير

ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي
ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما ينبغي وما ينطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا
ثم قالوا هذه بضاعتنا فنستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم
مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اى قال اخوة يوسف ذلك مكيل قليل لا يكفينا
يغنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم وقيل ذلك اشارة الى كيل بعير
اى ذلك الكيل كيل يسير يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يقنعنا ويجوز
ان يكون ذلك كيل يسير لا يقنعنا ويجوز ان يكون ذلك كيل يسير من كلام يعقوب اى قال يعقوب حمل
بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كما ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب يحتمل ان يكون من
كلام يوسف ويحتمل ان يكون من كلام امراة العزيز **قوله تعالى** قال لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ه قال يعقوب لن ارسل اخاكم معكم ارساله معكم
مناف لحالي وقد رايت منكم ما رايت حتى تؤتون يعطون موثقا عهدا اوثق به من عند الله اراد ان
تحلفوا بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود ويشدد وقد اذن الله
تعالى في ذلك فهو اذن منه وعن ابن عباس حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا
باخيكم لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا جميعا وعن قتادة الا
ان تغلبوا فلم تقدروا الاتيان به قال صاحب الكشاف ان يحاط بكم مفعول به والكلام المثبت الذي هو
قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمنعون من الاتيان به الا الاحاطة بكم لا تمنعون من الاتيان به
لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده
فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت
تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما اتى بنوه موثقهم اى فلما حلفوا بالله لتاتينه به قال يعقوب الله على
ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقيل شاهد حافظ وقيل ضامن للقيام على ما
اسند اليه ولما اراد بنو يعقوب الخروج من عنده قال لهم يعقوب لا تدخلوا مصر من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة نهاهم عن الدخول من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وجمال وهيئة
وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا ابناء رجل واحد مشتهرين عند اهل مصر بالقربة عند الملك
والتلزمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة اطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار
اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اصناف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من بين الفتيان وما احقهم

بالاكرام لامر مما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة
فعاينوا بجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم فامرهم ان يفترقوا في دخولها
لئلا يصابوا بالعين ولم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين
الناس والاصابة بالعين اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين
فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان ومن كل هامة ومن كل عين لامة ثم قال
يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء ان اراد الله بكم سوءا لم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم
من الدخول من ابواب متفرقة وهو مصيبكم لا محالة لان المقدر كاين وان الحذر مما لا ينفع
من القدر ما الحكم والقضا والامر الا لله على الله توكلت لا على غيره وعلى الله فليتوكل المتوكلون
لا على غيره قيل جمع بين الواو والفا في عطف الجملة على الجملة لما تقدم الصلة وهي عليه

قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء
الا حاجة في نفس يعقوب قضيها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ولما دخل اخوة يوسف من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة وكان لمصر اربعة ابواب
فدخلوا من ابوابها الاربعة متفرقين لما كان دخولهم متفرقين يغني عنهم من الله من شيء صدق
الله نبيه يعقوب فيما قاله وما اغني عنكم من الله من شيء حيث اصابهم مما ساءهم مع دخولهم
متفرقين من اصابة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان صواع الملك
في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثنا منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس
يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قال لهم ووصاهم به وهي تفريقهم خوف العين
او خوف الحسد او رجا ان يلقوا يوسف وان يعقوب لذو علم اي قوله وما اغني عنكم من الله من شيء
لتعليم الله اياه بان القدر لا يغني عن الحذر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة
وقيل لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة وقيل لا يعلمون ما يعلم يعقوب **قوله تعالى**
ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولما دخل
اخوة يوسف على يوسف قالوا له هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به قد جيناك به فقال لهم
يوسف احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم والزمهم ثم اضافهم واجلس
كل اثنين منهم على مايدة فبقي بنيامين وحده فبكا وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني
معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مايدته وجعل يواكله ثم قال
انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي اوى اليه انزله في الموضع الذي
ياوي اليه وخلى به دونهم وبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم رايحته حتى اصبح وقال

ما اسمك

ما اسمك قال بنيامين قال قال بر الوجع والهلاك لان امي ماتت نفسا قال وما اسم
امك قال راحيل قال يوسف هل لك من ولد قال نعم لي عشر بنين استنفقت اسماهم من اسم
اخ لي هلك فقال له يوسف لقد اضطرك الى هذا حزن شديد فما سميتهم قال بالعا اسكل
اخبر ابكر احيا نعمان ارد راس حيتم ميتم قال يوسف فما هذه
الاسما قال اما بالعا فان اخي ابتلعته الارض واما اسكل فانه كان اخي لامي وامي وفي
سني واما اخبر فانه خبر حيث كان واما فانه كان بكر امي واما احيا فانه كان كثير الحيا واما
نعمان فانه كان ناعما بين ابويه واما ارد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما ارس فانه
كان بمنزلة الراس من الجسد واما حيتم فاعلمني ابي انه حي واما ميتم فلو رايته لقرت عيني
فقال له يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا
خير ولا تعلمهم بشيء مما اعلمتك به وعن وهب انه قال له انا اخوك بدل اخيك الهالك فلا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له بنيامين لا ابالي فافعل
يا يوسف ما بدا لك قال يوسف فاني ادس السقاية في رحلك ثم انادي عليكم انكم سارقون
لتتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال بنيامين افعل **قوله تعالى**
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم
ثم اوفى يوسف الكيل لاخوته وحمل لكل واحد منهم بعيرا وحمل لبنيامين بعيرا باسمه كما حمل
لهم ثم امر بسقاية الملك فجعل في رحل بنيامين والسقاية مشربة يسقى بها وهي كانت انا طويلا
يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كان يسقى بها
الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت من فضة
مموهة بالذهب وقيل كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيلا لئلا يكال
بغيرها وكان يشرب بها والسقاية والصواع واحد ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا وامعنوا
ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم اذن موذن نادى مناد ايتها العير القافلة انكم لسارقون فسمعوا
نداء الموذن فوقفوا فلما انتهى اليهم الموذن قال لهم الم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوف كيلكم
ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قال اخوة يوسف واقبلوا على الموذن وغلمان يوسف ماذا تفقدون
ما الذي ضل منكم وتطلبونه قالوا نفقد صواع الملك ولا يتهم عليها غيركم ولمن جاء به اظهر الصواع

ورده حمل بعير هذا داب الناشد في طلبه ضالته قال المؤذن وانا بحمل البعير كفيل اوديه
الى من جاء به جعاله **قوله تعالى** قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين قال اخوة يوسف تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم لقد علمتم وانما
حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم لما ثبت عندهم من دلايل دينهم واما بهم في كرتي مجيهم ومداخلتهم
للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم معكومة ليلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من السوق
ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها وما كنا سارقين وما نوصف قط بالسرقة وهي منافية
لحالنا **قوله تعالى** قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين قال المؤذن فما جزاء الصواع اي سرقته ان كنتم
كاذبين في قولكم وما كنا سارقين قال اخوة يوسف جزاء سرقة الصواع فهو جزاؤه بان يسلم
من وجد الصواع في رحله الى المسروق منه ويسترق سنة وكان ذلك حكم السارق في ال يعقوب
فكذلك اسـ في جزايه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم المذكور اي فاخذ السارق هو جزاؤه لا غير
كذلك نجزي الظالمين السارقين الذين ياخذون ما ليس لهم من مال غيره سرقة **قوله تعالى**
فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم لما اعترف
اخوة يوسف بان من وجد في رحله فهو جزاؤه وقال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش
اوعيتكم واحدا واحدا روي انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تاثما
مما قذفهم به حتى بلغ وعاء بنيامين فقال يوسف ما اظن هذا اخذ شيئا فقال اخوته والله
لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا ولانفسنا فلما فتح متاعه استخرج
يوسف السقاية من رحل اخيه بنيامين ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا
فقد وقع فيما يتصل به سقاية وفيما يتصل بهم صواعا كذلك مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف
اي علمناه اياه واوحينا به اليه حين ضم اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته وقيل مثل
ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا ليوسف وقيل لذلك كدنا اي كما فعلوا في الابتداء
بيوسف فعلنا بهم لان الله اخبر عن يعقوب انه قال ليوسف فيكيدوا لك كيدا فالكيد جزاء
الكيد وعن ابن عباس كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا ليوسف حين ضم اخاه الى نفسه وحال
وبينه وبين اخوته بعلة كادها الله له فاعتل يوسف بها وقيل المراد ان اخوة يوسف سعوا
في ابطال حق يوسف والله نصره وقواه واعلى امره وقيل المراد من هذا الكيد انه تعالى القى
في قلوب اخوته ان حكموا بان جزاء السارق هو ان يسترق لما جرم لما ظهر الصواع في رحله

حكموا

حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن يوسف من امساك اخيه عنده ما كان لياخذ
اخاه في دين الملك اي ما كان يوسف لياخذ اخاه ويضمه الى نفسه في دين الملك اي في حكمه
وقضايه فان حكم ملك مصر ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق للمسروق منه لا ان يسترق الا ان
يشاء الله اي ما كان يوسف ياخذ اخاه الا بمشيه واذنه فيه اي ان يوسف لم يكن ليتمكن
من اخذ اخيه بنيامين من اخوته وحبسه عنده في حكم لولا ما كدنا له بلطفنا له حتى وجد
السبيل الى ذلك وهو ما اجرى الله على السنة اخوته ان جزاء السارق الاسترقاق فاقروا
به وابدوا من انفسهم الرضا بتسليم اخيه اليه وكان ذلك مراد يوسف نرفع درجات
من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته في العلم وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة
منه في علمه وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل عن ابن عباس يكون هذا اعلم
من هذا وهذا اعلم من هذا والله تعالى فوق كل ذي علم عليم قرا عاصم وحمزة والكسائي نرفع
بالنون ودرجات بالتنوين والباقون نرفع بالياء ودرجات بالاضافة قال صاحب الكشاف
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه هذا الحسن وهو الابهتان
وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون
تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف
وقوله ان كنتم كاذبين لا سقا براتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم
بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذيب وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع
دينية كقوله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا وكقول ابرهيم هي اختي
ليسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله
في هذه الحيلة التي لفقها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة
وانزاحت عنها وجوه القبح **قوله تعالى** قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون لما
استخرج السقاية من وعاء بنيامين وقالوا يا بنيامين ما الذي صنعت فصحبنا وسودت
وجوهنا يا بني راحيل ما يزال متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بنو راحيل الذي لا يزال لهم
منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم
وقال اخوة يوسف ان يسرق هذا فقد سرق اخ له من ابيه وامه من قبل ارادوا به يوسف قيل

كان يوسف اخذ في صباه صنمًا لجده ابي امه فكسره والقاه في الطريق بين الجيف روى لما اراد ت
ام يوسف راحيل ان ترحل من حران مع يعقوب الى فلسطين والاردن امرت يوسف ان يذهب
ويأخذ جونة خابية مطلية بالقار وفيها اصنام لابيها من ذهب فيأتيها لكي اذا بعدها ابوها اسلم
فاطلق يوسف فاخذها وجاء بها الى امه وقيل كان لابرهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده
فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنة اسحق وكانت اكبر ولد اسحق وكانت راحيل ام يوسف قد مات
فحضنته عمته بنت اسحق ليوسف واحبته حبًا شديدًا فما نت لا تصبر عنه فلما ترعرع وقعت
محبة يعقوب عليه فاراد ان ينتزعه منها فقال يعقوب باختاه سلمي يوسف الي فوالله لا استطيع
ان يغيب عني ساعة فقالت لا فقال يعقوب ما انا بتاركه قالت فدعه عندي انا ما انظر اليه
لعل دلك سليني عنه فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه
ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فالتمست فلم توجد فقالت اكشفوا اهل البيت
فكشفوهم فوجدوها محزومة على يوسف فقالت والله انه لي لسلم افعل به ما شيت وتاها يعقوب
فاخبرته بالخبر وقال لها ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما استطيع غير ذلك فخلاه يعقوب عندها الى
ان ماتت وقيل دخل كنيسة فاخذ مما لا صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل
عناق او دجاجة فاعطاها السايل وقيل سال سايل يومًا فسرق بيضة من البيت فناولها السايل
وقيل كان يسوا يعقوب على طعام اذا نظر يوسف الى عرق فخباه فغمزوه بذلك وقيل كان يحبا الطعام
من المايدة للفقراء وهذا الذي قال اخوة يوسف ان سرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها فاضمرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم اضمار على شريطة التفسير بقوله انتم شر مكانًا والله اعلم بما تصفون لان الضمير لان قوله
انتم شر مكانًا جملة او كلمة على تسميتهم الطايفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي
هي قوله انتم شر مكانًا والمعنى قال يوسف في نفسه انتم شر مكانًا بدل من اسرها ومعنى قوله انتم شر
مكانًا انتم شر منزلة عند الله مني وميتموه بالسرقة في صنعكم بيوسف وقيل انتم شر منزلة في السرق
لانكم سارقون بالصحبة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا اخي سرقة
وليس الامر كما تصفون قيل كان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال اما والملك والله
لسرقنا او لاصحن صيحة لا تبقي امراة حامل الا القت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده روبيل
فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم مسه الاخر ذهب غضبه وقال يوسف لابن
له صغير تعال له اقرا يتم بالقبطية ثم الى جنب روبيل فمسه فقام الغلام الى جنب روبيل فمسه فذهب
غضبه فقال روبيل لقد مسني يد ابني يعقوب فقال يوسف لما يعقوب روبيل وقال والله ما هذا الملك
لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن ذبيح الله ابن خليل الله فانت ان كنت صادقًا قوله تعالى

قالوا

قالوا يا ايها العزيز ان له ابًا شيخًا كبيرًا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين لما
حبس يوسف اخاه بنيامين ورأى اخوته انه لا سبيل لهم الى تخليصه منه استعطفوا اباهم
باذكاره اياهم حق ابيهم يعقوب قالوا يا ايها العزيز ان له ابًا شيخًا كبيرًا لسن كبيرا لقدر وان بنيامين
احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدًا له قد هلك وانه مستانس باخيه بنيامين فخذ احدنا
مكانه بدلا منه على طريق الاسترهان والاستعباد انا نراك من المحسنين الى الناس كافة والينا
خاصة فاتمم احسانك الى من عادتك للاحسان فاجر على جمل عادتك ولا تغيرها قوله
تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذًا لظالمون
قال يوسف معاذ الله اي نعوذ بالله معاذًا من ان ناخذ حذف الفعل واضيف المصدر
الى المفعول به وحذف من واو اجواب لهم وجزاء الا بمعنى ان اخذنا بدله ظلما اي لانا خذ
احدًا الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اخذنا احدًا مكانه اذا كنا ظالمين فانه وحب
على مقتضى فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا احدكم مكانه كان ظلما
في مذهبكم فلم تطلبون ما تعلمون انه ظلم هذا ظاهر وباطنه ان الله امرني واوحى الي ان اخذ
بنيامين واحتباسه فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما لله قوله تعالى
فلما استيئسوا منه خلصوا نجيًا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقًا من الله
ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
فلما ايس اخوة يوسف منه ان يجيبهم الى ما سالوه خلصوا نجيًا اي يئسوا وزيادة السين
والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر والسمير
بمعنى المسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيًا ومعنى المصدر اي هو السامي كما قيل النجوى بمعناه
ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذهم نجوى نزلا المصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي
كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع النجية قال اني اذا ما القوم كانوا النجيه ومعنى خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيًا ذوي نجوى او فوجًا نجيًا اي
مناجيًا لمناجاة بعضهم بعضًا وقيل انهم تخلصوا مناجيًا لاستماع بعضهم لمناجاة وافاضتهم فيه بجد
واهتمام كانهم في انفسهم صورة المناجي وحقيقته وكان سامعهم تشاورهم في تدبير امرهم على
اي صفة تذهبون وماذا يقولون لابيهم وشان اخيهم قال كبيرهم في السن وهو روبيل
وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهودا الم تعلموا يا حوتي ان اباكم
قد اخذ عليكم عهدًا من الله وهو قوله فلما اتوه موثقهم ومن قبل اخذ الموثق عليكم في بنيامين
ما فرطتم ما مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله تعالى زين الدين
محمد المدعو بن الصدر
وكفى بالله شهيدًا

وتفريطكم تقصيركم في يوسف وقع من قبل اخذ الموثق عليكم في بنيامين وقيل محل المصدر
النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا
وتفريطكم من قبل في يوسف وقيل ما موصولة على معنى ومن اخذ الموثق عليكم في يوسف
ما فرطتم اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره من قبل
او النصب على انه معطوف على مفعول الم تعلموا وقيل ما صلة زايدة يعني ومن قبل اخذ
الموثق عليكم فرطتم في يوسف قصرتم وضيعتم وقيل مبني على الضم على الغاية فلن ابرح افارق
الارض التي انا بها وهو ارض مصر حتى ياذن لي اي بالخروج منها والانصراف اليه او يحكم الله لي
بالخروج منها والمحاربة او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق **قوله تعالى**
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال كبيرهم الذي لم يبرح
ارض مصر لساير اخوته ارجعوا يا اخوتي الى ابيكم فقولوا له يا ابانا ان ابنك بنيامين سرق صواع
الملك وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من استخراج الصواع من وعايه وليس قولنا ان ابنك
سرق شهادة منا بسرقته انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل ما كانت وقيل ما كانت منا
شهادة في عمرنا على شي الا بما علمنا وقيل وما قلنا انه سرق الا بما علمنا لانه وجدت السرقة في رحله
ونحن ننظر وقيل قال لهم يعقوب ما يدري الملك ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا
ما شهدنا عند يوسف ان السارق يوخذ بسرقته الا بما علمنا من الحكم بان السارق يسترق
وما كنا عالمين بالغيب وهو انه سيسرق حين اتيناك موثقا ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا
ذلك ما ذهبنا وانما قلنا نحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل وقيل وما كنا للامر الخفي حافظين
اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر وقيل معناه لا ندري باطن امر السرقة وقيل لم نعلم
انك تصاب به كما اصبت بيوسف وعن بن عباس الغيب الليل بلغة حمير اي ما كنا نحفظه بالليل
فلعله دست في رحله بالليل وقيل ما نحفظه اذا غاب عنا واسئل القرية التي كنا فيها هي مصر
وقيل قرية بالقرب منها لانهم كانوا خرجوا من مصر اي ارسل الى اهلها وسلهم عن حقيقة الامر
واراد اهل القرية فحذف المضاف ايجازا من غير اخلال وقيل ليس هذا حذف اي وسل نفس القرية
فانه ليس بمستنكر ان تكلمك جدران القرية فانك نبي وسل العير القافلة التي كنا فيها وكان
صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعا وانا لصادقون في مقالتنا تاكيد يجري
مجرى القسم عرف الكبير الذي لم يفارق ارض مصر ان اخوته اهل تهمة عند ابيهم لما فعلوا بيوسف

ما فعلوا

ما فعلوا فامرهم ان يقولوا هذه المقالات لابيهم **قوله تعالى** قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم فرجعوا
الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم كبيرهم قال يعقوب بل سولت زينت وسهلت لكم انفسكم امرا
اردتموه والا فما ادري الملك ان السارق يوخذ بسرقته الا فتواكم وتعليمكم فامري بعد ذلك صبر
جميل او فصبر جميل اجمل واولى عسى الله ان ياتيني بهم بيوسف واخيه بنيامين واخيه المحتبس
في مصر جميعا انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم في تدبير خلقه **قوله تعالى**
وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما بلغ يعقوب
خبر بنيامين تفاقم حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف واعرض عن بنيه كراهة لما جاوا وقال
يا اسفي اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة
اي يا اسفي على يوسف والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينون عنه ويحسبون انهم يحسنون من سبا
سبا قيل قول يعقوب يا اسفا على يوسف شكوى الى الله تعالى لا من الله وقيل انه اراد به الدعا
فالمعنى ارحم اسفي والحزن من المكروه والبلا لا عيب فيه ولا ياثم اذا لم ينطق اللسان بكلام موثم
ولم يشك الى غير الله وقد روي عن الحسين انه مات اخوه فجزع جزعا شديدا فعوتب فيه فقال
ما وجدت الله عاب على يعقوب حزنه حيث قال يا اسفا على يوسف وعن سعيد بن جبير رضي الله
عنه لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم تعط الانبيا قبلهم انا لله وانا اليه راجعون
ولو اعطيها الانبيا لاعطيها يعقوب الا ترى الى قول يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع
انما قال يا اسفي على يوسف وانما تاسف يعقوب على يوسف دون اخوته وان كان المصيبة
الجديدة اشد على النفس لانه لم يقع فايت عنده موقعه ولان المصيبة فيه مع تقادم عهده
طريا ولان المصيبة في يوسف كانت قاعدة مصيبا عنده الذي يترتب عليها المصايب في
ولده فكان الاسف عليها اسفا على من لحق به وانتصب عيناه من الحزن الى حال البياض اذا
كثر الاستعبار لحقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره لبياض
بعينيه من كثرة البكا روي ان جبريل صلوات الله عليه دخل على يوسف عليه السلام فقال
يوسف عليه السلام يا جبريل هل لك من علم بيعقوب قال نعم ابيضت عيناه من الحزن
قال ما بلغ من حزن يعقوب عليه السلام على يوسف قال حزن سبعين ثكلى قال فهل له على
ذلك اجر قال اجر مية شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله
ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ اجيب بان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند

شدة الحزن ولذلك حمد صبره وضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال العين تدمع والقلب يجزع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الحزن المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم
الوجوه والصدور وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته
وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم عن البكا
وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم فهو مملو من الغيظ
على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا
شده على مليه والكظم بضم الظاء مخرج النفس اخذ باكظامه **قوله تعالى**
قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين ٥ قال بنوا
يعقوب له تالله تفتاء لا تزال تذكر يوسف لا تفتر من حبه اراد لا تنتفا حرف النفي لانه
لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله
ابرح قاعدا ومعنى لا تفتاء لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور
اخوين يقال ما فتاء يفعل قال قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعى وبالحق منها لاحق وتقطع
حتى يكون حرضا مشرفا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ومعنى الاية حتى يكون دنف الجسم
مخبول العقل واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او العشق او الهرم ومنه قول
العرجي اني امرؤ لحم بي حب فاذا بني حتى بليت فاحرضني وحتى شفني السقم ٥ والحرض مصدر
والصفة حرض يستوي في الحرض والجمع والمذكر والمونث لانه مصدر وضع موضع الصفة
يقال منه رجل حرض وامراة حرض ورجلان وامراتان حرض ورجال ونساء حرض والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف ومن العرب من يقول للرجل حارض وللمراة حارضة
او تكون من الهالكين من الميتين **قوله تعالى** قال انما اشكوا بثي وحزني
الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لما راى يعقوب غلظة
بنيه وسوء لفظهم قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله اصعب همي الذي لا صبر لصاحبه على كتمانه
فيبثه الى غيره اي ينشره ومنه بابه امره وابثه اياه الله وقيل يوسف الهم عن القلب باظهاره
بقوله بثه ما في نفسه وابثه ومعنى انما اشكوا اني لا اشكوا الى احد منكم ومن غيركم اشكوا الى
ربي الذي يملك الفرج من البلوى داعيا له وملتجيا اليه فخلوني وشكايتي وهذا مع توليه عنهم
اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب ما لي اراك

تهشمت

تهشمت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم
يوسف فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وروي ان الله اوحى اليه
انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه شيئا وان احب خلقي الي الانبيا
ثم الايتام ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما
فليفطر الليلة عند ال يعقوب واعلم من الله ما لا تعلمون عن ابن عباس انا اعلم ان رويا يوسف صادقة
واني وانتم سنسجد له وقيل اعلم ان يوسف حي وقيل اعلم من صنع الله ورحمته وحسن ظني انه
ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب قيل لما اخبر اولاده بسيرة الملك وقوله حسنت نفس يعقوب
فطمع وقال لعله يوسف وروي انه الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله وهو حي فاطلبه فلذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
اي فتعرفوا من يوسف واخيه وتطلبوا خبرهما وهو يفعل من الاجناس وهو المعرفة ومنه قالوا
لمشاعر الخمس الحواس ولا تيأسوا ولا تقنطوا من روح الله من فرج الله وتنفيسه ورحمته انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي الايمان بالله وبصفاته موجب للمومن رجاء ثوابه
من غير قنوط من رحمته عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود قال يا الهي اسمع الناس يقولون
اله ابرهيم واسحق ويعقوب فاجعلني رابعا قال الله لست هناك انما ابرهيم لم يعدل بي شيا قط
الا اختاري وان اسحق جاد لي بنفسه وان يعقوب في طول ما كان لم ييأس من روح الله
قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
٥ فخرج اخوة يوسف من عند يعقوب راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فلما دخلوا
على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي اصابنا واهلنا الشدة والجوع والهزال
من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة اي مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها
من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل دراهم ردية وقيل زيوف وقيل
بضاعة الاعراب اي الصوف والسمن والاقط وقيل الحبة الخضرا والصنوبر وقيل سويق
المقل وقيل خلق الغرائر فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض
عن رداءة البضاعة وقيل ردنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات
محظورة على الانبيا وكانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا
اراد انها كانت حلالا لهم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال تصدق علينا بما بين الثمنين الجيد

والردى ولا ينفعنا من السعر وقيل تصدق علينا باخذ متاعنا وان لم يكن من حاجتك وقيل
تصدق علينا برد اخينا والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم فلم يتمالك ان
عرفهم لنفسه ان الله يجزي المتصدقين شاهدا لذلك لذكر الله وجزايه والصدقة والعطية
التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علينا الا الله تعالى
لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني **قوله
تعالى** قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قيل لما قال اخوه يوسف
مسنا واهلنا الضر وتضرعوا غلبته نفسه فادركته الرقة وسكبت دموعه ثم باح لهم بالذي
كان يكتم قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما كريما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة
وجه القبح الذي يجب ان يعرفه التائب اي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعوا
الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا تعاتبه
وتعييرا وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب
وينفث المصدور ويشتفي المغيض المحنق ويدرك تارة الموتور ولله اخلاق الانبياء ما اوطاها
واسمحها ولله حصى قلوبهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لم يفعلوا
ما يقتضيه العلم ولم يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه انتم صبيان في حد السفه
والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة وقيل انما قال ذلك حين قرا كتاب يعقوب من يعقوب
اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل
بنا البلاء فاما جدي فشدت يداه ورجلاه فالقي في النار فجعلها الله بردا وسلاما واما امي
فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان
احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا وقالوا قد اكله الذيب
فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان
رددته والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك فان قيل ما فعلتم تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه
لابيه وامه وحقاهم به حتى كان لا يستطيع ان اكلم احدا منهم الا كلام الذليل العزيز زايدا وهم
له بانواع الاذى وقيل انهم لما اطلقوا السبهم على اخيه بسبب الصواع بالسبب وقالوا ما
راينا مثلكم يا بني راحيل كما ذكر فعاقبهم يوسف على ذلك **قوله تعالى** قالوا ءانت

يوسف

يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين قال لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه كشف عنه
الغطا ورفع الحجاب فعرفوه قالوا ائنك لانت يوسف قرا ابن كثير انك على الخبر والباقون
ائنك على الاستفهام وانما عرفوا لانهم راوا في رواية وشمايله حين كلمهم بذلك ما شعروا به
انه يوسف مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من اصل شيخ ابرهيم
لا عن اعزا مصر وعن ابن عباس قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ثم تبسم
وكان اذا تبسم كان ثناياه اللولو المنضود فلما ابصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له استفهاما
ائنك لانت يوسف وعنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قرنه
علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها تشبه الشامة البيضا
فلما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع التاج عنه فعرفوه فقالوا ائنك لانت يوسف
قال انا يوسف وهذا اخي بنيامين قد من الله علينا بان جمع بيننا بعد ما فرقتم انه من يتق الله
باداء فرايضه واجتناب معاصيه ويصبر عما حرم الله عليه وعلى الطاعات فان الله لا يضيع
اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فان قيل قد سالوه
عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم اجيب بانه كان في ذكر
اخيه بيان لما سالوه عنه **قوله تعالى** قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين قال يوسف حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم لا تعيير
ولا تعنيف ولا تانيب عليكم ولا عبث والتثريب هو الاستقصا في اللوم من الثرب وهو
شحم قد غشي الكرش والامعا رقيق ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتفريع ازالة الجلد
والفرع لانه اذا ذهب كان ذلك كان ذلك غاية النزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا
للتفريع الذي لم يمزق الاعراض ويذهب بما الوجه اليوم ظرف للتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى
الاستقرار اي لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الاثام ثم ابتدا
فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع
جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم لاستقرار التثريب عليكم او اليوم يغفر الله
لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم دعا لهم من غير مسالة
عنهم وقيل خبر والمعنى كان الله اخذكم بحقي الا ان اصفح وقد صفحت عنكم وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم فتح مكة الحمد لله الذي صدق عبده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال لقريش ماذا تظنوني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كرم وابن اخ

كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول ما قاله اخي يوسف لا تثريب عليكم
ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا
اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان
اهل مصر وان هلكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم
قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم
اجمعين لما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه
فاعطاهم قميصه وقالوا اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا نحو قولك جاء الينا
محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا ويات الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اجمعين
اي ياتيني ابي وياتيني اله جميعا قيل قميصه الذي يلبسه وقيل كان ذلك القميص من الجنة لا يمسه
دواء عاهة الاصح قيل انه القميص الذي البسه الله ابرهيم يوم طرح في النار فكساه اسحق ثم
كساه يعقوب ثم جعله يعقوب في تعويذ وعلقه في جيد يوسف ولم يعلم اخوته بذلك قيل امر
جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي روي ان يهودا
هو الحامل للقميص قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فامزجه كما احزنته وقيل حمل
يهودا القميص وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانون فرسخا **قوله
تعالى** ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
لما خرجت العير من عريش مصر متوجهة الى كنعان يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه قال ابوهم يعقوب لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان ليال فوجد يعقوب ريح يوسف وقيل مسيرة
ثلثة ايام وذلك انه هبت الريح فصفقت القميص فاحتملت الريح ريح القميص الى يعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس في من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح
يوسف لولا ان تفندون لولا ان تنسبوني الى الخرف والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار
العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفنده لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند
في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني **قوله تعالى** قالوا تالله انك
لفي ضلالك القديم ٥ قال اولاد يعقوب تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
القديم في افراط محبتك ليوسف وشغفك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم ان يوسف
قد مات **قوله تعالى** فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا

قال

قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ٥ فلما ان جاء البشير وهو المبشر برسالة
يوسف الى يعقوب وهو يهوذا بين يدي العير وجعل يعدو حتى اتى اباه وكان معه سبعة
ارغفة لم يستوف اكلها القى البشير القميص على وجه يعقوب فعاد يعقوب بصيرا بعد ما كان
اعمى وقويا بعد ما كان ضعيفا ومسرورا بعد ما كان حزينا قال يعقوب الم اقل لكم اني اعلم من عظمة
الله وجبروته وعزته وقدرته ولطفه ورحمته على اوليائه ما لا تعلمون من حيوة يوسف وبقائه
وان الله يجمع بيننا وقيل الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله
وقوله اني اعلم من الله كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك ان توقعه وتريد قوله انما اشكوا بثي وحزني
الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي ان يعقوب لما سال البشير انه ملك مصر قال ما اصنع
بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال يعقوب الان تمت النعمة **قوله تعالى**
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
قال اولاد يعقوب عند ذلك ليعقوب يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين مذنبين
اي سل الله لنا مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق يوسف انا تبنا واعترفنا بخطائنا قال يعقوب
سوف استغفر لكم ربي قيل اخر الاستغفار لهم الى وقت صلاة الليل وقيل الى وقت السحر لان الدعا
وقت الاسحار لا يحجب عن الله وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم
في صدق التوبة واخلاصها وقيل اخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشورا وقيل اراد
الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين
سنة قيل طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها عند الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم والى قول يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي وقيل قام
يعقوب الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه الى الله وقال اللهم اغفر لهم لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه ان الله تعالى قد غفر لك
ولهم اجمعين وروي ان بني يعقوب قالوا ليعقوب وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف
ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ يعقوب القبلة قائما يدعوا
وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها
الهلكة فنزل جبريل فقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وجهد مواثيقهم يعدل على النبوة ٥
قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها
ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان

بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو الحكيم العليم قال المفسرون وكان يوسف
قد بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومايتي راحلة وساله ان ياتيه باهله وولده اجمعين
فتهيا يعقوب للخروج وخرج معه جميع اهله وهم اثنان وسبعون من الذكور والاناث فلما دنا
يعقوب مصر استاذن يوسف الملك في تلقي يعقوب فاذن له وامر الملاء من اصحابه
بالخروج معه فخرج يوسف في اربعة الاف من الجند وخرج معهم اهل مصر وقيل ان الملك
خرج معهم ايضا وكان يعقوب يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يعقوب يا يهوذا
اهذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما لقيه ذهب يوسف يبداوه بالسلام فمنع من ذلك
وكان يعقوب احق بذلك منه وافضل فابتدا يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب
الاحزان وقيل ان يوسف لما التقى بيعقوب عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف
يا ابة بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال يعقوب بلى ولكني خشيت ان
دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون من الذكور
والاناث وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف فلما دخل يعقوب واهله ارض مصر على
يوسف اوى اليه اويه اي ضمهما واعتنقهما قيل ابواه ابوه وامه عن الحسن وابن اسحق امه
يحيى وعن ابن عباس والجمهور ابواه ابوه وخالته لان امه قد ماتت فتزوجها يعقوب
وجعلها احد الابوين لان الراية اي امراة الاب تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما
ان العم اب ومنه قوله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق قيل وكان دخولهم على يوسف
قبل دخولهم مصر حين استقبلهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه فضم اليه ابويه ثم قال
ادخلوا مصر وقيل دخولهم على يوسف دخولهم مصر ثم قال لهم ادخلوا مصر اي استوطنوها
ان شاء الله متعلق بامنين لانه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم ولان الناس كانوا فيما
خلا يخافون ملوك مصر فلا يدخلون الا بجوارهم اي ان الله امنين من ملوكها وقيل امنين
من القحط وقيل ان شاء الله متعلق بقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل
متعلق بقوله ادخلوا مصر لانه قال لهم حين تلاقيهم قبل دخولهم مصر وقيل ان بمعنى اذ
اي ادخلوا مصر اذ شاء الله امنين وقيل هذا على وجه التسبيح كقوله عليه السلام حين
دخل المقابر وانا بكم ان شاء الله لاحقون والى هذا المعنى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى
ليدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش ولما دخلوا مصر وجلس
يوسف في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه ورفعهما على السرير وخر ابواه

واخوته

واخوته ليوسف سجدا فان قيل كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله تعالى اجيب بانه
كان السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد
ونحوها مما جرت عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحنا
دون تعفير الجباه لكن خرورهم سجدا ياباها وعن الحسن امرهم الله بالسجود له لتاويل
الرويا كما امر الملايكة بالسجود لادم وقال يوسف يا ابت هذا تاويل روياي من قبل وهو
قوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قد جعل الله روياي حقا
ثابتا في اليقظة قيل ما بين روياه وتاويلها اربعون سنة قاله سلمان الفارسي وعبد الله
بن شداد ومقاتل وعن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وعن الحسن والفضيل بن عياض
ثمانون سنة وعن سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلثون سنة وعن قتادة خمس
وثلثون سنة وعن ابن اسحق سبعون سنة وقيل ثماني عشرة سنة وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم فان في ذكر اخراجه
تذكير اخو وحزنهم لذلك وتقليع نفوسهم وتحريك تلك الغوايل وتخبيث النفوس
وقيل اخراجه من الجب الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة هاهنا اوضح وجاء بكم من البدو
من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان
نزغ الشيطان افسد بيني وبين اخوتي واغرى واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري
يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ان ربي لطيف التدبير لما يشاء انه هو العليم بدقايق الامور
وحقايقها والسر والعلانية وبحالي وحال اخوتي الحكيم الفاعل على وجه الحكمة والصواب روي
ان يوسف اخذ بيد يعقوب فجعل يطوف به في خزانته فادخله خزاين الذهب والورق
وخزاين الحلي والحلل والثياب وخزاين السلاح وغير ذلك ثم ادخله خزانة القراطيس
فقال يعقوب يا بني ما اقل اهتمامك لابيك عندك هذه القراطيس وكنت مفارقا مني
وما كتبت الي على ثمان مراحل فما الذي صدك عن مكاتبتي قال يوسف نهاني جبريل عن ذلك
قال اوما تسله قال يوسف انت ابسط اليه مني فساله قال جبريل ان الله امرني بذلك
قال يعقوب يا جبريل افلا تسله قال نعم فمضى جبريل فسال ربه عن ذلك فقال الله قل
لعبدي يعقوب ارايت اليوم الذي قال لك بنوك ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانت
قلت اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب ولم تذكرني ذلك الوقت فهلا
خفتني في ذلك الوقت قال اهل السير اقام يعقوب عند قدومه مصر مع يوسف اربعا
وعشرين سنة في اغبط حال واهنى عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة اوصى

الى يوسف ان يحمله الى الشام حتى يدفنه عند ابيه اسحق وفعل يوسف ذلك ومضى بنفسه
ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه اربعًا وعشرين سنة روى انه نقل يعقوب في تابوت
من ساج الى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعًا مائة
وسبعًا واربعين سنة فلما جمع الله ليوسف واتم له رؤياه وكان موسعًا في تلك الدنيا ونعيمها
وعلم انه لا يدوم له طلب الملك الدايم ونعيمًا هو افضل منه فتاقت نفسه الى جنة الخلد وملك
لا يبلى فتمنى الموت وعن بن عباس وقتادة لم يتمنى الموت نبي قبله **قوله تعالى**
رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي
في الدنيا والاخرة توفني مسلمًا والحقني بالصالحين رب قد اتيتني من الملك ملك مصر
ومن للتبعيض لانه لم يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك وقيل من للبيان وعلمتني من تاويل
الاحاديث تفسير كتبك المنزلة على الانبيا وقيل تعبير الرويا ومن للتبعيض او للتبيين كالاول
فاطر السموات والارض اي خالقهما انت وليي ناصري ومعيني ومتولي تدبيري في الدنيا والاخرة
وقيل انت الذي يتولاني بالنعمة في الدارين ويوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلمًا اقبضني
على الاسلام والحقني بالصالحين ٥ الله تعالى طيبًا طاهرًا بمصر روى ان يوسف
عاش بعد ابيه ثلاثًا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني
عشرة سنة وقيل مائة وعشر سنين وقيل مائة وسبع سنين وبين يوسف وموسى اربعمائة
سنة ٥ فلما توفي الله يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل منهم يحب ان يدفن في
محلتهم لما يرجون من بركته فاجتمعوا على ذلك حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له
صندوقًا من الرخام وجعلوه فيه ودفنوه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر فيمر الماء عليه ثم
يصل الى جميع اهل مصر فيكون كلهم فيه سوا ففعلوا وولد افرايتم وميشا وولد لافرايتم نون
ولنون يوشع فتى موسى **قوله تعالى** ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف
والخطاب لرسول الله ومحله الابتدا وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبر ان ويجوز
ان يكون اسمًا موصولًا بمعنى الذي ومن انبا الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا
النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدًا
لما مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر **قوله
تعالى** وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما اكثر الناس على العموم يا محمد
ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن بن عباس اراد اهل

مكة

مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم
قوله تعالى وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وما تسالهم
على تبليغ الرسالة والدعا الى الله تعالى وقيل على القران وقيل على الانبا والهداية من اجر جعل
ومال فيثقلهم ذلك ان هو اي القران الا ذكر عظة وتذكير من الله للعالمين عامة وحث
على طلب النجاة على لسان رسول الله **قوله تعالى** وكاين من اية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون اي وكم من اية وعلامة ودلالة على توحيد الله وتعزيه وجماله
وصفات جلاله في السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والجبال
والشجر والدواب وغيرها يمرون عليها ويشاهدونها وهم عن تلك الايات معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها **قوله تعالى** وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وما يؤمن اكثر الناس في تصديقهم واقرارهم بالله وبانه خلقهم وخلق السموات والارض
الا وهم مشركون بعبادة الوثن والمشركين اكثر المفسرين على انها نزلت في الكفار لانهم مقرون
بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم امر شديد دعوا الله وقيل نزلت في تلبية المشركين وهو قولهم
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل نزلت في المنافقين
اظهروا الايمان واسروا الكفر والشرك وقيل نزلت في اهل الكتاب امنوا ببعض الانبيا وكفروا
ببعض فجمعوا بين الايمان والشرك وعن بن جرير لقول القايل لولا الله وفلان لكان كذا وقيل
تقديره وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون **قوله تعالى** افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون غاشية
نقمة تغشاهم وقيل عقوبة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب وتجللهم من الصواعق نظيره
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم عن قتادة وقيعة عن الضحاك
الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة القيمة بغتة فجاة وهم لا يشعرون باتيانها عن بن عباس
تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم **قوله تعالى** قل هذه سبيلي ادعوا الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين قل يا محمد هذه السبيل التي هي
الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي ومنهاجي وسنتي نظيره قوله تعالى ادع الى سبيل ربك
الى دينه ادعوا الى الله على بصيرة حجة واضحة غير عميا انا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني
عطف على المستتر في ادعوا اي ادعوا الى الله على بصيرة وتدعوا الى الله من اتبعني ويجوز ان يكون
انا مبتدا وعلى بصيرة خبرًا مقدمًا ومن اتبعني عطف على انا اخبار مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة
وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالة من ادعوا عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان

الله وقيل سبحان الله وما انا من المشركين مع الله غير الله **قوله تعالى**
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا لا ملائكة لانهم قالوا لو شاء الله لانزل ملائكة وعن بن عباس يريد ليست فيهم امراة
وقيل في سجاح المتنبية ولم تزل انبياء الله ذكرانا نوحي اليهم من اهل القرى اي من اهل الامصار دون
اهل البوادي لان اهل الامصار اعقل وافضل واعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اخر الامر الامم المكذبة من قبلهم فيعتبروا
ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا ان ينجيهم من ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
او تاتيهم الساعة بغتة وما في الدار الاخرة لهم خير افلا يعقلون فيعترفوا انها خير فيتوسلوا بالايمان
اليها وقيل تقرؤا القران فتعرفوا كيف كان حال من كذب الرسل قبلهم يحذر امة محمد صلى الله عليه وسلم
من تكذيبه بما وقع بمن كذب الرسل قبلهم ويحرضهم على السير في الارض والنظر الى مصارع من اهلكوا قبلهم
وافاد دخول الفاء في فينظروا ان ما قبله يقتضي ما بعده قرا نافع وابن عامر وحفص يعقلون بالتاء
والباقون بالياء **قوله تعالى** حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام
كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل من النصر او من ايمان
قومهم وانقطع رجاؤهم من صلاح القوم وايمانهم فظنوا انهم قد كذبوا قرا عاصم وحمزة كذبوا بتخفيف
الذال والمعنى ظن الرسل ان قومهم كذبوهم فيما وعدوهم من الاجابة الى الايمان وقيل وظن المرسل
اليهم ان الرسل كذبوهم في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقيل وظن الرسل انهم قد كذبوا اي
كذبهم رجاؤهم كقولهم رجاء كاذب ورجاء صادق والمعنى ان مدة رجاء التكذيب والعداوة من الكفار
وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعر الرسل القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا وعن بن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر وقال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
قال صاحب الكشاف فان صح هذا النقل عن بن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس
في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال الرسل الذين هم اعرف الناس بربهم
وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقرا الباقون كذبوا بالتشديد على معنى وظن الرسل
انهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم جاءهم نصرنا من غير احتساب الانبيا

والمومنين

والمومنين فنجي من نشاء عند نزول العذاب وهم المومنون المطيعون قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي فننجي بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة وابن عامر وابو بكر
وحفص عن عاصم فنجي مشددة النون مفتوحة الياء بنون واحدة على الماضي المجهول اي المومنين نجوا
عند نزول العذاب ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين عن الشرك اي واهلكنا الكاذبين حيث
لا راد لعذابنا عنهم اذا نزل بهم **قوله تعالى** لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة
لقوم يومنون لقد كان في قصص الرسل الذين استيأسوا وقيل في قصص يوسف واخوته
عبرة عظة يعبر بها من الجهل الى العلم لاولي الالباب لاصحاب العقول السليمة عن وساوس
الشيطان واتباع الهوى وما وجد عليه الاباء ما كان قصصهم او القران حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية المنزلة
على الانبياء صلوات الرحمن وسلامه عليهم ولكن تفصيل
كل شيء يحتاج اليه من امور الدين لانه هو الاصل
الذي يستند اليه السنة والاجماع
والقياس وهدى ورحمة لقوم يومنون
بما جاء به سيد المرسلين
وخاتم النبيين
صلى الله عليه
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم

سورة الرعد مكيّه

وقيل الا ايتين منها قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الى اخر الايه وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وقيل انها مدنية وعن ابن عباس انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخرهما وقيل المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهي ثلثة الاف وخمس مايه وسته احرف وثمان مايه وخمس وخمسون كلمة وثلثة واربعون ايه بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى المر عن ابن عباس انا الله اعلم واري وعنه انا الله اري وعنه انا الله الملك الرحمن

قوله تعالى تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون تلك اشاوة الى ايات السوره الكاملة العجيبه في بابها وقيل تلك الاخبار التي قصصناها عليك ايات التورية والانجيل والكتب المتقدمة فكون تلك اشارة الى ما مضى من ذكر الاخبار والقصص التي انزلت والذي رفع بالابتدا انزل اليك من ربك صلته الحق خبره والمعنى والذي انزل اليك من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لاهذه السورة وحدها ولما ذكر تعالى ان الذي انزل اليك من ربك الحق بين ان اكثر الناس لا يومنون على سبيل الزجر والتهديد عن مقاتل نزلت هذه الاية في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا يقول القران من تلقاء نفسه

قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ثم بين دلايل ربوبيته وشواهد قدرته فقال الله الذي الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون الذي صفة وقيل يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصر قول من قال ان الذي صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر لان الكلام السابق في ذكر ايات الكتاب ووصفها بالكتاب يجي بعوله الله الذي رفع السموات بيانا لكون ايات الكتاب على غاية الكمال وفي ذكر الموصول المشتمل على تلك الاوصاف العظام اشعار وتعظيم لخبر الذي هو التدبير والتفصيل رفع السموات صلة الذي بغير عمد حال والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وقيل جمع عمود والعماد والعمود سارية ودعامة وما يعمد به البناء ترونها كلام مستانف استشهاد برويتهم للسموات بغير عمد قيل ما الذي يستشهد به لرفع السموات بغير عمد اجيب برؤيتكم لها غير محدودة وقيل ترونها صفة لعمد اي بغير عمد مرئية والمعنى للسموات عمد ولكنكم لا ترونها لان السموات مرفوعة بقدرة الله فيكون عمدها قدرة الله فصح ان يقال رفع السموات بغير عمد ترونها اي لها عمد في الحقيقة ولكن تلك العمد

كل يجري لاجل مسمى م

هي قدرة الله وانتم لا ترونها ولا تعرفون كيفية رفعها بالقدرة ثم استوى على العرش بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ والمعنى انه من فوق العرش الى ما تحت الثرى حفظه وفي تدبيره وفي الاحتياج اليه وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده كل يجري لاجل مسمى اي كل واحد من الشمس والقمر يجري الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس وتخسف القمر وتنكدر النجوم عن ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان اليها لا يتجاوزانها يدبر امر الكل ويربوبيته بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة والاغنا والافتقار ويدخل فيه انزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب على كمال القدرة والرحمة لان هذا العالم من اعلى العرش الى ما تحت الثرى محتو على اجناس وانواع واصناف واشخاص لا يحيط بها الا الله تعالى والدليل دال على ان اختصاص كل موضع وموضع وصفة وطبيعة وخلقة ليس الا بقدرة الله ولا يخفى ان من اشتغل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء اخر فانه يشغله شان عن شان والعاقل اذا تامل في امر السموات والارض عرف انه تعالى مدبر عالم الغيب والشهادة والملك والملكوت والخلق والامر والاجسام والارواح والكبير والصغير على ما يليق بكل منها على وجه الصواب ولا يشغله شان عن شان ولا عنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته متعال عن مشابهة المحدثات واحد احد صمد ليس له كفو ويفصل الايات الدالة على وحدانيته وكمال علمه وقدرته وانه قادر على الاحيا بعد الاماتة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا وتوقنوا بلقاء ربكم وتصدقوا بالبعث والنشور

قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لما ذكر الدلايل السماوية اردفها بذكر الدلايل الارضية وهو الذي مد الارض جعل الارض ممتدة مختصة بذلك المقدار المعين لا تزيد ولا تنقص وقيل المد البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله وهو الذي مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لا يقع البصر على منتهاه فانه لو كان الارض اصغر حجما مما هو الان عليه لامكن الانتفاع به ومد الارض لا ينافي كونها كرة لان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت كبيرة كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح وجعل فيها رواسي اي جبالا رواسي ثوابت واحدها راسية اي ثابتة ناقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها يقال منه رسيت السفينة ورسيت الوتد في الارض اذا اثبتهما وانهارا ومن كل الثمرات اي وجعل فيها انهارا ومن كل الثمرات جعل في الارض زوجين زوجين حيث مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت والزوج يكون واحدا واثنين والزوج ههنا واحد وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يغشى بالتشديد وفتح الغين والباقون بالتخفيف ثم ان تعالى لما ذكر الدلايل النيرة والبراهين الباهرة قال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قال الامام انه تعالى في اكثر الامر حيث ذكر الدلايل الموجودة في العالم السفلي يحمل مقطعها ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون او ما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه ان الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية فما لم تقم الدلالة على وفق هذا السوال

لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون كانه يقول مجال الفكر باق بعد ولا بد بعد
هذا المقام من التفكر ليتم الاحتجاج واعلم ان الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول ان نقول هب انكم
اسندتم حوادث العالم السفلي الى الاحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية الا انا اقمنا الدلايل القاطعة
على ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية بطبعه وصفته وخاصته لا بد وان يكون بتخصيص المقدر القديم
والمدبر الحكيم فقد سقط هذا السوال وهذا الجواب قرره الله تعالى في هذا المقام لانه تعالى ابتدا بذكر الدلايل
السماوية وقد بينا انها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه تعالى اتبعها بالدلايل الارضية فلو قال قايل لم لا يجوز
ان تكون هذه الحوادث الارضية لاجل الاحوال الفلكية كان حق لنا ان نقول هب ان الامر كذلك الا انا دللنا
فيما تقدم على افتقار الاجرام الفلكية الى الصانع الحكيم فحينئذ لا يكون هذا السوال قادحا في غرضنا والوجه
الثاني من الجواب ان نقيم الدلالة على انه لا يجوز ان تكون حدوث الحوادث السفلية لاجل الاتصالات
الفلكية وذلك هو المذكور في الاية التي تاتي بعد هذه الاية ومن تامل في هذه اللطائف ووقف في الوقوف
عليها علم ان هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والاخرين **قوله تعالى** وفي الارض قطع
متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون المقصود من هذه الاية اقامة الدلالة على انه
لا يجوز ان تكون حدوث الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وتقريره
من وجهين احدهما انه في الارض قطع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريهة
الى زهيدة قليل الخير وصلبة الى رخوة وصالحة الزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا
في جنس الارضية فدل هذا على ان هذه الاختلافات بتقدير الاله القدير العليم الحكيم وارادته وثانيها
ان جنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان رفعها ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم عطفا على جنات وكسرها
الباقون عطفا على الاعناب والصنوان جمع صنو وهن النخلات جمعهن اصل واحد فيكون الاصل واحدا
ويتشعب منه الرؤس نخيلا صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق والصنو المثل ومنه قيل عم الرجل صنو ابيه
ولا فرق بينهما في التثنية والجمع الا بكسر النون فيها وفتحها فيه مع التنوين تسقى بماء واحد قرا عاصم وبن عامر
بالياء على معنى يسقى ذلك كله بماء واحد والباقون بالتاء لقوله جنات ثم ان تلك النار تراها متغايرة في الاشكال
والالوان والطعوم والروايح متفاضلة فيها حتى انك تاخذ عنقودا من العنب فيكون جميع حباته حلوة نضيجة
الا الحبة الواحدة فانها بقيت حامضة يابسة فتكون دالة على انها باختيار فاعل مختار قادر عليم حكيم لا بسبب
الاتصالات الفلكية والطبايع العنصرية فان نسبة الطبايع والاتصالات الى الكل على السوا قرا حمزة والكسائي
يفضل بالتاء ردا على قوله يدبر ويفصل ويغشى والباقون بالنون بمعنى ونحن نفضل بعضها على بعض في الاكل في
التمر الذي يوكل وقيل الاكل المهيا للاكل وهو عام في جميع المطعومات قرا ابن كثير ونافع ساكنة الكاف في جميع القران

والباقون

والباقون بضمها **قوله تعالى** وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وان تعجب يا محمد
في قولهم من انكار البعث والنشور فقولهم عجب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على خلق ما عدد علمك من القطر
العظيمة ولم يعي بخلقهن كان الاعادة اهون شي عليه وايسره كان انكارهم عجب ءاذا كنا ترابا يجوز ان يكون
في محل الرفع على ان يكون بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد
والتقدير ءاذا كنا ترابا نبعث وحذف نبعث لان قوله لفي خلق جديد يدل عليه وعن بن عباس وان تعجب من تكذيبهم
اياك بعد ما كانوا حكموا بانك من الصادقين فهذا اعجب وقيل معناه وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا
ولا ضرا بعد ما عرفوا الدلايل الدالة على التوحيد فهذا اعجب اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون
في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو ما يجمع اليمين والعنق في القيد للتعذيب قيل انها
اغلال يوم القيمة وقيل انها الاعمال التي هي الاغلال يوم القيمة وقيل وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد وقيل هو من جملة الوعيد **قوله تعالى** ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد
العقاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيمة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما
هددهم بعذاب القيمة انكروا القيمة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم في الاولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا
قالوا له مجيبا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على سبيل الطعن فيه واظهار ان الذي يقوله كلام
لا اصل فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم يستعجلونك وقيل انها نزلت في كفار مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ياتيهم العذاب استهزاء منهم بذلك قاله بن عباس وعن عبادة في مشركي العرب وعن مقاتل في النضر بن
الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك اي ويستعجلونك يا محمد بالسيئة بالعذاب قبل الحسنة قبل
العافية وعن قتادة بالشر قبل الخير وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات على امثالهم من الامم الذين
عصوا ربهم وكذبوا رسلهم فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلات واحدتها مثلة بفتح الميم وضم الثاء
نحو صدقة وصدقات والمثلات بضم الميم والثاء جميعا واحدتها مثلة بضم الميم وسكون الثاء مثل غرفة
وغرفات وسمي العقوبة مثلة ومثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة فاعتدوا بمثل ما اعتدى وجزاء
سيئة سيئة يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين انفسهم عن ابن عباس لذو تجاوز عن المشركين
اذا امنوا وانه لشديد العقاب للمصرين على الشرك وعن مقاتل لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب وانه
لشديد العقاب اذا عذب وقيل لذو مغفرة للناس على ظلمهم ما لم يكن شركا وقيل على ظلمهم بالتوبة منه وقيل
على ظلمهم على الصغاير **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر

ولكل قوم هادٍ يجدّدوا بالايات المنزلة عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عناداً ولم يعدوها معجزة واقترحوا
نحو ايات موسى من انقلاب العصى حية وضرب الطريق في البحر يبساً وعيسى من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر مخوف لهم من سوء العاقبة ليس عليك الا ابلاغ
الرسالة وانكار الكفار وصحة ذلك تابتة باية اية كانت والايات كلها سوآء في صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها
ولكل قوم هاد يهديهم الى الصراط المستقيم ويدعوهم الى الدين قيل ولكل قوم هاد من الانبيآء يهديهم الى الدين
ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية حضر بها ولم يجعل الانبيآء شرعاً واحداً في ايات مخصوصة وقيل لكل قوم
هادٍ هو الله والمعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك
الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقاد وعليه ولكل قوم هادٍ قادر على هداهم بالايمان
وهو الله ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتدبيره للاشيآء على مقتضى مشيته ان اعطاه كل مندر ايات
خلاف امر مدبر بالعلم الناقد مقدر بالحكمة الربانية والمشية الالهية ولو اراد اجابتهم الى معجوهم لاجابهم
يفعل الله ما يشآء ويحكم ما يريد **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد
وكل شي عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سوآء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار قيل لما حكى الله عن المشركين انهم طلبوا ايات اخر غير ما اتى بها الرسول
صلى الله عليه وسلم بين الله تعالى عالم بجميع المعلومات معلوم من حالهم انهم طلبوا الاية الاخرى للاسترشاد
او طلب الزيادة او لاجل التعنت والعناد وهل ينتفعون بظهور تلك الايات او يزدادوا اصراراً واستكباراً
فلو علم تعالى انهم طلبوا الاسترشاد ومن يدٍ الفايدة لاظهر الله تعالى وما منعهم عنه لكنه تعالى لما علم انهم
لم يقولوا ذلك الا لاجل محض العناد لا جرم انه تعالى منعهم عما اعطاها وهو كقوله ويقولون لولا انزل عليه اية
من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا وقيل متصل بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والمعنى انه عالم
بجميع المعلومات فهو تعالى انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم ويريد الله يعلم يحتمل ان يكون كلاماً مستانفاً الله مبتدا
ويعلم خبره وعلى تقدير ان يكون هادٍ هو الله تكون المعنى هو الله تفسيراً للهادٍ ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل
انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى الله يعلم ما تحمله
من الولد اهو ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمنتظرة
ويعلم ما تغيضه الارحام اى تنقصه والغيض النقصان يقال غاض الماء وغضته اما لازماً ومتعدياً ومنه
قوله وغيض الماء والمراد بالنقصان السقط والخدج وما تزداد الارحام اى ناخذه زايداً نقول اخذت منه
حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعاً وتقول زدته فزاد بنفسه وازداد وقيل اراد نقصان
مدة الحمل فتاتي لستة اشهر وازيد اذ مدة الحمل فانها قد تكون ازيد على تسعة اشهر الى ستين عند ابي حنيفة
رضي الله عنه والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حبان بقي في بطن

امه اربع سنين ولذلك سمي هرماً ومنه الدم يقل ويكثر هرماً ومما ينقصه الرحم ويزداد عدد الولد فانه يشتمل
على واحد وقد يشتمل على اثنين وثلاثة واربعة وهي اذ شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد
فانه يكون تاماً ومخرجاً وقيل كلما حاضت يوماً على حملها ازدادت في يومها طهرها يوماً حتى يستكمل تسعة اشهر
طهراً ومعنى حاضت على حملها دات دماً واذ كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها
لا يخفى عليه شي من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام
وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين وكل شي عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد بالعندية العلم والمعنى انه تعالى يعلم
كميه كل شي وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع التعبير عن تلك المعلومات ويحتمل ان يكون المراد بالعندية
انه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيته الازلية وارادته السرمدية وقوله وان من شي الا
عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم يقاربه وقيل بعقاب وبقدر وحده لا يحاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى
انا كل شي خلقناه بقدر ثم قال عالم الغيب والشهادة اى ما غاب عن خلقه وما شهد فالغيب مصدر اريد به
الغايب والشهادة مصدر اريد به الشاهد الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعالي المستعلي على كل شي
بقدرته والذي تعالى عن مشابهته المخلوقات في ذاته وصفاته وافعاله او المتعالي عما يقول المشركون قرا ابن كثير
المتعالي باثبات الياء في الوقف والوصل والباقون بحذف الياء في الحالين ثم انه تعالى اكد كونه عالما بكل المعلومات
فقال سوآء منكم من اسر القول ومن جهر به لفظة سوآء تقتضي اثنين وهو مصدر والمعنى ذو استوآء وقيل سوآء
بمعنى مستوٍ فلا حاجة الى الاضمار ولكن سيبويه استقبح ان يقول مستو زيد وعمرو والمعنى ذو استواء منكم او مستو
منكم من اسر القول اى اخفاه وكتمه ومن جهر به اى اعلنه واظهره والمعنى ان السر والجهر في علمه سوآء ومن هو
مستخف بالليل اى مستتر اي مستقر متوار في ظلمة الليل وسارب بالنهار اى ظاهر متصرف في حوايجه بالنهار
والمعنى سوآء عنده من استخفى اى طلب الخفاء في محاق بالليل في ظلمته ومن يضطرب في طاهراً بالنهار بنصرة
كل احدٍ وسارب عطف على من هو مستخف بل على مستخف يلزم ان يساوي الاستواء احداً هو مستخف
وسارب فلا يصح اللهم الا ان يجعل في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فيصح سارب على
مستخف كانه قيل سواء منكم اثبات مستخف بالليل وسارب بالنهار **قوله تعالى** له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم
سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال له اى لله عز وجل معقبات اى ملائكة يتعاقبون بالليل
والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل اعقبتها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار اعقبتها
ملائكة الليل والمعقبات جمع معقبة هي على فعله للمبالغة وهم الحفظة الكرام البررة على كل انسان ملكان
بالليل وملكان بالنهار وقيل عشرة بالليل وعشرة بالنهار وقيل معقبات جماعات من الملائكة يعتقب
في حفظ الانسان وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التآء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون

ويجوز ان تكون مفعّلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما قال فقاه لان بعضهم يعقب بعضًا او لانهم يعقبون
ما يتكلم به فيكتبونه وقيل الضمير فيه مردود على من كانه قيل لمن اسرّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب وعن
ابن عباس هم الحرس والرجال يتعاقبون على الامراء من بين يديه ومن خلفه من قدامه ووراءه يحفظونه من امر الله
هما صفتان جميعًا وليس من امر الله بصلة ليحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل
امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا ادنت بدعائهم له ومسئلتهم
ربهم اذ يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والحلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقدير من امر الله اى من قضاياه ونوازله او على التهكم به
وقيل الضمير فى له يعود الى النبى صلى الله عليه وسلم اى لمحمد صلى الله عليه وسلم له معقبات من الله يحفظونه
عن الاعداء ودلك حين هم به اربد وعامر كفاهما الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا
ما بانفسهم من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضًا واذا اراد الله بقوم سوءًا عذابًا وهلاكًا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال يتجاوز اليه وقيل من وال ممن يلى امرهم ويمنع العذاب عنهم **قوله تعالى**
هو الذى يريكم البرق خوفًا وطمعًا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال لما خوف الله العباد بانزال الامر له اتبعه
بذكر هذه الايات الدالة على قدرة الله وحكمته وهى تشبه النفع والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب
والقهر من بعض الوجوه هو الذى يريكم البرق خوفًا للمسافر يخاف اذاه ومشقته وطمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته
وقيل خوفًا من الصواعق وطمعًا فى الغيث وقيل خوفًا للبلد الذى يخاف ضرر المطر وطمعًا لمن يرجو الانتفاع به
وقيل خوفًا من العقاب وطمعًا للثواب خوفًا وطمعًا لا يصح ان يكون مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل
المعلل نعم او قدر حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعًا يصحان ان يكونا مفعولًا لهما ويجوز
ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه فى نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع ويجوز ان يكونا منتصبين
على الحال من المخاطبين اى خائفين وطامعين وينشئ ويبدى ويثير السحاب قيل هى اسم الجنس الواحدة سحابة
والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقول امراة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء وسبح
الرعد بحمده قيل معناه ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للطر حامدين له اى يصيحون بسبحان الله والحمد لله
وعن النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود
سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وقيل الرعد الصوت المسموع وانما خص الرعد بالتسبيح لانه
من اعظم الاصوات واخبر عن الصوت بالتسبيح مجازا لدلالته على التسبيح والتقديس ليس الا وجود لفظ دال على
انه تعالى مقدس ومنزه عن النقص والحدوث والامكان ولا يخفى ان حدوث هذا العالم على وجود موجود متعال

عن النقص

عن النقص والحدوث والامكان فكون ما التسبيح وهذا معنى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم ومن طائفة من الملتصوفة ان الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم
والملائكة من خيفته اى ويسبح الملائكة من خوف الله وهيبته واجلاله عن ابن عباس يخافون الله وليس كخوف بن
ادم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشتغل عن عبادة الله شئ وقيل من خيفة الرعد ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء كما اصاب اربد بن ربيعة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث رجلا الى رجل من طواغيت العرب ليدعوه الى الله عز وجل ورسوله فقال له اخبرنى عن رب محمد هذا الذى
تدعونى اليه ما هو وما هو من ذهب او من فضة او من حديد او من نحاس فاستعظم المبعوث مقالته وانصرف
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما رايت اكفر قلبا ولا اعتى عن الله منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارجع اليه فرجع اليه فجعل اربد على مثل مقالته الاولى واجبث فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارجع اليه فرجع اليه فبينا هو عنده ينازعه ويدعوه ويعظم عليه وهو يقول هذه المقالة اذ انتفعت
سحابة كانت فوق رؤسهما فرعدت وبرقت فرمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهو جالس فجاء ليخبى
النبى صلى الله عليه وسلم فاستقبله قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له احترق صاحبك
قال من اين علم قال فاوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم الساعة وهم يجادلون ذكر الله تعالى علمه المحيط بكل شئ واستوا
من هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار عنده وما دل على وحدانيته وقدرته ثم قال وهم اى الذين كفروا
وكذبوا رسول الله وانكروا اياته يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث
واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه ممن
يولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل نزلت فى اربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل قاصدين لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصمه الله منهما وقيل نزلت فى عامر بن الطفيل وحده وقيل نزلت فى اربد وحده وقيل نزلت فى جبار من
الجبابرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله فارسل الله عليه صاعقة فاحرقته وقيل نزلت فى ملك من ملوك
العرب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اخبرنى عن ربك اهو من ذهب او من فضة او من حديد او من نحاس فاسمع
صوت الرعد فاخذته الصاعقة فمات وقيل نزلت فى رجل من اهل الكتاب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنى عن ربك اهو من نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال شديد القوة وقيل شديد الغضب
وقيل شديد الاخذ وقيل شديد الانتقام وقيل شديد العداوة وقيل شديد الاهلاك بالمحال اى التحط
وقيل شديد العقوبة والمحال المماحلة وهى شدة المكر والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا
وقال الاعشى فرع سع بهشر فى عصن المجد عوذا لذى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
يا تيهم بالهلاكة من حيث لا يحتسبون **قوله تعالى** له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال

له اى لله دعوة الحق قيل انها كلمة التوحيد اى لا اله الا الله فاضيف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل
كما يضاف الكلمة الى الحق فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها معزل عن الباطل
وقيل اضيف الدعوة الى الحق الذى هو الله سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع ويجيب وعن الحسن
الحق هو الله وكل دعاء الى الله دعوة الحق والذين اى المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونهم من دون الله
لا يستجيبون لهم بشئ لا يحسبون لهم بشئ يريدونه من الاصنام من دفع او دفع الا استجابة كاستجابة
باسط كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه ولذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع
اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لالهتهم لمن اراد ان يغرف الماء ببيديه
ليشرب به فيبسطهما تاشرا باصابعه فلم يلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شئ وما دعاء الكافرين الا
فى متاع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لان اصواتهم لا تجوبة عن الله وان دعوا الا الله لم يستطع
اجابتهم **قوله تعالى** ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
ولله يسجد قيل المراد بالسجود وضع الجبهة على الارض ففيه وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا
ان المراد به الخصوص وهو المؤمنون فبعض المؤمنين يسجد لله طوعا بسهولة ونشاط ومن المسلمين من يسجد
لله كرها بصعوبة ذلك عليه مع انه يحمل نفسه على اداء تلك الطاعة كرها وثانيهما ان المراد منه العموم والمعنى
يجب على كل من فى السموات والارض ان يسجد والله فيعرى عن الوجوب بالوقوع وقيل طوعا اى الملائكة والمؤمنين وكرها
اى المنافقين والمؤمنين وكرها اى المنافقين والكافرين اكرهوا على السجود بالسيف وقيل المراد بالسجود الانقياد
والخضوع اى ولله ينقاد من فى السموات والارض لاحداث ما اراده فيهم من ايجاده وافعاله شاؤا او ابوا لا يقدرون
ان يمتنعوا عليه لان تاثيره نافذ فيهم فى طرفى الوجود والعدم وذلك هو السجود بمعنى الانقياد والخضوع و
قيل المراد بقوله طوعا او كرها ان الحوادث منها ما يميل الطبع الى حصوله ومنها ما ينفر الطبع عنه كالمزون
والفقر العمى والمرض وجميع المكروهات والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه ولا قدرة لاحد على الامتناع
والمدافعة وظلالهم عن ابن عباس ظلال الساجدين طوعا او كرها يسجد لله حيث بقى ظل احدهم عن يمينه او شماله
عن الكلبى اذا سجد بالغدو والعشى سجد معه ظله وعن مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل
الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقيل المراد من سجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب وطولها بسبب
انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها فهى متعادة متسلمة فى طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب
وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال تطول فى هذين الوقتين وقيل الغدو مصدر وقيل جمع
غداة كفتى وفتاة والاصال جمع اصيل واصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى المغرب وقيل ظلالهم اشخاصهم
وكرر لان الاول للقلوب والثانى للاشخاص **قوله تعالى** قل من رب السموات والارض قل افاتخذتم

من دونه

من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات
والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار لما بين انه
لله يسجد من فى السموات والارض عاد الى الرد على عبدة الاصنام قل يا محمد للمشركين من رب السموات والارض
استفهام تقرير واستنطاق فانهم يقولون الله فان قالوها قل الله اى هو الله كما قلتم قيل فان اجابوك والا
قل الله اذ لا جواب غير هذا قيل لما كان هذا الجواب جوابا يقر به المسؤل ولا ينكره امر عليه السلام ان يكون
هو الذاكر لهذا الجواب تنبيها على انهم لا ينكرونه البتة قال صاحب الكشاف قل الله حكاية لاعترافهم
وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول
المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه
ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اى ان كفوا عن الجواب فلقنهم فانهم
يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه ثم قل لهم الزاما للحجة افاتخذتم بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم
من دونه اولياء اى الاصنام فعبدتموها من دون الله فجعلتم ما يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم
واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعون لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق الضار النافع المثيب
المعاقب فما ابين ضلالتكم ثم ضرب الله لهم مثلا فقال هل يستوى الاعمى والبصير اى الجاهل بهذه الحجة كالاعمى
والعالم بها كالبصير والجهل بهذه الحجة كالظلمات والعلم بها كالنور وكما ان كل احد يعلم بالضرورة انه لا يستوى
الاعمى والبصير لا يستوى الظلمات والنور وكذلك كل احد يعلم بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة الكافر لا يستوى
العالم بها المومن قرا حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم تستوى الظلمات بالتاء والباقون بالياء ثم اكد هذا
البيان فقال ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار شركاء خلقوا صفة لشركاء اى انهم لم يتخذوا لله
شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قد رها ولا بد على الخلق
كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فسجدهم له شركاء الخالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله ونصدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر
عليه الحق الخالق قل الله خالق كل شئ اى متى لا خالق غيره ومحال ان يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك
فى العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار الغالب وكل شئ مربوب مقهور **قوله تعالى**
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء
حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس
فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم
ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد

افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب لما شبه المومن والكافر
والايمان والكفر بالاعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للحق والباطل مثلين فقال انزل من السماء ماء مثل
الحق واهله بالماء الذى انزله من السماء فسالت به اودية الناس بقدرها الكبير بقدره والصغير بقدره
فاحتمل رفع السيل الذى احدث عن ذلك زبدا رابيا عاليا مرتفعا فوق الماء فالماء الباقى الصافى النافع هو
الحق والذاهب الزايل الباطل الذى يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية هو الباطل قيل اجمع المفسرون
على ان هذا مثل ضربه الله للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء هو مثل القرآن لما فيه من حيوة القلوب
وبقاء الشرع والدين والاودية بقدر ما على سعة القلب وضيقه فمنها ما ينفع به فحفظه ووعاه فتدبر فيه مثل القلوب ومعنى
فظهرت ثمرته وادرك تاويله ومعناه مثل القلوب ومعنى ومنها ما دونه ذلك بطبقة ومنها ما دونه بطبقات
والزبد مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله ورد فعرهم اياه فهذا احد مثلى الحق والباطل والاودية
جمع واد قال ابو على الفارسى لا نعلم فاعلا جمع على افعلة ويشبه ان يكون ذلك لتعاقب فاعل وفعيل على الشى
الواحد كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير ثم ان فاعلا يجمع على افعال كصاحب واصحاب وطاير
واطيار وفعيلا يجمع على افعلة كجريب واجربة ولما كانت المناسبة حاصلة بين فاعل وفعيل جمع الفاعل جمع
فعيل فقيل وادٍ واودية وجمع المعل جمع فاعل فقيل شريف واشراف ويتيم وايتام وقيل نظير وادٍ واوديه
نادٍ وانديه والوادى هو الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذى يجرى فيه السيل فقوله سالت اودية اى
سالت مياه الاودية ومن حق الماء ان يستقر فى الاودية المنخفضة عن الجبال والتلال بمقدار سعة تلك
وضيقها واذا زاد على قدر الاودية انبسط على الارض ومن حق الزبد الذى يحتمله الماء فيطفو ويعلو عليه
ان سلط عليه فانزل الله من سماء الكبرياء والجلال ما بيان القرآن والاودية قلوب العباد شبهها بها لان
القلوب تستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد
يحصل فيه من المياه النازلة من السماء بقدر سعته اوضيقه كذلك كل قلب يحصل فيه من انوار علوم القرآن
ما يحتمله ويليق به بحسب طهارته وقوة فهمه وكما ان الماء يعلوه زبد يزول ويضمحل ويبقى الماء الصافى كذلك انوار
علم القرآن يقارنها زبد الشكوك والشبهات ثم انها تضمحل وتزول وتضمحل ويبقى العلم والدين والحكمة والمكاشفة
فهذا احد مثلى الحق والباطل والمثل الآخر قوله تعالى ومما توقدون قرأ حمزة والكسائى وحفص بوقدون بالياء
والباقون بالتاء والمراد بما توقدون الفلزات كالذهب والفضة والرصاص والنحاس والصفر ومعنى
توقدون عليه تلقون للحطب فى النار تحته ابتغاء حلية طلب حلى وزينة كالذهب والفضة تتخذ منهما
حلية السيف والمركب والدواب وحلية النساء او متاع كالرصاص والنحاس منها تتخذ الاوانى وما يتمتع
به فى الحضر والسفر وكل ما ينتفع به فهو متاع والحاصل انه اراد بقوله مما يوقدون جواهر الارض التى هى الاجساد
السبعة من الذهب والفضة والشبه والصفر والنحاس والرصاص والحديد يذاب فيتخذ منه الاشياء

مما سمع

مما ينتفع به من الحلى والاوانى وغيرهما زبد مثله اى ما توقدون عليه النار له زبد اذا اذيب مثل زبد السيل
فالباقى الصافى من هذه الجواهر اذا اذيب مثل الحق والزبد الذى لا يبقى ولا ينتفع به مثل الباطل وفايدة
قوله ابتغاء حلية او متاع كالفايدة فى قوله بقدرها لانه جمع الماء والفقد فى النفع فى قوله واما ما ينفع الناس لانه
المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفقد فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب هو الحلية والمتاع وقوله ومما
توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفدم اظهارا لكبريائه فى ذكره على وجه التهاون
كما هو محسوس الملوك نحو ما جاء فى ذكر الاجر او قدلى بها ما ان على الطين ومن لابتداء الغاية اى ومنه ينشا
زبد مثل زبد الماء وقيل للتبعيض اى وبعضه زبد كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد الذى على السيل
وما يوقدون النار عليه فيذهب جفاء سريعا متفرقا محفوه السيل اى يرمى به قيل الجفاء ما رمى به السيل الى
جنباته يقال حنابه اذا اصرعت وقيل جفاء لايء متفرقا يقال جفات الريح الغيم اذا فرقته واما ما ينفع الناس
من الماء وما يوقدون عليه النار فمكث فى الارض يشرب منه الحيوان ويزرع به فيكون له معاش الخلق وانتفاع
الناس ما يحلى والامتعة ظاهر كذلك يضرب الله الامثال الذى اللام متعلقة بيضرب اى كذلك يضرب
الله الامثال للذين استجابوا الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اى هما مثلا الفريقين والحسنى صفة
لمصدر استجابوا اى استجابوا لربهم الاجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا فى ذكره ما اعد للذين لم
يستجيبوا وقيل كذلك يضرب الله الامثال تم الكلام ههنا ثم استانف فقال للذين استجابوا لربهم الحسنى
اى الجنة والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم فالحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى للذين استجابوا
والمعنى للذين استجابوا المثوبة الحسنى التى هى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما خبره خبره
اى لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا معها مثلها لافتدوا به لبذلوا اليد فعوا عن انفسهم عذاب الله وتقديره
لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله وقيل الفعل الافتداء به اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه والمقايسة
بالاعمال عن النخعى هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شى ومأواهم جهنم وبيس المهاد المستقر
جهنم افمن يعلم دخلت همزة الانكار على الفاء فى قوله افمن يعلم لانكار ان يقع شبهه بعد ما ضرب من المثل
فاى حال من يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب عن حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والماء والصافى والخبث والابريز الخالص كما فى قوله انما يعنى الذى انزل اليك من ربك
صلته والموصول مع الصلة اسم ان والحق خبره اى افمن يعلم ان القرآن الحق فيومن به ويعمل بما فيه
كمن هو اعمى عنه لا يعلمه ولا يعمل به شتان ما بينهما انما قيل نزلت بمكة فى حمزة وابى جهل انما يتذكر اولوا
الالباب اولوا العقول الخالصة عن شايبة الوهم والتقليد واتباع الهوى ووساوس الشيطان

قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا

الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
يدخلونها ومن صلح من اٰبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار قيل الذين يوفون صفة لاولي الالباب وقيل الذين يوفون مبتدا خبره اولئك
لهم عقبى الدار بعهد الله بما امر الله به وفرضه عليهم فلا يخالفونه الى ما نهاهم عنه وقيل عهد الله ما عقدوه
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون ما عهد اليهم يوم الميثاق وقيل ما عهد اليهم في الكتب المتقدمة
وقيل ما في جبلتهم وعقولهم وقيل كل ما وثقوه على نفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص عن قتادة ان الله تعالى لم يقدم في ذنب ما تقدم في نقض
هذا الميثاق لقد ذكر لنا في بضع وعشرين اية تقدمة ونصيحة وعظة والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من الارحام والقرابات والنصرة ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين
المغايبة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم بحسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم
والشفقة عليهم والنصيحة وطرح التفرقة من انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود
جنايزهم ومنه مراعات حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة
والدجاجة ويخشون ربهم ويخشونه عقابه ويعظمونه ويخافونه خصوصا سوء الحساب فيحاسبونه انفسهم قبل
ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال والاولاد ومشاق
التكليف ابتغاء وجه ربهم طلب رضى الله وتعظيمه لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوفره عند الزلازل
ولا ليعاب بالجزع وليلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولانه لا طايل تحت الهلع ولا مرد فيه
للفايت واقاموا الصلوة وادوها واقام الصلوة وانفاق بعض ما رزقهم وان كانا داخلين في الجملة الاولى الا
انه تعالى افردهما بالذكر لشرفهما ويجوز دخول النوافل فيه ايضا عن الحسن المراد الزكوة المفروضة فان لم يتم
بتركه اداء الزكوة فالاولى اداؤها سرا واذا صار ممتنعا بتركه اداء الزكوة فالاولى اداؤها علانية وقيل يتناول
النوافل لانها في السر افضل والفرايض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة وقيل السر ما يودي به المتصدق المزكي
والعلانية ما يودي به الامام ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة اليهم الاحسان منهم كما قال
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وقيل يدرؤن بالتوبة
الذنب وقيل يدفعون العذاب بالصدقة وقيل اذا اوذوا صبروا ولم ينتصروا اولئك لهم عقبى الدار العاقبة
الحسنة وقيل عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع جنات
عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها قرا ابن كثير وابو عمر ويدخلونها بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله
والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في قوله يدخلونها فيكون في محل الرفع ويجوز

ان يكون

ان يكون نصبا كما تقول قد دخلوا وزيدا اي مع زيد عن ابن عباس يعني من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل
مثل اعمالهم وقال الزجاج بين الله تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة بل الاباء
والازواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى
جعل لهم ثواب اولئك المذكورين سرورهم بما يرونه في اهاليهم من اكرامهم بهم في الجنة كرامة لهم لقوله
الحقنا بهم ذرياتهم ولو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة لهم ولا فايدة في الوعد به اذ كل
من صلح في عمله يدخل الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب عن ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها
فرسخ وعرضها فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم من كل باب وقيل من كل باب من ابواب
البر كباب الصلاة وباب الزكوة وباب الصبر سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قايلين سلام
عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم اي هذا الثواب بسبب صبركم
او بدل مما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى ليس تعتيم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قيل يجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم **قوله**
تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله
به من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويفسدون في الارض بالكفر والظلم ولهم سوء الدار
قيل سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وقيل الدار جهنم وسوء عذابها **قوله تعالى**
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع قيل
لما حكم الله تعالى على الذين ينقضون عهد الله بان لهم اللعنة في الدنيا وسوء الدار في العقبى ورد شبهة
بانهم لو كانوا اعداء الله لما فتح الله عليهم ابواب النعم واللذات في الدنيا فاجاب عنه بهذه الاية الله وحده
هو يبسط الرزق لمن يشاء يوسعه والبسط مباعدة اطراف الشيء ويقدر ويقتر ويضيق لمن يشاء
دون غيره وهو الذي يبسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح اشر
وبطر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوا ما بالشكر حتى يتصل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة
ولم يعلموا ان نعيم الدنيا وحياتها في جنب الاخرة ليس الا متاع قليل يتمتع به كعجالة الراكب
وهي ما يتعجل من تمرات او شربة ماء او نحو ذلك وقيل كزاد الراعي يزوده اهله الكف من التمر
او دقيق او غير ذلك عن الكلبي كمثل السكر والقصب والقدح والقدر ونحوها ينتفع بها وقيل قليل
النفع ينقطع عن قريب وقيل متعته وبلغته لا يدوم **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن

قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب
ويقول الذين كفروا يا محمد ان كنت رسولا فأتنا اية من ربك اى معجزة ظاهرة قاهرة مثل معجزات موسى
وعيسى فاجاب تعالى عن هذا السؤال بقوله قل ان الله يضل وبيان مطابقة كيفية هذا الجواب لسؤالهم
من وجوه منها كانه تعالى يقول ان الله انزل عليه ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة ولكن الاضلال والهداية
من الله تعالى فاضلكم عن تلك الايات الباهرة القاهرة ويهدى اقواما اخرين اليها حتى عرفوا بها صدق
محمد فى دعوى النبوة واذا كان كذلك فلا فايدة فى تكثير الايات ومنها انهم لما طلبوا ساير الايات فحانه قيل
لهم لا فايدة فى انزال اية اخرى فان الهداية والاضلال من الله تعالى فان حصلت ايات كثيرة ولم يهد
الله لم يحصل الانتفاع بها ولو حصلت اية واحدة وحصلت الهداية من الله يحصل الانتفاع بها
فلا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله فى طلب الهداية ومنها قال صاحب الكشاف
هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التى اوتيها رسول الله
لم يونتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية
لم ينزل عليه موضعا للتعجب والاستنكار كانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل الى
اسلامهم وان انزلت كل اية ويهدى اليه من كان على خلاف صفتكم ولا يفسد ان نحمى قوله ان
الله يضل من يشاء بقوله ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر تقييد بلا دليل
مع وجود الدليل على الاطلاق وكذا تقييد قوله ويهدى اليه بقوله من كان على خلاف صفتكم
بل الوجه الصحيح المطابق للحق ان يقال ومثل هذا التصميم لا يكون الا بارادة الله تعالى الضلال
منكم ومن يضلل الله فلا هادى له ما ادل هذه الاية على اعتقاد اهل السنة من اناب اى
ويهدى الى دينه وطاعته من رجع بقلبه والرجوع بقلبه انما يكون بارادة الله تعالى لا باختياره
الذين امنوا بدل من قوله من اناب فهو فى محل النصب وتطمئن وتسكن وستأتى بقين قلوبهم بذكر
الله وقيل بذكر رحمة الله ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقيل تطمئن قلوبهم بذكر دلائله الدالة على وحدانيته وقيل تطمئن قلوبهم
بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب لاجله عن ابن عباس الذين امنوا مبتدا وطوبى خبره وقيل هو بدل
من القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن قلوب القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع نحو قولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك عن ابن عباس طوبى لهم فرح وقرة عين لهم عكرمة نعم ما لهم
ضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم قيل هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اى اصبت

خيرا وقيل خير وكرامة لهم واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء
الضمير ما قبلها كموقن وموسر وعن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية سعيد بن مسجوح اسم الجنة
بالهندية ربيع البستان بلغة الهند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة فى الجنة مسيرة
مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعنه صلى الله عليه وسلم شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها
من روحه تنبت الحلى والحلل واوانى اعضائها لترى من وراء سور الجنة وحسن مآب اى حسن موضع

قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذى اوحينا
اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب عن ابن عباس
والحسن ارسلناك كما ارسلنا الانبياء قبلك فى امة قد خلت من قبلها امم وقيل كما ارسلنا من قبلك رسلا
ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم اى ليس بمن الرسل وليست امتك اول امة ارسل اليها رسول
وقيل كذلك ارسلناك اى مثل ذلك الارسال ارسلناك يعنى ارسلناك ارسالا له بيان وفضل على ساير
الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال فى امة قد خلت من قبلها اى ارسلناك فى امة قد تقدمتها امم كثيرة فمرى اخ
الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الذى اوحينا اليك اى القرآن الكريم الذى
هو الكتاب العظيم وهم يكفرون بالرحمن عن قتادة ومقاتل ان جريجا نزلت فى صلح الحديبية حين اراد ان يكتب
الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ابن عمرو والمشركون
لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كانوا فى الجاهلية يكتبون
فانزل الله فيهم هذه الاية وعن ابن عباس نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن فانزل الله هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما فى الحجر يدعو اذ ابو جهل
يستمع اليه وهو صلى الله عليه وسلم يقول يا رحمن فقال ابو جهل مذبرا الى المشركين فقال ان محمدا كان ينهانا عن
عبادة الالهة وهو يدعو الهين فنزلت هذه الاية وهم يكفرون بالرحمن حال اى وحالهم هاولا انهم يكفرون
بالرحمن البليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بمثله فى ارسال مثلك اليهم
وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لساير الكتب عليهم قل لهم يا محمد ان الرحمن الذى انكرتم معرفته هو
ربى الهى وخالقى ورازقى ومدبرى الواحد المتعالى عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت وثقت به وفوضت
امرى اليه فى نصرتى عليكم واليه متاب وهو مصدر تبت اليه وقيل واليه مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم
ومجاهدتكم **قوله تعالى** ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد
قيل نزلت فى نفر من مشركى مكة فيهم ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومى جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله ان سرك
ان نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وانهارا
حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها
الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوايجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت لنا فلست
اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصي او من شئت من موتانا لنساله احق ما تقول ام باطل فان عيسى كان
يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك
وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض اي شققت
فانفجرت منها عيون وانهارا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران في كونه غاية في التنكير ونهاية
في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية ويعضده ما فسر به
قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران
وقيل معناه ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا به وكفروا بالرحمن
كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية وقيل معنى تقطيع الارض قطعها بالسير ومجاوزتها وقيل هو متعلق
بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد ثم قال بل لله
الامر جميعا اي بل لله القدرة على كل شي وهو قادر على الايات التي اقترحوها وقيل بل لله الامر جميعا ان شاء
فعل وان شاء لم يفعل وليس لاحد ان يقترح اية يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد قال صاحب الكشاف
على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شي وهو قادر على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها
مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجا لو انه بنى امر التكليف على
الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعني مشية الالجا والقسر لهدى الناس
جميعا ما ذكره صاحب الكشاف بناء على مذهبه الفاسد وقوله الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه
مصرفه ظاهره قوله بل لله الامر جميعا المطابق للبرهان العقلي وقوله ويعضده قوله افلم ييأس الذين
امنوا ان لو يشاء الله يعني مشية الالجا والقسر انما يصح على تقدير تقييد المشية بالالجا والقسر وهذا
التقييد مخالف لظاهر قوله ان لو يشا الله وللعقل ولا فائدة في بسط الكلام في ابطال كلامه هاهنا لانه
قد سبق ما فيه الكفاية افلم ييأس اي افلم يعلم عن الكلبي هي لغة قوم من النخع وعن القاسم بن معن هي لغة
هوازن قال سحيم اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم ييئسوا اني بن فارس زهدم وقال اخر الم ييأس
الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العشيرة نايبا وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه
لان اليأس عن الشي عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك
ودليل هذا التاويل قراة بن عباس افلم ييئس روي انه قيل لابن عباس افلم ييأس قال الكاتب كتبها

وهو ناعس

وهو ناعس مستوي السيات وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضي كون القران محلا للتحريف والتصحيف قال
صاحب الكشاف وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف
يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اوليك الاعلام المختاطين في دين الله المهيمنين
عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا هذه
والله قرية فيها مرية وقال الزجاج المعنى عندي افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هاولا الكفرة الذين وصفهم الله
بانهم لا يومنون بان لو شاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم ولا يزال الذين كفروا قيل جميع الكفار وقيل كفار
مكة تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم الخبيثة قارعة داهية ومصيبة وشدة تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب احيانا بالحرب واحيانا بالجدب واحيانا بالسلب واحيانا
بالقتل واحيانا بالاسر وعن بن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم
او تحل تنزل يا محمد بنفسك قريبا من دارهم وعن قتادة هي تا التانيث يعني او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله الفتح والنصر وظهور رسول الله
عليه السلام وقيل هو فتح مكة وكان قد وعد الله ذلك وقيل القيمة او موتهم ان الله لا يخلف الميعاد لا خلف
في موعوده **قوله تعالى** ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم
اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه
بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله
فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق يسلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ناله من استهزا قومه به ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا امهلتهم واطلت لهم المدة واخرت عنهم العذاب والاملا الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في امن
وخفض كالبهيمة يملى لهم في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله
استهزا به وتسلية له ثم اخذتهم فعاقبتهم باشد العقاب اي اخذي اليم فكيف كان عقابي اياهم افمن هو
قايم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله اي افا الله الذي هو حافظ ورازق وعالم ومجاز ورقيب على كل نفس
صالحة او طالحة بما علمت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاء كمن ليس بقايم بل عاجز عن نفسه نظيره قوله
تعالى ام من هو قانت اناء الليل يعني كمن ليس بقانت فالخبر في الموضعين محذوف وجعلوا لله شركا
معطوف على خبر المبتدا المحذوف فانه يجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وتقدير هذا الوجه
ومثله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له اي لله الذي يستحق العبادة وحده شركاء وقد سموهم
اي جعلتم له شركا قل سموهم له من هم ونبئوه باسمائهم وقيل قل سموهم بما خلقوا وصنعوا واماتوا واحيوا لتصح
الشركة وقيل طالبوهم بحجة على انها الهة وقيل صفوهم فانظروا هل يستحقون الالهة وقيل هذا تهديد كما تقول

لمن تهدده على شرب الخمر بسم الخمر بعد هذا ثم قال ام تنبئونه على امر المسطة كقولك للرجل قل لي من زيدا مرهو اقل من ان يعرف ومعناه اتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركا وتحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركا بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله دلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واسناله العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذات انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه بل دين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وقيل شركهم وكذبهم على الله وصدوا عن سبيل الله وصرفوا عن الدين والطريق المستقيم قراءاصم وحمزة والكسائي وصدوا بضم الصاد وفي حم المؤمن وصدوا عن السبيل على ما لم يسم فاعله واختاره ابو عبيد قال لانه قراءة اهل السنة وفيه اثبات القدر والباقون بالفتح واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ومن يضلل الله بخذلانه وعدم هدايته فماله من هاد فماله من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير المحن ولعذاب الاخرة اشق اي اشد وما لهم من الله من واق مانع يمنعهم من العذاب

قوله تعالى

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دايم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والاخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل ذهب سيبويه الى ان مثل مرفوع بالابتداء وخبره محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وعن الزجاج تجري صفة لخبر محذوف اي مثل الجنة جنة تجري عيثلا للمغاب عنا بما نشاهد اكلها دايم اي ثمرها دايم الوجود لا ينقطع ولا يفنى كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها ظليل دايم لا يزول كما يزول الظل في الدنيا بالشمس وهذا رد على الجهمية حيث قالوا ان نعيم الجنة يفنى تلك عقبى عاقبة الذين اتقوا الجنة وعقبى تقواهم اي منتهى امرهم وماله واعمالهم وعقبى الكافرين النار اي منتهى دارهم واعمالهم

قوله تعالى

والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب قيل الكتاب القران والذين اتيناهم الكتاب اصحاب رسول الله اي اصحاب رسول الله يفرحون بما انزل اليك من القران ومن الاحزاب يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الا قاصيصه وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع وقيل كان ذكر الرحمن في القران قليلا في بدئ ما نزل فلما اسلم عبد الله ابن سلام واصحابه سألوه فقلة ذكر الرحمن في القران لانه ذكر الرحمن في التورية كثير فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن

الاية قالت قريش حين نزلت هذه الاية ما بال محمد كان يدعو الى الله واحد وهو اليوم يدعو الى الهين الله والرحمن ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى وهم يذكرون الرحمن هم كافرون وهو يكفرون بالرحمن وفرح مومنو اهل الكتاب بذكر الله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك من ذكر الرحمن ومن الاحزاب يعني مشركي قريش من ينكر بعضه يقرون بالله وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة هاؤلا يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما قل انما امرت ان اعبد الله جواب للمنكرين معناه قل يا محمد انما امرت بما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكارهم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا ينكرون مع ادعايكم وجوب عبادة الله وان لا اشرك به اليه ادعوا الى الله ادعوكم خصوصا لا ادعوا الى غيره واليه مرجعي لا الى غيري وانتم تعلمون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم

قوله تعالى

وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق اي وكما انزلنا اليك يا محمد الكتاب فانكر الاحزاب كذلك ايضا انزلنا اليك حكما عربيا حكمة عربية مترجمة لسان العرب وانتصابه على الحال وانما وصفه بذلك لانه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فنسب الدين اليه اذ كان منزلا عليه فكذلك الاحزاب بهذا الحكم ايضا وقيل وكما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك انزلنا عليك القران حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور موافقتهم منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له ان تابعتهم على دينهم ما لك من الله من ولي ولا واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزدادوا عند الشبهة بعد العلم والامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان وقيل هذا وعيد حسم به طمعهم

قوله تعالى

ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ان الكفار يذكرون انواعا من الشبهات قد جاء في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم منها انهم عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة التزويج وقالوا لو كان نبيا كما تزعم شغلته النبوة عن تزويج النساء فقيل لهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك كانوا بشرا وجعلنا لهم ازواجا اي نساء ينكحهن وذرية اولادا تناسلوهم ولم نجعلهم ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون فنجعل الرسل الى قومك ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولكن ارسلنا الى قومك بشرا مثلهم كما ارسلنا الى من قبلهم من الامم بشرا مثلهم ومنها انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان اتى باية اقترحناها اتى بها ولم يتوقف والامر كذلك علمنا انه ليس برسول فقيل لهم جوابا عنها وما كان لرسول ان

يأتي بآية الا باذن الله وما كان له ان يأتي بآية برأيه ولا ان يأتي بما يقترح عليه والمعجزة الواحدة كافية
في اثبات النبوة وازالة العذر والعلة وعادة الله جارية باظهارها والزايد عليها مفوض الى مشية الله
تعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك ومنها انه صلى الله عليه وسلم ينذرهم
ويوعدهم بنزول العذاب وظهور النصرة له ولقومه عليهم فلما تأخر ذلك الموعود ولم يشاهدوه احتجوا بها
على الطعن في نبوته وقالوا لو كان نبيا لما ظهر كذبه فاجاب الله عنها بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت
من اوقات نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة للاولياء كتاب كتبه الله عنده ولكل حادث
وقت معين فقبل ذلك لا يحدث بمقتضى مشيته وقضائه فتأخير ذلك الموعود لا يدل على كونه كاذبا
وعن الضحاك لكل كتاب نزل من السماء اجل وقت معلوم فهو من المغلوب وقيل لكل اجل من آجال الخلق
كتاب وقيل لكل اجل قدره الله وقيل لكل امر قضاه كتاب اثبت فيه فلا يكون آية ولا غيرها الا باجل
قد قضاه الله في هذا والتعميم على الوجه المذكور ظاهر الآية وهو الصواب ومنها انه لو كان صادقا
في دعوى الرسالة لم ينسخ الاحكام التي نص الله على ثبوتها في الشرائع الحقة المنزلة في التورية والانجيل
لكن نسخها كنسخ القبلة ونسخ اكثر احكام التورية والانجيل واجاب الله عنها بانه يمحو الله ينسخ الله
ما يشاء ويثبت ما يشاء من الاحكام والشرائع قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم يثبت ساكنة الثاء خفيفة
الباء والباقون يثبت مفتوحة الثاء مشددة الباء واستغنى بذكر المفعول للفعل الاول عن ذكره للثاني
واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحوه ويثبت فقيل عام في كل ما يحدث من الاحكام والشرائع والرزق
والاجل والسعادة والشقاوة والخير والشر والكفر والايمان والهداية والضلالة وقيل الناسخ والمنسوخ
ينسخ ما يشاء نسخه ويثبت ما يشاء اثباته على مذهب اهل السنة ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله
ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ على مذهب المعتزلة وقيل ينسخ من القرآن ما يشاء ويثبت
الا الشقاوة والسعادة والحيوة والموت ودليل هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة
بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مضت على النطفة خمس واربعون ليلة يقول
الملك اذكر ام انثى فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك فيقول اشقي ام سعيد فيقضي الله ويكتب الملك فيقول
عمله واجله فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقيل يمحو
ما يشاء ويثبت الا الشقاء والسعادة لا يغيران وقيل يمحو الله من جاء اجله ويثبت من لم يجئ اجله وقيل يمحو
ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب وعقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وقيل يمحو من ذنوب
عباده ما يشاء فيغفرها ويثبت ما يشاء تركها فلا يغفرها وقيل يمحو ما يشاء بالتوبة من الذنوب ويثبت
بدل الذنوب حسنات قال الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يمحو بعض الخلائق
ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا

واسع

ولا يجوز ادعاء القلب الا في ضرورة الشعر واما هنا فالمعنى في غاية الصحة لا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه اذ ثم اشياء كتبها الله ازلية كالجنة ونعيم اهلها لا اجل له لابي حيان في بحره

واسع المحال وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة
وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في ثلث ساعات بيقين من الليل ينظر في الكتاب
الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى
ام الكتاب يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب لا يتغير منه شيء والمخلوقات على قسمين قسم
شاء الله ان لا يغيره اصلا وقسم شاء ان يمحوه في بعض الاوقات ويثبته في بعضها فقوله يمحو الله
ما يشاء مختص بما يمحوه في بعض الاوقات وقوله يثبت متناول لما لا يغيره ولما يثبته في بعض
الاوقات وفي ام الكتاب القسم الذي لا يغيره وقيل ام الكتاب هو علم الله تعالى فانه عالم بجميع
المعلومات من الموجودات والمعدومات وان تغيرت الا ان علم الله بها باق منزه عن التغير
فالمراد بام الكتاب هو ذاك **قوله تعالى** واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اي واما نرينك بعض الذي نعدهم
من العذاب وانت حي او نتوفينك قبل ان نريك فليس الواجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب
وعلينا الحساب والجزاء لا عليك فلا تحزن على اعراضهم واصرارهم ولا تستعجل بعذابهم
قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه
وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكتسب كل نفس وسيعلم الكفار
لمن عقبى الدار لما ذكر الله انه يرى رسول الله بعض الذي يعدهم او يتوفيه قبله بين في هذه الآية ان
آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت اولم يروا انا نأتي الارض الكفرة ننقصها من اطرافها
بما يفتح على المسلمين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في دار الاسلام لان المسلمين يستولون
على اطراف مكة ويأخذونها من المشركين قهرا وذلك من اقوى العلامات على النصرة وانجاز الوعد
والغلبة افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقيل ننقصها من اطرافها
يريد خراب العمران وهلاك اهلها وقيل ننقصها من اطرافها بذهاب البركة عن ثمارها ونباتها
وعن ابن عباس نقصانها موت علمائها وفقهائها وخيارها وقيل نقصانها موت اهلها والمراد بالارض
اهلها وقيل نقصانها جور ولاتها وقيل ننقص من جوانب الشام ونزيد في الشام وهي ارض المحشر
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه وقضائه والمعقب الذي يكر على الشيء ويتبعه فيبطله
وحقيقته الذي يعقبه يقفيه بالرد والابطال وقيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتصار
والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والله سريع الحساب
للمجازاة لا يدفعه دافع وقد مكر الذين اي وقد مكر الكفار الذين من قبل مشركي مكة برسلهم وانبيائهم

من قبلهم م

ان الله عز وجل م

نمرود مكر بابراهيم وفرعون بموسى ويهود بعيسى ولله المكر جميعا اى له مكر جميع الماكرين واسبابه
وبيده الخير والشر واليه النفع والضر وهو حاصل بتخليقه وارادته لانه خالق كل شى فلا يضره مكر
احد احدا الا من اراد الله ضره وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم وقيل له
جزاء المكر بعلم ما تكتسب كل نفس اضاف المكر جمعا الى نفسه ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب
كل نفس فان خلاف المعلوم ممتنع الوقوع وكل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم
عدمه فهو ممتنع الوقوع فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكاد المكر من الله ثم اكد ذلك للتهديد
بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع الكافر على الواحد عن ابن عباس
يعنى ابا جهل وعن الزجاج انه جنس والباقون بالجمع والمعنى وان كانوا جماعات يعلمون
فسيعلمون لمن العاقبة المحمودة واللام تدل على الحميدة كما ان على تدل على المذمومة وهذا جزاء
وعيد الكفار **قوله تعالى** ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب الله تعالى حكى عن الكفار انهم يقولون لست مرسلا
ثم احتج عليهم بامرين الاول شهادة الله قل يا محمد كفى بالله شهيدا بينى وبينكم على ما اظهر من الايات
واقام الحجج على رسالتى وهذا على مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد عليه الظن بان الامر
كذلك والقول فعل مخصوص اما المعجزة فانه فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من
عند الله فكان اظهار المعجزة اعلى مراتب الشهادة والثانى قوله ومن عنده علم الكتاب اى
من عنده علم القرآن وما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب والعلوم الكثيرة
وسائر الوحدانية والمبدا والمعاد وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله
بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى لانهم يشهدون بنعته وكتبهم وقيل علماء اليهود
والنصارى لانهم يعرفون نعته فى التوراة والانجيل وقيل انه على ابن ابى طالب وقيل هو الله
والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح المحفوظ
الا هو شهيدا بينى وبينكم وبعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اى ومن لدنه
علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وفى القراءة المشهورة يرتفع علم بالمقدر والذى هو صلة
من الموصول له فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوخل فى شبهه الفعل لاعتماده على
الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار
اخوه **سورة ابرهيم مكية** وهى ثلثة الاف واربع مائة
واربعة وثلثون حرفا وثمانمائة واحدى وثلثون كلمة واثنتان وخمسون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الر كتاب انزلناه

اليك

اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد قيل الر مبتدا كتاب خبره
وعنى الزجاج هذا كتاب يعنى السورة انزلناه اليك يا محمد لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات من الكفر
الى النور الى الايمان وقيل من الضلالة الى الهدى وقيل من الشك الى اليقين باذن ربهم بامرهم وتوفيقه
وباذنك من تعليمهم الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن امن منهم ويجوز ان يكون ع وجه الاستيناف كانه قيل اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الغالب
الممتنع الحميد لافعال الخلق وهو بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول **قوله تعالى** الله الذى
له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الله قرا نافع وابن عامر رفعا على
الاستيناف على انه خبر مبتدا محذوف اى هو الله او على ان يكون مبتدا يحكى ما بعده خبره والباقون
بالجر على انه عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى
يحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا والويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه
لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات
يعال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من الظلمات الى النور توعد الكافرين بالويل ووجه
اتصال الويل بالكافرين من العذاب عذاب شديد انهم يولولون من عذاب شديد ويصيحون منه ويقولون
يا ويلاه كقوله تعالى وعواهنا لك ثبورا اقوله ويل مبتدا والكافرين خبره ومن عذاب شديد صفة لويل
قوله تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا اولئك فى ضلال بعيد ثم بين تعالى صفة هؤلاء الكفار الذين توعدهم بالويل الذى يفيد اشد العذاب
الذين مبتدا خبره اولئك فى ضلال بعيد ويجوز ان يكون فى محل الجر صفة الكافرين وفى محل النصب
على الذم اعنى الذين يستحبون فى محل الرفع اى هم الذين يستحبون يوثرون ويختارون والاستحباب
الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان الموثر للشى على غيره كانه يطلبه من نفسه ان يكون
احب اليها وافضل عندها من الاخر ويصدون عن سبيل الله منع الناس عن الاسلام لمحمد صلى الله
عليه وسلم ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله ريغا وميلا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل والعوج بكسر العين فى الدين
والامر والارض والعوج بالفتح فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوهما اولئك الموصوفون فى ضلال
عن طريق الحق بعد عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازى لان البعد فى الحقيقة
وصف للضال لان الضال هو بعيد عن الطريق بوصف ضلال الضال بالبعد كما تقول جد جده
قيل وبحوز ان يراد فى ضلال ذى بعد او وفى ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل عن طريق قريب
وبعيد **قوله تعالى** وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله

من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم اعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور كان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه هذا المنصب العظيم
وانعاما ايضا على الخلق من حيث ارسل اليهم من خلقهم من ظلمات الكفر وارشدهم الى نور الايمان فذكر
في هذه الاية ما يجري تكميل النعمة والاحسان في الوجهين جميعا اما بالنسبة الى الرسول فلانه بين
ان سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة واما انت يا محمد فمبعوث الى الناس كافة وكان هذا الانعام
في حقك افضل واكمل واما بالنسبة الى الخلق فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الى قوم الا بلسان ذلك
القوم فانه متى كان الامر كذلك ففهمهم لاسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقايقها اسهل وعن
الغلط والخطا ابعد فهذا هو وجه النظم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغة قومه فان اللسان
كما يطلق على الجارحة يطلق على اللغة اطلاقا لاسم المحل على الحال بحسب العرف للعام ليبين لهم ليفقهوا عنه
ما هو مبعوث به فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته قال صاحب الكشاف فان قلت لم بعث رسول الله الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب
حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها
فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك ويكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان
واحد وكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوا وتوقل عنهم
وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال ونشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم
مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المباعدة والاقطار المسارحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة
على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يستعب من ذلك من جلايل الفوايد وما به
كاثر في اتعاب النفوس وكذا الفراغ فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه
ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع
اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كلما كلم امة التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجا وقيل الضمير في قومه لمحمد
صلى الله عليه وسلم روي عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضم القوم وهم العرب فيودي الى الله تعالى انزل التورية من السما بالعربية
ليبين للعرب وهذا معنى فاسد القايلون بان اللغات اصطلاحية تمسكوا بهذه الاية لان التوقف
يتوقف على ارسال الرسل والاية دالة على ان ارسال الرسل فانه يجوز ان يكون بخلق علم ضروري في عاقل
او غير عاقل بان هذه الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فان قيل خلق العلم الضروري في غير عاقل بعيد جدا

وفي عاقل

وفي عاقل يقتضي عدم التكليف لانه يكون حينئذ عارفا بالله اجيب بان خلق العلم الضروري في
غير عاقل غير ممتنع وليس ببعيد جدا يدل على ذلك قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة ان يا موسى وخلق العلم الضروري في عاقل لا يقتضي عدم التكليف قوله لانه حينئذ
يكون عارفا بالله لانه يجوز ان يلهم ان واضعا وضعها من غير التعيين ولئن سلم انه يكون عارفا بالله
فيكون غير مكلف بالمعرفة فقط ولا يلزم من عدم التكليف بالمعرفة عدم التكليف مطلقا لان انتفا
الخاص لا يستدعي انتفا العام وايضا قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يدل على ان ارسال
الرسول الذي له قوم يتوقف لغاتهم فيجوز ان يكون التوقيف بارسال رسول لم يكن له قوم فلا يتوقف
ارساله على اللغات فلا يلزم الدور لتغاير جهتي التوقف فيضل الله المعنى ما كان ارسال الرسل الا للبيان
والزام الحجة وازالة العلة وتمييز الضال من المهتدي الا ليوجدوا فيهم الهداية ويزيلوا عنهم الضلالة فان
ذلك من الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء لانه عزيز قوي لا يغالب بفعل ما يشاء حكيم لا يدرك احد
كنه حكمته بحكم ما يشاء هذا ظاهر دال صريحا على ان الهداية والاضلال بفعل الله وتقديم قوله فيضل الله
من يشاء لئلا يتوهم ان الهداية من الله والاضلال ليس منه بناء على انه فاعل الخير دون الشر الذي هو قريب
من مذهب الثنوية القايلين بالنور والظلمة ولا يلتفت الى ما قاله صاحب الكشاف فيضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدي
الا من يعلم انه مومن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان
ذلك كناية عن الكفر والايمان فانه كلام مخبط مضطرب مخالف لظاهر الاية والحجة القاطعة اما قوله
كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن ليس بصحيح لان قوله يضل صريح في اسناد الاضلال الى الله تعالى
وقوله ويهدي من يشاء صريح في اسناد الهداية الى الله تعالى وقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لم يظهر منهما
ان الكفر والايمان الى اي شي يسندان فكيف يكون مثله واما قوله لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن
يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن فلا يصح ان يكون تعليلا لقوله كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن فانه
لا يلزم انه اذا لم يضل الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن ان يكون قوله فيضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن وهذا ظاهر وايضا ما الدليل على انه تعالى لا يضل
الا من يعلم انه لا يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن فان الاية لا تدل على هذا ولا الدليل العقلي فان
الاية لا تدل الا ان الله تعالى يضل من يشاء لا انه يضل من يعلم انه لن يومن الا ان تفسير الارادة
والمشية بالعلم حتى يكون معنى قوله فيضل الله من يشاء فيضل الله من يعلم ضلاله وتفسير الارادة بالعلم
باطل لما مر في اصول الدين ومع هذا فلا يلزم منه غرضه وهو ان الاضلال ليس فعل الله الا ان تفسير
الاضلال بالتخلية ومنع الالطاف والهداية بالتوفيق واللطف وهو باطل لانه صرف اللفظ عن الظاهر

المطابق للحق المبين بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة الى حلافد المبين بطلانه بالايات الصريحة
والبينات الصحيحة وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان فليس عستقيم
بل الحكيم لا يضل الا من شاء اضلاله ولا يهدى الا من شاء هدايته **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا موسى بايا تنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لايات
لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم لما بين الله انه
انما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كمال رحمته بالله عليكم
اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم فضلا وكم نعمة الله عليه وعلى
قومه فى ذلك الارسال وفى تلك البعثة اتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء الى اقوامهم ليكون ذلك
تصبيرا للرسول صلى الله عليه وسلم على اذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى
على العادة انما نوفه قصص الانبياء عليهم السلام فذكر قصة موسى عليه السلام فقال ولقد ارسلنا موسى
ناما ساهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وانفجار العيون من الحجر واظلال الجبل
وانزال المن والسلوى ان اخرج ان يجوز ان تكون مفسرة بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه
قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صح ان توصل بفعل
الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه فى تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية والدليل
على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان
اخرج قومك وذكرهم بايام الله بوقايع الله فى الامم السالفة وانما اراد بما كان فى ايام الله من النعم والمحن
فاخبر بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم وعن ابن عباس نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه ظلل عليهم
الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك القرون الذين فى ذلك لايات لكل صبار
شكور على بلاء الله شكور لنعمائه فاذا سمع ما انزل الله من البلاء على الامم الماضين علم ما فيه من النعم تنبه
على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقال اهل المعانى اراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من
خصال المؤمنين وافعالهم ولما ذكر الله امر موسى عليه السلام بان يذكرهم بايام الله حكى عن موسى انه
ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام
اى اذكروا انعام الله عليكم ذلك الوقت واذا كان النعمة بمعنى الانعام يكون عليكم صلة لها فلا يجوز
ان يكون اذ انجاكم منصوبا بعليكم واذا كان عليكم صلة لم يكن كلاما حتى يقول فايضة او نحوها
واذا كان النعمة بمعنى العطية يكون عليكم غير صلة لها بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم و
يجوز ان يكون منصوبا بعليكم ويكون كلاما ويجوز ان يكون اذ انجاكم بدلا من نعمة الله اى اذكروا

وقت انجاكم

وقت انجاكم وهو من بدل الاشتمال لانه بينهما ملابسة بغير الكلية والجزئية ذكر فى سورة البقرة
يذبحون وفى الاعراف يقتلون بغير واو وتفسيرا لسوء العذاب وهاهنا ويذبحون مع الواو
لانه اوفى على حبس العذاب وزاد عليه ظاهره كانه حبس اخر وفى ذلك اشارة الى سوء سوء
العذاب والذبح والاستحياء بلاء محنة واختبار من الله اى خلق الله فيهم ذلك الافعال ليكون ابتلاء
منه ويجوز ان يكون ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم فان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة والاولى
ان يجعل اشارة الى الانجاء وسوء العذاب والتذبيح والاستحياء لان الكل من عند الله قال الله ونبلوكم
بالشر والخير وقول صاحب الكشاف ان ما صادر منهم لما كان من تمكين الله بسبب اليه بتحريف
وعدول عن الظاهر **قوله تعالى**
واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم
ان عذابى لشديد واذ تاذن من جملة ما قال موسى لقومه واذكروا نعمة الله واذكروا حين تاذن
ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظيره تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد فى تفعل
من زيادة معنى ليس فى افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتتراخى الشبه
والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم واجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول لئن شكرتم بالى
اسرايل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة
ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم من الكفران وغصتم ما انعمت به عليكم ان عذابى لشديد لمن كفر نعمتى فى الدنيا
بسلب النعمة وفى العقبى بالنار **قوله تعالى**
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض
جميعا فان الله لغنى حميد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك
مما تدعوننا اليه مريب لما بين موسى ان الشكر يقتضى زيادة النعم فى الدنيا والاخرة وان الكفران يوجب
العذاب الشديد بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفر لا تعود الا الى الشاكر والكافر فان الله مشكور
متعال عن ان ينتفع بالشكر ويتضرر بالكفران فلهذا قال موسى يا بنى اسرايل ان تكفروا انتم ومن فى الارض
جميعا فان الله لغنى حميد اى غنى فى ذاته وصفاته عن غيره فيكون غنيا عن شكركم حميدا لذاته الجميلة وانعامه
وآلائه المترادفة على المخلوقات وان لم يحمده الحامدون الم ياتكم قيل هذا من كلام موسى لقومه والمقصود
انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم ويحتمل ان يكون خطابا من الله لقوم نبينا بذكرهم امر القرون
السالفة والمقصود انما هو العبرة باحوال المتقدمين وهذا المقصود حاصل على التقديرين وقيل انه خطاب
لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم قيل والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر والذين موصول
صلته من بعدهم والموصول بصلته مبتدا لا يعلمهم الا الله خبره وهذه الجملة اعتراض ويحتمل ان يكون والذين
من بعدهم عطفا على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم

الا الله وقيل لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل وقيل ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا اخبارهم اصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم اصلا ولا يعلمهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقيل نفى الله علمها عن العباد ثم انه حكى عنها ولا الاقوام الذين تقدم ذكرهم اذ جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم اي عضوا ايديهم غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقولك عضوا عليكم الانامل من الغيظ عن ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا ايديهم الى افواههم وعن مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به وعن الاخفش وابن عبيدة تركوا ما امروا به وكفوا عنه ولم يعصوه ولم يؤمنوا به والعرب تقول للرجل اذا امسك عن الجواب فلم يجب وسكت قد رد يده في فيه وعن القتيبي انا لم نسمع احدا من العرب يقول رد يده في فيه اذا ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الايدي غيظا وغيظا كقول الشاعر ترددون في فيه عشر الحسود يعني انهم يغيظون الحسود حتى يعض على اصابعه العشر وقيل فردوا الى فعضوا ايديهم في افواههم ضحكا واستهزاء من غلبة الضحك فوضع يده على فيه وقيل انهم كانوا اذا جاءهم الرسول قال الى رسول ردوا ايديهم في افواه انفسهم اي وضعوا ايديهم في افواه انفسهم اشارة الى الرسل انا سكتوا وقيل اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غير افتاتا من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي وقيل ردوا ايديهم في افواه الرسل يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يدعونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الرسل التي اتتهم هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها وكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه متحلة على طريق المثل وقيل الباء بمعنى في اي ردوا النعم في افواههم بالرد والتكذيب وقالوا اي للامم انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعونا اليه من الايمان بالله مريب موقع في الريبة والتهمة من اراب الرجل صار ذا ريبة وهي قلق النفس وان لا يطمئن وان لا تطمئن الى الامر

قوله تعالى قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم افي الله شك هذا جواب لهم عن قولهم وانا لفي شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك فقد دل على وجوده وتوحيده قدرته خلق السموات والارض ابتداء ويدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليالكل معي وقال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى

مسور

مسور من ذنوبكم من صلة اي يغفر لكم ذنوبكم قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وعين ذلك مما يفقك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وليلا يستوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين الناس من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت مسمى وهو الموت فلا يعاجلكم بالعذاب وقيل وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان اصلحتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس اخر كالملائكة تريدون ان تصدونا عن عبادة الاصنام التي كانت يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين بحجة واضحة تتيقن بها انكم محقون في دعواكم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما اوادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا

قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم نصدقكم بقولكم ان انتم الا بشر مثلنا ولكن التماثل في البشرية لا يمنع اختصاص بعض البشر بالنبوة والمعنى انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فاكاذيب مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم وانتصفوا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. واما قول صاحب الكشاف لانه قد علم انه لا يحصرهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بالخصائص منهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم فهو مبني على مذهبه وفيه ما فيه وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان جواب لقولهم فاتونا بسلطان مبين سألوه المعجزة التي جيئنا بها حجة قاهرة وبينة ظاهرة وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان اقترحتموه تعنتا ولجاجا الا باذن الله بامره وعلمه وارادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون امرهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا وعلى حقنا ان نتوكل على الله وانا لصابرون على معاندتكم وايذائكم وما يجري علينا منكم والذي يدل على هذا قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ونفضل علينا بالنبوة ثم قالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وان يصير

غالبًا والباطل لا بد وان يصير مغلوبًا مقهورًا اما اعاد واقوى لهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والاول
لاستحداث التوكل وقوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون عاما استحدثوا
من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقيل ان قوله وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله
معناه ان الذين يطلبون سايل المعجزات وجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء
اظهرها وان شاء لم يظهرها واما قوله ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فالمراد منه
الامر بالتوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وعلى هذا التقدير فالتكرار غير حاصل لان قوله وعلى الله
فليتوكل في الموضعين بحسب مقصودين مختلفين **قوله تعالى** وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورايه
جهنم ويسقى بماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورايه
عذاب غليظ لما سمعوا كلام الرسل وانهم اكتفوا في دفع سرورهم بالتوكل على الله قالوا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن اي ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم من ارضنا او عودكم
الى ملتنا حالفين على ذلك ولا ينبغي ان يتوهموا انهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها لان العود بمعنى الصيرورة
متعارف كثير في كلام العرب كثرة شايعة لا تكاد تسمعهم يستعملونه صار ولكن عاد ما عدت اداء
عاد لا تكلمني ما عاد لفلان مال وقيل خاطبوا بقوله كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب الجماعة
على الواحد كما ذكر الكفار هذا الكلام قال الله تعالى فاوحى الله الى الرسل لنهلكن الظالمين حكاية ينبغي
اضمار القول واجرا الايحاء مجرى القول لانه ضرب من القول ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارض
الظالمين وديارهم فانجز الله وعده فاهلك الظالمين واورثهم ارضهم وديارهم واسكنهم ارضهم ذلك
الاهلاك والاسكان اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف
فيه عباده يوم القيمة وقيل لمن خاف الله على انحاء المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله من قوله افمن
هو قايم على كل نفس وخاف وعيد عذابي وقيل زواجر القرآن والمعنى ان ذلك حق للمتقين والعاقبة
للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدايهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوا
الفصل بينهم من الفتاحة التي هي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقيل استفتح
الكفار كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل الضمير يعود الى الجميع اي كلهم سالوا ان ينصر المحق
ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد معناه فنصر الرسل وظفروا بما استفتحوه وافلحوا وخاب كل
جبار عنيد وهم قومهم الذين قالوا لنخرجنكم من ارضنا وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم
على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه ثم بين عاقبة امرهم وكيفيه

عذابهم

عنادهم فقال من ورايه اي امامه وقدامه وبين يديه كما يقول ان الموت من ورايك قال تعالى وكان
وراءهم ملك وقال عيسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب قال ابو عبيدة هو من الاضداد
ويسقى معطوف على محذوف بعد من من ورايه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد وهو القيح والدم
وقيل ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه وقيل وعساله اهل النار وذلك ما يسيل من فروج الزناة فيكون
صديد عطف بيان لما فانهم من ماء ابهاما ثم بينه قوله صديد يصد عن شربه لكراهة هذا قد يجرعه
بتكليف جرعه جرعه حرعه لمرارته وحرارته ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة اي ولا يقارب
ان يسيغه فكيف يكون لا ساعه كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رويتها فكيف يراها يقول ساع
الشراب يسوغ سوغًا اذا حاد الحلق ووصل الى الجوف وقيل لا يسوغ في حلقه بل يعصره فيطول به عذابه
وقيل الاساغة انما يكون مع تقبل النفس فيكون لا يكاد يسيغه فقها قيل كانه اشد عذاب جهنم عصص
الذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان من كل جسده اي من اعضايه حتى من ابهام رجله ومن اصل كل
شعر فيجدهم الموت وما هو قيل كان اسباب الموت واصنافه كلها تجمعت واحاطت به من جميع الجهات
تقطيعا لما يصيبه من الالام وقيل البلايا اي تصيب الكافر سواها موتًا وما هو بميت ولا يخرج نفسه
فيستريح عن بن جريج تعلق بنفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه
فتسعفه الحياة نظيره قوله لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورايه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت
يستقبله يتلقى عذابًا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد
ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا الفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب وخاب كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم
بدل سقاية ما اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا لتفسير كلام متسانف منقطع عن حديث
الرسل وامهم **قوله تعالى** مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به
الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد لما ذكر انواع
عذابهم في الاية مثلا لاعمالهم التي تصير ضايعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها اختلف النحاة في
رافع مثل فقصد سيبويه مبتدا محذوف الخبر تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار
للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على بعد رسوال سايل يقول كيف مثلهم
فقيل اعمالهم كرماد وقيل يجوز ان يكون مثل الذين كفروا مبتدا وهذه الجملة التي اعمالهم كرماد خبره اي
صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد لقوله صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا
من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخ اشتدت به الريح اسرعت الذهاب به في يوم عاصف
وصف اليوم به وهو من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال يوم بارد وحار لان البرد والحر يكونان

ضرب

فيه واعمال الذين كفروا المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسري وعقر
الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغيرها من صنايعهم وهذا مثل ضربه الله تعالي لاعمال
الكفار اى حبطت اعمالهم وذهبت هباء منثورا البناها على غير اساس لانهم اشركوا فيها غير الله ولم ينتفعوا بها
كما ان الرماد الذى اشتدت به ريح عاصف وذرته صارت هباء منثورا ولم ينتفعوا به لا يقدرون
يوم ما كسبوا من اعمالهم على شيء في الاخرة اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد الذى طيرته الريح
على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب **قوله تعالى**
الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
لما بين ان اعمالهم تصير باطلة بين ان ذلك ابطلها بسبب كفرهم بالله واعراضهم عن العبودية
وان الله لا يبطل عمل المخلصين ابتداء ولا يليق بحكمته ان يفعل ذلك وانه تعالى خلق السموات والارض بالحق
فرحمن والكساى خلق السموات على انه حبران والسموات بالجر على الاضافة والباقون خلق السموات
على انه فعل ماض والسموات بالنصب على انه مفعول بالحق اى لم يخلقها باطلا وانما خلقها لامر عظيم وهو
ان يدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ان يشأ يذهبكم اى هو قادر على ان يعدمكم وياتى بمكانكم خلقا
اخر جديدا على شكلكم او على اخلاف شكلكم اى من كان قادرا على اذهاب قوم واماتتهم والاتيان
باخرين وايجادهم عن ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكة يريد امتيكم يا معشر الكفار واخلق قوما
خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل انه قادر على كل الممكنات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فاذا اراد شيا يقول له كن فيكون وهذا بيان لا يعادهم في الضلال وعظيم خطيئتهم في
الكفر بالله لوضوح ادلة التوحيد المشاهدة الدالة على قدرته الباهرة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجى ثوابه في دار الجزا **قوله تعالى** وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله
لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لما ذكر ان اعمالهم محبطة ضايعة
كرماد اشتدت ذكر في هذه الاية افتضاحهم عند تنسك اتباعهم بهم برزوا اخرجوا من قبورهم
وظهروا لله يوم القيمة والتاجئ بلفظ الماضي لانه ما اخبر الله به عز وجل لصدقه كانه قد وجد ونحوه
ونادى اصحاب الجنة ومعنى برزوا لله تعالى والله سبحانه لا يتوارى عنه شيء حتى برزوا له انهم
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة
انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية وقيل معناه خرجوا من قبورهم فبرزوا
لحساب الله وحكمه فقال الضعفا اى الاتباع للذين استكبروا اى المتبوعين الذين سادتهم
وكبراءهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا انا كنا لكم تبعا تابعين

جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذى تبع بمعنى الاتباع يقال تبعه تبعا فهل
انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم نافعون
لنا ودافعون عنا بعض الشيء الذى هو عذاب الله وقيل كلاهما للتبعيض اى هل انتم معنون عنا بعض شيء هو
بعض عذاب الله اى بعض بعض عذاب الله ما قال لهم الضعفا كانوا نزيحالهم وعنا بايا ما استيا عهم
واستغواءهم وقوله فهل انتم مغنون من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاعتناء عنهم
فاجابهم الذين استكبروا معتدين عما كان منهم اليهم بان الله لو هدانا هديناكم الايمان لهدوهو ولم يضلوهم
اى انا دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولم يهدهم فدعوا اتباعهم الى الضلال ولو هداهم لدعوهم الى الهدى
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا
اولا تصبروا سواء عليكم واتصال قوله سواء علينا بما قبله من حيث ان عبارتهم لهم كان جزعا منهم او صبرا فقالوا
لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا
مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوجع ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والافة من ذلك
اطرد وقيل يجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا والمحيص
يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وحاص بمعنى واحد
قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم لما ذكر تلك المناظرة
التي وقعت بين الضعفا والذين استكبروا اردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبينهم
فقال وقال الشيطان لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار وعن مقاتل يوضع للشيطان منبر من نار فيرقاه ويجتمع عليه الكفار من الانس
والجن فيقول لهم ان الله وعدكم وعد الحق اى البعث والجنة والثواب فوفى لكم ووعدتكم وعدا باطل
اى لا بعث ولا جنة ولا نار فاخلفتكم الوعد وكذبت وما وفيت لكم وما كان لي عليكم من سلطان
من تسلط وولاية ومملكة وحجة ونصير فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيئكم اليها الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم هذا استثنا منقطع اى لكن دعوتكم وقيل الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب قال الامام وعلى ان
تقال الاستثنا ها هنا حقيقي لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال بان يكون القهر
والقسر تارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فاستحيث
لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني فان من تجرد بالعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح ولان الله قد قال لكم
الحق ووعدتكم فاخلفتكم

ذكر ابن المبارك قال اخبرنا رشدين بن سعد
قال اخبرني عبيد الرحمن بن زياد عن دراج
الجزري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديث الشفاعة وفيه فيقول
عيسى عليه السلام ادلكم على النبي الامي فاتوني
فياذن الله لي ان اقوم فيثور محلي من الطيب
ريح شمها احد حتى اتى ربي فيشفعني و
يجعل لي نورا من شعر راسي الى قدمي ثم
يقول الكافر قد وجد المومنون من يشفع
لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو الا ابليس
هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد
المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا
لانك اضللتنا فيقوم فينور من مجلسه الا نتن
ريح شمها احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك
وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم

لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم باجابتي متابعتي من غير سلطان
وحجة قال صاحب الكشاف ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بقولي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
اذ دعاكم قال وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة او يحصلها لنفسه
وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا
انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان
هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره عليه لانه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام
الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان
لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
قيل غاية هذا الاستدلال ان الشيطان اضاف اللوم الى انفسهم ونحن نقول بموجبه لان العتاب
والعقاب متوجهان الى المكلف بسبب كسبه ومباشرته لانه في الظاهر كالمختار ولان قول الشيطان
معطوف على قول الضعفا وكلتا القضيتين حكاية لقول الفريقين ومخاصمة جرت بين اغويين وهما
تفصيلان لما اجمل في قوله وبرزوا لله جميعا وذكر في الاية الاولى احتجاج المستكبرين على المستضعفين
وهو قولهم لو هدانا الله لهديناكم فلما دل قول الشيطان على ظاهر مذهبكم دل قول المستكبرين على خلافه
ولعمري انه تفسير بالراي وذلك انه حين سمع ان قول المستكبرين مخالف لمذهبه قال اما موركين بالذنب
واما معتذرين بعدم اللطف وحين راى الشيطان نزل بما يوافق مذهبه شنع على اهل السنة قال صاحب
الانتصاف حمل كلام الكفار في الاول على الابطال اذ لا يوافق مذهبه واستشهد على ان الكذب غير
ممتنع بقوله ويحلفون له ولما وافق قول الشيطان معتقده صوبه اتباعا لهواه ونحن نعتقد ان الملامة
انما تتوجه على المكلف وتعالى الله عن توجه الملامة اليه ولله الحجة البالغة لان الله خلق للعبد اختيارا
عنده من نفسه في الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة عليه وان سلبنا باشر قدرة الخلق
في الفعل فلا تناقض لانه يوجد اللوم اي المكلفين وجواب ما قاله صاحب الكشاف بعينه هو
الجواب عن كلام المعتزلة في الاحتجاج بالايات الدالة على اسناد الفعل الى العبد فلا فايدة في ذكره
هاهنا لما سبق ما انا بمصرخكم بمغيثكم ومنجيكم من عذاب الله والاصراخ الاغاثة وما انتم بمصرخي
من عذاب الله اي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه قرا حمزة بمصرخي بكسر الياء والباقون
بفتحها وجه الكسر انه جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكان ياء المتكلم ياء وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل نقل ابو علي في الحجة عن القاسم بن معن انه صواب
وكان ثقة بصيرا وقال فنظرت قراة حمزة لغة في بني ابن يوع واللغة وان كان غيرها مستفيضا استعماله
اذا ساعدها القياس لم يجز ان يقال ان القراة بها لحن لكن القايل بانها لحن لا يكفر لانه ليس مما شرط فيه

التواتر

التواتر اني كفرت بما اشركتموني ما في بما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعناه كفره
باشراكهم اياه تبرؤه منهم واستنكاره له كقوله انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وقيل معناه اني جحدت ان اكون شريكا لله فيما اشركتموني به من طاعتكم اياي وتبرات
من ذلك وقيل ما موصولة ومن قبل متعلق بكفرت اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي
اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له
شريكا ونحو ما في هذه الاية ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له
فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها ان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل انه من تمام كلام ابليس
وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله ابليس في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه
الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ويحتمل ان يكون قول الله على الاستيناف
قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام لما بالغ في شرح الكفرة الاشقيا ذكر احوال
المومنين السعدا وقد عرف ان الثواب يجب ان يكون منفعة خالصة دايمة مقرونة بالتعظيم
بقوله وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى المنفعة الخالصة
وقوله خالدين فيها اشارة الى دوامها وقوله باذن ربهم متعلق بقوله وادخل اي ادخل الملايكة
الذين امنوا وعملوا الصالحات باذن ربهم وامره وقوله تحيتهم اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملايكة
لهم في الجنات سلام وهما يفيدان التعظيم **قوله تعالى** الم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار لما فرغ من احوال اهل الشقاوة والسعادة ضرب
لحال كل منهما مثلا الم تر الم تعلم كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة
نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقوله شرف
الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس وقيل مثلا وكلمة منصوبان بضرب اي ضرب كلمة
مثلا اي جعل كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على ان قوله كشجرة طيبة خبر مبتدا محذوف
اي هي كشجرة طيبة وقيل كشجرة طيبة في موضع الحال اي ضرب الله مثلا كلمة طيبة مشبهة
بشجرة قيل الكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة

والاستغفار والتوبة والدعوة الى الدين وقيل الكلمة الطيبة القرآن والمراد بالطيب
ان يكون من الاخلاص والشجرة الطيبة هي المثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجر التين والرمان
والعنب وغير ذلك وعن بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه ان شجرة من الشجر
لا تطرح ورقها وهي مثل المومن فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
انها النخلة ثم نظرت فاذا انا اصغر القوم فاستحييت وسكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هي النخلة فذكرت لابي فقال يا بني لو كنت لكان احب الي من حمر النعم وقيل طيبة الشكل والصورة
والنظر والثمر انها لذيذة مستطابة والرايحة والمنفعة اي كما يستلذ اكلها فلذلك الانتفاع بها
اصلها اصل هذه الشجرة ثابت في الارض اي راسخ بان امن الانقطاع والزوال لان الشيء الطيب
اذا كان في معرض الزوال واذا كان الفرح يحصل بوجدانه الا انه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله
واذا علم من حاله انه باق ثابت دائم لا يزول يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به وفرعها
في السماء اي في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة نحو قولك في الجبل طويل في السماء وهذا الوصف يدل
على كمال حال تلك الشجرة لان ارتفاع الاغصان وقوتها والتصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق
ولانها اذا كانت عالية كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذورات الابنية وكانت ثمارها نقية
طاهرة عن جميع الشوايب تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين باذن ارادة ربها وتكوينه قيل كل حين كل سنة
لان الثمرة السنة مرة عن عكرمة ارسل الى عمر بن عبد العزيز اني نذرت ان اقطع يد غلامي واجنبه حينا
فما عندك فيه يا مولى بن عباس قال الحين حينان حين يعرف وحين لا يعرف فاما الحين الذي لا يعرف فقوله ولتعلمن
نبأه بعد حين واما الذي يعرف فقوله تؤتي اكلها كل حين فهو ما بين العام الى العام المقبل فقال اصبت واحسنت
يا مولى بن عباس ولان الثمرة في السنة وقيل ستة اشهر ما بين حملها الى حملها عن بن عباس انه سئل عن رجل
حلف انه لا يكلم اخاه حينا فقال الحين ستة اشهر وقرأ هذه الاية وقيل الحين شهران لان النخلة
لا يكون اكلها الا شهرين وقيل كل حين كل غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المومن اول النهار وآخره وقيل
كل ساعة ليلا ونهارا شتاء وصيفا وتوكل في جميع الاوقات كذلك المومن لا يخلو من الخير في الاوقات
كلها بمعرفة الله والاستغراق في عبوديته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات اما الصفة الاولى
وهي كونها طيبة وهي حاصلة بل لا طيب في الحقيقة الا معرفة الله لان اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة
المعينة انما حصلت لان ادراك تلك الفاكهة ونيلها امر ملائم لمزاج البدن وليس الملايم للروح القدسية
لما معرفة الله ومحبته والابتهاج بها فتكون اللذة الحاصلة من هذه المعرفة اعلى مرتبة من اللذة الحاصلة
بادراك الفاكهة ونيلها واما الصفة الثانية وهي ان اصلها ثابت فكذلك اصل هذه الكلمة ثابت راسخ في
قلب المومن بالمعرفة والاخلاص والتصديق واما الصفة الثالثة وهي كون فرعها في السماء فكذلك لهما

اغصان

اغصان صاعدة في عالم القدس وهي اصناف كثيرة يجمعها التعظيم لامر الله ويدخل فيه التامل في دلايل
معرفة الله في عالم الارواح وفي عالم الاجساد وفي احوال الفلك والكواكب في احوال العالم السفلي ويدخل
فيه محبة الله والشوق اليه والمواظبة على ذكره والاعتماد بالكلية على الله والانقطاع عما سوى الله واغصان
صاعدة في هذا العالم الجسماني وهي انواع كثيرة يجمعها الشفقة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة والرافة
والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في ايصال الخير اليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة بالاحسان
فهذه فروع صاعدة من معرفة الله قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه واما الصفة
الرابعة وهي قوله تؤتي اكلها كل حين فان الكلمة الطيبة التي هي معرفة الله كما كانت رسوخها في القلب اقوى
كانت ظهور هذه الاثار وعند اكثر ورعا تؤتي في هذا الباب فيصير بحيث كما لاحظ شيئا لاحظ الحق فيه وربما
عظم ترقيه فيه فيصير لا يرى شيئا الا وقد كان قد راى الله قبله فهذا هو المراد من قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين
واما قوله باذن ربها ففيه دقيقة عجيبة وذلك لان عند حصول هذه الاحوال السنية والدرجات العالية
قد يفرح الانسان بها من حيث هي هي وانما يفرح بها من حيث انها من المولى وعند ذلك يكون فرحه بالحقيقة
بالمولى لا بهذه الاحوال قيل انما مثل الله سبحانه الايمان بهذه الشجرة لان هذه الشجرة لا تكون طيبة الا
بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قايم واغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة اشياء معرفة في القلب
وقول باللسان وعمل بالابدان ويضرب الله الامثال للناس لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير
للمعاني لان المعاني المعقولة الصرفة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاما ذكر ما ينا سبها من المحسوسات
ترك الحس والخيال والوهم المنازعة فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة كل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك كشجرة الحنظل والكشوث ونحو
ذلك عن ابن عباس هذا مثل ضربه الله ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الارض اجتثت من فوق الارض في مقابلة
قوله اصلها ثابت اقتلعت عن بن عباس انتزعت عن الضحاك استوصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار استقرار يقال قر الشيء قرارا كقوله ثبت ثباتا شبه بها كلمة الشرك لا خير فيها
ولا يصعد لها عمل صالح ولا يعضد بحجة فهي داحضة غير ثابتة تضمحل عن قريب لبطلانها قيل لبعض العلماء ما تقول
في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة
يثبت الله الذين امنوا يحقق الله امانهم واعمالهم بالقول الثابت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وهو شهادة
ان لا اله الا الله ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كما ثبت الذين
فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشر والذين مشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت
جرجيس وشمسون وغيرهم وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا
ولم تحيرهم احوال الحشر وقيل معناه البيات عند سوال القبر عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقيل في الحياة الدنيا القبر وفي الاخرة
بعد البعث وقيل التثبت في الدنيا الفتح والنصر وفي الاخرة الجنة والثواب ويضل الله الظالمين الكافرين اي
لا يلقنهم فان الكافر اذا دخل عليه الملكان قالا له من ربك ومن نبيك قال لا ادري قالا له لا دريت ولا كنت
عشت عصيا ومت شقيا ويفعل الله ما يشاء فلا اعتراض عليه في تثبيت المومنين واضلال الضالين

قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم
يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار عاد في هذه
الاية الى ذكر احوال الكفار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكر النعمة الذي وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم
حيث وضعتم التكذيب موضعه وقيل بدلوا نفس النعمة كفرا لانهم لما كفروا النعمة سلبوها فبقوا مسلوبي
النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة قيل هم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته
واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم وقيل اصابهم الله
بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر
بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن
عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا حتى حين وقيل هو عام في جميع المشركين ونعمة الله محمد صلى الله
عليه وسلم بعثه الله نعمة عليهم فكفروا واحلوا قومهم وانزلوا من تابعهم على الكفر دار البوار اي دار الهلاك
ثم ترجم عن دار البوار ما هي فقال جهنم فهي عطف بيان يصلونها يدخلونها ويقاسون حرها وبئس القرار
المقر جهنم وجعلوا لله اندادا اي سموا اصنامهم اندادا امثالا لله ليضلوا قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء اي
ليضلوا انفسهم والباقون بضمها اي ليضلوا الناس عن سبيله واللام لام العاقبة والمعنى كان عاقبة
جعلهم لله اندادا الضلال او الاضلال عن الصواب وقيل اللام لام كي على قراءة ضم الياء قل يا محمد لهم تمتعوا
عيشوا في الدنيا بشهواتكم وبعبادة الاوثان ايذان بانهم لا يقاسهم في التمتع في الحياة الدنيا وانهم
لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم
امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار
ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار وهذا الامر يسمى التهديد ونظيره قوله اعملوا ما شئتم
وكقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار **قوله تعالى** قل لعبادي الذين امنوا يقيموا

الصلاة

الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال لما امر الكافر امر التهديد
بالتمتع بنعيم الدنيا امر المومنين في هذه الاية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في الجهاد بالنفس والمال قل يا محمد لعبادي
قرا حمزة والكسائي بسكون الياء والباقون بفتحها خصهم بالاضافة تشريفا لهم قيل مقول قل محذوف تقديره قل لعبادي
الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم وانما حذف المقول لان جواب قل وهو قوله ليقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم يدل عليه وقيل يجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا وليتفقوا ويكون هذا هو المقول وانما جاز مد في
اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل ابتدا يقيموا الصلاة وينفقوا بحذف اللام لم يجز سرا وعلانية مصدران
وقعا موقع الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وقيل منصوبان على الظرف اي وقتي سر وعلانية
وقيل منصوبان على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والسر ما خفي والعلانية ما ظهر وقيل المعنى اخفا المتطوع
به من الصدقات والاعلان بالواجب وقيل السر الصدقات والعلانية العقاب من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه اي من قبل يوم القيمة ومعنى لا بيع لا فدا وقيل لا يقدر على ابتياع ما ينجيه ولا خلال اي لا مخالة وهي المودة
اي لا شفاعة للكفار لان الخليل يشفع للخليل والخلال مصدر وقيل جمع خلة كقلة وقلال **قوله تعالى**
الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتيكم من كل ما سالتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لما اطنب في بيان احوال السعدا واحوال الاشقياء
وكانت العمدة العظمى والمنزلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة
فقدان هذه المعرفة لا جرم ختم الله وصف احوال السعدا واحوال الاشقيا بالبراهين الساطعة والحجج
القاطعة على وحدانيته وكمال علمه وقدرته الله مبتدا والذي خلق خبره من الثمرات مفعول اخرج لان اخرج
بمعنى رزق وقيل من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
بقوله كن وسخر لكم الانهار تجري فيها المياه وقيل تسخير هذه الاشيا تعليم كيفية ايجادها وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين في سيرهما واثارهما ورفعهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والمعادن والنبات
والحيوان والانسان وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم واسبابكم ولو كان الليل سرمدا والنهار
سرمدا ما كان على الارض نبات ولا حيوان كما هو كذلك حيث لا تغرب الشمس فيه وحيث لا تطلع عليه الشمس
واتيكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه قيل التقدير اتاكم من كل شي سالتموه شيا
وقيل ما من شي الا وقد ساله بعض الناس وقيل معنى من كل التكثير كما تقول فلان يعرف كل شي وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها والاحصا الاحاطة بمبلغ العدد والمعنى
ان تروموا عدها بقصدكم اليه لا تحصوها لكثرتها وقيل وان تعدوا احادها لا تحصوها نهايتها لكثرتها وقيل
ان اردتم ان تعدوها على الاجمال لا تحصوها واما على التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان

لظلوم على نفسه باعتقال شكر النعمة كفار وقوى الكفران لنعم ربه وقيل ظلوم في السنة يشكر ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وقيل الانسان للجنس فيتناول الاحبار بالظلم والكفران من يوجد ذلك منه وقيل اراد بالانسان غير المومن

قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم لما بين بالايات الباهرة والبينات الظاهرة ان لا معبود الا الله وانه لا يجوز عبادة غير الله حكى عن ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه مبالغة في الاجتناب عن عبادة الاوثان هذا البلد اى البلد الحرام زاده الله امنا وشرفا امنا ذا امن والفرق بين قوله في سورة البقرة اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا انه سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد الذي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يزيل عنه الصفة التي كانت حاصلة له وهي الخوف ويجعله ذا امن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وبني اى بعدنا واجعلنا منه في ناحية وبعد اى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه فانه اجيبت دعوته فيهم واما باقي نسله ففيهم من عبد الاصنام وهذا الدعاء من ابرهيم عليه السلام يقتضي افراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته كيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه ينبغي ان يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة الاصنام المختبرة عما خلقة البشر وما كانه منحوتا على غير خلقة البشر فهي اوثان قاله الطبري عن مجاهد رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك واسناد الاضلال الى الاصنام مجازي لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اى هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من عصاني فانك غفور رحيم فليس منا اى ليس بعضي المومنين على ان المستثنى ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور ما سلف منه من عصياني اذ بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل ومن عصاني فمادون الشرك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم امتي ثم بكا فقال الله جل ثناوه يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك

قوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب اخبر الله تعالى عن ابرهيم انه قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض ذريتي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة

غير ذي

غير ذي زرع يعني وادي مكة لا زرع فيها ولا نبات لانه حيل وجر عند بيتك المحرم هو بيت الله لم يملكه احد سوى الله قيل المحرم لانه حرم التعرض اليه والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه وقيل لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب وقيل لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها وقيل لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه وقيل لانه حرم فيه المحارم واشياء مما يحق ولهم تعاطيها في بيوتهم من الدماء والاقذار وغيرها ربنا ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اى اسكنت من ذريتي لهذا الغرض وهو اقامة الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما يصلح به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكرم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اشرت بها سكان حرمك فان قيل ما وجه قول ابرهيم عند بيتك المحرم وانما بنى ابرهيم البيت بعد ذلك بمدة قيل معناه عند بيتك المحرم الذي قبل ان ترفعه من الارض حين رفعته ايام الطوفان وقيل عند بيتك المحرم الذي كان في سابق علمك انه يحدث في هذا البلد روي ان سارة كانت لها جارية تقال لها هاجر فوهبتها من ابرهيم ولدت منه اسمعيل فغارت سارة وناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما ابرهيم الى ارض مكة ثم رجع الى سارة وذكر اذ سارة بعد ما بشرت بالولد جعلت تهيئ اسباب الولادة من المهد وغيره وكانت فيها اصفر واخضر فضحكت اسمعيل فغضبت سارة وقالت منزلتك بلغت ان تضحك من ابني لا اراك تمكث هاهنا فحمله ابرهيم واسكنه الوادي فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم قبيلة من العرب نظروا فراوا طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوا ذلك الموضع فراوها جروا اسمعيل وعندها عين ماء فقالوا اتشركنا في مائك نشركك في ابائنا ففعلت ذلك فنزلوا واختلفوا في سن اسمعيل فقيل كان باقا حين اسكنه الوادي الا ترى انه كان يتعين ابرهيم في بناء البيت وقيل انه كان قد نشأ ولم يبلغ بعد وقيل انه كان طفلا فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض يدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتهم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند وقيل من الابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكر المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افيدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع اليهم وتنزع وتميل وتسامت اليهم وهذا دعاء منه عليه السلام لهم بان يرزقهم حج بيته الحرام وارزقهم من الثمرات ما رزقت سكان الذي ذوات المياه مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان يجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون ولد النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد بهذه الصفة ليس فيه زرع ولا ماء لاجرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه بم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اى بلد من بلاد المشرق والمغرب يرى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع المواكيه والفواكه المختلفة

الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله بزيارة
حرمه ووفقنا لشكر نعمته **قوله تعالى** ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني
مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاي ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب تكرير النداء
دليل التضرع واللجا الى الله تعلم ما نخفي من الخلق وما نعلن وقيل ما نخفي من محبتك وما نعلن من شكرك وقيل
وما نعلن من الوجد بسبب حصول الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكا وقيل ما نخفي من الحزن المتمكن
في القلب وما نعلن مما جرى بيني وبين هاجر قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى وقيل تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب
عليه والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا فلا حاجة الى
الدعا والطلب وانما ندعوك اظهارا لعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك
واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع
توفر السيد على حسن الملكة وما يخفى على الله من شيء قيل ذلك من تمام كلام ابرهيم عليه السلام اي وما يخفى
على الله شيء ما وقيل من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اي مع الكبر كقول الشاعر اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكتف وهو
في موضع الحال ومعناه وهب لي في حال الكبر عن بن عباس رضي الله عنهما ولد اسمعيل لابرهيم عليهما السلام
وهو بن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق عليهما السلام وهو ابن ماية سنة وثنتي عشرة سنة
وعن سعيد بن جبير بشر ابرهيم باسحق بعد ماية وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة
الولد منها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم
واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء لما ذكر
الدعا على سبيل التعريض لا على وجه التصريح قال ان ربي لسميع الدعا اي هو عالم بالمقصود سوا صرحت به
او عرضت له وقيل كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرم به
من اجابته وقوله سميع الدعا من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده
واضافة السميع الى الدعا اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه فعيلا
في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه وقيل يجوز ان يكون
من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني
مقيم الصلاة ومن ذريتي اي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما ذكر البعض لانه علم
باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين عن بن عباس لا يزال من ولد

ابرهيم

ابرهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة ربنا وتقبل دعاي استجب دعاي واجعله دعا مقبولا مجابا وقيل
عبادتي عن النبي صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فسمى الدعا عبادة ربنا اغفر لي ولوالدي فان قيل كيف جاز لابرهيم
ان يستغفر لوالديه وكانا كافرين اجيب بان المنع لا يعلم بالتوقيف فلعله لم يجد منه منعا فظن كونه جايزا
وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وقيل اراد ان آمنا وتابا وياباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه
لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا يقال فيه فكيف يستثنى لاستغفار الصحيح من جملة ما يوتسى فيه
بابرهيم عليه السلام وللمومنين كلهم عن بن عباس رضي الله عنهما من امة محمد صلى الله عليه وسلم يوم يقوم يبدو و
يظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس اذ كان مفهوما معناه
وقيل يقوم يثبت وهو مستعار من قيام القايم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساق ونحوه قولهم
ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوها كانها قامت على رجل وقيل يجوز ان يكون مثل وسل القرية **قوله تعالى**
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي روسهم
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء لما حكى عن ابرهيم عليه السلام انه طلب من الله ان يجنبه وبنيه
عن عبادة الاصنام ذكر ما هو وعيد للظالمين وعبدة الاصنام اظلمهم فان قيل تعالى الله عن الغفلة
فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس بالله غافلا لجهله به ولصفاته فلا سوال
فيه وقيل خطاب لرسول الله واراد به التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا الايذان
بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد
كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد وقيل اراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون
ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن بن عيينة تهديد للظالم وتسلية للمظلوم
انما نوخرهم نمهلهم ونوخر عذابهم ليوم تشخص لا تغمض فيه الابصار ولا تفتر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين الى الداعي والاهطاع الاسراع والبدار وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف
مقنعي روسهم رافعيها والاقناع رفع الراس والنظر في ذل وخشوع وقيل ناكسوا روسهم لا يرتد اليهم طرفهم
لا يرجع اليهم ان يطرفوا باعينهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة محدودة من غير تحريك للاجفان فالطرف
مصدر وقيل الطرف العين اي لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافيدتهم هواء خالية من كل خير
والخلا الذي يشغله الاجرام فوصف به فقيل قلت فلان هوا اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا حمرة ويقال للاحمق
ايضا قلبه هواء وقيل هوا لا تعي شيئا وقيل نزعت افيدتهم من اجوافهم لا تستقر وقيل الفواد موضع القلب
من الصدر والمعنى خلع الخوف قلبهم فليس من جوانحهم قلب **قوله تعالى** وانذر الناس
يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل

اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف
فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وانذر يا محمد كفار مكة وغيرهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر
وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا عطف على قوله يأتيهم وليس بجواب هذا لذلك رفع الذين ظلموا عطف على قوله
يأتيهم وليس بجواب هذا لذلك رفع الذين ظلموا اى اشركوا ربنا اخرنا امهلنا الى اجل قريب وهو الدنيا انبي
ارجعنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك
واتباع رسلك وقيل اريد بالموت يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وقيل يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بالاشرى وانهم يسألون يومئذ اذ يوحى هو ربهم الى اجل قريب كقوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق فنجابوه اولم تكونوا اقسمتم حلفتم من قبل ما لكم من زوال عنها اى انكم اذا متم لا تزولون عن تلك الحالة
الحيوة ثانية اى لا تبعثون وهو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت قال صاحب
اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل
والسعة واذ يقولوا للسادة الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب
لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال وقيل اقسمتم انكم ماكثون في الدنيا لا تزالون بالموت والفنا
وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا انفسهم والسكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك
قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل نزلها واوطنها
ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سايرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا محدثين
بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم
وانتقمنا منهم وقيل شاهدتم في منازلهم اثارنا منزل بهم فانا باقية وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما
فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم **قوله تعالى** وقد مكروا مكرهم
وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اى وقد مكروا مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
في قاييد الكفر وابطال الانبيا وعند الله مكرهم قيل مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكرتب عند الله مكرهم
فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وقيل مضاف الى المفعول وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه
يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم اى وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة بحيث تزول
منه الجبال منه مثلا لتفاقه وشدته اى وان كان مكرهم مستويا لازالة الجبال معدا لذلك وقيل ان نافية واللام
موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثال لايات الله وشرايعه
لانها تعزله الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وقرأ الكسائي بفتح اللام الاولى ووضح التانيه على معنى وان كان مكرهم
من الشدة بحيث تزول منه الجبال عن اماكنها **قوله تعالى** فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله ان الله عزيز ذو انتقام اى وعده بالنصر لاوليايه والقهر لاعدايه يعني قوله انا لننصر رسلنا

كتب الله

كتب الله لاغلبن انا ورسلي وانما قدم المفعول الثاني على الاول لتعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد
كيف تخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يغالب ولا يمنع عليه شي ذو انتقام
لاوليايه من اعدايه **قوله تعالى** يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار يوم بدل من يوم ناسهم وقيل ظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي يعرفونها
ارضا غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير
ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقد يكون في الوصف كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات
فقيل تبدل الارض والسموات اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوي فلا يرى فيها عوج ولا
امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد واوما الناس بالناس الذين عهدتم ولا الدار بالدار التي
كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تفنى
هذه الارض وهذه السموات ويخلق بدلها ارض اخرى وسموات اخر وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحايف وعن ابن مسعود تحشر الناس على ارض
بيضاء لم يعمل عليها خطية وبرزوا خرجوا من قبورهم لله الواحد القهار لانه لم يبق سواه وانفرد بالامر كله
وقوله الواحد القهار كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
ولا يغار فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة **قوله تعالى**
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل
نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب وترى المجرمين اى الكفار الكاملون في الجحود يومئذ يوم القيمة
مقرنين في الاصفاد الاصفاد القيود وقيل الاغلال قيل الاصفاد متعلقة بمقرنين اى مقرنين في
الاصفاد وقيل غير متعلقة به والمعنى مقرنين مصفدين سراتهم وقصاتهم ولباسهم من قطران
ما يهنا به الابل عن قتادة القطران النحاس عن الضحاك القطران النحاس والنحاس الصفر وقيل القطران
شي في النار وقيل ما ينجلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ ذهنا للابل الجربى فتحرق الجرب بحره وحدته والجلد
وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يسترح به وهو اسود اللون منتن الريح
فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل لتجتمع عليهم الاربع القطرانين كالتقاوت بين النارين
وكل ما وعده الله اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما شاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عنده نامنه
الا الاسامي والمسميات ثمة وتغشى وجوههم النار تعلوها باشتعالها فهي يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك

التقاوت بين ظ

قال تطلع على الافيدة لنجزي الله اى نفعل بالكافرين ما يفعل لنجزي الله اى نفعل بالكافرين ما نفعل لنجزي
كل نفس كافرة ما كسبت وقيل كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم على انه يثيب
المطيعين لطاعتهم **قوله تعالى** هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد
وليذكر اولوا الالباب هذا قيل اشارة الى المذكور من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب
وقيل الى ما في هذه السورة وقيل الى كل القرآن بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة ولينذروا معطوف
على محذوف اى لنصحوا ولينذروا باللام اى بهذا البلاغ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا لما اندروا
به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية اصل الخير كله

سورة الحجر مكية

وهي الف وسبعمايه وستون حرفا وستمايه واربع وخمسون كلمه وتسع وتسعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الر تلك ايات
الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة وكذا
قرآن وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل في كونه كتابا وآي قرآن مبين كانه قيل الكتاب
الجامع للكمال والغاية وقيل الكتاب التوراة والانجيل وقرآن كتابنا **قوله تعالى** ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين قراء نافع وعاصم وربما بالتخفيف والباقون بالتشديد دخلت ربما على
المضارع وان منعوا دخولها عليه لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه
قيل ربما ود وليس المراد به التقليل بل ورد على عادة العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم
الانسان على ما فعل ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم اراد وا لو كان الندم مشكوكا
فيه او كان قليلا يحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء تحرزون من التعرض للغم المظنون كما تحرزون
من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الاية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة
فبالحري ان يسارعوا الله كيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية وداد تهم وانما جيء به على
لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا افعلن ولو كنا مسلمين لكان
حسنا سديدا وقيل ربما ههنا للتقليل حقيقة فان اهوال ذلك اليوم تدهشهم فيبقون مبهوتين
فلا حانت منهم التفاتة في اوقات قليلة من سكرتهم تمنوا وقيل وداد تهم عند الموت وقيل يوم القيمة اذا عاينوا
سوء احوالهم وحسن احوال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار **قوله تعالى**
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ذرهم محمد الكفار ياكلوا في الدنيا ويتمتعوا
من لذاتها وتفيد شهواتهم ويلههم ويشغلهم املهم عن الاخذ بحظهم من الايمان فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا وردوا القيمة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد للكفار وفيه تنبيه على ان

اشار

ايثار التلذذ والتنعم وما يودي اليه طول الامل ليس من اخلاق المومنين قيل هذه الاية نسختها
اية السيف **قوله تعالى** وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون لما توعد من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا اتبعه بما يركد الزجر قال صاحب الكشاف ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس
الا يتوسط الواو وبينهما اى بين الموصوف والصفة في قوله تعالى ما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما تقول في الحال جاني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب
قال صاحب المفتاح والوجه عندي هو انه ولها كتاب معلوم حال القرية لكونها في حكم الموصوفة اى
قرية من القرى لا وصف وحمله على الوصف سهو لا خطأ ولا عيب في السهو كتاب معلوم مكتوب
معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة قيل من زايدة كقولك ما جاني من احد
وقيل ليست زايدة لانها تفيد التبعيض اى ما تسبق بعض من ابعاض الامة فتفيد تاكيد عموم النفي
اجلها اى ما سبق من امه اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون انث الامة اولا فقال اجلها حملا
على اللفظ ثم ذكرها اخرا فقال يستاخرون حملا على المعنى اى وما يستاخرون عنه بحذف عنه لانه معلوم
والمعنى وما اهلكنا قوم قرية الا ولوقت اهلاكهم وقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر **قوله تعالى**
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملايكة ان كنت من الصادقين
ما تنزل الملايكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لما بالغ
في التهديد ذكر بعده شبهة الكفار في انكار نبوته اى وقال الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم والذكر القرآن اى نزل عليه بزعمه ودعواه وهذا النداء منهم على وجه الاستهزاء
وكيف يقرون بنزول الذكر اليه ويتسبونه الى الجنون والتعلس في كلامهم الاستهزاء والتهكم
مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد
يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك تقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر وتريد ان تدع
دين ابائنا وتبعك من غير بينة لو ما تاتينا ولولا للتعنيت لامتناع الشي لوجود غيره والتحضيض
والمراد ههنا التحضيض والمعنى هلا تاتينا بالملايكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا فانا اذا اوتينا ذلك صدقناك وامنا بك واتبعناك
وقيل هلا تاسانا بالملايكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت من الصادقين كما كانت تاتي الامم المكذبة
برسلها ما تنزل قراء حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ننزل بضم النون الاولى وفتح الثانية
وكسر الزاي ونصب الملايكة وابو بكر بضم التاء وفتح النون والزاء ورفع الملايكة والباقون بفتح
الناء والزاي وتشديدها ورفع اللام والملايكة اجاب الله تعالى عن شبهتهم تقريرا للجواب على الوجه

الاول ان انزال الملايكة لايكون الا بالحق وعند حصول الغاية وقد علم الله من حالهم اولا الكفار انه لو انزل عليهم الملايكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انكارهم عبثا باطلا ولا تنزل الملايكة الا بالحق وتقرر الجواب على الوجه الثاني ان الملايكة لا تنزل لهم الا بعذاب الاستيصال وحكمنا في امة محمد ان لا نعذبهم بعذاب الاستيصال وان نمهلهم لما علم من ايمان بعضهم ومن ايمان اولادا لباقين بالحق اي ملتبسا بالحق وهو الوحي والعذاب او الرسالة او الموت وقيل بالحق الذي لا يثبت معه الباطل طرفة عين وقيل بالحق بالقرآن وما كانوا اذن منظرين اذن جواب للكفار وجزاء للشرط مقدر وتقديره ولو نزلنا الملايكة ما كانوا منظرين مهملين وما اخرنا عذابهم انا نحن نزلنا تاكد علمهم انه هو المنزل على القطع والبتات وان الذي هو بعث جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون من ان يزاد فيه ما ليس منه او ينقص منه ما هو فيه وقيل لحافظون من ابليس والشياطين الانس والجن ان يزيدوا فيه باطلا او ينقصوا منه حقا وعن قتادة له لمحمد عليه السلام حافظون من اعدائه وقيل لحافظون القرآن في قلب من اراد نابه الخير

قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين لما اساوا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وقالوا له انك لمجنون ذكر سبحانه وتعالى ان عادة الجهال مع جميع الانبياء هكذا كانت فلك اسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الانبيا ولقد ارسلنا من قبلك رسلا حذف رسلا لدلالة الارسال عليه في شيع الاولين في فرقهم وطوايفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم اي جعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون كما فعلوا بك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك نسلكه اي مثل ذلك السلك فسلك الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين على معنى نجعله وندخله في قلوب المجرمين من مشركي مكة مكذبا مستهزءا به غير مقبول ومحال لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به وقيل بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين التي سنها الله في اهلاك مكذبي الرسل حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم يخوف اهل مكة على استهزائهم وتكذيبهم وقوله وقد مضت سنة الاولين بان نسلك الكفر والضلال في قلوبهم

قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ان مشركي مكة لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول الملايكة حتى يصدقوه في كونه رسولا من عند الله بين الله تعالى في هذه الاية انه بتقدير نزول الملايكة لا صدقوه بل يقول الذين كفروا هذا من باب السحر ولو فتحنا على هاولا القايلين لولا ما تاتينا بالملايكة بابا من السماء فظلت الملايكة

فهذا

في هذا الباب يعرجون ويهربون عيانا لقالوا انما سكرت حيرت عن ابن عباس سدت ابصارنا من السكر وعن الحسن تحيرت وعن قتادة اخذت وعن الكلبي اغشيت وعميت وقيل حبست من الابصار من السكر وقيل هو من سكر الشراب كانه اريد عشيت ابصارنا قيل المعنى انها ولا المشركين بلغ من غلوهم في العناد انه لو فتح لهم باب من السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان لقالوا هو شيء نتخيله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم في النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقالوا انما يدل على انهم بمسرود القول بان ذلك ليس بسكر الابصار

قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين لما اجاب عن منكري النبوة وكان قد ثبت ان القول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد اتبعه تعالى بدلايل التوحيد ولما كانت دلايل التوحيد منها سماوية ومنها ارضية بدا ههنا بذكر الدلايل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي اثنى عشر برجا اسماؤها الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو ان طبايع هذه البروج مختلفة والسماء فيها هذه البروج المختلفة فاختلافها لا يكون لنفس السماء ولا لموجب يوجبه فيكون هذا الاختلاف باختيار فاعل مختار قادر حكيم واحد والا لفسدت السماء وما فيها وزيناها اي وزينا السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين اي للمعتبرين بها والمستدلين بها على وحدانية صانعها وعلمه وقدرته وارادته واختياره وحفظناها اي وحفظنا السماء من كل شيطان رجيم ملعون يرمى بالنجوم وحفظا السماء من كل شيطان رجيم منعه من القرب بحفظ الله السماء من كل شيطان كما قد يحفظ منازلنا ممن يحسسن ويحشى منه النساء والرجم الرمي بالحجارة ومنه رجم المحصن والرجم السب والشتم لانه رمي بالقول القبيح والرجم اسم لكل ما يرمى به ومنه قوله تعالى رجما بالغيب وجعلناها رجوما للشياطين اي مرامي لهم والرجم القول بالظن ومنه قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ورجما بالغيب لانه يرميه بذلك الظن والرجم الطرد واللعن والرجيم في الاية قد فسروه بهذه الوجوه الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء اي ولكن من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ظاهر للبصرين عن مجاهد عن ابن عباس كانت الشياطين لا تحجب عن السموات فكانوا يدخلونها ويسمعون اخبار الغيوب عن الملايكة فيلقونها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فكل احد منهم يريد استراق السمع رمي بشهاب فحرقه او خبله او حرق جزأ منه ولا يقتله وعن الحسن يقتله ولا يعود الشهاب وقيل يرجمون بها وتعود الشهب الى اماكنها

قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين لما فرغ من الدلايل السماوية في تقرير التوحيد اتبعها بذكر
الدلايل الارضية وهي انواع منها والارض مددناها بسطناها على وجه الما ممتدا في الابعاد الثلثة الطول
والعرض والعمق وتمدد جزء من الارض في الابعاد الثلثة مختص بمقدار معين مع ان الازدياد عليه معقول
والانتقاص عنه ايضا معقول فيكون المخصص والمقدر وهو الله ومنها والقينا فيها رواسي والقينا
في الارض جبالا ثوابت والراسي الثابت عن ابن عباس لما بسط الله الارض على الما مالت باهلها كالسفينة
فارساها بالجبال الثقال لكيلا تميل باهلها وقيل المراد انه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض
ونواحيها لانها كالاعلام فلا يميد عن الجادة المستقيمة ولا يتعون في الضلال ومنها وانبتنا فيها من كل شي موزون
قيل في الارض وقيل في الجبال وقيل فيها موزون ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد
وغيرها وقيل له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل موزون مقسوم وقيل يحتمل ان يراد به
المكيل والموزون والمعدود لان مآل الكل الى الوزن كالخبز وحب الرمان وقيل موزون معلوم عند الله
وقيل موزون وزن الميزان الحكمة وقدر بمقدار مقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان ومنها وجعلنا لكم
فيها معايش بيا صريحة جمع معيشة وهي مصدر عاش فجعل اسما لما يعاش به وقيل المعيشة طلب اسباب
الرزق من المطاعم والمشارب والملابس هذه الحياة قد يطلبها الانسان بالكسب والتصرف وقد يطلب له
فان اتاه من غير طلب فهو العيش الهني ومن لستم لا يجوز ان يكون معطوفا على الضمير المجرور الا باعادة الجار بل
معطوف على محل لكم اي وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين ومنها قوله تعالى وان من شي الا عندنا
خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم لما قال وانبتنا فيها من كل شي موزون اتبعه بذكر ما هو كالسبب لذلك
ذهب قوم من المفسرين الى انه خاص بالمطر اي وما من شي من المطر لانه اصل جميع الاشيا والمراد بقوله
عندنا خزاينه انه القادر عليه ولا احداثه ومنهم من ذهب الى ان التقدير وان من شي مما تنبته الارض
من الثمار والاشجار الا عندنا خزاينه يريد الما ايضا لكنه جعل خزاين الما خزاين هذه الاشيا لما كانت
منه وهذا قريب من الاول وقيل ان الخير كله بيد الله وقيل خزاينه مفاتحه وقيل عندنا خزاينه يرسلون منه
وقيل خزانه مقدوراته عن علي بن الحسين رضي الله عنهما في العرش تتمال ما خلق الله في البر والبحر وقيل يريد
الما الذي في السماء ينزل الى السحاب ثم ينزل الى الارض وما ننزله الا بقدر معلوم عند الله حده
ومبلغه عن ابن مسعود ليس ارض بامطر من ارض ولا عام بامطر من عام ولكن الله يقسمه ويقدره
في الارض كيف يشاء عاما هاهنا وعاما هاهنا وفي رواية اخرى وربما كان في البحر وروي ايضا انه ينزل
مع المطر من الملايكة اكثر من ولد ابليس وولد ادم يعلمون كل قطرة حيث تقع وما نبتت قال صاحب
الكشاف ذكر الخزاين تمثيل والمعنى وما من شي ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه

والانعام

والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزاين مثلا لاقتداره على كل شي
مقدور قال الامام وان من شي يتناول جميع الاشيا اما خاصة الدليل وهو القديم الموجود لذاته وقوله
الا عندنا خزاينه اشارة الى كون تلك الاشيا مقدورة لله تعالى وحاصل الامر فيه المراد ان جميع الممكنات
مقدورة له مملوكة يخرجها من العدم الى الوجود كيف شا مقدوراته تعالى وان كانت غير متناهية الا
ان الذي يخرجه منها من العدم الى الوجود يجب ان يكون متناهيا لان دخول ما لا نهاية له في الوجود محال
فقوله وان من شي الا عندنا خزاينه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله وما ننزله الا بقدر
معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج منها الى الوجود متناهيا
كان لا محالة مختصا في الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت او بعده بدلا عنه وكان
مختصا بحيز معين مع جواز حصوله في ساير الاحياز بدلا عن ذلك الحيز وكان مختصا بصفات معينة
مع انه كان يجوز في العقل حصول ساير الصفات بدلا عن تلك الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص تلك
الاشيا المتناهية بذلك الوقت المعين والحيز المعين والصفات المعينة بدلا عن اضدادها لا بد وان تكون
بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر
المختار التي خصص تلك الاشياء بتلك الاحوال الجايزة والا لامتنع اختصاصها بتلك الصفات والمراد من
الانزال الاحداث والانشاء والابداع كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد
فيه باس شديد قيل لما قال وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين اراد ان يبين كيفية جعل الارض
محلا للمعايش فعمم كيفية انزال الحوادث بقوله وان من شي الا عندنا خزاينه اشارة الى انه ما من شي
من الاشياء المخلوقة الا عند الله خزاينه التي هي الكتاب المبين واللوح المحفوظ مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع
وما ننزله في الاعيان مفصلة واحدا واحدا على التعاقب الا بقدر معلوم على الوجه الذي شاء ومنها قوله تعالى
وارسلنا الرياح لواقح قرا حمزة الريح والباقون الرياح اللواقح جمع لاقحة اذا جاءت بخير من انشا سحاب
ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم وقيل المعنى ارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب
وقيل اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما يطيح الطوايح يريد المطاوح جمع مطيحة لان الرياح تلقح الاشجار
وقيل تلقح السحاب وقيل تلقحها وعن ابي هريرة الريح الجنوب من الجنة هي الريح اللواقح التي ذكرها الله في
كتابه تقرير هذا الوجه ان الريح هواء متحرك وحركة الهوا بعد ان لم يكن متحركا لا بد له من سبب وذلك
السبب ليس نفس كونه هواء ولا شي من لوازم ذاته والا لدامت حركة الهواء بدوام ذاته وذلك
محال فلم يبق الا ان يقال انه بتحريك الفاعل المختار قوله فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم
له بخازنين قيل انزلنا من السماء اي من السحاب ماء اي مطرا والاولى ان تحمل السماء على مفهومها
الحقيقي ويراد وانزلنا من جهة السماء او من السماء نفسها ولا ينافي انزاله من السحاب لان الاسباب

المترتبة تسند المسبب تارة الى القريب وتارة الى البعيد وتارة الى الابعد الابعد الاترى الى قوله
تعالى خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا ولو اراد انزلناه لتشربوه
لقال فسقيناكموه لان العرب تقول سقيت الرجل ماء ولبنا وغيرهما ليشربه اذا كان يسقيه فاذا
جعل له ما يشرب ارضه او ما سقيه اسقيته وقيل ما تناله الايدي والدلاء فهو السقي وما لا تناله
الايدي والدلاء فهو الاسقيا وما انتم بخازنين الماء في السماء نفي عنهم ما اثبته لنفسه سبحانه في قوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء
وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ومنها قوله تعالى وانا لنحن
نحيي ونميت ونحن الوارثون قيل نحيي الحيوان والنبات ونميتها وقيل نحيي ونميت ونحن الوارثون
قيل نحيي الحيوان والنبات ونميتهما وقيل نحيي الحيوان وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه
باحياء الحيوان وهذا ليس بشيء فانه يجوز الجمع بينهما لانه لا جمع بين الحقيقة والمجاز جائز وقيل نحيي الايجاد
ونميت بالافناء ونحن الوارثون اذ امات الحيوان اذا مات الخلائق اي اليا قون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل
للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واجعله
الوارث منا والمائت بابراهيم القاطعة انه لا قدرة على خلق الحياة والايجاد الا للحق تعالى كان حصول
الحياة للحيوانات دليلا قاطعا على وجود الاله الفاعل المختار **قوله تعالى** ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين المستقدمين اي للاموات والمستاخرين الاحياء
وقيل المستقدمين من خلق والمستاخرين من لم يخلق ولقد علمنا من خلق الى اليوم ولقد علمنا من سيخلقه
بعد اليوم وقيل ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين وقيل من خلق من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد وقيل من استقدم في اول الخلق ومن استاخر في احوال الخلق عن مجاهد المستقدمين
من القرون الاول والمستاخرين المبطوئين عن الاسلام والطاعة والخير وقيل ولقد علمنا المستقدمين
منكم في صفوف الجماعة في الصلاة والمستاخرين فيها لسبب النساء عن ابن عباس كانت النساء
يخرجن الى الجماعات فيقوم الرجال صفوفا خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصفوفا خلف صفوف الرجال
وانما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى الصف الاخير من صفوف الرجال وربما كان من النساء
من في قلبها ريبة فتقدم الى اول صف النساء ليقرب من الرجال وكانت امراة احسن النساء
لا والله ما رايت مثلها قط تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس يستقدم في الصف
الاول ليلا يراها ويستاخر بعضهم حتى يكون في الصف المتقدم فاذا ركع وسجد نظر اليها من تحت يديه
فانزل الله هذه الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها
وشر صفوف النساء اولها وخيرها اخرها روي انه صلى الله عليه وسلم حض على الصف الاول

وكانت

وكانت بنو اعذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد
فانزل الله هذه الاية وقيل ولقد علمنا المستقدمين منكم يعني المصلين واول الاوقات وقيل
المستقدمين والمستاخرين في صف القتال وقيل من يسلم ومن لم يسلم **قوله تعالى**
وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم يريد ان الحشر والنشر والبعث والقيمة امر واجب هو القادر
وحده على حشرهم العالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم حكيم باهل الحكم عليم بكل شيء يفعل
على مقتضى المشيئة فانه هو الصواب ومنها **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم لما استدل بخلق الحيوان والنبات على صحة
التوحيد في الاية المتقدمة اردفه بالاحتجاج بخلق الانسان على هذا المطلوب فقد ثبت بالدلايل
القاطعة انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان هو اول الناس غير مخلوق من ابوين فيكون مخلوقا بقدرة
الله فقوله الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول وجمهور المفسرين على ان المراد منه ادم عليه السلام
قال الامام نقل في كتب الشيعة عن محمد الباقر انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم
او اكثر واقول هذا لا يقدح في حدوث العالم بل الامر كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان اول هو اول الناس
فاما ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع قال تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع آخر اني خالق بشرا من طين وقال في هذه الاية ولقد خلقنا الانسان
من صلصال من حمإ مسنون ولا شك انه تعالى قادر على خلقه من اي جنس من الاجسام بل هو قادر على خلقه
ابتداء وانما خلقه على هذا الوجه اما بمحض المشية بفعل الله ما يشاء ولا يسئل عما يفعل واما لاجل خلقه على
هذا الوجه اعجب واول على كمال قدرته فان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلقه الشيء من جنسه
وشكله والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار فقيل اذا توهمت
في صورته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن
والحمإ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة
انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحرف اذا حككته
به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم عني بعد ذلك الى جوهر اخر وقد تغطى من هذا ان خلق الانسان
من التراب والماء والهواء والنار وهذا اعجب واول على القدرة فان كونه مخلوقا من الاجسام المتضادة
المتداعية الى الانفكاك دال على انه قادر على الجمع بين الامور المتضادة المتداعية الى الانفكاك والجان
هو الجن كادم للناس وقيل هو ابليس خلق قبل ادم من نار السموم الحر الشديد النافذ في المشام الذي
يقتل قيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله امرا خرقت

الحجاب فهدت فالهدة التي سمعوت خرق ذلك الحجاب قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزأ من سموم النار التي خلق الله تعالى منها الجان **قوله تعالى** واذ قال ربك للملايكة اني
خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر
خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين
لما ذكر خلق الانسان لتستدل به على وجود الآله الواحد القادر المختار ذكر بعده واقعته وهو انه
تعالى امر الملايكة بالسجود له فاطاعوه الا ابليس فانه ابى وتمرد واذ قال اى واذكر يا محمد اذ قال
ربك للملايكة اني خالق بشرا وقت قوله للملايكة اني خالق بشرا يعني ادم من صلصال من حمأ
مسنون فاذا سويته عدلت صورته واتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه
من روحي احييته وجعلت فيه روحي فصار بشرا حيا واضاف الروح الى نفسه تخصيصا
وتكريما له والروح ما يصير الجسم به حيا وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيي به
فيه وقيل الروح ها هنا ما يأتي الانبياء من الله وفيه صلاح العباد فقعوا امر من وقع يقع اى فاسقطوا
على الارض له ساجدين والمعنى فاسجدوا له فسجد الملايكة كلهم الا ابليس استثنا ابليس من الملايكة
قيل الاستثنا متصل لان ابليس من قوم من الملايكة يقال لهم الجن وقيل ليس من الملايكة لكنه
كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملايكة ثم استثنى بعدا لتغليب كقولك رايتهم الا
هندا وعن الحسن ان الاستثنا منقطع ولم يكن هو من الملايكة ولا طرفة عين ابى استيناف
على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابى اى امتنع ان يكون
مع الساجدين قال تعالى يا ابليس مالك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اى عرض لك في ان لا تكون مع السجود
واى داع لك اليه فحرف الجر وهو في موضع ان محذوف قال ابليس لم اكن لاسجد اللام في لا اسجد
لتاكيد النفي معناه لا يصح مني ربنا في حالي ويمتنع ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ قال
تعالى لابليس فاخرج منها من الجنة من السماء فانك رجيم ملعون طريد وقيل انك شيطان من الذين
يرجمون بالشهب وقيل مطرود من رحمة الله لانه من يطرد يرجم بالحجارة وقيل فاخرج من الملايكة
وان عليك اللعنة الى يوم الدين جعل يوم الدين حد اللعنة قيل لانه ابعد غاية يضربها الناس في
كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض فانما للتابيد وقيل يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في
السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعدم فاذا جاء يوم الدين عذبت عذابا يسكن اللعن معه ويوم الدين
ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة
البلاغة **قوله تعالى** قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين

صلصال من حماء مسنون

الى يوم

الى يوم الوقت المعلوم قال ابليس فانظرني اخرني الى يوم يبعثون فهيل انما سال الانظار الى يوم يبعثون
ليلا يموت يوما لبعث احد قال الله لابليس فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم عند الله وهي النفخة
الاولى حين يموت الخلق كلهم فلم يجب الى ما سال وانظر الى آخر اياما التكليف **قوله تعالى**
قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قال ابليس رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك
باضلالك وابعادك اياي لازينن لهم في الارض معاصيك ولاحببنها اليهم ولايلتفت الى ما قال
صاحب الكشاف وهو معنى اغوايه اياه بتسبيبه لغيه باوامره بالسجود لادم عليه السلام فافضى
ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس
اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضى به فان كلام الله برا ونحو قوله
لاغوينهم قوله فبعزتك لاغوينهم انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله
وقد فرق الفقها بينهما وقيل يجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب اغوايك اياي
اقسم لازينن لهم في الارض التي هي دار الغرور وقيل اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل
من الشجرة وهو في السماء واما على التزيين لاولاده في الارض اقدر وقيل اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم
الارض ولاوقعن تزييني فيها اى لازينن الارض في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى
يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ولاغوينهم ولاضلنهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو المخلِصين بكسر اللام في كل القرآن اى الذين اخلصوا دينهم وعبادتهم عما يخل بالايمان
والتوحيد والباقون بفتحها على معنى اخلصهم الله بالهداية والايمان استثنى المخلصين لانه علم انه
لا يتمكن من اغوايهم والتزيين لهم وقيل الاستثنا عايد الى الاخير اى الاعواد دون التزيين
قوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم هذا اشارة الى الاخلاص والايتمار لامري والطاعة
لي صراط علي قيل طريق الي على معنى الى وقيل طريق حق على ان ابينه واظهره وقيل حق علي ان اراعيه
وهو ان لا يكون لك سلطان على المخلصين وقيل طريق علي جوازه لاني بالمرصاد فاجازيهم باعمالهم
وهو خارج مخرج الوعيد كما تقول للرجل تخاصمه طريقك على فهو كقوله ان ربك لبالمرصاد ويحتمل ان يكون
جاريا مجرى الوعد والوعيد ان خيرا فخير وان شرا فشر **قوله تعالى** ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم قيل ان ابليس لما قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فذكر انه لا يقدر على اغوآء المخلَصين صدقه
الله في هذا الاستثنا فقال ان عبادي اى المخلصين ليس لك عليهم سلطان فعبادي هم الذين
استثناهم ابليس وقوله الا من اتبعك من الغاوين لا يكون استثنا متصلا بل منقطعا الا ترى

لكن اى لكن لك سلطان على من اتبعك من الغاوين وهو مطابق لقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون والسلطان الحجة والقهر والغلبة
اى ليس لك حجة فى اغوائهم ولا قهر وغلبة انما لك ان تغر وتزين وقيل ان ابليس لما قال لازينن لهم فى الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم هذا الكلام انه له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون
من المخلصين فبين تعالى فى هذه الاية انه ليس له سلطان على احد من عباد الله سوا كانوا مخلصين
او لم يكونوا مخلصين بلى من اتبع منهم ابليس باختياره صار تبعا له لا لان ابليس يقهره على اتباعه
او يجبره عليه والحاصل ان ابليس اوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فبين تعالى كذبه وذكر انه ليس له على
احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا ونظير هذه الاية قوله تعالى حكاية عن ابليس انه قال وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وان جهنم لموعدهم اى لموعد ابليس واشياعه من تبعه من الغاوين لها سبعة
ابواب هى دركاتها بعضها فوق بعض قال عليه السلام ابواب جهنم ليست كابوابكم هذه ولكنها هكذا وهكذا بعضها
فوق بعض ووصف الراوى عنه بيده وفتح اصابعه عن بن جريج لها سبعة ابواب اولها جهنم ثم لظا ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وعن الضحاك هى سبعة ادراك بعضها فوق بعض فاعلاها فيه اهل التوحيد
يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصابئون والخامس
فيه المجوس والسادس فيه مشركوا العرب والسابع فيه المنافقون قيل لما اتصل العذاب بالباب وكان الباب
من سببه سمى باسمه للمجاورة كتسميتهم للحدث غايطا لكل باب من اتباع ابليس جزء مقسوم الجزء بعض
الشىء والجمع الاجزاء وجزيته جعلته اجزاء والمعنى انه تعالى يجزء اتباع ابليس اجزاء بمعنى انه يجعلهم اقساما
وفرقا ويدخل فى كل قسم من اقسام جهنم طايفة من هاولا الطوايف والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة
فى الخفة والغلظ فلا جرم صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالغلظ والخفة **قوله تعالى**
ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين لما ذكر عقاب اصحاب النيران اتبعه ثواب اصحاب الجنان
ان المتقين عن الشرك بالله والكفر به فى جنات وعيون قرا ابو عمرو ونافع وحفص وهشام بضم العين حيث
وقع والباقون بكسرها وهى عيون الماء والخمر والسلسبيل والتسنيم وغير ذلك مما ذكر انه من شراب الجنة ادخلوها
على ارادة اى يقال لهم ادخلوها بسلام سالمين من النار والافات والعاهات وقيل مسلما عليكم يسلم عليكم الملايكة
امنين من المرض والموت فيها والخروج منها ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا نصب على الحال وهذا التاخى هو تاخى
المصافاة والاخلاص وهو غير التاخى فى الدنيا فانه قد يشوبه ضغاين وشحنا وقيل يجوز ان ينتصب اخوانا على المدح
اذكر اخوانا على سرر متقابلين يجوز ان يكون صفتين او حالا من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا
من المستقر فى على سرر والسرر جمع سرير عن بن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت السرير

مثلما

مثل ما بين عدن الى ايلة متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض حيث ما التفت راى وجها بجهة يقابله وعن
مجاهد تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون فى جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فى الجنة نصب تعب
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود **قوله تعالى** نبئ عبادى انى انا الغفور
الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه بقوله نبئ عبادى تقريرا
لما ذكر وتمكينا له فى النفوس نبئ اخبر عبادى قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع بتحريك ياء عبادى وياء انى
واسكنها الباقون عن بن عباس انى انا الغفور الرحيم لمن تاب منهم وان عذابى هو العذاب الاليم
لمن لم يتب منهم عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلع علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا
كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال انى لما خرجت جانى جبريل فقال يا محمد يقول الله لم تقنط عبادى
نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم وعن قتادة بلغنا ان نبى الله صلى الله
عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لنخع نفسه فى العبادة
قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا
لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن
من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون لما ذكر قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور
الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم عطف قوله ونبئهم عن ضيف ابرهيم عليه السلام ليعتبر
ما بشر به ابرهيم بقوله انى انا الغفور الرحيم وما احل من العذاب بقوم لوط وان عذابى هو العذاب الاليم
ونبئهم اى ونبئ عبادى عن ضيف ابرهيم قد ذكر القصة فى هود وبين معنى الضيف هناك والسبب
فى خوفه منهم وذكر معنى الوجل فى الانفال سلاما اى نسلم عليكم سلاما او سلمت سلاما انا نبشرك
استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل اى انك الامن المبشر فلا توجل بغلام عليم يعنى اسحق يبلغ
ويعلم فعجب ابرهيم من كبره وكبر امراته قال ابشرتمونى مع مس الكبر بان يولد لى ان الولادة امر عجيب
مستنكر فى العادة مع الكبر فبم تبشرون وقيل اراد انكم تبشروننى هى ما الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كانه قيل فباى اعجوبة تبشرون وقيل اراد انكم تبشروننى بما هو غير متصور فى العادة فباى شىء تبشرون
يعنى لا تبشروننى فى الحقيقة يعنى لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شىء قيل ويجوز ان لا يكون صلة بشر
ويكون سوالا عن الوجه والطريقة يعنى باى طريقة تبشروننى بالولد والبشارة به لا طريقة لها فى العادة
قرا ابو عمرو وعاصم وبن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون ونافع بكسر النون وبن كثير بكسر النون مع التشديد
قال الملايكة بشرناك بالحق باليقين الذى لا لبس فيه وقيل بشرناك بالحق باليقين بطريقه هى حق وهى
قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وقيل بالحق بما قضى الله انه

كان فلا تكن من القانطين من الآيسين قال ابرهيم ومن يقنط قرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة يقنط بفتح النون في جميع القرآن وابو عمرو والكسائي بكسر النون وكلهم قرأوا من بعد ما قنطوا بفتح النون قيل القنوط اليأس من رحمة الله مع فتح الطريق اليها والبحث على طلبها ولم يكن ابرهيم قانطا ولكن استبعد وجود الولد مع الكبر عادة الا الضالون اى ومن يقنط من رحمة ربه الا الجاهلون بالله الذين لا يعرفون سعة رحمة الله وقدرته وقيل الا الضالون في الآخرة لانهم لا يرجون هناك جزاء وقيل الا المخطئون طريق الصواب وقيل الا الكافرون اى لم استنكر ذلك فتقنط من رحمة الله ولكن استبعاد له في العادة التي اجراها الله

قوله تعالى

قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الآل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فما خطبكم سؤال عما لاجله ارسلهم والخطب الشان والامر اى قال ابرهيم للملائكة فما شانكم وامركم ايها المرسلون والخطب ادل على عظم الحال من الشان والامر فانه قيل الملائكة لما بشروه بغلام عليم كيف قال لهم ابرهيم بعد ذلك فما خطبكم اجيب بان معناه ما الامر الذي له وجهتم سوى البشرى لانه عليه السلام لو كان كمال المقصود اتصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا فلما راى جمعا من الملائكة علم انهم غرضا آخر سوى البشارة قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وانما اقتصروا على هذا القدر لعلم ابرهيم عليه السلام بان الملائكة اذا ارسلوا الى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم واستيصالهم وايضا قوله الا ال لوط ان كان الاستثناء من قوم يكون منقطعا لان القوم موصوفون بانهم مجرمون وال لوط جنس مخالف لجنس القوم المجرمين وان كان الاستثناء من الضمير في مجرمين يكون متصلا كانه قيل يكون الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم وال لوط في الاستثناء المنقطع مخرجون من حكم الارسال على معنى ان الملائكة ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الجراد والسهم الى المرمى في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم وال لوط في الاستثناء المتصل داخلون في حكم الارسال على معنى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هاؤلاء وينجوا هاؤلاء فلا يكون الارسال مخالصا لمعنى الاهلاك والتعذيب بل الارسال لاهلاك هاؤلاء وانجاء هاؤلاء وان كان الاستثناء منقطعا يكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون وان كان الاستثناء متصلا كان قوله انا لمنجوهم كلاما مستانفا كان ابرهيم عليه السلام قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امرأته استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس ذلك من باب الاستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه كما لو قيل اهلكناهم الا ال لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما واما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون الاستثناء من الاستثناء قدرنا التعدير انه جعل الشيء على مقدار غيره وقدرا فواتها اى جعلها على مقدار الكفاية يقال قضى الله وقدر اى جعله

على مقدار

على مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل قدرنا كتبنا وقيل دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب قرا ابو بكر عن عاصم قدرنا بتخفيف الدال هاهنا وفي النمل والباقون بالتشديد قيل وانما جاز تعليق فعل التدبير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب لتضمن فعل التدبير معنى العلم وكذلك فسر تقدير الله اعمال العباد بالعلم وانما اسند الملائكة فعل التدبير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله لما لهم من القرب والاختصاص بالله كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا واحرزنا كذا والمدبر والامر هو الملك وانما يظهرون اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه انها لمن الغابرين في موضع مفعول والتدبير قضينا انها تتخلف ويبقى من يبقى حتى يهلك كما هلكوا ولا تكون ممن يبقى مع لوط فصل الى النجاة

قوله تعالى

فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بغلام عليم واخبروه بانهم مرسلون لعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وال الرجل وال لوط وقومه ما عرفوا انهم ملائكة الله ولهذا قالوا لهم انكم قوم منكرون فلما جاء ال لوط قيل انما قال جاء ال لوط وهم انما اتوا لوطا لانهم كانوا في بلدة واحدة وقيل ال لوط شخصه قال انكم قوم منكرون اى قوم تنكركم نفسي وتنفر منكم واخاف ان تظرقونا بسوء وقيل لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اى الاقوام ولاى غرض دخلتم على وعند هذه الكلمة قال الملائكة بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جيناك لننكركم ونا بما نخاف منه بل جيناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه اى فيشكون فيه ويكذبونك وقد جيناك بتصحيح ما يمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم

قوله تعالى

فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هاؤلاء مقطوع مصبحين اى اذهب باهلك في طائفة من الليل والقطع في اخر الليل وقيل هو بعد ما مضى من الليل شيء صالح واتبع ادبارهم تاخر انت على اثرهم وسر خلفهم ليلا يشتغل من خلفك قلبك ولتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا يفرط منهم التفاته احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال الهوله المحذورة ولئلا يتخلف احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيبه مسيرا لهارب الذي يعدم شربه ويفوت به ولا يلتفت منكم احد ليتلاقوا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على الهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم وقيل ليئلا يصيبهم ما اصابهم وقيل لئلا يروا من هول ما ينزل بهم ما لا تطيقه انفسهم وقيل لا ينصرف احدكم فيصيبه ما يصيب القوم وقيل جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضي اليه قيل هو مصر وقيل هو الشام وعدي وامضوا الى حيث بعدته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه

وقضينا اليه عدى بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيًا مبتوتا وفسر ذلك
الامر بقوله ان دابر هاؤلاء مقطوع مصبحين وفى ابهامه وتفخيمه تفسير للامر وتعظيم له دابر
هاؤلاء اصلهم وقيل آخرهم مقطوع مستاصل مصبحين وقت دخولهم فى الصبح **قوله تعالى**
وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هاولا ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم
ننهك عن العالمين قال هاؤلا بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة
مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لايات للمتوسمين وانها
لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين وجاء اهل المدينة اهل سدوم يستبشرون باضياف
لوط اى الملايكة طمعًا منهم فى ركوب الفاحشة قال لوط لهم يا قوم ان هاؤلا ضيفى وحق على الرجل اكرام
ضيفه فلا تفضحون بفضيحة ضيفى لان من اسى الى ضيفه او لجاره فقد اسى اليه كما ان من اكرم
من يتصل به فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون ولا تهينون ولا تخجلون باهانة ضيفى من الخزى
وهو الهوان وقيل ولا تشوروا بى من الخزاية وهى الحيا قال اهل المدينة للوط اولم ننهك عن
العالمين ان تضيف احدا من العالمين وقيل عن ضيافة الغربا فانا نغلبك عليهم وقيل عن
ان تجير منهم احدًا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجر بينهم وبين المتعرض لهم فاوعدوه وقالوا لين لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين قال لهم لوط هاؤلا الاشارة الى النسا بناتى لان كل امة اولاد نبيها رجالهم
بنوه ونساؤهم بناته وكانه قال هاؤلا بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم وقيل هاولا بناتى
ازواجهن اياكم ان اسلمتم فاتوا النساء الحلال ودعوا ما حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم
فاعلين شك فى قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون
قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اى قالت الملايكة للوط لعمرك
انهم لفى سكرتهم اى فى غوايتهم الذى اذهبت عقولهم وتمييز بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب
الذى يشيره عليهم من ترك البنين يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك
وقيل الخطاب لرسول الله وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر واحد
الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم
ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك ما اقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله فاخذتهم صيحة
جبريل مشرقين داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس وهو نصب على الحال فجعلنا
عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لايات للمتوسمين توسمت فى فلان خيرًا
اى رايت فيه اثرا منه وتفرسته فيه قيل للناظرين وقيل للمتفكرين وقيل للمعتبرين وقيل للمتبصرين

وقيل

وقيل للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
سمة الشىء يقال توسمت فى فلان كذا اى عرفت وسمه فيه وانها وان هذه القرية اى اثارها لبسبيل
بطريق مقيم ثابت يسلكه الناس لم تندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وقيل مقيم واضح بين
وقيل معلوم وقيل معتد دايم السكون والذين يمرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها وما ظهر فيها
من اثار قهر الله وغضبه وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان فى ذلك لاية
للمومنين اى كل من امن بالله وبرسله عرف ذلك انما كان لان الله انتقم لرسله من اولئك الجهال اما الذين
لا يومنون بالله فهم يحملونه على حوادث العالم ووقايعه على حصول القرانات الكوكبية والاتصالات
الفلكية **قوله تعالى** وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما
لبامام مبين وان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان محذوف وكان اصحاب الايكة لظالمين
خبره ان الامر والشان كان اصحاب الايكة لظالمين كافرين واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة
الشجرة المتكاثفة روى ان عامة شجرهم الدوم وهو المقل والايكة الغيضة بعث الله اليهم شعيبًا
فكذبوه فاهلكوا بالظلة وقيل الايكة اسم الناحية وليكة اسم المدينة وقيل كانوا اصحاب غياض واشجار
ورياض وانهار ياكلون فى الصيف الفاكهة الرطبة وفى الشتا اليابسة فانتقمنا منهم اى كذبوا
شعيبا فانتقمنا منهم بالعذاب سلط الله عليهم الحر سبعة ايام لا يمنعهم منه شى فبعث الله عليهم سحابة
فالتجاؤا الى ظلها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم منها نارًا فاحرقتهم وانهما اى قرى قوم لوط والايكة اى
انهما على ممر السايلة لبامام لبطريق يامه كل احد مبين واضح والامام اسم ما يوتم به فسمى به الطريق
ومضمر البنا واللوح الذى يكتب فيه لانها مما يوتم به وقيل الضمير للايكة لان شعيبًا عليه السلام
كان مبعوثًا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما وقيل الضمير يرجع الى لوط وشعيب
وانهما لبامام مبين طريق من الحق واضح وقيل لبامام مبين اى الخبر بهلاك قوم لوط واصحاب الايكة
المكتوب فى امام مبين وهو اللوح المحفوظ وقيل ان ايات عذابنا لقوم لوط وشعيب بالامام
قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
اصحاب الحجر ثمود وهم قوم صالح والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين اراد صالحًا وحده
وقيل اراد صالحًا ومن معه من المومنين كما قيل الحسنون فى بنى الزبير واصحابه وقيل اراد جميع المرسلين
لان من كذب واحدًا منهم فكانما كذبهم جميعًا عن بن عمر وجابر قالا مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الحجر فقال عليه السلام لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرًا ان يصيبكم
مثل ما اصابهم ثم قال هاولا قوم صالح اهلكهم الله الا رجلًا كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله

قيل من هو يرسول الله قال ابو رغال واليه تنسب ثقيف ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها
واتيناهم اياتنا الناقة وسقيها وشربها ودرها وقيل اتيناهم ايات من كتاب الله وقيل يريد نصب الادلة
فكانوا عنها معرضين ولم يومنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الخراب لوثاقة البيوت
واستحكامها من ان ينهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء حوادث الدهر وقيل
امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة اى صيحة العذاب والهلاك
مصبحين اى في وقت الصبح وهو نصب على الحال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
والاموال والعدد والشرك والاعمال الخبيثة **قوله تعالى** وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم الا بالحق الا
خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا وقيل الا بالحق الا بسبب العدل والانصاف لم يهلك من تقدم ذكرهم
الا بعد اقامة الحجة عليهم وقيل بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية اى الجزاء
قريب وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فاصفح فاعرض عنهم من غير
عتاب او في حق نفسه او لا تعرض عنهم كل الاعراض ولا تياس من صنع الله او كقوله فاعرض عنهم وعظهم
فاصفح حيث الصفح ادعى الى الايمان واخشن حيث الخشونة اولى فلا تكون منسوخة ان ربك هو الخلاق
بجميع الموجودات خلقك وخلقهم العليم بكل المعلومات يعلم حالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى منكم
وهو يحكم بينكم **قوله تعالى** ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم واخفض جناحك للمومنين وقل انى انا النذير المبين
لما صبره على اذى قومه وامر بالصفح الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التى خص الله محمدا بها لان الانسان
انما يذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والعفو سبعا من المثاني قيل سبع ايات هى الفاتحة سميت
بالمثاني لانها نزلت مرتين وقيل لان اكثر كلماتها مثنى وقيل لان الله استثناها لامة محمد صلى الله عليه
وسلم فلم يعطها امة قبلهم وقيل لانها تثنى في كل صلوة وقيل لانها تثنى في كل ركعة وانما دخلت من للتوكيد
وقيل لانها مما اثنى على الله به وقيل لان فيها الرحمن والرحيم مرتين وقيل لانها مقسومة بين الله وبين عباده
في حديث قسمت الصلوة وقيل سبعا من المثاني السبع الطول البقرة وال عمران والنساء والمايدة والانعام
والاعراف والتوبة وقيل السابعة الانفال والبراة وقيل انها يونس فعلى هذا في تسميتها بالمثاني قولان
احدهما لان الحدود والفرايض والامثال ثنيت فيها وثانيهما لانها تجاوز الاية الاولى الى الماية الثانية
وقيل السبع المثاني سبع معان انزلت في القران امر ونهى وبشارة وانذار وضرب الامثال وتعداد النعم واخبار
الامم وقيل ان المثاني القران كله قيل في تسمية القران بالمثاني لان بعض الايات تتلوا بعضا فتثنى الاخرة
على الاولى ولها مقاطع تفصل الاية حتى تنقضى السورة وقيل ان القران سمى بالمثاني لما يتردد فيه من الثناء على

الله

الله وقيل لما تردد فيه من ذكر الجنة والنار والثواب او العقاب وقيل لان الاقاصيص والاخبار
والمواعظ والاداب ثنيت فيه ذكرهن وقيل هى الاسباع ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع
الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثنى عليه ولما
فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها واذا عنى بالسبع الفاتحة او الطوال والمعاد فما وراهن
يطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران
يعنى سورة يوسف فاذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم
اى الجامع لهذين النعتين وهو الثنا او التثنية والعظم ولا تمدن حظر على النبى صلى الله عليه وسلم
ان تمد عينيه الى الدنيا ونهاه ان يرغب فيها اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به
ازواجا منهم قيل امثالا في النعم وقيل ازواجا لا عينا وقيل اصنافا من الكفار اليهود والنصارى
والمشركين وقيل ازواجا منهم هم الرجال معهم نساؤهم فيكون بمثابة قوله اعطينا اثنين اثنين هم ذكر وانثى
قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد اوتيت النعمة التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها
حقيرة يسيرة وهى الدار العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ولا تحزن عليهم
ان لم يومنوا وقيل ولا تحزن لما انعمت عليهم دونك وقيل لا تحزن عليهم لما يصيرون اليه بكفرهم
واخفض جناحك لين جانبك للمومنين وارفق بهم وتواضع لمن تبعك من فقرا المومنين وضعفائهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنيا والاقويا قل لهم انى انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذابه
نازل بكم **قوله تعالى** كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين قيل كما انزلنا
متعلق بقوله ولقد اتيناك اى ولقد انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين اى اهل الكتاب الذين
جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزون به فبعضهم يقول سورة البقرة
لى ويقول الاخر ال عمران لى ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود
اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة
فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم وقيل متعلق بقوله وقل انى انا النذير المبين اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا
من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو
من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير
اى انذر المعضين الذين يجزون القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم
الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاص ابن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم وقيل مثل ما
انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم عضين
واحدها عضة محذوف اللام قيل انه من العضو يقول عضيت الشيء جعلته عضوا عضوا اى عضوا
القران وجزاه اجزا وقيل من العضيهة وهي الكذب والسحر والعاضهة الساحرة وجمع جمع السلامة
كما جمع سنون وساون **قوله تعالى** فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون
فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف
يعلمون قيل الضمير في لنسئلنهم راجع الى المقتسمين لانه اقرب اى انه تعالى اقسم بنفسه انه
يسال هاولا المقتسمين عما كانوا يعملون من اقتسام القران وعن ساير المعاصي وقيل راجع الى المكلفين
باسرهم لان ذكرهم قد تقدم في قوله وقل اني انا النذير المبين اى لجميع المكلفين وتقدم ذكر المومنين وذكر
الكافرين وقيل يسالهم سوال تقريع وقيل فسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين
وقيل السوال انما هو عن جميع الاعمال لان اللفظ عام يتناول الكل فاصدع بما تومر قيل اجهر به واظهر به
يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة
وقيل فامضه وقيل افعل ما تومر وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تومر والمعنى بما تومر به من الشرايع
فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وقيل يجوز ان يكون ما في بما تومر مصدرية اى فاصدع بامرك
من المبني للمفعول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة روى انه صلى الله عليه وسلم
ما زال مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تومر فخرج هو واصحابه وقيل اراد الجهر بالقران في الصلاة واعرض
عن المشركين قيل منسوخ باية القتال قال الامام وهذا ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم
فلا يكون منسوخا ثم قال انا كفيناك المستهزئين عن عروة بن الزبير هم خمسة نفر من المشركين ذووا اسنان
وشرف الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث ابن
الطلاطلة فاتى جبريل محمدا عليهما الصلاة والسلام والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال له جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بيس
عبد الله قال قد كفيت واومى الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة بنبل يريش سهما وعليه برد يمان
وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يطامن وينزعها منه وجعلت تضرب
بساقه فخدشته فمرض ومات وعن الكلبي تعلق سهم بثوبه فاصاب اكحله فقطعه فمات ومر به
العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بيس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص رجله وقال قد كفيت
فخرج على راحلته ومعه ابنا زله يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فدخلت شوكة في اخمص قدمه فقال

لدغت

لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعيره فمات مكانه ومر به
الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا فقال عبد سوء واشار بيده الى عينيه وقال كفيت فعمي عن بن
عباس فرماه بورقة خضرا فذهب بصره ووجعت عينيه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وعن الكلبي
اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك
فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب
محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا فقال بيس عبد الله على انه خالي فقال قد كفيت
واشار الى بطنه فاستسقى بطنه وفي رواية اخرى انه خرج من اهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد
حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الحارث بن عبد
قيس فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال عبد سوء فاومى الى راسه وقال قد كفيت فامتخض فتخا وعن بن
عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات فذاك قوله
تعالى انا كفيناك المستهزئين بك وبالقران الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون
عاقبة امرهم يوم القيمة **قوله تعالى** ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
وسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين بما يقولون على الله من الشركا والصاحبة
والولد ويقولون فيك من النسبة الى السحر والشعر وغير ذلك وفي القران وسبح بحمد ربك فالجاء
الى التسبيح والتنزيه وقيل سبحان الله وبحمده وعن بن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين
من المتواضعين وقيل من المصلين وقيل فافرغ همامك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدايم وكثرة
السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اى ودم على عبادة ربك حتى ياتيك
اليقين اى الموت اى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة سمي الموت يقينا لانه متيقن به متفق على لحاقه
كل مخلوق وقيل اليقين النصر على الكافرين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال
ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين

سورة النحل

وتسمى سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها روى مجاهد وعطية وبن ابي طلحة انها مكية وكذلك
روى الحسن وعكرمة وعطا انها مكية كلها وفي رواية عن بن عباس انه نزل منها بعد قتل حمزة وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وفي رواية اخرى عنه هي مكية الا ثلث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله
لا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعلمون وعن الشعبي كلها مكية الا قوله وان عاقبتم الى اخر
الايات وعن قتادة هي مكية الا خمس ايات ولا تشتروا بعهد الله الايتين ومن قوله وان عاقبتم الى اخرها

وعن السايب هي مكية الا خمس ايات قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى آخرها وعن مقاتل هي مكية الا سبع ايات قوله ثم ان ربك الآية وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وان عاقبتم الى آخرها وعن جابر بن زيد انزل من النحل اربعون ايه مكية وبقيتها بالمدينة وهي سبعة آلاف وسبعماية وسبعة احرف والفا وثمان مايه واربعون كلمة ومايه وثمان وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون روى انه لما نزل قوله اقتربت الساعة قالت الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان القيمة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئاً فانزل الله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فانزل الله الآية اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا اتى قراحمزة والكسائي بالامالة والباقون بالالف قيل اتى بمعنى ياتي ولما كان وعد الله تعالى معلوم التحقق عبر عنه بلفظ الماضي وقيل اتى بمعنى قرب اعلم الله تعالى ان حدوثه لقربه بمنزلة ما قد اتى وقيل اتى للماضي حقيقة اى اتى بعض عذاب الله وهو الجدب الذي نزل بهم والجوع فلا تستعجلوه فينزل بكم مستقبلاً كما نزل بكم ماضياً امر الله قيل الساعة وقيل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اى خروجه من امارات الساعة وقيل امر الله من اشراط الساعة فلا تستعجلوا قيام الساعة وقيل وعيد المشركين وقيل اتى امر الله اى امر الله بوقوع العذاب قد اتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل دخول ذلك الوقت لا يحدث شيء فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما كان استعجالهم استهزاء وتكذيباً وذلك من الشرك نزه الله تعالى عن ان يكون له شريك وان تكون الهتهم لهم شركاء اما في عامة وصوله او عن اشراكهم على انه مصدرية

قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قرا ابن كثير وابو عمرو ينزل الملايكة باسكان النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي قوله ينزل جواب لسؤال مقدر تقريره كيف علمت لهذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله فاجاب عنه بقوله ينزل الملايكة عن ابن عباس يريد بالملايكة جبريل تسمية الواحد بلفظ الجمع اذ كان ذلك الواحد رئيساً متعارفاً بالروح قيل بامره اى ينزل الملايكة بامره فعلى هذا يكون المعنى ان امر الله كله روح بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقيل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه ومن امره اى ذلك التنزيل لا يكون الا بامر الله نظيره قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك على من يشاء من عباده اى الانبياء الذين خصهم الله برسالته بحكم مشيته ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا او بتقدير بانه انذروا اى بان الشان

والحدس

بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بقوله خلق السموات والارض م

والحدس اقول لكم انذروا وقيل ان مفسرة لان تنزيل الملايكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بانه لا امر لكم من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون

قوله تعالى خلق السموات والارض فان خلق السموات والارض لا يقدر عليه احد الا الله سبحانه وتعالى عما يشركون متعالى عن ان يشرك به غيره

قوله تعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بخلق الانسان وما يصلحه من نطفة وهذا ايضا برهان قاطع وبيان ساطع على انه لا يقدر عليه احد الا الله فاذا هو خصيم منطبق محادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جماداً لا حس به ولا حركة وهذا ادل دليل على قدرته تعالى وقيل فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفاً للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة عن الكلبي انها نزلت في ابي بن خلف الجمحي جيء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم

قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بخلق السموات والارض كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم بخلق الانسان لانه اشرف الاجسام في العالم السفلي وادل على قدرته تعالى ثم بخلق الانعام فانها اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة او بشهوة والغضب ثم من الحيوانات ما ينتفع الانسان به ومنها ما لا ينتفع به والاول اشرف من الثاني لان الانسان الحيوانات فالحيوان الذي سمع الانسان به اكمل واشرف مما لا سمع به والحيوان الذي ينتفع به اما في ضروريات معيشته كالاكل واللبس او في امور غير ضرورية كالزينة وغيرها والاول اشرف من الثاني وهذا القسم هو الانعام ولهذا بعد ذكر الانسان بدأ بذكرها في هذه الآية فعال والانعام خلقها لكم والانعام الازواج الثمانية الضان والمعز والابل والبقر وقد يقال الانعام ثمانية الابل والبقر والغنم واكثر ما يقع على الابل وانتصاب الانعام بفعل مضمر يفسره الظاهر بعدها اى خلقها ولا يجوز ان تكون انتصابها به لانه مشتغل عنه بضميره كقوله والقمر قدرناه وقيل يجوز ان تكون الانعام معطوفا على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا ايها الانسان وقيل تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا وقال لكم فيها دف ويجوز ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا وقال فيها دف قيل الاول احسن لانه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جمال والدف اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملا به وهو الدفاء من لباس متحول من صوف او وبر او شعر ومنافع

اولا م

بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها ومنها اى ومن الانعام ياكلون اى لحومها وتقديم الظرف لا لاختصاص
لانه قد يوكل من غيرها بل لان الاكل من الانعام هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من
غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتدية وكالجارى مجرى التفكه وقيل ويحتمل ان يراد ومنها
طعمتكم لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تاكلونها منها وتكتسبون باكرا الابل وتبيعون نتاجها
والبانها وجلودها ولكم فى الانعام جمال زينة وحسن منظر حين تريحون يردونها بالعشى من مراعيها
الى مراحيها التى تاوى اليها يقال اراح فلان ماشيته يريحها اراحة والمكان الذى يراح فيها مراح وحين
تسرحون اى تخرجونها بالغداة من مراحها الى مسارحها يقال سرح فلان ماشيته يسرحها سرحا وسروحا
اذا اخرجها للرعى فرحت وسرحت الماشية تسرح سرحا اذا رعت عن قتادة اعجب ما يكون اذا راحت عظاما
ضروعها طوالا اسنمتها وقيل من الله تعالى بالتجمل بالانعام كما من بالانتفاع بها لانها من اغراض اصحاب
المواشى بل هو من معاظمها لان الرغبات اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها
الافنية وتجارب فيها الثقاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكستهم
الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة توارى سواتكم وريشا وانما قدمت الاراحة على التسريح
لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضرة لاهلها وتحمل
اثقالكم امتعتكم فى السفر واحمالكم وابدانكم الى بلد غير بلدكم لم تكونوا بالغيه الا بشق بمشقة الانفس
والشق احد نصفى الشى كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد والمعنى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه على تقدير انه لم يخلق الابل الا لجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه
من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف
رحيم بخلقه حيث خلق لكم هذه المنافع **قوله تعالى** والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون عطف على الانعام اى وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة
وزينة منصوب لانه مفعول له عطفا على محل لتركبوها ولما كان الزينة فعل الفاعل الفعل المعلل
ومقارنا له صح ان ينصب بحذف اللام والركوب فعل المخاطبين لا لفاعل الفعل لم ينتصب بل استعمل
باللام وقيل لان الركوب هو المقصود الاصلى من هذه الاشياء والترس مانع فاورد المقصود باللام
الصريحة لانه اسم العرض وحذفت من الزينة احتج لانها مع بعض الفقها بهذه الاية على تحريم لحوم الخيل روى
سعيد بن جبير عن بن عباس انه سئل عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب وقرا الاى
قبلها قال هذه للاكل وقال الحكم لحوم الخيل حرام فى كتاب الله ثم قرا هذه الايات وقال جعل الله هذه للاكل

وهذه

وهذه للركوب والى هذا ذهب ابو حنيفة ومالك وغيرهما من العلما واحتجوا بما روى عن خالد بن الوليد
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال آخرون لا باس باكل
لحوم الخيل وليس فى هذه الاية دليل على تحريم شى وانما عرف الله عباده بهذه الاية نعمه عليهم ونبههم على حجج
وحدانيته وربوبيته وكمال قدرته وحكمته واليه ذهب الشافعى واحتج على هذا بما روى جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية واذن فى لحوم الخيل اخرجه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى
والدارمى وبن ماجة وعن جابر اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر
وعن جابر انه قال كنا ناكل لحوم الخيل قيل والبغال قال لا وعن اسما بنت ابى بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الامام احتج القايلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الاية قالوا منعه الاكل اعظم من منعه
الركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وحيث لم يذكره علمنا حرمة اكله قالوا ويمكن
الاستدلال بهذه الاية من وجه آخر وهو ان قوله لتركبوها يقتضى ان تمام المقصود من خلقها هو الركوب
والزينة بل كان حل اكلها ايضا مقصودا قال الامام اجاب الواحدى بجواب فى غاية الحسن قال لو دلت هذه الاية
على تحريم اكل هذه الثلاثة لكان تحريم اكلها معلوما فى مكة لاجل ان هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان
قول عامة المفسرين والمحدثين ان لحوم الحمر الاهلية حرمت عام خيبر باطلا لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم
لم يبق لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة فايدة ويخلق ما لا تعلمون ما لا تعلمون عام يتناول ما يخلق لكم
او خلايق لا علم لكم به ليريكم دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لا يبلغه
وهم احد ولا خطر على قلبه والاولى ان يحمل عليه وعلى ما ذكر اولا فان ما عام يشمل الكل **قوله تعالى**
وعلى الله قصد السبيل ومنها جاير ولو شاء لهديكم اجمعين اى بيان طريق لكم والقصد الطريق
المستقيم وقيل وعلى الله القصد بكم الى الدين ومنها جاير ومن السبيل جاير عن الاستقامة معوج والقصد
من السبيل هو الحنيفية دين الاسلام والجاير هم اليهودية والنصرانية وغير ذلك من تلك الكفار وعن جابر
ابن عبد الله قصد السبيل يعنى بيان الشرايع والفرايض وقيل قصد السبيل السنة ومنها جاير يعنى الاهوا
والبدع بيانه قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما الاية قال صاحب الكشاف فان قلت لم غير اسلوب الكلام
فى قوله ومنها جاير قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة
لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه الجاير والجواب ان المراد على الله تعالى بحسب الفضل
ان يبين الدين الحق والصراط المستقيم فاما ان يبين كيفية الاغوا والاضلال فذاك غير واجب ولو شاء لهداكم
اجمعين يدل على ان الله لم يشا هداية الكفار ولم يرد منهم الايمان لان لو لانتفاء الشى لانتفاء غيره
ولو شاء هدايتكم لهداكم لكن ما شاء هدايتكم فما هداكم **قوله تعالى** هو الذى انزل من السماء
ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات

ان فی ذلک لاٰیة لقوم یتفکرون لما کان اشرف ما فی العالم السفلی بعد الحیوان النبات استدل سبحانه وتعالی بعجایب احوال النباتِ علی وحدانیة الصانع العلیم القدیر المختار انزل من السماءِ ماءً قیل من السحاب وقیل من جهة السماءِ وقیل من السماء نفسها لانه هو السبب الاول للمطر ماء لکم لتنفعکم منه شراب تشربونه وظاهر قوله منه شراب یدل علی الحصر لان معناه منه لا من غیر ولا بعد فی ان یکون الماء العذب فی الارض من ماء المطر شاهده قوله تعالی انزل من السماء ماءً فسلکه ینابیع ولکم یجوز ان یکون متعلقا بانزل او بشراب خبرٌ له والشراب ما یشرب ومنه شجر ای الذی ترعاه المواشی وفی حدیث عکرمة لا تاکلوا ثمر الشوک فانه سحت یعنی الکلا فیه ای والشجر تسیمون ترعون مواشیکم فقال اسام فلان ابله یسیمها اذا رعاها فهو مسیم وسامت تسیم فهی سایمة من السومة وهی العلامة لانها تؤثر بالرعی علامات فی الارض ینبت لکم بالماء الزرع والزیتون والنخیل والاعناب ومن کل الثمرات ای وبعض کل الثمرات لان کل الثمرات لا یکون الا فی الجنة وانما انبت فی الارض بعض منها للتذکرة ان فی ذلک ای فی انزال الماء لایات لقوم یتفکرون فیعلمون بالتفکر ان الله انزل من السماء ماءً وانبت به الزرع والزیتون والنخیل والاعناب ومن کل الثمرات وانما وحد الایة لان انزال الماء امر واحد

قوله تعالی وسخر لکم اللیل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فی ذلک لاٰیات لقوم یعقلون وسخر لکم اللیل حیث تسکنون فیه والنهار حیث تبتغون من فضله والشمس والقمر حیث تعلمون عدد السنین والحساب بسیرهما والنجوم حیث تهتدون بها مسخرات بامر من خلقن له بامره وقیل معناه انه سخرها انواعا من التسخیر جمع مسخر بمعنی تسخیر من قولک سخرته تسخیرا کقولک سرحته مسرحا کانه قیل وسخرها لکم تسخیرات بامره قرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات رفعا کله علی ان یکون رفعها بالابتدا ومسخرات حبره والباقون بنصب الجمیع ان فی ذلک اشارة الی التسخیرات لایات لقوم یعقلون جمع الایة لان فی کل تسخیر آیة ذکر العقل لان التسخیرات المذکورة اظهر دلالة علی القدرة الباهرة وابین شهادة للکبریاءِ والعظمة فیکفی العقل ولا یحتاج الی التفکر

قوله تعالی وما ذرأ لکم فی الارض مختلفا الوانه ان فی ذلک لاٰیة لقوم یذکرون وما ذرأ لکم معطوف علی اللیل والنهار ای وسخر لکم ما ذرأ ما خلق لکم فی الارض من حیوانٍ وشجرٍ وثمرٍ مختلف الهیات والمناظر وقیل مختلف اصنافه وقیل الوانه من السواد والبیاض وغیرهما وقیل برید الحیوان والجماد فانها کلها منتفع بها فی الاطعمة والاشربة والادویة والامتعة ان فی ذلک لاٰیة لقوم یذکرون ان خلق هذه الاصناف علی تلک الهیات والالوان المختلفة لا یکون الا من الاله الواحد القهار القادر الحکیم المختار

قوله تعالی وهو الذی سخر البحر لتاکلوا منه لحما طریا وتستخرجوا منه حلیة تلبسونها وتری الفلک مواخر فیه ولتبتغوا من فضله ولعلکم تشکرون لما احتج علی الوحدانیة فی المرتبة الاولی بخلق السموات والارض وفی المرتبة الثانیة بخلق الانسان من نطفة وفی المرتبة الثالثة بخلق الانعام

وفی المرتبة

وفی المرتبة الرابعة بخلق الخیل والبغال والحمیر وفی المرتبة الخامسة بانزال الماء من السماءِ وفی المرتبة السادسة بتسخیر اللیل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما ذرأ لکم فی الارض اراد ان یستدل بعجایب احوال العناصر بدأ منها بعنصر الماءِ قال اهل الهیئة ثلثة ارباع کرة الارض فی الماءِ فذاک هو البحر المحیط وهو کله عنصر الماءِ وحصل فی الربع المرتفع المسمی بالربع المسکون سبعة ابحر والیه اشار بقوله والبحر ممدود من بعده سبعة ابحرٍ والبحر الذی سخرها للناس هو هذه الابحر والبحر هاهنا اسم جنس ومعنی تسخیر الله ایاها للخلق جعلها بحیث یتمکن الناس من الانتفاع بها بالرکوب والغوص وغیرهما ومنافع البحر کثیرة ذکر الله تعالی منها ثلثة انواع الاولی منها اکل اللحم لما کان منه لحما طریا یعنی السمک بانواعه ووصفه بکونه طریا لان الفساد یسرع الیه فیسارع الی اکله خیفة الفساد علیه ومن قال من الفقهاء اذا حلف الرجل لا یاکل لحما فاکل سمکا لم یحنث وقد سماه الله لحما بناءً علی ان مبنی الایمان علی العرف والعادة وعادة الناس اذا ذکروا اللحم الاطلاق ان لا یفهم منه السمک واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاءَ بالسمک کان حقیقا بالانکار ومثاله ان الله تعالی سمی الکافر دابة فلو حلف حالف لا یرکب دابة فرکب کافرا لم یحنث وتستخرجوا منه حلیة الثانیة من منافع البحر استخراج الحلیة منه والحلیة هی اللؤلؤ والمرجان تلبسونها ای تلبسها النساء لانهن من جملتهم ولانهن انما یتزین بها من اجلهم فکانها زینتهم ولباسهم الثالثة وتری الفلک مواخر فیه المخر شق الماءِ السفینة تمخر وتمخر مخرا وخورا اذا جرت تشق الماءَ مع صوت مواخر فی عباس جواری لانها لا تشق الماء الا اذا کانت جاریة ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بالتجارة والمقصد الی البلاد النائیة ولعلکم تشکرون الله علی ما انعم به علیکم

قوله تعالی والقی فی الارض رواسی ان تمید بکم وانهارا وسبلا لعلکم تهتدون وعلامات وبالنجم هم یهتدون المقصود من هذه الایة ذکر بعض النعم التی خلقها الله فی الارض والقی فی الارض رواسی الا لقا جعل الشیء مماسا لغیره والرواسی الثوابت والمید المیل والمعنی القی الله تعالی فی الارض جبالا رواسی کراهة ان تمید بکم وتضطرب والمائد الذی یدار به اذا البحر ومنه قیل للدار الذی یعتری راکب البحر میدعی وهب لما خلق الله الارض جعلت تمود فقالت الملایکة ان هذه غیر مقرة احد علی ظهرها فاصبحت وقد ارسیت بالجبال لم تدر الملایکة بم خلقت الجبال وانهارا عطف علی رواسی ای وجعل فی الارض سبلا مختلفة لعلکم تهتدون الی مقاصدکم ولا تضلون وعلامات یعنی معالم الطرق وکل ما یستدل به السابلة من جبل ومنهل وغیر ذلک قیل هاهنا تم الکلام ثم ابتدا وبالنجم والمراد به الجنس کقولک کثر الدرهم فی ایدی الناس وعن الکلبی اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات اللیل فعلی هذا انتصاب علامات بالعطف علی موضع ان تمید وتقدیر الکلام القی فی الارض رواسی لئلا تمید ولتکون علامات لطرقکم بالنهار وعن مجاهد اراد بها جمیعا النجوم فکانه قال وعلامات هی النجوم وبها هم یهتدون وعن السدی یعنی الثریا وبنات نعش والفرقدین والجدی وبالنجم هم یهتدون

كانه اراد قريشا كانوا هم اهتدوا بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم وكانوا اشكر اوجب عليهم الاعتبار الزم فخصوصا **قوله تعالى** افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانية الاله القادر الحكيم على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكما كانت تلك الدلايل الدالة على الوحدانية كذلك كانت غرجا وتفصيلا لانواع نعم الله اتبعه بذكر ابطال عبادة غير الله والمقصود انه لما دلت هذه الاية القاهرة والبينات الزاهرة على الوحدانية وثبت ان المولى جميع هذه النعم المعطى لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة موجود سواه لا سيما اذا كان ذلك الموجود جمادا لا يفهم ولا يقدر فلهذا قال بعد تلك الايات افمن يخلق كمن لا يخلق يعني الله كمن لا يخلق يعني الاصنام وانما جيء بمن الذي هو لذوي العلم لانهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقيل للمشاكلة بينه وبين من يخلق وقيل المعنى افمن يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف مما لا علم عنده كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لانها ولا احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضاء يصح ان يعبدوها فان قيل هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق اجيب بانهم جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وانه تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغوا طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمة الله تنبيها على ان وراءها ما لا يحصر ولا يبعد ان الله لغفور رحيم لما بين ان الانسان لا يمكنه القيام باداء الشكر على سبيل التفصيل قال ان الله لغفور لكم التقصير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه رحيم لكم حيث لم يقطع نعمه عليكم بسبب تقصيركم والله يعلم ما تسرون وقيل ان الكفار كانوا مع شركهم وعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر في مكايد فجعل هذا زجرا لهم عنها وقيل انه تعالى ابطل في الاية الاولى عبادة الاصنام بسبب انه لا قدرة لها على الخلق ولا لغيرها وابطل في هذه الاية ايضا عبادتها بسبب ان الالهة يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية وهذه الاصنام جمادات لا شعور لها بشيء اصلا فكيف يحسن عبادتها والذين يدعون من دون الله نفى عنهم خصايص الالهة بنفي كونهم خالقين واحيآ لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفة الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات

اى غير

اى غير جايز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اى لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الههم لا تعلم وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزا منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف وقيل المعنى ان الناس يخلقون منهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على الخلق فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حس فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الاصنام التي هي حجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرف في موتها وما يشعر هؤلاء الالهة متى يبعث الاحياء تهكما كما لها لان شعور الجمادات محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حتى الا الحي القيوم وقيل المراد بالذين يدعون من دون الله الملايكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم اموات فلا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون بوقت بعثهم **قوله تعالى** الهكم اله واحد فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين انه تعالى ابطل بما تقدم كون الالهية لغير الله ثم قال الهكم اله واحد الخطاب عام والمعنى معبودكم المستحق للعبادة معبود واحد لا شريك له فالذين لا يومنون بالاخرة اى الكفار قلوبهم منكرة للتوحيد الله غير عارفة له وهم مستكبرون عنه وعن الاقرار به والايمان بمحمد لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ان كان ما موصولة او سرهم وعلانيتهم ان كان ما مصدرية ان الله لا يحب المستكبرين عن التوحيد اى لا يحب المشركين قيل يجوز ان يكون عاما اى لا يحب كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه فيتناول الوعيد كل متكبر **قوله تعالى** واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون لما ابطل الشرك وعبادة الاصنام بالبراهين الباهرة والحجج الظاهرة ذكر بعد شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها واذا قيل للكفار اى قال بعضهم لبعض وقال المسلمون لهم او قال المسلمون للذين اقتسموا مداخل مكة يغرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاجة عما انزل على رسول الله ماذا منصوب بانزل معنى اى شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتدا معنى اى شيء انزله ربكم قال الكفار اساطير الاولين فاذا نصب ماذا فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله واساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير اساطير الاولين وقوله المنزل هو على سبيل السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليحملوا اوزارهم اللام لام العاقبة لانهم يصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن ذكر هذا اللام كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اى قالوا اساطير الاولين اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار اضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان

هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر بغير علم حال من المفعول اى يضلون من
لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اصوله وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث
وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون وعيد على ما قالوه **قوله تعالى**
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين
اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملايكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى
المتكبرين المقصود من هذه الاية المبالغة فى وصف وعيد اوليك الكفار قد مكر الذين
من قبلهم قيل نمرود بن كنعان حتى بنى الصرح ببابل ورام منها الصعود الى السماء وكان طول الصرح
فى السماء خمسة الاف ذراع وعن كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فاتى الله بنيانهم اى قصد تخريب
بنيانهم من الاصل واتاها امر الله وهو الريح فانبت الله الريح من جهة القواعد وهى الاساس
وقيل هى اساطين البنا التى تعمد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقيل اتاهم العذاب من مامنهم وقيل هذا تمثيل يعنى انهم
رتبوا منصوبات وسووها ليمكروا بها انبياء الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات مثل حال قوم
بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا ونحوه من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه ثم بين تعالى ان عذابهم غير مقصور على هذا القدر
ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزى ويفضحهم على رؤس الخلايق ويعذبهم بانواع من العذاب
سوى ما عذبوا فى الدنيا ويقول الله لهم اين شركاى على الاضافة الى نفسه حكايتهم لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون وتخالفون
المؤمنين فى شانهم ومعناهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب قرا نافع تشاقون بكسر
النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله والباقون بفتح النون قال الذين
اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء من اممهم الذين يدعون الكفار الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون
اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يقولون ذلك شماتة لهم
وحكى الله ذلك من قولهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولطفا لمن سمعه وقيل هم الملايكة
ثم انه تعالى وصف عذاب هؤلاء الكفار من وجه آخر فقال الذين تتوفاهم الملايكة قرا حمزة بالياء
لان الملايكة ذكور والباقون بالياء للفظ اى تقبض ارواحهم ملك الموت واعوانه ظالمى انفسهم
نصب على الحال اى تتوفاهم الملايكة فى حال كفرهم فالقوا السلم الصلح والاستسلام والخضوع

والمعنى

والمعنى انقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم وقيل معناه لما عاينوا وزال شكهم اظهروا الاسلام وهو
القاء السلم والخروج من العداوة بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء
من شرك ومعصية وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم وقيل الملايكة بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون من الكفر والضلال والشقاق والكبر فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة ولذلك
قال فادخلوا ابواب جهنم قيل دركاتها وقيل اصنافهم كما يقال فلان ينظر فى باب من العلم اى فى صنف
وقيل هذا عام لاصناف الكافرين كقوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وقيل المراد به
عذاب القبر وقيل يخاطبون به عند البعث خالدين فيها اى ناوين الخلد ومقدرين فيها فى جهنم وقيل
فى الابواب فيمن جعلها الدركات والوان العذاب فلبيس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وساير
ما اتت به الانبياء جهنم وابوابها **قوله تعالى** وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها
تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملايكة طيبين
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لما بين احوال المتكبرين الذين اذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين اتقوا للذين امنوا من اهل مكة ماذا انزل ربكم قال الذين اتقوا
خيرا نصب جواب الذين اتقوا ورفع جواب الكفار فضلا بين جواب المقر وجواب المنكر
اى الذين اتقوا لما سئلوا لم يتعلثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا
خيرا اى انزل ربنا خيرا والكفار المستكبرين عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين
وليس مثل لا يزال فى شى روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله
عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول
السايل انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان ادخل مكة واستطلع امر محمد واراه فيدخل مكة فيرى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا ثم ابتدا
فقال للذين احسنوا عدة للقايلين وجعل قولهم من جملة احسانهم وحمدوا عليه وقيل للذين احسنوا
وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه فى هذه
الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولدار الاخرة اى ولهم فى الاخرة ما هو خير منها كقوله
تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة وقيل ولنعم دار
المتقين يتزودون منها للاخرى فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا
محذوف اى دار الاخرة او دار المتقين جنات عدن رفع بالابتدا يدخلونها خبره تجرى من تحتها
الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك مثل هذا الجزاء وهو جنات عدن يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم

الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بظافة الايمان وطهارة الاسلام وقيل طيبة اذا ماتوا احياء واذا ماتوا قدر الله لهم ذلك يقولون اى الملائكة سلام عليكم قيل سلام عليكم تبشير بالجنة وقيل اعلام بالموت ادخلوا الجنة قيل معناه ابشروا بالجنة وقيل يقال لهم فى الاخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب عملكم وقيل بدل عملكم **قوله تعالى** هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ان المشركين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله ملكا من السماء يشهد على صدقه فى ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون اى ما ينتظر الكفار الذين تقدم ذكرهم والمعنى ويلحقهم لا محالة لحوق المنتظر وان لم يكونوا منتظرين الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او ياتى امر ربك اى يوم القيمة وقيل امر ربك عذابه الذى وعدهم وتاخر عنهم وقيل تاتيهم الملائكة بما وعدهم من العذاب يوم القيمة او ياتى امر ربك بذلك فكون او بمعنى الواو وكذلك اى ومثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وقيل كذلك فعل الذى من قبلهم استبطؤا العذاب كاستبطاء هاؤلاء وقيل انتظروا انتظارها ؤلاء وما ظلمهم الله بتعذيبهم وتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم الذى هو سبب تعذيبهم فاصابهم سيئات ما عملوا عقوبات كفرهم واعمالهم الخبيثة واحاط بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون ،،

قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا معطوف من حيث المعنى على ما سبق من اول السورة من كفرهم وعنادهم من انكارهم البعث واستعجالهم وشركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستنكبارهم عن قبول الحق اما انكارهم البعث واستعجالهم فيفهم من قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه واما شركهم فيفهم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون واما انكار وحدانيته فهو مدلول عليه قوله افمن يخلق كمن لا يخلق واما الحج السابقة على هذا الانكار فمحى من قوله ينزل الملائكة بالروح من امره ومن قوله خلق السموات وخلق الانسان والخيل والبغال والحمير ومن قوله انزل من السماء ماء وقوله وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر ومن قوله والقى فى الارض رواسى واما تكذيبهم الرسول فمن قوله اساطير الاولين واما استكبارهم عن قبول الحق فالذين لا يؤمنون

بالاخرة

بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وفيه انكار البعث فهذه السورة من مفتحها الى هذه الاية واردة فى بيان تعداد قبايح انواع المشركين وما تخلل بينها من ذكر النعم وعين فالتاكيد لازم لحجة وبيان العناد والاستكبار يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامى وقالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ اى ما اشركنا بعبادة الاوثان نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ هذا التشبه عين ما حكاه الله عنهم فى سورة الانعام فى قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال المعتزلة به مثل استدلالهم بتلك الاية والكلام فيه استدلالا وجوابا عين ما تقدم فلا فايدة فى الاعادة قال صاحب الكشاف هذا مذهب المجبرة بعينه خارج عن سنن الحق صادع عن تقليد المعتزلة لا عن برهان وتقييد الالفاظ المطلقة فى الاية بقيود لا دلالة للفظ عليه ولا للعقل انما هو محض التعصب لمذهبه فانه ليس فى الاية الا حكاية قولهم انهم قالوا اى الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ الاية كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين مطلق غير مقيد لقوله وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها لقصدهم وارادتهم واختيارهم بقوله وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان وقوله براءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها لقصدهم وارادتهم تقييدات وزيادة لا دلالة للاية على شئ منها فان قيل مساق الاية يدل على ان قولهم لو شاء الله ما عبدنا الى اخر الاية باطل اجيب عنه بانهم قالوا هذا القول على سبيل الاستهزاء والتعنت ولو قالوا اعتقادا لكان ايمانا والحق ان يقال انهم قالوا لما كان الملك من الله كان بعثة الانبياء عبثا فهذا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فايدة فى حصول الايمان ودفع الكفر كانت بعثة الانبياء غير جايزة من الله فهذا القول جار مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى فى افعاله وذلك باطل قال الله تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون والدليل على ان الانكار انما توجه الى هذا المعنى انه صرح فى اخر هذه الاية بهذا المعنى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين ان سنته فى عبيده ارسال

الكل ظ

الرسل اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهاهم عن الكفر الا انه تعالى هدى البعض
واضل البعض فهذه سنة الله التي لا تجد لها تبديلا ولما كانت سنة الله في حق كل الانبياء وكل الامم
والملل وانما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه الها منزها عن اعتراضات المعترضين ومطالبات
المنازعين كان ايراد هذا السؤال من هؤلاء الكفار موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت ان الله
انما حكم على هؤلاء باستحقاق الخزي واللعن لانهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
بل لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الانبياء والرسل وهذا باطل فلا جرم استحقوا على
هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح الذي يعول عليه في هذا الباب كذلك فعل الذين من قبلهم
لما عدد الله كفرهم وشركهم وتكذيبهم وغير ذلك اتى بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم اي هؤلاء الكفار لما ذكرنا
دل على فسادهم وان الحجة قد لزمتهم ولم يبق لهم الا التعلل بالمشية قالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شيء كذلك فعل الذين من قبلهم اي احوال هؤلاء المشركين وافعالهم لم تتجاوز عن افعال الامم الخالية
وعن اقوالهم ثم بين ان الرسل خلفا بعد سلف بالغوا في البلاغ المبين بقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين
ثم عقب المجمل بالمفصل بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا تسلية للرسول وتحريضا للقوم على الاعتبار وان
ينظروا الى وخامة عاقبة المكذبين وسوء خاتمتهم وانه لا يذهب بنفسه عليهم حسرات ومع ثم خاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تحرص على هداهم قال صاحب الكشاف ولعمري ابطال قدر السوء ومشيته
الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي
هو طاعة الطاغوت اي ان الله عز وجل ابطل قدر السوء في قوله وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا الى
اخره ثم اعاد ذلك الابطال بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا بناء على ان الكلام النفسي ورجوع الامر والنهي
الى الارادة والمشية فعنده ان الله شاء ان يعبدوه وشاء ان يجتنبوا الطاغوت ولم يشا اشراكهم لانه
لم يامرهم به وعلم في اصول الدين ان انكار كلام النفس مكابرة مع العقل وان الامر غير الارادة والمشية لان
ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن والمامورات قد لا تكون وقد تقع عن قوم فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة وتفسير قوله فمنهم من هدى الله بقوله لطف به لانه عرفه من اهل اللطف وقوله ومنهم من حقت
عليه الضلالة بقوله ثبت له الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير وتفسير
بالراي الباطل لما عرفت مرادا فسير واخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين يعني قوم عاد وثمود وغيرهم وقيل معنى سيروا في الارض اقرؤا القرآن فتعرفوا كيف كان عاقبتهم قال
صاحب الكشاف فانظر ما افعلت بالمكذبين حتى لا تبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا ايثاره حيث
افعل ما افعل بالاشرار يريد ان النظر في احوال الاشرار من الهلاك والدمار يدل على ان ما قدرت الشر فيهم

ولا قضيته

ولا قضيته عليهم لاني لو فعلت ذلك ثم عاقبتهم به لكنت عادلا لكنهم انما استحقوا ذلك لانهم هم الذين
فعلوا ما استحقوا به الهلاك وهذا تاويل فاسد خارج عن المقام ان تحرص على هداهم ان تطلب
تهديهم فان الله لا يهدي من يضل قرا عاصم وحمزة والكسائي يهدي بفتح الياء وكسر الدال
والباقون بضم الياء وفتح الدال ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انه من قسم
من حقت عليه الضلالة وان الله لا يهدي من يضل الله لا يهديه احد وما لهم من ناصرين يضربهم
من عذاب الله ومنعهم عنه قال صاحب الكشاف وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال
الخذلان الذي هو نقيض العصمة قيل ليس تاويل من يضل بالخذلان اولى من تاويل ناصرين بالهادين
ان تحرص على هداهم فاعلم ان الله لا يهدي بضلة وما له من هاد قط لانت ولا غيرك وهذا اولى لان
اول الكلام في الهداية لا في العصمة والخذلان **قوله تعالى** واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون روي انه
كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فتاه يتقاضاه وكان فيما تكلم به والذي ارجوه
بعد الموت فقال المشرك وانك تزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله لا يبعث الله من يموت فانزل
الله هذه واقسموا بالله عطف على قوله وقال الذين اشركوا ووجه اتصال الجملتين ان كلا منهما يستلزم
نفي بعثة الانبياء وانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان بانهما تخكيا ويدوانا الاعتراض على الله
في بعثة الرسل وانكار البعث مقسما عليه اغلظ الايمان الذي لا مزيد عليه لا يبعث الله من يموت
لا يحيي الله احدا بعد موته بلى اثبات لما نفوه اي بلى يبعث الله من يموت وعدا مصدر موكد لما دل عليه
بلى لان البعث وعد من الله اي وعد ذلك وعدا عليه حقا مصدر موكد ايضا لما دل عليه اي يحق حقا
بين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه بمقتضى الوعد والمشية فان ما شاء الله ووعده واجب
بحقيقته لا انه واجب عليه في الحكمة وقيل وعدا ي وعدك وعدا عليه قبل منه وقيل عليه انجازه حقا
وصف الوعد والوعد الحق ما قرب بالانجاز ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه وعد حق لا ياتي عليه خلف
وقيل لا يعلمون ان بعث من يموت ليبين متعلق بقوله بعث الله من يموت الذي دل عليه بلى اي
بعث الله من يموت ليبين لهم اي لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين اي بعث الله من يموت
ليظهر لمن يموت الذي يختلفون فيه اي البعث فان المومنين يصدقون به والمشركين ينكرونه
وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يحتمل ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا في الضلالة قبله
مفترين على الله الكذب ثم ذكر سهولة البعث عليه فقال انما قولنا مبتدا وان يقول خبره وكن

ويكون من كان التامة بمعنى الحدوث والوجود قراء ابن عامر والكسائي فيكون نصبًا عطفا على
نقول والباقون رفعًا قطعا مما قبله اى فهو يكون اذا اردناه وجود شى فليس الا ان نقول له كن
فيكون عقيب ذلك لا يتوقف والمعنى ان مرادنا لا يمتنع عليه وان وجوده عند تعلق ارادته
غير متوقف لوجود المامور به عند امر الامر اذا ورد على المامور المطيع الممتثل واذا كان ايجاد كل مقدور
على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من اسهل المقدورات وهذا
مثل قوله واذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون وقد فسر في البقرة **قوله تعالى**
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون لما حكى الله عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم
على انكار البعث دل ذلك على انهم تمادوا في الغى والجهل والضلال واقدموا على ايذاء المسلمين وظلمهم
فهاجر المظلومون من المسلمين في الله من بعد ما ظلموا فذكر في هذه الاية حكم تلك الهجرة وبين ما لهاولاء
المهاجرين من الحسنة في الدنيا والاجر في الاخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله وذلك
ترغيب لغيرهم في طاعة الله عن بن عباس نزلت هذه الاية في ستة من الصحابة عمار وصهيب وخباب
وبلال وعابس وجبير مولى لقريش اخذهم المشركون بمكة عن قتادة والذين هاجروا هم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع
بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة والذين هاجروا فارقوا اوطانهم في دين الله وابتغاء دينه من بعد
ما ظلموا اى ظلمهم قريش وعذبوهم ليرتدوا عن الدين لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اى لنبوئنهم
تبوة حسنة اى في المدينة وعن مجاهد ليرزقنهم الله رزقا ههنا لينزلهم في الدنيا منزلة حسنة
وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب روى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاة قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك
الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وافضل ثم تلا هذه الاية قيل هو انهم صاروا مع النبى صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام والى ان سمعوا ثناء الله عليهم وقيل هى النصرة على العدو وقيل هى لبيان الصدق وقيل
هو ما استولوا عليه من الفتوح ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف والضمير الذى هو
اسم كان وفاعل يعلم للكفار اى لو كان الكفار يعلمون ان الله يجمع لهاؤلاء المستضعفين في ايديهم
الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يكون الضمير ان للمهاجرين اى لو كان الذين هاجروا يعلمون ذلك
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او في محل النصب
على انه مفعول فعل محذوف اى هم الذين صبروا واعنى الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا في الله
على ما نابهم من اذى الكفار ومفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم

هو مسقط

هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يفوضون الامر
اليه ويرضون بما ينالهم في دين الله **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلهم يتفكرون نزلت هذه الاية في مشركى مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا الله اعظم من ان يكون له رسول بشر فهلا بعث الينا ملكا فقيل وما ارسلنا من قبلك جوابا لهم
فاعلمهم الله تعالى مخاطبا لمحمد عليه الصلاة والسلام انه لم يرسل الى الامم قبلك الا رجالا لم يرسل
ملكا ورجالا منصوب بارسلنا قرا حفص عن عاصم نوحى بضم النون وكسر الحاء فسئلوا اى قل لهم يا محمد
فسئلوا اهل الذكر علماء اى اليهود والنصارى وقيل انه الا باخبار من يسلف ليعلموكم ان الله لم يبعث
الى الامم السالفة الا بشرا ان كنتم لا تعلمون بالبينات يجوز ان يكون متعلقا بما ارسلنا داخل تحت
حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات ويجوز ان يكون صفة لرجالا اى رجالا
ملتبسين بالبينات ويجوز ان يكون متعلقا بارسلنا مضمرا كانه قيل بما ارسلوا فقيل بالبينات
اى ارسلنا بالبينات فهذا على كلامين والاول على كلام واحد ويجوز ان يكون متعلقا بيوحى اى يوحى
اليهم بالبينات ويجوز ان يكون متعلقا بلا يعلمون على ان الشرط في معنى اتسئلون والالزام اى فسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون كقول الاجير ان كنت عملت فاعطنى حقى وقوله فسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب قيل الكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه
للغافلين والبينات المعجزات وقيل الحلال والحرام والزبر الكتب وانزلنا اليك الذكر القران لتبين
للناس بلسان العرب ما نزل اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم
يتفكرون فيعلموا كلام الله ويعتبروا ما فيه **قوله تعالى** افامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اى المكرات السيئات اى
احتالوا لهلاك الانبياء يعنى نمرود وغيره من الكفار واهل الاوثان وقيل هم اهل مكة وما مكروا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراموا صدهم عن دينهم ان يخسف الله بهم الارض
كما فعل بقوم لوط وقيل كما فعل بنمرود وقيل يغوروا في الارض فيهلكوا كما خسف بقارون او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون بغتة من غير سابقة او ياخذهم
في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم مجيئهم وذهابهم في ذهابهم واسفارهم فما هم
بمعجزين جنود الله يقول اعجزه وجده عاجزا واعجزه جعله عاجزا او ياخذهم يهلكهم ويعذبهم
على تخوف متخوفين مطاوع خوفته فتخوف وهو ان يهلك قوما قبلهم فياخذهم العذاب وهم متخوفون

متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته اذا تنقصته اى ياخذهم
على ان تنقصهم شيأ بعد شيء في انفسهم واقوالهم حتى يهلكوا عن سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على المنبر فقال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله او ياخذهم على تخوف فسكت الناس
فقال شيخ يا امير المومنين هذه لغتنا بنى هذيل التخوف التنقص قال عمر فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لم يعجل بالعقوبة **قوله تعالى** اولم يروا الى ما
خلق الله من شيء تفيأ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموت
وما في الارض من دابة والملايكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون
لما خوف المشركين بالانواع المذكورة من العذاب اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم
العلوي والسفلي وتدبير احوال الارواح والاجسام ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة القاهرة والقوة الباهرة
لا يعجز عن ايصال العذاب اليهم قرا حمزة والكسائي الم يروا بالتآء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
كناية عن الذين مكروا السيئات في القراءتين الى ما خلق الله ما موصولة خلق الله صلته وهو مبهم من شيء
بيانه اى من شيء له ظل تتفيأ قرا ابو عمرو ووحده بالتآء والباقون بالياء والرؤية ههنا بمعنى النظر ولهذا
وصلت بالى تتفيأ قيل ورجع ظلاله عن اليمين بمعنى الايمان والشمايل عن جانب الى جانب فهي في اول
النهار على حال ثم تنقص ثم تعود الى حال اخرى في اخر النهار سجدا حال من ظلاله فعلى هذا الظلال ودورانها
من موضع الى موضع سجودها ومنه قيل للظل بالعشي فيء لانه فاء من المغرب الى المشرق اى رجع
والفيء الرجوع قال الله حتى تفيء الى امر الله ويقال سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير واسجد اذا
اميل للركوب وبمثله قال في الاية اهل التاويل عن عن الضحاك وعن قتادة اما اليمين فاول النهار واما
الشمايل فاخر النهار وتسجد الظلال لله غدوة الى ان تفيء الظل ثم يسجد ايضا الى الليل عن مجاهد اذا زالت الشمس
سجد كل شيء لله وقيل اراد بالظلال الاشخاص وقيل السجود بالعبادة والدعا الى العبادة وكل شيء من المخلوقات
يسجد بالدعا الى العبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع التغير يقبض صغيرا غير ومدبرا دبر عن الحسن اما
ظلال فيسجد لله واما انت فلا تسجد له فنبئس والله ما صنعت وقيل في توحيد اليمين وجمع الشمايل
ان الابتداء عن اليمين ثم سفر حالا بعد حال عن الشمايل ولهذا جمع وقيل اليمين بمعنى الايمان وجمع
الشمايل يدل عليه وقيل لما كان اللفظ اي ما حوفا او معناه جمعا حمل اليمين على اللفظ والشمايل على المعنى
ولهذا ايضا جمع الظلال ووحد الضمير ويحتمل ان يراد الشمال والقدام والخلف لان الظل يفيء من الجهات
كلها فبدا باليمين لان ابتدا الفيء منها او عينا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بينه اليمين والشمال

من المضاد

من المضاد ونزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف وهم داخرون
صاغرون يريد سجود اضطرار لا اختيار وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع
وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بين الواو والنون لانه اراد الدخور من اوصاف العقلاء ولانه في جملة
ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظل متفيئة عن ايمانها وشمائلها
اى جانبي كل واحد منها وتفيئه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اى ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله عز وجل غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التغير والاجرام في انفسها
داخرة صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموت وما في الارض من دابة
يحوز ان يكون بيانا لما في السموت والارض جميعا على ان في السموت خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي
في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموت الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا
لما في الارض ويراد بما في السموت الملايكة وكرر ذكرهم على معنى والملايكة خصوصا من بين الساجدين
لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموت ملايكتها وبقوله والملايكة ملايكة الارض
من الحفظة وغيرهم قيل جمع بين سجود المكلفين الذين هم خلاف سجود غيرهم لان المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقياد لارادة الله وانتهائه عليها وكلا سجودين
يجمعهما معنى الانتهاء فلم يختلفا فلذلك جاز ان يكون عنهما بلفظ واحد والحق انه يجوز الجمع بينهما
لجواز الجمع بين مفهومي المشترك ومفهومي الحقيقة والمجاز بلفظ كما عرف قيل انما جيء بمن تغليبا للعقلاء
من الدواب لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقل خاصة مجيء بما هو صالح
للعقلاء وغيرهم ارادة العموم ويمكن ان تنزل العقلاء منزلة الجماد الذي لا امتناع في طبعه فعبر عن الجميع
بما وهو لا يستكبرون اى والملايكة لا يستكبرون وخصهم بالذكر لانهم لا يستكبرون عن عبادة الله
يتفادون به لا يعصون الله ما امرهم يخافون ربهم يحوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون
اى لا يستكبرون خايفين ربهم وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لانه من خاف الله لم يستكبر
عن عبادته من فوقهم وان علقه بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا لهم كقوله وهو القاهر
فوق عباده وانا فوقهم قاهرون ويفعلون ما يومرون من الطاعة وغيرها وفيه دليل على ان الملايكة
مكلفون مداومون على الامر والنهي والوعد والوعيد كساير المكلفين وانهم بين الخوف والرجا **قوله**
تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموت
والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
لما بين في الاية الاولى ان كل ما سوى الله سواء كان من عالم الارواح او من عالم الاجسام فهو منقاد خاضع

لجلال الله وكبريائه اتبعه في هذه الاية بالنهي عن الشرك وبالاخبار بان كل ما سواه فهو ملكه وملكه وانه غني
عن الكل فقال ولا تتخذوا الهين اثنين قال صاحب الكشاف فان قلت انما جمعه بين العدد والمعدود
فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدود دال عليه فلا حاجة الى
ان يقال رجل ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي
يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت
انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهة لا الوحدانية والمقصود من تكرير العدد
الخاص الذي دل عليه الهين تاكيد النفي عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه فان الشيء اذا كان مستنكرا
مستبعدا فمن اراد المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببا
لوقوف العقل على ما فيه من القبح والقول بوجود الاهين قول مستبعد في العقول فلهذا المعنى لم يقل احد
من العقلاء بوجود الهين متساويين في الوجوب والقدم وصفات الكمال وقيل معناه لا تعبدوا الهين
اثنين واثنين نعت لاهين لا تاكد وان كان مفيدا للتاكيد لان النعت قد يرد للتاكيد فعلى هذا يكون
لا تتخذوا متعديا الى مفعول واحد وقيل لا تتخذوا متعد الى مفعولين الاول الهين واثنين صفة له
والمفعول الثاني محذوف تقديره لا تتخذوا الهين اثنين معبودا او مطاعا ونحوه وقيل المفعول
الاول اثنين واثنان الهين اي لا تحدوا الهين لان كل ما له اثنان فليس باله لان الاله هو الذي
لا ثاني له انما هو اله واحد لانه لما دل الدليل السابق انه لابد للعالم من اله وثبت انه يمتنع ان يكون
في الوجود الهان ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الصمد فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة
الى التكلم وحاز لان الغايب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله
واياي فارهبوه اي فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبوني فخافوني وله ما في السموات والارض
خلقا وملكا وله الدين الطاعة والاخلاص واصبا دائما ثابتا واجبا حال عمله فيه الظرف ومعنى
الاية انه ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع عنه بزوال او هلاك الا الله عز وجل فان الطاعة
تدوم له قيل ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا وقيل
وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول نفي الثواب والعقاب افغير الله تتقون والمعنى انكم بعد
ما عرفتم انه الاله العالم واحدا عرفتم ان كل ما سواه فيحتاج اليه وقت حدوثه ومحتاج اليه ايضا
في وقت دوامه وبقايه فعند العلم بهذه الاصول كيف يعقل ان يكون الانسان رغبة في غير الله او رهبة
عن غير الله فلهذا المعنى قال وما بكم من نعمة فمن الله لما بين ان الواجب على العاقل ان لا يرهب

غير الله

غير الله بين في هذه الاية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله لان الشكر انما يجب على النعمة
وكل نعمة يحصل للانسان فهي من الله لقوله وما بكم اي اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله
والمبتدا اذا كان موصولا بفعل او ظرف حسن دخول الفا في خبره ثم قال تعالى ثم اذا مسكم الضر المرض
والفقر والجدب فاليه تجارون تمايتضرعون وتصيحون بالدعا والاستغاثة الا اليه والجوار رفع
الصوت بالدعا والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا
والمعنى انه بين ان جميع النعم من الله تم اذا اتفق لاحد مضرة تقضي الى زوال شيء من النعم لا تستغيث
لاحد الا الله لعلمه بانه لا ملجا الا هو ثم اذا كشف الضر الذي مسكم عنه اذا فريق منكم بربهم يشركون
في عبادة الاصنام يحتمل ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بفريق منكم الكفرة
وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون
فيهم من اعتبر كفرهم فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي فريق منكم سقي على مثل ما كان عليه عند مس الضر
اي ان لا يفزع الا الى الله وفريق منكم عند كشف الضر يغيرون فيشركون بالله غيره وهذا جهل وضلال
لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند مس الضر ان لا يفزع الا الى الله الواحد فكيف عند كشف الضر
ينبغي ان يبقى على ذلك الاعتقاد فاما انه عند مس الضر يعرف بانه لا مستغاث الا الله وعند كشف
الضر يشرك بالله فهذا جهل عظيم وضلال مبين ليكفروا بما اتيناهم اللام لام العاقبة اي جعلوا
عاقبة النعم الكفر بدل الشكر فتمتعوا لا تمتعون من ذلك فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل
بكم من العذاب وهذا تخليه ووعيد قال صاحب الكشاف ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم جعلوا عرضهم في الشرك كفران النعمة **قوله تعالى** ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم تالله لتسالن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم
ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم
من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم انه لما بين
بالدلايل القاهرة فساد قول اهل الشرك شرح في هذه الاية تفاصيل اقوالهم وافعالهم وبين
فسادها ويجعلون المشركون للاصنام الذين لا يعلمون انها اي جاهلون بها لان المشركين يسمون
الالهة اصناما ويزعمون انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وتقربهم الى الله وليس كذلك لانها
جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للاصنام اي لاشياء غير
موصوفة بالعلم اي الاصنام التي لا تعلم شيا ولا تشعر جعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم
امر لاوكانوا يجعلون لها هذا ذلك تقربا اليها وانما قال لا يعلمون لانهم لما اتخذوها الهة اجراها

يجري من يعقل على زعمهم وقيل لما نفى عنها ما يصح ان ينفى عن ذوي العلم فعلى الاول الضمير للمشركين ومفعول
لا يعلمون ضميرها المعبر على الاصنام وعلى الثاني مفعول لا يعلمون غير منوي لان المعنى لا شيا لا علم لها نصيبا
اي يجعل المشركون لالهتهم نصيبا من انعامهم وزروعهم كما ذكر في الانعام حيث قال وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع عن الاخبار عنهم
الى الخطاب لهم فاقسم بنفسه فقال تالله لتسالن يوم القيمة في الاخرة عما كنتم تفترون في الدنيا من
الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها فتعلموا انكم مستحقون العذاب وهذا سوال توبيخ وتهديد
ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسب
الولد اليه او تعجب من قولهم معترض ولهم ما يشتهون يعني البنين وما منصوب المحل عطفا
على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور ويجوز ان يكون ما في محل الرفع على الابتدا
ولهم خبره والواو للحال اي ولهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر التبشير في عرف اللغة الخبر الذي
يفيد السرور وفي اصل اللغة للخبر الذي يغير بشرة الوجه كذلك الحزن فلفظ التبشير بحسب اللغة حقيقة
في الخبر الذي يغير البشرة اعم من ان يكون من السرور او من الحزن وحقيقة بحسب العرف في الاول
وقيل التبشير هاهنا استعمل في الخبر الذي يفيد الحزن بطريق استعارة اسم احد الضدين على الاخر على
سبيل التهكم كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ظل صار وجهه مسودا والسواد كناية عن العبوس
والكراهة مما اخبرته وعن تغير اللون من الحزن والغم قال صاحب الكشاف ويجوز ان يجي ظل لان اكثر
الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم حزين ممتلئ
غيظا وحنقا على المراة وقيل مملوء والاول فعيل بمعنى فاعل والثاني بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم يتوارى
من القوم ويبعد عنهم من سوء ما بشر به وذكر الضمير لانه يعود الى لفظ ما على هون هوان وذل ام يدسه
يخفيه في التراب فينبذه وذلك ان مضر وخزاعة وتميما يدفنون البنات احياء الا ساء ما يحكمون
حيث التولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور للذين لا يومنون
بالاخرة يعني هاولا الجاعلين لله البنات مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالبخل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكبر الكبائر ان تجعل لله ندا وهو خلقك ثم ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك ثم ان تزني
بحليلة جارك ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي الغنى عن العالمين والبراءة عن صفات المخلوقين
قيل وقد تم الكلام على قوله مثل السوء ثم قال ولله المثل الاعلى الافضل والاحسن وهو التنزيه عما لا
يليق به عن ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل الصفة التي وصف
هاولا الجهال ربهم بها هم اولى بها من الله ولله الصفة العليا وهو انه لم يلد ولم يولد **قوله تعالى**

ولو يواخذ الله

ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم
ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم
اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة
لقوم يومنون انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح فعلهم وسيئ قولهم بين ان الله يجهل هاولاء
الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض من دابة كناية عن غير مذكور وهو جائز لان الدواب لا تكون الا في الارض
من دابة جميع ما يدب على وجه الارض قاله بن مسعود قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن نوح وعن السدي
لا قحط المطر فلم يبق دابة الا هلكت وقيل هي الناس خاصة قاله بن جريج وقيل هي الانس والجن وعن بن
عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء وعن ابي هريرة انه سمع
رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن بن
مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب بني ادم ولكن يوخرهم الى اجل مسمى ولكن
يمهلهم بحكمته الى منتهى اجالهم وانقضا اعمارهم وقيل وقت العذاب وقيل يوم القيمة فاذا جاء اجل
هذه الاوقات لهلكوا البتة من غير تقديم وتاخير ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات
ومن شركاء في رياستهم من الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون لله ارذل اموالهم
ولاصنامهم اكرمها وتصف وتقول مع ذلك السنتهم الكذب واسند الوصف الى اللسان لان
القول باللسان يكون ان لهم الحسنى بدل من الكذب قيل ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل الحسنى البنون وقيل الجنة على تقدير ان كان البعث حقا
لا جرم وعن الزجاج لا رد لكلامهم ومعنى جرم كسب اي كسب فعلهم ان لهم النار وانهم مفرطون
عطف على ان لهم النار اي وانهم مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت اذا قدمته وقيل منسيون
متركون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته قرا نافع مفرطون بكسر الراء مع التخفيف اي مسرفون
في المعاصي والباقون بالفتح مع التخفيف تالله هذه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان
اعمالهم الخبيثة التي كانوا عليها مقيمين حتى عصوا وكذبوا وكفروا بالرسل فهو وليهم اليوم قيل حكاية
الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها وقيل وهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن
زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين وقيل فهو وليهم اليوم حكاية الحال الاتية وهي حال
كونهم معذبين في النار اي ليلبس بولي امورهم يوم القيمة لا ولي لهم سواه نفيا للولي لهم على ابلغ
الوجوه قيل يجوز ان يكون الضمير المجرور لمشركي قريش والمراد ان الشيطان زين للكفار قبلهم اعمالهم

فهو ولي هاولاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر تعالى
ان مع هذا الوعيد الشديد قد اقام الحجة وازاح العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين للناس
الذي اختلفوا من الدين والاحكام وقيل لتبين للكفار الذي اختلفوا فيه اي ما خالفوا فيه المومنين من التوحيد
والبعث والجزا فالمعنى انزلنا بيانا لما وقع فيه الاختلاف وهدى ورحمة لقوم يومنون عطف على محل
لتبين لانه المفعول له الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لان هدى ورحمة فعلا الذي انزل الكتاب
ودخل اللام على ليبين لانه ليس فعل المنزل بل فعل المخاطب وقيل الذي اختلفوا فيه البعث لانه كان
فيهم من يومن به وهم عبد المطلب واشيا من التحليل والتحريم والانكار والاقرار **قوله تعالى**
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون قد تحقق ان المقصود الاعظم من
القران الكريم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضا والقدر والمقصود الاعظم
من هذه الاربعة تقرير الالهيات فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول عاد الى تقرير الالهيات
فلما امتد الكلام هاهنا في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات ابتدا بالاجرام الفلكية وثنى بالانسان وثلث
بالحيوان وربع بالنبات وخمس باحوال البحر والارض ففي هذه الاية بدا بذكر الفلكيات فقال والله انزل
من السماء ماء اي المطر فاحيا به الارض بعد موتها بعد يبوستها وحدوثها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
يسمع القلب كلام الله ووعظه سماع انصاف وتدبر لا عناد وتجبر فان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم
لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة دلالة وعلامة يعتبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم قرا نافع وابن عامر
وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون والباقون بضمها لانه شرب دايم وحكي عن الكسائي ان العرب
تقول اسقيته نهرا ولبنا اذا جعلته له سقيا دايما فاذا ارادوا انهم اعطوه شربه قالوا سقيناه وقال
غيره هما لغتان يدل عليه قول لبيد في صفة سحاب سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال
مجمع بين اللغتين مما في بطونه اي بطون الانعام ذكر الضمير قيل لانه مفرد ذكر سيبويه الانعام في باب
ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياس وكذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها من سورة المومنين فلان معناه الجمع وعن الفرا رد الكناية الى النعم والنعم والانعام واحد
ولفظ النعم مذكر قال صاحب الكشاف ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال
في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فلما تذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه تلفحه
قوم وتنتجونه واذا انث فيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع نسقيكم استيناف كانه قيل كيف
العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث وهو ما في الكرش فاذا خرج منه لا يسمى فرثا ودم لبنا خالصا من الفرث

والدم

والدم اي يخلق اليه اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه ويبينه ويبينها برزخ من قدرة الله
لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله عن ابن عباس اذا اكلت
البهيمة العلف واستقرت في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلط على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث فسبحان
الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن يكفر وتامل سايغا سهل المرور في الحلق يقال لمن يغص احد باللبن
وقيل سايغا حلالا وقيل لا تعافه الناس وان خرج من بين فرث ودم ومن في قوله مما في بطونه للتبعيض
لان اللبن بعض ما في بطونه كقولك اخذت من مال زيد ثوبا ومن في قوله من بين فرث ودم لابتدا الغاية
لان من بين الفرث والدم كان الاسقا الذي منه يبتدي فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض
ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا من بين فرث ودم واذا كان متاخرا
فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم ومن ثمرات النخيل
والاعناب قيل ومن ثمرات متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وحذف نسقيكم لدلالة نسقيكم قبله عليه تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقا وقيل
ومن ثمرات متعلق بتتخذون وقوله منه من تكرير الظرف للتوكيد كما في قولك زيد في الدار فيها وقيل
يجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله يصف قوسا تكفي كان من ارمى البشر تقديره
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون
من بعضها سكرا والضمير في منه اذا جعل ظرفا مكررا عايدا الى المضاف المحذوف الذي هو العصير
كما رجع في قوله تعالى او هم قايلون الى اصل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال يصف جيشا وجاونا بهم سكرا علينا فاجلى اليوم والسكران
صاحي عن ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابرهيم وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة
ان السكر هو الخمر روي عن ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتها وقالوا هاولا قالوا هذه الاية نزلت
حين كانت الخمر مباحة ثم نسخت بقوله فاجتنبوه وروى العوفي عن ابن عباس السكر الخل بلغة
الحبشة وعن الضحاك هو الخل بلغة اليمن وقيل السكر في البيت من الخمر فانه اذا تعرض لاعراض
الكرام فكانه تخمر بها وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه
ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رضي الله الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله صلى الله
عليه وسلم الخمر حرام بعينها والسكر من كل شراب وباخبار جهة والرزق الحسن الخل والدبس والرب
والتمر والزبيب وغير ذلك وقيل يجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو
سكر ورزق حسن ان في ذلك لاية لقوم يعقلون اي من كان عاقلا يعلم بالضرورة ان هذه الاحوال

لا يقدر عليها الا الله سبحانه فيستدل بها على وحدانيته الاله القادر الحكيم **قوله تعالى** واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون لما بين الله ان اخراج الالبان من الانعام واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دلايل قاهرة وسمات باهرة على ان لهذا العالم اله قادرا مختارا حكيما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المطلوب واوحى ربك الى النحل اى الهمها وقذف فى انفسها ففهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة ان اتخذى هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول من الجبال اى فى الجبال ويحتمل انه للتبعيض لان ذلك يوجد فى بعض الجبال وسماها بيوتا تشبيها ببيوت الانسان وقيل لانها مبنية على حسب الصنعة وصحة القسمة ومن الشجر فى الجبال والغياض والجبال والصحارى ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى يعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس ومن للحال ومن الشجر ومما يعرشون اريد معنى البعضية والاسى سوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا فى كل مكان منها ثم كلى من كل الثمرات قيل ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث فى الهواء ظل لطيف فى الليالى ويقع ذلك الظل على اوراق الاشجار فقد تكون تلك الاجزاء الظلية لطيفة الصور متفرقة على الاوراق والازهار وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها اجزاء محسوسة والقسم الثانى مثل الترنجبين فانه ظل ينزل من الهواء على اشجار فى بعض البلدان وذلك محسوس والقسم الاول هو الذى الهم الله تعالى النحل حتى انها تلتقط تلك الذرات من الازهار والاوراق الاشجار بافواهها وتاكلها وتعتدى تلك الاجزاء الظلية فاذا شبعت لفظت بافواهها مرة اخرى شيأ من تلك الاجزاء ثم تذهب بها الى بيوتها وتضعها سائلا كانها تحاول ان تدخر لعسلها عداها فاذا اجتمع فى بيوتها من تلك الاجزاء الظلية شئ كثير فذاك هو العسل وقيل ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة اشيأ ثم انه تعالى يقلب تلك الازهار فى داخل بدنه عسلا ثم انها تعيى مرة اخرى فذلك هو العسل على القول الاول من الابتداء الغاية وعلى الثانى للتبعيض فاسلكى اذا اكلتها فاسلكى الطريق التى الهمك الله وافهمك فى عمل العسل وقيل فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل مرها بقدرته النور المرعسلا من اجوافك ونفاذا مالك وقيل اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى سوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين منها قيل انها ربما اجذب عليها ماحولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة وقيل اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى فى طلبها فى مظانها جعل لكم الارض ذلولا ومن الضمير فى فاسلكى اى فاسلكى حال كونك ذللا منقادة مطيعة لله تعالى فيما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب عسل لانه مما يشرب مختلف الوانه ابيض واحمر

واصفر

فيه شفاء للناس لانه من جملة الاسقمة والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس المعرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه اولان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل روى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيأ فقال صلى الله عليه وسلم اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذبت بطن اخيك فسقاه فبرأ كانما انشط من عقال عن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة واللطايف الخفية مثل بناء البيوت المسدسة والاهتداء الى جميع تلك الاجزاء الذرية من اطراف الاشجار والاوراق وفى خلق الله تلك الاجزاء النافعة فى جو الهواء ثم القائها على اطراف الاوراق والاشجار ثم الهام النحل الى جمعها بعد نفوقها وكل ذلك امر عجيب دالة على ان الاله القادر الحكيم رتبه على وفق الحكمة والمصلحة **قوله تعالى** والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير لما ذكر عجايب احوال بعض الحيوانات ذكر فى هذه الاية من عجايب احوال الناس طرفا واشار فى هذه الاية الى مراتب عمر الانسان وقد ضبطها العقلاء فى مراتب اربع اولها سن النمو وهو سن الطفولية وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط مع بقاء القوة وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو سن الشيخوخة فانقلاب الانسان من بعض هذه المراتب الى بعض دليل قاطع وبرهان ساطع على ان الله تعالى هو الخالق البارئ المصور والله خلقكم ثم يتوفاكم طفلا رضيعا او صبيانا او شبانا او كهولا ومنكم من يرد الى حال تقدمت من الضعف وهو ابتداله الى ارذل العمر الى اخسه واحقره يعنى الهرم الذى ينقص فيه عقله وقوته عن قتاده ارذل العمر تسعون سنة وعن على رضى الله عنه خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة لكيلا يصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وان يعلم شيأ ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سيل عنه وقيل لكيلا يعقل بعد عقله الاول شيأ وقيل يجوز ان تكون اللام لام كى فيصير المعنى لئلا يعلم بعد علم شيأ فيكون عبرة للمعتبر وليعلم انه كما هو قادر على نقله من العلم الى الجهل قادر على اماتته واحيائه ويجوز ان تكون لام العاقبة اى يصير الى حال الطفولة لنسيان ما كان يعلم ان الله عليم **قوله تعالى** والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اى كثير وقليل وبسط وقبض ووسع وضيق فما الذين فضلوا فى الرزق واعطوا الفضل برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم اى لا يرد المولى على ما ملكت ايمانهم مما رزق شيأ

حتى يكون المولى والمملوك فى المال سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين الذين جعلوا الاصنام شركاء له وللاصنام
ملك له فقال اذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فى الملك فكيف يجعلون عبيدى معى سواء قال السدى وكما لا يرد
احدكم على مملوكه مما رزقه الله حتى يكون مثله فذلك لا يكون والله والصنم الذى هو من خلقه وملكه سواء
ابن عباس لم يكونوا اشركوا عبيدهم فى اموالهم ونسائهم فكيف تشركون عبيدى معى سلطانى عن ابن عباس
نزلت فى نصارى نجران حين قالوا عيسى بن الله وقيل فهم فيه سواء انى رزقت الجميع وانه لا يملك احد
ان يرزق عبده الا برزقى اياه وقيل جعلكم متفاوتين فى الرزق ورزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر
مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان ترودوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى المطعم والملبس كما حكى عن
ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم واكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما رؤى عنده بعد ذلك الا ورداه ردائه وازاره ازاره من غير تفاوت فجعل ذلك
من جملة جحود النعمة فقال افبنعمة الله يجحدون قراءة عاصم فى رواية ابى بكر بالتاء على الخطاب لقوله

قوله تعالى والله خلقكم والله فضل بعضكم على بعض والباقون بالياء لقوله فهم فيه سواء

والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل
يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم وقيل بعنى خلق من آدم زوجته
حوا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذى يخدمك يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه
قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفدة الولد يدسهن واسلت ما دهن ادمه الاجمال واختلف
فيهم فقيل هم الخدم والحفد الاسراع فى الخدمة والحافد الخادم وقيل هم اولاد الاولاد وقيل هم ازواج البنات
وهم الاختان وقيل البنات لانهن يخدمن فى البيوت اثر خدمه وقيل اولاد المرأة من زوج قبله وقيل
هم البنون اى يأنس بهم فى الصغر ويخدمونه فى الكبر كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم
من انفسكم اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون بين الامرين ورزقكم من الطيبات اى بعضها
لانها كلها فى الجنة ومن الطيبات من الحلال وقيل من اللذيذ كاللبن والعسل والثمار وقيل هو ما يأتيك
عفوا افبالباطل عن ابن عباس بالاصنام وقيل بالشيطان امروهم بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة
والحامى وقيل هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يصلوا
اليه بدليل ولا امارة وليس لهم ايمان الا انه كائن شىء معلوم مستيقن وبنعمة الله التى احل الله لهم
وهى المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل وبنعمة الله هم يكفرون يجحدون بحلوله
وينكرونها كما لا سكر المحال الذى لا يتصوره المعقول

قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم اى الصنم الذى هو حماد

لا يملك

لا يملك لهم رزقا من السموات والارض قيل هو مصدر شيئا مفعوله كقوله او اطعام مسكينا والمعنى
ما لا يملك ان يرزق شيئا وقيل ما يرزق وشيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون شيئا تاكيدا للا يملك
شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق اى كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا
ولا من الارض نباتا ويجوز ان يكون من السموات والارض صفة ان كان رزقا اسما لما يرزق اى مرزوقا من
السموات والارض ولا يستطيعون اى ما لا يملك فان ما لا يملك فى معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ وقيل
ولا يستطيعون اى الكفار اى ولا يستطيع الكفار مع انهم احياء متصرفون اولو اعقل من ذلك شيئا فكيف
بالجماد الذى لا حس به ونفى الملك باعتبار ان رزقا ونفى الاستطاعة على الاطلاق لانهم موات وقيل يجوز
ان يقدم الراجع فى ولا يستطيعون ويراد به الجمع من نفى الملك والاستطاعة للتوكيد او امر اد انهم لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوا ولا يأتى ذلك فيهم لا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال اى الاشباه والاشكال
فتشبهوه بخلقه وتجعلون له شريكا وهذا تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال
مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم خطاء ما يضربون من الامثال وانتم لا تعلمون صواب ذلك
من خطأه وقيل ان الله يعلم كنه ما يفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازنه فى العظم لان العقاب
على قدر الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فدال الذى جركم اليه وحملكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك

قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا

حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن
يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم انه تعالى اكد ابطال مذهب عبدة الاصنام بهذا المثل وعلمهم
كيف تضرب قيل هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دونه او معه ضرب الله مثلا عبدا مملوكا اى مثلكم
فى اشراككم بالله الاصنام مثل من سوى بين عبد مملوك لا يقدر على شىء عاجز عن التصرف وبين حر مالك
قد رزقه الله رزقا حسنا مالا حلالا فهو ينفق منه كيف يشاء سرا وجهرا وانما قال مملوك ليمين من الحر
لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وانما قال مملوك ليمين من الحر لان اسم العبد يقع عليهما
جميعا لانهما من عباد الله وانما قال لا يقدر على شىء ليكون غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف
ومن فى قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ويجوز ان تكون موصولة هل يستوون
استفهام على سبيل الانكار فاد صريح العقل بشاهد بانه لا يجوز التسوية بينهما فى التعظيم والاجلال لله
تعالى ان التساوى بين الخلق اذا كان احدهما مقتدرا على الانفاق والآخر عاجزا لا يقدر ان سهولا يستويان
فكيف بين الخالق الذى هو موات وبين الله الذى هو على كل شىء قدير وهو رازق جميع خلقه عبدا مملوكا لا يريد
اى عبدا كان وعن عطاء انه ابو جهل ابن هشام ومن رزقناه ابو بكر الصديق ومن رزقناه رزقا حسنا

ملكناه مالا حلالا فهو ينفق منه سرا وجهرا دايما ولفظ الجمع في هل يستوون يدل على ان المراد بالعبد العموم
وقيل انما قال هل يستوون لمكان من لانه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وكذا
لمن اي لا يستوي القبيلان وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر بقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شي مثل
للكافر فانه من حيث انه بقي محروما عن عبودية الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد المملوك العاجز عن
التصرف وقوله ومن رزقناه مثل للمومن فانه يشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فبين
الله تعالى انهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل هل يستوون في الطاعة
الحمد لله يعني ليس الامر كما يفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فيحمد عليه انما
الحمد الكامل لله خالصا لانه هو المنعم الخالق الرازق ولكن اكثرها ولا الكفار لا يعلمون انها كذلك وعن ابن عباس
الحمد لله على ما فعل باوليايه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل قل الحمد لله على الكمال لا لما يعبدونه بل اكثرهم لا يعلمون
فيجعلون الحمد والعبادة لغير الله وقيل لما ذكر هذا المثال وكان هذا مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود
قال بعده الحمد لله على قوة هذه الحجة وظهور هذه السنة بل اكثرهم لا يعلمون اي انها مع غاية ظهورها
ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هاولا الضلال وقيل بل اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يتفكرون في
الادلة فيعرفوا ان العبادة والحمد لله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس فلا يفهم
ولا يفهم لا يقدر على شي وهو كل ثقل وعيال على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه ويصرفه
في مطلب حاجة او كناية مهم لا يات بخير لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو على صراط مستقيم على سيرة صالحة
ودين قويم وهذا ايضا مثل ضربه الله ليف ولما يفيض على عباده ويسهلهم من اثار رحمته والطافه
ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ولا تفعل
وهو على كل عابدها يحتاج ان يحملها ويضعها ويخدمها هل يستوي هو ومن يامر بالعدل يعني الله قادر ان
يقدر مثلكم ويامر بالتوحيد فليس لصنمكم وهو على صراط مستقيم وقيل هو رسول الله يامر بالعدل ويهدي
الى صراط مستقيم وقيل كلا المثلين للمومن والكافر وقيل نزلت هذه الاية في عثمان بن عفان رضي الله عنه
ومولاه السعيد بن العاص **قوله تعالى** ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا
كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شي قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل لكم
السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا
الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون لما جعل في الاية الاولى مثل الكفار الابكم العاجز ومثل نفسه
الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم انه يمتنع ان يكون امرا بالعدل وان يكون على صراط
مستقيم الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة ذكر في هذه الاية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة اما بيان

كمال العلم

كمال العلم فهو قوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب في السموات والارض عن العباد
وخفي عليهم علمه وقيل اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غايب عن اهل السموات والارض
لم يطلع احد منهم واما بيان كمال القدرة فقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي
تقوم فيه القيمة سميت ساعة لانها تفجاء الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة اي وما امر
الساعة في قرب كونها وسرعة قيامها الا كلمح البصر كنظرة البصر ورجع الطرف لان ذلك انما هو ان يقال
له كن فيكون او هو اقرب بل هو اقرب وقيل او بمعنى الواو وقيل للشك في حق المخاطب ويحتمل تصحيح
قوله اقرب لان اللمح فعلان وضع الجفن ورفعه وقيام الساعة فعل واحد ان الله على كل شي قدير فهو يقدر
على ان يقيم الساعة في اقرب من لمح البصر ثم دل على قدرته وعلى انه الفاعل القادر المختار فقال والله اخرجكم
من بطون امهاتكم قرا حمزة والكساي امهاتكم بكسر الهمزة والباقون بضمها لا تعلمون شيا في موضع الحال
معناه غير عالمين شيا قيل ثم الكلام على قوله شيا ثم ابتدا فقال وجعل لكم السمع والابصار والافيدة
لتبصر السمع والبصر والافيدة الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم قال المفسرون
وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله والابصار لتبصروا اثار رحمة الله في فواه كالاغربة في غراب وهو
جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع
لا غير فجرت ذلك المجرى وانما اعطاكم هذه الايات ليحصل لكم العلم فتشكروا نعمة الله الم يروا قرا ابن عامر
وحمزة والكساي تروا بالتاء والباقون بالياء هذا دليل اخر على كمال قدرته مسخرات مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء في الهواء بين الارض والسماء وقيل في الهواء المتباعد
من الارض في سمت العلو ما يمسكهن في الجو في قبضهن وبسطهن وفوقهن الا الله بقدرته ان في ذلك لايات
للمومنين لانهم هم المنتفعون بها وان كانت هذه الايات ايات للعقلا جميعا **قوله تعالى**
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن
اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين هذا نوع اخر من دلايل التوحيد وتعديد
نعمة الله على الناس في البيوت اصل البيت ماوى الانسان بالليل ثم قيل بغير اعتبار الليل فيه وجمعه
ابيات وبيوت والبيوت بالمسكن اخص والابيات بالشعر وشبه بيت الشعر وصار لبيت متعارفي
ال النبي صلى الله عليه وسلم والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ذكر اولا بيوت التمدن وهي التي للاقامة الطويلة
وهي عظمى بيوت الانسان وان كان الوصف بسكن يعم جميع البيوت من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر
والاخبية وغيرها سكنا مصدر بمعنى مفعول يوصف به الواحد وهو ما يسكن فيه واليه من بيت او الف
ثم ذكر بيوت النقلة والرحلة فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يحتمل ان يعم به بيوت الادم وبيوت
الصوف والوبر والشعر ان هذه هي من الجلود لكونها ثابتة فيها ويكون قوله ومن اصوافها ابتدا كلام كانه

قال جعل اثاثا يريد الملابس والوطاء وغيرذلك ويحتمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط
ويكون قوله ومن اصوافها عطف على قوله من جلود الانعام اى جعل من اصوافها بيوتا ايضا ويكون
قوله اثاثا نصب على الحال يستخفونها تجدونها خفيفه وتحف عليكم حملها يوم ضعنكم قرا ابن كثير
ونافع وابو عمر وبفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان اى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها
ويوم سرلون وتقيمون في مكان له عليكم ضربها وقيل هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا
على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها وهي الضان واوبارها وهي الابل واشعارها وهي المعز والبقر
ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر عليه وقيل انما ترك ذكر الحرير والكتان والقطن
اعراضا عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف وقيل قد اشير الى القطن والكتان
في لفظة السرابيل اثاثا متاع البيت واحدها اثاثة قيل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر
كالشعر الاثيث وعن ابن عباس الاثاث المال والزينة وقيل الاثاث الثياب بلغة قريش وقيل الاثاث ما يلبس
ويفرش كالاكسية وما يشبهها ومتاعا وشيا ينتفع به وقيل ما يحرث فيه الى حين ووقت معين وهو
بحسب كل انسان اما بموت واما بفقد تلك الاشياء التي هي اثاث وقيل الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم
اوالى ان يبلى ويفنى اوالى ان تموتوا **قوله تعالى** والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم
من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون نعم عددها
الله عليهم بحسب احوالهم وبلادهم وامها الاساء المباشرة لهم لان بلادهم لا تلادهم من الحرارة
وصهر الشمس بحسب الظل عناء عظيم ونفع ظاهر مما خلق يعم جميع الاشخاص المظلة ظلالا تسطلون
بها من شدة الحر وهي ظلال الاشجار والسقوف والابنية وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو
ما تستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف والاشراف والمواضع التي تسكنون
فيها وجعل لكم سرابيل قمصانا من الكتان والقطن والقز والصوف وغيرها وقيل كل ما يلبس من ثوب
او درع فهو سربال تقيكم تمتكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر عندهم اهم وقيل ما يهمهم البرد لكونه
سيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع
والجواشن واللباس الحرب اى تقي بأسكم في الحرب من سلاح العدو وكذلك يتم اى كما اتم النعم التي
تقدمت يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصوا لله
الربوبية وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات احد سواه فان تولوا يا محمد ولم يقبلوا منك واعرضوا
واثروا الحياة الدنيا ومتابعة الاباء في الكفر فعلى انفسهم جنوا وليس عليك الا البلاغ المبين ثم
وبخهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددها ويعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم

غير المغضوب عليهم وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من اٰبائنا وقيل
يعرفون نعمة الله امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم ينكرونها بتكذيبهم اياه واكثرهم الكافرون وهم اهل
مكة لانه كان فيهم من داخل الاسلام ومن اسلم بعد ذلك **قوله تعالى** ويوم نبعث
من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب
فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون لما بين انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها واكثرهم كافرون
اتبعه الوعيد بقوله ويوم نبعث واذكر يا محمد يوم نبعث وقيل معناه ثم ينكرونها اليوم ويوم نبعث من كل امة
شهيدا اى ينكرون كفرهم فنكذبهم الشهيد من كل امة شهيدا نبيا يشهد على امته بما فعلوا وقيل
يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب وقيل من كل جيل في كل زمان شهيدا
على اهل زمانه مما كانوا يعلمون ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار وقيل لا يسمع عذرهم وقيل
والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون يعني لا يكلفون
ان يرضوا ربهم لان الاخرة ليست مدار تكليف ولا يتركون ان يرجعوا الى الدنيا فيتوبوا وقيل ولا
يطلب منهم ان يرجعوا الى ما يرضى الله والعتبى الرضى قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى ثم
هذه قلت معناها انهم تمنوا بعد سهاده الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم سمعوا الكلام
فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا اداء حجة وانتصاب يوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم
نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ولدلالة اذا راوا العذاب بعثهم ونقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون
كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فجزاء الشرط محذوف وهو
قوله بعثهم وثقل عليهم والذين ظلموا وضع موضع الضمير فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
بحروف ويمهلون **قوله تعالى** واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومينا السلم
وضل عنهم ما كانوا يفترون اخبر الله تعالى في هذه الاية ان المشركين اذا راوا يوم القيمة
بابصارهم وكل معبود من دون الله لانها تحشر معهم توبخهم على رؤس اليهم وقالوا
هاؤلاء شركاؤنا الهتنا التي دعوناها شركا وقيل واذا راى المشركون بابصارهم الشياطين الذين
شركاؤنا في الكفر وقرناؤنا في الغي الذين كنا ندعوا نعبدهم من دونك فالقوا يعني الشركاء
اليهم الى المشركين انكم لكاذبون قيل اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا ما تعرف من عبدها
وقيل هذا في الملايكة الذين عبدوا فاجابوهم بالتكذيب لانهم غير راضين بعبادتهم وكانوا عباد تهم
ليس عبادة والدليل عليه قول الملايكة كانوا يعبدون الجن بعضهم ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا نحن فانهم المعبودون دونا وكذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك

وان اريد بالشركاء الشياطين حاز ان تكونوا كاذبين في قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت
بما اشركتمون من قبل والقوا اي الذين ظلموا الى الله السلم اي الذين استسلموا لامر الله وحكمه بعد الاباء
والاستكبار في الدنيا وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤوا منهم وقيل ضاع سعيهم وخاب املهم **قوله تعالى** الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون لما ذكر وعيد الذين كفروا في انفسهم اتبعه بوعيد
الذين كفروا في انفسهم وصدوا عن سبيل الله غيرهم اي حملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق
العذاب اي انهم زادوا على كفرهم صدهم عن الايمان فهم في الحقيقة زادوا كفرا على كفرهم فلاجرم زادهم
الله عذابا فوق العذاب وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تاسع احديهن
التسعة يحد صاحبها حسها اربعين خريفا وقيل عقارب لها اذناب امثال النخل الطوال وقيل حمة
انها ومن صقر مذاب كالنار وتسيل من تحت العرش يعذبون بها تالثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار
وقيل انهم يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار وقيل هم انهم يحاولون انقال
اتباعهم كما قال واثقالا مع اثقالهم وقيل هو انه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يفسدون الناس
في الدنيا بصدهم عن سبيل الله وما في قوله بما كانوا مصدرية **قوله تعالى** ويوم نبعث
من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجيئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين هذه الاية في ضمنها وعيد وتهديد مانع للمكلفين
عن المعاصي اي واذكر يا محمد يوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم وانما قال في كل امة
ومن انفسهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجيئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء الذين
بعثناك اليهم ونزلنا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله انه تعالى لما قال وجيئنا بك شهيدا عليهم ولا يمكن
انه ازاح عللهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة ونزلنا عليك الكتاب اي القرآن بيانا بليغا
اسم وليس بمصدر ونظير بيان تلقاء في كسرا وله لكل شيء من التوحيد والمبدا والمعاد والامر والنهي
والحلال والحرام والحدود والاحكام حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقال الله تعالى ومن يتبع غير سبيل المومنين وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطوا طرق القياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فهي ثم تبيانا لكل شيء
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد
والوعيد والترغيب والترهيب وذكر بعده ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اتبعه بقوله

ان الله

ان الله يامر بالعدل الاية فجمع في هذه الاية ما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق
والاداب عموما وخصوصا عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من محمد
صلى الله عليه وسلم ولم يقر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ شخص رسول الله
ببصره الى السماء فنظر ساعة ثم خفضه عن يمينه ثم عاد بمثل ذلك فسالته فقال بينا انا احدثك اذا
جبريل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل والاحسان الى قوله تذكرون قال عثمان وكان ذلك
حين استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن مسعود اجمع اية في كتاب
الله اية في سورة النحل وتلى هذه الاية وروى عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه
الاية قراتها على ابي طالب فعجب وقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق
عن عكرمة عن ابن صلى الله عليه وسلم انه قرا على الوليد ان الله يامر بالعدل والاحسان الى آخر الاية
فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وما هو بقول البشر ان الله يامر بالعدل عن ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله وعنه انه
الحق وعن سفيان ابن عيينة انه استواء السر والعلانية وقيل انه القضاء بالحق والعدل في كلام العرب
الانصاف واعظم الانصاف الاعتراف للمنعم بسعيه وقيل العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده
فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان قيل الندب وانما علق امر بما لا بد العرض لا بد من ان يقع
فيه تفريط فيجبر الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن عجله الفرايض فعال والله لا ازدت فيها ولا
نقصت اي لا صدق وعقد العلاج بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا
ولن تحصوا فاعلموا ان خير اعمالكم الصلاة لا يحافظ على الوضوء الا مومن وعن ابن عباس ادآء الفرايض وعنه انه العفو
وعنه الاخلاص وعنه ان تعبد الله كانك تراه وعن سفيان ابن عيينة ان تكون السريرة احسن من
العلانية وايتاء ذي القربى صلة الرحم ويعم جميع ذوي الحرمة الى القرابة وينهى عن الفحشاء عن الزنا قاله ابن
عباس وعن مقاتل انها المعاصي وقيل ما جاوز حدود الله والمنكر عن مقاتل انه الشرك وقيل ما لا يعرف
في شريعة ولا سنة وقيل ما وعد الله عليه النار ذكرهما ابن السايب عن سفيان ابن عيينة ان يكون
علانية الانسان احسن من سريرته وقيل ما تنكره العقول والبغي عن ابن عباس الكبر والظلم وقيل تجاوز الحق
الى الباطل وقيل طلب التطاول بالظلم وعن الحسن والله ما ترك العدل والاحسان شيئا من طاعة الله الا جمعاه
ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي شيئا من معصية الله الا جمعوه يعظكم يامركم بهذه الثلاثة وبنهاكم
عن هذه الثلاثة لعلكم تذكرون ما امرتم به وهو تلثه وما نهيتم عنه وهو تلثه فتتعظوا **قوله**
تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا

بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون انه تعالى لما جمع المامورات والمنهيات في الاية الاولى على سبيل الاجمال
ذكر هذه الاية بعض تلك الاقسام فبدأ بالامر بالوفا بالعهد وهذه الاية وان كان حكمها عاما
فقيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله فامرهم الله بالوفا بها عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة وقيل نزلت في حلف
الجاهلية وقيل اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم اتموا ما ضمنتم من احكام الدين وقيل النذور وقيل كل عهد في
طاعة الله وقيل هو الايمان ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها لا تخشوا في ايمانكم الموكدة بذكر الله اكد و
وكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل قيل التوكيد لغة اهل الحجاز واهل نجد يقولون اكدت
تاكيدا وقد جعلتم الله هذه واو الحال اي ولا تنقضوها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بالوفا وذلك ان من
حلف بالله فكانه قد جعل كفيلا بالوفا بسبب ذلك الحلف وقيل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي قلتم
عند الحلف الله راع على كفيل ان افعل كذا وقيل كفيلا شاهدا ورقيبا وقيما لان الكفيل مراع لحال المكفول
به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون وفيه ترغيب وترهيب والمراد فيجازيكم على ما تفعلون ان خيرا
فخير وان شرا فشر ثم اكد وجوب الوفا وتحريم النقض وقال ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي نقضت
غزلها من بعد قوة من بعد ابرامه واحكامه وقيل القوة ما يغزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل من بعد
شده انكاثا انقاضا جمع نكث وهو كل ما ينكث فتله اي ينقض بعد الفتل غزلا كان او حبلا عن الكلبي
ومقاتل هي امراة حمقا خرقا يقال لها ريطة بنت سعد بن تيم كانت اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة
مثل اصبع وفلكة عظيمة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتامر جوارها
بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرت جوارها بنقض جميع ما غزلن
فهذا كان دابها تتخذون حال ايمانكم مفعول اول لتتخذون دخلا مفعول ثان له مفسدة ودغلا وخيانة
ومكرا وغشا وغلا وغدرا والدخل كل امر لم يكن صحيحا وقيل الدخل الشي الداخل في الشي لم يكن منه تقول
دخل يدخل فهو دخل ومثله سقط يسقط فهو سقط اي ولا تنقضوا ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة
اي لان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا واعلا من امة اي من جماعة المومنين
انما يبلوكم الله اي انما يختبركم الله بكونكم اربى فالضمير في به لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
وقيل به بالوفا بالعهد وقيل بالامر وقيل بالعز والذل والغنى والفقر وقيل بالعهد اي انما يبلوكم الله لينظر
اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه ترغيب في ملة الاسلام وانذار وتحذير من مخالفة

ملة الاسلام

ملة الاسلام **قوله تعالى** ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء ولتسالن عما كنتم تعملون لما امر الله تعالى القوم بالوفا بالعهد ونهاهم عن نقضه
اتبعه ببيان انه تعالى قادر على ان يجعلكم امة واحدة على ملة واحدة ولكن بحكم الالهية يضل من يشاء
عدلا منه ويهدي من يشاء فضلا منه وهذا ظاهر في تخطية المعتزلة حيث اضاف الاضلال والهداية
والاضلال الى نفسه وعلتهما بمشيته ولتسالن عما كنتم تعملون ثم يجازيكم المطيع منكم بطاعته والعاصي
بمعصيته وفيه ترغيب في الاسلام والطاعة وترهيب ووعيد على الكفر والمعصية وقيل ولتسالن
سوال لم عملتم فيكون تبكيتا **قوله تعالى** ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد
ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم قيل كرر النهي عن اتخاذ
الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه وقيل ليس المراد منه النهي عن نقض مطلق
الايمان والا لزم التكرير الخالي عن الفايدة في موضع واحد بل المراد نهي اوليك المخاطبين بهذا الخطاب
عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون المراد من هذه الاية نهي الذين
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده لان هذا الوعيد وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها
لا يليق بنقض عهد قبل رسول الله وانما يليق بنقض عهد رسول الله على الايمان به وبشرايعه فتزل قدم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها فتصيروا ضلالا بعد ان كنتم مهتدين والعرب تقول لكل ساقط
في ورطة بعد سلامة زلت قدمه وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله
وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها
سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم دايم غير منقطع في الاخرة **قوله تعالى**
ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند
الله باق وليجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ثم اكد ذلك النهي بقوله
ولا تشتروا عن ابن عباس نزلت في رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فهم
المدعى عليه ان يحلف فاخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ولا تشتروا ولا تستبدلوا
بعهد الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا من الدنيا ولكن استمروا عليه انما عند الله من ثواب الاخرة
هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ان ما عند الله خير لكم مما عندكم من عرض يسير
في الدنيا ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله في الاخرة من الثواب باق فان خزاين رحمته
لا تنفد وقف ابن كثير باق بالياء في رواية عنه ولا خلاف في حذفها في الوصل وليجزين قرا ابن كثير وعاصم
بالنون والباقون بالياء الذين صبروا على الوفا واذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون في الدنيا بصبرهم على الما احسن الجزا وافضل الثواب **قوله تعالى** من عمل صالحا

من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون رغب المومنين في الاية الاولى في الصبر على الوفاء اذى المشركين ورغب في هذه الاية في كل ما كان من شرايع الاسلام فقال من عمل صالحا من ذكر او انثى من جنسي صالح على الاطلاق للصنفين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى عما لسن ليعم الموعد الصنفين حيوة طيبة في الدنيا بان يوسع عليه الرزق الحلال ويسره لصلاح الاعمال وتصفى حيوته من الهموم وقيل في الدنيا وهو الظاهر لقوله تعالى ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن الحسن الحياة الطيبة القناعة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه وقيل هي السعادة الابدية وعن مجاهد هي الجنة قيل لا يطيب الحياة لاحد الا في الجنة وقيل هي القبر

قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون لما قال في الاية الاولى وليجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ارشد الى العمل الذي به يحاص اعماله عن الوساوس وقيل لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران اي فاذا اردت قراة القران فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقوله اذا سالتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب وقوله اذا ناجيتم الرسول وكقولك اذا اكلت فسم الله عبر عن اراده القراة بلفظ القراة لان القراة توجد عند الاراده بغير فاصل وكانت القراه من القاري بسبب قري وملابسه ظاهرة وقيل اله على ظاهره فان الاستعاذه بعد القراة وقيل في الايه تقديم وتاخير والمعنى فاذا استعذت بالله فاقرا والاول اظهر واصح والاستعاذة عند قراة القران سنة مستحبة في الصلاه وغيرها هذا قول جماعة الفقها الا مالكا فانه لا يتعوذ الا في قيام رمضان وعن عطا انه يجب الاستعاذة عند قراة القران سواء كانت القراة في الصلوة او في غيرها واما محل الاستعاذة في الصلاة فقد قال الشافعي يقولها في اولى الركعة وقيل ان الشافعي قال اذا قاله حين يفتتح كل ركعة قبل القراة يحسن ولا امر به في شي من الصلاة كما امر به في اولى الركعة هذا قول عامة الفقها وقال بن سيرين يتعوذ في كل ركعة قبل القراة قيل والصحيح المذهب الاول لانه صلى الله عليه وسلم لا يتعوذ الا في الركعة الاولى واما صفة الاستعاذة في الصلاة فهي ان ينظر فان كانت صلاة لا يجهر فيها

بالقراة

بالقراة اسر فيها بالاستعاذة وان كانت صلاة يجهر فيها بالقراة فقد قال الشافعي روى عن الامر ان اباهريرة امر الناس فاصوته ربنا انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم وكان ابن عمر يتعوذ في نفسه قال الشافعي ان شا جهر بها وان شا اسرها والاختيار الاخفا ليفرق بين ما هو قران وما هو ليس بقران فاما لفظ الاستعاذة فالمستحب ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لبعض القران ولما روى عن عبد الله بن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم فقال لي يا بن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم على اللوح المحفوظ ومعنى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم سله ان يعيذك من وساوس ابليس ومكايده والشيطان هو ابليس والرجيم المطرود الملعون فان الشيطان ساع في القاء الوسوسه في قلب بني ادم حتى في حق الانبيآء بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والاستعاذة بالله مانعة للشيطان من القآء الوسوسة بدليل قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فلهذا السبب امر الله رسوله بالاستعاذه عند القراة حتى تبقى تلك القراة مصونة عن الوسوسه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويعلم منه ايضا ان الامة مامورون بالاستعاذة بطريق الاولى لان الرسول لما كان محتاجا الى الاستعاذة عند القراة فغيره اولى بها انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قيل ليس سلطان بحال لان الله صرف سلطانه عنهم بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقيل ليس له عليهم سلطان لايمانهم وتوكلهم على ربهم وقيل ليس له سلطان لاستعاذتهم منه وقيل ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر وقيل السلطان الحجة اي ليس هم له حجة على ما يدعوهم الله من المعاصي انما سلطانه على الذين يتولونه بطاعتهم ويجيبونه ويسمعون وساوسه والذين هم به اي بالله مشركون وقيل به بالشيطان اي بسبب الشيطان

قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين واذا بدلنا تبديل الاية مكان الاية هو النسخ اي واذا نسخنا حكم اية فاتينا بحكم اخر والله اعلم بما ينزل من ناسخ ومنسوخ وتشديد وتخفيف وقيل اعلم بما ينزل فيما يعود وسدل اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما بدل من احكامه قالوا انما انت يا محمد مفتر وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيما يتهم عما هو اهون عليهم وما هو الا مفتر يقوله من تلقاء نفسه قال الله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القراة وسبب الناسخ والمنسوخ من القران وقيل لا يعلمون ان الله انزل وقيل لا يعلمون فايدة النسخ قل يا محمد نزل القران روح القدس يعني جبريل من ربك صلة للقران اي روح القدس نزل القران من ربك في موضع

الحال اى نزله ملتبسًا بالحق الامر الصحيح وقيل له اظهار الحق وابطال الكفر ليثبت الذين من البينات
فيقوى ايمانهم ويزدادوا تصديقا ويقينا وقيل ليبلوهم بالفتح حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة
حكم له بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب
وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفات على محل ليثبت والتقدير تبيينا للذين امنوا وارشادًا وبشارة
للمسلمين وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم **قوله تعالى** ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون
بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم
الكاذبون قيل اراد بالبشر غلامًا لبني المغيرة يقال له يعيش يقرا التورية فقالوا منه يتعلم محمد وقيل
كان هذا الغلام لبني عامر ابن لؤي وكان روميًا وقيل انه كان فتى بمكة يسمى بلعام وكان نصرانيا اعجميًا
وكان رسول الله يعلمه فلما راى المشركون دخوله اليه وخروجه قالوا ذلك وقيل انه نزل في كاتب يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيملي عليه سميع عليم فيكتب هو عزيز حكيم ونحو هذا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اى ذلك كتبت فهو كذلك فافتتن وقال ان محمدًا يكل ذلك الي فاكتب ما شئت وقيل انه غلام
اعجمي لامراة من قريش يقال له جابر وكان جابر ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتعلم منه فقال المشركون
انما يتعلم محمد من هذا وقيل انهم عنوا سلمان الفارسي وفيه بعد من جهة ان سلمان اسلم بالمدينة وهذه
مكية وقيل انهم عنوا رجلا حدادًا يقال له يحنس النصراني وقيل انهم عنوا غلامًا لعامر ابن الحضرمي وكان
اعجميًا واسمه يسار ويكنى ابا فكيهة وقيل انهم عنوا غلاما اعجميًا اسمه عابس وكان مملوكًا نحو نطف وكان
قد اسلم فحسن اسلامه وقيل انهما رجلان قال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من اهل عين التمر
يقال لاحدهما يسار ويكنى ابا فكيهة وللاخر جبر فكانا يصفان السيوف بمكة ويقران فربما مر بهما النبي
صلى الله عليه وسلم وهما يقران فيقف يستمعه فقال المشركون انما يتعلم منهما فقيل لاحدهما فقال بل هو
يعلمني قال الله تعالى تكذيبًا لهم والزامًا للحجة عليهم لسان اى اللغة الذي يلحدون يميلون اليه
ويسرون اليه ويزعمون انه يعلمه والالحاد الميل فقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره
عن الاستقامة فحفر في شي منه ثم استعير لكل اماله عن استقامة ~~فحفر في شي منه ثم استعير لكل امالة~~
~~عن استقامة~~ فقالوا الحد فلان في قومه والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان
كلها لم يمكه من دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي
غير هن وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة قيل تركيب ع ج م وضع في كلام العرب
للابهام والاخفا وضد البيان والايضاح ومنه قولهم رجل اعجم وامراة عجما اذا كانا لا يفصحان وعجم
الزبيب سمي لاستتاره واختفايه والعجما البهيمة لانها لا توضح ما في نفسها وسموا صلاتي الظهر

والعصر

والعصر العجماوين لان القراة حاصلة فيهما بالسر فاما قولهم اعجمت الكتاب فمعناه ازلت عجمته
فهذا مما لا صلة في هذه الكلمة ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لغته ولا يتكلم بلسانهم اعجمي وولد
بلسانه قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم وابطال
لطفهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم ثم ان الله تعالى بعد ما اخبر
عن افترا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نسبوه اليه من الافترا على الله بين انهم
هم المفترون دونه فقال انما يفتري الكذب ردًا لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افترا الكذب بمن
لا يؤمن لانه لا يخاف عقابًا عليه واولئك اشارة يؤمنون اى الذين لا يؤمنون هم الكاذبون
على الحقيقة الكاملون في الكذب واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا ينالون به في كل شي لا يحجبهم
عنه مروة ولا دينا واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر لا محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون من كفر بدل الذين
لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري
الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه ويستثني منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الاقرار ثم قال ولكن من
شرح بالكفر صدرًا اى طاب به نفسًا واعتقده فعليهم غضب من الله وقيل يجوز ان يكون بدلا من
المبتدا الذي هو اولئك اى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون وقيل يجوز ان يكون بدلا
الخبر الذي هم الكاذبون اي واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وقيل يجوز ان ينتصب من كفر
على الذم وقيل يجوز ان يكون من كفر بالله شرطًا مبتدا وجوابه محذوفا لان جواب من شرح دال عليه كانه
قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب عن ابن عباس
نزلت هذه الاية في عمار وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسر وامه سمية وصهيبًا وبلالا وخبابًا
وسالما فعذبوهم فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ورجي في قلبها بحربة وقالوا لها انك اسلمت من اجل
الرجل فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه
مكرها عن قتادة اخذ بنو المغيرة عمارًا وغطوه في بير ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه
كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارًا كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارًا ملي ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بمثل ما قلت ومنهم

جبير مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا ولكن من شرح
بالكفر صدرا اي فتح صدره للكفر بالقبول واتى به على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم وفي هذه الاية دليل على ان حقيقة الايمان والكفر متعلق بالقلب دون اللسان وان اللسان
هو المعبر والترجمان اجمعوا على انه عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه ان يبرا قلبه عن الرضا وان يقتصر على
التعريضات مثل ان محمدا كذاب ويعني عند الكفار او يعني به محمدا الحر ويذكره على نية الاستفهام على سبيل
الانكار والاكراه عنده يجوز التلفظ بكلمة الكفر هو ان يعذبه بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف
بالقتل ومثل الضرب الشديد والاتلافات القوية واذا اعجله من اكرهه عن احضار هذه النية
او لانه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكر الامر
على المكره وشرح له اقسام التعريضات وطلب منه ان يصرح بانه ما اراد شيئا منها وما اراد الا ذلك
المعين فهنا يتعين اما الزام الكذب واما تعرض النفس للقتل فمن الناس من قال يباح له الكذب هاهنا
ومنهم من قال ليس له ذلك واجمعوا على انه لا يجب عليه التكلم بكلمة الكفر يدل على ذلك ان بلالا صبر
على ذلك العذاب وكان يقول احد احد ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما صنعت بل عظموه
عليه وما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما تقول في قال انت ايضا وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تقول في فقال انا اصم واعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني صدع بالحق فهنيئا له وان بذل النفس في تقرير
الحق ابين فوجب ان يكون اكثر ثوابا وان الذي امسك عن كلمة الكفر طهر قلبه ولسانه عن الكفر اما الذي
تلفظ بها فان قلبه طاهر ولسانه متلطخ بتلك الكلمة الخبيثة فحال الاول افضل والاكراه على مراتب
منها ان يجب الفعل المكره عليه مثل ما اذا اكرهه على شرب الخمر واكل الخنزير والميتة فاذا اكرهه عليه
بالسيف يجب الاكل لان صون الروح عن الفوات واجب ولا سبيل اليه في هذه الصورة الا بهذا
الاكل وليس في هذا الاكل جزر على انسان ولا اهانة لحق الله فيجب لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة ومنها ان يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا مثل ما اذا اكرهه على التلفظ بكلمة
الكفر فهذا يباح له ولكنه لا يجب ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكرهه على قتل انسان
اخر او على قطع عضو من اعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وهل يسقط القصاص
من المكره للشافعي فيه قولان اصحهما لا يسقط ومن الافعال ما يمكن الاكراه عليه كالقتل والتكلم
بكلمة الكفر ومنها ما لا يمكن الاكراه عليه قيل الزنا من هذا القبيل لان الاكراه يوجب الخوف الشديد
وذلك يمنع من انتشار الالة بحيث يدخل الزنا في الوجود فاذا دخل في الوجود علم انه وقع بالاختيار

لا على

لا على سبيل الاكراه على النذور والايمان والرجعة **قوله تعالى** ذلك بانهم استحبوا
الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب
والعذاب بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة آثروها عليها وبان الله لا يهدي القوم الكافرين
وقيل ذلك الارتداد والاقدام على الكفر بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وبسبب ان الله
لا يهدي القوم الكافرين ثم اكد بيان انه تعالى صرفهم فقيل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم واولئك هم الغافلون عما يراد بهم في الاخرة ثم قال لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون المقتضي
لهذا الخسران ستة امور الاول غضب الله الثاني استحقاق العذاب الاليم الثالث انهم استحبوا الحياة
الدنيا على الاخرة الرابع ان الله لا يهدي القوم الكافرين الخامس انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
السادس انه تعالى جعلهم من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيمة هم الخاسرون
لا غيرهم **قوله تعالى** ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون لما ذكر
في الاية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من اكره وذكر كلمة الكفر وقلبه مطمئن
وحال من لم يذكر ذكر حال من هاجر من بعد ما فتن قيل انها نزلت فيمن كان فتن بمكة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل ان قوما من المسلمين خرجوا للهجرة فلحقهم المشركون فاعطوا التقية فنزلت فيهم
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب المسلمون اليهم بذلك
فخرجوا وادركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل فنزلت فيهم هذه الاية وقيل نزلت في
عبد الله ابن ابي سرح كان الشيطان قد ازله حتى لحق بالكفار فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتل
يوم الفتح فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه بعد لان هذا المشار اليه وان كان
قد عاد الى الاسلام فان الهجرة قد انقطعت بالفتح وقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل
ابن عمرو وعبد الله بن اسيد الثقفي ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك ومعنى ان ربك لهم
انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك برجل لا عليه فيكون محبا لمنفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا قرا ابن عامر بفتح الفاء والتاء على معنى من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله
يشير الى من اسلم من المشركين وقيل من بعد ما فتنوا انفسهم باظهار ما اظهروا للتقية لان الرخصة
لم تكن نزلت بعد والباقون بضم الفاء وكسر التاء على معنى من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم عن ابن
عباس فتنوا بمعنى عذبوا ثم جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبروا على الدين والجهاد ان ربك
من بعد الفتنة التي اصابتهم وقيل من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم
ما تلفظوا به من الكفر تقية رحيم يرحمهم **قوله تعالى** يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها

وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم منصوب برحيم او باذكر اى رحيم يوم تاتى اى يرحم الله
فى ذلك اليوم الذى يعظم احتياج الانسان فيه الى الغفران والرحمة واذكر يوم كذا وكذا فان قيل ما معنى
النفس المضافة الى النفس اجيب بانه يقال لعين الشىء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره ويقال النفس
للجملة كما هى والنفس الاولى والثانية هى الجملة والثانية عينها وذاتها وكانه قيل يوم ياتى كل انسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شان غيره يقول نفسى نفسى تجادل عن نفسها تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير
وشر مشتغلا بها لا تتفرغ الى غيرها وقيل معنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هاؤلاء اضلونا ما كنا
مشركين ونحو ذلك وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون لا ينقصون مما هو حقه
شيئا **قوله تعالى** وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا
من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون انه تعالى هدد
الكفار بالوعيد الشديد فى الاخرة ثم هددهم بعذاب الدنيا من الجوع والخوف المثل يضرب بشىء موصوف
بصفة معينة سواء كان ذلك الشىء موجودا او مفروضا فقيل هذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل
شيئا مفروضا وقيل هذه القرية موجودة فعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور انها مكة وعن الحسن
انها غير مكة قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فكفروا فعذبهم الله اولا بالجوع
والخوف ثم استاصلهم فضرب تلك البلدة مثلا لاهل مكة فاما ما يروى عن حفصة انها قالت هى
المدينة فذلك على سبيل التمثيل لا على وجه التفسير وبيانه ما روى سليم قال صدرنا من الحج مع حفصة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فرايت راكبين فسالتهما عنه فقالا قتل فقالت
والذى نفسى بيده انها للقرية يعنى المدينة التى قال الله فى كتابه وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة
تعنى حفصة انها كانت على قانون الاستقامة فى ايام النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله
عنهما فكفرت بانعم الله عند قتل عثمان رضى الله عنه قال الامام الاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب
انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة غير مكة ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات منها كونها
آمنة اى ذات امن يامن فيها اهلها ان يغار عليهم ومن الحرب والقتل والسبى مطمئنة قارة باهلها لا يحتاجون
الى الانتقال للانتجاع كما يحتاج اليه ساير العرب ولا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف ياتيها رزقها اقواتها وموادها رغدا او واسعا كثيرا بلا عناء من كل مكان يحمل اليها من
نواحيها وفجاجها ومن البر والبحر نظيره يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا فكفرت بانعم الله جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس وطعم واطعم وقيل جمع نعماء كباساء وابوس
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وكذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين
افرطوا فى اذاه فقال اللهم اشدد وطاتك عليهم واجعل لهم سنين كسنى يوسف فقطع الله عنهم التجارات

والامطار

والامطار وقحطوا سبع سنين متوالية حتى اكلوا العهن والجيف ثم ان روسا مكة كلموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما للنساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كانت
تطيف بهم نقل ان ابن الراوندى قال لابن الاعرابى الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابى لا باس ولا تاس
يا ايها النساس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا وكان مقصود ابن الراوندى الطعن فى هذه الاية
وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس وكان الواجب ان يقال وكساهم الله لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم
الجوع قال الامام جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق
هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثانى ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار
كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة
تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثانى ان التقدير
عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار
فيوضع موضع التعرف والاختبار يقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف
البال فلما تقول تعرفت اثر الخوف والجوع على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان
الوجه الثالث ان يحمل لفظ اللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف قال
صاحب الكشاف فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة
موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها فى البلايا والشدايد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب
شبه ما يدرك من اثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله
على اللابس ما غشى الانسان والتبس به مع بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف
فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو
هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاسكار لا يقع الا لمن فقدها احدهما ان ينظروا فيه الى
المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الردا اذا تبسم ضاحكا علقت بضحكته رقاب المال
استعار الردا للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردا لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو
وصف المعروف والنوال لا صفة الردا نظروا الى المستعار له والثانى ان ينظروا فيه الى المستعار
كقوله ينازعنى ردائى عند عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه
بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل لكساهم لباس الجوع والخوف ولقال

كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا بما كانوا يصنعون بتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخراجهم
اياه وما هموا به من قتله **قوله تعالى** ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون لما ذكر المثل
ذكر الممثل ولقد جاءهم اي ولقد جاء محمد اهل مكة فيهم اي من نسبهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه
فاخذهم العذاب عن ابن عباس الجوع وعن مجاهد القتل يوم بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالكفر
فكلوا قيل المخاطبون هم المسلمون اي فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم حلالا طيبا واشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون وقيل ان المخاطبين اهل مكة كلما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتت به
من وضيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
التي كانوا عليها **قوله** انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم والآيتان مفسرتان في سورة البقرة **قوله تعالى**
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم لما حصر المحرمات في تلك الاربعة
بالغ في تاكيد ذلك الحصر ونهاهم عن تحليلهم وتحريمهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله
على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم
بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير اسناد
ذلك الوصف الى وحي من الله والى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله
هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق قوله هذا حلال وهذا
حرام بتصف على ارادة القول اي ولا تقول الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا
حرام وقيل انتصاب الكذب بتصف وما في لما مصدرية وهذا حلال وهذا حرام متعلق
بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحللوا ولا تحرموا
لاجل قول تنطق به السنتكم وتجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول سارح ودعوى فارغة
ووصف السنتهم الكذب من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا
نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب تحليته وصورته كصورته كقولهم وجهها يصف
الجمال وعينها تصف السحر لتفتروا على الله الكذب قيل هي لام العاقبة وقيل هي لام كي
ويقولوا الله امرنا بها ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي هو متاع قليل لا بقاء له لان عمر الدنيا قصير وقيل منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
منفعة قليلة ولهم عذاب اليم في الاخرة **قوله تعالى** وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا

عليك

عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ما قصصنا عليك من قبل يعني به ما ذكر في الانعام
وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وما ظلمناهم بتحريمنا ما حرمنا عليهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالبغي والكفر والمعاصي **قوله تعالى** ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم المقصود بيان ان الافتراء على الله ومخالفة
امر الله لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولفظ السوء يتناول كل ما لا ينبغي وهو الكفر والمعاصي
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة
الشهوة عليهم ثم تابوا من بعد ذلك السوء واصلحوا امنوا واطاعوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء الذي صدر منهم رحيم **قوله تعالى** ان ابرهيم كان امة قانتا لله
حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة
وانه في الاخرة لمن الصالحين لما بين في هذه السورة بطلان الشرك واثبت الوحدانية والنبوة
وكان ابرهيم عليه السلام امام الموحدين ودعا الناس الى التوحيد وابطال الشرك وكان المشركون مفتخرين
به معترفين بحسن طريقته ذكره الله في اخر هذه السورة وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك
حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك ان ابرهيم كان امة قيل انه كان وحده
امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل امة بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير وقيل
الامة الامام يؤتم به في لغة قريش كالرحلة والنجبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعله بمعنى مفعول فكون
مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وقيل سمي امة لانه انفرد في دهره بالتوحيد كما قال صلى الله عليه وسلم
في قس ابن ساعدة يحشر يوم القيمة امة قانتا لله هو المطيع الدائم على الطاعة القائم بما امر الله حنيفا
مائلا عن الاديان الباطلة الى ملة الاسلام غير الزائل عنه وقيل مستقيما وقيل حاجا وقيل مختتنا ولم يكن
من المشركين نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه
روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة
في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى انه
عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واختاره لنبوته وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام واتيناه
في الدنيا حسنة لسان الصدق والثناء الجميل عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم
يتولونه وقيل الاموال وقول قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين من اهل
الجنة وقيل من المنعم عليهم اي من الصالحين احوالهم ومراتبهم وقيل انه في الاخرة ممن يحكم له بحكم الصالحين
في الدنيا **قوله تعالى** ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

قيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع ابرهيم عليه السلام في جميع ملته الا ما امر بتركه وقيل
اتباعه في التبري من الاديان والتدين بالاسلام وقيل المراد بالاتباع متابعته كيفية الدعوة
الى التوحيد وهي ان يدعوا اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخرى بانواع
كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة في القران وليس المراد ان يقلده في الاصول ولا في الفروع فان شرع نبينا
مبني على الوحي المنزل اليه وقيل ثم ها هنا للتراخي في الزمان اي بعد ابرهيم في الزمن الطويل امرناك
باتباع طريقته في عبادة ربه ليعلم اهل الاديان ان الذي يدعوا محمد اليه الناس دين ابرهيم قال صاحب
الكشاف في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان
اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين ساير النعوت التي اثنى الله عليها بها

قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون قال الامام لما امر الله محمدا بمتابعة ابرهيم عليهما السلام وكان محمدا صلى الله
عليه وسلم اختار يوم الجمعة فهذه المتابعة انما تحصل اذا قلنا ان ابرهيم عليه السلام كان قد اختار
في شرعه يوم الجمعة وعند هذا السايل ان يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فاجاب الله عنه بقوله
انما جعل السبت على الذين اختلفوا اي اليهود وانما عداه بعلى لان اليوم صار عليهم لا لهم بارتكابهم المعاصي
فيه والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها وقيل معنى جعل السبت فرض تعظيمه وتحريمه وقيل
انما جعل وبال السبت وهو ما يمسخ اختلفوا فيه اي في السبت وقيل اختلافهم ان موسى قال لهم تفرغوا لله
في كل اسبوع يوما للعبادة فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم فابوا ان يقبلوا ذلك
وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت الا شرذمة
منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة
فاذن الله لهم في السبت فجعل ذلك عليهم وشدد عليهم وابتلاهم فيه بتحريم الصيد فيه فاطاع امر
الله الرضوان بالجمعة وكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى دون
اوليك وهو يحكم بينهم يوم القيمة ويجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه وقيل اختلافهم فيه انهم
احلوا الصيد تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما ختم الله
عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا
وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالفين ربقة طاعة ومعنى الحكم بينهم على هذا
التقدير انه يجازيهم جزاء اختلافهم فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى **قوله تعالى**
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله

عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين لما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ابرهيم عليه السلام
بين الشي الذي امره بمتابعته فيه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وان تجادلهم بالتي هي
احسن والمفسرون ذكروا وجوها على سبيل الاجمال ولا شك ان المراد بالسبيل الاسلام اي ادع
يا محمد امتك الذين بعثت اليهم الى الاسلام بالحكمة قيل بالنبوة والموعظة الحسنة الادب الجميل الذي
يعرفونه وقيل الحكمة الفقه والموعظة الحسنة موعظة القران والعبر المعدودة في هذه السورة وقيل
الحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم
بالقران وقيل بلا اله الا الله وقيل جادلهم غير فظ ولا غليظ والن لهم جانبك قيل جادلهم على قدر ما يجعلون
وقيل اعرض عن اذاهم اياك ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعا الى الحق قيل نسختها اية القتال قيل هذه
الاية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنته للمشركين امره الله تعالى ان يدعوا الى دين الله وشرعه بتلطف
وهو ان يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع في النفس اجمل موقع والموعظة
الحسنة التخويف والترجية والتلطف بالانسان بان يحله ويبسطه ويجعله بصورة من يقبل
الفضايل ونحو هذا بهذه حالة من يدعي وحالة من يجادل ان جادل دون محاسنه وبين عليه دون
قتال وقيل بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة
وهي التي لا تخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالقران
الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فضاحة ولا تعنيف واعلم ان الدعوة الى الدين والاعتقاد يجب ان تكون
بحجة والحجة اما لتقرير الدين وتثبيت الاعتقاد في قلوب المبعوث اليهم واما لالزام الجاحدين
وافحامهم والاولى اما يقينية مطهرة عن احتمال النقيض وهذه اعلى المراتب واما غير يقينية معارفة
لاحتمال النقيض مفيدة للظن والاقناع وهي المسماة بالموعظة الحسنة والثانية هي المسماة بالجدل
فاقسام الحجج هي هذه الثلثة الحكمة والموعظة الحسنة والجدل والجدل ان كان مركبا من مقدمات
مسلمة مقبولة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة مقبولة عند المجادلة فهو الواقع على الوجه
الاحسن وان كان مركبا من مقدمات كاذبة غير مسلمة يجادل ترويجا على المستمعين بالسفاهة
فالشغب والحيل الباطلة والطرق الفاسدة فهذا غير لايق باولي الالباب بل اللايق بهم الاول وهو
المراد بقوله بالتي هي احسن والمرسل اليهم اما ان يكونوا طالبين للحق غير معاندين واما ان يكونوا
جاحدين معاندين والقسم الاول اما ان يكونوا مستعدين لقبول الحكمة بالذهن الصايب والفكر الثاقب
او غير مستعدين لقبول الحكمة فالدعوة الى سبيل ربك للطالبين للحق للاول بالحكمة وللثاني بالموعظة
الحسنة والجدل بالطريقة التي هي احسن فالدعوة بالقران والمجادلة به ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين المعنى انك يا محمد مامور بالدعوة الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
وبالمجادلة بالتى هى احسن وليس عليك هداهم فان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
بضل من يشاء ويهدى من يشاء **قوله تعالى** وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الجمهور من اهل التفسير ان هذه الاية مدنية روى
ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم احد من تفقير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة
لم يبق احد من قتلى المسلمين الا وقد مثل به غير حنظلة بن الراهب فان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابى
سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حيث رأوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم
ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد قط ولنفعلن ولنفعلن ووقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره ونقروا بطنه واخذت
هند بنت عتبة قطعة من كبده ثم استرطتها ليأكلها فلم يلبث فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم فقال اما لو اكلته لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيأ من جسده
النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شئ لم ينظر لشئ قط كان اوجع لقلبه
منه فقال صلى الله عليه وسلم رحمه الله عليك فانك ما علمتك ما كنت الا فاعلا للخير وصولا للرحم ولولا
حزن من بعدك عليك سرنى ان ادعك حتى يحشر من اجواف شتى اما والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن
بسبعين منهم مكانك فانزل الله ولئن عاقبتم الاية فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل نصبر ونمسك
عما اراد وكفر عن يمينه عن ابن عباس كان هذا قبل نزول براءة حيث امر النبى صلى الله عليه وسلم
ان نقاتل من قاتله ولا نبدأ بالقتال فلما اعز الله الاسلام واهله ونزلت براءة وامروا بالجهاد نسخت
هذه الاية وقيل هذه الاية محكمة وانما نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر
مما ناله الظالم منه اما بالخير او العفو ونهى عن الاعتداء وان عاقبتم فعاقبوا سمى الفعل الاول باسم الثانى
للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوا بمثله ولا تزيدوا عليه ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين قيل معناه ولئن صبرتم لصبركم خير للصابرين اى لكم فوضع الصابرون موضع الضمير
ثناء من الله تعالى عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصف المخاطبين بالصفة التى تحصل لهم
اذا صبروا عن المعاقبة وقيل الضمير راجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم وراد بالصابرين جنسهم
كانه قيل وللصبر خير للصابرين ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر انت وما صبرك
الا بالله اى بتوفيقه ومعونته وهذا امر بالعزم ولا تحزن عليهم اى على كفار مكة فى اعراضهم عنك
وفى انه لا يسلم او قيل ولا تحزن على قتلى احد فانهم افضوا الى رحمة الله ولا تك فى ضيق قرأ ابن كثير

ضيق

ضيق بكسر الضاد ههنا وفى النمل عن الفراء الضيق ما يكون فى الذى يضيق ويتسع مثل الدار واشباهه
ذلك والباقون بفتح الضاد عن الفراء ما ضاق عنه صدرك وقيل ضيق وضيق بمعنى واحد مما
يمكرون من مكرهم وهو فعلهم ان الله مع الذين اتقوا ما نهاهم عنه والذين هم محسنون
فيما امروا به بالرحمة والفضل والمعونة

سورة بنى اسرائيل مكية

وهى ستة الاف واربعمائة وستون حرفا والف وخمس مائة وثلث وثلثون كلمة ومائة واحدى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبحان الذى اسرى بعبده
ليلا الآية اسرى الى المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال
تنزيه لله عن كل سوء قيل سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره
تقديره اسبح لله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على المصدر البليغ من جميع
القبائح التى يضيفها اليه اعداؤه الله قيل ان العرب تسبح عند الامر المعجب وكان الله عجب العباد
مما اسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم من النعمة وقيل سبحان ها هنا لا تكون خرج مخرج
الرد عليهم لانه لما حدث بالاسراء كذبوه فيكون المعنى تنزه الله ان يتخذ رسولا كذابا اسرى
وسرى لغتان وقد جاءا فى القرآن قال الله تعالى والليل اذا يسر بعبده محمد صلى الله عليه وسلم
ليلا نصب على الظرف واراد بقوله ليلا لفظ التنكير تقليل مدة الاسراء انه اسرى به فى بعض
الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد
لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعنى الامر بالقيام
فى بعض الليل من المسجد الحرام عن الحسن وقتادة من المسجد ونحوه فى الصحيحين بينا انا فى الحطيم وربما
قال بعض الرواة فى الحجر وقيل من بيت ام هانى وهو قول اكثر المفسرين فعلى هذا يعنى بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه وعن ابن عباس الحرم كله مسجد الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله بالمياه والاشجار وقيل لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة وموضع
العبادات وقيل معناه جعلنا فيه السعة فى الرزق والرخص فى السعر فلا يحتاج الى جلب الميرة لنريه
من اياتنا يعنى ما رأى تلك الليلة من العجايب التى اخبر بها الناس وقيل من اياتنا الدلالة على توحيد
الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها والعجايب والايات ومشاهدته فى بيت المقدس
ومقامات الانبياء ومواضع العبادات روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيت المقدس وصلى
فيه بالانبياء ثم عرج به الى السماء وقال حذيفة بن اليمان لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولا ينزل

عن البراق حتى عرج به والاسرا الى المسجد الاقصى والمعراج من هناك وقيل ان الحكمة في ذكر
ذلك انه لو اخبر بصعوده الى السماء في بدو الحديث لاشتد انكارهم عليه فلما اخبر ببيت
المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبرهم به من العلامات الصادقة اخبر بمعراجه انه هو السميع
لاقوال قريش البصير بافعالهم وقيل السميع لاقوال محمد البصير بافعاله بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسري
بي وانا بمكة بين النايم واليقظان جاءني جبريل ومعه ميكائيل عليه السلام فقال جبريل
لميكائيل ايتني بطست من ماء زمزم لكي ما اطهر قلبه واشرح له صدره قال فشق بطني
وغسله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدري ونزع
ما كان فيه من غل وملاه حلما وعلما وايمانا وختم بين كتفي بخاتم النبوة ثم اخذ جبريل بيدي حتى
انتهى بي الى سقاية زمزم فقال لملك ايتني بتور من ماء زمزم ومن ماء الكوثر فقال توضا
فتوضات ثم قال لي انطلق يا محمد قلت الى اين فقال الى ربك ورب كل شيء فاخذ بيدي واخرجني
من المسجد فاذا انا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل خده كخد الانسان وذنبه كذنب
البعير وعرفه كعرف الفرس وقوايمه كقوايم الابل واظلافه كاظلاف البقر صدره كانه ياقوتة
حمرا وظهره كانه درة بيضا عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان في فخذيه يمر مثل البرق
خطوته منتهى طرفه فقال لي اركب هذا الذي كان ابرهيم عليه السلام يزور عليه البيت الحرام
فلما وضعت يدي عليه تشامس واستصعب علي فقال جبريل مه يا براق فقال البراق يا جبريل
مس الصفرا فقال جبريل يا محمد هل مسست صفرا قال لا والله الا اني مررت يوما على يسار
ونايلة فمسحت يدي على روسهما وقلت ان قوما يعبدونكما من دون الله ضلال فقال جبرايل
يا براق اما تستحي فوالله ما ركبك منذ كنت قط نبي اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم قال
فارتعش البراق وانصب عرقا حياء مني ثم خفض حتى لصق بالارض فركبته واستويت عليه
فامرني جبريل نحو بيت المقدس المسجد الاقصى يخطو البراق مد البصر وجبريل الى جانبي لا يفوتني
ولا افوته فبينما انا في مسيري اذ سمعت نداء عن يميني فقال لي يا محمد على رسلك اسالك يقولها
ثلثا فلم الو عليه فجاوزته ثم اتاني نداء عن يساري فقال لي يا محمد على رسلك يقولها ثلثا
فلم الو عليه حتى جاوزته فاذا انا بامراة عجوز وقعت لي عليها من كل زينة وبهجة تقول لي
يا محمد الي فلم التفت اليها فلما جاوزتها قلت يا جبريل من هذا الذي ناداني عن يميني فقال داعية
اليهود والذي نفسي بيده لو اجبته لتهودت امتك من بعدك والذي ناداك عن يسارك داعية
النصارى والذي نفسي بيده لو اجبته لتنصرت امتك من بعدك واما الذي رفعت لك بهجتها

وزينتها

وزينتها فهي الدنيا فلو اليت عليها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة ثم اتيت باناين احدهما لبن والاخر
خمر فقيل لي اشرب ايهما شيت فاخذت اللبن فشربت فقال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة اما انك
لو اخذت الخمر لغوت امتك بعدك ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار معه جبريل عليه السلام
فاتى على قوم يزرعون ويحصدون في يوم واحد كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا جبريل من هاولاء قال المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ثم اتى على قوم ترضخ روسهم بالصخر كلما رضخت
عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيا فقال من هاولا يا جبريل قال هاولا الذين تثاقل روسهم
عن الصلوة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادباهم يسرحون كما تسرح الانعام
الى الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها فقلت من هاولا يا جبريل قال هاولا الذين لا يودون
صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم في قدر نضيج
طيب ولحم اخر خبيث فجعلوا ياكلون الخبيث ويدعون النضيج الطيب قلت ما هو يا جبريل قال
هذا الرجل من امتك تكون عنده امراة حلالا فياتي امراة خبيثة فيبيت معها حتى يصبح والمراة تقوم
من زوجها حلالا طيبا فياتي الرجل الخبيث فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة في الطريق لا يمر
بها ثوب الا شققته ولا شي الا خرقته قلت ما هذا قال مثل قوم من امتك يقعدون على الطريق ثم تلى
ولا تقعدون بكل صراط توعدون الاية ثم اتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها
وهو يزيد عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقارض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت
فقلت ما هاولا يا جبريل قال هاولا خطبا الفتنة ثم اتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور
يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك يتكلم بالكلمة
العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا باردة طيبة وصوتا قلت
ما هذا الريح الطيبة وما هذا الصوت قال هذه الريح ريح الجنة وهذا الصوت صوت الجنة تقول رب
ايتني بما وعدتني فقد كثر غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولولوي ومرجاني وفضتي
وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي وفواكهي وعسلي ولبني وخمري وماي فايتني بما وعدتني فقال لك كل مومن
ومومنة من امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيا ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو امن
ومن سالني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد
افلح المومنون تبارك الله احسن الخالقين قالت قد رضيت قال ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا
وريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ايتني بما وعدتني فقد كثر
سلاسلي واغلالي وسعيري وضريعي وحميمي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فايتني

بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت
رضيت ثم سار ومعه جبريل فقال له جبريل انزل فصل قال فنزلت وصليت فقال اتدري اين صليت صليت
بطيبة واليها المهاجر ان شاء الله ثم قال انزل فصل قال فنزلت فصليت فقال اتدري اين صليت
صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت فقال اتدري اين صليت صليت
ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم قال ثم مضينا حتى اتينا بيت المقدس فلما انتهيت اليه اذا انا بملايكة
قد نزلوا من السما يبلغوني بالبشارة والكرامة من رب العزة يقولون لي السلام عليك يا اول يا اخر يا حاشر
قال قلت يا جبريل ما تحيتهم اياي قال انك اول من تنشق عنه الارض وعن امتك واول شافع واول مشفع
وانك اخر الانبيا وان الحشر لك وبامتك يعني حشر القيمة ثم جاورناهم حتى انتهينا الى باب المسجد فانزلني
جبريل وربط البراق بالحلقة التي كانت تربط فيها الانبيا بخطام عليه من حرير الجنة فلما دخلت اذا انا بالانبيا
والمرسلين وفي رواية ارواح الانبياء الذين بعثهم الله قبلي من لدن ادريس ونوح الى عيسى عليهم السلام
قد جمعهم الله فسلموا علي وحيوني بمثل تحية الملايكة قلت يا جبريل من هاولاء قال اخوتك الانبيا زعمت
قريش ان لله شريكا واليهود والنصارى ان لله ولدا سل هاولا النبيين هل كان لله شريك فذلك
قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فاقروا بالربوبية لله ثم جمعهم والملايكة صفوفا
فقدمني وامرني ان اصلي بهم فصليت بهم ركعتين ثم ان الانبيا عليهم السلام اثنوا على ربهم سبحانه
فقال ابرهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا لله يوتم بي وانقذني من
النار وجعلها بردا وسلاما علي ثم ان موسى اثنى على ربه فقال الحمد لله رب العالمين الذي كلمني تكليما وجعل
هلاك فرعون على يدي ونجى بني اسرايل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود
عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي
الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمن اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي
الرياح وسخر جنود الشياطين يعملون لي ما شيت من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات
وعلمني منطق الطير واتاني من كل شي فضلا واتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي عظيما
طيبا ليس علي فيه حساب ثم ان عيسى اثنى على ربه فقال الحمد لله رب العالمين الذي جعلني كلمة منه وجعل
مثلي كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال كن فكنت وعلمني الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وجعلني اخلق
من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى
باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيلا ثم
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال كلكم قد اثنى على ربه وانا مثني على ربي فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل

امتي امة

امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون والاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني خاتما وفاتحا فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم اتى بانية ثلثة مغطاة افواهها اناء فيه ماء فقيل لي
اشرب فشربت منه يسيرا ثم دفع لي انا اخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روي ثم اليه اناء فيه
خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده فقد رويت فقال له جبريل قد اصبت اما انه سيحرم على امتك ولو شربت
منها لم يتبعك من امتك الا القليل ولو رويت من الماء لغرقت وغرقت امتك ثم اخذ جبريل بيدي فانطلق بي
الى الصخرة فصعد بي عليها فاذا معراج الى السماء لم ار مثله حسنا وجمالا لم ينظر الناظرون الى شي قط احسن
منه ومنه تعرج الملايكة اصله على صخرة بيت المقدس وراسه ملصق بالسماء احدى عارضيه ياقوتة حمرا
وللاخرى زبرجدة خضرا درجة من فضة ودرجة من ذهب ودرجة من زمرد مكلل بالدر والياقوت
وهو المعراج الذي يبدو منه ملك الموت لقبض الارواح اذا رايتم ميتكم قد شخص بصره فتنقطع عنه المعرفة
اذا عاينه لحسنه فاحتملني جبريل حتى اذا وضعني على حتى جناحه ثم ارتفع به الى السماء الدنيا من ذلك المعراج
ففتح الباب فقيل من ذا فقال انا جبريل قال ومن معك قال محمد قال او قد بعث محمد قال نعم قال له مرحبا به
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء ففتح الباب فدخلنا قال فبينا انا اسير
في السماء الدنيا اذ رايت ديكا له زغب اخضر وريش ابيض وريشه كاشد بياض رايته وزغب اخضر
تحت ريشه كاشد خضرة رايتها قط واذا رجلاه في تخوم الارض السابعة السفلى وراسه تحت
العرش مثنى عنقه تحت العرش له جناحان من منكبيه اذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب
فاذا كان في بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول سبحان الملك القدوس
الكبير المتعال لا اله الا هو الحي القيوم فاذا فعل ذلك سبحت الديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها
واخذت في الصراخ فاذا سكن ذلك الديك في السما سكنت ديكة الارض كلها جوابا له بالتسبيح لله عز
وجل بنحو قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ازل منذ رايت ذلك مشتاقا ان اراه ثانيا قال
ثم مررت بملك نصف جسده مما يلي راسه نار والنصف الاخر ثلج وما بينهما ريق فلا النار تذيب الثلج
ولا الثلج يطفي النار وهو قايم ينادي بصوت له حسن رفيع فيقول اللهم مولف الثلج والنار الف بين
قلوب عبادك المؤمنين قلت يا جبريل من هذا قال هذا ملك من الملايكة يقال له حبيب وكله الله
باكناف السموات واطراف الارضين ما انصحه لاهل الارضين هذا قوله منذ خلق ثم مررت بملك
اخر جالس على كرسي قد جمع له الدنيا بين ركبتيه وفي يده لوح مكتوب من نور ينظر فيه ولا يلتفت
يمينا ولا شمالا ينظر فيه كهيئة الحرير فقلت ما هذا يا جبريل ما مررت بملك اشد خوفا منه مني من
هذا قال وما يمنعك قلنا بمنزلتك هذا ملك الموت ذايب في قبض الارواح وهو من اشد الملايكة عملا
واذا بهم فقلت يا جبريل كل من مات ينظر الى هذا قال نعم قلت كفى بالموت طامة فقال يا محمد وما بعد

الموت لكم من الموت واعظم قلت يا جبريل ادنني من ملك الموت اسلم عليه واساله فادناني منه فسلمت
عليه فاوحى الي فقال له جبريل هذا محمد نبي الرحمة ورسول رب العزة فرحب بي وحياني واحسن
بشارتي واكرامي وقال ابشر يا محمد فاني رايت الخير كله فيك وفي امتك فقلت الحمد لله المنان بالنعم ما هذا
اللوح الذي بين يديك قال مكتوب فيه اجمال الخلايق قلت فاين اسما من قبضت ارواحهم في الدهور
الخالية قال تلك الارواح في لوح اخر قد اعلمت عليها وكذلك اصنع بكل ذي روح اذا قبضت روحه حلقت عليها
فقلت يا ملك الموت سبحان الله كيف تقدر على قبض ارواح جميع اهل الارض وانت في مكانك هذا لا تبرح
قال الا ترى ان الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الدنيا بين عيني ويداي تبلغان المشرق والمغرب وخلفهما فاذا نفد
اجل عبد من عباد الله نظرت اليه والى اعواني من الملايكة فاذا نظر اعواني من الملايكة اني نظرت اليه
عرفوا انه مقبوض فعمدوا اليه يعالجون روحه فاذا بلغ الروح الحلقوم علمت ذلك ولا يخفى علي شي من امري
مددت يدي اليه فقبضته ولا يلي قبضه غيري فذلك امري وامر ذوي الارواح من عباد الله قال
فابكاني حديثه وانا عنده ثم جاوزنا فمررنا بملك اخر ما رايت من الملايكة خلقا مثله عابس كالح الوجه
كريه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب فلما نظرت اليه رعبت منه جدا فقلت يا جبريل من هذا فاني
رعبت منه رعبا شديدا قال فلا تعجب ان نرعب منه كلنا بمنزلتك في الرعب منه هذا مالك خازن
النار لم يتبسم قط ولم يزل منذ ولاه الله تعالى جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على اعداء الله واهل
معصيته لينتقم منهم قلت ادنني منه فادناني منه فسلم عليه جبريل فلم يرفع راسه فقال جبريل يا مالك
هذا محمد رسول العرب فنظر الي وحياني وبشرني بالخير فقد منذ كم انت واقد على جهنم قال منذ خلقت
حتى الان وكذلك حتى تقوم الساعة قلت مره فليرني طريقا من النار قال فامره ففعل فخرج منه لهب
ساطع اسود معه دخان كدر مظلم امتلات منه الافاق فرايت هولا عظيما وامرا فظيعا
اعجز عن صفته لكم فغشي علي وكادت تذهب نفسي فضمني جبريل اليه وامره ان يرد النار فردها
فجاوزناها فمررنا بملايكة كثيرة لا يحصي عدتهم الا الله عز وجل الملك الواحد منهم له وجوه بين
كتفيه ووجوه في صدره في كل وجه الفواه والسن وهو يحمد الله ويسبحه بتلك الالسن ورايت
من اجسامهم ومن خلقهم وعبادتهم امرا عظيما ثم جاوزنا فاذا برجل تام الخلق لم ينقص من
خلقه شي كما ينقص من خلقه الناس عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه
ريح خبيثة اذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب الذي على شماله
بكى وحزن فقلت يا جبريل ما هذا وما هذان البابان فقال هذا ابوك ادم وهذا الباب عن يمينه باب
الجنة والباب الذي عن شماله باب جهنم بكى وحزن قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث محمد اليه قال نعم قالوا حياه الله

من اخ

من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء فدخلنا فاذا بشابين فقلت يا جبريل من هذان
الشابان قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام قال ثم صعد بي الى السماء الثالثة
فاستفتح فقالوا من هذا قال انا جبريل قال ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل الى محمد قال نعم قالوا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء فدخلنا فاذا برجل قد فضل على الناس بالحسن
والجمال كما فضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب قلت من هذا يا جبريل قال هذا اخوك يوسف قال
وصعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل
الى محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء فدخلنا فاذا برجل
فقلت من هذا يا جبريل قال ادريس رفعه الله مكانا عليا وهو مسند ظهره الى دراوين الخلايق التي فيها
امورهم قال ثم صعد بي الى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة ونعم المجي جاء قال فدخلنا واذا برجل جالس وحوله
قوم يقص عليهم فقلت يا جبريل من هذا ومن هاولاء الذين حوله قال هذا هارون المحبب في قومه وهاولاء
الذين حوله بنوا اسرايل قال ثم صعدنا الى السماء السادسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن
معك قال محمد قالوا وقد ارسل محمد قال نعم قال حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ونعم المجي جاء ثم دخلنا فاذا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت يا جبريل من هذا قال هذا موسى قلت
فما باله يبكي قال قال يزعم بنوا اسرايل اني اكرم بني ادم على الله وهذا رجل من بني ادم قد خلقني في دنياي
واما في اخرتي فلو انه بنفسه لم ابال ولكن مع كل نبي امته قال ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل محمد قالوا نعم قالوا حياه الله من اخ ومن
خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء ثم دخلنا برجل اشمط جالس على كرسي عند باب الجنة
وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي فقام الذين في الوانهم شي
~~فقام الذين في الوانهم شي~~ فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا اخر
فاغتسلوا فخرجوا وقد خلصت الوانهم وصارت مثل الوان اصحابهم فجاوا فجلسوا الى اصحابهم
فقلت يا جبريل من هذا الاشمط ومن هاولا وما هذه الانهار قال هذا ابوك ابرهيم اول من شمط على الارض
واما هاولا البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هاولاء الذين في الوانهم شي فقوم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار الثلثة فادناها رحمة الله والثاني نعمة الله
والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا واذا ابرهيم عليه السلام مستند الى بيت فسالت جبريل فقال
هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا فيه اخر ما عليهم قال
فاتى بي جبريل حتى انتهينا الى سدرة المنتهى فاذا انا بشجرة لها اوراق الواحدة منها مغطية للدنيا بما فيها

واذا بنبقها مثل قلال هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسالت عنها
جبريل فقال اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ويخرج ايضا من اصلها انهار
من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وهي على حد السماء السابعة مما يلي الجنة وعروقها واغصانها تحت الكرسي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهيت الى سدرة المنتهى وانا اعرف انها سدرة اعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله
ما غشيها وغشيتها الملايكة كانها جراد من ذهب من خشية الله فلما غشيها ما غشيها تحولت
حتى ما يستطيع احد نعتها قال وفيها ملايكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبريل في وسطها فلما
انتهيت اليها قال جبريل تقدم انت قال بل تقدم يا محمد فانك اكرم على الله مني فتقدمت وجبريل
على اثري حتى انتهى بي الى فراش حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من ذا قال انا جبريل ومعي محمد قال الملك
الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبريل فقلت له الى اين فقال يا محمد وما منا
الا له مقام معلوم ان هذا منتهى الخلايق وانما اذن لي في الدنو من الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب
من هذا قال انا صاحب فراش الذهب وهذا محمد رسول العرب معي فقال الملك الله اكبر فاخرج يده
من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوز وابي سبعين
حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمس مائة عام وما بين الحجاب الى الحجاب مسيرة خمس مائة عام ثم دلي
الى زفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الزفرف ثم احتملني حتى
وصل بي الى العرش فلما رايت العرش اتضع امر كل شي عند العرش فقربني الله تعالى الى سند العرش وتدلت
لي نظرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الدايقون شيا قط احلا منها فانباني الله تعالى بها نبا
الاولين والاخرين واطلق الله تعالى لساني بعد ما كل من هيبة الرحمن فقلت التحيات لله والصلوات
والطيبات فقال الله جل ثناوه سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فقال الله عز وجل يا محمد هل تعلم فيم يختصم الملاء الاعلى فقلت انت اعلم
يا رب بذلك وبكل شي وانت علام الغيوب قال اختلفوا في الدرجات والحسنات فهل تدري يا محمد
ما الدرجات وما الحسنات قال قلت انت اعلم يا رب قال الدرجات اسباغ الوضوء في المكروهات
والمشي على الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة والحسنات افشاء السلام واطعام
الطعام والتهجد بالليل والناس نيام ثم قال لي يا محمد امن الرسول قلت نعم اي رب قال ومن قلت
والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود
والنصارى فقال ماذا قالوا قلت قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك قال صدقت فسل تعط قلت
غفرانك ربنا واليك المصير قال قد غفرت لك ولامتك سل تعط قلت ربنا لا تواخذنا ان نسينا

لاحترامك واجلالك
قال فانطلق بي الملك
في اسرع من طرفة العين
الى حجاب اللولو فحرك
الحجاب

اواخطانا

اواخطانا قال قد رفعت الخطاء والنسيان عنك وعن امتك وما استكرهوا عليه قلت
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود قال ذلك لك ولامتك قلت
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت ذلك بك وبامتك قلت ربنا واعف عنا من الخسف
واغفر لنا من القذف وارحمنا من المسخ انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت
ذلك بك وبامتك ثم قيل لي سل فقلت يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت
ادريس مكانا عليا واتيت سليمان ملكا عظيما واتيت داود زبورا فما لي يا رب فقال ربي عز
وجل يا محمد اتخذتك حبيبا كما اتخذت ابرهيم خليلا وكلمتك كما كلمت موسى تكليما واعطيتك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة وكانا من كنوز عرشي ولم اعطها نبيا قبلك وارسلتك الى اهل
الارض جميعا ابيضهم واسودهم وانسهم وجنهم ولم ارسل الى جماعتهم نبيا قبلك
وجعلت الارض كلها برها وبحرها طهورا ومسجدا لك ولامتك واطعمت امتك الفي ولم اطعمه
امة قبلهم ونصرتك بالرعب على عدوك مسيرة شهر وانزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمنا
عليها قرانا فرقناه ورفعت لك ذكرك حتى تذكر كلما ذكرت من شرايع ديني واعطيتك مكان
التورية المثاني ومكان الانجيل المئين ومكان الزبور الحواميم وفضلتك بالمفصل وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلتهم
امة وسطا وجعلتهم الاولين وهم الاخرون فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين ثم افضى
الي بعدها امورا لم يوذن لي ان اخبركم بها ثم فرضت علي وعلى امتي في كل يوم وليلة خمسون
صلاة فلما عهد الي بعهده وتركني عنده ما شاء الله قال لي ارجع الى قومك فبلغهم عني فحملني
الزفرف الاخضر الذي كنت عليه يخفضني ويرفعني حتى اهوى بي الى سدرة المنتهى فاذا انا
بجبريل عليه السلام ابصره خلفي بقلبي كما ابصره بعيني امامي فقال لي جبريل ابشر يا محمد فانك
خير خلق الله وصفوته من النبيين حياك الله بما لم يحب به احدا من خلقه لا ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ولقد بلغك الله مكانا لم يصل اليه احد من اهل السموات والارض فهناك الله
كرامته وما حباك من المنزلة الاثيرة والكرامة الفايقة فخذ ذلك بشكر فان الله منعم يحب الشاكرين
فحمدت الله تعالى على ذلك ثم قال لي جبريل انطلق يا محمد الى الجنة حتى اريك ما لك فيها فتزداد بذلك
في الدنيا زهادة الى زهادتك وفي الاخرة رغبة الى رغبتك فسرنا نهوي منقضين اسرع من السهم
والريح حتى وصلنا باذن الله الى الجنة فهدات نفسي وثاب الى فوادي وانشات اسال جبريل عما كنت
رايت في عليين من البحور والنار والنور وغيرها فقال سبحان الله تلك سرادقات حرس
رب العزة التي احاطت بعرشه فهي سترة للخلايق من نور الحجاب ونور العرش ولولا ذلك

لاحرق نور العرش ونور الحجب من تحت العرش من خلق الله وما لم تره اكثر واعجب قلت سبحان الله
العظيم ما اكثر عجايب خلقه قلت يا جبريل ومن الملايكة الذين رايتهم في تلك البحور الصفوف
بعد الصفوف كانهم سان مرصوص قال يرسول الله هم الروحانيون الذين يقول الله سبحانه يوم
القيمة والملايكة صفا ومنهم الروح الاعظم ثم اسرافيل بعد ذلك قلت يا جبريل فمن الصف الواحد
الذي في البحر الاعلا فوق الصفوف كلها قد احاطوا بالعرش قال هم الكروبيون اشرف الملايكة وعظمهم
وما يحيط احد من الملايكة ان ينظر الى احد من الكروبين وهم اعظم شانا مني ان اطيق وصفهم لك
وكفى بما رايت منهم ثم طاف بي جبريل في الجنة باذن الله تعالى فما ترك مكانا الا رايته واخبرني عنه
فرايت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورايت الاشجار من الذهب الاحمر قضبانها من
اللولو وعروقها من الفضة راسخة في المسك فلا انا اعرف بكل درجة وقصر وبيت وغرفة وخيمة
وثمر في الجنة مني مما في مسجدي هذا ورايت نهرا يخرج من اصله ماء اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل على رضراض درو وياقوت ومسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله تعالى
وهو لتنسيم يخرج من تحت العرش الى دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم يمر جوبه الى اشربتهم
من العسل واللبن والخمر وذلك قوله عز وجل عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ثم انطلق بي
يطوف حتى انتهيت الى شجرة لم ار في الجنة مثلها فيما وقفت تحتها فاذا انا لا ارى شيئا من خلق ربي
غيرها لعظمها وتفرق اغصانها ووجدت فيها ريحا طيبة لم اشم في الجنة ريحا اطيب منها فقلبت
بصري فاذا ورقها ذلك طرايف من ثياب الجنة من بين ابيض واحمر واصفر واخضر وثمارها امثال القلال
العظام من كل ثمرة خلق الله سبحانه وتعالى في السموات والارض من الوان شتى وطعم شتى وروايح
شتى فعجبت من تلك الشجرة وما رايت من حسنها قلت يا جبريل ما هذه الشجرة قال هذه التي ذكرها الله
عز وجل طوبى لهم وحسن مآب ولكثير من امتك ورهطك في ظلها حسن مقيل ونعيم طويل ورايت في
الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك مزوع منه معدا لمن ينتظر به اصحابه
من اولياء الله تعالى فتعاظمني الذي رايت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض علي النار حتى نظرت
الى اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وغساقها ويحمومها فنظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر
الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا مثل نار تخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل
من هاولاء قال هاولاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم انطلقت فاذا انا بنفر لهم بطون كانها البيوت
وهم على سابلة ال فرعون فاذا مر بهم ال فرعون تاروا فتميل باحدهم بطنه فيقع فيتوطاؤهم ال فرعون
بارجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا فقلت من هاولاء يا جبريل قال هاولاء اكلة الربا مثله كمثل
الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم انطلقت فاذا انا بنساء معلقات بثديهن منكسات ارجلهن

قلت

قلت من هاولاء يا جبريل قال هن اللاتي ينبين ويقتلن اولادهن ثم اخرجني من النار فررنا بالسموات
منحدرين من سماء الى سماء حتى اتيت على موسى عليه السلام فقال لي ماذا فرض الله عليك وعلى امتك
قلت خمسين صلاة فقال موسى عليه السلام انا اعلم بالناس منك واني بلوت بني اسرايل وعالجتهم اشد
المعالجة وان امتك اضعف الاجسام فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فان امتك لن تطيق ذلك
قال فرجعت الى ربي وفي بعض الاخبار فرجعت فاتيت سدرة المنتهى فخررت ساجدا قلت يا رب
فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولو استطيع ان اقوم بها انا ولا امتي فخفف عني عشرا فرجعت الى
موسى فسالني فقلت خفف عني عشرا قال ارجع الى ربك واساله التخفيف فان امتك اضعف الاجسام
واني قد لقيت من بني اسرايل شدة قال فرجعت فردة الى ثلثين فما زلت بين ربي وبين موسى حتى
جعلها خمس صلوات فاتيت موسى فقال ارجع الى ربك فساله التخفيف فقلت اني قد رجعت الى ربي حتى
استحييت وما انا براجع اليه قال فنوديت اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك
خمسين صلاة فلا يبدل القول لدي فخمسة بخمسين فقم بها انت وامتك اني قد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي واجزي بالحسنة عشر امثالها بكل صلاة عشر صلوات قال فرضي محمد صلى الله عليه كل الرضى وكان
موسى عليه السلام من اشدهم حنوا عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه ثم انصرفت مع صاحبي
واخي جبريل لا يفوتني ولا افوته حتى انصرف حتى انصرف بي الى مضجعي وكان كل ذلك في ليلة واحدة من ليالي مكم
هذه فانا سيد ولد ادم ولا فخر والي مفاتيح الجنة يوم القيمة ولا فخر وانا مقبوض عن قريب بعد الذي رايت
من ايات ربي الكبرى ما رايت وقد احببت اللوق ربي ولقاء من رايت من اخواني وما رايت من ثواب الله
تعالى لاوليايه وما عند الله خير وابقى قالوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان
بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعايشة رضي الله
عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي واصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت
ان الناس مكذبي لا يصدقوني قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم معتزلا حزينا فمر به ابو جهل
عدو الله فاتاه فجلس اليه فقال له كالمستهزئ به هل استفدت من شيء قال نعم اني اسري بي الليلة
قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال قال فلم يرا ابو جهل انه ينكر
مخافة ان يجحده الحديث فقال اتحدث قومك ما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي
هلموا قال فانفضت المجالس نحوا واحتى جلسوا اليهما قال حدث قومك ما حدثتني قال نعم اني اسري بي الليلة
قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال من مصفق ومن واضع يده على
راسه متعجبا للتكذيب وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقوه وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فقالوا هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال قالوا نعم

قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل ان يصبح
قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء ياتيه في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر
الصديق قال وفي القوم من قد سافر هناك ومن قد راى المسجد فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
المسجد قال نعم قال فذهبت انعت وانعت فما زلت انعت حتى التبس علي فقال صلى الله عليه وسلم
فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت
فوالله لقد اصاب ثم قالوا يا محمد فاخبرنا عن عيرنا فهي اهم لنا من قولك هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت
على عير بني فلان وهو بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت
فشربته ثم وضعته كما كان فسالوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه اية قال
ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بكرهما مني فرمى بفلان
فانكسرت يده فاسالوهما عن ذلك قالوا وهذه اية قالوا واخبرنا عن عيرنا نحن قال مررت بها بالتنعيم قالوا
فما عدتها واحمالها وهيئتها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له مكانه بالحزورة بعدتها واحمالها
وهيئتها ومن فيها فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان
تخيطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم
يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى اتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه
اذ قال قايل نهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال الاخرون والله هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق
فيها فلان وفلان كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا فلم يومنوا ولم يفلحوا وقالوا ما
سمعنا بمثل هذا قط ان هذا الا سحر مبين اختلف المفسرون في كيفية ذلك الاسرا فعن معاوية انه كان
رؤيا من الله صادقة وحكى الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد
رسول الله وانما اسري بروحه وحكي عن عائشة رضي الله عنها هذا القول ايضا وعن الحسن كان في المنام
رويا راها وذهب جماعة من المفسرين الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته
الى مكة وذهب الجمهور الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم الى السموات حتى انتهى الى سدرة
المنتهى وما فوقها وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وعليه يدل ظاهر القران وورد في صحته ما لا
يحصى من الاخبار ولو كانت رؤيا ما انكره قريش وما ارتدت جماعة ممن كانوا اسلموا حين سمعوا منه
هذا الكلام لان في المنام ما لا ينكر منها مثل ذلك وما هو ابعد منه وامكانه العقلي ثابت غير محتاج الى
بيان فان كل ذرة من ذرات الموجودات فيها عجايب ودقايق يتحير العقل فيها لكن لما كان على وفق
العادة لم تشمئز طباع العادة عنها واما مثل هذا لما كان على خلاف العادة استنكره ضعفا العقول
الذين لا يتجاوز فهمهم عن المحسوسات العادية واما اولوا الالباب الذين خلصوا من نزعات

الشيطان

الشيطان ووساوس العادة ونظروا الى اثار رحمة الله تعالى في صنع المصنوعات واحداث المحدثات
في الملك والملكوت والشهادة والغيب والملك والخلق والامر اعترفوا به وايقنوا انه منخرط في سلك
مقدورات القدير العليم الحكيم وقيل ان هذه الليلة ليلة المعراج وهي قبل الهجرة بسنة وقيل ان ليلة
المعراج غير ليلة الاسراء وقيل كان معراجان بمكة والمدينة في النوم واليقظة تلفيقا وتوفيقا
بين الروايات **قوله تعالى** واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرايل الا تتخذوا
من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ابتدا الكلام في السورة على
الغيبة فقال سبحان الذي اسرى بعبده ثم انتقل من الغيبة الى التكلم فقال باركنا حوله لنريه من اياتنا
ثلثة الالفاظ على سبيل التكلم ثم انتقل من التكلم الى الغيبة فقال انه هو السميع البصير ثم انتقل من الغيبة
الى التكلم فقال واتينا موسى الكتاب ذكر في الاية الاولى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر
في هذه الاية اكرام موسى عليه السلام بانه اتاه الكتاب التورية وجعلناه اي الكتاب وقيل موسى هدى
اي هاديا لبني اسرايل اي دللناهم به على الهدى الا تتخذوا قرا ابو عمرو بالياء على معنى لئلا يتخذوا والباقون
بالتاء على معنى اي لا تتخذوا كقولك كتب اليه ان افعل كذا وقيل هو على الانصراف من الغيبة الى الخطاب
من دوني وكيلا ربا يكلون اليه امورهم ذرية نصب على الاختصاص وقيل على النداء على قراءة ان لا تتخذوا
بالتاء على النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقيل ذرية من حملنا
هي المفعول الاول لقوله تتخذوا وكيلا هو المفعول الثاني له اي لا تجعلوا ذرية من حملنا اربابا كقوله ولا
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وذرية من حملنا مع نوح عزير وعيسى وقيل ذرية بدل من وكيلا
اي لا تتخذوا من دوني الها وعن مجاهد شريكا وقيل حفيظا لكم سواي وقيل الوكيل هو المعتمد عليه المرجوع
اليه الموثوق به وهذه صفة من لا اله غيره وقيل ذرية من حملنا مع نوح العرب والعجم من ذرية من حمل
مع نوح في السفينة وقيل عنى بذلك سام ابن نوح لان بني اسرايل من ولده ولان الصحيح ان من كان معه
غير اولاده ماتوا حين هبطوا من السفينة والناس بعد نوح من ولد نوح كما كانوا من ولد ادم ذكرهم الله
النعمة في انجاء ابايهم من الغرق انه كان عبدا شكورا كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا اي
لانه كان عبدا شكورا اذ كان موحدا لان الشاكر من يقوم بجملته وشراشره في عبودية المنعم وانتم
ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباركم اسوتهم وقيل اذا نصب ذرية على الاختصاص
يجوز ان يكون قوله انه كان عبدا شكورا تعليلا لاختصاصهم وانشا عليهم اي انما خصصناكم بهذا
الخطاب لانكم اولاد المحمولين مع نوح فانتم متصلون به فاستاهلتم لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال
ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد فلا يكون تعليلا قيل كان نوح اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذي
اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله

الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال
الحمد لله الذي اخرج عني اذاه وعافاني ولو شاء حبسه **قوله تعالى** وقضينا الى بني اسرايل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلون علوا كبيرا فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا لما ذكر الله انعامه على بني اسرايل باعطاء التورية لهم وجعل
التورية هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرايل في
الكتاب لتفسدن وقضينا واوحينا الى بني اسرايل وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا وانهينا اليهم
في الكتاب في التورية لتفسدن جواب قسم محذوف اي والله لتفسدن ويجوز ان يجري القضا
المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين
بالمعاصي ومخالفة التورية وقتل الانبيا اولاهما قتل زكريا وقيل قتل شعيا فاما السبب في قتلهم
زكريا فانهم اتهموه بمريم وقالوا منه حملت فهرب منهم فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ورايه هدب
فجاهم الشيطان فدلهم عليه فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها واما السبب في قتل شعيا فهو انه قام
فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي وقيل هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة حتى قطعوه بالمنشار
وان زكريا مات حتف انفه واخراهما قتل يحيى بن زكريا قيل سبب قتل يحيى ان ملكهم اراد نكاح امراه
لا تحل له فنهاه عنها يحيى عن ابن عباس انها ابنة اخي الملك وعن عبد الله بن الزبير انها بنته وعن حسين
بن علي رضي الله عنهما انها امراة اخيه وكان ذلك لا يصلح عندهم وعن السدي انها ابنة امراته ذكر السدي
ان ملك بني اسرايل هوي بنت امراته فسال يحيى عن نكاحها فنهاه فحذفت امها على يحيى حين نهاه ان يتزوج
ابنتها وعمدت الى ابنتها وزينتها وارسلتها الى الملك حين جلس على شرابه وامرتها ان تسقيه وتعرض
له فان ارادها على نفسها ابت حتى تؤتا براس يحيى في طست ففعلت ذلك فقال سليني غير هذا فقالت
ما اريد الا هذا فامر فاتي براسه والراس تتكلم وتقول لا يحل لك لا يحل لك وقيل ان امراة الملك رات يحيى
وكان قد اعطي حسنا وجمالا فارادته على نفسه فابى فقالت لابنتها سلي اباك راس يحيى فاعطاها
ما سالت روي عن اهل السير ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني اسرايل سبعون الفا فسكن
وقيل لم يسكن حتى جاء قاتله فقال انا قتلته فقتل فسكن ولتعلن ولتطغن وتستكبرن عن طاعة
الله ولتبغن علوا كبيرا وقيل العلو الظلم وقيل القهر وكانوا يقتلون الناس ظلما ويغلبون على اموالهم
قهرا ويخربون الديار بغيا ويقتلون الانبيا بغير حق فاذا جاء وعد اوليهما اي وعد عقوبة اولي المرتين
والوعد بمعنى الوعيد بعثنا عليكم عبادا لنا عن بن عباس وقتادة انهم جالوت وجنوده وعن سعيد
بن المسيب هم بخت نصر وجنوده وعن الحسن العمالقة وكانوا كفارا وعن سعيد بن جبير سنحاريب

وجنوده

وجنوده وعن مجاهد قوم من اهل فارس قتلوا علماهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين
الفا اولي باس شديد ذوي عدد وقوة في القتال فجاسوا خلال الديار ترددوا فيها للغارة وطافوا ينظرون
هل بقي احد لم يقتلوه والجوس طلب الشي باستقصاء وعن الاصمعي جاسوا وطنوا وقيل عاثوا والخلال
انفراج ما بين الشيين واكثر الضرب من الوهن قيل الجوس هو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب
المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وكان وعدا مفعولا اي وكان وعد العقاب وعدا
لا بد ان يفعل وقيل كان الجوس وعدا من الله مفعولا لا محالة وقيل ما وعدنا من انهم يفسدون مرتين
وعدا كاينا ثم رددنا لكم الكرة اي الرخصة والدولة والغلبة عليهم اي لما تبتم واصلحتم ما افسدتم
رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم قيل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وامددناكم اعناكم باموال وبنين فان القوة فيهما والامداد
الاتمام وجعلناكم اكثر نفيرا من الاعدا وقيل اكثر مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
النفير النفر وقيل جمع نفر كعبد وعبيد وهم المجتمعون للمصير الى الاعداء **قوله تعالى** ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي وقلنا ان احسنتم بفعل الطاعة فقد احسنتم لانفسكم
من حيث انه ببركة الطاعة يفتح الله عليكم ابواب الخيرات والبركات وان اساتم بارتكاب المحرمات
والافساد في الارض فلانفسكم والمراد فالمراد فعلى انفسكم وجاء باللام ازدواجا وقيل معناه واليها وقيل
فلها الجزا والعقاب وقيل فلها رب يغفر الاساة والمعنى الاحسان والاساة كلاهما مختص بانفسكم
لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلا هذه الاية **قوله
تعالى** فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي فاذا جاء
وعد المرة الاخرة وعقوبتها من افسادكم بعثناهم وهذا الفساد الثاني هو قتلهم يحيى وقصدهم قتل
عيسى بعثناهم اي ملوك فارس والروم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها مادية اثار المساة والكابة فيها كقوله
سيئت وجوه الذين كفروا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم ليسوؤا بالياء على الجمع والهمزتين
الواوين والاشارة الى المنعوتين وبن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم ليسوا على التوحيد اي ليسوء الله
او ليسوء البعث او ليسوء الوعد والكسائي لنسوء بالنون وذلك راجع الى الله تعالى عن مجاهد وقتادة
الذين بعث الله عليهم في المرة الثانية بخت نصر وجنده وكثير من الرواة يابى هذا القول ويقولون كان من تخريب
بخت نصر بين المقدس وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل وعن مقاتل افطيانون الرومي ليسوء وجوهكم
تعليل مضمر اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد اي بيت المقدس كما دخلوه اول مرة وليتبروا اي
وليهلكوا كل شي غلبوه واستولوا عليه وقيل ما مصدرية اي ليهلكوا مدة علوهم وقيل في حال علوهم

عسى ربكم ان يرحمكم هذا ما وعد به فى التورية واخبر انه فى كتابهم والمعنى عسى ربكم ان يرحمكم ان تتبعوا بعد
الثانية فتابوا فرحمهم الله بعد انتقامه منهم وعن بلادهم واعاد اليهم الاحسان وبعث فيهم الانبياء وان
عدتم مرة ثالثة الى معصيتنا عدنا الى عقوبتكم قيل وقد اعادوا الى معصية الله فاعاد اليهم النعمة
فبعث اليهم ملكا من ملوك فارس وضرب الافاوه عليهم وعن الحسن وقتادة عادوا الى الكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فى عذاب الى يوم القيمة يعطون الجزية عن يد وهم
صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن الحصير هو الذى
يفرش اى وجعلنا جهنم لهم مهادا **قوله تعالى** ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انه تعالى
لما ذكر ما فعله فى حق عباده المخلصين من الاسر آبعبده وايتاء الكتاب بموسى ثم ذكر ما فعله فى حق العصاة
المفسدين فى الارض مرة بعد اخرى من تسليط الاعداء عليهم بالقتل والاسر والنهب وتخريب البلاد وتنبيها
على ان طاعة الله يجلب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية ثم وصف القرآن بانه يهدى للتى هى
اقوم اى للحالة التى هى اقوم الحالات واشدها او للملة او للطريق وايما قدرت لم تجد مع ذكرها دون البلاغة
الذى يجده صاحب الذوق السليم لما فى ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تعقد مع ايضاحه قال المفسرون
هى توحيد الله به ورسله والعمل بطاعته ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات بان لهم اجرا كبيرا هو
الجنة وان الذين اى ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات بان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما ولا يخفى ان الاخبار بتعذيب الاعداء بشارة وعلم من قوله المومنين الذين يعملون الصالحات
ان المومنين على قسمين المومنين الذين يعملون الصالحات والمومنين الذين لم يعملوا الصالحات ولم يتعرض
للامر للمومنين الذين لم يعملوا الصالحات قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ذكر المومنين الابرار
والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كانه من الناس حينئذ اما مومن واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة
بين المنزلتين المشركين بعدك وقيل ان يقول هذا الكلام فى غاية السقوط لان المومنين دائما على قسمين
الذين يعملون الصالحات والذين لا يعملون الصالحات ولهذا قيد المومنين بالذين يعملون الصالحات
ولو كان كما زعم صاحب الكشاف لم يقيد المومنين بالذين يعملون الصالحات واثبات اصحاب المنزلة بين
المشركين من البدع المنهى عنها قيل هذا البدعة من المبتدع واصل بن عطاء والظاهر انه انما لم يتعرض للمومنين
الذين لم يعملوا الصالحات لان المقام يقتضى التعرض لمن له الاجر قطعا بحكم الوعد على سبيل التفصيل
ولمن اعد له العذاب الاليم قطعا بحكم الوعيد على سبيل العدل والموصوفون الذين لم يعملوا الصالحات غير
داخلين فى الاول ولا فى الثانى فلهذا لم يتعرض لهم **قوله تعالى** ويدع الانسان بالشر دعاءه
بالخير وكان الانسان عجولا وجه النظم هو ان الانسان بعد ان انزل الله عليه هذا القرآن وخصه

بهذه

بهذه النعمة العظيمة قد يعدل عن التمسك بشرايعه ويقدم على ما لا فايدة فيه ويدعو بالشر اى
ويدعو الانسان عند الغضب والضجر على نفسه واهله واعزته وماله بالشر اى بما لا يجب ان
يستجاب له دعاءه اى دعاء مثل دعاءه بالخير اى كما يدعو لنفسه ولاهله واعزته وماله مما يجب
اجابته وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر
وقيل يعجل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر عجلته بالدعاء بالخير قيل المراد بالانسان الجنس لا شخصا
بعينه وقيل المراد به ادم لانه حين نفخ الله فيه الروح نظر الى بدنه فاعجبه حلقه وبقيت رجلاه فرام النهوض
قبل وصول الروح الى قدمه فصارت العجلة فى ولده قاله بن عباس وعن سلمان قال لما خلق الله ادم
ادم بدأ ما علاه قبل اسفله فجعل ادم ينظر فلما كان بعد العصر قال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان
الانسان عجولا وعن مقاتل ان النضر بن الحارث قال فامطر علينا حجارة من السماء **قوله تعالى**
وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا
عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا قيل انه تعالى لما بين فى الاية المتقدمة ما
اوصل الى الخلق من نعم الدين وهو القرآن اتبعه ببيان ما اوصل اليه من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار
وكما ان القرآن فيه ايات محكمات وايات متشابهات فكذلك فى اية الليل كما لا اية المتشابهة واية النهار
كالاية المحكمة وكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابهة فكذلك الزمان لا يتيسر
الانتفاع به الا بالليل والنهار وقيل انه تعالى لما بين فى الاية المتقدمة ان هذا القرآن يهدى للتى هى
اقوم وذلك الاقوم ليس الا ذكر الدلايل الدالة على التوحيد والنبوة اردفه بذكر دلايل التوحيد
وهو عجايب العالم والسفلى العلوى وقيل انه تعالى لما وصف الانسان بكونه عجولا اى مستعلما من صفة
الى صفة ومن حالة الى حالة بين ان احوال هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة وبالعكس
وانتقال نور القمر من الزيادة الى النقصان وبالعكس قيل ان المراد من الليل والنهار ايتان فى انفسهما
فكونه الاضافة فى اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الاية التى
هى الليل وجعلنا الاية التى هى النهار مبصرة وقيل المراد وجعلنا سنى الليل والنهار اى الشمس والقمر
ايتين فمحونا اية الليل محى الليل مطموسة مظلما لا تستنبان فيه شى كما لا يستنبان ما فى اللوح المحو وجعلنا
النهار مبصرا اى تبصر فيه الاشياء وتستنبان وقيل فمحونا اية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع
الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع تبصر فى ضوءها كل شى وقيل محو القمر
ما يظهر فى القمر من الزيادة والنقصان فى النور وقد روى فى اول الامر فى صورة الهلال ثم لا تزال
يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم ياخذ فى الانتقاص قليلا قليلا وذلك هو المحو الى ان يعاد الى المحاق
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا بضياء النهار الى استتمام اعمالكم والتصرف فى معايشكم ولتعلموا

باختلاف المجديين عدد السنين وجنس الحساب وما يحتاجون اليه من الحساب ولولا ذلك لما علم
حسبانه الاوقات ولتعطلت الامور وقيل لتتبصروا كيف تتصرفون في اعمالكم وتطلبون رزقكم بالنهار ولتعلموا
عدد السنين والحساب بمحو اية الليل ولولا ذلك لم يعرف الليل من النهار وكل شئ يحتاجون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه بيانا غير ملتبس وذكر تفصيلا للتاكيد **قوله تعالى** وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا لما قال وكل شئ فصلناه تفصيلا كان معناه ان كل ما يحتاجون اليه من دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد فقد صار مذكورا وكل ما يحتاج اليه من دلايل التوحيد والنبوة والمعاد فقد صار مذكورا
وكل ما يحتاج اليه من شرح احوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقد صار مذكورا واذا كان الامر
كذلك فقد اريح علينا ولاحرم كل من ورد عرصه القيامة فقد الزمناه طايره في عنقه ونقول له اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكل انسان الزمناه طايره عن ابن عباس طايره شقاوته وسعادته عن
مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وعن الحسن طايره عمله وقيل
طايره ما يصيبه وقيل حظه والمعنى ان لكل انسان حظا من الخير والشر فقد قضاه الله فهو لازم عنقه
والعرب تقول لكل ... ما لزم الانسان فقد لزم عنقه وهذا كلي وفي عنقي حتى اخرج منه وانما قيل للحظ
من الخير والشر طايرا تقول العرب جرى له الطاير بكذا من الخير وجرى له الطاير بكذا من الشر على طريق الفال
والطيرة فخاطبهم الله بما يستعملونه واعلم ان ذلك الامر الذي يجعلونه بالطاير هو الذي يلزم اعناقهم قال
الازهري الاصل في هذا ان الله تعالى لما خلق ادم على المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما عمله منهم
اجمعين وقضى سعادة من عمله مطيعا وشقاوة من عمله عاصيا فطار لكل منهم ما هو صايرا اليه عند خلقه
وانشايه فذلك قوله الزمناه طايره في عنقه وقيل انه ما ينظر من مثله من شئ عمله وذكر العنق عبارة عن
اللزوم له كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة
وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقه في رقبته وقيل الاصل في تسميتهم العمل طايرا انهم كانوا يتفاءلون من بعض
الاعمال واعلم انه تعالى اضاف الالزام الى نفسه وهذا يدل على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة والعنق كناية عن اللزوم كما يقال
جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقتك كذا اي الزمته
اياك ومنه قلده السلطان كذا اي صارت الولاية في لزومها في موضع القلادة ومكان الطوق ومنه يقال فلان
يقلد فلانا اي جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على عنقه وانما خص العنق من بين سايرالاعضا لهذا المعنى
لان الذي يكون علة اما ان يكون خيرا يزينه او شرا يشينه وما يزين يكون كالطوق والحلي والذي يشين فهو
كالغل فهنا لما كان من الجايز ان يكون ما الزمناه كان من المعاصي كان كالغل في رقبته ونخرج له يوم القيمة

كتابا

كتابا يلقاه منشورا قرأ ابن عامر يلقا بضم الياء وتشديد القاف واما حمزة والكسايي فالقاف منشورها
صفتان للكتاب ويجوز ان يكون يلقاه صفته ومنشورا حال من تلقاه اقرأ على ارادة القول اي يقال له اقرأ
كتابك على الحسبي يقرأه اميا كان او غير امي كفى بنفسك فاعل كفى والباء زايده والحسيب الحاسب وهو مميز
وعليك متعلق بحسيبا من قولك حسب عليك كذا فيجوز ان يكون حسيبا بمعنى الكاف ووضع موضع
الشهيد تعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعى ما اهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد
والعاصي والابر لان الغالب ان هذه الامور تولاها الرجال وكانك قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا
وقيل يجوز ان تناول النفس بالشخص كما يقال ثلثه انفس وقيل حسيبا حاكما وقيل وعن الحسن
قد عدل والله عليك حسيبا لنفسك **قوله تعالى** من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي
من اهتدى فثواب اهتدايه له ومن ضل عن الرشاد فانما يضل عليها اي على نفسه عقوبة ضلاله ولا تزر
وازرة اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزر نفسها لا وزر نفس اخرى اي لا يواخذ احد بذنب غيره شبه حمل
معصية الله المودنة الى النار بالوزر وهو الحمل الثقيل عن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة قال اتبعوني
وانا احمل اوزاركم فقال الله ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين عذاب الاخرة وقيل عذاب الاستيصال
في الدنيا حتى نبعث رسولا يبين التوحيد والشرع وقيل سمي الشرع وحده قانا العقل كاف لسان التوحيد
وهذه الاية تدل على ان الواجبات انما تثبت بالعقل لانه لو كان بالعقل لم يبق وقفا للتعذيب على بعثة
الرسول لانه قبل بعثة الرسول العقل موجود فيكون الواجبات العقلية متحققة فالتعذيب متحقق
بتركها **قوله تعالى** واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي الذين ابطرهم النعمة وسعة العذا حتى تعدوا طورهم
وطغوا والترفه النعم والمعنى قالوا هم الجبارون والمسلطون والملوك وانما خص المترفين بالذكر لانهم
الرؤساء ومن عداهم تبع لهم ثم ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى ماذا يامرهم فقال الاكثرون انه تعالى
يامرهم بالطاعة والخير ففسقوا اي خالفوا الامر لانه الفسوق الخروج عن الطاعة فحق عليها القول اي
وجب عليها ما وعد على الفسق بقول سابق لا يقع فيه خلف وقيل ظهر صدق خبر الله عنهم انهم لا يومنون
فدمرناها اهلكناها تدميرا اهلاكا بالكلية قال صاحب الكشاف واذا اردنا واذا ادنا وقت اهلاك قوم
ولم يبق من زمان امهالهم الا قليلا امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة
امرهم بالفسق ان يقال لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة
صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك بسبب املاء والنعمة فيه

وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم
على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة
العذاب ولقايل ان يقول تفسير اردنا ان نهلك بدنا وقت اهلاك قوم في غاية السقوط فانه عدول عن
الظاهر الحق الى البعيد الباطل فان اهلاك لا يقع الا بارادته تعالى فلا حاجة الى العدول عن الظاهر قوله
امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق مخالف للعقل والنقل فان العقل يابى ان يامرهم تعالى بالفسق والنقل
متواتر انه تعالى لا يامر بالفسق قال تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل
ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط قوله والامر مجاز لان حقيقة
امرهم ان يقال لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا
فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون ذلك بسبب ابتلاء النعمة فيه وانما
خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم على الخير والشر
وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية ~~فاثروا الفسوق~~ فاثروا الفسوق ولا يخفى على من له فهم مستقيم وذوق
سليم انه اريد بقوله تعالى امرنا مترفيها هذا الذي ذكره ثم قال صاحب الكشاف فان قلت هلا زعمت ان
معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جايز فكيف يحذف ما الدليل قايم على
نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته
فقرا لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراة ولو ذهبت بقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم
هذا قولهم امرته فعصاني او لم يتمثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به
وكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه
ولا منوي من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة
كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع يامر وينهى غير قاصد الى مفعول ولقايل ان يقول لا نسلم انه لا دليل عليه قوله
فكيف يحذف ما الدليل قايم على نقيضه قلنا لا نسلم ان الدليل قايم على نقيضه قوله لان المامور به انما حذف
لان فسقوا يدل عليه قلنا نسلم ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل على ان المامور به هو الطاعة
قال الله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
فانه يدل على ان ففسقوا قرينة دالة على ان المامور به المحذوف هو الطاعة قوله وهو كلام مستفيض
يقال امرته فقام وامرته فقرا لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراة ولو ذهب بقدر غيره فقد
رمت من مخاطبك علم الغيب قلنا لا نسلم اذا قدر غيره يلزم ان يكون طلب من المخاطب علم الغيب
يجوز ان يكون قرينة حالية اقتضت تقدير غيره بان يكون قرينة حالية دلت على انه امر بالقعود
وفي الصورة الاولى وبالكتابة في الصورة الثانية ويكون قوله فقام وفقرا مفيد لمخالفة الامر

ولين

ولين سلم انه لا يفهم منه الا ان المامور به لكن ليس نظر قوله امرنا مترفيها ففسقوا
فيها لان القيام والقراة يصح ان يكون مامورا لا يامر بالفحشاء قوله ولا يلزم هذا قولهم
امرته فعصاني الى اخره قال الامام و يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل على ان المامور
به غير المعصية من حيث ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فلذلك قوله امرته ففسق يدل
على ان المامور به شي غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فيكون فسقا ينافي
كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مامورا بها فوجب ان يدل هذا اللفظ على ان المامور به
ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم اصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده
فثبت ان الحق ما ذكره الكل وهو ان المعنى امرناهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان بالطاعة والقوم خالفوا
ذلك الامر عنادا واقدموا على الفسق وقيل امرنا مترفيها معناه اكثرنا مترفيها فيجعل امرته فامر من باب
فعلته ففعل كثرته فتبر وفي الحديث حسن المال سكة مامورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي
ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وكم اهلكنا كم مفعول اهلكنا من القرون بيان كم
ويميز له كما يميز العدد بالجنس اراد ان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون
ويتمردون فيما تقدم من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم ثم انه تعالى خاطب الرسول
بما يكون خطابا لغيره وردعا وزجرا لكفار مكة فقال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وعيد
وتهديد اي الله يعلم ويرى ما يكون منهم فيجازيهم عليه ما يستحقون فهو بشارة عظيمة لاهل
الايمان وخوف وتهديد عظيم لاهل الشرك **قوله تعالى** من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان
عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا قيل
هذه الاية داخلة في معنى قوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ومعناه ان العمال في الدنيا قسمان
فمنهم من يريد بعمله الدنيا ومنافعها والرياسة فيها فهذا يانف من الانقياد بالانبيا عليهم السلام والدخول
في طاعتهم والاجابة لدعوتهم اشفاقا من زوال الرياسة عنه فهذا قد جعل طاير نفسه سوما لانه في قبضة
الله تعالى فيوتيه الله تعالى في الدنيا منها قدرا لا كما يشاء ذلك الانسان بل كما يشاء الله الا ان عاقبته
جهنم مذموما مدحورا مبعدا مطرودا من رحمة الله تعالى من كان يريد العاجلة اي من كان يريد بعمله الدنيا
فعبر عن التعب بالاسم عجلنا له تفضلنا عليه من منافعها فيها في الدنيا العاجلة ما نشاء قيل المعجل له
بارادته وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير في له يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وهكذا

الحال ترى كثيرا من هاولا يتمنون شيئا ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض ولا يعطون
فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة ثم جعلنا له جهنم اعلم ان العقاب مضرة مقرونة بالاهانة والذم بشرط
ان تكون دايمة خالية عن شيوب المنفعة فقوله وجعلنا له جهنم يصلاها اشارة الى المضرة العظيمة
قوله مذموما اشارة الى الاهانة والذم مدحورا الى البعد والطرد عن رحمة الله وهو يفيد ان تلك المضرة
خالية عن شيوب النفع والرحمة ويفيد كونها دايمة لم يتبدل بالراحة والخلاص نبه الله تعالى ان من اراد
بالعاجلة وعجل الله تعالى له ما يريده لا ينبغي ان يغتر بها ويعتقد ان ذلك لاجل كرامته على الله ويستدل بها
على رضا الله لان الدنيا قد تحصل مع ان عاقبتها هي المصير الى عذاب جهنم والاهانة والطرد عن رحمة الله
ومن اراد الاخرة شرط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور
فان لم يحصل هذه الارادة وهذه النية لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وسعى
لها سعيها اي السعي الذي يصلح لها وذلك بان يكون العمل الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الاخرة من الاعمال التي
بها نيل ثواب الاخرة ولا يكون كذلك الا اذا كان من باب القرب والطاعات والايمان لان الايمان شرط في صحة
الاعمال وعن بعض السلف من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه
الاية مشكورا مثابا عليه مقبولا محفوظا لهم حتى يدخلهم الله الجنة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض
من المضاف اليه وهو منصوب على انه مفعول نمد هاولاء بدل من كل والمعنى نريد هاولا وهاولاء اي
من يريد العاجلة ومن يريد الاخرة فنرزقهما جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا
ممنوعا محبوسا عن عباده والمعنى ان الرزق يعم المومن والكافر والاخرة للمتقين خاصة **قوله تعالى**
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا انظر يا محمد بعين الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم في الرزق والعمل وجعلناهم متفاوتين في التفضل والعطا في الدنيا وفي الاخرة اكبر واكبر
تفضيلا اي التفاوت هناك اكبر وافضل لان التفاوت في الاخرة من وجهين احدهما بالجنة والنار وثانيهما
بالدرجات في الجنة والدركات في النار روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بين اعلى اهل الجنة واسفلهم
درجة كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها وقيل التفاوت في الاخرة اكثر لانها ثواب واعراض وكلها
متفاوتة وكيف فضلنا بعضهم على بعض في الدين اي بعضهم آثر الاخرة فوفقناه للرشاد وبعضهم اثر الدنيا
فخذلناه **قوله تعالى** لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا لما بين ان الناس
فريقان منهم من يريد العاجلة ومنهم من يريد الاخرة وشرط في كون سعي مريدي الاخرة مشكورا الا
والسعي والايمان فضل في هذه الامور الثلثة فبدا بالايمان لانه اصل السعادات واساس عبادات
واشرف اجزا الايمان التوحيد ونفي الشرك والاضداد فقال لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل المعنى عام لجميع المكلفين وقيل يجوز ان يكون التقدير

قل يا محمد

قل يا محمد يا ايها الانسان لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حزته
بمعنى فتصير جامعا على نفسك الذم وما تبعه من الهلاك من الهك سبحانه والخذلان والعجز عن النصرة
ممن جعلته شريكا له فتقعد انتصب لانه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه باضمار ان كقولك
لا ينقطع عنا فنخفوك اي لانك منك انقطاع فيحصل ان نخفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة
بحرف الفاء وانما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزا في ان الثاني مسبب عن الاول كذلك تقدير
الاية ان جعلت مع الله الها اخر قعدت مذموما مخذولا **قوله تعالى** وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا لما ذكر في الاية الاولى ما هو الركن
الاعظم من الايمان اتبعه بذكر ما هو من شعاير الايمان وشرايعها فبدا بعبادة الله تعالى بان تعبدوا الله
ولا تعبدوا غيره وقضى ربك وامر ربك امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا نهي او باف لا تعبدوا
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين احسانا على تقدير ان مفسرة او بان تحسنوا بالوالدين احسانا
على تقدير ان تكون ان موصولة اما يبلغن قرا حمزة والكسائي وخلف يبلغان بالالف على التثنية على ان
يكون احدهما ايضا توكيدا ولا يصح ان يكون احدهما توكيدا لان احدهما لا يصح ان يكون توكيدا للايتين قال
صاحب الكشاف فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد
على البدل قلت لو اريد توكيدا لنفسه لقيل كلاهما عطفا عليه اما يبلغان هي الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا
لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان على ما لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك
ولكن اما تكرمنه فلا تقل لهما اف قرا ابن كثير وابن عامر اف بفتح الفاء من غير تنوين ونافع وحفص عن عاصم
اف بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين قيل معنى اف وسخ الظفر وقيل وسخ الاذن وقيل
قلامة الظفر وقيل الاحتقار والاستصغار وقيل ما رفعته من الارض من عود او قصبة وقيل
النتن والتضجر وقيل الاف صوت يدل على تضجر ومعنى عندك هو ان يكبرا ويعجز فكانا كلا على ولدهما لا كافل
لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان
منه في حال الطفولية فهو مامور بان يستعمل معهما وطاة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول
لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما ان فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في
التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيد ونظمهما في سلك القضا بهما معا ثم ضيق
الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنقلب من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا تكاد تدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي

صارت يعني م

والنهر واليهم اخوات وقيل لا تكليهما ضجرًا صايحًا في وجوههما وقيل لا تنقض يدك عليهما وقل لهما
بدل التافيف قولا كريما حسنًا جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول عن المروة وعن سعيد بن المسيب
كقول العبد المذنب للسيد القط وعن عطا لا تدعهما باسمايهما وقل لهما يا ابتاه يا ماه كما قال ابرهيم عليه السلام
لابيه يا ابة مع كفره قيل الدعا بالاسم من الجفا وسوء الادب وعادة الدعا وقيل لا باس به في غير وجهه الدعا
كما قالت عايشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل قيل معناه واخفض لهما جناحك كما قال
جناحك للمومنين فاضافه الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول وقيل
جعل لذله لهما جناحًا خفيضا كما جعل كبد السماء زبدا وللقرة زمامًا مبالغة في التواضع والذليل لهما من الرحمة
من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليها بالامس ولا تكتف
برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما لرحمته الباقية كما ربياني صغيرا اي اجعل ذلك جزا لرحمتهما
عليك في صغرك وتربيتهما لك في صغرك قيل هذا الدعا المطلق السايل للمسلمين والكفار المشركين نسخ منه الدعا
لاهل الشرك بقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولا يكون هذا نسخًا عند الفقها لانه
عام دخله التخصيص وقيل اذا كان الوالدان كافرين للولد ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعوا الله لهما
بالهداية والارشاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال للعاق اعمل ما شيت فاني لا اغفر لك ويقال للبار اعمل ما شيت فاني
ساغفر لك ربكم اعلم بما في نفوسكم البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ومن العقوق ممن بدرت
منه بادرة وهو لا يضمر العقوق غفر له ذلك ان تكونوا صالحين طايعين لله بارين قاصدين الصلاح فانه
كان للاوابين غفورًا قيل للمسلمين وقيل للتوابين وقيل للتايبين مرة بعد اخرى وقيل المقلعين عن جميع
ما نهاهم يقال آب يوب اذا رجع وقيل للمطيعين وقيل للذاكرين لذنوبهم فيستغفرون الله منها وقيل
للمقبلين الى الله بقلوبهم واعمالهم وقيل للمصلين وقيل للمصلين بين المغرب والعشا وقيل للمصلين صلاة الضحى
وقيل للمذنبين سرًا التايبين سرًا **قوله تعالى** وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرًا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولًا ميسورًا وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد
التوصية بهما ذا القربى قرابة الرجل من قبل ابيه وامه فعلى هذا قيل حقه برهم وصلتهم وقيل النفقة الواجبة
لهم وقت الحاجة وقيل الوصية لهم عند الوفاة وقيل انهم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون
حقهم اعطاوهم من الخمس ويكون الخطاب للولاة والمسكين وابن السبيل قيل حقهما الصدقات الواجبة
اي الزكوة ويجوز ان يكون الحق الذي يلزم اعطاوه عند الضرورة اليه وقيل حق المسلمين من الصدقة
وحق ابن السبيل من الضيافة ولا تبذر تبذيرًا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف

وقيل

وقيل معناه ولا تنفق مالك في المعصية سيل بن مسعود وما التبذير قال انفاق المال في غير حقه وعن
مجاهد لو انفق انسان ماله كله ما كان تبذيرًا ولو انفق مدًا في باطل كان تبذيرًا وقد انفق بعضهم
نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قال الزجاج التبذير النفقة
في غير طاعة الله وكانت الجاهلية تنحر الابل وتبذر الاموال في الفخر والسمعة فامر الله عز وجل بالنفقة
في وجهها فيما يقرب منه ان المبذرين كانوا اولياهم اعوانهم وامثالهم في الشرارة والعرب تقول لكل ملازم
سنة قوم وتابع امرهم هو اخوهم وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا
جحودًا لنعمه فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعوا الا مثل فعله واما تعرضن نزلت في بلال وصهيب وخباب
كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد له متسعًا فيعرض حياءً منهم
فانزل الله عز وجل وانما تعرضن عنهم اي وان تعرض عن هاولاء الذين امرتك ان تؤتيهم حقوقهم عند مسالتهم
اياك ما لا يجد اليه سبيلا حياءً منهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم
قولا ميسورًا قيل وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورًا ولا تتركهم
غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا وليس عنده اعرض عن السايل وسكت حياءً
وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط فقدما عليه اي فقل لهم قولا لينا سهلا وعدهم وعدًا جميلا
رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي اتبع رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط
اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردًا جميلا فوضع الابتغا
موضع الفقد لان فاقد الرزق متبع له فكان الفقد سبب الابتغا والابتغا مسببًا عنه فوضع المسبب
موضع السبب وقيل معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
لوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال به عسر الامر وعسل مثل سعد الرجل ونحس
فهو مفعول وقيل معناه وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور
وهو اليسر اي دعا فيه بيسر **قوله تعالى** ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين
الاسراف والتقتير قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك مثل للشح والامساك عن العطا لان من قبض يده
عن الاعطا صار كاليد المشدودة الى العنق ولا تبسطها كل البسط مثل للاسراف وانعام المال فيما لا ينبغي فجعل
بسط اليد عبارة عن الاعطا لان المعطي يبسط يده نحو المعطى والبسط ضد القبض واذا بسط اليد تجاوز
حد الاعتدال فتقعد فتصير ملومًا عند الله لان المسرف غير مرضي عند الله وعند الناس يقول المحتاج اعطى
فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبيرا من المعيشة وعند نفسك واذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورًا منقطعًا بك لا شي عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وحسرة بالملة قال الزجاج المحسور

الى م

وانفاق ظ

الذى قد بلغ الغاية فى التعب والاعياء قال جابر بن عبد الله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فيما بين
الصحابة اتاه صبى فقال يا رسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا قميصه فقال من ساعته الى ساعة يظهر فعد وقتا اخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع
الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال للصلاة
فاسطروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله هذه الاية ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك يعنى ولا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمشدودة ولا تبسطها كل البسط
جميع ما عندك فتقعد ملوما يلومك سايلوك اذا لم تعطهم محسورا منقطعا بك لا شئ عندك تنفقه يقال
حسرته المسالة اذا احفته وداسه حسرا اذا كانت كالة زارحة وحسر البصر اذا كل قال الله يعذب اليك
البصر خاسيا وهو حسير وعن قتادة محسورا نادما على ما فرط منك وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من
الابل وعيينة بن حصن مائة فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول اتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة
والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدى ولم تجمع ومادون واحد منهما ومن يضع اليوم
لا يرفع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بكرا قطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فنزلت وقيل
هذا الخطاب اريد به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر
على بطنه وقد كان كثير من فضلاء الصحابة يصعون جميع ما يملكون فلم يسهم الله لصحة يقينهم وانما نهى من
خيف عليه التحسير على ما خرج من يده فاما من وثق بعهد الله فهو غير مراد بالاية **قوله تعالى**
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس بهوان منك عليه ولا بخل عليك ولكن ربك هو الذى
يبسط العباد فيبسط الرزق لمن يشاء بوسعه كالثوب المبسوط يصيب الجهات ويقدر يضيق
لمن يشاء انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم مصالح العباد كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض
وقيل يبدان البسط والقبض انما هما من امر الله الذى بخزائنه فاما العبيد فعليهم ان يقصدوا وقيل
يريد ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده او يقبض فانه يراعى الاقتصاد لا يبلغ بالمبسوط له غاية
مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروه فاستنوا بسنته **قوله تعالى** ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما بين فى الاية الاولى انه هو المتكفل
بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اتبعه بقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق وقيل انه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين فى الاية المتقدمة علم فى هذه الاية كيفية البر بالاولاد
وانما اوجب البر بالاباء مكافاة على ما صدر منهم من انواع البر وانما اوجب البر بالاولاد لانهم فى غاية الضعف
ولا كافل لهم غير الوالدين قيل اراد بقتل الاولاد وأد البنات وكانت العرب ذلك مخافة العار

وقيل

وقيل خشية الاملاق وانما ذكروان كان المراد به البنات حملا على لفظ الاولاد وظاهر الاية
يدل على انهم كانوا يقتلون الاولاد خشية الاملاق ولهذا ذكر الضمير وقال فى الانعام من املاق
اى من اطراق واقع بكم ولهذا قدمهم وقال هاهنا خشية املاق لم يقع بعد ولهذا اخبر ان قتلهم
كان خطأ قراءابن كثير خطا مكسورة الخاء محدودة مهموزة من غير مد مصدر خطئ خطأ وهو
ضد الصواب والباقون مكسورة الخاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة مصدر خطئ خطأ كاثم اثما
وزنا ومعنى **قوله تعالى** ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
فاحشة قبيحة زايدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك
امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب الذى ساغ فى الشرع ميسر وهو الضيرا لذى
شرعه الله **قوله تعالى** ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق الا باحدى
ثلاث بكفر او بقتل مومنا عمدا او بزنى بعد احصان **قوله تعالى** ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا اى ومن قتل مظلوما غير قاتل
واحدة منهن فقد جعلنا لوليه الذى بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فانه لم يكن له
ولى على هذا الوجه فلسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل فى الاقتصاص وقيل سلطانا حجة
سبب بها عليه فلا يسرف الولى اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية
اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة وقيل لا يمثل به وقيل هو ان يولى قتل القاتل دون السلطان
وقيل يحوز ان يكون الضمير راجعا الى القاتل الاول اى فلا يسرف القاتل بالعمل بعد يا وظلما انه كان
منصورا قيل ان الولى كان منصورا اى حسبه ان الله قد نصر بان اوجب له القصاص ومكنه
منه فلا يستزد على ذلك وبان الله نصر بمعونة السلطان وباطهاد المومنين على استيفاء الحق
فلا يبغ ما وراء حقه وقيل ان المظلوم كان منصورا لان الله تعالى ناصر حيث اوجب له القصاص
بقتله ونصر فى الاخرة بالثواب وقيل ان الذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور
بايجاب القصاص على المسرف وبالثواب فى الاخرة **قوله تعالى** ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا الا بالتى هى احسن
بالحصلة او الطريقة التى هى احسن وهى حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسئولا مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه وينوبه قيل ويحوز ان يكون بخيلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهما
او فى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت ويحوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا
قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن
تاويلا قراءابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم قسطاس بضم القاف وحمزة

والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف وهما لغتان وقيل وهو الميزان رومي معرب وقيل كل ميزان
صغير او كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل القسطاس يعبر به عن العدالة كما يعبر بالميزان عنها
واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه **قوله تعالى**
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا قفوت الرجل
اذا قذفته بفجور صريحا وفي الحديث لا حد الا في القفو البين وقفوت الرجل اقفوه قفوا اذا رميته بامر قبيح
والاسم القفوة بالكسر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضير من كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي
ابينا والقفو البهت والقذف بالباطل ولهذا قيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس
فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج منه اي قذف والردغة الطينة والخبال هو صديد اهل النار
وقال النابغة ومثل الرمي سمر العرانين ساكن بهن الحيا لا يسعن التقافيا وقال الكميت ولا ارمي
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان تفينا قيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفو الامور اي
يكون في اقفائها يتعقبها ويتتبعها ويتعرفها ويقال قفوت اثره على وزن دعوت والنهي منه لا تقف مثل لا تدع
وقيل اصله عن القيافة وهي اتباع الاثر فيكون ولا تقف مثل ولا تقل الا ان العرب تقول قفوت اثره
وقفت مثل قولهم قاع الفحل الناقة وقاعها وغاث وغثا واغتام واغتمى واجتاح واجتحى قال الشاعر
ولو اني رميتك من بعيد لعاقك عن دعا الذنب عاق اي عايق قيل معناه ولا تزم احدا بما ليس لك به علم
اي ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده
فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وقيل لا تقل رايت ولم تره ولا سمعت ولم تسمعه وعلمت
ولم تعلمه وقيل لا تشرك بالله شيئا وعن محمد بن الحنفية شهادة الزور عن الحسين لا تقف اخاك المسلم
اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل كذا وسمعته ولم تر ولم تسمع ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا عنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد
كان مسئولا عنه فمسئولا مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان
لم سمعت ما لم يحل لك العزم عليه وقيل ان تقدير الاية ان اولئك الاقوام مسئولون عن السمع والبصر
والفؤاد فيقال لهم استعملت السمع فيما ذا في الطاعة او في المعصية وكذا القول في بقية الاعضا
وذلك لان السمع والبصر والفؤاد الات النفس والنفس كالامير لها والمستعمل في مصالحها فان استعملتها
في الخير يحصل لها الثواب بحكم الوعد على سبيل التفضيل وان استعملتها في الشر فقد يعاقب عليها بحكم
الوعيد على سبيل العدل وقيل يجوز ان يخلق الله تعالى الحياة في السمع والبصر والفؤاد ثم انها تشهد على الانسان
يدل على ذلك قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون **قوله تعالى**
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها

مرحا

مرحا حال اي ذا مرح والمرح شدة الفرح والمعنى ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا وكبرا وفخرا وخيلاء انك
لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال ان تساويها
وتحاذيها بكبرك فنهى الله عباده عن الكبر والفخر والاشر والبطر واخبر ان صاحبه لا ينال به شيئا يقصر
عنه غيره كل ذلك كان سيئه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو سيئه منصوبة والباقون بضم الها والهمزة على اضافة
سيء الى ضمير كل اما وجه القراة الاولى ان الكلام تم عند قوله تاويلا ثم ابتدا وقال ولا تقف وكل ذلك اشارة
الى نهي الله عنه كان سيئه وقوله مكروها لان السيئة في حكم الاسما بمنزلة الاثم والذنب زال عنه حكم
الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين سيا وسيئة الا ترى الى قوله الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة
فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث وقيل هو على التكرير والبدل لا على الصفة تقديره كل ذلك كان سيئة
وكان مكروها وقيل محمول على المعنى لان السيئة ما يسوء وهو مذكر ومعنى القراة الثانية ان كل ما ذكرنا من قوله
وقضى ربك الى قوله ان لا تعبدوا الا اياه كان سيئه اي ما ذكرنا وعددنا عليك كان عند ربك مكروها لان فيما
ذكر وعد من قوله وقضى ربك الى قوله ولن تبلغ الجبال طولا امورا حسنة وليست بسيئة **قوله
تعالى** ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ان الله تعالى جمع في هذه
الايات انواعا من التكاليف بعضها من الاوامر وبعضها من النواهي وافتتح بقوله لا تجعل مع الله الها
اخر فان اصل التكاليف النهي عن عبادة غير الله والامر بعبادته تعالى وختم بقوله ولا تجعل مع الله الها
اخر فانه الغرض والمقصود ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه اي ولا تجعل
مع الله الها اخر وسماه حكمة لان الحكمة معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد هو القسم الاول
وساير التكاليف فعلم الخيرات ليواظب الانسان عليها ولا ينحرف عنها وهو القسم الثاني فثبت ان ذلك مما
اوحى اليك ربك من الحكمة وقيل سماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه
الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في
الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد
هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه وان وان يذقها الحكما وحك بنا فوحة السماء وما اغنت
عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم واعلم انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان الشرك يوجب
ان يلقى صاحبه في جهنم ملوما مدحورا فاللوم والخذلان في الدنيا والالقاء في جهنم في الاخرى افاصفيكم لما
نبه على فساد طريقة من اثبت لله شريكا اتبعه بفساد طريق من اثبت الولد لله ثم نبه على كمال جهل هذه الفرقة
وهو انهم اعتقدوا ان الولد صنفين البنين والبنات اشرفهما البنون واخسهما البنات ثم انهم اثبتوا البنين
لانفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم واثبتوا البنات لله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف

بالكمال الذى لا نهاية له والجلال الذى لا غاية له وذلك يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول
افأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة استفهام على سبيل الانكار اى اخصكم ربكم
على وجه الخلوص والصفا بالبنين الذين هم افضل الاولاد لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكة
اناثا هن ادون الاولاد وهذا خلاف ما عليه عادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها
من الشوب ويكونون اردأها واوغلها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما ماضافتكم الى الله الاولاد وهى خاصة
بالاحسام ثم بانكم تفصلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة اناثا

قوله تعالى ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا التصريف
تغيير الشئ من جهة الى جهة وقد يطلق ويراد به التبيين فان من حاول بيان شئ فانه يصرف كلامه من
نوع الى نوع اخر والمعنى ولقد صرفنا فى هذا القرآن معانى العبر والحكم والامثال والاحكام والحلال والحرام
قيل معناه لم يجعل فى هذا القرآن نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا وامرا ونهيا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا
واخبارا وامثالا مثل تصريف الرياح وتصريف الافعال من الماضى الى المستقبل ومن الفاعل الى المفعول
ونحوها وقيل معناه انه لم ينزل جملة واحدة بل نجوما مثل قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس والمعنى اكثرنا صرف
جبريل اليك قال صاحب الكشاف نحو ان يوحد هذا القرآن ابطالا اضافتهم الى الله عز وجل البنات لانه مما صرفه
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وجعلنا مكانا للتكرير
ونحو ان يشير بهذا القرآن الى السبيل ونرد ولقد صرفنا هذا المعنى فى مواضع من السبيل فنترك الضمير
لانه معلوم ليذكروا قراءة حمزة والكسائى وخلف لتذكروا بفتح الياء وسكون الذال وضم الكاف مخففا
والباقون بفتح الياء والذال مشددا وكذلك قوله اراءة الفرقان اما القراءة الاولى ففيه وجهان
الاول ان الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا
ما فيه والثانى ان يكون المعنى صرفنا هذه الدلائل لتذكروه بالسنتكم لان الذكر باللسان قد يؤدى الى
تأثر القلب بمعناه واما القراءة الثانية فالمعنى ولقد صرفناه لينتعظوا ويتدبروا ويعتبروا ويطمئنوا
الى ما يحق به عليهم وما يزيدهم تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا ذهابا وبعدا عن الحق واتباعه وقيل عن النظر
والاعتبار

قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا
قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما تقولون قراءة ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالتاء اذا
دالة على ان الابتغاء جواب عن مقالة المشركين وجزاء لو فيقال معنى لابتغوا الطلبوا اى الالهة القربة
الى ذى العرش سبيلا والتمسوا الزلفة عنده عن قتادة يقول لو كان معه آلهة كما يقولون لعرفوا سبيله
ومرتبته عليهم فابتغوا ما يقربهم اليه وقيل معناه اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ليقهروه ويزيلوا ما له
كفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله اذا لذهب كل اله

بما خلق

بما خلق ولعلى بعضهم على بعض

قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه
الله نفسه فقال سبحانه وتعالى عما يقولون قراءة حمزة والكسائى بالتاء والباقون بالياء علوا فى معنى تعاليا
والمراد البراءة والنزاهة مما يقولون ووصف العلو بالكبر للمبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به

قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا تسبح قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم
بالياء والباقون بالتاء المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث يدل على توحيد الله وتقدسه وعن قتادة وعلمه
وقدرته وحكمته كانها تنطق بذلك وكانها تنزهه تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء والاولاد وغيرها ومن
فيهن تسبح على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض قيل التسبيح المجازى
متحقق فى الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز وقد عرفت
انه لا محذور فيه وان من شئ الا يسبح بحمده بلسان الحال ولكن لا تفقهون تسبيحهم قيل الخطاب للمشركين
وهم ان قالوا الله ان سئلوا عن خالق السموات والارض الا انهم جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا
التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق وعن ابن عباس وان من شئ حى وهو الحسى والضحاك من شئ
فيه روح وعن قتادة يعنى الحيوانات والنامیات وعن عكرمة الشجر يسبح والاسطوانة لا تسبح انه
كان حليما عن جهل العباد وغفلتهم حين لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء نظرهم وجهلهم بالتسبيح
وشركهم غفورا لذنوب المؤمنين

قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا واذا ذكرت
ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا لما تكلم فى الآية المتقدمة مما يتعلق بالتوحيد نظم فى هذه الآية ما يتعلق بالنبوة واذا
قرأت القرآن يا محمد جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة بالبعث والثواب والعقاب اى
المشركين حجابا يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به مستورا اذا ستر كقولهم سهم مقنع ذو اقنعام
وقيل مستورا على اعين الناس فلا يرونه عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابى لهب جاءت امرأة
ابى لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال يا رسول الله لو تنحيت عنها لا تسمعك
فانها امرأة بذية فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه سيحال بينى وبينها فلم تره فقالت لابى بكر رضى الله
عنه هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق الشعر ولا يقوله قالت انك لمصدق فانصرفت راجعة فقال
ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله اما رأتك قال لم يزل ملك بينى وبينها يستر حتى ذهبت وقيل اراد

انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره وقيل حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب
به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا على زعمهم بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا
وقيل مستورا ان ياتوا بمثله اي القران وقيل حجابا مستورا به وقيل يجوز ان يكون حالا مما تقدم لا وصفا
للحجاب وقيل ان قوما من الكفار كانوا يودون النبي ويمنعونه من الخروج الى الصلاة فستره عن الاعين
الظاهرة عن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلث ايات الاية التي في الكهف
انا جعلنا على قلوبهم اكنة والاية التي في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
والاية التي في الجاثية افرايت من اتخذ الهه هواه وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ولان قوله وجعلنا
على قلوبهم اكنة فيه معنى النفي من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك
في القران وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة وحده مصدر ساد مسد الحال اصله
يحد وحده بمعنى واحدا وحدة يعني قلت لا اله الا الله في القران وانت تتلوه ولوا على ادبارهم اي رجعوا على
اعقابهم نفورا اما مصدر اي نفروا نفورا واما جمع نافر كقاعد وقعود اي نفورا من استماع التوحيد ارادوا
ان يذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران
ومن الكفو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازين اي
ملتبسين بالهزء اذ يستمعون اليك نصب باعلم اي نحن اعلم بما يستمعون هازئين وقت استماعهم
واذهم نجوى ولا يتناجون به اذهم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذهم نجوى الظالمون ان تتبعون الا
رجلا مسحورا هذا ما كانوا يتناجون به وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة فكانوا اذا ارادوا مشورة
اجتمعوا هناك فقال بعضهم لبعض ان محمدا مسحور اي سحر فنحن وقيل مسحور من السحر وهو الرية اي هو
بشر مثلكم ياكل ويشرب مثلكم يقول العرب للجبان قد انتفخ ولكل من اكل وشرب من ادمي وغيره مسحورا
انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال شبهوا لك الاشياء ومثلوك فقالوا ساحر وكاهن وشاعر ومسحور
ومجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في اليه سبيلا يسلكه فلا يستطيعون سبيلا مخرجا
ولا يهتدون الى طريق الحق متحيرين في امرك لا يدرون ما يصنعون **قوله تعالى** وقالوا
ءاذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر
في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا تكلم
اولا في التوحيد ثم تكلم فيما يتعلق بالنبوة ثم في هذه الاية تكلم فيما يتعلق بالمعاد والبعث والقيامة وقالوا

اي المشركون

اي المشركون المنكرون البعث ءاذا كنا استفهام على سبيل الانكار عظاما ورفاتا عن ابن عباس
غبارا وعن مجاهد ترابا والرفات ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والرصاص ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا نبعث ونخلق وخلقا جديدا حين صرنا بعد الموت عظاما ورفاتا حطاما والعامل في ءاذا لفظ
من البعث كما ذكر لا المبعوث لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله قيل كذبوا لما قالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا
قل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قوله كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا او خلقا اكبر
مما في صدوركم ولا تكونوا عظاما ورفاتا فسيعيدكم الله فانه يقدر على احياكم والمعنى انكم تنكرون وتستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام
بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس بمستنكر ولا ببدع ان يردها الله سبحانه بقدرته
الى حالها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة
يابسة او حديدا مع ان طباعها الحساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا
مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وهو
اكبر الاشياء في صدورهم اي لو كنتم الموت لاماتكم ثم احياكم وعن الكلبي ~~هو البعث وعن الكلبي~~ هو البعث
وعن مجاهد السماء والارض والجبال تقول كونوا ما شئتم فان الله تعالى يميتكم ثم يبعثكم فسيقولون من يعيدنا
والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فان اعادة الحياة ممكنة فعند
ذلك قالوا من هذا الذي يعيدنا اذا كنا على هذا الوجه فقال تعالى قل يا محمد الذي فطركم اول مرة يعيدكم
فسينغضون اليك رؤسهم تعجبا واستهزاء اي اذا قلت لهم ذلك يحركون رؤسهم تحرك متعجبين
مستهزئين بها نغضت سنه تحركت وانفعلت من اصلها ويقولون متى هو استبعادا وتعجبا قل عسى
ان يكون قريبا اي هو قريب لان عسى من الله يفيد الوجوب بحكم الوعد والاخبار نظيره وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا وقوله ولعل الساعة قريب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة وقيل
يدعوكم من قبوركم وقيل يدعوكم اسرافيل وهو النفخة الاخرة عن مقاتل وذلك ان اسرافيل يقوم على صخرة
بيت المقدس يدعوا اهل القبور في قرن ويقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المنقطعة
اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم عن ابن عباس الدعاء النداء بالصيحة التي يسمعونها فتكون داعية
لهم في الاجتماع الى ارض القبة فيستجيبون فيجيبون بحمده وقيل بامره ويقصدون نحو الداعي وقيل
بقدرته ودعائه اياكم وقيل بحمد الله لا بحمد منهم لانه حال اضطرار وقيل الباء للحال اي فيجيبون حامدين
وقيل الدعاء والاجابة مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون حامدين وهي
مبالغة في انقيادهم البعث كقولك لمن يامره بركوب ما يشق عليه فيتاتى ويتمنع ستركبه وانت حامد شاكر
يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما

الحيوة ط

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا مفشرهم فكاني
باهل لا اله الا الله وهم ينفضون التراب عن روسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وتظنون
ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم
وقيل تستقصرون مدة موتهم لانهم لا يشعرون بالمدة التي مرت بهم وهم اموات عن قتادة تحاقرت
الدنيا في انفسهم وقلت حين عاينوا يوم القيمة ان لبثتم بين النفختين توفهون من العذاب وبينهما
اربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلا **قوله تعالى** وقل لعبادي يقولوا التي هي
احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشاء
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا وقل يا محمد لعبادي المومنين يقولون للمشركين
الكلمة التي هي احسن والتي نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا من العرب شتمه
فامره تعالى بالعفو وعن الكلبي كان المشركون يودون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهم بالقول والفعل فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اي يردوا خيرا على
من اساء القول فيهم وقيل التي هي احسن شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وعن الزجاج لا يذكروا غيرهم الا بالمحاسن ويكفوا عن مساويه وقيل الكلمة التي هي احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم فسر
التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم وان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله
ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل ان يشا يرحمكم بالتوبة او ان يشاء يعذبكم بالاقامة على المعصية
وقيل هذا خطاب للمومنين معناه قل يا محمد لعبادي المومنين ان يشاء يرحمكم فينجيكم من اعدايكم اي من
اهل مكة او ان يشاء يعذبكم ويسلطهم عليكم وما ارسلناك عليكم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمدارة والاحتمال وترك
المحاماة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وربكم اعلم بمن في السموات لما قال قبل ذلك ربكم اعلم بكم
قال بعده ربكم اعلم بمن في السموات اي علم ربكم غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بمن في السموات
والارض وبكل شيء فعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد هذا رد على اهل مكة في
انكارهم واستبعادهم ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم واتينا داود زبورا دلالة على وجه
تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه خاتم النبيين وان امته خير الامم لان ذلك

مكتوب

مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال صاحب الكشاف فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد
كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا
داود بعض الزبور وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك
زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا **قوله تعالى** قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا المقصود من هذه الاية
الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد بعض المقربين من عباد
الله وهم الملايكة فان الله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الاية فقال قل ادعوا الذين زعمتم قيل هم
الملايكة وقيل عيسى وعزير وقيل نفر من الجن عندهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي قل
ادعوا الذين زعمتم ادعيتم انها الهة من دونه سوى الله فلا يملكون اي المدعوون كشف الضر عنكم
يعني البوس والشدة والقحط الذي ابتلوا به سبع سنين ولا تحويلا اي تحويل ذلك منكم الى غيركم
وقيل ولا تحويلا من السقم الى الصحة والفقر الى الغنى نزلت حين سكت قريش الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما نزل بهم من القحط اوليك الذين اوليك مبتدا الذين صفته يدعون صلة الذين
يبتغون خبره والمعنى اوليك الذين يدعون هم الهة وقيل يعبدونهم يبتغون اي اوليك يبتغون الوسيلة
وهي القربة الى الله انهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي اوليك يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة
الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل اوليك يحرصون ايهم يكون
اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عبادة الله فكيف
يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا لما قال ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها
محالها يؤول الى الاهلاك او التعذيب اي وما من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة اي مخربوها
ومهلكوا اهلها بالسيف او معذبوها عذابا شديدا اذا كفروا وعصوا وقيل هذه الاية عامة عن مقاتل
اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مثبتا
مكتوبا **قوله تعالى** وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا

كبير ٤ لما ذكر الدليل على فساد قول المشركين واتبعه بالوعد اتبعه بذكر مسلم النبوة وذلك لان كفار
قريش اقترحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبار معجزات عظيمة كما حكى الله عنهم انهم قالوا لولا اوتي
مثل ما اوتي الرسل الاولون وقيل المراد ما طلبوه بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعن سعيد
بن جبير ان القوم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فاتنا
بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى بقوله وما منعنا ان نرسل في محل النصب لانه مفعول منعنا
اي وما منعنا ارسال الايات الا ان كذب في محل الرفع بتقدير وما منعنا ارسال الايات شيء من الاشياء
الا تكذيب الاولين والمراد بالايات الايات التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى و
غير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح من الرسول اية فاجاب الرسول اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب
الاستيصال فالمعنى وما منعنا ارسال الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من
المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وان الايات لو ارسلنا بها لكذب هذه الامة تكذيب الاولين وقالوا هذا
سحر مبين كما قالوه في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل بحكم العادة وقد عزمنا ان نؤخر امر الامة التي
ارسلت اليها الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا اية
واحدة وهي ناقة صالح لان اثارها لاكهم في بلاد العرب قريبة من حدود هم يبصرها صادرهم وواردهم
مبصرة مضيئة فظلموا فكفروا بها وجحدوا بها من عند الله وما نرسل بالايات قيل بالايات المقترحة الا تخويفا
للعباد من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم عن عادة الله بحوف الناس
بما شاء من اياته لعلهم يعتبرون او يذكرون او يرجعون وقيل بالايات الغير المقترحة اي وما نرسل بالايات الغير
المقترحة كايات القرآن الا تخويفا وانذارا لعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قيل معناه ان
الناس في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيته وهو مانعك منهم رجاء بطل فلا تهتم وامض لما امرت
به من تبليغ رسالتي عن مقاتل احاط بالناس يعني اهل مكة وانها ستفتح لك والحوط احفظ وبحوط بهذه وقيل
معناه واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش اي بشرناك بوقعة بدر بالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر قال الذين كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كانه قد كان ووجه هذا احاطة بالناس على ربه
في اخباره وما جعلنا الرويا التي اريناك قيل رويا عين وهي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
من العجايب والايات فكانت تلك فتنة للناس فقوم انكروا وكذبوا وقوم ارتدوا وقوم صدقوا والعرب
تقول رايت بعيني رؤيا ورؤيا وقيل هي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بروحه دون بدنه
فلما قصها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه افتتن بها ناس من المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين
وعن ابن عباس هي رويا منام رأى انه يدخل مكة ويفوه قوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ومعنى الفتنة على هذا القول انه لما رجع به من الحديبية اشتبه على كثير منهم وجه الامر

حتى قال

حتى قال ابو بكر رضي الله عنه اقال لكم تدخلوها في هذه السنة قالوا لا فسندخلها من بعد لا محالة وعن
سعيد بن المسيب انها رؤيا منام وهي انه صلى الله عليه وسلم راى قردة ينزون على منبره فساءه ذلك
فقيل ما اولت فقال بنو امية وفي رواية راى قوما من بني امية ينزون على منبره وينزون عليه نزو القرد فساءه
ذلك فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم ومعنى العسف على هذا ما كانوا في ذلك الوقت والشجرة
الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي عند الجمهور شجرة الزقوم التي ذكرت في قوله تعالى انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم والمعنى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس
وفتنة الناس في الشجرة الملعونة انها لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل ان محمدا يوعدكم بنار تحرق الحجارة
ثم يزعم انه ينبت فيها شجرة وانتم تعلمون ان النار تحرق الشجر فاتوني بزقوم فاكلوه فقال عبد الله بن الزبعرى
انما الزبد والتمر فقال ترقوا قوم فانها ما يخوفكم به محمد والله ما نعلم الزقوم الا الزبد والتمر فانزل الله هذه الاية
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ووصفها في الصافات فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وعن ابن عباس ايضا
الكشوث الذي يلوى على الشجرة وقيل هي اليهود وقيل هي من قبيلة من العرب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل
وقيل هي الملعونة انها لما اشبه طلعها رؤوس الشياطين والشيطان ملعون كانت الشجرة ملعونة وقيل
انه اكلها ملعون فاجرى الله اللعنة عليها وقيل سميت ملعونة لضررها والعرب تسمي كل ضار ملعونا ومن
حملها على اليهود وابي جهل فظاهر وتخويفهم بالنار وما فيها وما نزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا كفرا
ومجاوزة حد المعصية فكيف يخاف قوم هذا حالهم بارسال ما يقترحون من الايات **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال اءسجد لمن خلقت
طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك
واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
لما ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان في محنة شديدة من ابليس وقيل انه تعالى وصفهم بقوله
وما نزيدهم الا طغيانا كبيرا فبين ما هو السبب لهذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته
ولهذا ذكر قصة ابليس وادم واذ قلنا واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
قال اءسجد قراءة الكوفيين بهمزتين والباقون بهمزة ممدودة وهذا استفهام انكار اي لم اكن لافعل
طينا قيل حال من الموصول والعامل فيه اسجد لمن كان وقت خلقته طينا اي اصله طين وقيل حال من
الراجع من الصلة الى الموصول على معنى اسجد لمن كان وقت خلقه طينا وقيل منصوب على التمييز
اي لمن خلقه من طين قال ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي
كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف الجواب وهو قوله لكرمته علي وانا خير منه ثم ابتدا

وقال لئن اخرتني واللام موطية للقسم المحذوف قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بياء في الوصل ووقف ابن كثير
بالياء وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بغير ياء في وصل ولا وقف لاحتنكن ذريته لاستاصلهم بالاغواء
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا من الحنك واحتنك فلان ما عند فلان من العلم اذا استقصاه
والمعنى لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم وقيل لاضلنهم الا قليلا عن ابن عباس هم اولياء الله
الذين عصمهم قال الله اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجي وانما هو معناه امض لشانك الذي
اخترته خذلانا وتخلية وطردا وابعادا وقيل تباعد عن حمله واياي بعد ان عصيت فمن تبعك اي تبع امرك
منهم من ذرية ادم فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم غلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون للتابعين على
طريقة الالتفات جزاء موفورا مكملا وانتصب جزاء على المصدر من معنى يجازون الذي في قوله
فان جهنم جزاؤكم او باضمار او انتصب على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور وقيل هو تمييز تقول وفرت الشي
فوفر فهو لازم ومتعد واستفزز واستخفف استفزه استخفه والفز الخفيف من استطعت منهم من ذرية
ادم بصوتك عن ابن عباس بدعايك الى معصية الله وعن مجاهد بالغنا والمزامير واجلب من الجلبة وهي
الصياح اي اجمع وصح والمعنى اجبهم عليه بالاغواء والصد عن طاعتي وعن مقاتل استعن عليهم بخيلك
بركبان جندك ورجلك ومشاتهم والرجل اسم جمع للراجل كركب اسم جمع كراكب وصحب اسم جمع كصاحب
عن ابن عباس ان خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس
وما كان من راجل مقاتل في معصية الله فهو من رجل قال صاحب الكشاف ما معنى استفزاز ابليس
بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار
اوقع على قوم يصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم من مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله
ورجاله حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال قيل كل ما اصيب من حرام وانفق في حرام وقيل المشاركة في
الاموال كل معصية يحملهم عليها في مايهما كالزنا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسايبة والانفاق في الفسوق
ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد
الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الباطلة
والكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها وايثار العاجل على الاجال وما يعدهم الشيطان الا غرورا يغتر بهم والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه
صواب **قوله تعالى** ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ان
عبادي المخلصين ليس لك عليهم سلطان لا يقدر ان يغويهم او يحملهم على ذنب لا يغفر وقيل لا سبيل
لك على عبادي سوى وسوستك لهم في الدعا الى المعاصي وقيل ان عبادي الذين اطاعوني وعصوك امري
ليس لك عليهم سلطان ليس لك عليهم حجة وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك **قوله**

تعالى

تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم
جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم
قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا انه تعالى عاد الى ذكر الدلايل الدالة
على قدرته وحكمته ورحمته وقد علم بالاستقرا ان المقصود الاعظم في القران الكريم تقرير دلايل التوحيد
فاذا امتد الكلام في فصل من الفصول اعاد الكلام بعده الى ذكر دلايل التوحيد والمذكور هاهنا الوجوه
الوجوه المستنبطة من الانعامات في احوال ركوب البحر ربكم الذي يزجي بحر ويسر لكم الفلك لنفعكم
في البحر لتبتغوا من فضله لتطلبوا الربح في التجارة وقيل لتنالوا ما ليس عندكم مما يفضل الله بخلقه لكم انه
كان بكم رحيما هذا خطاب للمومنين ثم خاطب المشركين فقال واذا مسكم الضر في البحر الرياح وخوف
الغرق ضل بطل وزال من تدعون الا اياه وقيل ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في
حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعون في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته رجاكم
ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم وقيل لم يهتد لانقاذكم احد غيره من ساير المدعوين وقيل
ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثنا المنقطع
فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن الايمان والاخلاص والطاعة وكان الانسان الكافر كفورا بنعمة ربه
افامنتم اذا خرجتم من البحر ان يخسف بكم قرا ابن كثير وابو عمرو ان يخسف بكم او يرسل ~~بكم قرا ابن~~
~~كثير وابو عمرو ان يخسف بكم او يرسل~~ ان يعيدكم فيرسل فيغرقكم بالنون في الكل والباقون بالياء والهمزة
في افامنتم للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف
بكم بغيكم ونذهبكم في ناحية البر والمعنى حكمي نافذ في البر نفوذه في البحر فعلى هذا يكون جانب البر منصوبا
على الظرف وقيل نصبه على انه مفعول به في الارض كقوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال
والمعنى نقلب جانب البر وانتم عليه وذكر الجانب معناه ان الجوانب والجهات كلها قدرته سواء
وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلاك ليس جانب البر وحده مختصا بذلك
بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان
الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان
يستوي عنده خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا ريحا ترمي بالحصبا وهي
الحصى الصغار ولم يقل حاصبة لانه وصف لزم الريح ولم يكن لها مذكر ينتقل اليه في حال وكان بمنزلة
قولهم حايض للمراة حين لم يقل رجل حايض وقيل الحاصب الحجارة وقيل التراب الذي فيه حصبا والمعنى
وان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم كالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها

فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر والخسف في البر لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم ويحفظكم
وينصركم ام امنتم ان يعيدكم في البحر تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من ريح فيه صوت شديد كانها تنصف
اى تتكسر ولا تمر شيا الا قصفته فتغرقكم بكفركم النعمة باعراضكم حيث نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
مطالبا من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اى مطالبة قال السماح ولا ذا الغريم من التبيع يقال فلان على فلان
تبيع بحقه اى مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا احدا مطالبنا بما فعلنا
انتصارا امبادرته كالنار من حهتنا **قوله تعالى** ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا المقصود من هذه الاية ذكر
نعمة اخرى جليلة وهي الاشيا التي بها فضل الانسان على غيره قال الامام الانسان جوهر مركب من
النفس والبدن والنفس الانسانية اشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي وبدنه اشرف الاجسام
الموجودة في العالم السفلي وبمر هذه الفضيلة في النفس الانسانية هي ان النفس النباتية قواها
الاصليه ثلاثه وهي الاغتذا والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسه سوا كانت ظاهرة
او باطنة والمحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة اعني الاغتذا والنمو والتوليد والحس والحركه حاصلة للنفس
الانسانيه ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة اخرى وهي العاقلة المدركة بحقايق الاشيا كما هي وهي التي
يتجلى فيها نور معرفة الله وشرق فيها ضوء كبريايه وهي التي تطلع على اسرار عالمي الخلق والامر وتحيط باقسام
مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هي وهذه القوة سميت الجواهر القدسية والارواح المجرده الالهية
فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسة البهاسه والحيوانية واذا كان الامر كذلك
ظهر ان النفس الانسانية اشرف النفوس الموجوده في هذا العالم واما بيان ان البدن الانساني اشرف
اجسام هذا العالم فان الله كرم بني ادم بالعقل والنطق والتميز والخط وحسن الصورة وتعديل القامة
وامتداد هاواكلهم باليد وتسليطهم على ما في الارض وتسخير سايرالخلق وتخصيصهم بالتقلب في
المطاعم والمشارب والذات في الدنيا وقيل الرجال بالحي والنسا بالذواب وقيل بان جعل امة محمد صلى الله عليه
وسلم منهم وحملناهم في البر على الدواب والبحر على السفن ورزقناهم من الطيبات المستلذات
من المطاعم والمشارب وعن مقاتل التمر والزبد والتمر والحلاوى وجعل رزق غيركم ما لا تخفى عليكم
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قيل استثنا الملايكة عن الكلي فضلنا هم على الخلايق كلهم غير
طايفة من الملايكة جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت او شاهم وقيل المراد به جمع من حلقنا والعرب تضع
الاكبر والكبر وموضع الجمع والكل لقوله عز وجل هل انبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون
والمراد منه جميع الشياطين عن زيد بن اسلم في قول الله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم والتا الملايكة وبنا انك
اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون فيها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل

ذرية

ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وعن ابي هريرة المومن اكرم على الله من الملايكة الذين
عنده وقد توهم صاحب الكشاف ان هذه الاية دالة دلالة قطعية على تفضيل الملك على البشر وشنع على
من فضل البشر على الملك وبالغ في التشنيع كما هو عادته لقصوره عن بيان ما ادعاه بما هو يفيد المقصود ولقايل
ان يقول هذه الاية دالة على كرامة بني ادم على العموم وجميع افراد نوع البشر ليس لهم فضل على جميع المخلوقات
لان بعض افراد البشر اضل من الانعام فلهذا قال وفضلناهم على كثير ممن خلقنا وايضا من خلق سامنا ول
لكل من يعقل من المخلوقات وهو منحصر في الملايكة والثقلين وخرج بني ادم لان الشي لا يفضل على نفسه
فبقي الملايكة والجمع قد كر كثيرا لسادة كمية المفضل عليه الذي يعصمه مقام مقام مدح المفضل لانفي التفضيل
عما عدا المذكور ولا شك ان المقام مقام المدح ولهذا كرر في الاية ما سمي عادة المدح من ذكر الكرامة
والتفضيل وسمى الاسماع الرزق كانه قيل ولقد كرمنا بني ادم بكرامة ابيهم ثم سخرنا لهم الاشيا
ورزقناهم من الطيبات ثم فضلناهم تفضيلا كثيرا ولهذا قدم قوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم
وهو لسيادة كرامة ابيهم بجعله مسجود الملايكه **قوله تعالى** يوم ندعوا كل اناس بامامهم
فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا لما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال اهل السعادة منهم في الاخرة
يوم منصوب باذكر اى اذكر يا محمد يوم ندعوا كل اناس بامامهم عن ابن عباس برئيسهم وعنه امام هدى وامام
ضلالة فيقال يا متبعي موسى يا متبعي عيسى يا متبعي محمد يا متبعي روسا الضلالة وعن الحسن وابي العالية
وعطية عن ابن عباس بامامهم بعملهم فيقال يا من عمل كذا وكذا وهو انسب بقوله ملك وسعيد بن جبير وعبادة
ومجاهد بامامهم نبيهم فيقال يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد وعن عكرمة ومجاهد في رواية بامامهم
بكتابهم قيل كتابهم الذي انزل عليهم فيقال يا اهل التوريه يا اهل الانجيل يا اهل القران وقيل كتابهم الذي فيه
اعمالهم فيقال يا صاحب الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا يا صاحب كتاب الخير يا صاحب كتاب الشر
ودليل هذا التاويل في قوله في سياق الاية فمن اوتي كتابه بيمينه اى في اوتي من هاولا المدعوين كتابه
الذي فيه عمله بيمينه وهو المومن فاولئك يقرؤن كتابهم مرة بعد اخرى فيه بامانيه وهذا داب من اتاه كتاب
فيه مسرة وابتهاج قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع قال صاحب الكشاف فان قلت لم خص اصحاب
اليمين بقراة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم كان اصحاب
الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالندا على جنايا ته
والاعتراف مساوية اياها للتنكيل والاسعام منه والحيا والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتصعصع
والتخبي عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراتهم كلا قراة واما اصحاب اليمين
فامرهم على عكس ذلك لاجرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراة وابينها لا سعوبة بقراتهم وحدهم حتى تقول

القارى لاهل المحشر هاؤم اقراوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من جزاء اعمالكم ادنى شيء
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قرا ابن كثير ونافع وبن عامر وحفص اعمى في الموضعين بغير
اماله وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم في الموضعين باماله وابو عمرو باماله الاولى وفتح الثانية وتاوله
بمعنى اشد عمى وكذلك عماله قال ابو علي لان الاماله انما تحسن في الاواخر واعمى ليس كذلك لان تقدير اعمى من
كذا فليس بتمام الا في قولنا من كذا فهو اذى ليس باخر ونحوه هذا التاويل قوله واضل سبيلا فاما عطف
افعل الذى هو فعل من كذا على ما شبه به عن ابن عباس في رواية الضحاك من كان في الدنيا اعمى عن معرفة
قدرة الله تعالى في خلق الاشياء فهو عما وصف له في الاخرة اعمى وعن الحسن من كان في الدنيا اعمى في الكفر
فهو في الاخرة اعمى لانه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل وقيل من عمى عن ايات الله في الدنيا فهو عن الذى
غاب عنه من امور الاخرة اشد عمى وقيل من عمى عن نعم الله التي بينها في قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك
الى قوله لعلكم تفضلا فهو في الاخرة اعمى عن رشاده وصلاحه وقيل من كان في هذه اعمى عن الحجج فهو في
الاخرة اعمى عن الجنة وهذا كله من عمى القلب فان قيل لم قال في الاخرة اعمى ولم يقل اشد عمى لان المعنى خلقه
منزله الحمرة والزرقة والعرب تقول ما اشد حمرة بردوما امن زرقة عمرو وقل ما تقول ما احمر زيدا وما ازرق
عمرا فالجواب ان المراد بهذا العمى عمى القلب وذلك يتزايد وبحديث منه شيء بعد شيء فخالف الخلق الا ازمنة
التي لا تزايد بخلاف العمى والبياض والحمرة **قوله تعالى** وان كادوا ليفتنونك عن الذى
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا لما عدد تعالى في الاية
المتقدمة اقسام نعمه على خلقه واتبعها بذكر درجات الخلق في الاخرة وذكر احوال السعداء رد قه بما يجرى
مجرى تحذير السعداء عن الاغترار بوساوس ارباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر والتلبيس وقال
ان كادوا روى عطاء عن ابن عباس ان وفد ثقيفا توا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا متعنا باللات سنة
حرم وادينا كما حرمت مكة فابى ذلك فاقبلوا يكثرون مسالته وقالوا انا نحب ان نعرف العرب فضلنا عليهم فان
حشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فامسك رسول الله عنهم واخلهم الطمع
فنزلت الاية وروى عطية عن ابن عباس انهم قالوا احملنا سدة حتى يهدى لاصنامنا فاذا قضينا الذى يهدى
لاصنامنا اسلمنا فكسرناها فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجلهم فانزل الله الاية وعن سعيد بن جبير
ان المشركين قالوا للنبي لا ندف عنك الاباء تلم بالحسا ولو باطراف اصابعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما على لو فعلت والله يعلم اني لكاره فنزلت هذه الاية قيل هذا باطل لا يجوز ان يظن برسول الله ولما ذكر
عن عطية من انهم انما ينظرهم سنة وكل ذلك محال في حقه وعن قتادة ان قريشا خلوا برسول الله ليلة الى
الصباح يكلمونه ويخصمونه ويقولون انت سيدنا وابن سيدنا وماذا لوا يكلمونه حتى كاد بقاربهم في بعض

ما يردون ثم عصمه الله من ذلك وانزل الله الاية وقيل ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اطرد عنك سقاط الناس وموالیهم وهاولاء الذين رائحتهم رائحة الصنان وذلك انهم كانوا يلبسون
الصوف حتى نجالسك ونسمع منك فهم رسول الله ان يفعل ما استدعى به اسلامهم فنزلت هذه الاية
وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان
قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاثنيتي عن الذين اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
قال المفسرون وانما قال ليفتنونك لان في اعطائهم ما سالوا مخالفة لحكم القرآن لعمري اى لتختلق علينا
غيره وتتقول علينا ما لم نقل وهو قولهم قل الله امرني بذلك يعني ما اراده عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وما اقترحوه من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لو فعلت ذلك واتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولاي وقيل لاخذوك وانت فقير محتاج اليهم ولولا ان ثبتناك
اى ولولا تثبتنا لك على الحق بعصمتنا لقد كدت لقد قاربت تركن اليهم اى تميل الى خدعهم ومكرهم شيئا قليلا
عن ابن عباس وذلك حين سكت عن جوابهم والله اعلم بنيته وقيل الفعل الى غير فاعله عندنا لانه من اللبس كما
يقول الرجل لرجل كدت تقتل نفسك اليوم تريد كدت تفعل فعلا يقتلك غيرك من اجله فهذا من المجاز
والاتساع اذا لو قاربت تركن اليهم اذى ركنه لاذقناك ضعف الحياة اى ضعف عذاب الحيوة وضعف
عذاب الممات اى اذا قناك عذاب وعذاب القبر مضاعفين قال صاحب الكشاف اصله لاذقناك عذاب
الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في الحياة الاخرة وهو
عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل
الكلام لاذقناك عذابا مضعفا في الحيوة وعذابا مضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما قيل لاذقناك
اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت
من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل بالعصاة في الحياة الدنيا وما يوخذ لما بعد
الموت وفي ذكر الكيد وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين وعلى
ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان مرتكبه وارتفاع منزلته وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة
مضادة لله عز وجل وخروج عن ولايته وسبب موجب لعضبه فعلى المومن اذا تلا هذه الاية ان
يحتاط عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية ولزيادة التصلب
في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين **قوله تعالى** وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وان كاد اهل مكه

ليزعجوك او يستخفونك بعداوتهم ومكرهم من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا سقوه بعد اخراجك
الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم كما قال فقد اهلكوا بيدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستوصلوا
عقيب اخراجك ولكن لم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة حسدته اليهود لمقامه بالمدينة وكرهوا قربه منهم فقالوا يا محمد انبي انت
قال نعم قالوا فوالله لقد علمت ما هذا بارض الانبيا فان ارض الانبيا الشام وكانت بها ابرهيم والانبيا فان كنت نبيا
مثلهم فايت الشام وقد علمنا ان ما يمنعك الخروج اليها الا مخافتك من الروم وان الله سيمنعك بها من الروم ان كنت
رسوله وهي الارض المقدسة وان الانبيا لم يكونوا بهذا البلد فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلثة
ايام من المدينة وفي بعض الروايات بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه وينظر اليه الناس فانزل الله تعالى هذه
الاية وقيل ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم ان كنت صادقا فانك نبي فالحق بالشام فانها
ارض المحشر والمنشر وارض الانبيا فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك
الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه اية من سورة بني اسرايل بعد ما ختمت السورة وان كادوا ليستفزونك
وامره بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث والتاويل الاول اليق بالاية لانه ما قبلها خبر عن
اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر ولان هذه السورة مكية قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم خلافك
بكسر الخاء والف بعد اللام والباقون بفتح الخاء وسكون اللام وخلافك وخلافك في معنى خلفك وقيل لا يلبثون على
خلافك وفخالفتك فسقط حروف الحفض سنة من قد ارسلنا سنة نصب المصدر الملوكد اي سن الله ذلك
سنة اي انا سننا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك من رسلنا انهم اذا خرجوا سلم او قتلوه لم يلبثوا الا قليلا
اي بل العذاب بهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لم يتنبها لاحد ان يقلب تلك السنة **قوله تعالى**
اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا لما ذكر الله الالهيات
والمعاد والنبوات اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرفها بعد الايمان الصلوة فلذلك امر بها وقيل انه تعالى لما قال
وان كادوا ليستفزونك امره بالاقبال على عبادته لكي يصير عليهم فكانه قيل له لا سال سيعرهم في اخراجك
من الارض فلا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله وداوم على اداء الصلوة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك
ويحعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل
ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبيا وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب

اليه

اليه فكانه قيل له المعبود واحد وكل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مصرك
ومسكنك واذا دخلته ورجعت اليه فقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا في تقرير دينك واظهار شريعتك اقم الصلوة ادها وادمها واثبت عليها دلوك الشمس
بعد دلوك الشمس او عند دلوك الشمس والدلوك الغروب فالله من مسعود والنخعي وابن زيد عن ابن عباس
في احدى الروايتين قال الفراء وروايتنا للعرب تذهب في الدلوك الى غيبوبة الشمس وهذا اختيار ابن
قتيبة قال لان العرب تقول دلكت الشمس اذا غابت قال ذو الرمة مصابيح ليست بالكواكب تعودها بخوم
ولا بالاهلات الدوالك وتقول في الشمس دلكت براح وبراح اسم للشمس مثل نظام يريد دون غربت
والناظر يضع كفه على حاجبه لينظر ما بقي من غيابها ودليل هذا التاويل حديث عبد الله بن مسعود انه
كان اذا غاب حاجب الشمس صلى المغرب وافطر ان كان صائما وحلف بالله الذي لا اله الا هو ان هذه
الساعة لميقات هذه الصلاة وهي التي قال الله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل فيكون
المعنى اقم الصلوة من وقت غروب الشمس الى غسق الليل وغسق الليل ظلمته وعن ابن مسعود الصلوة
المعلقة بغسق الليل العشا عن ابن عباس المغرب قال القاضي ابو يعلى فيحتمل ان يكون المراد بيان وقت
المغرب انه من غروب الشمس الى غسق الليل وعن الحسن المغرب والعشا وعن ابن عمر وابن عباس في رواية
جابر وابي العالية وعطا وقتادة ومجاهد والحسن ومقاتل وجعفر ابن محمد وعبيد بن عمير دلوك الشمس
زوالها يدل عليه حديث ابي مسعود عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه
السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر وعن ابي برزة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا اقم الصلوة لدلوك الشمس وعن جابر بن عبد الله دعوت النبي
صلى الله عليه وسلم ومن شاء من اصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وقال اخرج يا ابا بكر فهذا حين دلكت الشمس فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت الصلوات
الخمس فدلوك الشمس الى غسق الليل صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا وتصديق هذا ان جبريل
عليه السلام حين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلوة اتاه بالصلوة الظهر عن عبد الله
بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عند باب الكعبة مرتين فصلى بي الظهر حين
كان الفي شكل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شي بقدر ظله ثم صلى المغرب حين افطر الصايم ثم
صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى الصبح حين حرم الطعام والشراب على الصايم ثم صلى الظهر
في المرة الاخيرة حين كان ظل كل شي مثله ثم صلى بي العصر حين كان ظل كل شي مثليه ثم صلى المغرب
لوقته الاول لم يؤخرها ثم صلى العشا حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت فقال
يا محمد هذا وقت الانبيا من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين الى غسق الليل اي اقبال الظلام

عن ابن عباس بدى الليل قتاده المغرب مجاهد غروب الشمس ابو عبيده سواده قال قيس الرقيات
ان هذا الليل قد غسقا واسكبت الهم والارقا وقد غسق الليل يغسق غسوقا وقران الفجر صلوة الفجر
سميت قرانا اى قراة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهذا يدل على ان القراة ركن لا تجوز الصلوة
بدونها وقيل يعنى قراة الفجر اى ما يقرا به فى صلوة الفجر وانتصاب القران على وجهين احدهما انه عطف
على الصلوة اى اقم قران الفجر والثانى نصب على الاغرا اى عليك بقران الفجر وقيل قران الفجر اجتماعه وبيانه ان
قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هاولا ويصعد هاولاء فهو فى اخر
ديوان الليل واول ديوان النهار وهذا دليل واضح على تعلق وجوب الصلوة باول الوقت واستحباب التغليس
بصلوة الفجر وقيل يشهد الكثير من المصلين فى العادة قيل ومن حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكبيرة ويجوز
ان يكون قران الفجر حثا على طول القراة عن ابى هريرة قال رسول الله فضل صلوة الجميع على صلوة الفذ خمس
وعشرون صلوة ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلوة الصبح قال ابو هريرة اقراوا ان شيتم وقران الفجر ان قران
الفجر كان مشهودا ومن الليل اى عليك بعض الليل فتهجد به اى قم نومك وصل قال المفسرون لا يكون التهجد الا
بعد النوم يقال تهجد اذا سهر وهجد اذا نام وقال بعض اهل اللغة يقال تهجد اذا نام وتهجد اذا سهر وهو من
الاضداد وقال الازهرى المتهجد القايم الى الصلوة من النوم وقيل له متهجد لالقايه الهجود عن نفسه كما يقال
تحرج وتاثم به اى بالقران نافلة لك عبادة زايدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجد لان التهجد
عبادة زايدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات الخمس المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل انها زايدة على الفرض
وليس فرضا فالمعنى تطوعا وفضيلة والنافلة ما ليس بواجب وعن ابى امامة والحسن ومجاهد انما النافلة
للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة قال مجاهد وذلك انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فما زاد على فرضه فهو نافلة
وفضيلة وهو لغيره كفارة وقيل لان صلوة الليل كانت فرضا عليه فى الابتدا ثم رخص له فى تركها فصارت
نافلة وقيل ان البلى علة للنبى وامته والمعنى فمن الليل فتهجدوا به نافلة لكم فخوطب النبى بخطاب امته عسى
من الله واجب بمقتضى الوعد والتفضل قال اهل المعانى عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا فى شى ثم حرمه
كان عادا والله اكرم من ان يطمع احدا فى شى ثم لا يعطيه ذلك مقاما نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم
القيمة فيقيمك مقاما محمودا وقيل ضمن يبعثك معنى يقيمك اى عسى ان يقيمك مقاما محمودا وقيل هو حال اى
ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق فى كل
ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وعن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عمر وسلمان الفارسى وجابر بن
عبد الله والحسن ومجاهد فى رواية اى نجيح المقام المحمود المقام الذى يشفع فيه لامته يحمده فيه الاولون
والاخرون ويشرف فيه على جميع الخلايق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا احدا خليلا لاتخذت

ابن

ابى

ابن ابى قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عن حذيفة بن
اليمان قال يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فيكون اول مدعو به محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فذلك قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المومنون يوم القيمة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا فازاحنا من مكاننا هذا فياتون ادم عليه السلام فيقولون يا ادم انت ابو الناس خلقك الله بيده
واسجد لك ملايكته وعلمك اسما كل شى فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر
ذنبه الذى اصاب فيستحيى من ربه ولكن ايتوا نوحا عليه السلام فانه اول الرسل بعثه الله الى اهل الارض
فياتون نوحا فيقول لست هناك فيذكر خطيئته وسواله ربه ما ليس له به علم فيستحيى من ربه
من ذلك ولكن ايتوا ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام فياتون فيقول لست هناك ويذكر خطيئته
فيستحيى ربه ولكن ايتوا موسى عبدا كلمه الله واتاه التورية فياتون موسى عليه السلام فيقول لست
هناك ويذكر لهم النفس التى قتل بغير حق فيستحيى ربه من ذلك فيقول ايتوا عيسى عبد الله ورسوله
وكلمة الله وروحه فياتون عيسى فيقول لست هناك ولكن ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوننى فاقوم فامشى بين سماطين من المومنين حتى استاذن على ربى
فيوذن لى فاذا رايت ربى وقعت ساجدا لربى فيدعنى ما شاء الله ان يدعنى ثم يقال لى ارفع راسك قل
تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاحمده بتحميده ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم
الجنة ثم ادخلهم الثلثة فاذا رايت ربى وقعت ساجدا لربى فيدعنى ما شا الله ان يدعنى ثم يقال لى
ارفع راسك يا محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وارفع راسى فاحمده بتحميده يعلمنيه
ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم ادعوا اليه الرابعة فاقول ما بقى من الا من حبسه القران
فيخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن به بره وقل رب ادخلنى مدخل
صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيات واخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا
ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكره البعث وعن ابن عباس والحسن وقتاده
ادخلنى المدينة مدخل صدق واخرجنى من مكة مخرج صدق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم امر بالهجرة فنزلت هذه الاية وقيل ادخلنى المدينة واخرجنى الى مكة اى لفتحها وقيل ادخلنى
مكة مدخل صدق واخرجنى منها مخرج صدق فخرج منها امنا من المشركين ودخلها ظاهرا عليها يوم الفتح
وقيل ادخلنى مدخل صدق الجنة واخرجنى مخرج صدق من مكة الى المدينة وقيل ادخلنى فى النبوة والرسالة
واخرجنى منها اى اخرجنى منها مما يجب على فيها وقيل ادخلنى فى الاسلام واخرجنى منه اى من اداء ما وجب

على فيه اذا جاء الموت وقيل ادخلني في الدين واخرجني من الدنيا وانا على الحق وقيل ادخلني مكة واخرجني بالصدق
اي لا تجعلني ممن ادخل بوجه واخرج بوجه فانه ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله وقيل ادخلني في بحار
دلايل التوحيد وتنزيهك وقدسك ثم اخرجني من الاشتغال بالدليل الى نور معرفة المدلول ومن التامل في
اثار حدوث المحدثات الى الاستغراق في معرفة الاحد الفرد المنزه عن التكثر والتغيرات وقيل ادخلني في كل
ما يدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك واخرجني عن كل ما يخرجني عنه مع الصدق
في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه ان يكون صدقا لعبوديته حاصلا في كل دخول وخروج وحركة
وسكون واجعل لي من لدنك سلطانا حجة تنصرني على من خالفني وقيل ملكا وعزا قويا ينصرني على الكفر ويظهر
الاسلام على الكفر فاجيبت دعوته لقوله والله يعصمك من الناس الاية حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وقل جاء الحق القرآن والاسلام
ودين الحق وعبادة الله وزهق الباطل الشيطان والشرك والاديان وعبادة الاصنام ومعنى زهق بطل واضمحل
وكل شيء هلك وبطل فقد زهق وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول البيت ثلثمائة
وستون صنما فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا **قوله تعالى**
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان
اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
لما ذكر الالهيات والنبوات والحشر والبعث واثبات القضا والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها
من الاسرار وانما ذكر كل ذلك في القرآن اتبعه بان كون القرآن شفاء ورحمة وننزل من القرآن من للبيان
كقوله من الاوثان من القرآن بيانا لما فعول نزل وهو ما هو شفا وحال منه كما ان من الاوثان في قوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان حال من الرجس وساغ مجيء القرآن شفا وقيل يجوز ان تكون للتبعيض على ان يكون من القرآن
مفعولا به وما هو شفاء لا منه اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء اي كل حصه ونصيب وبعض شفاء من الضلال
لما فيه من الهدى للمؤمنين يزداد وبه ايمانا ويستصلح به دينهم فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافر وبه الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم وكفرهم كقوله زادتهم رجسا الى رجسهم عن قتادة ما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة
او نقصان ثم قرا هذه الاية واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكرنا كانه مستغن عنه
مستند بنفسه ونأى بجانبه تباعد منا بنفسه وتعظم وتكبر تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء
ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه وبوليه ظهره وهو من عادة المتكبرين
قرا ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة في بعض الروايات عنه بفتح النون وكسر الهمزة على الامالة والكسائي وخلف
في سائر الروايات بكسر بما اتبعوا الكسرة الكسرة والباقون بتفخيمها على التفخيم وهو اللغة العالية وعن ابن

عباس

عباس الانسان ها هنا الكافر والمراد بالولي المغيرة واذا مسه الشر الشدة والضر والفقر والبلاء
كان يؤسا قنوطا شديد اليأس لا يرجو افضل الله قل كل احد يعمل على شاكلته مذهبه وطريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق دواسواء كل وهي الطرف التي تتشعب منه والدليل عليه
قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسدها مذهبا وطريقة عن ابن عباس على ناحيته يجاهد على حدته الحسن
وقتادة على نيته ابن زيد على دينه مقاتل على حيلته اي طبعه الفراء على طريقته التي جبل عليها ابو عبيدة والقتيبي
على خلقته وطبيعته وهو من الشكل يقال ليست على شكلي ولا شكالتي وقيل على اشتباهه من قولهم اشكل
علي هذا اي اشتبه وكل هذه الاقاويل متقاربة **قوله تعالى** ويسالونك عن الروح قل الروح من
امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لما ختم الاية المتقدمة بقوله قل كل يعمل على شاكلته وقد ذكر
ان المراد منه مشاكلة الارواح للافعال الصادرة عنها ذكر حال الروح وحقيقته نقل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بقوم من اليهود فقالوا سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسالوه فيستقبلكم
بما تكرهون فاتاه نفر منهم فقالوا يا ابا القاسم ما تقول في الروح فسكت ونزلت هذه الاية قاله ابن مسعود
وعن ابن عباس قالت اليهود لقريش سلوا محمدا عن ثلث فان اجركم باثنتين وامسك عن الثالثة فانها نبوة
عن فتية فقدوا وسلوه عن ذي القرنين وسلوه عن الروح وسالوه عنها ففسرلهم الفتية في الكهف
وفسر لهم قصة ذي القرنين وامسك عن الروح نزلت هذه الاية اختلفوا في المراد بالروح ها هنا
عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومقاتل انه المراد بهذا الروح ملك من الملائكة على خلقة هائلة الحسن
وقتادة انه جبريل عليه السلام مجاهد عن ابن عباس خلق من خلق الله صورهم على صور بني ادم وقيل انه
عيسى وقيل انه القرآن قال ابو سليمان الدمشقي قد ذكر الله الروح في مواضع من القرآن فغالب ظني ان الناقلين
نقلوا تفسيره من موضعه الى موضع لا يليق به وظنوه مثله وانما هو الروح الذي يحيى به ابن ادم قال صاحب
الكشاف الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر الله
بعلمه قال الامام المختار انهم سالوه عن الروح الذي هو سبب الحياة وانه صلى الله عليه وسلم اجاب
عنه على احسن الوجوه ويقرب ان المذكور في الاية انهم سالوه عن الروح والسؤال عن الروح يقع على
وجوه كثيرة احدها ان يقال ماهية الروح اهو متحيز او حال في المتحيز او موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز
وثانيها ان يقال الروح قديم او حادث وثالثها ان يقال الارواح هل تبقى بعد الموت او تفنى ورابعها ان يقال
ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة المباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله ويسالونك عن
الروح ليس فيه ما يدل على انهم عن اي هذه المسايل سالوا الا انه تعالى ذكر في الجواب عن هذا السؤال
قوله قل الروح من امر ربي وهذا الجواب يصلح للمسالتين من المسايل التي ذكرت احدهما السؤال عن ماهية
الروح والثانية عن قدمها وحدوثها اما البحث الاول فهو انهم قالوا اما حقيقة الروح وماهيته اهي عبارة

عن احسام موجودة فی داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبایع والاخلاط وهی عبارة عن نفس هذا المزاج والترکیب او هی عبارة عن عرض قایم بهذه الاجسام او عبارة عن موجود بغایر هذه الاشیا فاجاب الله عنه بانه موجود مغایر لهذه الاجسام ولهذه ودلک لان هذه الاجسام وهذه الاعراض اشیا تحدث من امتزاج الاخلاط والعناصر واما الروح فانه لیس کذلک بل هو جوهر بسیط مجرد لا یحدث الا بحدث قوله کن فیکون معناه انما کان شیا مغایرا لهذه الاجسام ولهذه الاعراض فاجاب الله عنه بانه موجود بحدث بامر الله وتکوینه وتاثیره فی افادة الحیاة لهذا الجسد ولا یلزم من عدم العلم بحقیقته المخصوصة نفیه فان اکثر حقایق الاشیاء وماهیاتها مجهولة لنا فانا نعلم ان السکنجبین له خاصیة تقتضی قطع الصفرا فاما اذا اردنا ان نعرف ماهیة تلک الخاصیة وحقیقتها المخصوصة فذلک غیر معلوم فثبت ان اکثر الماهیات والحقایق مجهولة ولم یلزم من کونها مجهولة نفیها فکذا وهذا هو المراد من قوله وما اوتیتم من العلم الا قلیلا واما البحث الثانی وهو ان لفظة الامر قد جاء بمعنی الفعل قال تعالی وما امر فرعون برشید وقال فلما جاء امرنا ای فعلنا فقوله قل الروح من امر ربی من فعل ربی وهذا الجواب بدل علی انهم سالوه ان الروح قدیمة او حادثة فقال بل هی حادثة وانما حصلت بفعل الله وتکوینه وایجاده ثم احتج علی حدوث الروح بقوله وما اوتیتم من العلم الا قلیلا یعنی ان الارواح فی مبدا الفطرة تکون خالیة عن العلوم والمعارف ثم یحصل فیها المعارف والعلوم فهی لا تزال تکون فی التغیر من حال الی حال وفی التبدیل من نقصان الی کمال والتغیر والتبدل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من امر ربی یدل علی انهم سالوه ان الروح هل هی حادثة ام لا فاجاب بانها حادثة واقعة بتخلیق الله وتکوینه وهو المراد من قوله قل الروح من امر ربی ثم استدل علی حدوث الارواح بتغیرها من حال الی حال وهو المراد بقوله وما اوتیتم من العلم الا قلیلا ثم قال الامام فهذا ما یقوله فی هذا الباب اهل السنة ان السلف سکتوا عن بیان ان الروح متحیز او غیر متحیز وان الروح والنفس شیء واحد او شیان فلا فایدة فی ذکر اختلافهم لانه لا برهان علی شیء من ذلک وامسکوا لسلفنا عن ذلک لانهم لما راوا ان القوم سالوا عن الروح فلم یجابوا والوحی ینزل والرسول بین اظهرهم علموا ان السکوت عما لم یحط العلم بحقیقته اولی وقوله من امر ربی ای من علمه الذی منع ان یعرفه احد **قوله تعالی** وما اوتیتم من العلم الا قلیلا الاکثرون علی ان المخاطبین بهذا هم الیهود لانهم قالوا للنبی صلی الله علیه وسلم قد اوتینا التوراة وفیها الحکمة وقد ثبوت ومن اوتی الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا فقیل لهم ان علم التوراة قلیل فی جنب علم الله تعالی وقیل هم جمیع الخلق روی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم لما قال لهم ذلک قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب ام انت معنا فیه فقال بل نحن وانتم لم نوت من العلم الا قلیلا فقالوا ما اعجب شانک ساعة تقول ومن یوت الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فی الارض من شجرة اقلام ولیس ما قالوه بالاقل لان القلة والکثرة تدوران مع الاضافة فیوصف الشیء بالقلة مضافا الی ما فوقه وبالکثرة مضافا الی ما تحته فالحکمة

التی اوتیها العبد خیر کثیر فی نفسها الا انها اذا اضیفت الی علم الله فهی قلیلة **قوله تعالی** ولئن شئنا لنذهبن بالذی اوحینا الیک ثم لا تجد لک به علینا وکیلا الا رحمة من ربک ان فضله کان علیک کبیرا لما بین فی الایة الاولی ان ما اوتیتم من العلم الا قلیلا بین فی هذه الایة انه لو شاء ان یاخذ منهم ذلک القلیل ایضا لقدر علیه ولئن شئنا اللام الداخلة علی ان موطیة للقسم لنذهبن جواب قسم محذوف مع ساده عن جزآ الشرط والمعنی ولئن شئنا لنذهبن بالذی اوحینا الیک ای بالقراان بحوه عن الصدور والمصاحف والقلوب حتی لا یوجد له اثر ثم لا تجد لک بعد الذهاب من تتوکل علینا فی رد شیء منه واعادته محفوظا مسطورا الا ان یرحمک ربک فیرده علیک کان رحمه یتوکل علیه بالرد وقیل الاستثنا منقطع ای ولکن رحمة من ربک ترکه غیر مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالی ببقاء القراان محفوظا بعد المنة العظیمة فی تنزیله وبحفیظه عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ان اول ما تفقدون من دینکم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة ولیصلین قوم لا دین لهم وان هذا القراان تصبحون یوما وما فیکم من شیء فقال رجل کیف ذلک وقد اثبتناه فی قلوبنا واثبتناه فی مصاحفنا نعلمه ابناءنا ونعلمه ابناءنا وهو الی یوم القیمة قال یسری به فی لیلة فیذهب بما فی المصاحف وبما فی القلوب ثم قرا ولئن شئنا الایة ان فضله کان علیک کبیرا بسبب تنزیل القراان علیک وحفظه علیک وانه جعلک سید ولد ادم وختم بک النبیین واعطاک المقام المحمود **قوله تعالی** قل لئن اجتمعت الانس والجن علی ان یاتوا بمثل هذا القراان لا یاتون بمثله ولو کان بعضهم لبعض ظهیرا ولقد صرفنا للناس فی هذا القراان من کل مثل فابی اکثر الناس الا کفورا قیل نزلت هذه الایة حین قال نضر بن الحارث وغیره من المشرکین لو نشاء لقلنا مثل هذا فکفرهم قولا لا یاتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطیة لجاز ان یکون جوابا للشرط ای لو لم یکن اللام فی لئن لجاز ان یقع لا یاتون مع وجود النون جوابا للشرط لان قوله ان اجتمعت ماض فلم یعمل الاداة فی الجزا الاول لا تعمل ما ان والمثل الذی طلب منهم کلام له نظم کنظم القراان واعلا طبقات البلاغة والظهیر المعنی ای لو تعاونوا علی ان یاتوا بمثل هذا القراان فی بلاغته وحسن نظمه وتالیفه وفهم العرب العاربة ارباب البلاغة والبیان لعجزوا عن الاتیان بمثله ولقد صرفنا ردددنا وکررنا من کل مثل من کل معنی هو کالمثل فی غرابته وحسنه من الترغیب والترهیب وانبآ الاولین والاخرین وذکر الجنة والنار وقیل کل مثل من الامثال التی یجب الاعتبار بها فابی اکثر الناس اکثر اهل مکة وقیل اراد اکثر الناس فذکر الوقت لا کفورا الا جحودا قال صاحب الکشاف فان قلت کیف جاز فابی اکثر الناس الا کفورا ولم یجز ضربت الا زیدا قلت لان ابی متاول بالنفی کانه قیل فلم یرضوا الا کفورا **قوله تعالی** وقالوا لن نومن لک حتی تفجر لنا من الارض ینبوعا او تکون لک جنة من نخیل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجیرا او تسقط السماء کما زعمت علینا کسفا او تاتی بالله والملایکة قبیلا او یکون لک بیت من زخرف او ترقی فی السماء ولن نومن

لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا لما بين اعجاز القران
وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل
المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نومن لك قيل سبب نزول هذه الاية وما يتبعها
ان روسا قريش كعتبة وشيبة وابي جهل وابي سفين ابن حرب والنضر بن الحارث وابي البختري
والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وعبد الله بن امية وامية بن خلف
والعاص بن وايل ونبيها ومنبها اجتمعوا ومن اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند الكعبة فقال
بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا
لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه قد بدا اليهم في امر بدا وكان
حريصا على رشدهم ويعز عليه عليهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد ان بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله
لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد سببت الاباء وعبت الدين وسفهت
الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث
تطلب مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا
وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الرئي الذي ياتيك قد غلب عليك بذلنا اموالنا
في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون
ما جئتم مما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل
علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به
فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان
كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلادا ولا اقل مالا ولا
اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا
ويبسط لنا بلادنا وليجر فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من ابائنا وليكن ممن يبعث
لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صنعت ما سالناك
وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا انما جئتكم من عند الله بما بعثني فقد بلغتكم ما ارسلت به فان
تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم
وهو خير قالوا فان لم تفعل هذا فخذ لنفسك فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك واساله فيجعل لنا
جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك فانك تقوم في الاسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسال ربه هذا وما بعثت اليكم

بهذا

بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقام النبي
صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله
منهم ثم سالوا لانفسهم امورا ليعرفوا منزلتك بها عند الله فلم تفعل ذلك ثم سالوك ان تعجل لهم
ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر
اليك حتى تاتيها وتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملايكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله
لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك ثم انصرف وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو جهل حين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب
ديننا وشتم ابائنا وتسفيه احلامنا وسب الهتنا واني اعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر قدر ما اطيق
حمله فاذا سجد في صلوته فضخت راسه به وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما
فاته من متابعة قومه ولما راى من مباعدتهم فانزل الله هذه الاية وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا قراء ابن كثير ونافع وابو عمرو حتى تفجر بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مع الكسر وعاصم
وحمزة والكسائي بفتح التاء وتسكين الفاء وضم الجيم مع التخفيف فمن ثقل اراد كثرة الانفجار من الينبوع
ومن خفف فلان الينبوع واحد والينبوع عين ينبع الماء منها او يكون لك جنة بستان من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها وسطها تفجيرا تشقيقا وتنبيحا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قرا ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي كسفا بتسكين السين في جميع القران الا في الروم فانهم حركوا السين ونافع
وابو بكر عن عاصم بتحريك السين اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة وابن عامر بفتح السين هاهنا
وفي باقي القران بتسكينها او تاتي بالله والملايكة قبيلا كفيلا وضامنا وشهيدا وعيانا من قولهم
لقيت فلانا قبلا وقبلا اي معاينة مجاهد هو جمع القبيلة اي باصناف الملايكة قبيلا قبيلا
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب واصلها الزينة او ترقى في السماء ولن نومن لرقيك لاجل رقيك
صعودك حتى تنزل علينا كتابا نقراه يامرنا فيه باتباعك قل يا محمد سبحان ربي قراء ابن كثير وابن عامر
قال والباقون قل هل كنت الا بشرا رسولا وليس ما سالتم في قوى البشر وقدرته فكانه قال قد اوضحت
لكم بما سبق من الايات ما يدل على نبوتي ومن ذلك التحدي بمثل هذا القران فاما ما سالتم على طريق
التعنت فليس في وسعي ولم يتوقف ثبوت النبوة والرسالة عليه

قوله تعالى

وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان
في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا وما منع الناس ابن عباس يريد اهل مكة ان يومنوا
في محل النصب لانه مفعول منع اي وما منع اهل مكة من الايمان اذ جاءهم الهدى اي القران الذي فيه

الارشاد والبيان الا ان قالوا في محل الرفع اي الا قولهم في التعجب والانكار ابعث الله بشرا رسولا
هلا بعث ملكا رسولا فاجابهم الله بقوله قل لو كان في الارض ملايكة يمشون في الارض مطمئنين
مستوطنين مقيمين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الملايكة انما تبعث الى الملايكة لان رسول
كل جنس ينبغي ان يكون منهم قل يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني رسول اليكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا
قوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا لما اجاب عن شبهات القوم في
انكار النبوة واردفها بالوعيد الاجمالي وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا ذكر بعده الوعيد الشديد
على تفصيل من يهدي الله فهو المهتدي قرا نافع وابو عمرو بالياء في الوصل وحذفها في الوقف والباقون حذفوها
في الحالين من يهد الله عن ابن عباس من يرد الله هداه فهو المهتد ومن يضلل اي من سبق لهم حكم الله
بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مومنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا
عن ذلك الضلال فلن تجد لهم اولياء يصرفونهم عن ذلك الضلال وعلم من هذه ان الهداية والاضلال
بارادة الله وفعله ونحشرهم يوم القيمة اي ونمشيهم يوم القيمة على وجوههم شاهده ما روى البخاري
ومسلم في صحيحيهما عن انس بن مالك ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر الكافر على وجهه
يوم القيمة قال ان الذي امشاه على رجليه في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة وقيل
ونحشرهم مسحوبين على وجوههم وقيل ونحشرهم مسرعين مبادرين فعبر بقوله على وجوههم عن الاسراع
كما تقول العرب قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا عميا لا يرون شيا يسرهم وبكما لا ينطقون
بحجة وصما لا يسمعون شيا يسرهم وقيل عميا عن النظر الى ما جعل الله لاوليايه وبكما عن مخاطبة الله
وصما عما مدح به اولياه وقيل عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون
بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر عينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قبل هذا يكون حين يقال لهم اخسئوا فيها
فيصيرون عميا بكما صما لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك فقد قال الله تعالى وراى المجرمون
النار وقال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تعالى دعوا هنالك ثبورا ماويهم جهنم كلما خبت اي عن
اللهب مع بقاء حرها واصلها وقيل كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها فيعادون خلقا
جديدا فرجعت متلهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله سبحانه جزاوهم
ان سلط النار على اعضايهم تاكلها وتفنيها ثم تعيدها لا يزالون على الافنا والاعادة ليزيد ذلك
في تحسرهم على تكذيبهم البعث زدناهم سعيرا توقدا فلا تفتر ابدا قال ابن قتيبة يقال خبت النار اذا

سكن لهبها

سكن لهبها فاللهب يسكن والجمر يعمل **قوله تعالى** اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا
لما قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله بقوله اولم يروا اي اولم يعلموا
اي هم يعلمون ان الله الذي خلق السموات والارض في عظمها وشدتها وكثرة اجزايها وقوتها قادر على
ان يخلق مثلهم في صغرهم وضعفهم كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال ءانتم اشد خلقا
ام السماء بناها وجعل لهم اجلا عطف على قوله اولم يروا ولا يجوز على ان يعطف على خلق للفصل بخبر ان
وهو قادر على ان يخلق مثلهم ولا يجوز ان يعطف على ان يخلق لفظا ومعنى لانه لا يحسن ايقاع القدرة
على الاجل فتعين ان يكون معطوفا على اولم يروا والتقدير قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات
والارض فهو قادر على خلق امثالهم وان من جعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو القيمة لا بد ان ياتي به مظهر
انه عطف عليه على التقدير وان يضمر في الكلام ما يتم به المعنى وقيل قد تم الكلام عند قوله على ان يخلق مثلهم
ثم قال وجعل لهم اجلا لا ريب فيه يعني اجل البعث فابى الظالمون الا كفورا جحودا لذلك الاجل **قوله
تعالى** قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا
ان الكفار لما قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجرا الانهار والعيون في بلدتهم
لتكثر اموالهم ويتسع عيشهم فبين الله لهم انهم لو ملكوا خزاين رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم وما
اقدموا على ايصال النفع الى احد وعلى هذا التقدير فلا فايدة في اسعافهم بهذا المطلوب الذي التمسوه قل
لو انتم لوحقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعيل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون
تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفصيل وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل
وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا الوجه الذي
يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص
وان الناس هم المختصون بالشح البالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سواء لطمتني وقول المتلمس
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة
المبتدا والخبر خزاين رحمة ربي خزاين الارزاق وساير نعمه والمعنى لو ملكتم ما يملكه الله لامسكتم
عن الانفاق خشية العاقبة وكان الانسان اي الكافر قتورا اي بخيلا ممسكا يقال قتر يقتر وقتر
يقتر اذا قصر في الانفاق ولا يقدر لامسكتم مفعول لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك
قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فسئل بني اسرايل اذ جاءهم
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هاولاء الا رب السموات والارض بصاير
واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا

من بعده لبني اسرايل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جينا بكم لفيفا وبالحق انزلنا وبالحق نزل
اعلم ان المقصود من هذا الكلام ايضا الجواب عن قولهم لن نومن لك حتى تاتينا بهذه المعجزات
القاهرة فقال تعالى انا اتينا موسى معجزات متساوية لهذه الاشياء التي طلبتموها بل اقوى منها
واعظم فلو حصل في علمنا ان فعلها في زمانكم مصلحة لفعلناها كما فعلنا في حق موسى فدل هذا على انا انما
لم نفعلها في زمانكم لعلمنا انه لا مصلحة في فعلها ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات عن بن عباس
هي العصا واليد البيضا والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وعن عكرمة وقتادة ومجاهد والشعبي وعطا هي
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات
وعن القرظي قال سالني عمر بن عبد العزيز عن الايات التسع الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ايات مفصلات وعصى موسى ويده والطمس والبحر فقال عمر وانا اعرف ان الطمس احديهن
قال محمد بن كعب ان الرجل منهم كان مع اهله في فراشه ولقد صار حجرا وان المراة منهم لقايمة تختبز وقد
صارت حجرا وان المراة منهم لفي اكمام وانها لحجر فقال عمر كيف تكون القصة هكذا ثم دعا بخريطة فيها اشيا
مما كانت اصيب لعبد العزيز بن مروان بحصر حين كان عليها من بقايا ال فرعون فاخرج منها
البيضة مشقوقة نصفين وانها الحجر واخرج الجوزة مشقوقة وانها لحجر واخرج منها اشباه ذلك
من الفواكه وانها لحجارة واخرج دراهم ودنانير وفلوسا وانها لحجارة فعلى هذه الاقوال تكون الايات
بمعنى الدلالات والمعجزات عن صفوان المرادي ان يهوديا قال لصاحبه تعالى حتى نسال هذا النبي
فقال الاخر لا تقل انه نبي فانه لو سمع ذلك صارت له اربع اعين فاتياه فسالاه عن تسع ايات
بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا
ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من
الزحف وعليكم خاصة يا يهود الا تعدوا في السبت قال فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي فسل بني اسرايل
اي المومنين من بني اسرايل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات لتزداد يقينا وطمانينة
قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم عليه السلام ولكن ليطمئن
قلبي وانما امر ان يسال من امن منهم عما اخبر به عنهم ليكون حجة على من لم يومن اذ جاهم متعلق باتينا
وقيل باضمار اذكر وقيل باضمار يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاوا اياهم فقال له لموسى فرعون اني
لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك ابن عباس مخدوعا خدعت وحملت على ما تقول
ابو عبيد ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال هو ميشوم وميمون اي شايم ويامن قال موسى
لقد علمت يا فرعون ما انزل هاولاء الايات الا رب السموات والارض بصاير بينات مكشوفات

ولكنك

ولكنك مكابر معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وانتصاب بصاير
على الحال وقيل يجوز ان يكون نصبها على المفعول له اي لتبصر بها قراء الكسائي علمت بضم التاء على
معنى اني لست مسحورا كما وصفتني بل علمت ما انزل هاولاء الايات الا رب السموات والارض
والباقون بفتح التاء ثم فارع موسى طب فرعون قال واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني
مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا ملعونا مغلوبا ناقص العقل ممنوعا من الخير مهلكا يقال تبر الرجل فهو
مثبور اذا هلك وتقول العرب ما تبرك عن هذا اي ما منعك قال اكثر المفسرين الظن هاهنا بمعنى العلم
على خلاف ظن فرعون في موسى وقيل مراده ان ظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت
صحته ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني
لاظنك مسحورا قول كذاب فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فاغرقناه محاق به نكره بان استفزه الله واغرقه مع قبطه جميعا
وفي هذه الاية تنبيه على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما خرج موسى فطلبه فرعون هلك
فرعون وملك موسى وكذلك اظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع اليها ظاهرا عليها وقلنا من بعد
هلاك فرعون لبني اسرايل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها وقيل ارض فلسطين فاذا
جاء وعد الاخرة اي القيمة جينا بكم لفيفا جميعا من قبايل شتى مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم
ويميز بين سعدايكم واشقياكم وبالحق انزلناه اي بالامر الثابت والدين المستقيم انزلنا القران وما
نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير وقيل بالحق انزلناه اي بالتوحيد وبالحق نزل اي
بالوعد والوعيد والامر والنهي وقيل ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل
على الرسول الا محفوظا بالملايكة من تخليط الشياطين **قوله تعالى** وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل امنوا به
او لا تومنوا ان الذين اوتوا العلم اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا المقصود من هاولاء
الجهال الذين يقترحون عليك هذه المعجزات ويتمردون عن قبول دينك لا شيء عليك من كفرهم فاني
ما ارسلك الا مبشرا للمومنين ونذيرا للكافرين فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به والا فليس عليك
من كفرهم شي ثم قال وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه احكمناه وفصلناه وبينا حلاله وحرامه
وفرقنا به بين الحق والباطل لتقراه على الناس على مكث على مهل وتوده وتبت ونزلناه تنزيلا شيا
بعد شي على سبيل الحوادث قل يا محمد لكفار مكة امنوا بالقران او لا تومنوا امر بالاعراض عنهم
واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وفيه تهديد عظيم

ان الذين اى انهم لم يؤمنوا به وهم اهل جاهلية وشرك فان حيا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود فى كتب الانبياء ان الذين اوتوا العلم مجاهد انهم ناس من اهل الكتاب ابن زيد انهم الانبياء وقيل طلاب الدين كابى ذر وسلمان وورقة بن نوفل من قبله من قبل نزول القرآن وخروج محمد اذا تتلى عليهم يخرون يسقطون للاذقان اى على الاذقان وهو جمع ذقن والذقن مجتمع اللحيين عن ابن عباس للاذقان اى للوجوه قال الزجاج الذى يخر وهو قايم انما يخر لوجهه فاذا ابتدا يخر فاقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن فلذلك قال للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تعظيما لامر وتنزيها لله عز وجل عن تكذيب المكذبين بالقرآن ان كان الله كان وعد ربنا فى الكتب المنزلة المبشرة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم انزال القرآن عليه لمفعولا اى لمنجزا الله وعده وهاولاء قومه كانوا يسمعون ان الله باعث نبيا من العرب ومنزل عليه كتابا فلما عاينوا ذلك حمدوا الله تعالى على انجاز الوعد ويخرون للاذقان كرر القول ليدل له على تكرار الفعل منهم بتكرر ويزيدهم نزول القرآن خشوعا حصوعا وتواضعا لربهم ان الذين اوتوا العلم من قبله يعلل لقوله امنوا به اولا يؤمنوا ويحوز ان يكون تعليلا على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل نسلى عن امان الجهلة بامان العلماء وعلى الاول ان لم يؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم ومعنى اللام فى الاذقان انهم جعلوا لاذقانهم للخرور خصوا به لان الامر للاحتصاص

قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا عن ابن عباس رضى الله عنهما تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فجعل المشركون يقولون يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا وهو الان يدعو الهين اثنين والرحمن ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله هذه الاية وعن مجاهد بن مهران كان النبى صلى الله عليه وسلم فى اول ما اوحى اليه يكتب باسمك اللهم حتى نزلت الله من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال مشركوا العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن فنزلت هذه الاية وعن الضحاك قال اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتعلل ذكر الرحمن وقد اكثر الله فى التوريه هذا الاسم فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والدعاء معنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه تقول دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى او المسمى بمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم

او بهذا

اوهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام الموكد لما فى اى اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير فى فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وانه عز وعلا لا تتسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضع فهو حسن قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسنى هذا الاسماء لانها من الاسماء ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التحميد والتمجيد والتعظيم ولا تجهر عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع المشركون ذلك سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به ورموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخنا ولعبوا وبما صغروا لمعلطوا النبى صلى الله عليه وسلم ولخلطوا عليه قراته فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلوتك بقراة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان يعتقبان على الصوت لا عين والصلاة افعال واذكار والمعنى لا تجهر حتى يسمع المشركين ويوذوك ولا تخافت حتى لا يسمع من خلفك حتى تاخذ واعنه وعن سعيد بن جبير كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بقراة القرآن فى المسجد الحرام فقالت قريش لا تجهر بالقراة فتوذى الهمنا فاجوارك فانزل الله ولا تجهر وعن مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى دار ابى سفيان ابن الحارث عند الصفا يجهر قراته فمر ابو جهل فقال لا تقفر على الله فخفض النبى صلى الله عليه وسلم صوته فقال ابن جهل للمشركين الا نرى ما فعلت بابن ابى كبشه رددته عن قراته فانزل الله ولا تجهر وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراة فى صلوته ويقول انا اجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر رضى الله عنه يرفع صوته ويقول اوجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابو بكر حين نزلت هذه الاية ان يرفع صوته شيئا وامر عمر ان يخفض صوته شيئا وعن عايشة رضى الله عنها نزلت هذه الاية فى التشهد كان الاعرابى يجهر فيقول التحيات لله والصلوات ورفع بها صوته فنزلت هذه الاية وعن الحسن لا تراى بصلوتك فى العلانية ولا تسعها فى السر وعن ابن عباس لا تصل مراياة الناس ولا تدعها مخافة الناس ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل ولا تخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعايك وابتغ السبيل مثل لاسحا الوسط فى القراة الله تعالى لما امرانه نذكر ولا ينادى الا باسمايه الحسنى علم كيفية التحميد فقال وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزاز به وقيل لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها من موالاته وقيل لم يحالف احدا وقيل لم يكن له ولى من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس وكبره من الذل صفة ولى وكبره تكبيرا اى عظمه تعظيما تاما

سورة الكهف

سميت بها لاشتمالها على قصة اصحاب الكهف وهي مكية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة قيل هذا
اجماع المفسرين ومن غير خلاف نعلمه وقد روي عن ابن عباس والحسن وقتادة الا ثلاث اية منها مدنية وهي قوله
واصبر نفسك وعن مقاتل من اولها الى قوله صعيدا جرزا مدني وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
الا ثمان مدنية وباقيها مكي وهي ستة الاف وتلثمائة وستون حرفا والف وخمس ماية وتسع وتسعون كلمة
وماية وعشر ايات وهي من افضل سور القراءة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة
عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف
من قراها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام في رواية انس ومن قراها
اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر وروى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من حفظ عشر ايات من اول الكهف ثم ادرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتيم سورة الكهف كانت
له نورا يوم القيمة وسبب نزول هذه السورة ما ذكر محمد بن اسحق مشروحا فقال كان النضر بن الحارث
من شياطين قريش كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قدم الحيرة وتعلم
بها احاديث رستم واسفنديار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر الله وحذر قومه
ما اصاب من كان قبلهم من الامم كان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال انا والله يا معشر قريش احسن
حديثا منه فهلموا فانا احدثكم باحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه وبعثوا
معه عقبة بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلوا عن محمد وعن صفته فانهم اهل الكتاب
الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا احبار اليهود عن
احوال محمد فقال احبار اليهود سلوه عن ثلث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول فان حدثهم عجيب وعن رجل
طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح ما هو فان اجركم فهو نبي والا فهو متقول
فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا قد جيناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبراهم بما قالت اليهود
فجاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا
ولم يقل ان شاء الله فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشر ليلة
فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه الذي كان يأتيه من الجي وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه
التي غير دلك فشق دلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامر الذي اراد الله عتاب
محمد اليه جاءه الوحي من الله فجاءه جبريل من عند الله بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله اياه
وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف

قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا

ماكثين فيه ابدا لقن الله عباده ويفهمهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمايه
عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم
وفوزهم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل له شيأ من العوج فطاى لم يزل على طريقة الاستقامة
والعوج فقد الاستقامة في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والجثث كالعصا والحايط والمراد في الاختلاف
والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه قيما قائما بمصالح العباد وبما لا بد منه من الشرايع ونصب
قيما بمضمر اي ولم يجعل له عوجا جعله قيما لا تة اذا نفي عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة وفايدة
الجمع بينهما التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح
فقوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى ان القراءة كامل في ذاته وقيما اشارة الى انه مكمل لغيره ونظيره
قوله تعالى في وصف الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه اشارة الى انه في نفسه
بالغ في الصحة وعدم الاحتمال الى حيث يجب على العاقل ان لا يرتاب فيه وقوله هدى للمتقين اشارة
الى انه سبب لهداية الخلق وقيل قيما على ساير الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها ولما ذكر انه انزل
الكتاب الموصوف بالاوصاف المذكورة عقبه ببيان ما لاجله انزل فقال لينذر باسا شديدا
من لدنه انذر متعد الى مفعولين كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا واقتصرها هنا واصله
لينذر الذين كفروا باسا شديدا لان الغرض المسوق اليه هو المنذر به فوجب الاقتصار عليه
ويحتمل ان يكون الاقتصار على المنذر به فوجب الاقتصار عليه ويحتمل ان يكون الاقتصار على المنذر
به لافادة العموم في المنذر وان المراد انذار الكل ولما كان دفع الضرر اهم عند العقل من ايصال النفع
قدم الانذار في البشر في اللفظ وابلغ من قوله بعذاب بيس والباس العذاب وقد وسر العذاب
وبوس الرجل باسا وباسة من لدنه اي باسا شديدا صادرا من عنده وبسر عطف العذاب على ينذر
اي وليبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي الجنة وقيل نعم الحسنه وقيل نعم
الثواب الوافر في الجنة ماكثين مقيمين دايمين حال من الضمير في لهم فيه اي الاجر الحسن ابدا
ظرف الازمان لا اخر له

قوله تعالى

وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به
من علم ولا لابايهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وينذر معطوف
على ينذر في قوله لينذر والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فالاول عام في حق الكل او في حق الذين كفروا
والثاني خاص بالذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب
في الملايكة وعادة القراءة جارية بانه اذا ذكر قضيه كلية عطف عليها بعض جزيياتها تنبيها
على كونه دليلا لبعض اعظم جزيياته ذكر الكل كقوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته وكتبه ورسله
وجبريل وميكال وكذا ههنا هذا العطف يدل على ان اشد انواع الكفر اثبات الولد لله ولهم بالذين

قالوا اتخذ الله ولدًا به بالولد او باتخاذه من علم ولا اباهم معناه ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء قان قيل اتخاذ الولد في نفسه محال فكيف قبل ما لهم به من علم اجيب بان معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته فان اسم العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه محال في نفسه لاعكن تعلق العلم به ونظير قوله تعالى ومع تدع مع الله الها اخر لا برهان له به قوله ولا لابائهم يريد بابائهم الذين اخذوها ولاهذه المقالة عنهم وهذا مبالغة في كون هذه المقالة فاسدة باطلة **قوله تعالى** كبرت كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظامًا لاجرامهم على النطق بها واخراجهم من افواههم فان كثيرًا ما يوسوسه الشيطان به ويحدثون بها انفسهم من المنكرات لا يملكون ان يتوفوها به وينطق به لسنتهم بل يكظمون عليه غيظًا وامرارًا فكيف بمثل هذا المنكر والضمير المستتر في قوله كبرت عايد الى قولهم اتخذ الله ولدًا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة ان يقولون الا كذبًا اى ما يقولون الا كذبًا **قوله تعالى** فلعلك باخع نفسك على اثارهم الم تر ومنوا بهذا الحديث اسفًا نخع الرجل نفسه اى قتلها غما وباخع نفسك اى قاتلها غمًا على اثارهم اى بعد ذهابهم عنك ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفًا مفعول له والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ويجوز ان يكون حالا من ضمير باخع شبه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والكفار حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما يداخله من الوجد والاسف بوجل فارقه احبته اعزته وهو يتساقط على اثارهم وينخع نفسه اسفًا عليهم وتهالعًا على فراقهم وقيل على اثارهم استعارة لطيفة من حيث ان لهم ادبارًا وتباعدًا عن الايمان واعراضًا عن الشرع فكانهم من فرط ادبارهم واعراضهم فقد بعدوا وانوني اثارهم يحزن عليه والمقصود منه ان يقال للرسول لا يعظم حزنك واسفك سبب كفرهم فما بعثناك منذرًا ومبشرًا فما ادخال الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عنهم **قوله تعالى** انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا هذه الاية للتسلية كانه تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها وانواع المنافع والمصالح اختبارًا وامتحانا للناظرين اليها ايهم احسن عملا ثم انهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا اقطع عنهم مواد النعم فانت ايضا يا محمد لا تسخ ان تنتهي في الحزن بسبب كفرهم الى ان تترك الاشتغال بدعوتهم الى الصراط المستقيم والدين القويم انا جعلنا ما على الارض اى ما يصلح ان يكون الارض زينة عن ابن عباس هي الرجال وعنه هي الخلفاء والعلماء والامراء وقيل هي النعم والملابس والثمار والخضر والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل في هذا الحال الصعب وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب وقيل اراد كلما على الارض عمومًا

وليس

وليس شئ الا وفيه زينة من جهة خلقته وصنعته واحكامه وفي معنى هذه الاية قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وقيل النبات والشجر وضم بعضهم اليه الذهب والفضة والمعادن وضم بعضهم اليه سايل الحيوانات واشرف انواع الحيوان الانسان وقيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف لانه تعالى قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فمن يبلوهم بحسب ان لا يدخل فيه واما سايل الناس والحيوان فانهم يدخلون فيه كدخول سايل ما ينتفع به وقوله زينة لها اى الارض فقيل المراد زينة لاهلها ولا يمتنع ان يكون ما يحسن به الارض زينة للارض كما جعل الله السما مزينة بالكواكب والمراد بقوله لنبلوهم ايهم نعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غير الله لكان على سبيل الابتلا والامتحان ايهم احسن عملا اى ايهم ازهد فيها واترك للاغترار بها وقيل احسن عملا اى اطوع لله واشد اسمرارا عليه لان من هذا حاله هو الذي يفوز بالحسنى وكان ابي رضي الله عنه يقول احسن العمل الاخذ بالحق والانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوبات قال الزجاج انهم رفع بالابتدا الا ان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنختبرهم ونمتحنهم اهذا احسن عملا ام ذاك **قوله تعالى** وانا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا انه تعالى بين انه انما زين الارض لاجل الامتحان والابتلا لا لاجل ان يبقى الانسان فيها متنعما بها ابدًا فزهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من الزينة صعيدًا جرزًا يعني مثل الارض بيضا لا نبات بها بعد ان كانت خضرا معشبة فازاله بجنته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك والصعيد التراب وقال ثعلب الصعيد وجه وقال ابو عبيد الصعيد المستوى من الارض وقال الزجاج الطريق الذي لا نبات فيه والجرز الارض الذي لا نبات عليها وقيل الجرز الارض التي لا شئ فيها من عمران وزينة وهذه حالة الارض العامرة الحالية بالزينة بالرغم لا بد من هذا في الدنيا حتى جزاء جزاء من الارض ثم تجرد ذلك باجمعها عند القيامة يقال **قوله تعالى** ارض جرزت اذا جرزت ارضي تجرز وجرزها الجراد والشتاء والابل اذا اكلت ما عليها ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من ايانتنا عجبًا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدًا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدًا مذهب سيبويه في ام اذا جات دون ان يتقدمها همزة استفهام كانه قال بل احسبت اضرابًا عن الحديث الاول واستفهامًا عن الحديث الثاني قيل معنى الكلام تقرير النبي صلى الله عليه وسلم فاحسبانه ان اصحاب الكهف كانوا عجبًا يعني انكار ذلك عليه اى لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة ولا تحسبن ذلك فان ايانتنا كلها عجب فان

من كان قادرًا على خلق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها
بعد ذلك صعيدًا جرزًا خاليًا من الكل كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته ابقاء حياة طايفة مدة
وحفظهم هذه المدة في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار والرقيم اسم كلب اصحاب
الكهف قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورًا وصيدهم والقوم في الكهف هيمد وروى عن
عكرمة عن بن عباس انه قال كل القران معلوم الا اربعة غسلين وحنان والاواه والرقيم وروى ايضا عكرمة
انه سيل عن الرقيم فقال زعم كعب انها القرية التي خرجوا منها وعن سعيد بن جبير ومجاهد الرقيم لوح
حجارة وقيل من رصاص كتب فيه اسماؤهم وقصتهم وشد ذلك اللوح على باب الكهف فان الرقيم هو الكتاب
والاصل فيه المرقوم ثم حول الى فعيل والرقيم الكتابة قال الله تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب وقيل الناس رقموا
حديثهم نقرًا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل الذي فيه الكهف وقيل مكانهم بين عصبان
وايلة دون فلسطين وقيل الرقيم الصخرة التي تكون على الكهف وقيل الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع
الذي يمسكونه من دين عيسى وقيل من دين قبل عيسى وقيل كتاب عمى الله علينا امره ولم يشرح لنا قصته
وقيل الرقيم دراهمهم وقيل الرقيم الدواة كانوا من اياتنا عجبًا المراد احسبت ان واقعتهم كانت عجيبة
في جنب مخلوقاتنا والعجب مصدر وجعل خبرًا للمبالغة وسمي به المفعول به والتقدير كانوا من اياتنا عجوبًا
منهم اذ اوى لا يجوز ان يكون اذ ههنا متعلقا بما قبله على تقدير ام حسبت اذ اوى الفتية لانه كان
بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي اوى الفتية
الى الكهف صاروا الى الكهف وجعلوا الكهف ماويهم والفتية جمع فتى قيل الفتية من ابنا اشراف
مدينة دقيانوس وكانوا مطوقين مسورين بالذهب وكانوا من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل قبل عيسى
واما اسماؤهم فهي اعجمية والسند في معرفتها واه ولكن التي ذكرها الطبري هذه مكسلمينا وتمليخا
وهو الذي مضى بالورق الى المدينة عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكشوطونس وبير وبيموس
وفطويس واختلف الرواة في قصص هاؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم الى الكهف واكثر
المورخون في ذلك ولكن نختصر من حديثهم ونذكر ما لا يستغني تفسير الاية عنه ونذكر من الخلاف عيونه
روى مجاهد عن بن عباس رضي الله عنهما ان هاؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها
ويكفر بالله وتابعه على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية بعض من بعض الحواريين حسبما ذكر النقاش
او من موتى الامم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكر فعلموا ببصايرهم قبح فعل الناس فاخذوا نفوسهم
بالتزام الدين وعبادة الله تعالى فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك
وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل
فقالوا له فيما روى ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروى انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به

فقال لهم

فقال لهم الملك انكم شبان اعماركم لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل اتاني فاذهبوا الى منازلكم
ودبروا رايكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلًا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية
في الهروب باديانهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فنذهب اليه فنختفي
فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روى يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم ليلا
يشعر الناس بهم وقيل انهم كانوا سقفيين واسقف النصارى رئيس من رؤسائهم في الدين فحضر
عيد فخرجوا فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروى فرقة
ان الفتية كانوا من ابنا الاشراف فحضر عيد لاهل المدينة فراى الفتية ما تمثيله في ذلك العيد من
الكفر وعبادة الاصنام والذبح لها فوقع الايمان في قلوبهم واجمعوا على مفارقة الناس لئلا ينالهم
العذاب معهم فزايلوا الناس وذهبوا الى الكهف وروى وهب بن منبه ان امرهم انما كان ان حواريًا
لعيسى بن مريم جاء الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل
فيه فراى صاحب الحمام في اعماله بركة عظيمة فالقى فيه بكل امره وعرف ذلك الرجل فتيان من اهل
المدينة فنشر فيهم الايمان وعرفهم الله تعالى فامنوا واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يومًا
الى ذلك الحمام ولد الملك بامراة اراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم اتاه جا مرة اخرى فنهاه
فشتمه وامضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا جميعًا فاغتم ذلك الحواري واصحابه ففروا جميعًا
حتى دخلوا الكهف وقيل ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابنا العظما مطوقين مسورين ذوي ذوايب
قد داخلهم الايمان افسدا اذا وار مع كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر فاخرجهم الله في يوم واحد لما
اراده منهم فخرج احدهم فجلس في ظل شجرة على بعد من المدينة فخرج ثان فلما راى الجالس جلس اليه ثم الثالث
ثم الباقون حتى كمل جميعهم في ظل الشجرة فالقى الله في نفوسهم ان غرضهم واحد فتسالوا ففزع بعضهم من بعض
وتكتموا ثم تواضوا برجلين منهم وقالوا انفردا وقوا نفاقا وليفش كل واحد منكما سره الى صاحبه فان اتفقتما
كنا معكما فنهضا بعيدًا وتكلما فافصحا بالايمان والهروب بالدين فرحفا واظهرا الامر وتبعهما الاخرون ونهضوا
الى الكهف واما الكلب فروى انه كان لبعضهم وروى انهم وجدوا في طريقهم راعيًا له كلب فاتبعهم الراعي
على رايهم وذهب الكلب معهم واسم الكلب حمران وقيل قطمير فدخلوا الغار على جميع هذه الاقوال وروى
ان الله ضرب على اذانهم عند ذلك لما اراده من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة
فقدهم فارخوا ذلك ورقموه في لوحين من رصاص او نحاس وجعلوه على باب المدينة فيه اسماؤهم
واسما ابايهم وذكر شرفهم وانهم فقدوا بصورة كذا في وقت كذا وقيل ان الذي كتب هذا رجلان
قاضيان مومنان يكتمان ايمانهما من اهل المملكة ويستترا بذلك ودفنا اللوحين عندهما وروت فرقة
ان الملك لما ذهب الفتية امر بقبض اثارهم فانتهى ذلك بمتابعتهم الى باب الغار فعرف الملك فركب في جنده

حتى وقف عليه فامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه ايها الملك اذا خرجتهم
قتلتهم قال فاى قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب
الله تعالى على اذانهم وارخ الناس امرهم في اللوحين او ارخه الرجلان القاضيان بحسب الخلاف
واسم احد القاضيين فيما ذكر الطبري بيدروس واسم الاخر روناس وقيل ان اسم احدهما خرطوس
واسم الاخر بطنوس وروى ان هذا الملك الذي فر الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المومنين
حيث احسن بهم تقبلهم وتعلقهم اسحاما ورؤسا على اسوار مدينته وكان يريد ان يذهب دين عيسى
وكان هو وقومه من الروم ثم اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اى دخلوه وجعلوه
ماوى لهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بان يوتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما ذكر المفسرون
وان يهيئ لهم من امرهم رشدا اى خلاصا جميلا من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعداء ويهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى يكون بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك دلت منك رشدا وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك
الرحمة وهي التي تكون لايقة بفضل الله واسع جوده وهذا الدعا منهم كان في امر دنياهم والسياق
يدل على ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الاخرة ورحمتها وينبغي لكل مومن ان يجعل دعاه في امر
دنياه هذه الاية فقط فانها كافية فضربنا على اذانهم حجابا مانعا من ان يسمع يعني انمناهم
انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه
فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة واما تخصيص الاذان
بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقل ما ينقطع نوم نايم الا من جهة اذنه ولا
يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذان في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك رجل بال
الشيطان في اذنه اشار صلى الله عليه وسلم الى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل في الكهف سنين
عددا على المصدر وتقديره تعد عددا قيل يحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثيرة قليل
عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار قال الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثرة سنين وكذلك
كل شي مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف به يريد كثرته لانه اذا قلت اقمت اياما عددا اردت به الكثرة
واذا قلت اقمت اياما اردت به القلة ثم بعثناهم اى ايقظناهم بعدما انمناهم لنعلم اى الحزبين
احصى لما لبثوا امدا اى لنعلم موجودا حاصلا فانه قبل وجوده يستحيل ان يعلمه الله موجودا
وقيل ليعلم رسول الله والمومنون وانما اسند علمهم الى الله لانهم خواصه واهل الزلفى عنده كما تقول
الملك فتحت البلدة الفلانية وقد فتحها اولياه ومنه قيل فتح عمر السواد وقيل ليعلم ليميز هاولا
من هاولا كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز

اى الحزبين

اى الحزبين اى يتضمن معنى الاستفهام فعلق به لنعلم فلم يعمل فيه وهو مرفوع بالابتدا واحصى خبره والجملة
تمامها متعلق لنعلم والحزبان الفريقان المختلفان من الفتية لانهم لما انتبهوا اختلفوا في مدة لبثهم يدل على ذلك
قوله تعالى قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول وقيل المراد بالحزبين الفتية الذين هم اصحاب الكهف واهل
المدينة حزب وقيل هما حزبان من الكفار اختلفا في مدة لبث اصحاب الكهف وقيل هما حزبان من المومنين
في زمان اصحاب الكهف اختلفا في مدة لبثهم احصى فعل ماض اى اى الحزبين ضبط امدا غاية الاوقات لبثهم
وقد يجي امد بمعنى المدة من حيث ان المدة غاية هي امدها على الحقيقة وامدا منصوب باحصى واحصى مع ضمير
المستتر جملة هي خبر للمبتدا الذي هو اى الحزبين وجملة المبتدا والخبر مفعول نعلم قال الزجاج احصى هو افعل
للتفضيل ~~وامدا نصب على التفضيل~~ وامدا نصب على التفسير قال صاحب الكشاف وهذا ليس بسديد لان
بنا افعل من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الحزبين وافلس من ابن المذلق شاذ والشاذ على الشاذ
في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا
فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث اثبت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت
مضطرا الى تقديره واضماره **قوله تعالى** نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا
بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من
دونه الها لقد قلنا اذا شططا هاولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا لما دل قوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا على
اختلاف وقع في امر الفتية عقب بالخبر عن انه تعالى يعلم من امرهم بالحق الذي وقع في مجموع هذه الايات
الى قوله مرفقا جواب قريش عن سوالهم الذي امرتهم به بنوا اسرايل فقال نحن نقص عليك نباهم بالحق
على وجه الصدق انهم فتية جماعة من الشباب امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت
ويسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة على الايمان
وربطنا على قلوبهم اى قويناهم بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى الكهف وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق بالربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا يتفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها
ومنه الربط على قلب ام موسى اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم
على ترك عبادة الصنم فانه مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا فقالوا
ربنا رب السموات والارض وقيل اذ قاموا اذا انبعثوا بالعزم الى الفرار بالدين والهجر من الاوطان
والنعيم وترك الدعوة من دون الله الها لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم

والابعاد فيه من شط اذا بعد والشطط في القول هو البعد عن الحق هاهنا ولا مبتدا قومنا عطف بيان لها ولا احد واحبار المبتدا وهو اخبار في معنى الانكار وهذا القول من الفتية اى قال الفتية هاهنا ولآء الذين كانوا في زمن دقيانوس عبدوا الاصنام وهذه المقالة تصلح ان تكون مما قاله الفتية في مقامهم بين يدى دقيانوس ويصلح ان يكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم الامر الذى عزموا عليه لولا ياتون عليهم بسلطان بين اى هلا ياتون على عبادتهم بحجة ظاهرة على عبادة الاوثان محال وهذا من مقال الفتية وهو دليل على فساد التقليد فيما يتعلق بالوحدانية ولا بد فيه من الحجة وصح وثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشرك اليه

قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا عزيمتهم على الفرار بدينهم ان كان القيام في قوله اذ قاموا عبارة عن ابتعاثهم بالعزم على الفرار بالدين وان كان القيام هو القيام بين يدى دقيانوس فلا يصلح هذا الكلام ان يكون مما قالته الفتية في مقامهم بين يدى دقيانوس بل يكون في الكلام حذف تقديره قال بعضهم لبعض ويصح ايضا ان يكون المراد من القيام الابتعاث بالعزم وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب في اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله يحتمل ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويعرفون الله تعالى كما كان اهل مكة لكنهم يشركون اصنامهم معه في العبادة لان الاعتزال وقع في كل ما يعبدونه الا في جهة الله ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا ان كان الكفار الذين اعتزلهم الفتية لا يعرفون الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون الالهة في اصنامهم فقط وقيل قوله وما يعبدون الا الله جملة منفية معترضة بين اذ وجوابها فالتقدير واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف والجملة المنفية المعترضة اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعرفوا غير الله قال الفراء فاووا الى الكهف هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا ومعناه انه قال بعض الفتية لبعض واذ فارقتموها ولا فرقتم الا لدين التوحيد وامنتم دونه الهة وعبدتم الله وحده فاجعلوا الكهف ماويكم ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا اى ما يرفق به قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء ونافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهى لغة اهل الحجاز فيما ارتفعت اما انتفعوا اذ كذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وتصوح بفضهم وامانة يخبرهم بعضهم عن عصرهم وامانة يكون بعضهم داعيا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله في امر اخرتهم

قوله تعا

قوله تعالى

وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اى تميل وتنحرف والتزاور هو الميل والانحراف واصل تزاور تتزاور وسكنت التاء الثانية وادغمت في الراء ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين اى ترى ايها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد ان من خوطب بهذا يرى هذا المعنى وتكون العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه انك لو رايته لرايته على هذه الصورة واذا غربت تقرضهم تقطعهم لانقراضهم اى تعدل من سمت رؤسهم الى جهة الشمال قيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف فكان الهواء الطيب والنسيم الملائم يصل اليه والمقصود ان الله تعالى صان اصحاب الكهف من ان يقع عليهم ضوء الشمس فيفسد اجسامهم وكان يوصل اليهم الهواء الطيب والنسيم الموافق من جانب الشمال فصونت اجسامهم عن التغير والفساد وقيل ان المراد ان الله تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وقت طلوعها وغروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى اصحاب الكهف به شاهد قوله تعالى ذلك من ايات الله ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لكان ذلك امرا معتادا مألوفا فلم يكن ذلك من ايات الله وهم في فجوة متسع منه من الكهف والمعنى انهم في ظل نهار هو كله مع انهم في مكان متسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في منفتح من كهفهم ينالونه فيه روح الهواء وبرد النسيم لا يحسون كرب الكهف ذلك اى ما صنع الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى ان ما كان في ذلك الوقت تنبيه الشمس ولم يصبهم اختصاصا لهم بالكرامة ومن قال باب الكهف شمالي مستقبل البنات نعش وهو في مكان لا تطلع عليه الشمس ابدا قال معنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله ثم بين الله تعالى انه كما انه بقاهم هذه المدة الطويلة مصونا من الهلاك بلطفه وكرمه فكذلك اهتداهم الى الايمان بالله والفرار بالدين الى الحق بهداية الله تعالى من يهد الله فهو المهتد ومثل اصحاب الكهف ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا كدقيانوس الكافر ومن تابعه والاية ظاهرة دالة على مذهب اهل السنة وتفسير الهداية باللطف والاضلال بالخذلان كما هو مذهب المعتزلة صرف اللفظ عن الظاهر الحق الى خلافه الباطل

قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا

تحسبهم خطاب لكل احد اى لو رايتهم ايها المخاطب لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ وهم رقود نائمون قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لاجل ذلك ايقاظا وقيل يدل على ذلك قوله تعالى ونقلبهم

ذات اليمين وذات الشمال قيل السغب واذكانت دليلا على ذلك لمى وراهم لكن الالفاظ لاتة لم يسقط الاخر[1] مستانفا قيل لهم تقليبا واحدة السنة وقيل تقلبة واحدة فى كل سبع سنين وقيل انما تقلبوا فى التسع الاواخر ولم يكن تقلب قلبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو مستهم الشمس لاحرقتهم ولولا التقليب لاكلتهم الارض فائدة تقليبهم لئلا يأكل الارض لحومهم ولا تبلهم ذات مضروبة على الارض لان المعنى نقلبهم فى ناحية اليمين وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية قال واسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان بمعنى الماضى واضافته اذ ذاك تفيد التعريف الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب لو اطلعت اشرفت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اى فزعا وخوفا والرعب الخوف الذى يملأ الصدر قرا ابن كثير ونافع وملئت مشددة مهموزة والباقون خفيفة مهموزة وذلك لما احدث الله تعالى فيهم من الهيبة وقيل طالت شعورهم واظفارهم وبقيت اعينهم مفتوحة وهم نيام فلهذا لو راهم لرأى هربا مرعوبا وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزى الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عمن فيها ولا فتطرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم وقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم **قوله تعالى** وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا سدس وكما انمنا النوم كذلك بعثناهم اذكرناهم بعد رقدته على الاتمام والبعث جميعا وقيل والبعد وكما رددناهم هدى وربطنا على قلوبهم وضربنا على اذانهم وابقيناهم احياء كذلك يبعثهم كذلك نعثناهم من تلك النومة التى تشبه الموت ليتساءل ليسأل بعضهم بعضا وينعرفوا حالهم وما صنع الله فيهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وقيل يجوز ان يكون المقصود من بعثهم انهم تساءلوا وينازعوا لانهم اذا قاسوا لوا لا تنكشف لهم من قدرة الله امور عجيبة واحوال غريبة وذلك لا نكشاف امر مطلوب وقيل اللام فى قوله تعالى ليتساءلوا لام الصيرورة كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم لانه بعثهم لم يكن لاجل تساؤلهم ثم قال تعالى قال قائل منهم من اصحاب الكهف لم لبثتم كم مقدار لبثكم فى الكهف وهذا القول من القايل يدل على انه بخبر خاطر طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الكاذب وانه لا يكون كذبا وانه جائز ان يكون خطأ روى انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله فى آخر النهار فقالوا لوما فلما رأوا الشمس باقية قالوا او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم على بن عباس هو رئيسهم يمليخا ورد العلم بمدة لبثهم الى الله تعالى كانه هاولا قد علموا بالادلة اونا لهام الله

[1] المدة

ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله قيل لما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم وراوا وجوههم اتاروا لتغيير الشديد علموا انه مثل ذلك لا يحصل الا فى مدة متطاولة فقالوا ذلك فابعثوا اى قالوا ربكم اعلم بمدة لبثكم لا طريق لكم الى علمه فحدوا فى شئ اخر مما يهمكم فابعثوا احدكم بورقكم بفضتكم هذه قرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بورقكم ساكنة والباقون مكسورة الراء حفيفة قيل كانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذى كان فى زمانهم الى المدينة قيل طرسوس روى انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو يملخا وان باب الكهف انهدم بنا الكفار منه لطول السنين روى ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ يملخا ثيابا بالية منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم بتحير وهو فى ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فراى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيانوس وبالامس كنا معه تحت ماكنا فمضى الى باب اخر فراى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه فظن انه جن وانفسد عقله فبقى حيران يدعوا الله تعالى ثم مضى الى بايع الطعام الذى اراد شراءه فقال يا عبد الله يعنى من طعامك بهذا الورق فدفع اليه دراهم خلافا لدراهم التى هى نقد المدينة فى ذلك الوقت فعجب لها البياع وتعاطاها الناس وقالوا هذه دراهم عهد دقيانوس من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويحب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما اعرف غير انى وامسى خرجنا بالامس من هذه المدينة فقال الناس مجنون اذهبوا به الى الملك فقرع عند ذلك فذهب به حتى جئ به الملك فلما رد قيانوس الكافر تأنس وكان قد ذكر الملك شيئا فاضلا يسمى يتيدوسيس فقال له الملك اين وجدت هذا الكنز فقال انما خرجت انا واصحابى بالامس من هذه المدينة فاوينا الى الكهف الذى فى جبل الجلوس فلما سمع الملك وكان قد قال الملك لعل الله قد بعث عليها الناس اية فلنسر الى الكهف معه حتى نرى اصحابه فسار وا وروى ان الملك او بعض جلسايه قال لها ولاهم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيانوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال يملخا ادخل عليهم ليلا يفزعوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروى انهم سروا وخرجوا الى الملك وعظموه ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم يملخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل الناس اليهم فرعب كل من دخلهم اقدموا فوجدوهم موتى فتنازعوا بحسب ما ياتى فى تفسير الاية التى بعد هذه الاية وقيل تزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راى المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما فى اوعية القوم من النفقات ومنه قول عايشة لمولاها عمن تحرم يشتد عليه همياته اوثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الجزع الى ان برز فى حج بيت الله وقد علم منه ذلك فكانت

مياسير اهل بلده كلما عزموا على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا
انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن وفي هذه البعثة الوكالة
وصحتها وقد وكل علي بن طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي الله عنه فلينظر ايها اي اهلها فحذف الاهل كقوله
تعالى وسئل القرية ازكى احل واطيب طعاما او اكثر وارخص عن بن عباس اراد ما حل من الذبائح لان عامة
اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وعن مجاهد كان ملكهم ظالما فقوله ايهم ازكى طعاما ابعد
عن الغصب وقيل ازيد شرا زبيب وقيل شرا تمر قال الزجاج ايهم مرفوع بالابتدا او ازكى خبره طعاما نصب
على التمييز فلياتكم برزق بما تاكلونه وليتلطف في امر التخفي وليدقق النظر اي وليحتل اي دخول المدينة
وشرا الطعام لئلا يطلع عليه ولا يشعرن بكم احدا اي ولا يفعلن ما يودي من غير قصد منه الى الشعور بكم
فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه اي ولا يخبرن بكم وبمكانكم احدا من اهل المدينة انهم ان
اهل المدينة ان يظهروا ان يطلعوا او يشرفوا على انفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته يرجموكم
يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكان الرجم عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف
ويصيروكم اهلها والعود في معنى الصيرورة كثير في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتدا الفعل
وقيل يردوكم الى دينهم ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم في ملتهم لم تسعد في الدنيا والاخرة
فان اذا تدل على الشرط قيل لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين فاحدهما فيه هلاك النفس وهو
الرجم الذي هو اخبث انواع القتل والاخر هلاك الدين ما يردوكم الى الكفر فان قيل اليس انهم لو اكرهوا
على الكفر حتى اظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل
ان يكون المراد انهم لو ردوها ولا المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه ثم بقوا مظهرين لذلك الكفر
فانه يميل قلبهم اليه ويصيروا كافرين في الحقيقة فهذا الاحتمال قائم وكان حولهم منه **قوله**
تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم
منهم احدا والمعنى كما زدناهم هدى وربطنا الصبر على قلوبهم وانمناهم وقلبناهم وبعثناهم لما فيها
من الحكمة اعثرنا اطلعنا عليهم غيرهم يقال عثرت على كذا اي علمته وقالوا ان اصل هذا ان من كان غافلا عن شي
فعثر به نظر اليه وعرفه فكان العثار سببا لحصول العلم فاطلق اسم السبب على المسبب ليعلم الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
روي ان ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا

للملك

للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الوقت فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال اخرون
الروح يبعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع الى الله تعالى ان يظهر له اية يستدل
بها على ما هو الحق في هذه المسئلة فاطلعه الله على امر اصحاب الكهف فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة
بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك الزمان الطويل يشبه من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب
فيها اي وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها اي وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها وان وقع اليك لبعض
الناس فلا يخلقها شي اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حتى يتنازعون بينهم امر دينهم
ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول يبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يبعث الاجساد
مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل
الموت فالقايلون بالبعث استدلوا بهذه على صحة البعث وقالوا كما قدر الله على حفظ الاجساد مدة ثلثمائة
سنة وتسع سنين كذلك يقدر على حشر الاجساد بعد موتها وقيل ان الملك وقومه لما راوا اصحاب
الكهف ووقفوا على حالهم عاد القوم على كهفهم فاماتهم الله فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام
كالكرة الاولى وقال اخرون بل الان ماتوا وقيل قال بعضهم الاولى ان يسد باب الكهف لئلا يدخله احد
ولا يقف على احوالهم انسان وقال بعضهم الاولى ان يبنى على باب الكهف مسجد وقيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا
في قدر مكثهم وقيل تنازعوا في عددهم واسمايهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي فقالوا حين توفى الله اصحاب
الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها
كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قيل انه من كلام المتنازعين
كانهم لما تنازعوا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلم يهتدوا الى حقيقة ذلك
قالوا ربهم اعلم بهم وقيل ان هذا من كلام الله ذكره ردا لقول الخايضين في حديثهم من اولئك المتنازعين
او من الذين تنازعوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب قال الذين غلبوا على امرهم
من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم وقيل الذين غلبوا اوليا اصحاب الكهف وقيل روسا البلد
لنتخذن عليهم مسجدا اي لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل
اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله
من الايات فيهم اذ يتنازعون بينهم تدبر امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق
اليهم فقالوا ابنوا على باب الكهف بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى
عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على
الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف وفروا بكلب

فتبعهم الكلب فطردوه فانطقه الله فقال الكلب ما تريدون مني انا احب احبا الله فناموا وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم الراعي على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على
اذانهم الحجاب وقيل ان بعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقيل اختلف اهل مملكته في البعث
معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال الله ان يبين لهم
الحق فالقى الله في رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة
من بعثوه لابتياع الطعام واخراج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا
به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على
البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من السياج وبنى على باب الكهف مسجدا ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة الضمير في قوله
سيقولون للخايضين في قصة اصحاب الكهف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المومنين
واهل الكتاب سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت
اخبارا بما يجري بينهم من اختلافهم في عددهم وبين المصيب منهم يقول سبعة وثامنهم كلبهم روى
ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة
سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك
باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماوهم
تمليخا ومكشليفيا ومشلينيا هاولا اصحاب اليمين اليمين وكان عن يساره مرنوس
ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هاولا الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين
نزلوا من دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير واعلم ان اكثر المفسرين على ان هذا الاخير
وهو انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هو الحق ومما يدل على الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز
وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
والدلالة على اتصال الموصوف بالصفة امر ثابت مستقر وكانت هذه الواو هي التي دلت على ان
الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا قولا عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن والدليل
عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل
فاتباع القولين الاولين بقوله رجما بالغيب واتباع القول الثالث بقوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم

الاقليل

الا قليل موذن بان القول الثالث ممتاز عن القولين الاولين بمزيد القوة والصحة عن بن عباس رضي الله
عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم
كلبهم على القطع والثبات وايضا قال تعالى ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي انه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل
وكل من قال من المسلمين قولا في هذا الباب قالوا انهم سبعة وثامنهم كلبهم فالظاهر ان المراد من ذلك
القليل هاولا الذين قالوا انهم سبعة وثامنهم كلبهم قال بن عباس رضي الله عنهما انا من اوليك العدد
القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم ذكر الامام وجوها في بيان ان الحق هو الثالث منها انه تعالى
قال قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا يدل على ان قليلا لهم العلم بعددهم والظاهر انه تعالى
حكى الاقوال جميعا اذ يبعد ان يذكر الاقوال الباطلة ولا يذكر القول الحق والاقوال المذكورة منحصرة
في الثلثة ثم خص الاولين بالرجم بالغيب فيظهر ان الحق هو الثالث ومنها انه تعالى قال لرسوله فلا تمار
فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فمنعه تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتايهم
في هذا الباب وهذا انما يكون لو علم حكم هذه الواقعة وقال لا يعلمهم الا قليل ويبعد ان يحصل العلم لغير
النبي ولا يحصل للنبي فظهر ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي صلى الله عليه وسلم والظاهر انه لم يحصل بها
للنبي الا بالوحي لان الاصل عدم غيره فظهر ان الحق هو القول الثالث وهو قوله وثامنهم كلبهم قال ان هذه
الوجوه وان كان فيها بعض الضعف لكن اذا يتقوى البعض بالبعض حصل فيه قوة واعلم انه تعالى
جا بسين الاستقبال في الاول دون الاخيرين وفيه وجهان احدهما ان يدخل الاخيرين في حكم الاول
قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الاكرام والانعام وثانيهما ان يريد بقوله يقولون في الاخيرين
معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة
ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب
الرجم الرمي والغيب ما غاب عن الانسان اي رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي
ياتون به معناه انه يرمي غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة يقال فلان يرمي بالكلام رميا اي يتكلم من غير
تدبر او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم كثيرا ما يقولون رجم بالظن فكان قولهم
ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين فان قيل ما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت
عليها دون الاولتين اجيب عنه من وجوه منها ما ذكر انه هو الواو الداخل على الجملة الواقعة صفة
وانما دخل على الاخيرة دون الاولتين ليفيد ثبوت الاخيرة دون الاولتين وقيل ان هذه الواو واو عطف
دخلت في اخر اخبار عن عددهم ليدل على ان العدد الواو الذي قبل الواو نهاية ما قيل ولو سقطت لصح
الكلام واذا كان كذلك فاذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستيناف فقالوا وثمانية وسمى
فرقة هذه الواو بواو الثمانية وذكر ان العرب تقول واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية

لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظيره قوله تعالى لتبوئ العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله في صفة اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق لان العلم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث الماضية والمستقبلة لا يكون الا لله اولمن اخبره الله عنها الا قليل الطاهر انه اراد به القائلون بالقول الثالث وهم الذين على امر الرسول باخبار الله عن بن عباس انا ممن اولئك القليل فانه علم ساعة الى رسول وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب منهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين قوله تعالى فلا تمار فيهم اي ولا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدلا ظاهرا غير منعمق وهو ان يعلمهم ما اوحى الله اليك حسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا من اهل الكتاب عن قصة اصحاب الكهف سوال متعنت له حتى تقول شيا فرده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا تسوال مسترشد لان الله قد ارشدك بما اوحى اليك فصمم

قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الاعتراض بمشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلق قوله الا ان يشاء الله بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك في ذلك القول والمعنى انه ليس لك ان تقول اني فاعل ذلك غدا الا ان اذن الله تعالى لك في ذلك وثانيهما ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اي الا بمشيئة الله وقوله ان يشاء الله في موضع الحال اي الا ملتبسا بمشيئة الله قال الا ان يشاء الله اي ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا في حال من الاحوال الا حال التباس القول بقولك ان شاء الله والسبب في انه لا بد من ذكر هذا القول هو ان الانسان اذا قال اني فاعل ذلك في المستقبل لم يعد ان يموت قبل مجيء الغد ولم يعد ايضا على تقدير بقاء حياته ان يوقعه من ذلك الفعل عاين فاذا لم يقل ان شاء الله صادقا كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام فلهذا السبب اوجب الله عليه صلى الله عليه وسلم ان يقول ان شاء الله حتى لو تعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذبا فلم يحصل المنفر قال صاحب الكشاف وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء الله في معنى كلمة التابيد كانه قيل ولا تقولن لذلك ابدا ونحو قوله تعالى الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم محال لو شاء الله وهذا نهي تاديب من الله تعالى لنبيه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم حين قال اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت فيه وجهان احدهما ان معناه واذكر مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لقولك ان شاء الله والمعنى اذا نسيت قولك ان شاء الله ثم تنبهت عليه فتداركه بالذكر وعند هذا اختلفوا فعن بن عباس انه قال لو لم يحصل التذكر الا بعد سنة ثم ذكر ان شاء الله كفى في رفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه اي انه يقدر على الاستثناء في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلبة ناقة عشر وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا واحتج بن عباس بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر ان المراد من قوله واذكر ربك هو الذي تقدم ذكره في قوله الا ان يشاء الله وقوله واذكر ربك اذا نسيت غير مختص بوقت معين فيجب عليه هذا الذكر في اي وقت حصل هذا التذكر وكل من قال وجب هذا الذكر قال انما وجب لدفع الحنث ويفيد المطلوب قال الفقهاء لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من العهود والايمان يحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف بن عباس في الاستثناء المنفصل اي المنفصل بحسب الزمان فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه وثانيها انه قوله واذكر ربك اذا نسيت لا تعلق له بما قبله بل هو كلام مستانف وعلى هذا القول ففيه وجوه منها واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء والمراد منه الترغيب في الاهتمام بذكر هذه الكلمة ومنها واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به ومنها واذكر ربك اذا عراك النسيان لتتذكر المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لشيء اخر بدل المنسي اقرب منه رشدا واد في خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان جنيا كقوله تعالى او ننسها ناتت بخير منها وقيل معناه لعل الله يوتيني من البينات والحجج على انه نبي من عند الله صادق في ادعاء النبوة ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من بناء اصحاب الكهف وقد فعل الله ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل لهذا في قوله لاقرب من هذا اشارة الى بناء اصحاب الكهف

قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا هذه الاية اخر الايات المذكورة في قصة اصحاب الكهف عن قتاده ان هذا حكاية بكلام اهل الكتاب فانه تعالى قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم الى ان قال ولبثوا في كهفهم اي اهل الكتاب قالوا ولبثوا في كهفهم ولو كذبه الله تعالى قال بعده

قل الله اعلم بما لبثوا وهذا تشبيه الرد عليهم ويؤكده ما ورد ايضا في حرف عبد الله بن مسعود وقالوا
لبثوا في كهفهم كلام الله فانه اخبر عن كمية تلك المدة اي لبثهم في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهو بيان لما احتملت في قوله وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا
ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا في اصحاب الكهف بمدة لبثهم والحق ما اخبرك
الله واما قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم فهو كلام قد تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الاية ما يقتضي
انقطاع احدهما عن الاخر وهو قوله ولا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا لا يستدعي
ان يكون ما قبله حكاية لان المراد بقل لمحمد لها ولا المختلفين الله اعلم من الذين اختلفوا فيهم فارجعوا الى
خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب فان الحق ما اخبر الله به سنين عطف بيان لثلثمائة فانه لما قال ثلثمائة
لم يعرف انها ايام ام شهور ام اعوام فلما قال سنين صار بيانا لثلثمائة وازدادوا تسعا اي ازدادوا تسع
سنين لان ما قبله يدل عليه فان قيل لم يقل ثلثمائة وتسع سنين وقال ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا اي
ازدادوا تسعا قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلثمائة سنة شمسية وهي ثلثمائة وتسع سنين قمرية وهذا
ليس بصواب لان الصواب يدفعه ويمكن ان يقال لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه
ثم اتفق بقاؤهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم قال تعالى قل الله اعلم بما لبثوا معناه انه تعالى اعلم
بمقدار هذه المدة من الناس الذين اختلفوا لاختصاصه بما في السموات والارض وخفي فيها من
احوال اهلها للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك المبصرين لانه يدرك
الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
ما لهم من دونه اي ما لاهل السموات والارض متول لامورهم وقيل ما لاصحاب الكهف من دون الله
من ولي يتولى امورهم ويقيم لهم تدبير انفسهم فاذا كانوا محتاجين الى تدبير الله وحفظه فكيف يعلمون
هذه الواقعة من غير اعلامه ولا يشرك في حكمه احدا اي ان الله تعالى لما حكم ان لبثهم هذا المقدار
ليس لاحد ان يقول قوله بخلافه واختلف الناس في عهد اصحاب الكهف وفي مكانهم اما العهد
الذي كانوا فيه فقيل انهم قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التورية ولهذا السبب سال
اليهود عنه وقيل انهم دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر المسيح عليه السلام بخبرهم ثم بعثوا في الوقت
الذي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل انهم دخلوا الكهف بعد المسيح وقال قوم انهم لم يموتوا
ولا يموتون الى يوم القيمة واما مكان الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي في المنجم ان الواثق
اتخذه ليعرف حال اصحاب الكهف والرقيم الى ملك الروم قال محمد الخوارزمي فوجه ملك الروم معي اقواما الى
الموضع الذي يقال انهم فيه وقال ان الرجل الموكل بذلك الموضع فزعني من الدخول عليهم قال فدخلت فرايت
الشعور على صدورهم قال وعرفت انه لموته واحتيال وان من الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث

بالادوية

بالادوية المجففة لابدان الموتى وصونها عن البلى مثل التلطيخ بالصبر وغيره ثم قال القفال
والذي عندنا انه لا يعرف ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف او موضع اخر ولا عبرة بقول
اهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف قال ابن عطية روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس الى الكهف فوجدوا
عظاما فقالوا هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك اقوام قد عدموا منذ مدة طويلة
فسمعه راهب فقال ما كنت احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا فسكت
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم هو واصحاب الكهف وعليهم مسجد
ربنا يسمى الرقيم ومعهم كلب عن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر
اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم حالهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم قال الامام العلم بذلك الزمان وبذلك المكان
ليس للعقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود فلا سبيل اليه **قوله تعالى**
واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا اعلم ان كفار
قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ايت بقران غير هذا او بدله فقال تعالى له صلى الله عليه وسلم
واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران اي الزم قراءة ما اوحي اليك والزم العمل به ولما يسمع لما
يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر ذلك
هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه
ان هممت بذلك قال الامام وهذه الاية يمكن التمسك بها في اثبات ان تخصيص النص بالقياس
لا يجوز لان قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك معناه الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب
وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان قيل فيجب ان لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا
مذهب ابي مسلم الاصفهاني وليس ببعيد وانصاف النسخ ليس بتبديل على الحقيقة لان
المنسوخ في وقته الى وقت طريان النسخ فالنسخ فلا يكون تبديلا **قوله تعالى**
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم
تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا
قرا ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال وفتح الواو والباقون بفتح الغين والدال
والالف بعد الدال سبب نزول هذه الاية ان صناديد قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اطردها ولا الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم عمار بن ياسر وصهيب وابن مسعود

وجباب وغيرهم من فقرآ المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وبينها بالغداة والعشي دائبين على الدعا مواظبين
عليه في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقيل المراد الغداة والعشي لان الغداة هي الوقت الذي ينتقل
الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو الذي
ينتقل الانسان فيه من اليقظة الى النوم وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الحياة الى الموت والانسان
العاقل يكون في هذا الوقتين كثير الذكر لله عظيم الشكر لآلائه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطى سخاء وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج اليهم وجلس بينهم وقال الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معه
وروي انه قال رحبا بالذين عاتبني فيهم ربي ثم قال تعالى ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه اذا جاوزه
ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا زيد وانما عدي بعن لتضمين معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه
عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم يعلق به قال صاحب الكشاف فان قلت اي غرض في هذا التضمين
وهلا قيل ولا تعدهم عينا اي ولا تقل عيناك عنهم قلت الغرض فيه مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاوه
معنى قد الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم والمقصود انه نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقرآ المومنين وان ينبو عينه رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا
وحسن شارتهم اي بنيتهم تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال يعني ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك
عليه الا رغبتك في زينة الحياة الدنيا ولما بالغ في امره بمخالفة الفقرا من المسلمين تابع في النهي الى
الالتفات الى اقوال الاغنيا الغافلين عن ذكر الله فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واحتج
اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال والغافلين قال صاحب
الكشاف اغفلنا قلبه اي جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او اغفلنا قلبه معناه وجدناه
غافلا عنه كقولك اجتنبته واقحمته وابخلته اذا وجدته كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
قاتلناكم فما اجبناكم وسالناكم فما ابخلناكم وهجوناكم فما اقحمناكم اي ما وجدناكم جبنا ولا بخلا ولا مقحمين
او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم يسمه بالذكر وقد ابطل الله قول المجبرة بقوله واتبع هواه
بيان ذلك من وجهين احدهما انه لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان يقال فاتبع هواه
على التقدير يكون اتبع هوا من الافعال المطاوعة وهي انما تعطف بالفاء لا يقال دفعته فاندفع وكسرته
فانكسر ولا يقال واندفع وانكسر وثانيهما انه تعالى قال واتبع هواه ولو كان تعالى جعل قلبه غافلا
حقيقة لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباعه هواه وايضا قال تعالى بعد هذه الاية فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر ولو كان الله تعالى خلق الغفلة في قلبه لما صح ذلك والجواب عن قوله جعلنا قلبه

غافلا

غافلا عن الذكر بالخذلان انه ان كان لتلك الخذلان اثر في حصول تلك الغفلة فقد صح قولنا والا بطل
اسناد تلك الغفلة الى الله وعن قوله اغفلنا اي وجدناه غافلا ان الاشراك على خلاف الاصل فيكون
الاغفال حقيقة في احدهما مجازا في الآخر فجعله حقيقة في ايجاد الغفلة مجازا في الوجدان اولى
من العكس فان الافعال في الايجاد اكثر من الافعال في الوجدان والكثرة دليل الرجحان وعن قوله
لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان يقال فاتبع هواه انه انما يلزم ذلك لو كان خلق الغفلة
عن ذكر الله ولا يتبع الهوى بل يبقى متوقعا لا ينافي مقام الحيرة والدهشة وعن قوله لو كان تعالى جعل
قلبه غافلا عن الذكر حقيقة لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباعه هواه ~~ان اتباع الهوى بل يبقى متوقعا~~
~~لا ينافي مقام الحيرة والدهشة وعن قوله لو كان تعالى جعل قلبه غافلا عن الذكر حقيقة لم يجز ان يضاف~~
~~ذلك الى اتباعه هواه~~ ان اتباع الهوى ان لم يكن بمشيته فهو بخلق الله وان كان بمشيته فتلك المشية
بخلق الله فاضطر الى اتباع الهوى فهو من الله قال الامام قالت المعتزلة قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر صريح في ان الامر في الايمان والكفر مفوض الى مشية العبد واختياره فمن انكر ذلك
فقد خالف صريح القران ولقد سألني بعضهم عن هذه الاية فقلت بل هذه الاية من اقوى الدلايل
على صحة قولنا وذلك ان الاية صريحة ان الايمان وحصول الكفر موقوفان على حصول مشية الايمان
وحصول مشية الكفر وصريح العقل ايضا يدل على ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد
اليه وبدون الاختيار له اذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد اخر
يتقدمه واختيار اخر يتقدمه لزم ان يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر واختيار اخر الى غير النهاية
وهو محال فوجب انتهاء تلك القصود وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يخلقه الله في العبد على سبيل
الضرورة وعند حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يجب الفعل فالانسان شاء
او لم يشاء فانه يحصل في قلبه تلك المشية الجازمة الخالية عن المعارض واذا حصل تلك المشية
الجازمة شاء او لم يشاء يجب ترتب الفعل عليه فلا حصول المشية ولا حصول الفعل مرتبا على المشية
به فان الانسان مضطر في صورة مختار ولقد قرر الشيخ ابو حامد الغزالي في باب التوكل من احيا علوم
الدين مقال فان قلت اني اجد من نفسي وجدانا ضروريا اني ان شئت الفعل قدرت عليه وان شئت
الترك قدرت عليه فالفعل والترك في لا بغيري واجاب عنه وقال هب انك تجد هذا المعنى ولكن
هل تجد من نفسك انك ان شئت مشية الفعل حصلت تلك المشية لم تحصل لا بل العقل يشهد بانه
يشاء الفعل لا يسبق مشية اخرى على تلك المشية واذا شاء الفعل وجب حصول الفعل من غير
مكة واختيار في هذا المقام فحصول المشية في القلب امر لازم وترتب الفعل على حصول تلك
المشية ايضا امر لازم وهذا يدل على ان الكل من الله وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله

ايضا يدل على ان الايمان والكفر وان كان معلقا على مشيتنا فهما بمشية الله تعالى لان مشيتنا مرتبة
على مشية الله تعالى واعلم ان قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يدل على ان شر
احوال الانسان ان يكون قلبه غافلا عن ذكر الله متبعا لهواه الداعي الى الاشتغال بغير الحق فان ذكر الله
مطلع النور وذكر غيره منبع الظلمة فالقلب اذا اشرق فيه ذكر الله حصل فيه النور واذا غفل عن الحق
واشتغل بالخلق حصل فيه الظلمة فلهذا السبب اذا اعرض القلب عن الحق واقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة
التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله واتبع
هواه وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل
ومعناه ان الامر يلزمه الحفظ والاهتمام به هو امر دينه يكون مخصوصا بايقاع التفريط والتقصير
فيه وهذه صفة من لا ينظر دينه وانما عمله لدنياه فالله تعالى بين من حال من اغفل قلبه عن ذكره واتبع
هواه ان امره فرطا اي انه مقصر في مهماته معرض عما وجب عليه من التدبر في الايات والتحفظ لمهمات
الدنيا والاخرة والحاصل انه تعالى وصف اوليك الفقرا بالمواظبة على ذكر الله وارادة الاقبال على الله
والاعراض عن غير الله فقال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ووصف هاولاء الاغنياء
بالاعراض عن ذكر الله والاقبال على غير الله فقال اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وامر النبي صلى الله
عليه وسلم بصبر نفسه مع الاولين ونهاه عن طاعة الاخرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري
وقارئ يقرئ من القران فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ماذا تصفون قلنا يا رسول الله كان
واحد يقرا من كتاب الله ونحن نستمع فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر
نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة قبل الاغنيا
بمقدار خمسين الف سنة **قوله تعالى** وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء
فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بيس الشراب وساءت مرتفقا لما امر الله رسوله بصبر نفسه مع اوليك الفقراء ونهاه
عن تلك الاغنيا في طرد هاولا الفقرا قال بعده وقل الحق من ربكم اي قل لهاولا ان هذا الدين الحق انما
اتى من عند الله فان قبلتموه عاد النفع عليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى
والقبح والحسن والخمول والشهرة وقيل المراد ان الحق ما جاء من عند الله والحق الذي جاء من عند الله ان اصبر
نفسي مع هاولاء الفقرا ولا اطردهم ولا اطيع الاغنيا الغافلين وقيل المراد هو ان الحق الذي جاء من عند الله
ان من شاء فليومن ومن شا فليكفر وان الله تعالى لم ياذن في طرد من امن وعمل صالحا لان يدخل في
الايمان جمع من الكفار فان قيل ترجيح الاهم على المهم مقتضى العقل والدين وطرد اوليك الفقرا لا يوجب
الا كسر ~~لا تلتفت~~ حرمتهم وهذا ضرر دنيوي قليل اما عدم طردهم فمستدعي لبقا الكفار على الكفر وهذا ضرر

عظيم

عظيم اجيب بان من ترك الايمان حذرا من مجالس الفقرا فايمانه ليس بايمان بل هو نفاق فاحش فالعاقل
لا يلتفت الى ايمان من هذا حاله وصفته والامر في قوله تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر ورد
للتهديد والوعيد لا للطلب نقل عن علي رضي الله عنه انه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليس بتخيير
وقل الحق الحق خبر مبتدا محذوف تقديره وقل الذي اتيتكم به الحق من ربكم والحق عامل في من ربكم فان قيل
لم لم يجعل الحق مبتدا ومن ربكم خبره اجيب بان قوله الحق من ربكم كالفذلكة بما ذكر من مفتتح السورة
او لجمع ما جاء به صلى الله عليه وسلم ثم ترتب ما بعده بالفاء عليه وذلك انما يستقيم اذا جعل الذي اتيتكم
من مبتدا والحق خبره اي الذي جيتكم به الحق من ربكم فيكون المعنى ما جيتكم من الكتاب الكريم العري عن الاعوجاج
الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوي على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل الريب
والشبهات هو الحق من ربكم ثم رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه ودفع الحق الصراح ووعد من
اذعن للحق وامن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين
نارا الى اخر الايات وعن مجاهد والسدي وعيد من الله وانذار وقد بين بعده ما لكل فريق من مومن او كافر
وقيل قل لهم يا محمد هذا الحق اي هذا القران من ربكم او هذا الاعراض عنكم وترك الظاهر بكم وصبر اليقين
مع المومنين وقوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر توعد وتهديد اي فليجر كل امرء لنفسه ما عده عدا عند
الله وقيل معناه فمن شاء الله ايمانه فليومن ومن شاء الله كفره فليكفر اي فحقه الايمان وحقه الكفر ثم
عبر عن ذلك بلفظ الامر الزاما وتحريضا من حيث ان الانسان في ذلك التكسب الذي يتعلق بثواب
الايمان وعقاب الكفر ولما علق الامر بالايمان والكفر على المشية اتبعه بذكر الوعيد على الكفر والسيات
وبذكر الوعد على الايمان والعمل الصالح اما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اعتدنا ماخوذ
من العتاد وهو الشيء المعد الحاضر اي اعتددنا للظالمين الغافلين عن ذكر الله المتبعين للهوى
نارا احاط بهم سرادقها وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق اي
يحيط النار بهم من جميع الجهات لا مخلص لهم منها وقيل السرادق دخان يحيط بهم قبل دخولهم النار
وان يستغيثوا اي وان يستغيثوا من حر جهنم يغاثوا بماء كالمهل وارد على سبيل التهكم لقولهم تحية
بينهم ضرب وجيع ولقوله فاعتبوا بالصيلم اي السيف والمهل ما اذيب من جواهر الارض كالذهب
والفضة والرصاص وقيل دردي الزيت روي ان عبد الله بن مسعود اهديت اليه سقاية من ذهب
او فضة فامر بها فاذيبت حتى تمعنت وتلونت الوانا ثم دعا من ببابه من اهل الكوفة فقال ما
رايت في الدنيا ادنى شبها بالمهل من هذا وقيل المهل الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران
ثم يحتمل ان يكون هذه الاستغاثة لانهم طلبوا ما للشرب فيسقون من المهل قال تعالى تصلى نارا
حامية تسقى من عين انية ويحتمل ان يستغيثوا من حر جهنم فطلبوا ما يصبونه على انفسهم للتبريد

فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء وقال في اية اخرى سرابيلهم من قطران
فاذا استغاثوا من حرجهم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب يشوي وجوههم من حرارته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ككر الزيت فاذا قرب اليه
سقطت بيس الشراب اي الماء الذي كالمهل وساءت النار مرتفقا اي منزلا ومجتمعا للرفقة لان اهل النار
يجتمعون رفقا كاهل الجنة وقيل مرتفقا متكيا من المرفق وهو ما ارتفقت به وانتفعت به وهذا
لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فالارتفاق لاهل النار والاتكا **قوله تعالى**
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا لما ذكر الوعيد على الكفر
والسيئات اردفه بذكر الوعد على الايمان والحسنات وعطف وعملوا الصالحات على امنوا يفيد
مغايرة الايمان للعمل الصالح انا لا نضيع اجر من احسن عملا بحكم الوعد على سبيل الفضل لا ان الفعل
لذاته او لصفة لازمة او بوجه واعتبار يقتضي الاجر انا لا نضيع خبر ان ولما كان الذين امنوا
وعملوا الصالحات ومن احسن عملا منهم السمن منوان بدرهم اي منه وقيل يجوز ان يكون اولئك
خبر ثان لان ويجوز ان يكون اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ويجوز ان يجعل اولئك كلاما
مستانفا بيانا للاجر المبهم فانه تعالى لما اثبت الامر المبهم اردفه بالتفصيل يحلون فيها اي
يحليهم الله والملائكة فيها من اساور جمع اسورة وهي جمع سوار قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس
في الدنيا الاساور في اليد والتيجان تحطي الروس جعل الله ذلك لاهل الجنة عن سعيد بن جبير على كل واحد
من اهل الجنة ثلثة من الاساور واحد من ذهب لقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤ وواحد من فضة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وينكر اساور لابهام امرها في
الحسن ومن في من اساور للابتداء ومن ذهب للتبيين ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
من ديباج دقيق واستبرق ديباج غليظ وهما معربان قيل قال تعالى في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم
فاعله وفي السندس والاستبرق يلبسون على فعل سمي فاعله اشارة الى ان الاول بفضل
والثاني جزاء العمل متكئين فيها بيان لكيفية جلوسهم والاتكاء التحامل على الشيء على الارائك جمع
الاريكة وهي السرير في حجلة هي بيت تزين بالثياب والاسرة والستور وقيل الارائك الفرش في الحجال
وقيل الفرش وقيل الاسرة وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على اريكتهم نعم الثواب في مقابلة بيس
الشراب وحسنت مرتفقا **قوله تعالى** واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه

شيئا

شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم
سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا
بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من
دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا اعلم ان كفار قريش الذين
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي افتخروا
باموالهم واعوانهم على فقراء المؤمنين فبين الله تعالى ان ذلك ليس في محل الافتخار لانه في معرض الغناء والزوال
وكشف ذلك بضرب المثل فقال واضرب لهم مثلا اي مثل حال الكفار المفتخرين بالمال والاعوان وحال
المؤمنين بحال رجلين فالرجل الكافر الذي هو صاحب جنتين بازاء المفتخرين من كفار قريش والرجل
المؤمن المقر بالربوبية بازاء فقراء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبن مسعود وخباب وامثالهم
قيل هذا المثل مضروب لمن هذه صفته وان لم يقع ذلك في وجود قط والظاهر ان هذا المثل مضروب
برجلين موجودين روى عطاء عن بن عباس رضي الله عنهما انهما كانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر
اسمه طروس والاخر مؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فقال اللهم اني اشتري منك
دارا في الجنة بالف دينار فتصدق ثم تزوج اخوه امراة بالف دينار فقال اللهم اني جعلت الفا
صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف
دينار فتصدق به ثم اصاب المؤمن حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما اخوان من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين
من اعناب بستانين سمي البستان جنة لانستار ما يستتر منه بظل الاشجار وحففناهما
بنخل اي جعلنا النخل محيطا بالجنتين يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله
وحف متعد الى مفعول واحد فيزيده الباء مفعولا ثانيا وكون الجنة من اعناب محفوفة بنخل
ما يؤثره الدهاقين في جناتهم وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا بين الجنتين زرعا جعل الجنتين ارضا
جامعة لخير الفواكه الاعناب والنخل والاقوات ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ويفصل بينها مع سعة اطرافها وتباعد اكنافها وحسن هيئتها واظن بزينتها كلتا

الجنتين آتت اكلها اى انت كلتا الجنتين كل وقت بمنفعة وثمرة نعتها بوفا الثمار وتمام الاكل من غير
نقص اكلها اى ثمرها الذى يوكل كلتا الجنتين مبتدا آتت خبرها حمل على اللفظ ان كلتا لفظة مفردة
ولم تظلم ولم ينقص من حملها شيئا والظلم النقصان يقول الرجل ظلمنى نقصنى وفجرنا خلالهما اى فجرنا
وسطهما نهرا والتشديد للمبالغة لان النهر يمتد فيكون كالانهار وكان له ثمر قرا ابو عمرو ثمر بثمره بضمة
واحدة وسكون الميم وعاصم بفتح الثاء والميم فيهما والباقون بضمتين فيهما اى انواع من المال من ثمر
ماله اذا كثر اى كان له مع الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما
فكان وافر الثمار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شا فقال الاخ الكافر لصاحبه لاخيه
المسلم وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة اى الاخ الكافر يحاور المسلم
يعنى الاخ الكافر اخذ بيد الاخ المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وقيل
وهو يحاوره اى كان الاخ المسلم يحاور اخاه الكافر بالوعظ والدعا الى الايمان بالله تعالى قال الكافر انا اكثر منك مالا
واعز نفرا والنفر عشيرة الرجل واصحابه الذين يقومون بالذب عنه وينفرون معه ودخل جنته افرد
الجنة بعد التثنية اى دخل ما هو جنته ماله جنة غرسها يعنى انه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المتقون
فما ملكه فى الدنيا جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وقيل افرد الجنة من حيث الوجود لذلك
اذ لا يدخلهما معهما فى وقت واحد ثم قال تعالى وهو ظالم لنفسه وهذا اعتراض وقع فى اثناء الكلام والمراد انه
معجب بما اوتى مفتخر به كافر بنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم ثم حكى الله تعالى عن الكافر
انه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اخبر عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته اى هلاكها وبالشك عن قيام
ساعته واخباره عن نفسه بالشك فيها انما هو لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته بالمهلة
واطراحه النظر فى عواقب امثاله واكثر الاغنيا وان لم يقولوا نحو هذا بالسنتهم فان السنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربى او سام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
وكما يزعم صاحبه اخوه منه لاجدن فى اخره خيرا منها قرا ابن عامر وابن كثير ونافع خيرا منهما بزيادة ميم على
التثنية والباقون منها من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله تعالى وادعاء لكرامته على الله ومكانته
عنده وانه تعالى انما اولاه الجنتين والمال والجاه لكونه مستحقا لها وهذا الاستحقاق معه اينما توجه
منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اى منقلب ملك خير من منقلب هذه لان هذه فانية وتلك
باقية قال الاخ المومن له للاخ الكافر اكفرت بالذى خلقك اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب فى
خلقه فكان خلق اصله خلقا له ثم من نطفة ثم سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه فى البعث لان الشاك فى البعث كافر والتعرض لاطوار خلقه
يحتمل وجهين الاول اشارة الى اثبات البعث بالطريقة التى هى مذكورة فى القران وهو انه لما قدر

على الابدا

على الابدا وجب ان يقدر على الاعادة فقوله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
اشارة الى خلق الانسان فى الابتدا الثانى انه لما خلقك على هذه الصورة لم يخلقك عبثا قال الله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا بل خلقك للعبودية قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فيكون للمطيع ثواب وللعاصى عقاب فلا بد من البعث ليحصل الثواب والعقاب لكنا قراء
ابن عامر لكنا باثبات الالف وصلا ووقفا وكذا قرا نافع فى رواية المسيبى والباقون باسقاط
الالف فى الوصل واثباتها فى الوقف واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن
فاجتمعت النونان فادغمت نون لكن فى نون انا هو الله ربى هو ضمير الشان اى الشان الله ربى
جملة اسمية الله مبتدا وربى خبره والجملة فى معرض هو وقوله هو الله ربى خبر انا والراجع منهما
اليه ياء الضمير التى اضيف اليه الرب لكنا استدراك لقوله اكفرت اى قال الاخ المومن
لاخيه الكافر انت كافر بالله لكن انا مومن موحد ولا اشرك بربى احدا اى انى لا ارى الفقر والغنى
الا من الله فاحمده اذا اعطى واصبر اذا ابتلى ولا كثرة الاموال والاعوان من نفسى وذلك ان الكافر
لما اغتر بكثرة المال والجاه فكانه قد اثبت لله شريكا فى اعطا العز والغنى ولولا اذ دخلت
جنتك وهلا وقت دخولك الجنة قلت ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل
على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله ويحتمل ان تكون ما شرطية منصوبة المحل والجزا محذوفا
تقديره اى شى شاء الله كان اعترافا بان الجنة وكل خير فيها انما تحصل بمشية الله وفضله وان
امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شا خربها لا قوة الا بالله اعترافا بان ما قويت به على عمارتها
وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده اذ لا يقوى احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لابى هريرة الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله قال
لا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله اسلم عبدى واستسلم وفى حديث ابى موسى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال له يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال افعل يا رسول الله قال لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم عن عروة بن الزبير انه كان يلثم حايطه ايام الرطب فيدخل من شاء الله
وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج ان ترنى لما علم الاخ المومن اخاه الكافر الايمان اجابه عن افتخاره
بكثرة المال وعزة النفر فقال ان ترنى قرا ابن كثير ترنى ولو ترى بياء فى الوصل والوقف ونافع وابو عمرو
بيا فى الوصل والباقون بحذف اليا فيهما وصلا ووقفا انا اقل انا فصل اقل لانه مفعول ثان لترنى وذكر
الولد هاهنا ينصر تفسير النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا والمعنى ان ترنى اقل مالا وولدا وانصارا منك
فى الدنيا الفانية فعسى ربى ان يوتينى خيرا من جنتك فى الاخرة ويرسل على جنتك حسبانا عذابا
ونارا من السماء والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله

وحسبه وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت
يداك وقيل حسابا مرامي نحو الضر والبرد والصاعقة الواحدة حسبانة والمراد بها الصواعق
فتصبح جنتك صعيدا زلقا ارضا بيضا زلت عليها لملاستها صفة بالمصدر او يصبح ماء جنتك غورا
غائرا ذاهبا لا سبيل اليه فلن تستطيع له طلبا اى فتصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه واحيط
بثمره اخبار من الله عن احاطة العذاب بثمره اى اخبار عن الله عن اهلاك ثمر الاخ الكافر بالكلية
حسب ما قدره الاخ المومن فاصبح الكافر يقلب كفيه ظهرا لبطن بندم ويتحسر على ما انفق في عمارة
جنته وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن الندم
والتحسر بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني الكروم ساقطة على عروشها يعني الكروم ساقطة على عروشها
اى سقطت عروش الكروم على الارض وسقطت الكروم المغرسة على عروشها وقيل المراد من العروش
السقوف اى سقطت السقوف على الارض ثم الجدران سقطت على السقوف والمراد انها بطلت
وهلكت قيل ارسل الله نارا فاهلكتها ويقول الاخ الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر الاخ الكافر
موعظة اخيه المومن حين قال ولا اشرك بربي احدا فعلم انه احيط بثمره من جهة شركه وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بشانه ويجوز ان يكون قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا توبة من
الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم يكن قرا حمزة والكسائي وخلف يكن بالياء والباقون
بالتاء اى ولم يكن الاخ الكافر فئة جماعة يقدرون على نصرته لا يقدر احد غير الله ان ينصره ولكن
الله لم ينصره لصارف قال الله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان
جهنم وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية قرا حمزة الولاية
بكسر الواو ولله الحق بكسر القاف وابو عمرو بفتح الواو من الولاية ورفع الحق ووافقه الكسائي في رفع
الحق لكنه كسر الولاية والباقون بفتح الواو وخفض الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر
السلطان والملك والمعنى هنالك اى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا
يستطيعها احد تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك
لله لا يغلب ولا يمنع منه او في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه ومن شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز
ان يكون المعنى هنالك الولاية ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من
اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالاخ الكافر اخاه المومن وصدق قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقيل

هنالك

هنالك اشارة الى الاخرة اى في الدار الاخرة الولاية لله والمعنى ثواب الله للمومنين في الاخرة
افضل من غيره وافضل عقبا اى عاقبة والولاية مبتدا خبره لله والحق بالرفع صفة للولاية وبالجر
صفة لله تعالى هو خير مبتدا وخير ثوابا تمييز وخير عقبا عطف على خير ثوابا فيكون خير مبتدا وعقبا
تمييز وهو في قوله هو خير راجع الى الله قرا عاصم وحمزة عقبا ساكنة القاف والباقون مضمومة
القاف **قوله تعالى** واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا هذا ضرب
مثل اخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها وسرعة فنائها وهو مرتبط بقصة المشركين المتكبرين
على الفقراء المومنين بكثرة الاموال وعزة النفر فان الاموال والاولاد زينة الحياة الدنيا الحقيرة
الفانية بالسرعة لا يصلح ان يتكبر بها على المومنين الذين لهم ما هو خير منها من الباقيات الصالحات
واضرب لهم اموالا المفتخرين بكثرة الاموال وعزة النفر مثل الحيوة الدنيا ثم ذكر ذلك المثل فقال
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اى التف وتكاثف نبات الارض بسبب الماء حتى
اختلط بعضه بالبعض وذلك لان عند نزول المطر يقوى النبات ويتكاثف فيختلط البعض بالبعض
ويصير في المنظر في غاية البهجة والحسن والنضارة وقيل فاختلط بالماء نبات الارض حتى روى
ورق رقيقا اى برق وتلالا قال صاحب الكشاف وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
نبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما
يابسا متفتتا تذروه وتفرقه وتذهب به شبه الحياة الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها
من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا اى ناضرا ثم يهيج فتطيره الريح كان لم يكن وكان
الله على كل شيء مقتدرا بانشائه اولا وتزايده وسطا وافنائه اخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك فظهر اولا
في غاية النضرة والبهجة ثم تتزايد نضرتها وبهجتها شيئا فشيئا ثم تاخذ في الانتقاص والانحطاط
الى ان ينتهي الى الفناء فالعاقل لا ينبغي ان يبتهج ويفتخر بها على غيره **قوله تعالى**
المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا لما بين
اولا ان الحيوة الدنيا سريعة الفناء قليلة البقاء ثم قال المال والبنون زينة الحياة الدنيا ليظهر
ان المال والبنين سريع الفناء قليل البقاء بالبرهان القاطع بان يقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا
وكل ما هو زينة الحياة الدنيا سريع الفناء قليل البقاء فلا ينبغي ان يفتخر العاقل بالمال والبنين ويفرح بحصولهما
ويغتم بزوالهما هذا برهان قاطع على بطلان قول اولئك المشركين المفتخرين على فقراء المومنين بكثرة
الاموال والاولاد ثم ذكر ما يدل على ان ما للفقراء المومنين خير مما للاغنياء المشركين فقال والباقيات
الصالحات خير بيانه ان ما للمشركين زينة الحياة الدنيا وهي زائلة فانية وما للفقراء المومنين الباقيات

الصالحات خير من الفاني الزايل والباقيات الصالحات هي اعمال الخير الذي تبقى ثمرتها للمومنين واعمال
الخير هي الاعمال التي دعتك الى الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وعبوديته وعن سعيد ابن جبير
عن بن عباس انها الصلوات الخمس وبه قال بن مسعود ومسروق وابرهيم وقيل الكلام الطيب
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه عن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات وسيل عثمان بن عفان رضي الله
عنه عن الباقيات الصالحات فقال هذه الكلمات وزاد فيها لا حول ولا قوة الا بالله لحجة الاسلام
الغزالي وجه لطيف في تحقيق هذه الكلمات قال روي ان من قال سبحان الله حصل له من
الثواب عشر مراتب فاذا قال الحمد لله صار عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صار ثلثين فاذا قال
والله اكبر صار اربعين قال وتحقيق القول فيه ان اعظم المراتب هو الاستغراق في معرفة الله
تعالى ومحبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فحصول هذه العرفان
سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي
ولاضافة كل كمال وخير فقد تضاعفت درجات المعرفة فلا جرم تضاعف الثواب فاذا قال مع
ذلك ولا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي ليس في الوجود موجود بهذا الوصف الا
الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلثا فلا جرم صارت درجات الثواب ثلثا فاذا قال والله
اكبر ومعناه انه اكبر واعظم من ان يتصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب
المعرفة اربعا فلا جرم صارت درجات الثواب فاذا قال والله اكبر واعظم من ان يتصل العقل الى
كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة اربعا فلا جرم صارت درجات الثواب اربعا
خير عند ربك ثوابا اي ما يتعلق بالباقيات الصالحات من الثواب وما يتعلق بها من الامل خير من
المال والبنين لان صاحب الباقيات الصالحات يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة

قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم
احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا قرا بن كثير وابو عمرو بن عامر
تسير بالتاء الجبال بالرفع والباقون بالنون الجبال بالنصب ويوم منصوب باذكر مقدرا عطفا
على قوله واضرب ولما امر الله رسوله بضرب مثل الحياة الدنيا كما انزلناه وحال الحياة الدنيا
في الاول والوسط ظاهر محسوس وفي الاخرة غير ظاهر لانه لم يقع بعد امر النبي صلى الله عليه وسلم

فهو المبداء لافادة كل ما ينبغي م

يذكر حالها

يذكر حالها اخر افعال واذكر يوم نسير الجبال فذكر من احوال القيمة بعضها منها تسير الجبال ولم يذكر
في الاية منتهى التسيير فيحتمل ان تسير الى الموضع الذي يريده واخفى ذلك عن خلقه والحق ان تسيرها
الى العدم لقوله تعالى وبست الجبال بسا وكانت هباء منبثا اي فبست الجبال فصارت غبارا
خفيفا منتثرا في الهوى ومنها وترى الارض بارزة اي وترى يا محمد او يا انسان الارض بارزة
ليس عليها ما يسترها مما كان عليها اي لم يبق على الارض شيء من العمارات ولا شيء من الاشجار ولا شيء من الجبال
فبقيت ظاهرة ومنها وحشرناهم اي وحشرناهم فلم نغادر فلم نترك من الاولين والاخرين احدا
وجمعناهم للحساب ولما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفا
شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا واحدا ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب
احد احدا لقد جيتمونا اي لقد بعثناكم كما خلقناكم اول مرة وقيل لقد جيتمونا عراة حفاة بغير اموال
ولا اعوان كما خلقناكم اول مرة وجيء بحشرناهم ماضيا بعد تسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل
ذلك ثم قال بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث
والنشور فقد ادركتم ذلك الوقت وشاهدتم البعث ووضع الكتاب عطف على وعرضوا اي وضع
في ذلك اليوم كتاب كل انسان في يده اما في اليمين واما في الشمال والكتاب للجنس وهو صحف
الاعمال فترى يا محمد او يا انسان المجرمين مشفقين مما فيه اي خايفين مما في الكتاب من اعمالهم
السيئة خايفين من ظهور ذلك لاهل الموقف فيفتضحوا والحاصل انه حصل لهم خوف العقاب
من الحق والفضيحة عند الخلق ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة اي لا يترك شيئا من المعاصي
لا صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وحصرها وعن بن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة
القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن فضيل بن عياض كان
اذا قرا هذه الاية قالوا ضحوا من الصغاير قبل الكباير لان الصغاير هي التي جرتهم الى الكباير
فاحترزوا من الصغاير جدا ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا وقيل وجدوا جزاء ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا يكتب على احد ما لم يعمل ولا يزيد في عقابه المستحق ولا يعذب احدا بجرم
غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب الناس في القيمة على ثلثة على يوسف وايوب
وسليمان فيدعو المملوك ويقول له ما شغلك عني فيقول جعلتني عبدا لادمي فلم يفرغني فيدعو يوسف
ويقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدني فيومر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال اشغلتني
بالبلاء دعي بايوب فيقول قد ابتليت هذا باشد من بلايك فلم يمنعه ذاك من عبادتي ويومر به الى النار
ويوتى بالملك في الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما اتيتك شغلني الملك عن ذلك
فيقول م

فيدعي بسليمان فنقول هذا عبدي اتيته اكثر ما اتيتك لم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويومر به الى النار **قوله تعالى** واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الايات المتقدمة فيها بيان ان هاولاء المشركين افتخروا باموالهم واعوانهم على فقراء المسلمين فقالوا لانجالسها ولا الفقرا فانا من اشراف شريفة وهم من اشراف نازلة ونحن اغنياء وهم فقراء وهذه الاية فيها بيان ان ابليس تكبر على ادم باصله ونسبه وقال لا اسجد له فاني خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فذكر الله تعالى قصة ابليس عقيب تلك الايات تنبيها على ان طريقة هاولاء بعينها طريقة ابليس ومعاملتهم معاملته ثم انه تعالى حذر عن طريقته فقال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهذه الفضة وان ذكرت في مواضع من كتاب الله لكن وكل موضع منها فايدة جديدة واذ قلنا اي واذكر اذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قيل الا ابليس استثناء منقطع لان ابليس ليس من الملايكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار وجميع الملايكة انما خلقوا من نور فقيل ابليس من الجن وهو اول بدايتهم كادم من الانس وقيل كان ابليس وقبيله جنا لكي جميع الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الانس واحتج بهذه الاية وتعنيف ابليس على عصيانه يقتضي انه امر مع الملايكة وقيل الاستثناء متصل وابليس من قبيل من الملايكة وعبر عن الملايكة بالجن من حيث هم مستترون وهي صفة تعم الملايكة والشياطين وقيل كان في الملايكة صنف يسمى الجن وعن ابن عباس كان ابليس من حي من احياء الملايكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الملايكة من نور غير هذا الحي وكان اسم ابليس عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملايكة السماء الدنيا وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض وكان من اشد الملايكة عبادة واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والارض فراى بذلك لنفسه شرفا وعظمة فذاك الذي دعاه الى الكبر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما ملعونا فاذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه واذا كانت خطيئته في معصية فارجه وكانت خطيئة آدم معصية وخطيئة ابليس كبرا لانه كان خازنا عليها فنسب اليها كما يقال للرجل بكى ومدن وكوفي ومصري وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى الا ابليس كان من الجن قال من الجنانيين الذين يعملون في الجنة وعن قتادة جن عن طاعة الله ففسق عن امر ربه عن طاعة ربه افتتخذونه وذريته اولياء

من دوني

من دوني ويستبدلونهم بي بان صرتم من حزبه ودخلتم في طاعته وتركتم حزب الله وخرجتم من طاعته مع علمكم بان ابليس وذريته عدو لكم بئس البدل من الله ابليس وذريته للظالمين الذين استبدلوه فاطاعوه بدل طاعته ما اشهدتهم اي ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي انفس ابليس وذريته يعني انكم يا كفار قريش اتخذتم ابليس وذريته شركاء لي في العبادة وانما تكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فينفي مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض وما كنت متخذهم عضدا واعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فالكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقيل الضمير المنصوب في قوله ما اشهدتهم عايد الى الكفار الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد عنا مجلسك هاولاء الفقرا لا نومن بك فكانه تعالى قال ان هاولاء الذين انتم بهذا الاقتراح الفاسد والتعنت الباطل ما كانوا شركائي في تدبير العالم فانا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلما اقدموا على هذا الاقتراح الفاسد وقيل كانه تعالى قال لهاولاء الكفار المقترحين المتعنتين السعيد من حكم الله بسعادته في الازل والشقي من حكم الله بشقاوته في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فاني ما اشهدتكم خلق السموات والارض ولا خلق انفسكم فكيف يمكنكم ان تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال ولغيركم بالدناءة والذلة مع جهلكم باحوال الازل بل ربما صار الامر في الدنيا عكس ما حكم به قوله تعالى ويوم يقول قرا حمزة نقول بالنون والباقون بالياء نادوا شركائي الذين زعمتم لما قرروا ان هاولاء الكفار اتخذوا ابليس وذريته اولياء واشركوا بالله واقتدوا بابليس في الافتخار بالفقر اعاد بعده الى التهويل باحوال يوم القيمة فقال ويوم اي واذكر يا محمد يوم نقول عطفا على قوله واذ قلنا والمعنى واذكر يا محمد لهم احوالهم واحوال الشركا يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي اي ادعوا شركائي الذين زعمتم شركائي حتى اقاتلوهم للعبادة من دوني واضافة الشركا الى الله تعالى على زعمهم توبيخا لهم واراد بالشركا آلهتهم اي ادعوهم لينفعوكم وينصروكم فدعوهم ولم يذكر الله تعالى في هذه الاية كيفية دعوتهم وبين في آية اخرى انهم قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا ثم قال تعالى فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى ما دعوهم اليه ولم يدفعوا عنهم ضرا ولم يوصلوا اليهم نفعا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موبقا اي مهلكا من وبق يبق وبقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك ويجوز ان يكون مصدرا كالموعد والموعد يعني وجعلنا بينهم مكان الهلاك وهو واد من اودية جهنم او هلاكا مشتركا يهلكون فيه او بعد جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة في شدتها هلاك كقوله لم يكن حبك كلفا ولا بغضك ملقا وعن الفرا البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد بالشركا

الملايكة وعزير وعيسى بن مريم وبالموبق البرزخ البعيد وجعلنا بين هاولا الكفار وبين الملايكة
وعزير وعيسى بن مريم ومريم موبقا برزخا بعيدا يهلك فيه الاسواط لفرط بعده لان هاولا الكفار
في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار اخبر الله تعالى عن روية المجرمين النار ومعاينتهم
فظنوا اي فايقنوا انهم مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا عن النار معدلا الى غيرها
لان الملايكة تسوقهم اليها **قوله تعالى** ولقد صرفنا في هذا القران من كل
مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا
اولئك الكفرة لما افتخروا بكثرة الاموال والاعوان على فقراء المسلمين وبين الله تعالى بوجوه كثيرة
فساد قولهم وزاده بيانا بضرب المثلين المتقدمين قال بعده ولقد صرفنا في هذا القران من كل
مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا والامر كذلك لانه تعالى بين فساد ما قالوه من وجوه كثيرة ومع
تلك البيانات الشافية والايات الوافية والامثلة المطابقة فهاولا لا يتركون الجدل الباطل فقال
وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي تاتي منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد
خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء
ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يومنوا في محل النصب لانه مفعول منع اذ جاءهم
الهدى اي لما جاءهم الهدى الذي هو دليل حقية الاسلام وقيل الهدى الذي هو شرع الله والبيان
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم عطف على قوله يومنوا والاستغفار
هو طلب المغفرة فارط الذنوب كفرا وغيره الا ان تاتيهم استثناء مفرغ ومحل ان تاتيهم الرفع
لانه في حكم فاعل منع وقيل ان تاتيهم مضاف محذوف هو الانتظار وسنة الاولين هي عذاب
الاولين من الغرق والصيحة والريح وغيرها او ياتيهم العذاب عطف على قوله تاتيهم قبلا قرأ
عاصم وحمزة والكسائي قبلا بضم القاف والباء والباقون بكسر القاف وفتح الباء عيانا اي غير عذاب
المعهود والمعنى وما منع الناس الايمان والاستغفار لما جاءهم الهدى الا انتظار ان ياتيهم عذاب
الامم السالفة او ياتيهم عذاب الاخرة عيانا واعلم انهم لا يوقنون القيام على الايمان والاستغفار
على اتيان سنة الاولين واتيان العذاب عيانا لان العاقل لا يرضى بحصول هذين الامرين
الا ان حالهم تشبه حال من وقف العمل على احد هذين الامرين والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان
والاستغفار الا عند اتيان احد الامرين وهذه الاية تانيف عليهم وبينة على فساد حالهم
لان هذا المنع لم يكن بقصد منهم وانما امتنعوا مع اعتقادهم انهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم

الى هذا

الى هذا فكان حالهم يقتضي التاسف عليهم والناس يراد به كفار مكة الذين تولوا دفع الشريعة
وتكذيبها وما نرسل المرسلين لما يفتح عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم الى الخسار قال وليس الامر كما اعتقدوا
والرسل لم يبعثهم ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات بل ما نرسل المرسلين الا مبشرين بالجنة من آمن
ومنذرين بالنار من كفر وبين ومع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا
بالباطل الحق وبين انهم اتخذوا ايات الله اي القران وانذارهم هزوا موضع الاستهزاء ويجوز ان يكون ما
في ما انذروا موصولة والراجع من الصلة محذوف اي وما انذروه من العقاب وجدالهم قولهم للرسل
ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملايكة **قوله تعالى** ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا لما
حكى الله جدالهم بالباطل وصفهم بعده بصفات موجبة للخزي والخذلان فقال ومن اظلم استفهام على سبيل
التقرير وهذا من افصح النصوص ان يوقف الرجل على ما لا جواب له فيه الا الذي يزيل خصمه والمعنى لا اجد
اظلم ممن ذكر وعظ بايات ربه بالقران ولذلك يرجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها
فتهاون ولم يتذكر صف ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه اي ما سلف من الكفر والمعاصي غير مفكر
فيها ولا ناظر في ان المحسن له ما كسب والمسيء عليه ما كسب ثم علل اعراضهم ونسيانهم بقوله انا جعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه اما امروا وافرد بضمير المرفوع في ذكر واعرض ونسي والمجرور في ربه ويداه
وجمع المرفوع في ان يفقهوه والمجرور في قلوبهم واذانهم الافراد باعتبار لفظ من والجمع باعتبار معناه
وفي اذانهم وقرا عطف على قلوبهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه
متمسك المعتزلة باسناد الفعل الى الكفار وقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الى اخر الاية
متمسك اهل السنة والجماعة باسناد الفعل الى الله والمعتزلة حملوا اسناد الفعل الى الله على سبيل
المجاز لانه اسناد الفعل الى ما ليس منه الفعل بل الى ما هو من ملابسات الفعل اي ليست بفاعل
حقيقة واسناد الفعل الى الكفار حقيقة واصحابنا قالوا اسناد الفعل الى ما ليس منه الفعل
بل الى ما هو من ملابسات الله تعالى باعتبار انه خالقه واسناده الى الكفار باعتبار الكسب
قال الامام فلما تجد في القران اية لاحد هذين الفريقين الا ومعها اية للفريق الاخر والاستقراء
يكشف عن صدق قولنا وما ذاك الا امتحان شديد من الله تعالى القاء على عباده ليتميز العلماء
الراسخون عن المقلدين وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي وان تدعهم يا محمد
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا كان الاهتداء منهم محال لان الله جعل على قلوبهم اكنة وفي اذانهم

وقرا واذن جزاء وجواب على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى لم يهدهم
قيل هذا يخرج على احد تأويلين احدهما ان يكون هذا اللفظ العام يراد به الخاص ممن ختم الله عليه انه لا يؤمن
ولا يهتدي ويخرج عن العموم كل من قضى الله بهداه في ثاني الحال والاخر ان يريد وان تدعهم الى الهدى جميعا
فلن يؤمنوا جميعا اثرا اي انهم ربما امن منهم الافذاذا ويضطرنا الى احد هذين التاويلين انا نجد المخبر عنهم
بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثير وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ذكر
صيغة المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والله تعالى ترك اضرارا لا نهاية
لها مع انه قادر عليها والرحمة فعل وهو متناه ويجوز ان يكون المراد انه تعالى يغفر كثيرا لانه ذو رحمة
لا يحتاج اليها فههنا من المحتاجين كثيرا ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير اهمال
مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل لهم موعد يوم القيمة او يوم بدر او ساير
يوم الفتح لن يجدوا من دونه موئلا منجا وملجا ثم عقب توعدهم بذكر القرى التي نزل بها ما توعدها ولا بمثله
فقال وتلك القرى اي قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار الى الكفار الى القرى ليعتبروا تلك
مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة يوصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون
تلك القرى نصب باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل
ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا
لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك قرا ابو بكر عن عاصم مهلكهم بفتح الميم واللام وهو مصدر مثل
الهلاك وحفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام وهو وقت الاهلاك والباقون بضم الميم وفتح اللام اما
مصدرا ووقت الهلاك موعدا وقتا ومصدرا **قوله تعالى** واذ قال موسى لفتاه
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر
سربا فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا
قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا هذه القصة قصة ثالثة ليست من الكلام
المتقدم ذكرها الله في هذه السورة ليعين ما هو المقصود في القصتين المتقدمتين تقريره ان موسى
مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف في حقه ذهب الى الخضر في طلب العلم وتواضع له
وذلك يدل على ان التواضع خير من التكبر فلم تكبرتم يا كفار قريش على فقراء المسلمين بكثرة الاموال
والاعوان والتقدير واذكر يا محمد اذ قال موسى وهو موسى ابن عمران بمقتضى الاحاديث والتواريخ
وبظاهر القران اذ ليس في القران موسى غير واحد وهو موسى بن عمران ولو كان في الاية غيره بينه وعن
سعيد بن جبير انه قال لابن عباس رضي الله عنهما ان نوفا ابن امراة كعب قال ان الخضر ليس بصاحب

موسى ابن

موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب وهو كان نبيا قبل موسى
بن عمران فقال بن عباس رضي الله عنهما كذب عدو الله وزعم اليهود ان موسى ابن ميشا هو الذي طلب
هذا العالم ليتعلم منه وهو العالم الذي خرق السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار وموسى ابن عمران بعد
ما انزل الله التورية عليه وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكبر
الانبيا يبعد ان يبعثه بعد ذلك الى التعلم والاستفادة والجواب عنه انه لا يبعد ان يكون العالم
الكامل في اكثر العلوم يجهل بعض الاشيا فيحتاج في تعلمها الى من هو دونه وهذا امر متعارف معلوم سبب
خروج موسى عليه السلام في هذا السفر ما روى بن عباس عن ابي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرايل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد
العلم اليه تعالى فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ
معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا
الصخرة وضعا رؤسهما فاما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر
سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره
بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله به فقال فتاه ارايت اذ اوينا
الى الصخرة الى قوله عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على
اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا هو مسجى بثوب فسلم عليه
موسى فقال الخضر واني بارضك السلام من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرايل قال نعم اتيتك لتعلمني
مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله
علمكه الله لا علمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم ان
يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يخفا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة
بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله
عسرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع
على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله تعالى الا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذا بصر الخضر غلاما
يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير
نفس الى قوله يريد ان ينقض فقام الخضر بيده فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا

صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى
اذا اتيا قرية استطعما اهلها الى قوله
اهل تم

لو شئت لتخذت عليه اجرًا قال هذا فراق بيني وبينك الآية هذا حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم
في الصحيحين **واما** التفسير واذ قال موسى لفتاه ليوشع بن نون من غير خلاف سماه فتاه لانه
كان يلازمه ويأخذ عنه العلم ويخدمه ومعنى لا ابرح لا ازال وليس المراد به لا ازول لانه اذا لم يزل
لم يقطع ارضًا وحذف خبر لا ابرح لان الحال والكلام معًا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر
واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة يستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون
المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وقيل يحتمل ان يكون المعنى لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان ابلغ
هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه والمضاف اليه ضمير المتكلم فانقلب الفعل الى لفظ
المتكلم ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ
كما تقول لا ابرح المكان مجمع البحرين ملتقى البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر البحرين قيل بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وقيل هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دبور
الى صبا وقيل هو بافريقية وقيل هو بحر الاندلس وقيل يريد بحرًا ملحًا وبحرًا عذبًا او امضي عطف على قوله
ابلغ او اسير زمانًا طويلًا والحقب ثمانون سنة وقيل الحقب عند العرب وقت غير محدود والمعنى لا ازال
اسير ولو احتجت ان اسير حقبًا فلما بلغا مجمع بينهما اي فانطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين كانه اشار الى قول
موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين اي تحقق ما قاله موسى وقيل بلغا مجمع موسى صاحبه الذي كان يقصده
لان الموضع الذي وقع فيه الحوت هو الموضع الذي يسكنه الخضر او يسكن بقربه ولاجل هذا المعنى
لما رجع موسى وفا بعد اذ ذكر الحوت صار اليه نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل
امارة على الظفر بالطلبة وقد نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت
سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت فنزلا ليلة على شاطئ عين يسمى عين الحياة ونام موسى فلما
اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح
الماء على الحوت ووقع في الماء فاتخذ في البحر سربًا اي اتخذت الحوت في البحر سربًا ومسلكًا في جوف الارض سبيله م
والمراد ان الله تعالى امسك جرية الماء على الحوت فصار الماء كالطاق حتى ستر الحوت فيه وذلك معجزة
لموسى او للخضر فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان
منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياة الحوت ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب
ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت قال لفتاه اي قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبًا من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قيل كيف نسي يوشع ذلك
ومثله لا ينسى لكونه امارة على الطلبة التي هما مضيا من اجلها ولكونه معجزتين بينتين وهما حياة السمكة

المملوحة

المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في
مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد
حتى طلب موسى عليه السلام الحوت اجيب بانه قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب يفكره
كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك بان يوشع قد شاهد من موسى المعجزات الباهرة
والعجايب الباهرة واستانس بامثاله فلم يبق له اهتمام بحفظه قال الامام وعندي جواب آخر
وهو ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب فتاه هذا العلم الضروري
تنبيهًا لموسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل البتة الا بتعليم الله وحفظه على القلب والخاطر
قال ارايت بمعنى اخبرني جاء هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس فانه اذا حدث لاحدهم
امر عجيب قال لصاحبه ارايت ما حدث لي كذلك ههنا ولما طلب موسى الحوت وقال ليوشع
اتنا غداءنا ذكره يوشع ما راى من الحوت وما اعتراه اي ما اعترا يوشع من نسيانه الى تلك
الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن مسبب ذلك كان يوشع قال لموسى ارايت ما حدث لي اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف مفعول ارايت لان قوله فاني نسيت الحوت وما انساني ان
اذكر امر الحوت وما رايت منه وما اعتراني من نسيانه الا الشيطان ان اذكره بدل من الهاء في
وما انسانيه والهاء في اذكره راجع الى امر الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين
المعطوف الذي هو واتخذ سبيله وبين المعطوف عليه الذي هو فاني نسيت الحوت والتقدير
فاني نسيت الحوت واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا ووقوع هذا الاعتراض تمهيد لعذر وقوع
النسيان واتخذ سبيله في البحر عجبًا اي واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا مفعول ثان لقوله اتخذ
اي واتخذ الحوت سبيله في البحر سبيلًا عجيبًا وهو كونه شبيه السرب وقيل ان عجبًا صفة
لمصدر محذوف واتخذ سبيله في البحر اتخاذًا عجبًا صيرورته حيًا وانقلابه من المكتل والقاء
نفسه في البحر على غفلة منه وقيل انه تم الكلام عند قوله واتخذ سبيله في البحر ثم قال يوشع عجبًا
في آخر كلامه تعجبًا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقيل
عجبًا حكاية لتعجب موسى وليس بقوي قال ذلك اي قال موسى ذلك اي اتخاذ الحوت سبيلًا في البحر
هو الذي نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب من لقاء الخضر قرأ ابن كثير نبغي بياء في الوصل والوقف
ونافع وابو عمرو والكسائي في الوصل وبن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء في الحالتين فارتدا على
آثارهما قصصًا اي لما عرف موسى ويوشع انهما تجاوزا الموضع الذي يسكن فيه ذلك العالم ارتدا
اي رجعا على طريقهما يتبعان آثارهما اتباع القصص اتباع الاثر **قوله تعالى**
فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا فوجدا

عبداً من عبادنا يعني الخضر سمي به لانه في فروة بيضاء فاخضرت والفرو الارض اليابسة وقيل
لانه كان اذا جلس اخضر ما حوله وهل هو باق الى الآن فيه قولان وكان الحسن يذهب الى انه
مات وقبح قول من يرى بقاءه فانه لم يثبت حديث في بقائه وروى ابو بكر النقاش ان محمد بن اسمعيل
البخاري سئل عن الخضر والياس هل هما في الاحياء فقال وكيف يكون ذلك وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يبقى على رأس ماية سنة ممن اليوم على ظهر الارض احد روي في الحديث ان موسى عليه
السلام وجد الخضر مسجى في ثوبه مستلقيا على الارض فقال موسى السلام عليك فرفع الخضر راسه
وقال واني بارضك السلام ثم قال الخضر له من انت قال انا موسى قال الخضر موسى بني اسرائيل قال نعم قال
لموسى الم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال موسى بلى ولكن احببت لقاءك وان
اتعلم منك قال الخضر له اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه
انا قيل علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا علم ظواهر الاحكام وافعاله بحسبها وكان علم موسى
عليه السلام علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم ويروى ان موسى وجد الخضر قاعدا على
شج البحر اي وسطه اتيناه رحمة وصف للعبد اي اتينا ذلك العبد رحمة وحيا ونبوة فعلى هذا يكون
الخضر نبيا وهو قول الجمهور وقيل الخضر عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته فان بواطن افعاله
لا تكون الا بوحي اليه فان النبي لا يتبع غير النبي ولا يتعلم الا من النبي قيل حاجة موسى الى التعلم من
اخر يدل على ان موسى بن ميشا لا موسى ابن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم
المرجوع اليه في امور الدين اجيب بانه لا غضاضة اي ذلة ومنقصة بالنبي في اخذ العلم من نبي
وانما ينقص منه ان ياخذ من غير نبي وعلمناه من لدنا علما يختص بنا وهو الاخبار عن الغيب فقوله من
لدنا علما يفيد ان هذا العلم حصل للخضر من عند الله من غير واسطة واصحاب التصوف سموا العلم
بطريق المكاشفة العلم اللدني فاذا سعى الانسان في الرياضات فبرئه الظاهر بالعبادة وتخلى
النفس عن الاخلاق الرذيلة وتحلى الاخلاق الجميلة وتصير القوى الحسية والخيالية والوهمية
ضعيفة وحينئذ تصير القوة العقلية قوية صافية ينشر الانوار الالهية على النفس القدسية
وتحصل المعارف والعلوم من غير تفكر وتامل وهذا هو المسمى بالعلم اللدني وقد يكون النفس بحسب
اصل الفطرة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالحوادث البدنية شديدة الاستعداد لقبول
الانوار الالهية فيفيض عليها من عالم القدس تلك الانوار على وجه الكمال وهو المراد من قوله اتيناه رحمة
من عندنا وعلمناه من لدنا علما **قوله تعالى** قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني
مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه

ذكرا

ذكرا قال موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني بما علمت رشدا علما ذا رشد يحتمل ان يكون
الرشد راجعا الى الخضر اي مما علمك الله وارشدك به ويحتمل ان يرجع الرشد الى موسى اي على ان تعلمني
وترشدني مما علمت قرا ابو عمرو رشدا بفتح الراء والشين وعن ابن عباس بضمهما والباقون بضم الراء
وسكون الشين وهذه الاية دلت على ان موسى عليه السلام راعى انواعا كثيرة من الادب واللطف
عندما اراد ان يتعلم من الخضر منها انه جعل نفسه تبعا له ومنها انه استاذن في اتباعه له ومنها
انه قال على ان تعلمني فاقر على نفسه بعدم العلم وعلى الخضر بالعلم ومنها انه قال مما علمت فطلب منه تعليم
بعض ما علم الخضر فان من للتبعيض كانه يقول له لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب
منك ان تعلمني جزءا من اجزاء علمك ومنها انه اعترف بان الله علمه ذلك العلم ومنها انه طلب الارشاد لانه
لو لم يحصل الارشاد لحصلت الغواية والضلالة ومنها انه طلب منه ان يعامله بمثل ما عامله الله به
وفيه اشعار بانه يكون انعامك علي عند هذا التعليم شبيها بانعام الله عليك في هذا التعليم ومنها
ان موسى ياتي بمثل افعال الخضر مجرد كون الخضر اتباعه فان الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير
لاجل كونه اتيا به ومنها ان قوله هل اتبعك يدل على طلب اتباعه مطلقا في جميع الامور غير مقيد بشيء
دون شيء ومنها انه اتى بهذه الانواع كثيرة من التواضع مع علم الخضر بان موسى نبي بني اسرائيل وصاحب
التورية وكليم الله وصاحب المعجزات الباهرة ومنها انه قال اتبعك على ان تعلمني فطلب الاتباع الا
التعليم كانه قال لا اطلب منك على الاتباع المال والجاه ولا غرض لي الا طلب التعليم وهذا يدل على ان
موسى اتى في طلب العلم باعظم انواع التواضع والمبالغة في رعاية الادب وهذا هو اللايق به لان كل
من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان طلبه لها اشد فكان
تعظيمه لارباب العلم اكمل واشد قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا نفى الخضر استطاعة
موسى صبرا معه على وجه التاكيد كان استطاعته الصبر مما لا تصح ولا تستقيم وعلل ذلك بانه
يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير لم يحط موسى بها علما والرجل الصالح لا يتمالك ان يشمئز ويمعص
اي لا يتمالك ان ينقبض ويغضب ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار فكيف اذا كان نبيا مرسلا
صاحب شرع امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خبرا علما اي لم يحط به خبرا قال موسى للخضر ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص
رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد ايضاح الخضر عليه
السلام عن حقيقة الامر فوعد موسى الخضر الصبر معلقا بمشية الله تعالى لعلمه بشدة الامر
وصعوبته وان الحمية التي ياخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علم موسى ان النبي
المعصوم الذي امر الله موسى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه العلم منه يرى ان يباشر ما فيه

اولا ثم طلب التعليم فاشار الى انه يبتدي بالخدمة ثم يطلب التعليم ومنها انه لم يطلب على الاتباع ض

غمزة اى مطعن فى الدين وانه لابد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم
وقول موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا تواضع عظيم واظهار للتحمل التام
وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع باقصى الغايات واما المعلم فان راى فى
التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه
يوقع المتعلم فى الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم قال الخضر لموسى ان اتبعتنى فلا تسالنى قرا
نافع تسالنى مفتوحة مشددة النون وابن عامر بتحريك اللام من غير يا والسرب مكسورة والباقون
فلا تسالنى ساكنة اللام اى على شرط اتباعك لى انك اذا رايت منى شيئا وقد علمت انه صحيح لكن
خفى عليك وجه صحته وانكسرت فى نفسى ان لا تعاجلنى بالسوال ولا تعاجلنى فيه حتى اكون انا
الفاتح عليك وهذا من اداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع **قوله تعالى**
فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال
الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تواخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا
لما قال الخضر لموسى لئن اتبعتنى فلا تسالنى عن شىء حتى احدث لك منه ذكرا فشارطا على الشرط
المذكور فانطلقا اى موسى وخضر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انهما انطلقا ماشيين على ساحل
البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفوا الخضر فحملا اى موسى والخضر بغير نول اى اجرا لمقصد امر الخضر
فلما لججوا اى خاضوا لجة البحر اى معظمه اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
مما يلى الماء فلما راى موسى من الخضر فعلا يودى الى غرق جميع من فى السفينة لم يتمالك فجعل موسى
يشد الخرق بثيابه قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها قرا حمزة والكسائى لتغرق اهلها بفتح الياء وضم
اللام على ان الفعل لاصحاب السفينة والباقون بضم التاء ونصب اللام على ان الفعل للخضر لقد جئت
شيئا امرا اى اتيت شيئا عظيما من امر لامر اى اذا عظم قال الخضر الم اقل انك لن تستطيع معى
صبرا فلم يرد الخضر عليه فتنبه موسى لما اتى به من مخالفة الشرط قال موسى لا تواخذنى بما نسيت بالذى
نسيته او بنسيانى فان ما فى بما نسيت يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة او مصدرية اراد
موسى انه نسى وصية الخضر ولا مواخذة على الناسى وقيل اخرج موسى الكلام فى معرض النهى عن
المواخذة بالنسيان يوهم الخضر انه قد نسى الوصية ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض
الكلام التى يحترز بها عن الكذب مع التوسل الى الغرض وقيل اراد موسى بالنسيان الترك اى
لا تواخذنى بما تركت وصيتك اول مرة ولا ترهقنى ولا تغشنى من امرى اتباعى اياك عسرا اى
ولا تعسر على اتباعك ويسره على بالاغضاء وترك المواخذة **قوله تعالى** فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا

قال الم

قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سالتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد
بلغت من لدنى عذرا فانطلقا فى موضع نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون فعمد
الخضر الى غلام حسن الهيئة فقتله قيل كان قتله باقتلاع راسه وقيل رضه بحجر وقيل ضرب
براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين وقيل هذا الغلام لم يبلغ الحلم وقيل
بلغ وليس فى القرآن ما يدل على شىء من هذه الامور فلما شاهد موسى قتل الغلام قال للخضر اقتلت
نفسا زاكية قرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف والياء مشددة والباقون بالالف من غير
تشديد زاكية طاهرة من الذنوب اما طاهرة عند موسى لانه لم يرها اذنبت او طاهرة لانها صغيرة
لم تبلغ الحلم بغير نفس اى لم تقتل نفسا فيقتص منها وهذا يدل على ان الغلام قد بلغ الحلم لان الصغير
لا يقتل بنفس ولا بغير نفس قال اقتلت جزاء للشرط فقتله من جملة الشرط والفاء فيه للعطف
عطف بها على الشرط الذى هو لقيا وخرقها فى قوله حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها جزاء للشرط الذى
هو ركبا وانما خولف بينهما بدخول الفاء فى قوله فقتله وعدم دخوله الفاء فى قوله خرقها لانه يعقب القتل
لقيا الغلام ولم يتعقب خرق السفينة الركوب ثم قال موسى للخضر لقد جئت شيئا نكرا اى شيئا منكرا
وقيل شيئا انكر من الاول لان ذلك خرقا يمكن تداركه بالبنية ولا يلزم من الخرق الغرق واما ههنا فقتل
النفس ولا يمكن تداركه وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة
ثم قال الخضر لموسى الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زاد ههنا لفظ لك لزيادة العتاب على رفض الوصية
والوسم بقلة الصبر فى الكرة الثانية ثم قال موسى ان سالتك عن شىء بعد هذه الكرة او بعد هذه المسئلة
فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا اى اعذرت الى وبلغت الى العذر من قبلى قال موسى فلا تصاحبنى
مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم شديد الندامة والمراد من قوله قد بلغت من لدنى
عذرا انه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتماله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخى موسى لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت
لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فانطلق
موسى والخضر يمشيان لارتياد الخضر امرا يتقيد ما عنده من علمه حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها اى طلبا من اهل القرية ان يطعموهما والقرية انطاكية وقيل هى الابلة وهى ابعد ارض الله من
السماء وفى الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولئك القوم يستطعمانهم فابوا اى اهل القرية
ان يضيفوهما ان ينزلوهما ضيفهم عن عاصم يضيفوهما بضم الياء الاولى وكسر الضاد وتخفيف الياء

الثانية وقرا الباقون يضيفوهما بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية وكسرها يقال ضفت
انا واضافني الذي نزاني قال الزجاج ضفت الرجل اذا نزلت عليه واضفته اذا انزلته وقريته وقال
بن قتيبة يقال ضيفت الرجل اذا انزلته منزل الاضياف ومنه هذه الاية واضفته انزلته وضفته
نزلت عليه وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا اهل القرية اياما وقيل
شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقيقة فوجدا اي فرايا جدارا يريد ان ينقض
اي يريد ان يسقط سريعا ينقض مضارع انقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الظاهر وهو الفعل مطاوع
فضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة والارادة من صفة الاحيا استعيرت للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الشاعر يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال
حسان ان دهرا بلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وقيل عزم السراج ان يطفا قال صاحب الكشاف
واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية
وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا تعقل فما بال الارادة قال اذا قالت الاتساع للبطن الحق تقول سني المنواة
طي لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الى بعيره وتحمحم ان يك ظني صادقا وهو صادق ولما سكت عن موسى
الغضب ثم دما ودوعز الا يليق ولبعضهم مالي على احقانه اعفاه هم اذا انقاد الهموم ثم دابت الروادف
والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طايعين فاقامه فاقام الخضر الجدار قيل اقامه
بيده وقيل مسحه بيده واستوى وهذا من معجزاته وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه ثم بناه وقيل
طول الجدار في السماء مائة ذراع فلما اقام الخضر هذا الجدار وكانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم
وقد الزمتهما الى اخر كسب المراء وهو المسئلة ولم يجدا مساويا لم يتمالك موسى لما راى من الجريان ومساس
الحاجة ان قال لو شئت لتخذت قرا ابن كثير وابو عمرو لتخذت بكسر الخاء غير ان ابا عمرو كان يدغم الدال وابن
كثير يظهرها والباقون لاتخذت بفتح الخاء وكلهم ادغم الا حفصا عن عاصم فانه لم يدغم مثل ابن كثير تخذ وتخذ
لغتان عليه اي طلبت على علمك جعلا تصرفا الى المطعوم حتى ينتعش به ونستدفع به الضرورة ثم قال
الخضر هذا فراق بيني وبينك يعني هذا الفراق فراق بيني وبينك اي ذلك الفراق هو ذلك الفراق الموعود قال
الخضر قد تصور فراق بينه وبين موسى عند حلول ميعاد الفراق على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه ويجوز ان يكون هذا اشارة الى
سوال الثالث اي هذا السوال هو سبب الفراق ومعنى قوله هذا فراق بيني وبينك هذا فراق حصل
بيني وبينك فاضيف المصدر الى الظرف وقيل البين للوصل وكان المعنى هذا فراق وصلي ووصلك
اي هذا فراق اتصالنا فقال موسى للخضر نبئني بتاويل ما لم استطع عليه صبرا فقال الخضر لموسى سانبئك
ساخبرك بحكم هذه المسايل الثلاث **قوله تعالى** اما السفينة فكانت لمساكين يعملون

في البحر

في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه
مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب
رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم
تسطع عليه صبرا اعلم ان موسى صلوات الله وسلامه عليه كان نبيا مرسلا صاحب شريعة
وكتاب فاحكامه مبنية على الظواهر لان كل نبي مرسل صاحب شريعة وكتاب فاحكامه مبنية على
الظواهر لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله تعالى متولي السراير واحكام الخضر
في المسايل الثلاث لم تكن مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقة الواقعة في
نفس الامر لان الظاهر حرمة التصرف في اموال الناس وفي ارواحهم من غير سبب ظاهر والخضر
تصرف في اموال الناس في المسئلة الاولى من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاضرار وتصرف في ارواحهم
في المسئلة الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاضرار وتصرف في اموال الناس في المسئلة الثالثة
من غير سبب ظاهر فان اقامة الجدار المايل يحتمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاضرار
فحكم الخضر في المسايل الثلاث ليس مبنيا على الاسباب الظاهرة بل مبنيا على الاسباب الحقيقة الواقعة
في نفس الامر واعتراض موسى عليه السلام في المسايل الثلاث على حكم الظاهر وتاويل الخضر عليه السلام
فيها على حكم بواطنها والاطلاع على اسرارها الكامنة والتاويل فيها مبني على حرف واحد وهو ان عند تعارض
الضررين يجب ارتكاب الادنى لدفع الاقوى لكن ارتكاب المرتكب قد اتاه الله من لدنه علما يطلع به على
بواطن الامور وحقايق الاشيا وزيادة ضررها فهذا هو الاصل في المسايل الثلاث اما المسئلة الاولى
فلان الخضر علم انه لو لم يعيب تلك السفينة بالخرق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها
وهم المساكين الذين يعملون في البحر وعلم ان خرقها لا يفضي الى اغراق اهلها ومن ان لا يخرقها فيغصبها
الملك ويفوت منافعها بالكلية على ملاكها ولا شك ان الضرر الاول ادنى فوجب ارتكابه لدفع
الضرر الثاني الذي هو اقوى واما المسئلة الثانية فكذلك لانه علم بالعلم اللدني اتاه الله من لدنه
ان بقاء ذلك الغلام حيا مفسدة للوالدين في دينهم ودنياهم وعلم ان الضرر الناشي من قتل
ذلك الغلام اقل من الضرر الناشي من بقايه حيا وهو ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاقدم على قتله
واما المسئلة الثالثة فكذلك لان المشقة الحاصلة بسبب اقامة الجدار المايل اسهل من
المضار الحاصلة بسبب ترك اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال الغلامين اليتيمين
وفيه ضرر شديد والحاصل ان موسى انما اعترض هذه الاعتراضات بناء على ان الظواهر التي هي
مباني قواعد الشرع والخضر بنى احكامه على حقايق الاشيا واحوالها الباطنة التي علمها بالعلم الذي

اتاه الله من لدنه ثم شرع الخضر في تاويل ما لم يستطع موسى عليه صبرا فقال اما السفينة فكانت
لمساكين اي لضعفا محتاجين يعملون في البحر قيل كانت السفينة لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة يعملون في البحر يستعينون بها والشافعي احتج بهذه الاية على ان حال الفقر في الحاجة اشد
من حال المساكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون السفينة ثم قال الخضر فاردت
ان اعيبها اي السفينة لئلا تغصب فان وراء المساكين ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا
اي امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وتحقيقه ان كل ما غاب عنك فهو متوار عنك وانت
متوار عنه فكل ما غاب عنك فهو وراك وامام الشيء اذا كان غايبا عنك كان متواريا عنك فصح
اطلاق وراء عليه وقيل وراهم اي خلفهم وكان طريق المساكين في رجوعهم على الملك والحاصل
ان وراء المساكين ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وما كان عند المساكين خبر ذلك الملك
فاعلم الله الخضر فاراد الخضر ان يعيب السفينة لئلا يغصب ذلك الملك تلك السفينة فان الملك
لا ياخذ السفينة المعيبة غصبا ثم ذكر الخضر تاويل المسئلة الثانية فقال واما الغلام فكان ابواه
مومنين قيل ان ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع الطريق ويقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه
محتاجان الى دفع شر الناس والتعصب له تكذيب من يرميه بشيء من المنكرات وذلك يصير
ذلك سببا لوقوعهما في الطغيان والكفر وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى اعلم الخضر بحاله
وهو انه لو صار بالغا لوقع منه هذه المفاسد قوله فخشينا ان يرهقهما اي فخفنا ان يغشى ذلك
ذلك الغلام الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمهما بعقوق لهما وسوء صنعه ويلحق بهما شرا وبلاء ويقرنا
بايمانهما طغيانه وكفره فيجمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر وقيل فخفنا ان يحمل ذلك الغلام ابويه
على الطغيان والكفر لان ابويه لاجل حب ذلك الولد يحتاجان الى الذب عنه وربما احتاجا الى موافقته
فيضلهما بضلاله فيطغيا ويكفرا بعد الايمان ثم قال الخضر فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
اي اردنا ان يرزقهما ولدا خيرا من هذا زكية بغير نفس فقال الخضر ان تلك النفس وان كانت ان يبدل
للابوين ربهما ولدا خيرا من هذا الغلام زكوة طهارة من الذنوب واقرب رحما قرا ابن عامر رحما
مثقلة والباقون ساكنة الحاء اي اقرب رحما وعطفا بابويه بان يكون ابر بهما واشفق عليهما روي
انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما ثم ذكر الخضر المسئلة الثالثة فقال واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
اي الجدار الذي كان مايلا فاقمته كان لغلامين يتيمين في المدينة اي القرية التي استطعنا اهلها
وهذا يدل على ان اسم القرية لا ينافي اسم المدينة وكان تحت ذلك الجدار كنز للغلامين قيل مال مدفون
من ذهب وفضة لان الكنز لغة المال المدفون وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن

بالقدر

بالقدر كيف يحزن ولمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر الاول وهو المال لاطلاق الكنز وقيل ابوهما صالحا يفيد ان
صلاح الاباء يستدعي الغاية باحوال الابناء وعن جعفر الصادق كان بين الغلامين وبين الاب
الصالح سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما
بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال ابناء الله انكم قوم خصمون
وقيل ان الاب الصالح كان الناس يضعون الودائع عنده فيردها اليهم بالسلامة ثم قال الخضر فاراد
ربك ان يبلغ الغلامان اشدهما اي كمال الخلق والعقل ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له او مصدر
منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما قال الامام رحمة من ربك لغرض ان يظهر رحمة الله
لانها باسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الادنى منها لدفع الضرر الاعلى وجاء في ابنا الخضر
في الاولى فاردت ان اعيبها وفي الثانية فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه وفي الثالثة فاراد
ربك ان يبلغا فاختلفت الارادات الثلاث في الاسناد وهي كلها في قصة واحدة وانما انفرد اولا في
الارادة لانها متعلقة بالعيب فتادب بان لم يسند الارادة فيها الا الى نفسه كما تادب ابرهيم عليه
السلام واذا مرضت فهو يشفين وانما قال الخضر في الثانية فاردنا الاية المراد به الخضر والصالحون
من اصحابه وانما اسند الارادة الى الله في الثالثة لانها في امر مستانف في زمن طويل غيب من الغيوب
فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله وان كان الخضر ايضا اراد ذلك الذي اعلمه الله انه اراد وقد
اسند التبديل الى ربهما في الثانية واضاف الرب في الثالثة الى موسى لان تبديل الابوين خيرا منه
من الله لتربيتهما فناسب اسناد التبديل الى الله واضافة الرب اليهما واراده الله تعالى
بلوغ الغلامين اشدهما كارادته ان يبلغ موسى اشده بايحائه الى امه ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فناسب اضافة الرب
الى موسى ثم قال الخضر وما فعلته عن امري اي وما فعلت ما رايته عن امري عن اجتهادي ورايي
وانما فعلته بامر الله ووحيه لان الاقدام على تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم لا يجوز الا بالنص القاطع
والوحي وانما قال الخضر ذلك اي وما فعلته عن امري تمهيدا لعذره فيما فعله وايضاحا لما اشكل على موسى
ثم قال الخضر لموسى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اشار بذلك الى ما ذكره من التاويل في المسائل
الثلاث وقوله تسطع بمعنى تستطع فان اسطاع واستطاع بمعنى اطاق قيل انما قال هنا تسطع
وقيل تستطع جمعا بين اللغتين والظاهر انه اوجز هنا لانه مقام الايجاز لانه كان مستعجلا بالفراق
وروي في تفسير هذه الاية ان الله جعل هذه الامثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له

ودلك انه لما انكر امر خرق السفينة نودى يا موسى اين كانة تدرك هذا وانت فى التابوت مطروحًا
فى اليم فلما انكر امر الغلام قيل له ان انكارك هذا من وكزك للقبطى وقضايك عليه فلما انكر اقامه الجدار
نودي اي هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دونة اجر ولما اراد موسى مفارقته قال للخضر اوصنى
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به وقال ايضا كن بسامًا ولا تكن ضحاكًا ودع الحاجة ولا تمش
فى غير حاجة ولا تعب على الخطايين خطاياهم وابكِ على خطيئتك يا بن عمران **قوله تعالى**
ويسالونك عن ذى القرنين قل سا تلوا عليكم منه ذكرًا انا مكنا له فى الارض واتيناه من كل شئ سببًا
فاتبع سببًا هذه القصة قصة الرابعة من القصص المذكورة فى هذه السورة وهى من الامور
الثلثة قالت اليهود لقريش سالوا محمدًا عن ثلثة من قبله ذهبوا فى الدهر الاول وعن رجل طواف بلغ
مشارق الارض ومغاربها وعن الروح اختلف الناس فى ان ذا القرنين من هو فقيل هو الاسكندر ابن
فيلسوف اليونانى الذى ملك الدنيا والذى يدل على ان القرنين دل على ان الرجل المسمى بذى القرنين بلغ ملكه
الى اقصى المغرب والمشرق قال الله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب وقال حتى اذا بلغ مطلع
الشمس والى اقصى الشمال قال الله حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا وهذا هو تمام المقدور
المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى
ذكره مخلدًا على وجه الدهر ولا يبقى مخفيًا مستترًا والملك الذى اشتهر وكتب التواريخ انه بلغ ملكه
الى هذا الحد الاسكندر ولما كان القرآن دل على ان ذا القرنين كان الاسكندر ظهر ان المراد بذى القرنين
هو الاسكندر بن فيلسوف اليونانى ثم ذكروا فى وجه تسمية الاسكندر بذى القرنين وجوها الله لقب
به لبلوغه قرنى الشمس اى مطلعها ومغربها عن النبى صلى الله عليه وسلم سمى ذا القرنين لانه طاف
قرنى الدنيا يعنى حافتيها شرقها وغربها ومنها سمى به لانه ملك الروم وفارس وروى الروم والترك
ومنها انه انقرض فى وقته قرنان من الناس ومنها انه كان له قرنان اى ظفيرتان ومنها انه كان على راسه
ما يشبه القرنين ومنها انه كانت صفحتا راسه من نحاس ومنها انه لقب بذلك لشجاعته كما سمى الشجاع
كبشًا كان يطحن قرناه ومنها انه راى فى المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفى الشمس وقرنيها وجانبيها
ومنها انه تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتمتد الظلمة من ورايه ومنها
انه ضرب على قرنه الايمن ثم بعثه فضرب على قرنه الايسر ويسالونك اى كفار قريش ابو جهل واشياعه
وقيل هم اليهود سالوا على وجه الامتحان قل يا محمد لهم سا تلوا عليكم من ذى القرنين ذكرًا اوقفنى
الله تعالى عليه وانزل فيه وحيًا واخبرنى عن كيفيته والخطاب عليكم لاحد الفريقين كفار قريش
او اليهود انا مكنا له فى الارض من حيث انه ملك مشارق الارض ومغاربها قيل ويحتمل ان يكون المراد
منه التمكين من وجهه الملك فقط وحمل التمكين المنسوب الى الله تعالى على الوجه الاكمل اولى واتيناه

من كل شئ

من كل شئ سببًا اى من اسباب كل شئ اراده من اعراضه ومقاصده فى الملك فقط وقيل فى الملك
والنبوة عا بعد ركونه نبيًا سببا اى طريقا موصلا اليه والسبب فى الاصل الحبل ثم استعير لكل
ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع سببًا اى فاذا اراد شيا يوصله اليه
قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها
قومًا قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنًا قال اما من ظلم فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا واما من امن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنى وسنقول
له من امرنا يسرًا معناه انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببًا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو فاتبع ثم اتبع مشددات التاء
والباقون فاتبع ثم اتبع مقطوعات فاتبع معناه قفا الاثر فاتبع معناه لحق وقيل اتبع تقدير اتبع سببًا
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم حمئة والباقون حامية فمن قرا حمئة اراد فى عين
ذات حمأة يقال حمات البير اذا اخرجت حمأتها واحمأتها اذا القيت فيها الحمأة وحميت البير حمأ
بالتحريك كثرت حمأتها وهى حمئة والحمأة الطين الاسود وكذلك الحاء من قرا حامية بغير همز اراد حارة
وقد تكون حارة ذات حمأة ووجدوا القرنين عند العين الحمئة قومًا لباسهم جلود السباع وليس لهم
طعام الا ما اخرجت الشمس من الدواب اذا غربت نحوها وما لفظت العين من الحيتان اذا وقعت فيها
الشمس والمراد ان ذا القرنين بلغ موضعًا فى المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وربما توهم متوهم ان
هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها فى عين ماء وليس كذلك فانها اكبر من الدنيا مرارًا فكيف يسعها
عين وانما وجدها تغرب فى راى العين تغرب فى عين مظلمة لانها تغرب فيها حقيقة كما ان راكب البحر
الذى يرى الشط يرى فى راى العين الشمس تغرب فى البحر وهى فى الحقيقة تغرب وراء البحر قلنا يا ذا
القرنين اما ان تعذب يدل على ان القوم كانوا كفرة فخيره الله ذا القرنين بين ان يعذبهم ان اقاموا على
الكفر وبين ان يتخذ فيهم حسنا اى يفعل بهم فعلا ذا حسن اى يدعوهم الى الاسلام ويعفو عنهم ان اسلموا
تلخيصه ان الله تعالى خير ذا القرنين الدعوة والاجتهاد فى اسلامهم واتخاذ الحسنى فيهم ترك قتلهم احياء
ثم قال ذو القرنين اما من ظلم نفسه بان دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف
يعذبه بالقتل فى الدنيا ثم يرد الى ربه فى الاخرة فيعذبه عذابًا نكرًا فظيعًا فهو العذاب فى الدارين واما من
امن وعمل صالحًا فله الفعل الحسنى جزاء ثم قال الاسكندر وسنقول لمن امن وعمل صالحًا من امرنا
يسرًا اى لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل الميسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر
كقوله تعالى قولا ميسورًا قرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم جزاء بالنصب والتنوين قيل هو مصدر منصوب
على الحال المعنى فله الحسنى مجزيًا بها جزاء والباقون رفعا مضافا فقيل الحسنى الجنة واضيف الجزاء اليها

وهي الجزاء كقوله تعالى وانه لحق اليقين ودين القيمة ولدار الاخرة وعدا على الفارسي المعنى
فله جزاء الخلال الحسنى لانه الايمان والعمل الصالح خلال **قوله تعالى** ثم اتبع
سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد
احطنا بما لديه خبرا اى ثم اراد بلوغ مطلع الشمس فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مطلع
الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اى ما يستره من الشمس اى ليس هناك
ابنية ولا شجر ولا جبل يمنع وقوع شعاع الشمس عليهم قيل لقوم الزنج والستر الابنية وعن كعب
ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى
معايشهم ذكره في كتب التفسير اى بعضهم قال خرجت مسافرا حتى جاوزت الصين فسألت عنها ولاة
القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي
صاحب يعرف لسانهم فقالوا جيتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة
الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت
فاخذ خلونا سربا فلما ارتفع النهار خرجوا الى البر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم
وقيل الستر اللباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل
الارض **قوله تعالى** كذلك اى امر ذي القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لامره
وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا منصوب على المصدر لان معنى احطنا
معنى خبرنا او قيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون
والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ مغرب
الشمس وقيل تطلع الشمس على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في
تعذيبه من بقي منهم على الكفر واحسانه الى من امن منهم **قوله تعالى** حتى اذا بلغ بين السدين
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون
في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني
بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ثم اراد ذو القرنين بلوغه بين السدين وقراءة ابن كثير وابو
عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين والباقون بضمها قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل ما هو مضموم من
فعل الله وما هو مفتوح من فعل الادميين وقيل المفتوح الحاجز بين الشيئين والمضموم الغشاوة فاتبع
سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ بين السدين من الجبلين وهما جبلا ارمينية سد ذو القرنين ما بينهما
وهذا المكان في منقطع اومى الترك مما يلي المشرق وقيل في ناحية الشمال وقيل حملان بين ارمينية
واذربيجان وجد اى المبالغ ذو القرنين بعد السدين وجد من دونهما من ورائهما مجاوزا عنهما

قوما

قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم قالوا
قال هاولا القوم لذي القرنين ماذا القرنين ان ياجوج وماجوج مما اعجمهما ندليل منع الصرف
عن ابن عباس يا جوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون في
ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا مفسدون
في الارض يحتمل كل هذه المفاسد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى
ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم امة ثنتين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا
القصر ولهم من الشعر ما يواريهم من الحر والبرد قيل ياجوج وماجوج وولد آدم كلهم جزء عن السدي
الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت تغير فجاذوا القرنين فضرب السد فبقيت خارجة فهل
نجعل لك خرجا قراحمن والكسائي خراجا بالف خرجا بغير الف قبلهما لغتان بمعنى واحد وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداوه اى هاولا القوم قالوا لذي القرنين فهل نجعل لك خرجا جعل الخرجة
من اموالنا على ان تجعل بيننا وبينهم ياجوج وماجوج سدا ثم قال ذو القرنين لهاولا القوم ما مكني فيه
ربي قرا ابن كثير مكني بنونين اظهرهما لانهما من كلمتين الاولى من الفعل والثانية تدخل الاسم المضمر
والباقون مكن بالتشديد ادغم النون في النون لاجتماع النونين قيل اراد بتمكينه فيه العلم والدين
ثوابه وقيل ما ملك من الدنيا والمعنى ما جعلني ربي فيه مكينا من كثرة الاموال واليسار خير مما تبذلون من
الخراج فلا حاجة لي في مالكم ولكن اعينوني بقوة بفعلة وصناع محسنون العمل والبناء وآلات اجعل بينكم
وبين ياجوج ردما سدا حاجزا حصينا موثقا والردم اكثر من السد لان الردم ما جعل بعضه على بعض
يقال ثوب مردوم اذا كان قد وقع وقعة فوق رقعة **قوله تعالى** اتوني زبر الحديد حتى
اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا
ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد
ربي حقا قال ذو القرنين اتوني قرا ابو بكر عن عاصم ردما ايتوني بكسر التنوين والباقون ردما
ايتوني زبر الحديد اى قطعه فاتوها فحفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس
ثم وضع تلك الزبر بعضها على بعض بينها الحطب والفحم حتى ساوى بين الصدفين قرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر بضم الصاد والدال وابو بكر عن عاصم بضم الصاد وسكون الدال والباقون بفتح الصاد
والدال اى جاء بين الجبلين اى حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما قال ذو القرنين انفخوا فنفخوا فيها
حتى اذا جعله نارا اى حتى اذا صارت نارا اى كالنار قال ذو القرنين ايتوني قرا حمزة وابو بكر عن
عاصم ايتوني مقصورة والباقون اتوني ممدودة اى اعطوني وايتوني اى جيئوني قطرا نحاسا مذابا افرغ
عليه اى اصب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاتوه النحاس المذاب بصبه على الحديد المحمى فاختلط والتصق

وماجوج م

اذا م

بعضه بعضا وصار جبلا صلدا قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجلا اجنبيا فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته ثم قالوا القرنين فما استطاعوا اى فما استطاع يا جوج وماجوج ان يظهروا اى ان يبلغوا السد وما استطاعوا له نقبا اى لاجيلة لياجوج وماجوج فى السد من صعوده لارتفاعه وانملاسه ولا من نقب لصلابته وثخانته ثم قال ذوا القرنين هذا السد رحمة من ربى ونعمة على عباده وقيل هذا الاقدار والتمكين من تسوية الردم رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جاء يوم القيمة جعل السد دكاء قراءة عاصم وحمزة والكسائى دكاء ممدودة مهموزة بلا تنوين والباقون منونا غير مهموز ولا ممدود اى مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكان وعد ربى حقا ثابتا بالثواب والعقاب وغيرهما وهاهنا اخر حكاية قول ذى القرنين **قوله تعالى** وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وتركنا بعضهم اى وتركنا بعض ياجوج وماجوج يومئذ اى سد من وراء السد موج مختلط فى بعض لكثرتهم وحيرتهم لامتناع خروجهم او يوم خروجهم يموج بعضهم فى بعض من وراء السد مزدحمين فى البلاد روى انهم يحفرون كل يوم الردم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم فيحفرونه ويخرجون مقدمتهم بالشام وساقتهم بحر اساف ويا توذا البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابهم ثم ياكلون من ظفر وابه من الناس ممن لا يتحصن منهم ولا يعبرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون والنغف الدود الذى يكون فى انوف الابل وفى الحديث ان ياجوج وماجوج يسلط عليهم النغف فيأخذ فى رقابهم فيرسل الله عليهم طيرا فيلقيهم فى البحر ويرسل مطرا يغسل الارض وحزوجهم بعد خروج الدجال وقيل عيسى الدجال وقيل وتركنا بعضهم اى الكفار وقيل وتركنا بعضهم اى جعلنا بعض الخلق يومئذ يوم القيمة يموج فى بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ فى الصور اول حزوجهم هذه نفخة البعث فجمعناهم اى جمعنا جميع الخلق يوم القيمة فى مكان واحد للحساب **قوله تعالى** وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا اى اظهرنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى اى اعين قلوبهم فى غفلة عن توحيدى والايمان بى وبكتابى وقيل عن ذكرى عن اياتى التى سطرتها فاذكر با للتعظيم وقيل عن القرآن وتأمل معانيها وتبصرها والمراد شدة انصرافهم عن قبول الحق فكانوا عطف قوله كانت اعينهم اى وكانوا اصما عن ذكرى الا انك لا اصم قد يستطيع السمع اذا صبح وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة للسمع والذين كانت اعينهم نعت للكافرين وارد على سبيل الذم او بدل منهم **قوله تعالى** افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء

انا

انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا لما بين الله تعالى اعراض الكافرين عن الذكر وعن استماع القرآن عقبه بقوله افحسب الذين كفروا اى افظن الذين كفروا اى المشركون ان يتخذوا عبادى عيسى وعزيرا والملائكة اولياء من دونى اى من دون عذابى اياهم او من دون ان اعذبهم بسببهم انا اعتدنا اى هيأنا جهنم للكافرين نزلا اى ما يقام للنزيل وهو الضيف ونظيره قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وقيل النزل هو المأوى والمنزل ثم ذكر تعالى ما نبه به على جهل القوم فقال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا منصوب على التمييز لانه لما قال بالاخسرين كان ذلك مبهما لا بد له على ما فسروه فمن ذلك فى اى نوع وقع الذين ضل اى ضاع وبطل يعنى اتعبوا انفسهم فى عمل يبغون به ربحا وفضلا فينالوا به هلاكا وعطبا ولم يدركوا ما طلبوا كالمشترى سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسئ بيعه عن على بن ابى طالب هم الرهبان والقسوس الذين حبسوا انفسهم فى الصوامع وعن سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عباس هم اليهود والنصارى وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان عبد الله بن الكوا سأله عنهم قال على رضى الله عنه انتم يا اهل حروراء الذين ضل سعيهم فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين ضل لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا هم يأتون باعمال يظنون انها طاعات وحسنات وهى فى انفسها معاص وسيئات لكفرهم اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه اى جحدوا لدلائل توحيده وكفروا بالبعث والجزاء ولقائه اى رؤية ربهم لانهم كفروا برسول الله والقرآن صاروا كافرين بهذه الاشياء حبطت فبطلت اعمالهم فلا يكون لهم عندنا يوم القيمة وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من المؤمنين الموحدين عن ابى سعيد الخدرى يأتى ناس باعمال يوم القيمة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ ثم قال تعالى ذلك جزاؤهم اى الذى ذكرنا من انواع الوعيد هو جزاؤهم على اعمالهم جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ثم بين ان ذلك جزاؤهم بما كفروا اى بكفرهم واتخاذ ايات الله ورسله هزوا فلم يقتصروا على الكفر بل ضموا اليه الكفر بايات الله ورسله **قوله تعالى** ان الذين

امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا لما بين وعيد الكفرة والاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم ارد فه بوعد المومنين على سلوك طريقتهم واتباع سيرتهم لا يبغون عنها حولا اى لا يطلبون تحولا عن جنات الفردوس لانه لا مزيد على جنات الفردوس وخيراتها ولذاتها حتى تشتهى انفسهم دلك وهذا غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى اى نعيم كان يشتهى ما هو ارفع منه ويطمح طرفه الى ما هو اعلا منه **قوله تعالى** قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جينا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لما بين فى هذه السورة انواع الحجج والبينات وشرح قصص الاولين بنى عليها كمال القرآن فقال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى والمداد اسم لما يمد به الدواة من الحبر والمعنى لو كان ما البحر مدادا يكتب به كلمات علم الله تعالى وحكمته لنفد ما البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جينا بمثل ما البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا والمدد تمييز والمراد بالبحر الجنس وتقرير الكلام ان البحر كيف كيف ما فرضت فى الاتساع والعظمة متناهية وكلمات الله غير متناهيه والمتناهى لا يفى بغير المتناهى قيل روى ان حيى بن اخطب قال فى كتابكم ومن اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الاية يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ولما بين كمال كلام الله امر محمدا ان يسلك طريقة التواضع فقال قل يا محمد انما انا بشر مثلكم لا امتياز بينى وبينكم فى شىء من الصفات الا فى ان الله تعالى اوحى الى انما الهكم اله واحد والثانى ان يكون الا واحدا يكفى اثباته بالدلائل السمعية فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اى ولا يرائى بعمله بل يبتغى به وجه الله خالصا لا يخلط به غيره قيل نزلت هذه الاية فى جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى ايضا انه قال لئن اجرك الله اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به والمقام الاول مقام المبتدى والرواية والمقام الاخر مقام المنتهى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء

سورة مريم

قيل هى مكية باجماعهم من غير خلاف علمناه وعن ابن عباس هى مكية غير سجدتها فانها مدنية وقيل هى مكية غير آيتين منها قوله فخلف من بعدهم خلف والتى تليها وهى ثمان وتسعون اية وتسع ما به واثنتان وستون كلمة وثلاثمائة الف وثمان مائة حرف وحرفان عن ابى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى من الاجر حسنات بعدد من صدق بزكريا وكذب به ويحيى ومريم

وعيسى

وعيسى وموسى وهرون وابرهيم واسحق ويعقوب واسمعيل وبعدد من دعا الله ولدا وبعدد من لم يدع له ولدا

قوله تعالى كهيعص

بسم الله الرحمن الرحيم قرا ابو عمر بامالة الهاء وفتح الياء والكسائى وابو بكر عن عاصم بامالة فتحة الياء والهاء وابن كثير وحفص عن عاصم بفتحهما وابو عامر وحمزة بفتح الهاء وامالة فتحة الياء عن ابن عباس رضى الله عنه هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو اسم الله الاعظم وعن قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم السورة وعن ابن عباس هو قسم اقسم الله به وعن الكلبى هو ثناء اثنى الله به على نفسه وعنه الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وعن الكلبى كاف بخلقه هاد بعباده يده فوق ايديهم عالم بنيته صادق فى وعده

قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قيل ذكر مرفوع بانه خبر مبتدا هو كهيعص وقيل خبر مبتدا محذوف اى هذا الذى نتلوا عليك ذكر رحمة ربك وهل ذكر مرتفع بالابتدا والخبر مقدر بعد قوله وما وحى الى ذكر رحمة ربك وذكر مصدر مضاف الى الرحمة وهى فاعلة وعبده مفعولها وقيل رحمة صلة اى ذكر ربك عبده زكريا وقيل فيه تقديم وتاخير معناه ذكر رحمة ربك عبده زكريا بدل من عبده يعنى اجابته اياه حين دعاه وسالة الولد اذ نادى ربه دعاء نداء خفيا خافيا يخفى ذلك فى نفسه لا يريد به رياء وقيل نداء سرا من قومه فى جوف الليل مخالصا فيه لم يطلع عليه الا الله وهذا يدل على ان المستحب فى الدعاء الاخفاء واعاذ زكريا سنة الله فى اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان ولكنا الاخفا اولى لانه ابعد من الرياء وادخل فى الاخلاص وقيل اخفاه ليلا يقولوا للناس انظروا الى هذا الشيخ يسال الولد على الكبر وقيل اخفاه من موالية بنى عمه الذين خافهم ليلا يعادوه ويظنوا انه كره ان يكون مكانه بعده وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات

قوله تعالى قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا رب انى وهن العظم واغا ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه هو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فى البدن واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحد العظم لانه اراد الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام اشد ما يركب به الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يبق منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل الراس شيبا شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه واخذه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها

بلغ المقابلة

بالبلاغة قال صاحب المفتاح ولمصادفة الاجمال والتفصيل الموقع فيما يحكيه جل وعلا عن
زكريا عليه السلام من قوله واشتعل الراس شيبا في مقام المباثة وحين النفي لتوابع انقراض
الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن وفي هذه الجملة وفيما قبلها من رب اني وهن العظم مني
لطايف وانه كلمة في القران فضلا عن جملة فضلا عما تجاوز لا تحتوي على لطايف والكلام في تلك
اللطايف مفتقر الى اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته الادنى ثم النظر في التفاوت بين ذلك وبين
ما عليه نظم القران وفي كم درجة يتصل احد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة ان اصل معنى الكلام ومرتبته
الاولى يا ربي قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس المعترض لهما
ثم تركت هذه الرتبة لتوخي مزيد التقرير الى تفصيلها في ضعف بدني وشاب راسي ثم تركت هذه المرتبة
الثانية لاشتمالها على التصريح الى ثلثة ابلغ وهي الكناية في وهنت عظام بدني لان الكناية ابلغ من التصريح
ثم لقصد مرتبة رابعة ابلغ في التقرير بنيت الكناية على المبتدا فحصلت انا وهنت عظام بدني ثم لقصد
مرتبة خامسة ابلغ ادخلت على المبتدا فحصلت اني وهنت عظام بدني لم يطلب تقرير ان الواهن هي
عظام بدنه فقصدت مرتبة سادسة وهي سلوك طريقي الاجمال والتفصيل فحصل اني وهنت العظام
من بدني ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن فحصل
اني وهنت العظام مني ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم
الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فحصل ما ترى وهو الذي في الاية اني وهن العظم
وهكذا تركت الحقيقة في شاب راسي الى ابلغ وهي الاستعارة لان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فحصل
اشتعل شيب راسي ثم تركت الى ابلغ وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات احداها استناد
الاشتعال الى الراس لافادة شمول اشتعال الراس او وزان اشتعل شيب راسي واشتعل راسي شيبا
وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيتها الاجمال والتفصيل في طريق
التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل راسي شيبا لتوخي مزيد التقرير الى اشتعل
الراس مني شيبا على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لقرينة عطف واشتعل الراس على وهن العظم
مني لمزيد التقرير وهي ايهام حوالة تادية مفهومة على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي فتق اكمام هذه الجهات
عن ازاهر القبول في القلوب هو ان مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت
كلمة النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي ياء المتكلم واختصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة
فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس
للبنا وكما ان البنا الحاذق لا يرى الاساس لا يقدر ما يقدر من البنا عليه كذلك البليغ يصنع بمبدا كلامه
فمتى رايته اختصر المبدا فقد اذنك باختصار ما يورد ثم ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع

في بيان

في بيان دعواه الى ما سبق تارة الى كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذي نحن بصدده
من القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب وهذا المعنى احق
بان يمتري القايل فينا فاوثق المجهود ويستغرق في الانبا عند كل حد معهود من انقراض ايام
ولم اكن بدعايك اي بدعاي اياك رب شقيا عن بن عباس لم يكن تخيب دعاي اذا دعوتك يقال
شقي فلان بكذا اذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه يقول لم اكن اتعب بالدعا ثم اجيب

قوله تعالى واني خفت الموالي من وراي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك
وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا واني خفت الموالي الذين يلونه في
النسب وهم بنوا العم والعصبة من وراي قرا ابن كثير في رواية قبل بفتح الياء والباقون
باسكانها من بعدي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف قيل كان بنوا عمه
وعصبته شرار بني اسرايل فخافهم على الدين ان يغيروه ويدله وان لا يحسن الخلافة على امته فطلب
عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه وقيل بمعنى الولاية في الموالي
اي خفت فعل الموالي وهي تبديلهم وسوء خلافتهم من وراي او خفت الذين يلون الامر من وراي
وعن بن عباس ومجاهد وقتادة وابي صالح خاف ان يرثوا ماله وان ترثه الكلالة فاشفق من ذلك
وروى قتادة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه ممن يرث
ماله فان اعترض معترض فقال كيف يجوز ان ينفس نبي على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته
فعنه جوابان احدهما انه لما كان نبيا والنبي لا يورث خاف ان يرثوا ماله فاخذوا ما لا يجوز لهم والثاني
ان غلب طبع البشر فاحب ان يتولى ماله ولده وبيان هذا انه لا بد ان يتولى ماله وان لم يكن ميراثا
فاحب ان يتولاه ولده فهب لي من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا لكونه مضافا الى الله عز وجل
وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كان وقيل اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي
لا تصلح للولادة يرثني ويرث قرا ابو عمرو والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيهما على جواب الدعا والباقون
برفعهما على الصفة لوليا اي هب لي وليا وارثا عن بن عباس يرثني مالي ويرث من ال يعقوب النبوة
وعنه يرثني العلم ويرث من ال يعقوب الملك فاجابه الله الى وراثة العلم دون الملك وعن الحسن
يرثني نبوتي وعلمي ويرث من ال يعقوب النبوة ايضا وعن عطا يرثني النبوة ويرث من ال يعقوب
الاخلاق وكان زكريا من ذرية يعقوب قاله مجاهد وزعم الكلبي ان آل يعقوب كانوا اخواله وانه
ليس بيعقوب ابي يوسف وعن مقاتل هو يعقوب ابن ماثان وكان يعقوب هذا وعمران ابو مريم
اخوين والصحيح انه لم يرد ميراث المال لوجوه منها انه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة ومنها انه لا يجوز ان يتاسف رسول الله على ميراثه بعد

موته اذا وصل الى ميراثه المستحق له شرعا ومنها انه لم يكن ذا مال وقد روى ابو هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان زكريا كان نجارا واجعله رب رضيا اى مرضيا صالحا تقيا عن اى صالح
اجعله نبيا كما جعلت اباه نبيا **قوله تعالى** يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
لم نجعل له من قبل سميا في الكلام اضمار واختصار تقديره فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا
نبشرك قرا حمزة نبشرك بالتخفيف والباقون بالتشديد بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا
لم يسم احد قبله بيحيى فان قيل ما وجه المدحة باسم لم يسم احد قبله ونرى كثيرا من الاسما لم يسبق اليها اجيب
بان وجه الفضيلة ان الله تعالى تولى تسميته ولم يكل ذلك الى ابويه فسماه باسم لم يسبق اليه وقيل لم نجعل له
مثلا وشبها كقوله هل تعلم له سميا اى مثلا وشبها وتاويله انه لم يكن له مثل لانه لم يعص الله ولم يهم
بمعصية قط وقيل لم يكن له مثل في امر النسا لانه كان سيدا وحصورا وقيل لم تلد العواقر مثله ولدا
وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبه والشكل والنظير فكل واحد منهما
سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن
المزرع من قبل قيل ان الله اشترط القبل لانه تعالى اراد ان يخلق بعده من هو افضل منه وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل ان الله تعالى لم يرد بهذا القول الفضايل كلها ليحيى عليه السلام وانما اراد في بعضها لان
الخليل والكليم عليهما السلام كانا قبله وكانا افضل منه **قوله تعالى** قال رب انى يكون لى غلام
وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيا قال رب اجعل لى اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وكانت امراتى على صفة
العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اتصل السببان جميعا ارزقه
وقد بلغت من الكبر عتيا اى يبسا عن قتادة فحول العظم يقال مالك عات اذا كان قاسى القلب غير لين عن
ابى عبيدة كل مبالغ في شر وكفر فقد عتا يقال عتا العود وعتا من اجل الكبر والطعن في السن العالية وقيل
معناه بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا قرا حمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وبكيا والباقون
بضم اوايلها وعن الزجاج كل شيء انتهى فقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسوا وعسيا قال صاحب الكشاف
فان قلت لم طلب اولادا وهو وامراته على صفة العقر والعتى فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب
قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا على
منهاج واحد في ان الله تعالى غنى عن الاسباب قال الله كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق
له ثم ابتدا قال ربك او الكاف نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره على حين اى خلق يحيى على سهل
وقيل يجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما تقدم من وعد الله لا الى مبهم يفسره على حين قول زكريا اى الامر
كما قيل لك من هبة الولد على الكبر وقد خلقتك قرا حمزة والكسائى خلقناك بالنون والالف والباقون

خلقتك

خلقتك من قبل يحيى ولم تك شيا لان المعدوم ليس بشيء او شيا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء
وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا قال رب اجعل لى اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به وقيل على حمل
امراتى قال الله ايتك ان لا تكلم الناس سويا منصوب الحال اى وانت صحيح سليم الجوارح سوى الخلق ما بك
خرس ولا بكم دل ذكر الليالى هنا والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن
قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا كان الناس من وراء
المحراب متطرف منه ان يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا عليه السلام عليهم
متغير اللون فانكروه فقالوا له يا زكريا ما لك فاوحى اليهم اى اشار اليهم بيده وراسه قاله مجاهد وتشهد
له الا رمزا في ال عمران وعن بن عباس فكتب اليهم في كتاب وقيل على الارض ان سبحوا صلوا بكرة
وعشيا وان هي المفسرة والسبحة الصلوة وهذا في صبيحة الليلة التي حملت امراته فلما حملت امراته
امرهم بالصلاة اشارة **قوله تعالى** يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا
المعنى فوهبنا له يحيى فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى التورية وكان مامورا بالتمسك بها وقيل
المعنى اقبل كتب الله كلها ايمانا بها واستعمالا لاحكامها بقوة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد
واتيناه الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاه الحى يقال حكم حكما كحكم وهو الفهم للتورية والفقه في الدين
صبيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين وعن قتادة ومقاتل ثلاث سنين روى انه
جاء الصبيان الى يحيى فقالوا اخرج بنا نلعب فقال ما للعب خلقت وقيل اللب وقيل العلم وقيل حفظ
التورية وقيل النبوة لان الله عز وجل احكم عقله في صباه واوحى اليه **قوله تعالى**
وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وحنانا الزجاج
واتيناه حنانا فلو قيل وجعلناه حنانا لاهل زمانه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة
قال ابى ظبى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه تحنن على هداك الملك فان لكل مقام مقالا اى ترحم ومنه قولهم
حنانيك مثل سعديك وعامة ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين قال طرفة ابا منذر لقيت فاستبق
بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض واصله من حنين الناقة وقيل حنانا تعطفا من ربه
عليه وقيل لينا وقيل بركة وقيل محبة وتعظيما وحسن في معنى ارتاح واستاق ثم استعمل في العطف
والرافة وزكوة عملا صالحا وصدقة تقديره ان الله جعله صدقة يتصدق بها عليه ابويه وقيل
صدقة يتعطف على الناس ويتصدق عليهم وقيل زكاة زيادة في الخير على ما وصف وقيل طهارة من
الذنوب وكان تقيا مسلما مطيعا مخلصا عن بن عباس جعلته يتقينى ولا يعدل في غيرى وبرا بوالديه
اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه **قوله تعالى**
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا اى سلام من الله عليه في هذه الايام وقيل

ثلث ليال

سلامة له منا يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا والمراد باليوم الحين والوقت وخص
التسليم والسلامة بهذه الاحوال لانها اصعب الاوقات واوحشها **قوله تعالى**
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا لما فرغ من قصة
زكريا ويحيى شرع في قصة مريم وعيسى واذكر يا محمد في الكتاب القران مريم بنت عمران بن ماثان اذ بدل
من مريم بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على ما فيه وفيه ان المقصود من ذكر مريم ذكر وقتها هذا
الوقوع شرقيا مما يلي شرقي بيت المقدس او شرقا من ذكرها لانها كانت في الشتا وقيل قعدت في مشرقه
للاغتسال من الحيض عن الحسن اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت
فضربت من دونهم من دون اهلها حجابا سترا وحاجزا عن مقاتل جعلت الجبل بينها وبين اهلها وقيل
ان الشمس اظلتها فلم يرها احد وذلك مما سترها الله به عن عكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون
في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت في المسجد فبينا هي
في مغتسلها تغتسل من الحيض فارسلنا اليها روحنا جبريل وقيل روح عيسى اضافه اليه على التفضيل والتخصيص
فتمثل لها بشرا فتصور لها ادميا سويا سوي الخلق لم ينقص من الصورة الادمية شي عن بن عباس في
صورة شاب امرد وضي الوجه جعل الشعر حين حضر شاربه وانما ارسله اليها في صورة البشر لتثبت
مريم عليها السلام وتستانس بكلامه وتقدر على استماعه والا تنفر عنه ولو نزل جبريل على صورته التي
هو عليها لفزعت ونفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه فلما رات مريم جبريل قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا تتقي الله فتنتهي بتعوذي منك وعن بن عباس رضي الله عنهما انه كان في زمانها رجل
يقال له تقي وكان فاجرا فظنته اياه وقيل كان تقي رجلا من امثل الناس في ذلك الزمان فقالت ان كنت
في الصلاح مثل التقي فاني اعوذ بالرحمن منك كيف يكون رجل اجنبي وامراة اجنبية في حجاب واحد
قيل دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفايقة الحسن وكان تمثيله على
تلك الصورة ابتلاء لها وسترا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج خالتها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه
وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت
فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف
من خدم بيت المقدس قال جبريل لها انما انا رسول ربك الذي عذت به لاهب قرا ابو عمرو وورش عن نافع
ليهب بيا مفتوحة بين اللام والهاء اي ارسلني ليهب لك والباقون بهمزة مفتوحة بين اللام والها والمعنى

ارسلت

ارسلت اليك لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام غلاما زكيا طاهرا من الذنوب صالحا
تقيا قالت مريم انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر بنكاح حلال والمس عبارة عن النكاح الحلال
لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء ولم اك بغيا زانية فاجرة تبغي الرجال
وهي فعول عند المبرد اصله بغوي ادغمت الواو في الياء وقيل هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل
فلان نهو عن المنكر وانما لم يقل بغية لانه وصف يغلب على النسا فقلما تقول العرب رجل بغي فيجري مجرى
حايض وعاقر ومعنى الاية ليس لي زوج ولست بزانية وانما يكون الولد من هاتين الجهتين قال جبريل كذلك
كما قلت يا مريم قال ربك ولكن قال ربك وقيل وهكذا قال ربك هو علي هين خلق ولد من غير اب ولنجعله
تعليل معلل محذوف ولنجعله اية للناس فعلها ذلك وقيل هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا
ولنجعله اية ورحمة منا لمن تبعه على دينه وكان ذلك امرا مقضيا محكوما به مفروغا عنه سابقا في
علم الله تعالى مقدورا مسطورا في اللوح المحفوظ لا بد من جريه عليه وقيل كان امرا حقيقا بان يكون
ويقضى لكونه رحمة واية والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف
وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو حقيق بالتكوين
قوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناديها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما
ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها
تحمله قالوا يا مريم لقد جيت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت
امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فاطمانت مريم الى قول
جبريل فدنا جبريل من مريم فنفخ في جيب درعها فحملت حين لبست وعن السدي نفخ في جيب
درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها وقيل كانت مدة الحمل
تسعة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش قط مولود وضع
لثمانية ~~اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية~~ اشهر الا عيسى فكان في هذا اية وقيل ثلاث ساعات
وقيل حملته في ساعة فصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يدها وعن بن
عباس كانت هذه الحمل ساعة واحدة كما حملت نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة
وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل فحملت مريم عيسى فانتبذت واعتزلت
به بالحمل اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله يصف الخيل تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم
ونحن على ظهورها ونحو قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال

مكانا قصيا بعيدا من اهلها عن ابن اسحق مشت ست اميال وانما بعدت فرارا من قومها ان يعيروها
بولادتها من الزوج قيل لابن عم لهما يوسف ان مريم حملت من الزنا بان يعنيها الملك وكان
قد سميت له فاتاها فاحتملها وبرت بها فلما كان بعض الطريق اراد يوسف ابن عمها قتلها فاتى جبريل
عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها ولم يقتلها وكان معها فاجاها فانجاها اجا منقول
من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الانجا الا تراك تقول جيئت المكان واجانيه زيد كما تقول
بلغت وابلغته ونظيره اني جيت لم يستعمل الا في الاعطا ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان المخاض اي الحمل
وقيل الطلق يقال مخضت الحامل مخاضا ومخضا وهو تمخض الولد في بطنها اي تحركه الى جذع النخلة وهو ساقها
وكانت نخلة يابسة في الصحرا ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف في النخلة قيل
كتعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحرا كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل
جذع النخلة فهم منه ذاك دون غيره من جذوع النخل وقيل تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة
كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفسا الموافقة لها ولان
النخلة اقل شي صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها ففيها لما مع جميع الايات فيها اختارها لها والجاها
اليها قيل كان جذعا يابسا قد جيء به ليبني عليه بيت يقال له بيت لحم قالت يا ليتني مت قبل هذا اليوم او قبل
هذا الامر قرا نافع وحمزة والكساي وحفص عن عاصم مت بكسر الميم والباقون بضمها قيل انها قالت حياء من
الناس وقيل ليلا يأثموا بقذفها وكنت نسيا منسيا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وبن عامر والكساي وابو
بكر عن عاصم نسيا بكسر النون وحمزة وحفص عن عاصم نسيا بفتح النون وهما لغتان مثل الجسر والجسر والوتر
والوتر وقال ابو علي الفارسي الكسر اعلى اللغتين وقال بن الانباري من كسر النون قال النسي اسم لما ينسى بمنزلة
البعض لما يبعض والسبب اسم لما يسبب والنسي بالفتح اسم لما ينسى ايضا على انه مصدر ناب عن الاسم
كما يقال رجل دنف ودنف فالمكسور هو الوصف الصحيح والمفتوح مصدر سد مسد الوصف ويمكن
ان يكون النسي والنسي اسمين لمعنى كما يقال الرطل والنسي ما من حقه ان يطرح وينسى كحزمة الطامث
ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا
عن الدار قالوا انظروا نساءكم اي الشي اليسير نحو العصا والقدح والشطاط تمنت لو كانت ساتا فيها لا
يوبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي واطرح ووجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك
لما حقها من فرط الحيا والنشر ومن الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله وقيل لشدة التكليف
عليها اذا تهموها وهي عارمة ببراة الساحة ونضد ما قذفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال
والاكرام لانه مقام دحض قل ما ثبتت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل بامر يستحق به المدح
ويستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس يحملهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه وقيل لخوفها على الناس

ان يعصوا الله

ان يعصوا الله بسببها منسيا بالكسر على الاتباع فناديها من تحتها قرا ابن كثير وابو عمرو وبن عامر
وابو بكر عن عاصم من تحتها بفتح الميم والتاء والباقون بكسر الميم والتاء فعلى الكسر معناه نادى الملك مريم
من تحت النخلة وقيل كانت مريم على نشز اي مكان مرتفع فناديها الملك اسفل منها وقيل نادى عيسى امه
مريم لما خرج من بطنها وعلى الفتح من تحتها جبريل قيل تقبل الولد كالقابلة وقيل من تحتها عيسى وقيل تحتها
اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة الا تحزني فناديها ان لا
تحزني قد جعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا عن ابن جريج هو الجدول بالسريانية وقيل معنى قوله تحتك
ان الله تعالى جعل النهر تحت امرها ان امرته بجري جرى وان امرته بالامساك امسك كقوله عز وعلا
فيما اخبر عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي اي من تحت امري عن بن عباس فضرب جبريل عليه السلام
وقيل عيسى عليه السلام برجله الارض يطهرها عن عين عذب وجرى وحسبت النخلة بعينها فاورقت
واثمرت وارطبت فان قيل كيف ناسب تسليتها ان قيل لا تحزني فالجواب من وجهين احدهما انها
جرت لحدث مكانها الذي ولدت فيه وعدم الطعام والشراب والماء الذي يتطهر به فقيل لا تحزني قد اجرينا
لك نهرا واطلعنا لك رطبا وثانيهما انها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد بلا زوج ما جرى الله نهرا فجاها
من الاردن واخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة وكان ذلك بامر يدل على قدرة الله تعالى في ايجادها
قال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها لاجل فقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها
مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارجة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم
ان ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شانها وهزي اي حركي اليك بجذع النخلة قيل الباء في بجذع النخلة
صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم والعرب تقول هزه وهزبه وخذ الخطام وخذ بالخطام وقيل انها
دخلت على الجذع لتلصقه بالهز فهي مفيدة للالصاق وقيل معناه افعلي الهز به تساقط قرا حمزة تساقط
بالتاء مفتوحة مخففة السين وحفص عن عاصم بضم التاء وكسر القاف والباقون بالتاء مشددة
السين اصله تتساقط ادغمت التاء في السين رطبا تمييز غضا رطبا ساعة جني قيل ما للنفسا خير من
الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عثر ولادها لم يكن لها خير من الرطب قيل لم يكن لتلك النخلة راس
فانبته الله فلما وضعت يدها عليها سقط الرطب وكان السلف يستحبون للنساء الرطب من اجل مريم
عليها السلام وكلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا بولادة عيسى عليه السلام وقيل معناه جمعنا
لك فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونها معجزتين وقيل معنى قري عينا طيبي
نفسا وارفضي عنك ما احزنك واصمك يقال قررت به عينا اقر بفتح القاف في المستقبل وقررت في المكان
اقر بكسر القاف عينا منصوب على التمييز عن الاصمعي انه قال معنى قري عينا ولتبرد دمعتك لان دمعة

الفرح باردة ودمعة الحزن حارة واشتقاق قرى من القرور وهو الماء البارد فاما ترين من البشر احدا قالت
صاحب الكشاف ما يجوز ان الرؤى عن ابى عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك
لتاخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال هو ماضيا اى كانت من البشر احدا فقولي وفيه اضمار
تقديره فسالك عن امر ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقيل صياما لان كانوا لا يتكلمون
في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله تعالى باذا تنذر
الصوم للا تشرع مع البشر المهمين لها او كلام بلغتين لها في كلام بلغتي احد بها ان عيسى عليه السلام يكفيها
الكلام بما تبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومنافرهم وفيه ان السكوت من السفيه واجب
ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافرا قيل اخبرهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق
فلن اكلم اليوم انسيا اى اكلم الملائكة دون الانس فاتت به اى فاتت من بيت يعقوب قومها بعد اربعين يوما حيث
طهرت من نفاسها وقيل انطلق قومها يطلبونها فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهم به فانه قيل انت به تغني عن تحمله
فما فايدة ذكر اجيب بانه لما طهرت منه اياتا جاز ان يتوهم السامع فاتت به ان يكون ساعيا على قدميه فكون
بسعيه اية كفلقه بحطب ذكر لتوهم واعلم انه كسائر الاطفال وهذا مثل قول العرب نظرت الى هلال بعيني فتفوا
عنه ذكر نظرا لعطف والرحمة واثبتوا لانه نظر عيسى قومها صالحيين قالوا يا مريم لقد جيت شيئا فريا بديعا من فرا
الجلد وقيل عظيما قال الفرى العظيم والعرب تقول نرى الفري اذا عمل فاجاد العمل فضل الناس وقيل قطيعا
منكرا عظيما قال ابو عبيد كل فايق من عجب او عمل فهو فري قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فما رايت
عبقريا يفري فريه ابو عمر اى يعمل عمله ما خت هرون قيل هرون اخ لها من امها وكان من اشرل فتى في بني اسرايل
وقيل كان من ابيها وامها وقيل هو اخو موسى عليه السلام نسبت اليه لانها من ولده وقيل انه رجل صالح
كان في بني اسرايل فنسبوها به في الصلاح يدل على ذلك ما روى المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى اهل نجران فقالوا انكم تقرؤن يا اخت هرون وقد علم ما بين موسى وعيسى فلما ادرت ما اجيبهم
فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون
بانبيائهم والصالحين قبلهم وقيل ان قوم هرون فيهم فساق وزناة فنسبوها اليهم وقيل انه رجل من
فساق بني اسرايل شبهوها به فعلى هذا الاخت ههنا بمعنى الشبه لا بمعنى النسبة والعرب تسمي
شبيه الشيء اخته واخاه قال الله تعالى ومانوبهم من اية الا هي اكبر من اختها اى شبهها ما كان ابوك
اى عمران امرءَ سوءٍ اى زانيا وما كانت امك اى حنة بغيا اى زانية فمن اين لك هذا الولد فاشارت
مريم الى عيسى عليه السلام ان كلموه فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قتل كان زايدة
والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد هل كان بمعنى وقع وحدث وقيل انها في معنى الشرط والجزا فالمعنى من يكن
في المهد صبيا فكيف نكلمه قيل كان لا يقاع مضمون الجملة في زمان ماض من زمن صالح لقرينة ونصبه وهو هنا

لقرينه

لقرينه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مستغرق للعجب وقيل تكلم حكاية حال ماضية
اى كيف نعهد قبل عيسى ان نكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا والمهد حجرها وقيل
سرير الصبي المعروف قوله تعالى قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل كان المستنطق لعيسى
زكريا عليهما السلام عن السدي لما اشارت اليه وقالوا لسخريتها اشد علينا من زناها عن وهب
اتاها زكريا عند منا ظرتها اليهود فقال لعيسى عليه السلام انطق بحجتك ان كنت امرت بذلك فقال
عند ذلك وهو ابن اربعين يوما وعن مقاتل هو يوم ولدني عبد الله وعن السدي انه كان موضع فلما سمع
ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه قال اني عبد الله انطقه الله اولا بانه عبد الله رد القول النصارى
في ادعاء بوبيته اتاني اسكن همزة الياء والباقون فتحوها الكتاب هو الانجيل وقيل التوريه قيل اتاه
الكتاب وهو في بطن امه وقيل علم التوريه والانجيل وهو في بطن امه وجعلني قيل اعطى النبوة في طفولته
اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضايه وقيل جعل
للاتي لا محالة كانه قد وجد وجعلني مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث
كنت وقيل معلما للخير وقيل مباركا على من تبع ديني وامري واوصاني بالصلوة والزكوة اي زكوة الاموال
وقيل ان زكاة الطهارة ما دمت حيا وبرا بوالدتي اى وجعلني برا بوالدتي عن ابن عباس لما قال هذا
ولم يقل بوالدي علموا انه ولد من غير بشر ولم يجعلني جبارا اى متعظما عاصيا لربه ذكر ان امراة رات
عيسى عليه السلام يحيي الموتى والاسراء الاكمه والابرص في ايات اذ قد له فيها فقالت طوبى للبطن الذي
حملتك والثدي الذي ارضعت به فقال عيسى يحيبها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا
شقيا وكان عليه السلام يقول سلوني فان قلبي ليتي واني صغير في نفسي ما اعطاه الله من التواضع
والسلام علي اى السلامة علي من الله يوم ولدت حتى لم يضرني شيطان فان قيل لم ذكر ههنا السلام بالف
ولام وذكر في قصة يحيى بلا الف ولام فعنه جوابان احدهما انه ما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع
بغير الف ولام كان الاحسن ان يرد ثانية بالف ولام وقد اعترض على هذا فقيل كيف يجوز ان يعطف هذا
وهو قول عيسى على الاول وهو قول الله عز وجل وقد اجيب عنه بان عيسى انما يتعلم من ربه فيجوز ان يكون
سمع يقول الله في يحيى فبنى عليه والصفة بنفسه ويجوز ان يكون سمع قول الله ويحكي الله عن السلام وثانيهما
لانه الى بعد السلام قد ذكره واجرى عليه غير فاصل به اتباع اللفظ المحكي لان المتكلم انما يقص الكلام
الذي يحكيه فيقول قال عبد الله انا رجل منصف قال صاحب الكشاف والصحيح ان هذا التعريف تعريف
بالنعوت التي مر بها مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتخصيصه ان اللام للجنس فاذا قال جنس السلام

على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني العذاب
على من كذب وتولى وكان القوم مقام مكابرة وعناد فهو منبه لنحو هذا من التعرض **قوله تعالى**
ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ذلك اي ذلك الذي قال اني
عبد الله هو عيسى بن مريم لا كما تقول النصارى انه ابن الله قول الحق قرا عاصم وابن عامر بنصب اللام
اي اقول قول الحق والباقون برفع اللام اي هو قول الحق قيل انتصابه على المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه
مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وارتفاعه
على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله
وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للسبب باسم المسبب كما سمي الصيب بالسماء
والسحم بالثدي وقيل اذا اريد قول الحق عيسى يحتمل ان يكون الحق اسم الله وان يكون بمعنى الثبات والصدق
ويعضده قوله الذي فيه يمترون ويشكون والمرية الشك ويقولون غير الحق قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله ثالث ثلاثة ما كان لله ان يتخذ من ولد كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على
انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمعذور على اذ من المحال غير المستقيم
ان يكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ومن موكدة تدل على نفي الواحد والجماعة ثم بين احالة ذلك
بان اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن فان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا
مجاز ومعناه ان ارادته للشيء تبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر المطاع اذا ورد على
المامور الممتثل وان الله قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ان بفتح الهمزة والباقون بالكسر وعلى الفتح معناه وانه
ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا **قوله تعالى**
فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قيل من زايدة والمعنى اختلف الاحزاب بينهم قيل
لما تمسك المومنون بالحق كان اختلاف الاحزاب من بينهم المومنين مقصورا عليهم الاحزاب قيل هم
اليهود والنصارى وكانت اليهود تقول انه لغير رشده والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به وقيل الاحزاب
فرق النصارى قال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة وعن الحسن الذين
تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فويل للذين كفروا بقولهم في المسيح
من مشهد اي من شهودهم هول الحساب والجزا في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف
او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملايكة والانبيا والسنتهم
وايديهم وارجلهم بالكفر وسوا الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به

في عيسى

في عيسى وامه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم على التعجب يوم ياتوننا وذلك انهم سمعوا يوم
القيمة حين لم ينفعهم ثم سمع وما ابصرهم حين لم ينفعهم البصر وعن الكلبي لا اجد يوم القيمة
اسمع منهم ولا ابصر حين يقول الله لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني الاية وقيل
اسمع بحديثهم اليوم وابصرهم يوم ياتوننا قال صاحب الكشاف لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان
استماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهدد
بما يسمعون ويبصرون بما يسوءهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون يعني الكفار اوقع الظاهر اعني
الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم
ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع **قوله تعالى** وانذرهم
يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون اي انذر كفار مكة يوم الحسرة يوم القيمة
يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان هو اكثر المفسرين يوم الحسرة حين
يذبح الموت عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل اهل الجنة
الجنة واهل النار قيل يا اهل الجنة فيستريبون وينظرون وقيل يا اهل النار فيستريبون وينظرون فيجاء
بالموت كانه كبش املح فيقال لهم هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر فرغ من الحساب وايقن الامر الذي فيه هلاكهم وقيل ذبح الموت وقيل قضي لهم
العذاب في الاخرة وهم في غفلة في الدنيا وهم لا يومنون بما يكون في الاخرة واذ بدل من يوم الحسرة
او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وانذرهم اعتراض او متعلق
بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مومنين **قوله تعالى** انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون اي نميت سكانها فنرثها ونرث ما عليها لانا نميتهم
ونهلكهم قيل يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب
بها والينا يرجعون فان قيل ما الفايدة في نحن وقد كفى انا فالجواب انه لما جاز في قول
المعظم انا نفعل ان يتوهم ان اتباعه فعلوا فاتت نحن بان الفعل مضاف اليه حقيقة فان قيل فلم
قال ومن عليها وهو يرث الادميين وغيرهم فالجواب انه من تخصيص اهل التمييز وغير المميزين يدخلون
في معنى الارض ويجرون مجراها **قوله تعالى** واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا
نبيا اي واذكر يا محمد لقومك قصة ابرهيم انه كان صديقا من ابنية المبالغة كالضحيك
والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان
والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا بجميع الانبيا وكتبهم نبيا في نفسه كقوله

النار ص

تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغاً في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق
ومصدق ايات الله ومعجزاته احرى ان يكون كذلك وقوله انه كان صديقا نبيا جملة معترضة
بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال ويجوز ان يتعلق اذ بكان او صديقا نبيا اي كان جامعا
بخصايص الصديقين والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في
الكتاب ان يتلوا ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره
ومورده في تنزيله قوله **قوله تعالى** اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا اذ قال لابيه ازر وهو يعبد الاوثان يا ابت تاء عوض من ياء الاضافة
ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من اليا قال صاحب
الكشاف انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع
الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قصة التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في
احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق
الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت
لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا
العلة في خطبه طلب منبه على تماديه موقف الافراط وتناهيه لان المعبود لو كان مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق عقل من اهله للعبادة ووصفه
بالربوبية وسجل عليه بالغي المعين والظلم العظيم وان كان اشرف واعلاهم منزلة كالملايكة والنبيين
قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون و
ذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق البارئ المحيي المميت
المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره تعالى علوا كبيرا ان يكون هذه
الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم
فما ظنك لمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس وشعور فلا يسمع ما عابده ذكرك له وثناوك عليه
ولا ترى ثبات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان يستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح
لك حاجة فيكفيها **قوله تعالى** يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا ثم ثنى بدعوته الى الحق منزها به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال ان معي طايفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة
على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية فاتبعني انجك

من ان

من ان تضل وتتيه **قوله تعالى** يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا ثم ثلث بتثبيطه ونهيه كما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن
الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو
ابيك ادم وابنا جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت
النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتفاهمته في الربانية لم يذكر من
جنايتي الشيطان الا التي يختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته
لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك عمر فكره واطبق ذهنه **قوله تعالى** يا ابت اني
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فيكون للشيطان وليا ثم ربع ابرهيم بتخويف ابيه سوء العاقبة
وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب
لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واولياه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله
اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك
هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
وصدر كل نصيحة من النصايح الاربع بقول يا ابت توسلا اليه واستعظاما ما في ما لا يسمع وما لم
ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في ما لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك
ليس به استماع ولا ابصار وشيا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيا من الغنا
ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغزعني وجهك
فقد جاني فيه تجدد العلم عنده **قوله تعالى** قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لين
لم تنته لارجمنك واهجرني مليا لما اطلع الله ابرهيم على سماحة صورة امر ابيه وهدم
مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ
بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله
اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته
عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم
والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم
الرمي ~~بالاللعن او لاقتلنك من رجم الزاني هنا~~ واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة وقيل اجتنبني
سالما قبل ان تصيبك عقوبتي اي اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح من قولهم فلان ملي

بكذا اذا كان مطيعا له مصطبغا به والهجر في معطوف على محذوف يدل عليه اى فاحذرني واهجرني
لانه لا رحمنك تهديد ونهر ع **قوله تعالى** قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه
كان بي حفيا قال ابرهيم عليه السلام سلام عليك اى سلمت لا اصيبك بمكروه وقيل سلام
توديع وفراق كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المبطل والحال هذه قيل يجوز انه قد
دعا له بالسلامة استمالة له ساستغفر لك ربي قيل المعنى ساسأل الله لك توبة تنال بها مغفرة
وقيل انه ابرهيم عليه السلام وعده الاستغفار وهو لا يعلم انه ذلك محظور في حق المصرين
على الكفر قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا
اراد اشتراط التوبة على الكفر كما ترد الاوامر والنواهي المشروعة على الكفار والمراد اشتراط الايمان
وكما يوصي المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء وقالوا انما استغفر له واعفر لاني
انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهد وا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وللقايل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما
القضية العقلية فلا تابا ه فجوز ان تكون الوعد بالاستغفار والوفا به قبل ورود السمع بناء على
قصة العقل والذي يدل على صحة قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك ولو كان مشارطا للايمان
لم يكن مستنكرا ومستثنا عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة اياه فالواعد هو ابرهيم لا وزاى
ما قال واعفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف حفي به يحفى به
قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واعتزلكم واهاجركم الى الشام واعتزل
ما تدعون وما تعبدون المراد بالدعا العبادة لانه منها ومن وسايطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الدعا هو العبادة ويدل عليه فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله قيل وما يدعون ربنا والمراد بالدعا الذي
حكاه عز وجل في سورة الشعرا وادعوا ربي اى واعبد ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اى
ارجوا ان لا اشقى بعبادته كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام لانها لا تنفعكم ولا تجيب دعاكم عوض
شقاوتهم بدعاء الهتهم وقوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه
من هضم النفس فلما اعتزلهم فلما هاجر عنهم الى ارض الشام وهبنا له بعد الهجرة اسحق ويعقوب جعلنا نبيا
ووهبنا لهم من رحمتنا من نعمتنا وقيل من نبوتنا وقيل ووهبنا لهم من رحمتنا المال والولد
والعلم والعمل والاولى ان يجعل عامة في كل خير دنيوي واخروي وجعلنا لهم لسان صدق ذكرا حسنا

في الناس

في الناس وثنا جميلا وترفعا عبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي
العطية قال ان عبد الله اتيني لسانا لا اسبها بريدا لرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم ما خبر
عن الله تعالى احدا عن ترك الكفار لنفسه لوجه الله تعالى فعوضه اولادا مومنين انبيا واستجاب
دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيرهم قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة
ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى
ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه **قوله تعالى** واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا وكان رسولا نبيا قراء حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مخلصا بفتح اللام اى اخلصه الله
وجعله خالصا من الدنس مختارا والباقون بكسر اللام اى الذي وحد الله وجعل نفسه خالصة في
طاعة الله عز وجل نسبة وكان رسولا نبيا **قوله تعالى** وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا ناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة من جانب
الطور جبل بين مصر ومدين قيل الايمن صفة للطور وقيل للجانب وقيل بموسى فانه جاء النداء من يمين
موسى وقربناه نجيا منا جيا قيل حتى سمع صرير القلم حين كتب له في الالواح ووهبنا له من رحمتنا
من اجل رحمتنا له او بعض رحمتنا فعلى الاول اخاه مفعول وهبنا وعلى الثاني اخاه بدل وهارون
عطف بيان لقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته
وموازرته كذا عن ابن عباس **قوله تعالى** واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق
الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلاة والزكوة وكان عند ربه مرضيا اسمعيل
ابن ابرهيم عليهما السلام انه كان صادق الوعد هذا عام فما سمعت وعد الله وعدا فما سبقه او بين الناس
عن نفسه انه لم يعد ربه بوعد قط الا وفا له به وخص اسمعيل بصدق الوعد وليس في الانبيا من امس
لذلك لانه عاني في الوعد ما لم يعانه غيره من الانبيا وما سبك وعدا من نفسه الصبر على الذبح فوفى
به حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين روى انه كان بينه وبين رجل ميعاد فاقام ينتظره
سنة عن ابن عباس انه قام حولا وعن يزيد الرقاشي ثنتي عشرة يوما وعن مقاتل ثلثة ايام
وكان رسولا الى قومه صبرهم بما يبتغي عن الله عز وجل وكان يامر اهله عن مقاتل قومه قيل كان بدا
باهله في الامر بالصلاح والصلوة والزكوة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سايرالناس وانذر
عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الاترى انهم احق بالتصدق
عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في اعداد
ابنايهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالوا نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين
به وان يحظهم بالفوايد الدينية ولا يفرط في ذلك **قوله تعالى** واذكر في الكتاب ادريس

انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ادريس اسم اعجمي ممنوع من الصرف قيل كان خياطا وهو
اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل في السماء الرابعة روى البخاري ومسلم في الصحيحين من
حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج انه راى ادريس
في السماء الرابعة وبهذا قال ابو سعيد الخدري ومجاهد وابو العالية وعن ابن عباس في السماء
السادسة وقيل في السماء السابعة قيل سبب رفعه الى السماء على ما قاله ابن عباس وكعب
وغيرهما انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وضح الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف
بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد
من خفة الشمس ما لا يعرف فقال يارب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قصرت فيه قال اما ان عبدي
ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه
خلة فاذن له فاتاه فكان فيما قال ادريس اشفع لي الى ملك الموت ليوخر اجلي فقال لا توخر نفسا اذا
جاء اجلها ولكن اكلمه فيك فان كان مستطيعا ان يفعل احد من بني ادم فعل بك ثم حمله الملك على جناحه فرفعه
الى السماء فوضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال ان لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع
بي اليك لتوخر اجله فقال ليس ذلك الي ولكن اذا اجيبت اعلمته متى يموت فنظر في ديوانه فقال انك
كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا ولا احد يموت الا عند مطلع الشمس فقال اني اتيتك وتركته هناك
قال انطلق فما اراك تجده الا ميتا فرمى بما في يده من اجاله شيء فرجع الملك اليه فراه ميتا **قوله تعالى**
اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل
ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا اولئك اشارة الى المذكورين
في هذه السورة من لدن زكريا الى ادريس من النبيين من البيان لان جميع الانبياء منعم عليهم
من ذرية ادم من التبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح ومن
حملنا من التبعيض مع نوح في السفينة وابرهيم من حمل مع نوح ومن ذرية من التبعيض اي هم ابرهيم
واسحق من ذرية ابرهيم ومن ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته ومن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين
خبر الاولئك كان اذا تتلى عليهم كلاما مستانفا وان جعلت الذين صفة لاولئك كان خبره اي
وهاؤلا كلهم ممن ارشدناهم واجتبيناهم اي اصطفيناهم الانام اذا تتلى عليهم ايات الرحمن اي القرآن
خروا سجدا حال مقدرة اي مقدرين السجود لانه لا يسجد في حال خرورة لا يكون ساجدا
فسجدا منصوب على الحال وهو ساجد وبكيا جمع باك كقعود جمع قاعد ان الانبياء كانوا اذا سمعوا ايات الله

سجدوا

سجدوا وبكوا من خشية الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم
تبكوا فتباكوا **قوله تعالى** فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا
جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا تسمع فيها لغوا الا سلاما
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا الخلف بسكون
اللام الردي من كل شيء وفي هذه الاية اليهود ومن حق بهم وعن السدي هم اليهود والنصارى وعن مجاهد
وقتادة انهم في هذه الامة عند ذهاب صالحي امة محمد اضاعوا الصلاة المفروضة اي تركوها وعن
ابن مسعود واخروها عن مواقيتها وصلوها لغير وقتها واتبعوا الشهوات عن مقاتل استحلوا نكاح
الاخت من الاب وعن الكلبي يعني الذات شرب الخمر وغيرها وعن مجاهد هذا عند اقتراب الساعة
وذهاب صالحي امة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الاسكك والازقة زنا روى
ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال يكون خلف بعد ستين
سنة اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه هذا اذا
بقي المشيد وركب المنظور ولبس المشهور والمعنى آثروا شهوات انفسهم على طاعة الله
وعن وهب خلف من بعدهم خلف شر ابون للشهوات لعابون بالكعاب ركابون للشهوات
متبعون اللذات تاركون للجماعات مضيعون للصلوات وعن كعب يظهر في اخر الزمان قوم
بايديهم سياط كاذناب البقر يضربون الناس ثم قرا فخلف من بعدهم خلف هسوف يلقون غيا
شرا كما شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال في بلوغ خيرا الحمد الناس اما من ومن يغو لا يعدم
على الغي لاما وقيل يلقون جزاء غي وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وليس معنى اللقا
مجرد الرؤية وانما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية الا من تاب عن الشرك واما من محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل تاب من التقصير في الصلاة واما من اليهود والنصارى وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا من ثوابهم ولا ممنوعون بل يضاعف لهم جنات عدن لما كانت
الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي التي وعد الرحمن
عباده بالغيب وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها وقيل بتصديق الغيب
والايمان به انه كان وعده ماتيا اي اتيا على ان مفعولا بمعنى فاعل وهو قليل او ياتي الفاعل
على لفظ المفعول به والواجب انه الوعد هو الجنة وهو يانونها وقيل هو من قولك اتى اليه احسانا
اي كان وعده مفعولا منجزا لا تسمع فيها في الجنة لغوا فضولا من الكلام وما لا طائل تحته
فاسدا وباطلا الا سلاما استثناء من غير جنس اي بل يسمعون فيها سلاما قولا يسلمون فيه من العيب

وقيل تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم اذ كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملايكة عليهم لغوا
فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادى قوله ولا عيب فيهم غير انه سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل معنى لسلام هو الدعا بالسلامة ودار السلام هى دار السلامة واهلها هم الدعا بالسلامة اغنيا
وكان ظاهر من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا
قال اهل التفسير ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكن يوتون برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون من الغداة
والعشى عن الحسن كانت العرب لا تعرف شيأ من العيش افضل من الغدآء والعشآء فذكر الله لهم ذلك
وعن قتادة كانت العرب اذا اصاب احدهم الغدا والعشآء اعجب فاخبر الله انهم في الجنة رزقهم بكرة
وعشيا على قدر ذلك الوقت ثم ليل ولا نهار وانما هو ضوء ونور قيل من الناس من ياكل الرجيع ومنهم من
ياكل مق وجد وهى عادة المذمومين ومنهم من تغذى ويتعشى وهى العادة الوسطى المحمودة وقيل اراد دوام
الرزق ودروره كما نقول انا عند فلان صباحا ومسآء وبكرة وعشيًا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين
المعلومين تلك الجنة التى نورث استعارة اى نبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث وعادة من
كان تقيا يبقى ربه يوم القيمة قد انعضت اعماله وثمرتها باقية وهى الجنة فاذا ادخل الجنة فقد اورثه
من تقواه كما تورث الوارث المال من المتوفى وقيل نورث الوارث المال من المتوفى وقيل نورث نعطى المساكين
والمومنين الجنة التى كانت لاهل النار لو آمنوا ويجوز ان يكون معنى نورث نعطيهم ذلك ونتركها لهم اياها ويكون
كالميراث لهم من جهة انها تملك مستانف **قوله تعالى** وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فانزل الله الآية وعن مجاهد ابطات الرسل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حبسك فقال وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا
تاخذون شواربكم ولا تستاكون فانزل الله الاية وعن عكرمة وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبى
احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سالته قومه عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين
والروح ولم يدر ما يجيبهم ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه فابطا عليه فشق على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فلما نزل جبريل قال له ابطات على حتى ساءظنى واشتقت اليك
فقال جبريل انى كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت
هذه الاية قيل سبب احتباس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناع اصحابه من كمال
النظافة كما ذكر في حديث مجاهد وقيل لانهم سالوه عن قصة اصحاب الكهف فقال غدا اخبركم ولم
يقل ان شآء الله عن ابن عباس رضى الله عنه احتبس عنه خمسة عشر يومًا وعن عكرمة ومقاتل

اربعين يومًا وعن مجاهد اثنى عشرة ليلة وعن مقاتل ثلثة ايام وقيل خمسة وعشرين يومًا وقيل
اذ سورة الضحى نزلت في هذا السبب وما سرك الرسل على معنى النزول على مهل والنزول على الاطلاق
كقوله فليست بانسى ولكى تملك تنزل موجو فصوب لانه مطاوع نزل وترل يكون بمعنى نزل وبمعنى
التدريج والليق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا اى الاخرة وما خلفنا الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين وهو
اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما بقى منها والحال التى نحن فيها وقيل ما بين ايدينا قبل ان
يخلقنا وما خلفنا من بعد ان متنا وما بين ذلك ما هو فيه من الحين وقيل ما بين ايدينا الارض اذا اردنا
النزول اليها وما خلفنا السمآء اذا نزلنا منها وما بين ذلك اى من السماء والارض وقيل ما بين ايدينا
قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة
ومكان الى مكان الا بامر ربك ومشيته يريد ان ذلك كله لله تعالى فلا نقدر على فعل من نزول وغيره
الا بامره وما كان ربك نسيانا سيًا اى ما كان تاركا لك منذ ابطا الوحى عنك كقوله ما ودعك ربك
وما قلى اى ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وقيل انه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئًا وقيل
هذا اخبار عن اهل الجنة انهم يقولون عند دخولها ما نزل هذه الجنان الا بامر الله رب السموات
والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هو فاعبده اى وحده لان عبادته
لا تشرك ليست عبادة تعد هذا يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام اهل الجنة وما بعده من
كلام رب العزة واصطبر لعبادته اى واصبر على توحيده وقيل على امره ونهيه وانما عدى اصطبر بعلى
لان العبادة جعلت بمنزلة القربة في قولك للرب اصطبر لقولك اى اثبت له فيما يورد عليك من
شدائده اريد ان العبادة يورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها ولا تنى ولا يضيق صدرك
عن القآء اعدايك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن ابن عباس الوحى عليك مدة وشماتة المشركين
بك هل تعلم له سميًا اى لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الله
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره وقيل هل تعلم له سميًا
على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل وكونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل هل تعلم له مثلا
وشبيها اى اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن له بد من عبادته
والاصطبار على مشاقها وتكاليفها **قوله تعالى** ويقول الانسان ءاذا ما مت
لسوف اخرج حيًا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا سبب نزولها
ان ابى بن خلف اخذ عظمًا باليًا وجعل يفتته بيده وينذريه في الريح ويقول زعم لكم محمد ان الله
يبعثنا بعد ان نكون مثل هذا العظم البالى فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة

ويقول الانسان يعني الكافر الذي لا يؤمن بالبعث اذا ما مت لسوف اخرج حيا اذا منصوب
بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي اذا ما مت لسوف اخرج حيا ابدا منصوب بفعل مضمر يدل عليه
المذكور اي اذا ما مت اخرج ولا يجوز ان ينتصب باخراج المذكور لاجل اللام اذ لا يصح ان يقال اليوم
لزيد قايما قال صاحب الكشاف فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع يعطي معنى الحال
فكيف جامعت سوف التي هي حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا بخاصة التوكيد ايضا فكانهم
قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد
والمراد بالخروج من الارض او من حال الفنا او هو من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في ذاك يريد
ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وتقديم الظرف اي اذا ما مت اولا وحرف الانكار اي الجحد من قبل
ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمشي الى المحبس احين نعمت
عليك نعمة فلان اساءت اليه الان قيل ظاهر سوال فاين جوابه فعنه ثلثة احدها ان ظاهر
الكلام استفهام ومعناه معنى جحد وانكار تلخيصه لست مبعوثا بعد الموت والثاني انه لما استفهم
بهذا الكلام عن البعث اجابه الله تعالى بقوله اولا يذكر الانسان وهو مشتمل على معنى نعم انت مبعوث
والثالث ان جواب سوال هذا الكافر في يسير عند قوله وضرب لنا مثلا ولا ينكر بعد الجواب لان
القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة والسورتان مكيتان اولا يذكر الانسان قراءة ابن كثير وابو
عمرو وحمزة والكسائي بفتح الذال والكاف مع تشديدهما والباقون بساكنة الذال مضموم الكاف والواو
عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بينهما للمعطوف عليه وحرف العطف يعني اقول
ذلك ولا يتذكر انا خلقناه من قبل ولم يك شيا حتى لا ينكر اخراجه حيا بعد الموت فاذا تلك
اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع
التاليف مشحونا بضروب من الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال وافتداء مولف
ولكن اختراعا وابداعا ممن عنده قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما البعث بعد الموت فقد تقدمت
تصيرتها وعادت له كالمثال المحتذى عليه وليس فيه الا تالف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها
ورددها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق والتفريق وقوله ولم يك شيا دليل على هذا المعنى على
انه تعالى ينعدس سواء عليه الانشاء لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يزال
على احتداء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقاييس ولكي يواجه جاحد البعث بذلك
دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

قوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا

ثم اقسم

ثم اقسم بنفسه فوربك اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماوه وتعالى كبرياه مضافا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الخطاب تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورفعا منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله فوربي السماء والارض لنحشرنهم اي المنكرين
للبعث والشياطين الواو في الشياطين يجوز ان يكون للعطف ومعنى مع وهي بمعنى مع
ابلغ والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اضلوهم يقرن كل كافر مع شيطان
في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا على ركبهم جمع جاث مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس وهو منصوب على الحال والاصل
ضم الجيم وجاء كسرها اتباعا لكسرة الثاء وللمفسرين فيها اقوال منها انه جثيا معناه قعودا ومنها جثيا
جماعات فيكون جمع جثوة وهو المجموع من الحجارة ومنها على الحسي جثيا على الركب ومنها قياما
ومنها قياما على ركبهم وذلك لضيق المكان قال صاحب الكشاف فما معنى احضارهم جثيا قلت
اما اذا فسر الانسان بالكافر المخصوص فالمعنى انهم يعقلون من المحشر الى شاطئ جهنم عالا على حالة التي
كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال
الله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات
من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمانينة
او لما يدهمهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان
فسرنا العموم فالمعنى انهم يتجاثون عند مواقفة شاطئ جهنم على انه جثيا حال مقدرة لما كانوا في
الموقف متجاثين لانه من توابع المواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن
لنباشرن ولنحرجن من كل شيعة فرقة وامة هي فعلة كفرقة وفيلة والمراد بها الطايفة التي
شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى انه الذي فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني تمتاز من
كل طايفة من طوايف الغواة والفساد اعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحنا
في النار على الترتيب فقدم اولاهم بالعذاب فالاولاهم وقيل اراد بالذين هم اولى بها صليا المتمرنين
كانه قال ثم لنحن اعلم بتصليتها اولادهم اولى بالصلي من بين سايرالصالين ودركاتهم اسفل
وعذابهم اشد وقيل اراد باشد على الرحمن عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم
ضلالا مضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قل انهم مرفوع على الاستيناف ولم يعمل

فان قلت

لننزعن شيئا وعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على
الرحمن عتيا قال الزجاج التاويل لننزعن الذين من اجل عتوهم يقال اى هاولا اشد عتيا وعن
سيبويه انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب تقديره ايهم هو
اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن
بعض كل شيعة فكان قليلا قال منهم فقيل ايهم اشد عتيا على الرحمن وقيل على للبيان لا للصلة
وقيل يتعلق باشد اى عتوهم اشد على الرحمن كقولك هو اشد والباقي قوله اولى بها قيل للبيان لا الصلة
وقيل يتعلق باولى اى صلتهم اولى بالنار كقولك هو اولى بكذا **قوله تعالى** وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا وان منكم قيل فيه اضمار تقديره والله ان منكم اى والله ما منكم احد الا
واردها قيل الالتفات الى الانسان وقيل خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس
كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وينهار بغيرهم قيل الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار او قال لجهنم
ضجيجا من بردهم وروى عن ابن عباس انه سأله نافع بن الازرق عن هذه الاية فقال له اما انا وانت سندخلها
فانظر الخروجنا الله عز وجل منها ادم واحتج بقوله فاوردهم النار وبقوله انتم لها واردون وكان
عبد الله بن رواحة يبكي ويقول انبئت اني وارد ولم انبأ اني صادر وحكى الحسن البصري ان رجلا
قال لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك
وقال خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم بلى ولكن
مررتم بها وهي خامدة وممن ذهب الى الورود هو الحسن وابو مالك وقد اعترض على اصحاب هذا القول
باشيا فقال الزجاج العرب تقول وردت بلد كذا ووردت ماء كذا اذا شربوا عليه وان لم يدخلوا
ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
لا يسمعون حسيسها وقال زهير فلما وردنا الماء زرقا حمامه وضعن وعصى الحاضر المتخيم اى
اى لما بلغن الماء فمن عليه قلب وقد اجاب بعضهم عن هذه الحجج فقال اما الاية الاولى فان موسى
لما اقام حتى استقى الماء وسقى الغنم كان ملبثه ومباشرته كانه دخل والاولى ان يقال الماء جعل اسما
للموضع وقد دخله الموضع واما الاية الاخرى فانها تضمنت الاخبار عن اهل الجنة حين كونهم فيها
وحينئذ لا يسمعون حسيسها وقد روينا ايضا عن خالد بن معدان انهم يمرون بها ولا يعلمون وعن
عبد الله بن مسعود الورود الممر عليها وقال يرد الناس النار ثم يصدرون عنها باعمالهم فاولهم كلمح البرق
ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كسير الرجل ثم كمشيه وعن عبد الله بن عمير ورودها حضورها وعن زيد
ورود المسلمين المرور على الجسر وورود المشركين دخولها وعن مجاهد ان ورود المؤمنين اليها ما يصيبه

من الحمى

من الحمى في الدنيا والحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرا وان منكم الا واردها قيل اختلاف الناس في معنى
الورود حسب اختلافهم في الوعيد فاما الوعيد فانهم قالوا من دخلها لم يخرج منها وقالت المرجئة
لا يدخلها مؤمن واتفقوا على ان الورود هو الحضور والمرور واما اهل السنة فانهم قالوا يجوز
ان يعاقب الله تعالى العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها وقالوا معنى الورود الدخول واحتجوا
عليه بقوله تعالى اخبارا عن فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود
وقال في الاصنام وعبدتها انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان
هاولاء الهة ما وردوها فلو لم يكن الورود في هذه الايات بمعنى الدخول لوجب ان يدخل
الاصنام وعبدتها وفرعون وقومه الجنة لان من مر على النار فلا بد له من الجنة لانه ليس بعد
الدنيا دار الا الجنة او النار والذي يدل على ان الورود هو الدخول قوله في سياق الاية ثم ننجي
الذين اتقوا والنجاة لا تكون الا مما دخلت فيه وانت ملقى فيه قال الله سبحانه فنجيناه من الغم
وكذلك ننجي المؤمنين كان على ربك حتما مقضيا الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه سمي به الموجب
كقولهم خلق الله وضرب الامير الحتم ايجاب القضاء والقطع بالامر والمقضي الذي قضاه والمعنى بانه
حتم ذلك وقضاه على الخلق وعزم على ان لا يكون غيره **قوله تعالى** ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا ثم ننجي قرا الكسائي ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية والباقون بضم النون
الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم الذين اتقوا عن الشرك وهم المؤمنون ونذر الظالمين اى الكافرين فيها
اى في النار جثيا جميعا وقيل على الركب **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين
كفروا للذين امنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا واذا تتلى عليهم اى على المشركين اياتنا
اى القران بينات مرتلات الالفاظ ملخصات مبينات المقاصد واما محكمات او متشابهات
قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا وقيل بينات ظاهرات
الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها وقيل بينات حجج وبراهين قوله بينات حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة حججا قال الذين كفروا يعني مشركي قريش النضر بن
الحارث وذريته من قريش للذين امنوا يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون
رؤسهم ويلبسون جدد ثيابهم اى الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير بضم الميم وهو موضع
الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع واحسن نديا
مجلسا ومجتمعا وحيث ينتدون ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يجلسون فيها
ويجتمعون ويتشاورون في امورهم والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون

الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اى الفريقين من المومنين بالايات والجاحدين
بها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويحتمل انهم ينطلقون
المومنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يقومون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا
للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه **قوله تعالى** وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورئيا فاجابهم الله فقال وكم مفعول اهلكنا قبلهم من بيان لابهامها اى كثيرا من
القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم هم احسن فى محل النصب صفة لكم
الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية اثاثا متاعا وقيل هو ماجد
من العرش ورئيا منظرا قرا نافع وبن عامر ريا بياء مشددة من غير ضم والباقون بهمزة بين الراء
والياء فى وزن رعيا وهو المنظر واليه **قوله تعالى** قل من كان فى الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا
واضعف جندا هذا ايضا مما اجابهم الله به قل يا محمد لهاولا المشركين من كان فى الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا اى مد له الرحمن مدا يعنى امهله واملى له فى العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك
وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال ويقال لهم يوم القيمة اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقيل اللام فى قوله فليمدد لام الدعا على معنى
قل يا محمد من كان فى الضلالة فاللهم مد له فى العمر مدا حتى اذا راوا قيل متصلة بالاية التى هى
رابعتها وهى قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اى الفريقين خير مقاما
واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اى لا يزالون يقولون هذا القول ويتولعون به لا ينكافون
عنه الى ان يعاينوا ويشاهدوا الموعود راى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم
وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهارا لله دينه على الدين كله على ايديهم واما الساعة اى يوم القيمة
وما ينالهم من الخزى والنكال فسيعلمون اى حينئذ يعلمون عند المعاينة من هو شر مكانا واضعف
جندا اى فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا
لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على خلاف صفتهم اى المومنين خير مقاما واقوى جندا وقيل
حتى اذا راوا متصلة بما يليها وهو قوله قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا والمعنى فى الضلالة
اى جهلهم وكفرهم الذى دعاهم الى ان قالوا للذين امنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ممدود لهم
فى ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المومنين او يشاهدوا الساعة واشراطها حتى ههنا حرف ابتدا دخلت
على جملة وفيها معنى الغاية والجملة التى دخلت عليها شرطية اذا راوا ما يوعدون جوابه شرط فسيعلمون
والروية روية العين والعذاب والساعة بدل من ما يوعدون وشر مكانا فى مقابلة خير مقاما لان

من قرن م

شرط م

مقامهم

مقامهم هو مكانهم ومسكنهم واضعف جندا فى مقابلة واحسن نديا لان الندى هو المجلس
الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان **قوله تعالى**
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا لما بين
انه يمد من كان فى الضلالة عقبه بانه يزيد الذين اهتدوا هدى ويزيد معطوف على موضع
فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره ومن كان فى الضلالة يمد له الرحمن مدا اى يزيد الذين ضلوا
ضلالا ويزيد الذين اهتدوا هدى قيل يزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد ايمانا وقيل يزيدهم
بصيرة فى دينهم وقيل يزيدهم بزيادة الوحى ايمانا فكلما نزلت سورة زادهم ايمانا وقيل يزيدهم ايمانا
بالناسخ والمنسوخ وقيل ويزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ وقيل المعنى ان الله تعالى
يجعل جزاءهم ان يزيدهم يقينا كما جعل جزاء الكافرين ان يمده فى ضلالة والباقيات الصالحات اعمال الاخرة
كلها وقيل الصلوة وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير اى هى خير ثوابا من
مفاخرات الكفار وخير مردا عاقبة وقيل مرجعا وقيل منفعة من قولهم ليس هذا الامر مرد وقال ما
ان جزعت ولا هلعت وهل يرد بكاى زيدا فان قيل كيف قيل خير ثوابا حتى يجعل ثواب الباقيات
الصالحات خيرا منه اجيب كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى
عليه خير ثوابا وفيه نوع من التهكم هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قيل
فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرتهم شركاء فيه اجيب بان هذا من وجيز كلامهم يقولون
الصيف احر من الشتا اى ابلغ فى حره من الشتا فى برده **قوله تعالى** افرايت الذى
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب
ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا روى البخارى ومسلم
فى الصحيحين من حديث مسروق عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص ابن وايل دين
فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت
ثم تبعث قال فانى اذا مت ثم بعثت جيتنى ولى ثم مال وولد فاعطيتك فنزلت فيه هذه الاية لما
كانت مشابهة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما والى صحة الخبر عنها استعملوا ارايت
فى معنى اخبر والفاء جات لافادة معناها الذى هو للتعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر
واذكر حديثه عقيب حديث اولئك والفا بعد همزة الاستفهام عاطفة جملة على جملة الذى يعنى
العاص بن وايل كفر باياتنا بالقران وقال لاوتين لاعطين مالا وولدا يعنى فى الجنة بعد البعث
انظر فى اللوح المحفوظ وعن مجاهد علم علم الغيب حتى يعلم انى الجنة هو ام لا من قولهم اطلع الجبل اذا
ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت بطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اى

قينا م

اطلع م

ما لياله ما لكاله والاختيار هذه الكلمة بيان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم
الغيب الذي تفرد به الواحد القهار ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن ابن عباس ام قال لا اله الا الله
وعن قتادة ام قدم عملا صالحا فهو يرجوه ام اتخذ عند الرحمن عهدا انه يدخله الجنة قيل المعنى ان ما
ادعى ان يوتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما باطلاع الغيب واما باتخاذ العهد
من عند الله فبايهما توصل الى ذلك كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطي فيما تصوره لنفسه ويتمناه
فليرتدع عنه وقيل ليس الامر على ما قال من انه يوتى المال والولد وقيل يجوز ان يكون معنى كلا انه
لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا سنكتب اي سنامر الحفظة باثبات ما يقول للجازية به
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قال كتب من غير تاخير
قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا ها لم يلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست
بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول
به الزمان واستاخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا اي نجعل بعض العذاب
على اثر بعض وقيل نعذبه بالنوع الذي نعذب به الكفار المستهزئين وقيل نزيده من العذاب ونضاعف
له من العدد يقال مده وامده بمعنى واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من
التعرض لما يستوجب به غضبه ونرثه ما يقول انه له الجنة فنجعله لغيره من المسلمين وقيل
نرث ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطاله وقيل سنسلبه المال والولد ونجعله لغيره
وقيل يحتمل انه قال قد تمنى وطمع ان يوتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعثيته
ان مالي على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن تالى على الله بكذبه فيقول الله عز
وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه انا نرثه منه في العاقبة وياتينا فردا بلا مال ولا ولد كقوله
تعالى ولقد جئتمونا فرادى الاية كما يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا
فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله وياتينا وافضاله منفردا عنه غير قائل له وقيل معناه
لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته ليضرب وجهه في الموقف ونغيره به وياتينا على
فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سوله ولم نوته متمناه فيجتمع عليه الخطيان تبعة
قوله ووباله وفقد المطموع فيه **قوله تعالى** واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم
عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ه لما تكلم في مسئلة الحشر والنشر
تكلم هاولاء المشركين في الاخرة مع الاصنام فحكى عنهم انهم انما اتخذوها الهة لانفسهم ليكونوا لهم
عزا حيث يكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتقررهم

بالالهة

بالالهة سيكفرون الضمير للالهة فقيل اراد بذلك الملائكة لان الملائكة يكفرون بعبادة
المشركين ويجحدون وهو المراد من قوله بل كانوا يعبدون الجن وقوله اراد الاصنام اي ان الله تعالى
ينطق الاصنام يوم القيمة ويجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون
قال الله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هاولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقيل الضمير للمشركين اي ينكرون انهم عبدوا الاصنام قال الله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكون الالهة عليهم ضدا اعداء لما قصدوه
وارادوه كانه قيل يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم
اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه ووحد الضد توحيد
قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم
قيل ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجع
الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم
بعد ان كانوا يعبدونها **قوله تعالى** الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم
ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم
وردا لما اورد حال هاولاء المشركين مع الالهة في الاخرة ذكر حالهم مع الشياطين في الدنيا
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم وقيضناهم لهم بكفرهم بكفرهم وذلك
حين قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك الاية تؤزهم عن ابن عباس تزعجهم
ازا ازعاجا من الطاعة الى المعصية اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
فلا تعجل عليهم بالعذاب والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الايات التي ذكر فيها
العتاة المردة من الكفار واقاويلهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم
في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم
كذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم اي فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت
والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم انما نعد لهم عدا اي فليس بينك وبين ما
تطلب من هلاكهم الا اياما محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة نقضها الساعة التي تعد
فيها لو عدت ونحو قوله تعالى فلا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قرا هذه الاية بكى وقال اخر العدد خروج نبيك اخر العدد فراق
اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كان الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مددا فما اسرع ما ينفد **قوله تعالى** يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا

ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يوم نحشر قيل نصب يوم بفعل مضمر اى يوم نحشر ونسوق
نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف وقيل منصوب باذكر اى اذكر يا محمد يوم نحشر وقيل
منصوب بلا يملكون يوم نحشر المتقين الموحدين المحترزين عن الشرك وذكر المتقين بلفظ التبجيل
وهو انهم يحشرون اى يجمعون الى الرحمن الذى عمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد
الوفاد على الملوك منتظرين الكرامة عندهم وفدا اى جماعات ركبانا وهى عادة الوفود
لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا فشبه اهل الجنة بالوفد والوفد وان كان متضمنا للانصراف
الا ان المراد تشبيههم بالوفد منة وكرامة وعن على رضى الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم
ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها ياقوت وذكر المجرمين المشركين بلفظ التحقير نسوق
المجرمين الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده
الا العطش وحقيقة الورد المسير الى الماء يسمى به الواردون **قوله تعالى** لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا
ان كل من فى السموات والارض الا ات الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
لا يملكون قيل الضمير عايد على المجرمين اى لا يملكون ان يشفع لهم ولا سبيل لهم اليها فعلى هذا المجرمون
هم المشركون خاصة الا من اتخذ استثنا منقطع اى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له
والعهد الايمان عن بن عباس العهد لا اله الا الله وفى الحديث يقول الله يوم القيمة من كان له عهد
فليقم وفى الحديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن تامات كان له عند الله عهد
ان يدخله الجنة وقيل الضمير راجع الى المجرمين والمجرمون تعم الكفار والعصاة ثم اخبر انهم لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اى الا العصاة المومنون فانهم يملكون ان يشفع لهم فيكون
الاستثنا متصلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعنى فيمن قال
لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لى وقيل الضمير فى لا يملكون للمتقين عن الكفر اى المتقون
عن الكفر لا يملكون الشفاعة لغيرهم الا من كان له عمل صالح يحصل به مرتبة الشفاعة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من امتى رجلا يدخل الله بشفاعته اكثر من بنى تميم فمن على هذا هو الشفيع
وقيل معنى الكلام لا يملك المتقون الشفاعة الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون الاستثنا مفرغا
ومن هو المشفوع له وقيل معنى الكلام لا يملك جميع اهل الموقف المتقون والمجرمون الشفاعة لغيرهم
الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا اعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الضمير فى يملكون لمن سبق
ذكره اى المتقين والمجرمين والشفاعة هى الشفاعة الخاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم للعصاة والذى

يدل

يدل على هذا تدافع الانبيا الشفاعة حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم اليها بالعهد
على هذا النص على امر الشفاعة وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ومحل من اتخذ الرفع على
البدل من الفاعل فى يملكون وقيل يجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اى الا شفاعة من اتخذ
وقالوا اتخذ لما رد على عبدة الاصنام عاد الى حكاية قول من اثبت لله ولدا قالت اليهود عزير بن
الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
الضمير فى قالوا يعم جميع الفرق الذين اثبتوا لله ولدا والولد يعم الثلاثة المذكورة لقد جئتم التفات
من الغيبة الى الخطاب شيئا ادا عجبا عظيما منكرا شديدا تكاد قرا نافع والكسائى بالياء من تحت
والباقون بالتاء من فوق السموات يتفطرن قرا ابو عمرو وبن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم يتفطرن
بالنون من الانفطار من فطره اذا شقه والباقون بالياء والتاء مشددة الطاء من التفطر من
فطرته اذا شققته وتنشق الارض وتخر تسقط الجبال هدا كسرا فان قيل ما معنى بانفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين يوثر هذه الكلمة فى الجمادات اجيب من وجهين احدهما
ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على
من تفوه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثانى ان يكون استعظاما للكلمة
وتهويلا من فظاعتها وتصوير لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر فى
المحسوسات ان نصبت هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما يتفطر منه وتنشق وتخر ان دعوا
قيل هو فى محل الجر على ان يكون بدلا من الضمير المجرور فى منه ومرجع هذا الضمير هذا القول وقيل فى محل
النصب بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعا الولد للرحمن
وقيل فى محل الرفع على ان يكون فاعل هدا اى هدها دعا الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات
من الفايدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق
العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاوه فانت وجميع ما عندك
عطاوه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان
دعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة
بكل ما دعى له ولدا ومن دعا بمعنى نسب الذى مطاوعة ما فى قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير
مواليه وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى اى لا ننسب اليه وما ينبغى اينبغى مطاوع بغى اذا طلب
اى ما يتاتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب ولا يصلح له اتخاذ الولد لانه لا يصح ولا يمكن اما الولادة
المتعارفة فلا ريب فى عدم صحته واستحالته واما التبنى فلانه يقتضى مجانسة ولا مجانسة بينه

بلغ

من الاموال والحيوان وغيره من صنوف الملك صح

وبين ما سواه لانه قديم وما سواه محدث ان كل من ان نافية من موصوفة لانها رفعت بعد
كل نكرة وقوعها تعددت في رب من انضجت غيظا صدره اي ما كل من في السموات والارض كالملائكة
والارض كعيسى وعزير الا اتى الرحمن يوم القيمة عبدا ذليلا خاضعا قيل وفي هذه الاية دلالة
على ان الوالد اذا اشترى ولده لم يبق ملكه عليه وانما يعتق بنفس الشرى لان الله تعالى نفى البنوة
لاجل العبودية فدل على ان التنافي بينهما وعبدا حال ثم اخبر تعالى عن احاطته علما بعبيده فقال لقد احصاهم
اي علم عددهم ثم كرر المعنى بغير لفظه فقال وعدهم ثم اكد بذكر المصدر المؤكد فقال عدا ولا يخفى عليه
مبلغ جميعهم مع كثرتهم والاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا عدا الذين
توهموا واعتقدوا ان عيسى وعزير والملائكة اولاد الله اعتقاد دائر بين كفرين احدهما القول بان
الرحمن يصح ان يتخذ ولدا والاخر اشتراك الذين اعتقدوا انهم اولاد في العبادة كما يخدم الرعايا اولاد
الملوك خدمتهم لابائهم فابطل الله الاول من الكفرين فيما تقدم من الايات ثم ابطل الاخر من الكفرين
بقوله ان كل من في السموات والارض والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة
ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي ويلتجي الى ربوبيته يوم القيمة عبدا منفردا مطيعا خاشعا
منقادا خاشيا راجيا كما تفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هاولاء الضلال
ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم منقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل امورهم
وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا
ليس معه من هاولاء المشركين احد وهم برآء منهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيخلق لهم الرحمن في القلوب ودا حبا
من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة
او صداقة او اصطناع غيره او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتدا اختصاصا منه لاوليائه بكرامة
كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واخذا لامكانهم والسين اما لان السورة
مكية وكان المومنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا اظهر الاسلام وجعل كلمته
العليا واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم
عن البرا ابن عازب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك
عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** فانما يسرناه
بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا اي فانما يسرنا القران بلسانك بلغتك
يا محمد وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين عن الشرك المومنين بالله

وحده

وحده وتنذر به قوما لدا شدادا في الخصومة جدلا بالباطل خصما صما اذان القلوب اخذ من في كل شي
من المراء والجدال لفرط لجاجتهم يريد اهل مكة **قوله تعالى** وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا لا يفهم

سورة طه مكية

وهي خمسة الاف واثنان واربعون حرفا والف وثلثمائة واحدى واربعون كلمة ومائة وخمس
وثلثون اية عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قرا طه ويس قبل ان يخلق
ادم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا
وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرا اهل الجنة من القران
الا طه ويس في سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراوح بين قدميه
يقوم على رجل حتى نزلت هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه القران صلى
هو واصحابه فاطال القيام فقال قريش ما انزل الله هذا القران على محمد الا ليشقى فنزلت هذه الاية
وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقا بترك
ديننا فنزلت هذه الاية والاول عن علي رضي الله عنه والثاني عن الضحاك والثالث عن مقاتل
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
الا تذكرة لمن يخشى ه فخم ابو عمرو الطاء لاستعلائها وامال الهاء وقرا نافع طه بين الفتح والكسر
وهو الى الفتح اقرب وفخمهما ابن كثير وبن عامر والباقون امالوهما اختلف الناس في طه بحسب اختلافهم
في الحروف التي هي في الفواتح واختصت طه باقوال اخر قيل ان معناها يا رجل رواه العوفي عن بن عباس
وبه قال سعيد بن جبير في رواية والضحاك بالنبطية وعن قتادة وعكرمة في رواية وسعيد بن جبير
في رواية بالسريانية وعن عكرمة في رواية بالحبشية وعن ابي صالح عن بن عباس بلسان عك
قال شاعرهم ان السفاهة طه في خلايقهم لا قدس الله ارواح الملاعين وقال اخر هتفت بطه
في القتال فلم يجب فخفت لعمري ان يكون مزايلا قال صاحب الكشاف والله اعلم بصحة ما يقال ان طه
في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا
فاقتصروا على هاء واثروا الصيغة ظاهرا لا يخفى في البيت المستشهد به وقيل انها حروف من اسما فقيل
من اسما الله عن بن مسعود وابي العالية ان الطاء من اللطيف والهاء من الهادي وعن سعيد بن جبير
ان الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل انها حروف من اسما غير اسما الله
فقيل ان الطاء من طابة وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والهاء من مكة وقيل ان الطاء طرب اهل
الجنة والهاء هوان اهل النار وقيل ان الطاء في حساب الجمل تسعة والهاء خمسة فيكون اربعة عشر فالمعنى

يا ايها البدر ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل انه قسم اقسم الله به اى اقسم الله بطوله وهداته
وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه
فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طاء فقلبت همزته هاء وقلبت الهمزة فى يطاها ثم بنى
عليه الامر قال صاحب الكشاف والاقوال الثلاثة فى الفواتح اعنى التى قدمتها فى اول الكشاف
عن حقايق التنزيل التى تعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف
على الوجه الذى سبق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهى فى
موضع المبتدأ والقران ظاهرا وقع موقع الضمير لان السورة قران وان كان قسما يكون ما انزلنا جوابا
لها لتشقى لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغت فانه اجتهد فى العبادة وبالغ حتى انه كان يراوح بين
قدميه لطول القيام فامر بالتخفيف عن مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون الحبال فى
صدورهم فى الصلوة بالليل ثم نسخ ذلك بالفرض وانزل الله هذه الاية وعن الكلبى لما انزل الله على
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى بمكة اجتهد فى الصلاة واشتدت عبادته فامره ان يخفف
على نفسه فيصلى وينام بعد نزول هذه الاية وقيل لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك
عن ان يومنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقا يجى فى معنى التعب ومنه المثل اتعب
من راض مهر واشقى من راض الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلنا عليك القران تذكرة اى لتذكر به
من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير وقيل معناه ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب
عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط فى اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل اريد بذلك رد ما
قاله ابو جهل والنضر بن الحارث انك شقى لانك تركت دين ابائك اى ان دين الاسلام والقران
لا تشقى به فانه هو السلم الى نيل كل فوز والسبب فى ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل
الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماع
الشرايط قال صاحب الكشاف فان قلت انا نجوز ان يقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان
تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة فى واختار موسى قومه واما النصبة فى تذكرة
فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التى هى اصول وقوانين لغيرها ولا يجوز ان يكون تذكرة
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولكن تذكرة نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا بمعنى
لكن قيل يحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء
الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا التعب الشاق
الا لتكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان تكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية

ويعلم الله

ويعلم الله منه انه يخشى ويزيد خشيته تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا الا اذا كان تذكرة مفعولا
لها لان الشى لا يعلل بنفسه وقيل يجوز ان ينصب تنزيلا بنزل مضمرا اى نزل تنزيلا قيل يجوز ان ينصب
بانزلنا لان معنى ما انزلنا الا تذكرة ويجوز ان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب
يخشى مفعولا به اى انزلناه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ما بعد تنزيلا الى قوله الاسماء الحسنى تعظيم
وتفخيم لشان المنزل لانه تنزيل ممن هذه صفاته وافعاله ممن يجوز ان يكون متعلقه بتنزيلا نفسه
فتقع صلة له ويجوز ان يكون متعلقه محذوفا فيقع صفة لتنزيلا ممن خلق التفات من التكلم
الى الغيبة فيه فوايد منها عادة الافتنان فى الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه
الصفات تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلناه ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد
المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فتضاعفت الفخامة من طريقين
قيل يحتمل ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه الارض والسموات العلى
جمع العالية الرفيعة وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها
الرحمن رفع على المدح على تقدير هو الرحمن فيكون خبرا لمبتدا محذوف وقيل هو مبتدا مشار بلامه الى
من خلق على العرش استوى خبره وان كان الرحمن خبر مبتدا جاز ان يكون على العرش استوى خبر
مبتدا محذوف اى هو على العرش استوى وجاز ان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا استوى قيل
بمعنى استولى وقال امام الحرمين هو بمعنى استوى القهر والغلبة وقال سفيان الثورى فعل فعلا
فى العرش سماه استواء وقيل هذا من متشابه القران نومن به ولا نحمله على ظاهره ولا نؤوله سئل
مالك بن انس فقال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسوال عنه بدعة قال صاحب الكشاف
لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان
على العرش وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه
وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى
انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم يكن له
يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل يد الله مغلولة
اى هو بخيل بل يداه مبسوطتان اى هو جواد من غير قصور يد ولا غل ولا بسط له ما فى السموات وما فى
الارض وما بينهما وما تحت الثرى لما شرح ملكه بقوله الرحمن على العرش استوى والملك لا ينتظم الا
بالقدرة والعلم لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم اما القدرة فهى هذه الاية والمراد انه تعالى مالك لهذه
الاقسام الاربعة فهو مالك لما فى السموات من ملك وكوكب وغيرهما ومالك لما فى الارض من المعادن
والفلزات ومالك لما بينهما من الهوى ومالك لما تحت الثرى فان قيل الثرى الجسم الاخر من العالم فلا يكون

انزلناه تذكرة م

يريدون ملك م

تحته شي فكيف يكون الله بالكالة احسب بان الثرى التراب الندى فيحتمل ان يكون تحته شيء
وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهواء على اختلاف الروايات في قوله ما تحت الثرى
قصص في امر الحوت ونحوه ولم يثبت صحتها فلا فايدة في ذكرها واما العلم ففي قوله وان تجهر بالقول
اي وان لم ترفع صوتك فانه يعلم السر واخفى والمعنى لا تحمل نفسك برفع الصوت فان الله يعلم السر
قيل ما اسره الانسان في نفسه واخفى ما لم يكن بعد وسيكون وقيل السر ما حدثت به نفسك واخفى
ما لم تحدث به وقيل ان السر العمل الذي يسره الانسان من الانسان واخفى منه الوسوسة وقيل معنى
الكلام يعلم اسرار عباده وقيل اخفى سره عنهم فلا يعلم كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
وليس بذاك وقيل يعلم ما اسره الانسان الى غيره واخفى من ذلك وهو ما اخطره بباله والمعنى ان
تجهر بشي من ذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فاما ان يكون
نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد
وان الجهر ليس لاستماع الله وانما هو لغرض اخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قد سبق
تفسيره **قوله تعالى** وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا
اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا
ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى لما عظم الله حال القران وحال الرسول اردفه
بما يقوي قلبه من ذكر حال موسى لتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات
الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود وهل اتيك هذا استفهام تقرير ومعناه وقد اتاك
هذا معروف عند اهل اللغة ياتي هل معبرة عن قد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
افصح العرب اللهم هل بلغت بريد قد بلغت وقيل يحتمل ان يكون هذا اول ما اخبروه من امر موسى
فقال وهل اتيك اي لم ياتك الى الان وقد اتاك الان فنبه له وهل اتاك وان كان على لفظ الاستفهام
الذي لا يجوز على الله لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ في ذلك كما تقول لصاحبك
هل بلغك عني كذا فتطلع صاحبك الى معرفة ما تومي اليه يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لان
الحديث حدث او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت ويجوز ان ينتصب مفعولا لاذكر عن وهب
استاذن موسى شعيبا في الرجوع الى امه فخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة
مثلجة فحاد موسى عن الطريق وقدح النار فلم تور المقدحة شيئا فبينا هو في مزاولة ذلك ابصر
نارا من بعيد عن يسار الطريق قيل كانت ليلة الجمعة فقال موسى لاهله امكثوا مكانكم قرا حمزة
لاهله بضم الهاء والباقون بكسرها اني انست ابصرت نارا الايناس الابصار البين الذي لا شبهة
فيه ومنه انسان العين لانه يبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل

والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن وتفسير منتهى العلوم

وكيت م

فاذن له م

وابصار

وابصار ما يونس به لما يوجد منه الايناس فكان مقطوعا محققا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطنوا
انفسهم لعلي اتيكم منها من النار بقبس بشعلة القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما
ومنه قيل لما يقبس فيه من شفقة او غيرها او اجد على النار هدى يعني من هداني على الطريق او ينفعني
بهداه في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع
احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى واذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ولما كان الاتيان
بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع
فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد
او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى
وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها اي اتى موسى النار راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها
نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملايكة وراى نورا عظيما فخاف وتعجب فالقيت عليه السكينة نودي
يا موسى اني قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة والياء اي نودي باني والباقون بكسر الهمزة الا ان نافعا
فتح الياء اي نودي فقال يا موسى اني انا ربك او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير
الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة ونظيره قوله تعالى
عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم وقل اني انا النذير المبين فاخلع نعليك قيل سبب امره بخلع
نعله انهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل انما قال له اخلع نعليك كي يمس واحد قدميك الارض
المقدسة فتناله بركته لانها قدست مرتين وقيل انما امر بذلك لان الحفية من امارات التواضع
ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا نذر منه
الدخول متنعلا تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها
قال الثعلبي قال اهل الاشارة معناه فرغ قلبك من شغل الاهل والولد قالوا ولذلك هو في التعبير من
راى عليه نعلين يتزوج فخلع موسى نعليه والقاهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس المطهر
طوى اسم واد قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالتنوين منصرفا بتاويل المكان والباقون بغير تنوين
غير منصرف بتاويل البقعة وقيل المقدس طوى طوى مرتين اي قدس مرتين وقيل نودي فدائين
قوله تعالى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها
من لا يومن بها واتبع هواه فتردى وانا قرا حمزة وانا بالتشديد والباقون بالتخفيف
اخترتك اصطفيتك للنبوة قرا حمزة اخترناك والباقون اخترتك لما يوحى للذي يوحى على تقدير

ان تكون موصولة او للوحي على تقدير ان تكون مصدرية واللام في لما يوحى تعلق باستمع او باخترتك
اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري لا بالانفراد ولا بالشركة واقم الصلاة لذكري
قيل معناه واقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلوة سواء كنت في وقتها او لم تكن روى انس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرا واقم الصلاة
لذكري وقيل معناه اقم الصلاة لتذكيري فان ذكري ان اعبد وتصلي لي وقيل لتذكرني فيها لاشتمال
الصلاة على الاذكار وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها وقيل لان اذكر بالمدح والثنا واجعل لك لسان
صدق وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا اخر
وقيل لتكون لي ذاكرا غير ناس فعلى المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيد صممهم وانكارهم
به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله
ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جيتك لوقت كذا ان الساعة اتية
اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وهذا على عادة العرب فانهم يقولون اذا بالغوا في كتمان الشي
كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع عليه احدا وقيل ان الكلام تم عند قوله اكاد وبعده مضمر تقديره اكاد اتي
بها ثم ابتدا وقال اخفيها لتجزى وقيل معنى اكاد اريد اي اريد اخفيها وفايدة هذا الاخفا الشديد التحذير
والتخويف فان من لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان اشد حذرا لتجزى اي ان الساعة اتية لتجزى كل نفس بما
تسعى بسعيها وقيل يجوز ان يكون متعلقا باقم الصلاة لذكري اي اقم الصلاة لذكري لتجزى فلا يصدنك
عنها والضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة اي فلا يصدنك عن الايمان بها من لا يومن بها والخطاب لموسى
عليه السلام قال صاحب الكشاف فان قلت العبارة لنهي من لا يومن عن صد موسى والتقدير نهي موسى
عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لادا هذا المقصود قلت فيه وجهان
احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني
ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رويته اياه فكان ذكر
المسبب دليلا على السبب كانه قيل شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر
بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يومن بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شي الم على الكفرة ولا هم
اشد لهم نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة منزلة قدمك واعلم
انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على
العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله **قوله تعالى**
وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى قال القها

يعلم

يا موسى

يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى قيل
تلك اسم موصول صلته بيمينك والمعنى ما التي بيمينك وقيل تلك اسم اشارة بيمينك في محل النصب
على انه حال والعامل فيه معنى الاشارة كقوله هذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة فان
قيل ما الفايدة في سوال الله تعالى له وما تلك بيمينك وهو يعلم فعنه جوابان احدهما ان لفظه لفظ
الاستفهام ومجراه مجرى السوال ليجيب المخاطب بالاقرار به فتثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه
الجحد ومثله في الكلام ان تقول لمن تخاطبه وعندك ماء ما هذا فتقول ماء فيضع عليه شيا من الصبغ
فان قال لم تزل هذا قلت له الست اعترفت بانه ماء فيثبت عليه الحجة فعلى هذا يكون الفايدة انه قرر
موسى انها عصى لما اراد ان يريه من قدرته في انقلابها حية فيقع المعجز بها بعد التثبت في امرها والثاني
انه لما اطلع الله عز وجل على ما في قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكلم اراد ان يوانسه ويخفف
عنه ثقل ما كان فيه من الخوف فاجرى هذا الكلام للاستيناس وقيل انما ساله ليريه عظيم ما يخترعه
عنه تعالى في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب
عنه والمقلوب اليه وينبه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي
فتقول زبرة حديد ثم بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة
وانيق السرد فان قيل قد كان يكفي في الجواب ان يقول عصا فما الفايدة في قوله اتوكا عليها الى اخر الكلام
وانما شرح هذا لمن لا يعلم فوايدها ففيه ثلثة اجوبة احدها انه اجاب بقوله هي عصاي فقيل له ما تصنع
بها فقد ذكرنا في الكلام جوابا عن سوال ثان والثاني انه انما اظهر فوايدها ذين حاجته اليها خوفا ان يامره
بالقايها كالنعلين والثالث انه بين منافعها لئلا يكون عابثا بحملها فان قيل لم اقتصر على ذكر منافعها
ولم يطل الشرح ففيه ثلثة اجوبة احدها انه كره ان يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها والثاني انه
يستغني بعلم الله فيها بكثرة التعداد والثالث انه اقتصر على اللازم دون العارض اتوكا عليها اعتمد
عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة واهش واخبط الشجر ليتناثر ورقها فتاكل
غنمي هش الورق خبطه اي اخبطه على راس غنمي تاكله ولي فيها مارب حوايج ومنافع واحدتها مارية ومارية
بضم الراء وفتحها اخرى ولم يقل اخر لروس الاي ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا
كانه احس بما يعقب هذا السوال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع
بنات جنسها وكما تنفع العيدان ولتكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز
وقيل اسم العصا نبعة وقيل في المارب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن
واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة
والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الغشاء واستظل

النضنضة تحريك الحية لسانها
ويقال للحية نضناض ونضناضة
جوهري

واذا قصر استافه وصلد بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان
يستقي بها فتطول بطول البير وتقصير شعبتاها طولا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو هاربت عنه
واذا اشتهى ثمر ذكرها في الارض فنصنت غصن تلك الشجرة فاورقت وورقها واثمرت ثمرها وكان يحمل
عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ويذكرها فينبع الماء فاذا رفعها نضب قال الله القها يا موسى فالقى
موسى منه ظنا منه انه قادم برفعها فسمع حسا فالتفت فاذا هي حية تسعى عشى بسرعة وخفة
حركة وانما اظهر هذه الاية ليلة الخاطبة ليلا يخاف منها اذا القاها بين يدي فرعون وليريه الذي
ابعثك اليه دون ما ادسك فلما ذللت لك الاعظم وهي الحية اذل لك الادنى عن ابن عباس رضي الله عنهما
صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهي اكبر ما يكون من الحيات
فالذي قال في موضع اخر كانها وهي اصغر الحيات وفي موضع اخر ثعبان وهو اعظمها فلا يخالف ابتداء حالها
والثعبان انها آخر حالها والحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى وهي الصغير والكبير وقيل اراد انها في عظم
الثعبان وسرعة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان بين لحييها اربعون
ذراعا لما راى موسى ذلك الامر العجيب الذي لم يكن مالوفا من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف
وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر قيل اعاد خافها لانه
عرف ما لقي ادم منها وقيل قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينته ان ادخل يده في فمها واخذ
بلحييها قيل لما القى موسى من الخوف ونفار الطبع ما راى من العجوبة قال الله له خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الاولى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها
فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سيرة الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف يعني سنعيدها
في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا ويجوز ان تكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها
بمعنى انها انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشانا ها
اولا وانصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى اي سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث
كنت تتوكأ عليها وتهش بها على غنمك وتنال بها ما تريد من منافعها **قوله تعالى** واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى واضمم يدك الى جناحك قيل
الجناح من اسفل العضد الى الابط وقيل الجناح اسفل من الابط وعن بعض العضد وقال ابو عبيد
الجناح ناحية الجنب وقيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان
جنباه وللاصل المستعاد منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يخفقهما عند الطيران والمراد الى جنبك
تحتا العضد دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير سوء رداة وقبح فكنى به عن البرص كما كنى بالسوء عن
بيضاء من غير برص والبرص اقبح شيء الى العرب وبهم عنه البرص نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان

حذرا

جان

اول ما انشيت

حذرا ان يكن عنده ولا ترى احسن ولا الطف ولا اخف للفاصل من كنايات القرآن وادابه
فاخرج يده من درعه مضيئة بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ايه اخرى بيضاء واية
حالان معاوم من غير سوء من صلة البياض كما تقول ابيضت من غير سوء وقيل اية منصوب
باضمار فعل تقديره خذ ودونك وما اشبه ذلك لدلالة الكلام عليه وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها ما يتلو لا يتين بعض اياتنا الكبرى و
لم يقل الكبر وقال الزوسي لاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى دليله قول ابن
عباس كانت يد موسى عليه السلام اكبر اياته **قوله تعالى** اذهب الى فرعون انه
طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا
بصيرا لما اظهر الله هذه الايات عقبها بما امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك
اذهب الى فرعون انه طغى عصى وعلا وتكبر وكفر فادعه الى عبادتي لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي
عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الاذ وجاش رابط وصدر
فسيح فاستوهب ربه ليشرح صدره وتفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من
الشدايد التي يذهب معها صبرا لصابر بصبر جميل وحسن ثبات وان يسهل عليه امر الذي هو
خلافة الله في ارضه وما يصحبها من اولي معالم النبوءة ومقاساة جلائل الخطوب رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي صدري ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا
وعسيرا ثم بين ورفع الابهام بذكر ما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامن ان يقول
اشرح صدري ويسر امري على الانتصاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل
واحلل وابسط وافتح عقده من لساني عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت في لسانه رقة وذلك انه
كان في حجر فرعون ذات يوم ولطمه لطمة واخذ بلحيته فعال فرعون لاسية امرته ان هذا
عدوي فعالت اسبة على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشياء ثم هات بطستين في احدهما
الجمر وفي الاخر الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى فاخذ جبريل بيد موسى عليه السلام فوضعها
على النار حتى اخذ جمرة ووضعها على لسانه فتلك الرتة وقيل ما زال العقدة بالكلية بل بقي معها
لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وقيل قد زالت بالكلية بكما لها
لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم هو افصح يقل واحلل عقدة
لساني دليل على انه طلب حل بعضها اراد ان يفهموا عنه يدل عليه يفقهوا قولي انه قيل عقدة
من عقد لساني قدر يفقهوا له قولي واجعل لي وزيرا من الوزر لانه يتحمل عنه اثقاله اوزاره

الرتة بالضم العجمة في الكلام والحكلة جوهري

وقال في كلام حكاه عن ابن جني جوهري

12N42

ومؤنة او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجي اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة وزيرا و
هارون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اولى وزيرا مفعولاه وهرون
عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هارون وان جعل عطف بيان اخر جاز وحرك ابن
كثير وابو عمرو ياخي اشدد به ازري واشركه في امري قرا ابن عامر اشدد بالالف مقطوعة واشركه
بضم الالف على الجواب والجزاء والباقون اشدد واشركه على الدعا والمعنى اشدد به يا رب ازري واشركه
يا رب في امري قال ابو علي والوجه الدعا لان ما قبله دعاء ولان الاشراك في النبوة لا يكون الا من
الله ويجوز على قراة الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتدا واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر
القوة الظهر فقال ازرت فلانا على الامر اي قويته عليه وكنت له فيه ظهرا اي اشدد بها دون قوتي
وظهري واجعله شريكا لي في النبوة والرسالة كي نسبحك كي نصلي لك ونذكرك بالسنتنا حامدين لك
على ما اوليتنا من نعمك فان التعاون والتظاهر يتزايد به الخير ويتكاثر لانه مهيج الرغبات انك كنت
بنا بصيرا عالما باحوالنا وبان التعاون والتعاضد مما يصلحنا وان هرون يشد به ازري وعضدي
فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا **قوله تعالى** قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا
عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم
بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول
هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري قال الله عز وجل قد اوتيت اعطيك
سولك طلبتك يا موسى في شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة عن اللسان بكمالها او بالقدر
الذي يفقهوا كلامك وشد ازرك بهارون واشركه اياك في الرسالة ولقد مننا عليك مرة اخرى
فقرن اليها ما مضى منته عليه على جهة التوقيف عليها لتعظيم اجتهاده وتحد مصيرته ويقوي قلبه
روي انه ذكر لفرعون ان خراب ملكه على يدي غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد لبني اسرائيل
ثم انه راى مع اهل مملكته ان فنا بني اسرائيل يعود على القبط الضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصناع
فعزم على ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هارون في سنة الاستحياء ثم ولد موسى
في العام القابل سنة القتل فخافت امه عليه القتل فبقيت متهمة ولقد مننا عليك اي انعمنا عليك
مرة اخرى قيل ثم بين متى كانت بقوله اذ اوحينا الى امك على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى
الحواريين او يبعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما الى مريم او بارائها في المنام فتنبه عليه او بالهامها كقوله
واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي ما يوحى

مفتوحة

اي مما يوحى

اي مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله احق بان يوحى ان اقذفيه ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول
اقذفيه القيه لان القذف مستعمل في معنى الالقا والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه اي اقذفي موسى في التابوت
فاقذفي موسى والتابوت في اليم في البحر اي النيل فليلق اليم موسى او التابوت بالساحل بشاطئ البحر لفظه
لفظ امر ومعناه خبر لما كان مشية الله تعالى وارادته ان لا يخطي جريه جاء اليم الوصول به الى الساحل
والقاؤه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه وتميز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه
فقيل فليلقه اليم بالساحل ياخذ موسى او التابوت الذي فيه موسى عدو لي يعني فرعون وعدو لموسى قال
صاحب الكشاف والضماير كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها الى التابوت فيه هجنة لما يودي اليه من
تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القران
والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما اوحى الله تعالى الى ام موسى ما يوحى
اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وجصصته ثم القته
في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينا هو جالس على راس بركة مع امراته آسية اذا بتابوت
يجي به الماء فلما راى ذلك امر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي من اصبح الناس
وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو
شاطيه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمه فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع
من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والقيت عليك محبة مني اشارة
الى هذه المحبة قيل مني متعلق بالقيت والمعنى اني احببتك ومن احببته احبته القلوب وقيل مني
متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة حاصلة مني قد غرسته في القلوب وزرعته فيها فلذلك احبك فرعون
وكل من ابصرك عن عطية العوفي جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من راه وعن قتادة
ملاحة كانت في عين موسى ما راه احد الا عشقه ولتصنع على عيني اي ولتربى ولتحسن اليك وانا مراعيك
ومراقبك كما يراعي الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا
تخالف به عن مرادي ولتصنع معطوف على عليه مضمر مثل لتعطف عليك وقيل حذف معللة اي ولتصنع
فعلت ذلك اذ تمشي العامل في اذ تمشي القيت اي القيت عليك محبة مني وقت مشي اختك وقيل لتصنع
اي ولتصنع على عيني قدر ما تمشي اختك وقيل يجوز ان يكون اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا ويصح البدل
وان كان الوقتان مختلفين متباعدين كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل
لقيت فلانا به كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في اخرها روي ان اخته

وفي عينيه ملاحة كشاف

واسمها مريم جاءت متعرفة خبر وصادفتهم بطلبون مرضعة يقبل ثديها ودلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة
فقول اخت موسى هل اولكم على من يكفله ترضعه وتضمه اليها قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك
قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها برويتك ولا تحزن بفارقتك وقتلت نفسا يعني القبطي الذي
وكزه فقضى عليه عن كعب الاحبار انه كان اذ ذاك ابن ثنتي عشرة قتله فاغتم بسبب القتل خوفا
من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فنجيناك من غم القتل وكربه وفتناك فتونا لحوزا ان تكون
مصدرا على فعول من المتعدي كالنشور والشكور والكفور ويحوز ان تكون جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التانيث كحجور وبدور في حجره وبدرة عن ابن عباس اختبرناك اختبارا وعن الضحاك
اخلصناك اخلاصا وعن العوفي ابتليناك ابتلاء وقيل فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير
عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها انه ولد في عام كان يذبح الاطفال فيه ثم القاه
في البحر ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم حزن لحية فرعون حتى هم بقتله ثم ناوله الجمرة بدل من الدرة ثم
قتل القبطي ثم خروجه الى مدين خايفا ثم ايجاره نفسه عشر سنين ثم ضل الطريق ثم تفرق غنمه في ليلة مظلمة
وكان ابن عباس يقص هذه القصص على سعيد بن جبير ويقول له عند كل بلية فرهلة فتنة يا بن جبير
والفتنة المحنة وقيل كل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين فمكثت سنين اي عشر سنين عن وهب لبث عند شعيب
ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر امرأته صغيرة آبنت شعيب ثم اقام ثماني سنين عنده حتى
ولد له في اهل مدين وهو بالد شعيب على ثماني مراحل من مصر ثم جيت على قدر اي جيت بميقات
قدرته لمجيئك قبل ذلك اي سبق في قضائي وقدري انك لك واستنبئك في وقت بعينه قدرته لك
فاجيت الاعلى ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر قيل وعلى مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء
وكان ذلك على راس اربعين سنة وقيل لما قدر اي لاجل ما اراد الله به من تكليمه واصطناعتك اخترتك
واصطفيتك واختصصتك بالرسالة والنبوة والاصطناع اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه
الى انسان قال صاحب الكشاف وهذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم والتكريم مثل حاله
بحال من يراه بعض الملوك بجوامع خصال فيه وخصايص اهلا لان يكون اقرب منزلة منه اليه
ولاطفه محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه
ولا يامن عاما مكون سره الا سواد ضمير اذهب انت يا موسى واخوك هارون بآياتي قيل العصى واليد
وقيل بكل الايات المتقدمة ذكرها في العصى فيها ايات وقيل العصا واليد وحل العقدة التي نزل فرعون وقومه
يعرفونها وقيل الايات التسع ولا تنيا تفترا وتنيت في الامر اني وفي ووينا اي ضعفت
والوني الضعف والفتور في ذكري قيل في رسالتي الى فرعون وقيل في القيام بالفرايض والتسبيح والتهليل

وقيل

وقيل في ذكري اي لا تنسياني ولا ازالا منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين
بذلك العفو والتاييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري **قوله تعالى**
اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى قال لا تخافا اني معكما اسمع واري روي ان الله تعالى اوحى الى هارون وهو بمصر
ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل بهم ذلك قيل اذهبا الى فرعون فاية تكرار الامر بالذهاب التوكيد
انه طغى قد مر تفسيره وقولا له قولا لينا فقيل قولا له لا اله الا الله وحده لا شريك له عن ابن عباس
لا تعنفا في قولكما ولا تغلظا وعن السدي وعكرمة كنياه وقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وعن
مقاتل القول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقيل الطفا له في قولكما فانه ربآك واحسن
تربيتك وله عليك حق الابوة فلا تجبهاه بما يكرهه واول قدر تكد عليك وقيل عداه عما قبل الايمان
شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع عنه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته
لعله الترجي لموسى وهارون اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وبا شرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان
يتم عمله ولا يخيب سعيه بطوقه ويحتشر باقصى وسعه والعلم من الله من وراء ما يكون وقد علم
انه لا يتذكر ولا يخشى الا ان الحجة لها عليه بالاية والبرهان وانما يبعث الرسل وهم لا يعلمون الغيب
ولا يدرون ايقبل منهم امرا ام لا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ومعنى لعل متصور في انفسهم ومعنى
تصور ذلك يقوم الحجة يتذكر ويتامل فيبدله الصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر
كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قيل تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعه الذكر والخشية وذلك
حين ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين وعن يحيى
بن معاذ الرازي قراهذه الاية فقال هذا رفق بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الا اله
وعن ابي القاسم الحسني يسمع عليه الفاظا امدت به فيها فقلت هذا رفق بمن يعاديك فكيف
رفقك بمن يواليك هذا رفق بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك هذا رفق بمن يقول ندا فكيف رفقك
بمن يقول فردا هذا رفق بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل هذا رفق بمن افترى فكيف رفقك بمن اعترف
هذا رفق بمن اصر فكيف رفقك بمن اقر هذا رفق بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر قالا اي
موسى وهارون ربنا انا نخاف ان يفرط علينا ان يبادر بعقوبتنا ويعجلنا بالعقوبة ويجاوز الحد
ويغلبنا فرط منه امر بدو وسبق وللذم منه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط تسبق الخيل او ان
يطغى قبل ان يستمع علينا ويتكبر وقيل ان يجاوز الحد في الاساءة الينا وقيل ان يجعل علينا قبل ان
يبلغه كلامك وامرك قال الله لا تخافا اني معكما بالنصرة والعون لكما والدفع عنكما اسمع اقوالكم
واري افعالكم اي اسمع ما جرى بينكما وبينه من قول واري ما يجري بينكما وبينه من فعل وعن الكلبي

فهو يجتهد ن

اسمع جوابه لكما واری ما یفعل بكما ویجوز ان لا یقدر شیئا ای اسمع واری نحو فلان یعطی ویمنع واذا كان
الحافظ والناصر كذلك تولی الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالات بالعدو **قوله تعالى**
فاتیاه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنی اسرایل ولا تعذبهم قد جیناك بایة من ربك والسلام علی
من اتبع الهدی ولا تعذبهم فی العمل وكانوا قد استعبدوا اسرائیل فی مملكة فرعون والقبط یعذبونهم
بتكلیف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فی كل شیء مع قتل الولدان واستخدام
النساء قال موسی وهرون قد جیناك بایة من ربك جملة جاریة مجری الجملة الاولی وهی انا رسولا ربك
مجری البیان والتفسیر لان دعوی الرسالة لا تثبت الا ببینتها التی هی المجی بالایة انما وحد قوله
بایة ولم یثن ومعه آیتان لان المراد فی هذا الموضع تبكیت المدعوی ببرهانها فكانه قال قد جیناك
بمعجز وبرهان وحجة علی ما ادعیناه من الرسالة قال فرعون وما هی فادخل یده فی جیب قمیصه ثم
اخرجها فاذا هی بیضاء لها شعاع كشعاع الشمس غلبت علیه نور الشمس فحجب منها ولمین العصا
الا بعد ذلك بوما لزینة والسلام علی من اتبع الهدی ولیس یعتد به التحیة وانما معناه ان من اتبع
الهدی ای آمن بالله سلم من عذاب الله وسخطه **قوله تعالى** انا قد اوحی الینا ان
العذاب علی من كذب وتولی قال فمن ربكما یا موسی قال ربنا الذی اعطی كل شیء خلقه ثم هدی
علی من كذب بایات الله وتولی واعرض عن الایمان وهذه الایة ارجی ایة للمومنین لانه من اقوی
الدلایل علی ان عقاب المومنین لا یدوم لان الالف واللام فی العذاب یفید الاستغراق او یفید
الماهیة وعلی التقدیرین یقتضی الحصار هذا الجنس فیمن كذب وتولی فوجب فی غیر المكذب المتولی
ان لا یحصل هذا الجنس اصلا وظاهر الایة یقتضی القطع بانه لا یعاقب احد من المومنین ترك العمل
به فی بعض الاوقات فوجب ان یبقی علی اصله فی نفی الدوام لان العقاب المد اذا حصل
بعده السلامة مدة غیر متناهیة صار ذلك العقاب كانه لا عقاب فلذلك یحسن مع حصول
ذلك القدر ان یقال انه لا عقاب قال فرعون فمن ربكما یا موسی ان فرعون كان شدید القوة عظیم
الغلبة كثیر العسكر ثم ان موسی علیه السلام لما دعاه الی الله تعالی لم یستعمل معه بالبطش
والایذاء بل حرج معه فی المناظرة فانه لو شرع اولا فی الایذاء الی الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك
وشرع اولا فی المناظرة وذلك یدل علی ان السفاهة فی المناظرة من غیر الحجة شیء ما كان یرتضیه فرعون
مع كمال جهله وكفره فكیف لا یلیق ذلك بمن یدعی الاسلام والعلم خاطب فرعون موسی وهارون ووجه
الندا الی موسی لانه الاصل فی النبوة وهارون وزیره وتابعه ویحتمل ان یحمله خصوصیته وذعارته علی
استدعاء كلام موسی دون كلام اخیه لما عرف من فصاحة هرون وارتة فی لسانه یا موسی قال موسی ربنا
الذی اعطی كل شیء خلقه صورته وشكله الذی تطابق المنفعة المنوطة به كما اعطی العین الهیئة التی تطابق

الابصار

الابصار والاذن الشكل الذی یوافق الاستماع وكذلك الانف والید والرجل واللسان كل واحد منها
مطابق لما علق به من المنفعة غیر تائب عنه وقیل اعطی كل حیوان نظیره من الخلق والصورة حیث جعل
الحصان والحمار زوجین والبعیر والناقة والرجل والمراة فلم یزاوج منها شیء غیر جنسه وما هو علی خلاف
خلقه هذا علی احد قولی ان یكون كل شیء مفعولا اول وخلقه ثانیهما واذا جعل خلقه مفعولا اول وكل شیء ثانیهما
فمعناه اعطی خلیقته كل شیء یحتاجون الیه ویرتفقون به ثم هدی ای عرف كیف یرتفق كما اعطی وكیف
یتوصل الیه مثل انه عرف الهم كیف یاتی الذكر الانثی فی النكاح فان قیل ما وجه الاحتجاج علی فرعون
من هذا فالجواب انه قد ثبت وجود خلق وهدایة فلا بد من خالق وهاد قال صاحب الكشاف وسد
در الجواب ما احصره وما اجمعه وما ابینه لمن القی الذهن ونظر بعین الانصاف وكان طالبا للحق
ان فی ذلك لذكری لمن كان له قلب او القی السمع وهو شهید **قوله تعالى** قال فما بال القرون
الاولی قال علمها عند ربی فی كتاب لا یضل ربی ولا ینسی لما قال فرعون فمن ربكما فذكر موسی علیه
السلام دلیلا ظاهرا علی هذا المطلوب وقال ربنا الذی اعطی كل شیء خلقه ثم هدی خاف فرعون ان یزید
فی تلك الجملة فیظهر للناس صدق موسی وفساد طریق فرعون فاراد ان یصرفه عن ذلك الكلام ویشغله
بالحكایات فقال فما بال القرون الاولی قیل سال عن احبارا القرون الاولی واحادیثها ولم یكن لها بذلك
علم اذ التوریة انما انزل بعد هلاك فرعون قال موسی علمها عند ربی وقیل اراد انی رسول واخبار الامم علم
غیب ولا علم لی بالغیب وقیل ان مراده من السوال عنها لم عبدت الاصنام ولم یعبد الله ان كان
الحق ما وصفت وقیل المراد ان قوله ان مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازی فقال موسی
عند ربی ای علم اعمالها كنایة عن القیامة لانه ساله عن بعث الامم فاجابه بذلك وقوله فی كتاب
اراد اللوح المحفوظ لا یضل ربی ولا ینسی ای لا یخطی ربی ولا ینسی ما كان من امرهم حتی یجازیهم
باعمالهم قیل لم یلتفت موسی الی ذلك السوال وقال علمها عند ربی فی كتاب ولا یتعلق غرضی باحوالهم
ولا اشتغل بها ثم عاد الی تتمیم كلامه الاول وابراز الدلایل الباهرة علی الوحدانیة فقال الذی
جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فیها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتی قراعاصم وحمزة والكسائی مهدا بغیر الف والباقون مهادا بكسر الهاء والمهد
الفرش والمهاد الفراش الذی جعل مرفوع صفة لربی او خبر مبتدا محذوف له او منصوب علی المدح
وهذا من مظانه ومجازه وسلك لكم من قوله ما سلككم فی سقر ای حصل لكم فیها سبیلا
ووسطها بین الجبال والاودیة والبراری فاخرجنا انتقل فیه من لفظ الغیبة الی لفظ المتكلم
المطاع لما ذكر من الافتقاد والایذان بانه مطاع تنقاد الاشیاء المختلفة لامره وتذعن الاجناس
المتفاوتة لمشیته لا یمتنع شیء عن ارادته ومثله قوله تعالی وهو الذی انزل من السماء ماء فاخرجنا به

الجمع ایضا الانثی من الخیل
جوهری

ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق
ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا
سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة الازواج جمع شتيت كمريض
ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد
والجمع انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها
يصلح للبهايم **قوله تعالى** كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى اي كلوا
مما اخرجنا لكم من الثمار وارعوا انعامكم يقال رعى الماشية يرعاها اذا سرحها في المرعى من نعمته تعالى
ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون
على اكله تقديره قايلين كلوا وارعوا انعامكم قايلين حال من ضمير فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف
النبات آذنين في الانتفاع بها منتجين ان ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها ان في ذلك لايات لاولي العقول
النهى جمع نهية يقال فلان ذو نهية اي ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسن وقيل ذو النهية
الذي ينتهي الى رأيه وعقله وهذا حسن ايضا **قوله تعالى** منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى من الارض المذكورة في قوله جعل لكم الارض مهدا اراد بخلقكم من
الارض خلق اصلهم ادم منها وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيبدرها
على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وقيل ان خلق بني ادم من
التراب ايضا لانه خلق بني ادم من النطفة ودم الطمث وهما يخلقان من الاغذية والاغذية من
الحيوان والنبات والحيوان من النبات والنبات تخلق من التراب فصح قوله تعالى منها خلقناكم بحسب
الظاهر ولا حاجة الى التاويل وصرفه عن الظاهر وخلق بني ادم من النطفة لا ينافي خلقهم من الارض
كما ان خلقهم من المضغة لا ينافي خلقهم من العلقة وخلقهم من العلقة لا ينافي خلقهم من النطفة
وخلق ادم من صلصال كالفخار لا ينافي خلقه من حماء مسنون لا ينافي خلقه من طين وخلقه من
طين لا ينافي خلقه من تراب فان ذلك بحسب الاطوار قال الله تعالى وقد خلقكم اطوارا وفيها
نعيدكم بعد الموت عند الدفن وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان المومن اذا قبض الملك
روحه انتهى به الى السماء وقال يا رب عبدك فلان قبضنا روحه فيقول ارجعوا فاني وعدته
منها خلقناكم وفيها نعيدكم فانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين ومنها نخرجكم تارة اخرى
عند البعث قيل واردنا باخراجهم منها انه مولف اجزاوهم المتفرقة المختلطة بالتراب ونردهم
كما كانوا احياء ونخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض
من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها

بلغ

وخلقه من حماء مسنون صح

كيف

كيف شاوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهايمهم وهي اصلهم الذي
منه تفرعوا وامهم التي منها خلقوا ثم كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تمسحوا
بالارض فانها بكم برة **قوله تعالى** ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى
ولقد اريناه اي فرعون اي بصرناه وعرفناه صحتها ويقناه بها فكذب بظلمه كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هاولا الا رب السموات
والارض بصاير قيل التعريف الاضافي في اياتنا كلها بمثابة التعريف باللام نحو الايات كلها
فلا يفيد الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى
عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل وقيل ان
موسى عليه السلام قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبيا من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي
صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها فرعون جميعا وابى ان يقبل شيا منها وقيل
فكذب بالايات وابى قبول الحق **قوله تعالى** قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال
فرعون لموسى اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى يلوح من قول فرعون هذا ان فرايصه
كانت ترعد خوفا مما جاء موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير
والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بسحره فلناتينك
بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا قيل وقتا واحدا وميقاتا اعتبارا بقوله موعدكم يوم الزينة
لتطابقهما فعلى هذا يلزم ان يجعل الزمان مخلفا وان يفصل ناصب مكانا وقيل موعدا اي مكانا
لقوله مكانا سوى فعلى هذا يلزم ان يوقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم
الزينة وقيل موعدا يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان وعد ويجعل الضمير
في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قيل فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد
ان يجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان اجاب صاحب الكشاف بانه مطابق
معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم
فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وقيل ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل
بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وينتصب مكانا بالمصدر اي بالموعد الذي هو الوعد او بفعل يدل عليه
المصدر اي بعد مكانا يجتمع للمبالغة فيتبين صدقك في دعوى النبوة ثم لا نخلف ذلك الموعد
لا نحن ولا انت مكانا سوى قرا ابن عامر وعاصم وحمزة بضم السين والباقون بكسرها قيل سوى

معناه سويًا لا يسار فيه وقيل مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفًا بين الفريقين اى
تستوى مسافته بين الفريقين فتكون مسافة كل فريق اليه كمسافة الفريق الاخر وعن الكلبى
مكانا سوى هذا المكان قيل وفيه بعد عن الحقين **قوله تعالى** قال موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى عن ابن عباس يوم الزينة يوم عاشوراء وقيل يوم عيد لهم قال اى موسى ٣
وكل سنة يتزينون ويجتمعون فيه وقيل يوم النيروز وافق ذلك يوم السبت اول يوم من
السنة وقيل يوم سوق لهم وان يحشر الناس ضحى اى اذا رايتم الناس قد حشروا ضحى وقيل فى محل خفض
عطفا على الزينة المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم يحشر الناس ضحى واغا واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون
علو كلمة الله عز وجل وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى الجمع الخاص
ليقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم وكل
بد وحضر ويشيع فى جميع اهل الوبر والمدر **قوله تعالى** فتولى فرعون فجمع كيده
ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا
امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى قيل فتولى فرعون عن الحق الذى امر به وقيل فتولى مدبرا عن موسى
وانصرف الى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى فجمع كيده مكره وحيلته وسحرته ثم اتى الموعد قال
ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل كانوا اربع مايه قال لهم موسى
اى للسحر لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا ايانه ومعجزاته سحرا ولا تشركوا معه احدا فيسحتكم قرا حمزة
والكسائى وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم الياء من اسحت والباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان
سحت واسحت قال مقاتل والكلبى يهلككم وقال قتادة فيستأصلكم وقال ابو صالح فيذبحكم بعذاب
وقد خاب من افترى لينال عرض الدنيا فتنازعوا اى السحرة امرهم بينهم فقال بعضهم هذا ساحر
مثلنا وقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة اى قوله لا تفتروا على الله كذبا واسروا النجوى المناجاة
تكون اسما ومصدرا اى اسروا كلامهم هذا فيما بينهم وقيل تناجوا فيما بينهم ان غلبنا موسى اتبعناه
وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فلامر وقيل الضمير فى فتنازعوا
لفرعون وقومه والسحرة جميعا اى تشاوروا فى السر فى امر موسى وفيما يخافون منه فقالوا
هذان لساحران قرا ابو عمرو ان هذين وقال انى لا استحيى من الله ان اقرا ان هذا ان واحتجاجه
فى مخالفة المصحف بما روى عن عثمان وعايشة رضى الله عنهما انه من غلط الكاتب وقرا ابن
كثير ان مخففة هذان بتشديد النون وقرا عاصم فى رواية حفص ان خفيفة هذان خفيفة ايضا
والباقون ان بالتشديد هذان بالالف ونون خفيفة عن ابن عباس هى لغة بلحارث قال الزجاج وحكى

قال اى موسى ٣

ابو عبيدة

ابو عبيدة عن ابى الخطاب وهو رأس من رؤوس الرواة انها لغة لكنانة يجعلون المثنى بالرفع والنصب
والخفض على لفظ واحد يقولون اتانى الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان فكانت بحوائجهم تلفيق
هذا الكلام وتزويرا خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
يجتهدان فى ابطال دينكم والاستيلاء على دياركم ويذهبا بطريقتكم المثلى والسنة الفضلى وكل حزب
بما لديهم فرحون وقيل بطريقتكم بدينكم المستقيم وقيل بسنتكم ودينكم وما انتم عليه يقال فلان حسن
الطريقة وقيل اراد واهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرايل لقول موسى ارسل معنا بنى اسرايل وقيل
الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وعن الشعبى ويصرفا
وجوه الناس اليهما والمثلى تانيث الامثل قال الزجاج معنى المثلى والامثل ذوا الفضل الذى به يستحق
ان يقال هذا امثل قومه **قوله تعالى** فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى
قرا ابو عمرو فاجمعوا بفتح الميم ووصل الالف من جمعت اى لا تدعوا من كيدكم شيئا الا جئتم به
ويعضده قوله فجمع كيده والباقون بقطع الالف وكسر الميم بمعنى العزم والاحكام تقول العرب اجمعت
الامر وان معت واجمعت على الامر وان معت قال الشاعر باليت شعرى والمنى لا ينفع هل اغدون
يوما وامرى مجمع اى محكم وقد عزم عليه اى ازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تخالفوا ولا يتخلف
عنه واحد منكم كالملة المجمع عليها ثم ائتوا صفا عن مقاتل والكلبى وقيل صفوفا لانه اهيب فى صدور
الرائين على التقديرين روى انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة
واحدة قال ابو عبيدة يعنى المصلى والمجتمع وعن بعض العرب الفضى اما استطعت ان اتى الصف
امس يعنى المصلى ووجه صحته ان نجعل صفا على المصلى بعينه فامروا بان ياتوه اوبرادايتوا مصلى
من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراضى فاز من غلب ونال البغية والمظفر **قوله**
تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى
والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى خير السحرة
موسى ان يبتدا بالالقاء او تاخر عنهم ان يلقى قيل هو منصوب بفعل مضمر اى اختر يا موسى احد
الامرين وقيل هو مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف اى الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير من السحرة
استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصف من انفسهم وكان
الله عز وجل المفهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيارا القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب
بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر وليستنفدوا اقصى طوقهم وجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله
سلطانه وقذف بالحق على الباطل فيدمغه وسلط المعجز على السحر فمحقه وكانت اية للناظرين

وينقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ث ف

وعبرة بينة للمعتبرين قال موسى للسحرة بل القوا انتم ياسحرة فاذا حبالهم
اذا هذه للمفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله فاذا حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي المشي سريعا وذلك انهم لهجوا حبالهم
وعصيهم بالزئبق فلما اصابه حر الشمس اضطربت واهتزت فخيلت الى موسى ان الحبال والعصي
تسعى من سحرهم فاوجس موسى في نفسه خيفة ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكان ذلك مقتضى الجبلة
البشرية ولا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل انه لما راى سحرهم شبيه ما اراهم في العصي خاف ان يلتبس
على الناس امره ولا يؤمنوا قلنا لا تخف يا موسى انك انت الاعلى عليهم بالظفر والغلبة فيه تقرير
لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيثاق وبكلمة التشديد وتنكير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل والق ما في يمينك ولم يقل عصاك قيل يحتمل ان يكون تصغيرا
للعصي اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العوين الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه
بقدرة الله يتلقف ما صنعوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وقيل يحتمل ان يكون تعظيما
للعصي اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها
اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها والق ما في اي العصا تلقف تلقم ما صنعوا قراء ابن عامر
تلقف بالرفع وتشديد القاف على الاستيناف او على الحال اي الق ما في يمينك متلقفا ما صنعوا
وحفص عن عاصم تلقف خفيفة وابن كثير بتشديد التاء يريد تتلقف انما صنعوا اي زوروا
وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون كيد ساحر قرا حمزة والكسائي وخلف كيد سحر اي ذي سحر
او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه والباقون كيد ساحر وانما وحد ساحر ولم يجمع
لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد
الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر حيث اتى وانما نكر اولا من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في
نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طال ما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في
امر اخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي واخروي ولا يفلح الساحر
حيث اتى اي لا ينال الساحر الظفر حيث سير واية سلك واين ما كان وقيل حيث كان واين كان
اي يقتل حيث قال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الساحر فاقتلوه ثم قرا ولا يفلح الساحر حيث اتى

قوله تعالى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى قال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع
النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا

فاقض

موسى م
ففاجاء وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم م

وامر دنيوي م

فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه
من السحر والله خير وابقى اي اوحى الله الى موسى ان الق عصاك فالقى موسى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين فاغر فاه فتلقف حبالهم وعصيهم فالقي السحرة عند ذلك سجدا قالوا امنا
برب هارون وموسى روي ان السحرة لما رات العصا لا اثر فيها للسحر ثم راوا انقلابها حية
واكلها الحبال والعصي ثم رجوعها الى حالها وعدم الحبال والعصي ايقنوا بنبوة موسى وان الامر من
عند الله سبحان الله ما اعظم امرهم وقد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا
الجنة والنار ورأوا ابواب ثواب الجنة وعقاب اهل النار وكانت امراة فرعون رضي الله عنها
تسال من غلب قالوا غلب موسى قالت آمنت برب موسى وهارون فارسل اليها فرعون فقالت
انظروا اعظم صخرة تجدونها فاتوها فان هي رجعت عن قولها فهي امراتي وان مضت على قولها
فالقوا عليها الصخرة فلما اتوها رفعت بصرها الى السماء فاريت بيتها في الجنة فمضت على قولها
وانتزعت روحها والقيت الصخرة على جسد لا روح فيه قال فرعون امنتم له اي لموسى كقوله
فامن له لوط قيل اللام يتضمن معنى الاتباع دون الباء قبل ان اذن لكم قبل ان امركم به انه ان
موسى لكبيركم لعظيمكم اي انه اسحركم واعلاكم درجة في صناعتكم وقيل لمعلمكم من قول اهل مكة
للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شيء علمكم
السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى
لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك يسار ومن
لابتداء الغاية لان القطع مبتدا وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار
والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت
بالاختلاف وقيل من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب
في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى
انا ام رب موسى انا ام رب موسى انا ام رب موسى الذي امنتم به خوفا من عذابه قيل يريد نفسه
لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه مفاجاة وكبر باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب
الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه
السلام لم يكن قط من التعذيب في شيء وابقى وادوم قالوا السحرة الذين امنوا له لن نؤثرك
لن نختارك على ما جاءنا موسى من البينات من الدلالات القاطعة اليد والعصا وغيرهما

اهل م

والذى فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض فاحكم ما انت قاض ما انت حاكم واصنع ما
انت صانع من القطع والصلب انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاوك ما تقضيه وسلطانك
ما يأتيه وهذه الدنيا هى ظرف وقيل مفعول به وقيل انما تملكنا فى الدنيا ليس كذلك علينا سلطان الا
فى الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الشرك وغيره والذى اكرهنا عليه من السحر على مقابل
كانت السحرة الذى رؤوسهم اثنتين وسبعين اثنان منهم من القبط وهم رؤسا القوم وسبعون
من بنى اسرايل وكان فرعون اكره السبعين الذى هم من بنى اسرايل على تعلم السحر روى ان السحرة
رأوا موسى نايما وعصاه تخر سعه قالوا لفرعون ارتاموسى اذا نام فانا هم موسى نايما وعصاه تحرسه
فقالوا لفرعون ان هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان يعملوا فذلك قوله
وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير منك ثوابا اذا اطيع وابقى عقابا اذا عصى وهذا جواب قوله
ايّنا اشد عذابا وابقى **قوله تعالى** انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى قيل هذه الاية بجملتها من كلام السحرة لفرعون
على جهة الموعظة له والنيابة فيما فعلوا وقيل والله خير وابقى آخر كلام السحرة وهذه الاية من كلام
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسى ما فعل السحرة انه من ياته ربه مجرما
كافرا مات على كفره فان له لجهنم حق لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه وقيل لا يموت فيخرج
نفسه ولا يحى فيستقر بنفسه فى مقرها ولكنها تتعلق بالحناجر ومن ياته اى ياته ربه مومنا
مطيعا قد مات على ايمانه قد عمل الصالحات فى الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى اى درجات الجنة
بعضها اعلى من بعض جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر
عن الكفر **قوله تعالى** ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم
طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
واضل فرعون قومه وما هدى هذا استيناف اخبار عن امر موسى بينه وبين مقال السحرة
مدة من الزمان حديث لموسى وفرعون حوادث وذلك ان فرعون لما انقضى امر السحرة وغلب موسى
وقوى امره وعد فرعون ان يرسل بنى اسرايل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى ناتى
اخرى فلما كانت الايات اوحى الله الى موسى ان يخرج ببنى اسرايل من مصر فى الليل ساريا والسرى
سرى الليل وان فى قوله ان اسر يجوز ان تكون مفسرة لا موضع لها من الاعراب كقوله تعالى
وانطلق الملا منهم ان امشوا ويجوز ان تكون ناصبة للفعل وتكون فى موضع نصب باوحينا بعبادى
الاضافة اليه تعالى لتشريف بنى اسرايل ان اسر بعبادى اى سر ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا

اى فاجعل

اى فاجعل لهم طريقا من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب الابن عمله فى البحر يبسا مصدر
وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومنه وصف به المونث فقيل
شاة يابس وناقة يابس اذا جف لبنها لا تخاف حال من الضمير فى فاضرب فراحة وابان
عن عاصم لا تخف نهيا على الجواب والباقون لا تخاف ولا تخشى اذا قراء لا تخف ثلثة اوجه
ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التى هى لام
الفعل ولكن زايده للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا ويظنون بالله الظنونا
وان يكون مثل قوله كانه لم يزل قبلى اسيرا ثمانيا فاذا الف تا متولدة عن اشباع الحركة لا تخاف
دركا لا تخاف ان يدركك احد ولا تخشى من قبله شيا وقيل لا تخاف لحوقا من خلفك ولا تخش
الغرق من قدامك فاتبعهم فرعون اى لحقهم مع جنوده فغشيهم من ما اليم ما غشيهم من باب
الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة اى لا يعلم كنه ما غشيهم
الا الله واضل فرعون قومه عن الذى وما هداهم وقيل اضل فرعون قومه عن البحر لانهم غرقوا
فيه وما هدى فرعون اى وما هدى اى وما نجا وقيل ما هداه الله للصواب قيل وما هدى نهكم
به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد **قوله تعالى** يا بنى اسرايل قد انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا
تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى ان الله تعالى لما انعم على قوم موسى بانواع النعم ذكرهم ونبههم ان ازالة المضرة
سابقة على اتصال المنفعة فلهذا بدا بقوله انجيناكم من عدوكم وهو اشارة الى ازالة المضرة ثم ذكر
المنفعة الدينية وهى قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ذكر المنفعة الدنيوية وهى قوله
وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا
فيه فيحل عليكم غضبى ثم بين ان من تاب بعد العصيان كان مقبولا عند الله بقوله وانى لغفار
لمن تاب ظاهر هذه الاية ان هذا القول قيل لبنى اسرايل حينئذ عند حلول هذه النعم التى عددها
الله عليهم وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث ولكن الله تعالى يخص بالذكر ما يشاء
من ذلك ويحتمل ان يكون هذا الخطاب لبنى اسرايل الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم
قراءة حمزة والكسائى انجيتكم ووعدتكم ورزقتكم بغير الف على التوحيد والباقون بالالف والنون
كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى حلالات ما رزقناكم ولا تطغوا ولا تبطروا فى
نعمى فتظلموا وقيل ولا تجحدوا نعمى فتكونوا طاغين وقيل ولا تدخروا منه لاكثر من يوم وليلة فيحل
عليكم فينزل عليكم غضبى قراءة الكسائى فيحل بضم الحاء ويحلل بضم اللام والباقون بكسرها ومن

ومن الاول عن حجة من جعل بعض الاياء وكسر الباء
يعود على الطغيان ومن الثانى عن من ظلم وفاعل يطغوا ضمير
مفعول به وجواز ان يكون بعض من ظلم فاعل يطغوا وضمير
وجوه

يحلل عليه غضبي ومن ينزل عليه غضبي قيل ويحل ويحلل بكسر الحاء واللام معناه فيجب ومن يجب
فقد هوى فقد هلك وقيل تردى في النار وقيل وقع في الهاوية واني لغفار لمن تاب اي عن الشرك
وعمل صالحا ثم اهتدى ثم اقام على ذلك وقيل لزم الاسلام حتى يموت وقيل احد سنة نبيه وقيل
اصاب العمل وعن ابن عباس لم يشك في ايمانه وقيل ثم علم ان لذلك ثوابا وعقابا **قوله تعالى**
وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى ٥ وما اعجلك
اي واي شيء عجل بك عن قومك على سبيل الانكار لما انجى الله بني اسرائيل واغرق فرعون قال بنوا اسرائيل
يا موسى لو اتيتنا بكتاب من عند الله فيه الحلال والحرام والفرائض فاوحى الله اليه بعده انه ينزل
ذلك عليه في الموضع الذي كلمه فيه فاختار موسى سبعين فذهبوا معه الى الطور لاخذ التورية
فعجل موسى من بينهم وتقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعدهم ربه وامرهم بلحاقه بناء على
اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فقال الله تعالى ما حملك على العجلة عن قومك
قال موسى هم اولاء يعني النقباء على اثري اي هم خلفي يلحقوني فانهم بالقرب مني وعجلت اليك يا رب
لترضى اي لم اقصد بذلك تعظيما عليهم انما قصدت المسارعة طلبا لمرضاتك قال صاحب الكشاف
فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب
زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت
قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب
المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه
فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة
يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك
رب لترضى ثم قال ولقائل ان يقول جار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب
المنطبق المرتب على حدود الكلام **قوله تعالى** قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم
العهد الم اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فلذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم
هارون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قال الله تعالى فانا قد فتنا
ابتلينا والقينا في فتنة ومحنة قومك الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل
ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا من بعدك اي من بعد انطلاقك الى الجبل فاضلهم السامري

اي كان

اي كان سببا لاضلالهم بان دعاهم وصرفهم الى عبادة العجل وحملهم عليها فرجع موسى الى قومه
غضبان اسفا حزينا جزعا قال موسى يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم
التورية ويكفر عنكم سيئاتكم وينصركم افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان
يحل ان يجب عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم
فاخلفتم موعدي وذلك ان الله عز وجل قد وقت لموسى عليه السلام ثلثين ليلة ثم اتمها بعشر
فلما مضى الثلاثون قال السامري لهم انما اصابكم هذا عقوبة لكم على ما معكم وكانت حليا استعاروها
من القبط فهلموا بها واجمعوها حتى يجيء موسى فياخذها منكم فجمعوها له فصاغ منه عجلا في ثلاثة ايام
ثم قذف فيه القبضة التي اخذها من اثر فرس جبريل فكان البلاء منها وقيل اخلفتم موعدي بعبادتكم
العجل وقيل فاخلفتم موعدي اي عهدي وكانوا قد عاهدوا انه ان فكهم الله من مملكة ال فرعون ان
يعبدوا الله ولا يشركوا به ويقيموا الصلاة وينصروا الله ورسوله وقيل المعنى خلفتموني فيما تواعدنا
عليه وقيل اوجدتموني فيما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعده فلان اذا وجده وقع فيه الخلف
وقد اخلفتم ما وعدتمونيه في اللحاق بي واتباعي الموعد قيل ويحتمل ان الوعد من القوم واضافته
الى موسى اضافة المصدر الى المفعول ولهذا وقع الاخلاف منهم ووعدهم لموسى هو ان وعدوه
ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى ولا يخالفوا لامر الله ابدا وان جعلت المصدر مضافا الى الفاعل
فالوجه اوجدتموني فيما وعدتكم وقع فيه الخلف قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قراء نافع وعاصم
بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقون بكسرها عن ابي علي هذه لغات وعن الزجاج الملك
بالضم السلطان والقدرة وبالكسر ما حوته اليد وبالفتح المصدر يقال ملكت الشيء
املكه ملكا قيل معناه ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما
اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده وقيل ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ما كنا
نملك الذي اتخذ منه العجل ولكنها كانت زينة ال فرعون فقذفناها وقيل ما اخلفناك موعدك
بطاقتنا وقيل لم نملك انفسنا عند الوقوع في البلية وقيل لم نملك مؤمنونا سفهاءنا قيل فيخرج
فيمن قال هذا لموسى قولان احدهما انهم الذين لم يعبدوا العجل والاخر عابدوه تلخيصه قال موسى
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا لايتاء الكتاب افطال عليكم مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان
يحل عليكم غضب من ربكم بعبادتكم العجل اي ام اردتم ان تصنعوا صنعا يكون سبب غضب
ربكم فاخلفتم موعدي ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي قال الذين لم يعبدوا العجل ما اخلفنا
موعدك بملكنا اي ونحن نملك من امرنا اي لم نطق رد عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم
وقلتنا ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل ولكنا حملنا قراء ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم

حملنا بضم الحاء وتشديد الميم والباقون بفتح الحاء والميم مخففة اوزارا اثقالا اى حلى ال فرعون
الذين كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر وقيل امرهم موسى بالاستعارة وقيل امر الله
موسى بذلك وكان حلالا لهم وكان كثيرا وقيل هو ما القاه البحر عا الساحل من ذهبهم وفضتهم
وحليهم بعد اغراقهم فاخذوه وقيل اوزارا اثاما اى حملنا اثاما من حلى القوم لانهم استعاروه
ليتزينوا فى عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة ان يعلموا بخروجهم فحملوها
فقذفناها فكذلك القى السامرى حليا كما القينا وقيل القى السامرى ما كان معه من تراب حافر
فرس جبريل فاخرج السامرى لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا اى السامرى ومن وافقه فنسى
موسى ان يخبركم انه هذا الهه وقيل فنسى موسى الطريق الى ربه وقيل فنسى موسى الهه عندكم وخالفه
فى طريق اخر فنسى السامرى اماته واسلامه وقيل فنسى اى فترك السامرى ما كان عليه من الدين
وقيل فنسى السامرى ان العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فعلى القول بانه فاعل
فنسى السامرى يكون قوله فنسى من اخبار الله عن السامرى وعلى القول بانه فاعل فنسى موسى فقيل
من قال فنسى هو السامرى وقيل فنسى بنو اسرايل ثم قرر تعالى موضع خطائهم بقوله افلا يرون
المعنى افلم يتبينوا ولا الذين ظلموا انه هذا العجل انما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولا ولا يضر ولا ينفع
وهذه دلالة لا تخفى معها الحدوث والعجز ولقد قال لهم هارون من قبل ان ياتى موسى يا قوم انما فتنتم به
اى ابتليتم وانه ربكم الرحمن لا العجل فاتبعونى على دينى واطيعوا امرى فاعبدوا الله ولا تعبدوا العجل
قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا الا تتبعنى افعصيت امرى قال يا بن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى انى خشيت
ان تقول فرقت بين بنى اسرايل ولم ترقب قولى قالوا اى عبدة العجل لن نبرح لن نزال على العجل
وعبادته مقيمين حتى يرجع الينا موسى فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل
فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال لصلى الله عليه وسلم للسبعين
الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله قال يا هارون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل واشركوا ان لا تتبعنى قيل لا مزيده والمعنى ما منعك ان تسعى
فى الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر منهم وعالك لم تباشر للامر
كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا وقيل معناه اى شى منعك من ترك اتباعى حين لم يقبلوا قولك
والحوق بى كى لا تكون من العاصين وقيل المقصود ما منعك بدعايه اياك الى ان لا تتبعنى قراءة ابن كثير
وابو عمرو الا سعى بالوصل بياء ساكنة ويقف ابن كثير بالياء وابو عمرو بياء وروى قالون عن نافع
مثل ابى عمرو والباقون بغير ياء فى الوصل والوقف افعصيت امرى قال هارون يا بنؤم لا تاخذ

من الذين افتتنوا هذا اى هذا العجل الهكم واله موسى وقالوا اى ضل عن ربه وهو ص

بغير ص

وعنه كان هارون اخاه لابيه وامه ولكن اراد بقوله يا بن ام ان يرفقه ويستعطفه فيتركه وقيل
كان اخاه لامه دون ابيه وقيل لان كون الولد من الام على التحقيق ومن الاب من جهة الحكم لا تاخذ
بلحيتى ولا برأسى اذ هما عضوان يقصد ان لا كرام من بين سائر الاعضاء وكان موسى صلوات الله
وسلامه عليه مجبولا على الحدة والتصلب فى كل ما يتعلق بالدين شديد الغضب لله ولدينه فلما رآه
حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما ادركه من الايات العظام القى الالواح لما غلب
ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله سبحانه واستنكافا وحميه وعنف باخيه وخليفته على قومه
وقال هرون انى خشيت ان فارقتهم لحق فرق وتبع السامرى على عبادة العجل فرق وتوقف فريق
ولم آمن عقابهم فتقول لى فرقت بين بنى اسرايل واوقعت الفرقة بينهم ولم ترقب قولى ولم تحفظ
وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح قوله تعالى قال فما خطبك يا سامرى
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى
ثم اقبل موسى عليه السلام على السامرى قال موسى للسامرى فما خطبك اى فما امرك وشانك الذى
دعاك وحملك على ما صنعت والخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا
ما خطبك معناه ما طالبك له قال السامرى بجيب الموسى بصرت بما لم يبصروا اى رايت ما لم يروا
وعرف ما لم يعرفوا وفطنت ما لم يفطنوا له قراءة حمزة والكسائى تبصروا بالتاء على الخطاب للجميع
والباقون بالياء اى بما لم يبصر بنو اسرايل فعال له موسى وما ذاك قال رايت جبريل على فرس فالقى فى
نفسى انه اقتبض من اثرها فقبضت قبضة هى مرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية
المفعول بالمصدر كضرب الامير وهى جميع الكف من اثر فرس الرسول اى جبريل وانما سماه الرسول
دون جبريل ودون روح القدس لانه حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل
بخيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامرى فعال انه لهذا شانا فقبض القبضة من تربة
موطيه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول المعاد ولعله
لم يعرف انه جبريل فنبذتها فقذفتها فى العجل قراءة ابو عمرو وحمزة والكسائى فنبذتها بالادغام والباقون
بغير ادغام وكذلك وكما حدثتك سولت لى نفسى اى زينته نفسى وحسنته وعلمت تلقائى نفسى
من غير ان دعانى الى ذلك داع وقيل معناه اطمعتنى نفسى وانقلابه حيوانا والسول ما يتمناه الانسان
وقيل ناقض فى جوابه لانه قال بصرت بما لم يبصروا فادعى العلم ثم قال سولت لى نفسى فنسبه الى حديث
النفس وليس كذلك لاختلاف المحل قوله تعالى قال فاذهب فان لك فى الحياة
ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه
ثم لننسفنه فى اليم نسفا ثم قال موسى للسامرى فاذهب من بيننا فان لك فى الحياة اى ما دمت

عن سوء ادب ص

حيًّا ان تقول لا مساس اى لا امس ولا امس مصدر ماسه يماسه مماسة ومساسًا عاقبه
الله فى الدنيا بعقوبة لا شئ اشد واوحش منها وذلك لانه منع من مخالطة الناس منعا كليًّا وحرم
عليهم ملاقاته ومكالمته ومتابعته ومواجهته وكل ما يعاش به الناس بعضهم بعضًا واذا اتفق ان
يماس احدًا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد
فى الناس اوحش من القاتل اللاجى الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية وعن قتادة ان بقاياهم اليوم
يقولون لا مساس ويقال ان موسى هم بقتله فقال الله عز وجل لا تقتله فانه سخى وقال موسى له وان لك
يا سامرى موعدًا لعذابك يوم القيمة لن تخلفه اى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد
ينجزك فى الاخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فانت ممن خسر فى الدنيا والاخرة هلك هو الخسران المبين
قرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام بمعنى ان تغيب عنه بل توافيه والباقون بفتح اللام بمعنى لن يخلفه الله
وانظر الى الهك بزعمك والى معبودك الذى ظلت دمت عليه ظلت وظللت وظللت وهو الاصل فحذفوا
اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل عاكفا مقيما تعبده لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه
لنذرينه والنسف التذرية فى اليم جاء فى التفسير ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه الدم
لانه كان قد صار لحما ودما ثم احرقه بالنار ثم ذراه فى اليم **قوله تعالى** انما الهكم الله
الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما ثم اخبرهم موسى عن الههم فقال انما الهكم الله الذى لا اله
الا هو اى هو الذى يستحق العبادة لا العجل وسع فاعله ضمير يرجع الى الله كل شئ مفعوله علما
انتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل **قوله تعالى** كذلك نقص عليك من انباء ما قد
سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا ه الكاف فى كذلك
منصوب المحل وذلك اشارة الى الاقتصاص او الى ما يقص وهذا موعد من الله تعالى اى مثل ذلك
الاقتصاص او مثل ما قصصنا عليك من ساير اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك
وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة ويتاكد الحجة على من
عاند وكابر وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى القران من عندنا لا من عند نفسك والتنكير فى ذلك
للتعظيم والمعنى ان هذا الذكر الذى اتيناك اى القران مشتملا هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة
بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيمة وزرا عقابا عظيما يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الناهضة سماها وزرا تشبيها
فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يقدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها
جزاء الوزر وهو الاثم **قوله تعالى** خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا ه
خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى اعرض وما بعده

بلغ

للحمل

للحمل على اللفظ فيه اى فى ذلك الوزر اى فى احتماله ساء فى حكم بئس والضمير الذى فيه يجب ان يكون مبهما
يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء وزرا حملهم كما حذف
فى قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا
واللام فى قوله لهم للبيان كما فى هيت لك **قوله تعالى** يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما قرا ابو عمرو بفتح النون والباقون بالياء على ما لم يسم فاعله ونحشر المجرمين اى
المشركين يومئذ زرقا زرقة العين وسواد الوجه من علامات اهل النار ورزقتها ان يضرب
الحدقة الى خضرة والعرب تتشاءم برزقة العين والزرقة ابغض شئ من الوان العيون الى العرب
لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين وقيل تصير اعينهم من العطش زرقا وكذلك تصير العين فى شدة العطش وقيل زرقا
عميا لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون بينهم ان لبثتم فى الدنيا وقيل فى القبور
الا عشر ليال وقيل لما يملا صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون
من الشدايد التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام
السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء واما
لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم
فى الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تفاؤلا منهم فى قولهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا
وقيل اجودهم عملا وقيل اعلمهم عند نفسه بما يقول وقيل اوفاهم عقلا واصوبهم رايا ان لبثتم الا
يوما قصر ذلك فى اعينهم فى جنب ما يستقبلهم من اهوال يوم القيمة **قوله تعالى**
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا ه عن ابن عباس ان رجالا من ثقيف اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
كيف تكون الجبال فنزلت هذه الاية ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا يقلعها من
اماكنها ويذرها فى البحار وقيل يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الريح فيفرقها كما يذرى الطعام على الريح
وهو ينسفها من النشور فيذرها اى فيدع مقارها واماكنها من الارض اذا نسفها قاعا مستويا
يعلوه الماء صفصفا لا نبت وقيل القاع الذى يعلوه الماء والصفصاف المستوى كانها من استوائها
على صفة واحدة وقيل القاع المنكشفة والصفصف التى لا اثر للجبال فيها قيل يجوز ان يجعل
الضمير للارض وان لم يجر ذكرها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قيل ما العلة الجالبة للفاء التى
فى قوله فقل خلافها لاخواتها فى القران فالجواب ان تلك اسولة تقدمت سالوا عنها رسول الله صلى الله

يوم ينفخ م

عليه وسلم فجاء الجواب عقيب السؤال وهذا سؤال لم يسألوه بعد وقد علم الله تعالى انهم سيلونه
عنه فاجاب قبل السؤال والمعنى وان تسألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا لا ترى فيها عوجا
قال صاحب الكشاف فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
والارض فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف
الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض
فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء الفلاحة واتفقتم على ان لا يبقى فيها
اعوجاج قط ثم استطلعت راي المهندسين فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله تعالى
ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك الا بالقياس الذي يوفيه صاحب التقدير
والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس الحق بالمعاني فقيل فيه
عوج بالكسر والامتناسب ايقال مذ حبلك حتى ما فيه امت عن ابن عباس العوج الاودية والامت
الروابي وعن مجاهد العوج الانخفاض والامت الارتفاع وقيل الامت الشقوق في الارض

قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا ۝ يومئذ اصاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ انسفت الجبال
اي يوم اذا انسفت الجبال قبل ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة يوميذ يتبعون الداعي
اي داعي الله الذي يدعوهم الى موقف القيمة وهو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس
فياتون من كل ذوب الى صوته لا يعدلون لا عوج له اي لدعائه وقيل لا عوج لهم عن دعائه لا يزيغون
عنه بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لدعائه وخشعت الاصوات اي خشعت الاصوات
من شدة الفزع وخفيت للرحمن وصفت الاصوات بالخشوع والمعنى لاهلها فلا تسمع الا همسا
ذكرا خفيا وقيل همس الاقدام ما خفي ما يكون من صوت القدم **قوله تعالى** يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ۝ اي يومئذ لا تنفع الشفاعة احدا
الا من اذن الرحمن ان يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة فيكون الا استثناء مفرغا ومن منصوب
المحل لانه قايم مقام مفعول تنفع وقيل يجوز ان يكون في محل الرفع على البدل من الشفاعة بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الشافع الرحمن ان يشفع فيه ورضي له قولا
اي اذن له ورضي لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله عن ابن عباس يعني قول لا اله الا الله
وهذا يدل على انه لا تشفع لغير المومنين قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما يعلم
ما بين ايدي الذين يتبعون الداعي وما خلفهم ولا يحيطون به علما يعلم ما بين ايدي الذين يتبعون الداعي

وما خلفهم

وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل ولا يحيطون بما بين ايديهم علما وقيل ولا يحيطون بالله علما

قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ۝ وعنت ذلت
وخضعت واستسلمت الوجوه اي وجوه الناس ولا وجه لتخصيصها بالعصاة قال تعالى ان كل من
في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وقد خاب من حمل ظلما عن ابن عباس وقد خسر من اشرك وقد
خاب **قوله تعالى** ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن يعمل
من الصالحات من للجنس اي ومن يعمل الصالحات وهو مومن لان غير المومن لا يقبل عمله ولا يكون
صالحا فلا يخاف قرا ابن كثير فلا يحف على النهي والباقون فلا يخاف على الخبر ظلما لانه لا يزاد في
سياته ولا هضما ولا ينقص من حسناته واصل الهضم الكسر والمعنى لا يظلم بحمل ذنوب غيره عليه ولا يهضم
بنقصان الجزاء ومن رفع فلا يخاف جعل تقديره فلا يخاف ومن جزم جعله نهيا والفاء جواب الشرط
قوله تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
او يحدث لهم ذكرا ۝ وكذلك عطف على كذلك نقص اي وكما انزلنا عليك هاولا الايات
المضمنة للوعد والوعيد انزلنا القراءة كلها على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون لكونه سببا لاتقائهم الشرك بالاتعاظ لما سلف او يحدث لهم القراءة وقيل
الوعيد ذكر اعظة وعبرة فيتذكروا به عقاب الامم فيعتبروا **قوله تعالى**
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقراءة من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما
۝ لما عظم امر القراءة اردفه بما هو اعظم نفسه فتعالى الله اي جل عن الحاد الملحدين
وعما يقول المشركون في صفات الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره
ونواهيه وثوابه وعقابه ولما ذكر القراءة وانزاله قال على سبيل الاستطراد ولا تعجل بالقراءة
على مجاهد وقتادة ولا تتلها على اصحابك ولا تملها عليهم حتى يتبين لك معانيه نهى عن تلاوة الاية
التي تنزل عليه واملائه على اصحابه قبل بيان معناه وهذه رواية العوفي عن ابن عباس وروى
ابو صالح عن ابن عباس ان جبريل كان اذا نزل بالوحي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالجه
مع جبريل ولا يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باوله
حرصا منه على ما كان ينزل عليه ومخافة ان ينساها فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال ولا تعجل
بالقراءة اي بقراءة القراءة من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبريل من تلاوته
عليك اي اذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القراءة فتاني عليك ريثما يفرغ ثم اقبل
عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته وقيل ولا تبلغ منه ما كان مجملا حتى
ياتيك البيان وقل رب زدني علما سل الله ان يزيدك علما الى علمك بوحيه اليك وقيل رب

ردني علما ادبا في دينك وقيل ردني علما بقصص انبيائك وقيل زدني حفظا حتى لا انسى ما اوحي
الي **قوله تعالى** ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قيل لما
قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم انه عظم امر القران وبالغ فيه ذكر هذه القصة
انجازا للوعد في قوله كذلك نقص عليك ولقد عهدنا يقال في اوامر الملوك ووصاياهم واوعز اليه
وعزم اليه وعهد اليه عطف الله قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد يقول الله تعالى
وان صنع هؤلاء الذين صرفنا لهم في القران الوعيد عهدي وخالفوا امري وتركوا طاعتي فقديما
فعل ذلك ابوهم آدم والمعنى واقسم قسما لقد عهدنا الى ادم اي امرناه واوصينا اليه ان لا يقرب الشجرة
وتوعدناه بدخوله في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجود هؤلاء الذين نقضوا عهدي
وتركوا الايمان ومن قبل ان يتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفته ولم يلتفت
الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فنسي العهد اي
لم يذكر العهد ولم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس
حتى تولد من ذلك النسيان وقيل فنسي اي فترك ما وصينا به من الاحتراز عن الشجرة واكل ثمرتها ولم
نجد له عزما عن ابن عباس ولم نجد له حفظا لما امر به وعن قتادة ومقاتل ولم نجد له صبرا وقيل ولم
نجد له عزما محافظة على امر الله وتمسكا به وقيل ولم نجد له عزما في العود الى الذنب ثانيا ولم نجد له
عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وقيل ولم نجد من اهل عزيمة والثبات قيل لو وزنت احلام
بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما ولا يصح ان يطلق نفي العزم عنه بل يقيد
فيقال لم يكن له عزم في التحفظ عن مكايدة ابليس وقيل لم نجد له التصميم والمضي على ترك الاكل وان
يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له قيل يجوز ان يكون الوجود بقبض العلم كانه
قال وعزمنا له عزما **قوله تعالى** واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اذ منصوب
بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته له الاكل من الشجرة وطاعته له
بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من
اولي العزم والثبات قوله واذ قلنا الى قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى تقدم تفسيره فلا يخرجنكما
فلا يكون سببا لاخراجكما فتشقى وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حوا بعد اشراكهما في
الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاؤهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر
الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة وقيل اراد بالشقاء التعب في طلب القوت
وهو معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه **قوله تعالى** ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى

تقدم الملك الى فلان

وانك

وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى قرأ نافع وابو بكر عن عاصم وانك بكسر الالف على الاستيناف
والباقون بفتح الالف عطفا على قوله الا تجوع فيها لا تظمأ لا تعطش ولا تبرز للشمس فيؤذيك حرها
وقيل لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب
التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره اجتماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف
ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لتقابضها التي هي الجوع
والعري والظماء والضحى ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى
السبب الموقع فيها كراهة لها **قوله تعالى** فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى على شجرة الخلد يعني على شجرة ان اكلت منها
بقيت خالدا مخلدا اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه وملك
لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى **قوله تعالى** فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى فضل طريق الخلود حيث اراده
من قبل المعصية وقيل فغوى فسد عليه عيشه لان معنى الغي الفساد **قوله تعالى**
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ثم اجتباه ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى اي هداه
الى التوبة ووفقه لها **قوله تعالى** قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما
يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ه قال اهبطا قيل ادم وحوا ولما كانا اصلي
البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم
فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب
وذريتهما وقيل كان اهبط ابليس قبلهما والمعنى اهبطا جميعا ثم انتما وابليس وقيل الحية بعضكم
لبعض عدو فاما يأتينكم مني خطاب لادم وحوا وذريتهما وقيل وابليس ايضا مخاطب والاول
الوجه مني هدى كتاب وشريعة ورسول فمن اتبع هداي كتابي ورسولي فلا يضل ولا يشقى عن ابن
عباس رضي الله عنه لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم قرأ هذه الاية
والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله
وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجى من الضلال ومن عقابه **قوله تعالى** ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا ه ومن اعرض عن ذكري عن القران والهدى فلم يؤمن به ولم يتبعه
فان له معيشة ضنكا ضيقا غير موسع يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه المذكر
والمؤنث والواحد والاثنان والجمع لانه مصدر يستوي في الوصف به جميعها ومعنى ذلك

ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه يفق ما رزقه بسماح وسهولة
فيعيش واسعا رافها كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى
لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك
وحاله مظلمة وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان
له معيشة ضنكا قال عذاب القبر وعن ابن عباس الشقاء وعن مجاهد الضيق وعن الحسن الزقوم
والغسلين والضريع وعن قتادة يعنى فى النار وعن عكرمة الحرام وعن قيس بن ابى حازم الدرق فى
المعصية عن الضحاك الكسب الخبيث ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى قرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ووقف على عاصم لم حشرتنى اعمى بفتح الميم وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم بكسرهما
وعن نافع بين الكسر والفتح قيل اعمى عن الحجة اى لا حجة له يهتدى بها لانه ليس للناس على الله حجة
بعد الرسل وقيل اعمى البصر عن ابن عباس اذا اخرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمى وقيل اعمى
عن كل شئ الا عن جهنم قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا فى الدنيا **قوله تعالى**
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بايات ربه
ولعذاب الاخرة اشد وابقى قال الله وحوابه كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله اتتك اياتنا
واضحة مستنيرة فنسيتها فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها ولم تؤمن بها وكذلك اليوم تنسى
اى وكذلك اليوم تنسى تترك على عماك ولا يزال العفى عن عينيك اى وكما تركتها فى الدنيا تترك اليوم
فى النار وكذلك اى وكما جزينا من اعرض عن ذكرنا من اسرف اشرك ولم يؤمن بايات ربه ولما توعد المعرض عن ذكره
بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره اعمى فى الاخرة والمسرف المشرك بجزاه مثل ذلك ختم ايات
الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال ولعذاب الاخرة الذى هو تركنا اياه فى العمى اشد وابقى
من تركه اياتنا **قوله تعالى** افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم
ان فى ذلك لايات لاولى النهى فاعل يهد مضمون الجملة التى هى بعد نظيره قوله تعالى وتركنا عليه
فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين اى تركنا عليه مضمون هذا الكلام اى فلم يهد لكفار مكة اذا نظروا
اهلاك القرون الذين قبلهم يمشون اى اهل مكة فى مساكن القرون الذين قبل اهل مكة وكان اهل مكة
يتجرون يمشى فى مساكن عاد وثمود ويرون اثار اهلاكهم فيها ان فى ذلك لايات لاولى النهى **قوله تعالى**
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى اى ولولا كلمة سبقت من ربك
فى تاخير العذاب عن كفار مكة الى يوم القيمة وقيل الى انقضاء اجالهم وقيل الى يوم بدر لكان العذاب
لزاما لازما لهم والزام يحوز ان يكون مصدرا وصف به ويحوز ان يكون فعالا بمعنى مفعل اى ملزما

نجزى ص

كانه

كانه الله للزوم لفوط لزومه واجل مسمى قيل هو عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى لهم لا يستقدمونه
ولا يستاخرون لكان العذاب لازما لهم كما كان لازما لاهل مكة لعاد وثمود وقيل يحوز ان يكون لاهل مكة ص
عطفا على الضمير المستتر فى كان اى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان العذاب واجل مسمى لازما لهم
كعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون العذاب العاجل فاصبر يا محمد امر الله تعالى نبيه بالصبر
على ما يقول اهل مكة ويسمع من اذاهم الى ان يحكم الله فيهم ثم حكم الله فيهم بالقتال قيل نسخت اية
السيف الامر بالصبر وسبح بحمد ربك فى موضع الحال اى وسبح وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح
واعانك عليه قيل وسبح على ظاهره وقيل وسبح معناه وصل قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على
الفعل اخرا قبل طلوع الشمس يعنى صلوة الصبح وقبل غروبها صلوة العصر وقيل يعنى الظهر والعصر لانهما
واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن اناء الليل اى ساعات الليل
فسبح فصل العشا وقبل المغرب والعشا وقيل جوف الليل وقيل اول الليل واوسطه واخره واطراف
النهار وقيل هما طرفاه فخرج الجمع كقوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قيل المراد بهذه
الصلاة المظهر اطراف النهار لان منها عند الزوال فهو طرف النصف الاول وطرف النصف
الثانى وقيل انها صلاة المغرب وصلاة الصبح لانه الصبح فى ابتدا الطرف الاول والمغرب عند
انتهاء الطرف الثانى وقيل انها الفجر والظهر والعصر فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الاول والظهر
والعصر من الطرف الثانى وهذه الاقوال الثلثة على تقدير ان يكون المراد بالاطراف الطرفين
وقيل اطراف النهار صلاة الظهر والعصر والمغرب وانما قال اطراف النهار ولما بقى الا صلاتين
لانه صلوة الظهر فى آخر الطرف الاول من النهار وفى اول الطرف الاخر من النهار وفى طرفين منه
والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قال اطراف النهار واطراف
منصوب على انه عطف على قوله قبل طلوع الشمس قبل ومن اناء الليل اى وتعهدا ناء الليل واطراف
النهار مختصا لها بصلواتكم وذلك لان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوا لرجل
والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هى اشد وطاء واقوم قيلا وقال امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على
النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل فى معنى التكليف وافضل عند الله عز
وجل وقد يتاول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر
على التكرار وارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
عند بعض المفسرين لعلك ترضى قراء الكسائى وابو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء اى يرضيك
ربك والباقون بالفتح اى لعلك ترضى ثواب الله الذى يعطيك اى اذكر الله فى هذه الاوقات

طمعًا ورجاء ان ينال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك **قوله تعالى**
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق
ربك خير وابقى ۵ سبب نزولها ما روى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل
ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني وارسلني الى رجل من اليهود يبيع طعامًا فقال له
قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب
فاتيته فقلت له ذلك فقال اليهودي والله ما ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في
الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الدنيا ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله ولا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه
واعجابا به وتمنيا بان يكون له كما فعل نظارة قارون قيل قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه
ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان
النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه
عينه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وصار به ولقد شدد العلما من اهل
التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك
لانهم انما اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم
على اتخاذها الى ما متعنا به اي اعطيناهم اصنافا من نعم الدنيا وقيل ازواجا منهم اي اصنافا
وهم الرجال والنساء وقيل ازواجا منهم اشكالا منهم لانه اشكال في الذهاب عن الصواب وقيل
ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب ازواجا حالا من هاء الضمير ومتعنا واقع
على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا قيل هو
منصوب على الذم وهو النصب على الاختصاص وقيل انتصب على انه بدل من محل الجار والمجرور
اي به وقيل انتصب على ابداله من ازواج على تقدير ذوي زهرة الحياة الدنيا بهجتها وغضارتها
وما يرون الناظر منها عند رؤيته وهو من زهرة النبات وحسنه لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك
فتنة لهم وقيل لنختبرهم يعني لنعامل معهم معاملة المختبر ورزق ربك في الجنة خير وابقى **قوله
تعالى** وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى ۵ وامر اهلك بالصلاة قيل امتك وقيل اهل بيتك واصطبر عليها اي داوم عليها
ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة لا نسالك رزقا لنفسك ولخلقنا انما نامرك بالصلوة والصبر

ازواجا منهم

عليها

عليها نحن نرزقك والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى عن هشام بن عروة
كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقرأ ولا تمدن عينيك الى قوله والعاقبة للتقوى
ثم ينادي الصلوة والصلاة يرحمكم الله وقال مالك ابن دينار كان بكر بن عبد الله المزني اذا
اصاب اهله خصاصة يقول قوموا فصلوا ثم يقول بهذا امر الله رسوله عليه الصلاة والسلام
ويتلوا هذه الاية **قوله تعالى** وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة
ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي
ومن اهتدى وقالوا اي المشركون لولا اي هلا يأتينا محمد باية من ربه كايات الانبيا نحو الناقة
والعصا في التعنت اية على النبوة اولم يأتهم قرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم تأتهم بالتاء
والباقون بالياء بينة ما في الصحف الاولى اي اولم يأتهم في القران بيان ما في الكتاب من اخبار
الامم التي اهلكناها لما سالوا الايات ثم كفروا بها فما يؤمنهم ان يكون حالهم في السؤال
كحال اوليك وقيل اولم تأتهم اية هي امر الايات واعظمها في باب الاعجاز اي القران من قبل ان القران
بينة ما في ساير الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى
شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها
في معنى البيان والبرهان والدليل ولو انا اهلكناهم اي مشركي مكة بعذاب من قبل نزول القران
ومجي محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى عبادتك فنتبع
اياتك ونعمل بمقتضاها من قبل ان نذل بالعذاب ونخزى بدخول النار قل يا محمد كل منا ومنكم
متربص منتظر فنحن نتربص بكم العذاب في الدنيا وانتم تتربصون بنا الدوائر فتربصوا اي فانتظروا
فستعلمون اذا جاء امر الله وقامت القيامة من اصحاب الصراط السوي المستقيم ومن
اهتدى من الضلالة نحن ام انتم

اقترحوا على عادتهم م

سورة الانبيا مكية

وهي مائة واثنتي عشرة اية واربعة الاف وثمان مائة وتسعون حرفا كلماتها الف كلمة
ومائة كلمة وستون كلمة عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه
في القران ۵ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون هذه الاية نزلت في كفار مكة قيل اللام في للناس
صلة لاقترب كقوله ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل القوم ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف

للحي رحيلهم كذلك الاصل اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس
حسابهم وقيل تاكيد لاضافة الحساب اليهم كقولهم لا ابا لك لان اللام موكدة بمعنى الاضافة
لان اللام موكدة لمعنى الاضافة واقترب افتعل من القرب يقال قرب الشي واقترب افتعل من القرب
يقال قرب الشي واقترب والمراد اقتربت الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها
من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق والمعنى اقترب محاسبة الله
على اعمالهم وقيل اقترابه معناه انه آت وكل آت قريب وقيل لان الزمان اكثره ما مضى وما بقي قليل
فاقترابه بهذا الاقتراب قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الطاعة اي حين ابتدات
واقبلت اوايلها وعن بن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على
بعض افراده للدليل القايم وما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض وهم في غفلة
معرضون على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتعظون لما ترجع اليه
خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد للمحسن والمسيء جزاء **قوله تعالى** وما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا
هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون بين الله تعالى غفلتهم واعراضهم بقوله ما ياتيهم
من ذكر قيل طايفة من القران فعلى هذا يكون المراد من قوله محدث اي محدث انزاله لانه ياتيهم وينزل
اليهم شيا بعد شي وقيل ذكر من الاذكار وليس بالقران اي ذكر من رسول الله وقوله من ربهم لا ينافي
كونه من رسول الله لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله في سياق الاية هل هذا الا بشر مثلكم والحاصل انه تعالى يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا
وينزل لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على سمعهم البينة والموعظة الحسنة ليتعظوا
فما يزيدهم استماع الذكر المشتمل على فنون المواعظ والبصاير التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا ولهوا واستهزا
الا استمعوه وهم يلعبون عن بن عباس يستمعون القران مستهزين لاهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله
من قول العرب لهيت عن الشي تركته وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان قيل
واللاهية من ناى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى بطنهم كانهم لم يفطنوا اصلا
وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم واسروا النجوى اي النجوى اسم من التناجي
لا يكون الا خفية فمعنى اسروا النجوى اي النجوى اسم من التناجي لا يكون الا خفية فمعنى اسروا النجوى
بالغوا في اخفايها وجعلوها بحيث لا يفطن احدهم لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون الذين ظلموا بدل
من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به وعن الفرا انهم ظلموا في محل الخفض على انه
تابع للناس في قوله اقترب للناس وعن الكساي تقديم وتاخير ارادوا الذين ظلموا اسروا النجوى وقيل منصوب

المحل على

المحل على الذم وقيل هو مبتدا وقيل مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهاولاء اسروا النجوى
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث
قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم قال الشاعر ه حال النضال دون المساعي فاهتدين البنال
للاعراض ه هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب
بدلا من النجوى اي واسروا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا هل هذا الا بشر مثلكم
وليس بملك فليس بنبي اعتقدوا ان النبي ينبغي ان يكون ملكا افتاتون السحر اي افتقبلون
السحر وانتم تعلمون انه سحر وليس بمعجزة يعنون انه متابعة محمد متابعة السحر وانما اسروا هذا
الحديث وبالغوا في اخفائه لان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتجاوز في طلب الطريق الى هدم
امر النبي صلى الله عليه وسلم وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان
لا يشركوا اعداهم في شوراهم ويسعوا غاية السعي في اخفاء سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه
قول الناس استعينوا على حوايجكم بالكتمان قيل يجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كان ما توعدونه حقا ه **قوله تعالى** قل ربي
يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم قراء حمزة والكساي وحفص عن عاصم
قال ربي على الخبر عن النبي اي قال النبي صلى الله عليه وسلم ربي يعلم القول والباقون قل على الامر اي قل
يا محمد ربي يعلم القول اي لا يخفى على ربي شي يقال في السماء والارض قال صاحب الكشاف فان قلت هلا
قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر وكان في العلم به العلم بالسر
وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر كما ان قوله
اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك وهو السميع العليم بالسر فلا يخفى عليه خافية في السماء ولا
في الارض **قوله تعالى** ه بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا
باية كما ارسل الاولون ه بل تاتي الاضراب عما قبله والاثبات عما بعده والمشركون اضربوا عن قولهم
ان القران سحر الى ان قالوا انه اضغاث تخاليط احلام واباطيلها واشيا مختلفة راها في المنام ثم
اضربوا عن قولهم اضغاث احلام الى قولهم افتريه اي اختلقه من عنده واضافه الى الله ثم اضربوا
عن قولهم افتراه الى قولهم هو شاعر كساير الشعرا تفرد منه وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير
رجاع غير ثابت على قول واحد وقيل المشركون اقتسموا الكلام في القران اربعة اقسام فقال
بعضهم هو سحر وقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو افتريه محمد وقال بعضهم بل هو محمد
شاعر قيل ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني
افسد من الاول والثالث افسد من الثاني والرابع افسد من الثالث ثم قالوا ان كان محمد صادقا

فاخبرونا بما اسررناه صح

كشاف

في دعواه انه نبي فليأتنا باية بمعجزة ظاهرة كما ارسل الاولون من الرسل بالايات كما ارسل
موسى بالعصا واليد البيضاء وعيسى بابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى صحة التشبيه في قوله
كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان
بالايات فلا فرق بين ان يقال ارسل محمد وبين ان يقال اتى محمد بالمعجزة **قوله تعالى**
ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبل مشركي
مكة من قرية من اهل قرية اتتها الايات اهلكناها اي اهلكنا اهلها والمعنى ان الامم التي اهلكناهم
بتكذيب الايات لم يؤمنوا بالايات لما اتتهم فكيف يؤمن هؤلاء وهذا اشارة الى ان الاية لا
تكون سببا للايمان الا ان يشاء الله وقيل ما امنت قبلهم من قرية من القرى المهلكة بما اقترحوا
من الايات لما جاءت لانهم لما طلبوا الايات تعنتا افهم يؤمنون استفهام على سبيل الانكار اي فلا
تاتيهم الاية اذ قضينا في السابق ان لا نعذب امة محمد صلى الله عليه وسلم بالاستيصال
قيل ان مشركي مكة اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما
جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم لكانوا انكث **قوله تعالى**
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون هذا جواب
لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم امر الله تعالى مشركي مكة ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على
اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى**
وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم
ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم فيه ذكركم افلا تعقلون قيل يحتمل ان يقولوا
انه بشر مثلنا يعيش ويموت كما نعيش ويموت كما نموت وقيل يحتمل ان يقولوا هلا كان ملكا لا
يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم
الممتد خلودا فهذا رد لقولهم وما جعلناهم اي الرسل الاولين جسدا ذوي جسد غير طاعمين ووحد
الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد اي لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا
ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا والمعنى هم من جميع الوجوه كسائر بني ادم ياكلون الطعام
وما كانوا خالدين الا في رتبة النبوة وشرف المنزلة والايحاء اليهم ثم صدقناهم الوعد اي الوعد
الذي وعدناهم بانجائهم واهلاك مكذبيهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه فان الاصل
من قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكرة فانجيناهم اي انجزنا وعدنا فانجينا الانبياء
ومن نشاء اي الذين صدقوا الانبياء ينبه على ان انجاءهم بمقتضى المشية لا بسبب تصديقهم

كتابا م

واهلكنا

واهلكنا المسرفين اي المشركين وهذا تخويف لاهل مكة ثم ذكر منته عليهم بانزال القران
فقال لقد انزلنا اليكم يا اهل مكة كتابا فيه ذكركم قيل فيه شرفكم ومنزلتكم وصيتكم كما قال وانه لذكر
لك ولقومك وقيل فيه ذكر دينكم ودنياكم اي ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم وقيل فيه تذكركم
ووعظكم وقيل ما يتذكر به من مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار
والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك افلا تعقلون ما صلبكم به
على غيره **قوله تعالى** وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين
فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم
تسالون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين
ثم خوفهم وقال وكم قصمنا معناه وكم اهلكنا والقصم الكسر هذه الاية واردة على غضب شديد ومنادية
على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزاء بخلاف الفصم من قرية تدل
على ذلك وصفها بالظلم وانشانا واحدثنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما
وانشانا قوما اخرين فلما احسوا اي اهل القرية اي ادركوا بحواسهم شدة عذابنا ومشاهدة لم يشكوا
فيها اذا هم منها من القرية يركضون يخرجون مسرعين وقيل يهربون سراعا وقيل يركضون على ارجلهم
فارين والركض ضرب الدابة بالرجل منه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها
هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب يجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم
بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لا تركضوا والقول محذوف والقائل يحتمل ان يكون بعض الملائكة
او من ثم من المؤمنين او يجعلون خلفاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل وقيل يجوز ان يقوله رب العزة
وتسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم اي قيل لهم لا تركضوا
فان هربكم لا ينفعكم وسعيكم لا يغنيكم من القدر وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافة
الرافة والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه التلذذ بالنعمة ومساكنكم لعلكم
تسالون تهكم به وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسالون غدا عما جرى عليكم ونزل
باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة وقيل ارجعوا واجلسوا في مجالسكم
وتزينوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم
ما تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين وقيل حتى يسالكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون
بارائكم وقيل يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف
معروفكم واياديكم واما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا

كما كنتم م

بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ ثم قالوا عند ذلك يا ويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا
حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا هذا على سبيل التندم
حين لم ينفعهم الندم ثم قال تعالى فما زالت تلك اشارة الى يا ويلنا دعويهم كانه قيل فما زالت تلك
الدعوى دعوتهم يدعون بها ويردونها حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل خامدين
ميتين والضمير المنصوب في جعلناهم هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده وهما حصيدا خامدين
كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل
اجيب بانه حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قوله جعلته حلوها حامضا جعلته جامعا
للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود **قوله تعالى**
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا من لدنا
ان كنا فاعلين ٥ لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه
ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما من اصناف البدائع وانواع الخلائق
مشحونة بضروب من الغرائب والعجائب لاعبين اي لم نخلق ذلك عبثا انما خلقناهما دلالة
على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقه فيستدلوا على وحدانيتنا وعلمنا وقدرتنا وحكمتنا
فيعلموا ان العبادة لا تصلح الا لنا لنجازي المحسن والمسيء لو اردنا ان نتخذ لهوا قيل ان المشركين
لما قالوا الملائكة بنات الله والالهة بناته نزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى
ابن الله فنزلت هذه الاية واللهو حرف الهم عن النفس بفعل القبيح وقيل اراد باللهو الزوجة ردا على
من قال مريم صاحبته وقيل اللهو بلغة حضرموت الولد رد على من قال عيسى ابنه وقيل رد على المشركين
ما اضافوا الى الله تعالى من الشبه بالاصنام وقيل هو اللهو على ظاهره والمعنى لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه اي اللهو من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل لاتخذناه من عندنا وما
اتخذنا نساء وولدا من اهل الارض وقيل لاتخذناه من لدنا بحيث لا يطلع عليه احد لانه نقص وستر
اولى ان كنا فاعلين اي ان كنا ذلك اتخذناه من لدنا وقيل معناه لو كنا فاعلين وقيل ان نفي اي ما كنا
فاعلين **قوله تعالى** بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم
الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته اي دع ذلك الذي قالوا فانه
باطل نقذف بالحق اي نسلط الحق الذي هو القران على الباطل الذي هو قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه
فيكسره وقيل بالاسلام على الاشراك وقيل بالوعظ على المعاصي وقيل بالحجة على الشبهة وقيل
يدحض بالحق الباطل واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعل الحق
كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف كالدماغ فيدمغه فيكسره ويبلغ ام دماغه

فلا يبقى

فلا يبقى فاذا هو زاهق هالك ذاهب ثم خاطب المشركون فقال ولكم الويل يا معشر الكفار
مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد عن مجاهد مما تكذبون به **قوله تعالى**
وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وله يحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل كانه تقسيم الامر
في نفسه اي يا معشر الكفار لكم الويل مما تصفون وله سبحانه وتعالى من في السموات والارض واللام
في له للملك وقوله من في السموات يعم الملائكة والثقلين وغيرهم ثم خصص من هذا العموم من اراد
تشريفه من الملائكة بقوله ومن عنده لان عند هاهنا ليست في المسافة انما هي تشريف في المنزلة
والمراد انهم منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم
وفضلهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قيل لا يرجعون ولا يملون وقيل لا يعيون
وقيل لا ينقطعون والحسير المنقطع الواقف عيا وكلالا يسبحون الليل والنهار لا يفترون
لا يضعفون عنه وقيل لا يفترون عن ساير الاعمال مما يامرهم **قوله تعالى** بلغ
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت
بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر اتخاذهم الهة من الارض هم ينشرون اي يحيون الموتى
فهذا استفهام بمعنى الجحد اي الاحياء والاماتة بيد الله وقوله من الارض صفة للالهة ومعنى
نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهتين على ضربين ارضية
وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت
الى السماء لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي من الاصنام لا اثبات السماء
مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل
من بعض جواهر الارض والنكتة في قوله هم افادة معنى الخصوص كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر
على الانشار الا هم وحدهم **قوله تعالى** لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله
رب العرش عما يصفون لا يسال عما يفعل وهم يسالون ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا
برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون هذا برهان
التمانع فلنتكلم اولا فيما يتعلق باللفظ من جهة الاعراب ثم نقرر البرهان اما الاول فنقول الا وغير
تتعارضان بالحمل واحد منهما اي يحمل على غير الا في الاستثناء ويحمل الا على غير في الصفة ووجه حمل كل على م
منهما على الاخر يشاركهما في ان كل ما بعد كل منهما مغاير لما قبله لكن وقوع غير موقع الاكثر بخلاف العكس
لان غيرا اسم والتصرف في الاسماء اكثر من التصرف في الحروف ولا يصح حمل الا على غير الا على غير الا اذا
تعذر الاستثناء لضعف استعمال الا صفة فاذا كان الا تابعة لجمع منكور غير محصور تعذر الاستثناء

فحمل الا على غير حينئذٍ وانما قلنا اذا كان الا تابعة لجمع منكر غير محصور تعذر الاستثنا فانك
اذا قلت جاءني رجال الا زيدًا تعذر الاستثنا لانه استثنا متصل وشرطه ان يكون مخرجًا من
المستثنى منه لان شرط الاستثنا ان يدخل المستثنى لو سكت عنه في المستثنى منه وها هنا
لا يدخل زيد في قولك جاءني رجال اذ لا دليل عليه فلم يستقم اخراج زيد منه واذا لم يستقم اخراجه لم يصح
ان يكون استثناء منه فثبت انه يتعذر الاستثنا في مثل هذه الصورة وانما اشترط ان يكون
محصورًا احترازًا من مثل له عندي عشرة الا درهمًا فانه تابع لجمع منكر ولكنه لما كان محصورًا صح
ان يكون محصورًا صح ان يكون استثنا لانه لو سكت عنه لدخل فيه ووجب على المقر عشرة
بخلاف قولك جاءني رجال الا زيدًا ولقائل ان يقول انما يتم ما ذكرتم على مذهب من يقول الاستثنا
اخراج ما لولاه لوجب دخوله في المستثنى منه واما على مذهب من يقول الاستثنا اخراج ما لولاه
لصح دخوله فلا يتم وايضا هذا انما يتم على مذهب من يقول الاستثنا اخراج ما لولاه لوجب الدخول
اذا كان الاستثنا متصلا فاما اذا كان منقطعا فلا يتم ايضًا على مذهبه اذا عرفت هذا فنقول
الا في لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا بمعنى غير لانه تابع لجمع منكور محصور فان الهة جمع منكور
غير محصور فوصف الهة بالا كما يوصف بغير لو قيل الهة غير الله ولا يصح ان يكون الله بدلا من الهة
لان لو بمثابة ان في ان الكلام معه موجب ولا يجوز البدل الا في كلام منفي كقوله تعالى ولا يلتفت
منكم احد الا امراتك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان فيهما اي في السماء
والارض الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وبطلتا وهلك من كان فيهما وفيه دلالة على امرين
احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدًا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا الله اما الامر الاول
فيدل عليه بيانات خطابه وحدانيته وبرهانه اما الاول فلانا نعلم ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما
يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما الثاني فلانه
لو كان في الوجود الهان فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرًا على المقدورات مريدًا الكاينات والا لم
يكن الها فاذا اراد احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه فاما ان يقع مرادهما فيلزم الجمع بين الضدين
او لم يقع مراد واحد منهما فيلزم ان لا يكون الجسم ساكنًا ولا متحركًا وهو محال او يقع مراد احدهما دون
الاخر فيلزم عجز احدهما والعاجز لا يكون الها واما الثالث فانه لو كان في الوجود الاهان لفسدت
السموات والارض لكن ما فسدتا فلا يكون في الوجود الهان بان الاولى ان يستحيل حينئذ وقوع
المقدور لانه لو وقع فاما بهما معًا ولا يكون واحد الها او لكل واحد منهما فيلزم اجتماع فاعلين على
مقدور واحد وهو محال لان على تقدير الترتيب يلزم تحصيل الحاصل او على تقدير الغنية يلزم من وقوعه

بكل منهما

بكل منهما عدم وقوعه بكل منهما ان ياخذهما دون الاخر فيلزم التخصيص بلا مخصص وهو محال او وقع
لا بهذا ولا بذاك وهو محال ايضا لاستحالة وقوع المقدور بلا موجد واما الثاني فلما ثبت ان الله خالق
السموات والارض ثم نزه ذاته عما يصفون فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي رب السموات
والارض وما فوقهما من الكرسي والعرش وهو منزه عما يصفون من الشريك والصاحبة والولد لا يسال
عما يفعله لانه ملكه ما يشاء ولا يقال لم فعلت هذا ولانه فعله متقن واقع على الوجه الذي ينبغي فليس
فيه موضع سؤال واعتراض وقيل لا يسال عما يفعله بعباده اذ ليس احد فوقه ومثله فيساله عن فعله
بعباده والعباد يسألون عن افعالهم لانهم ليسوا مالكين وفي افعالهم خلل وقيل لا يساله الملائكة
وهم يسئلون بقوله اهاولا اياكم كانوا يعبدون وقيل لا يسال سبحانه والذين اتخذوهم الهة كعيسى
والملائكة والاوثان يسئلون روي عن الضحاك ان كفار قريش قالوا يا محمد ربنا يكتب علينا الذنب
ثم يعذبنا عليه قالوه تكذيبا بالقدر فانزل الله لا يسال عما يفعل وهم يسئلون اي لا يسال عن قضايه
وهم يسألون **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كرر قوله ام اتخذوا من دونه الهة
استعظاما لشانهم واستعظاما لاتخاذهم الهة من دون الله اي وصفهم الله تعالى بان له شريكا
قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم على هذا اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من
كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الاضداد والانداد يدعوا اليه والاشراك به منهي عنه
متوعد عليه هذا ذكر من معي اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركا عنه كما ورد علي
فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امتي وذكر للذين من قبلي اي امم الانبيا وقيل
ام اتخذوا من دونه الهة امرهم الله تعالى بعبادتها في كتاب من كتبه قل هاتوا برهانكم على ذلك هذا
ذكر من معي اي هذا القران فيه ذكر امتي وذكر الامم الذين هم قبلي وليس فيه جواز ذلك ولا الامر بعبادة
الاوثان وقيل تقديره هذا ذكر من معي اي القران وهذا ذكر من قبلي اي التورية والانجيل وليس فيها كلها
اباحة ذلك وليس قوله ام اتخذوا بتكرار صرف بل الاول للقياس اي اوجدوا الهة ينشرون الموتى
من الارض فاتخذوهم الهة قياسا والثاني للتقليد اي اوجدوا في كتب الله الامر باتخاذ الهة فاتخذوهم
الهة تقليدا وقيل معنى ذكر من معي خبر من معي وخبر من قبلي فمن نجا فبالايمان ومن هلك فبالشرك
بل اكثرهم لا يعلمون الحق بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين
الحق والباطل فهم معرضون بسبب جهلهم **قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون
وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء هذه الاية مقررة لما سبقها من اي التوحيد **قوله تعالى**

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
قيل نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وقيل نزلت في اليهود حيث قالوا ان الله صاهر
الجن فكانت منهم الملايكة فعلى القولين المراد بالولد الملايكة وكذا بقوله بل عباد مكرمون اي بل هم عباد
مكرمون وليسوا باولاد لان العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي انهم يتبعون قوله
تعالى ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بالقول قولهم فكانت اللام مناب
الاضافة وقيل لا يقولون الا بما يوحى وهم بامره يعملون ولا يعملون عملا ما لم يومروا به **قوله**
تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم اني اله من دونه وذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين يعلم ما بين ايديهم اي
ما عملوا وما خلفهم وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون يوم القيمة في
الدنيا الا لمن ارتضى اي لمن رضي عنهم عن بن عباس رضي الله عنهما هم اهل شهادة ان لا اله الا الله محمد
رسول الله وهم من خشية الله مشفقون خايفون ان يحل بهم عقابه وقيل يخافون ان يشفعوا الا
باذنه وقيل يخافون من التقصير في العبادة من خشيته اضافة المصدر الى المفعول ومن يقل بعد ان
وصف الله تعالى كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية
والاعمال المرضية اوعد بالوعيد الشديد وانذر بالعذاب الاليم من يقل منهم اي من الملايكة قيل
من الملايكة ممن عبدوا من دون الله اني اله من دونه ان كان على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة
علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم
شان التوحيد فذلك القايل نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين وقيل المراد به ابليس
فانه ادعى الالهية لنفسه ووسوس اليهم وهذا قول من قال ان ابليس من الملايكة **قوله تعالى**
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يومنون
اولم قرا بن كثير الم بغير واو بين الالف واللام والباقون اولم بواو مفتوحة بين الالف واللام اي يعلم
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما عن بن عباس وعطا والضحاك وقتادة
كانتا شيا واحدا ملتزقين ففصل الله تعالى بينهما بالهوا عن كعب خلق الله السموات والارض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها وعن مجاهد وابي صالح والسدي كانت السموات
والارض موتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع طباق وعن عكرمة وعطية وبن زيد كانت السما رتقا لا تمطر والارض رتقا
لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع واصل الرتق السد ومنه قيل للمراة التي فرجها ملتحم رتقا وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد

جماعة

جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر
نحو ما فعل في المظهر وانما وحد رتقا وهو نعت السموات لانه مصدر وضع موضع الاسم كالزور
والصوم والفطر والعدل ونحوها وعن ابي عبيدة السموات جمع والارض واحدة فخرجت صفة لفظ
الجمع على لفظة صفة الواحد والعرب تفعل هذا اذا اشركوا بين جمع وبين واحد قال صاحب الكشاف
فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو
معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جايز
في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا قيل متعد
الى واحد والمعنى خلقنا من الماء كل شيء حي اي حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وقيل معناه كانما
خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وقيل
جعلنا متعد الى مفعولين والمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله
صلى الله عليه وسلم ما انا من در ولا الدر مني افلا يومنون مع ظهور الايات **قوله تعالى**
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم قيل كراهة ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم تضطرب وقيل معناه لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما
جاز حذف لا لعدم الالباس في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي
طرقا واسعة واحدها فج الفج الطريق الواسع قال صاحب الكشاف فان قلت في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبيل ولم توخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة
ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدها
اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة لعلهم
يهتدون الى ديارهم واوطانهم وقيل يهتدون بالاعتبار **قوله تعالى** وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وجعلنا السماء سقفا اي هي للارض كالسقف محفوظا
بالامساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل وقيل محفوظا بالشهب عن تسمع كل شيطان
رجيم على سكانها من الملايكة وهم اي الكفار عن اياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم
ومسايرها وطلوعها وغروبها عن الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة
والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار
بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وهم منقطعون لما يرد عليهم من السماء
من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم اي

قيل كراهة ان تميد بهم و م

قوله هذه النصبة النصبة مصدر بمعنى النوع كالركبة والجلسة اي نوع منه طيبي عجيب

الكفار عن اياتها معرضون فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **قوله تعالى** وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اي كل واحد من الطوالع حذف المضاف اليه لعدم الالتباس
في فلك هو مدار النجوم التي يضمها سمي فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل مجاهد كهيئة حديدة الرحا
الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها وقيل الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر فيه وقيل الفلك
السماء الذي فيه ذلك الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه ومعنى قوله قتادة يسبحون يجرون
يسيرون وانما جعل الضمير واوا للعقلاء للوصف بفعل العقلاء اي السباحة قال صاحب الكشاف فان قلت
الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل بنصب
الحال عنهما قلت كما تقول رايت هندا وزيدا متبرجة ونحو ذلك اذا جيت بصفة يختص بها بعض ما تعلق
به العامل ومنه قوله في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وقيل لا محل لها لاستينافها والاولى
ان يقدروا النجوم بعد الشمس والقمر ويجعل ضمير الجمع قرينة على حذفه والتقدير وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم كل في فلك يسبحون فان قلت لكل واحد من القمرين والنجوم فلك على
حدة فكيف قيل جميعهم في فلك يسبحون اجيب بان هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا
اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذه الاجناس فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة
على الجنس **قوله تعالى** وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون نزلت هذه الاية حين قال اهل مكة نتربص به
ريب المنون وكانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر
كذلك فان مت انت ابقى هاؤلا والفاء في قوله فان مت لعطف جملة على جملة والفاء في قوله فهم
الخالدون لجزاء الشرط والف الاستفهام حقه الجزاء ودخل على الشرط لان الاستفهام له صدر الكلام
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم
فتنة ابتلاء لننظر كيف صبركم فيما تكرهون من الفقر والضر والشر وكيف شكركم فيما تحبون من الغنى
والنفع والخير والمعنى نعاملكم معاملة المختبر والينا ترجعون قرا ابن عامر ترجعون بتاء مفتوحة
والباقون بتاء مضمومة ترجعون للحساب والثواب والعقاب **قوله تعالى** واذا
راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق
الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
روي ان ابا جهل وابا سفيان كانا جالسين في جماعة من قريش فاجتاز النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو جهل لابي سفيان انظر الى نبي بني عبد مناف استهزاء فقال ابو سفيان وما ينكر ان يكون نبي بني

عبد مناف

عبد مناف فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل
بعمك الوليد بن المغيرة وقال لابي سفيان انما قلت الذي قلته حمية فانزل الله واذا راك الذين كفروا
يعني المستهزئين ان نافية يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزوا مهزوا به يقول بعضهم لبعض اهذا
الذي يذكر الهتكم الذكر بخير وبخلافه فاذا دلت الحالة على احدهما اطلق ولم يقيد كقول الرجل سمعت
فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
اهذا الذي يذكر الهتكم بسوء ويعيبها وهم بذكر الرحمن اي الكافرون عاكفون بهمهم على ذكر الهتهم
وما يجب الا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء يسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا
منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن كافرون اي يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة اي
مسيلمة وقيل بذكر الرحمن اي بتوحيده وقيل بذكر الرحمن مما انزل عليك من القران وقيل
بذكر الرحمن بشكره وقيل اذا ذكر الرحمن قالوا الاصنام شركاؤه فهم بهذا الرحمن هم كافرون وكررهم
لان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعاد المبتدا وقيل كرر للتاكيد والجملة في موضع الحال اي يتخذونك
هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر بالله خلق الانسان اي ادم من عجل اي خلق ادم
عجولا ولما خلق ادم عجولا وجد في اولاده العجلة وقيل خلق ادم لعجل استعجل قبل غروب الشمس من يوم
الجمعة وهو اخر الايام وقيل خلق الانسان اي النضر بن الحارث وهو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك وقيل اراد بالانسان الجنس قال الزجاج خوطبت العرب بما تعقل والعرب تقول للذي يكثر
منه اللعب انما خلقت من لعب يريدون المبالغة في وصفه بذلك وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والمعنى خلقت العجلة في الانسان ساريكم اياتي اي ما اصاب الامم الذين كانوا قبلكم والمعنى انكم
تسافرون فترون اثار الهلاك في الامم الماضية وقيل انها القتل ببدر فلا تستعجلون بالعذاب
والسؤال عن الايات قيل كانوا يستعجلون عذاب الله او اياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون
متى هذا الوعد نهيهم عن الاستعجال وعن ابن عباس انه اراد بالانسان ادم وانه حين بلغ الروح
صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل العجل الطين بلغة
حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب وقيل
الساعة ووقتها **قوله تعالى** لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون لو يعلم الذين كفروا جوابه محذوف حين مفعول به اي لو يعلم
الذين كفروا الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد لا يكفون
عن وجوههم النار اي لا يقدرون فيه على كف النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم لانها محيطة

بجميع ابدانهم من قدام ومن ورآ فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا هم ينصرون من عذاب
الله لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزآ والاستعجال وقيل لعلموا البعث وقيل لعلموا لصدق
الموعود وقيل ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعديه بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين
وحين منصوب بمضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا
الجهل العظيم **قوله تعالى** بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون بل تاتيهم اى
يكفونها بل تاتيهم الساعة بغتة فجاة فتبهتهم فتحيرهم وتغلبهم يقال للمغلوب فى المحاجة مبهتون
ومنه فبهت الذى كفر اى غلب ابرهيم الذى كفر فلا يستطيعون فلا يقدرون على ردها ولا هم
ينظرون يؤخرون يذكر بانظاره اياهم وامهاله وتفسح وقت التذكر عليهم اى لا يمهلون بعد طول
الامهال ولقد استهزئ يسلى نبيه بهذا عن استهزائهم به بان له فى الانبيا عليهم السلام اسوة
وان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالذين سخروا من الرسل قيل من كانوا به يستهزءون فحل بهم
جزاء استهزائهم وعاد عليهم ما اعادوا بالرسل **قوله تعالى** قل من يكلؤكم بالليل
والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون قل من يكالكم اى يحفظكم يقال كلأه كلأة
اى حفظه بالليل والنهار من الرحمن من بأسه وعذابه ان اتاكم ليلا او نهارا استفهام معناه النفى
بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه وقيل عن مواعظ ربهم معرضون
لا يلتفتون اليها وقيل عن القران لا يتدبرونه **قوله تعالى** ام لهم الهة تمنعهم
من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ثم اضرب عن ذلك بما فى ام
من معنى بل وقال ام لهم الهة تمنعهم من العذاب من دوننا تتجاوز منعنا وحفظنا وها هنا تم
الكلام ثم استانف تعالى لا يستطيعون وصف الهتهم بالعجز فبين انهم لا يستطيعون نصر انفسهم
اى من لا يقدر على نصر نفسه فكيف ينصر غيره ولا هم منا يصحبون عن ابن عباس ولا الكفار ولا هم
منا يصحبون بالنصر والتاييد وقيل ولا هم ولا الاصنام من الله بمصحوبين بالنصر والتاييد فكيف
ينصرون غيرهم وقيل معناه ولا الاصنام منا يجارون اى لا يجيرهم منا احد لان المجير صاحب يجاره
وقيل معناه ولا هم منا يصحبون بخير **قوله تعالى** بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال
عليهم العمر افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون ثم اضرب عن الكلام
الاول واثبت ما يعدل متعنا هؤلاء الكفار واباءهم والمعنى بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما
هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم واباءهم الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما
متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم العمر وامتدت ايام الروح والطمانينة فاغتروا بذلك

فحسبوا

فحسبوا الا يزالوا ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فادح وامل
كاذب افلا يرون انا ناتى الارض ننقص من اطراف الارض بتسليط المشركين على المومنين
عليها واظهارهم على اهلها ونزيد فى اطراف ارض المومنين والفايدة فى قوله انا ناتى الارض تصوير ما
كان الله يجريه على ايدى المومنين وان عساكر الموحدين وسراياهم كانت تغزوا ارض المشركين
وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها افهم الغالبون ام نحن مع هذه الاحوال ونقص الاطراف
اى ليسوا بغالبين بل مغلوبين **قوله تعالى** قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعا
اذا ما ينذرون قل يا محمد للمشركين انما انذركم بالوحى اى القران ما جيت به من تلقاء
نفسى انما امرت فبلغت ولا يسمع الصم الدعا قرا ابن عامر تسمع بضم التاء وكسر الميم ونصب
الصم جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والباقون بفتح الياء والميم ورفع الصم على ان الفعل
لهم شبه الله المشركين بالصم الذين لا يسمعون نداء مناديهم ووجه التشبيه ان هؤلاء
لم ينتفعوا بما سمعوا كالصم لا يفيدهم صوت مناديهم قال صاحب الكشاف اللام فى الصم اشارة
الى هؤلاء المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر
اى المضمر موضع الضمير للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة
من الجراة والجسارة على التصام من ايات الانذار **قوله تعالى** ولئن مستهم
نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ولئن مستهم اصابتهم نفحة
شى يسير من عذاب ربك اى من العذاب الذى ينذرون به لاذعنوا وذلوا ودعوا بالويل على انفسهم
مقرين بانهم كانوا ظالمين على انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات
لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحه الدابة وهو رمح يسير عن ابن عباس طرق قتادة ومقاتل
عقوبة ابن كيسان قليل بن جريج نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله اذا اعطى قسما وحظا
منه وقيل ضربة من قول العرب نفحت الدابة برجلها اذا ضربت بها **قوله تعالى**
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين القسط العدل وصفت الموازين به مبالغة كانها فى انفسها قسط وقيل
على حذف المضاف اى ذوات القسط ليوم القيمة اى لاهل يوم القيمة اى لاجلهم وقيل لجزاء عملهم يوم
القيمة وقيل فى يوم القيمة قيل قوله ونضع الموازين القسط على سبيل التمثيل والمعنى اعتبار الحساب
والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان تظلم نفس شيئا فشبه ذلك بوضع الميزان
لتوزن به الموزونات وقيل توضع الموازين الحقيقة ويوزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له
كفتان ولسان روى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشى عليه

ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي
ملأتها بتمرة والاعمال اعراض قيل يوزن في كفة الحسنات من جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات
جواهر سود مظلمة فلا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص محسن من احسانه ولا يزاد مسيء في اسائته وان
كان مثقال بالرفع بمعنى وان وقع مثقال والباقون بالنصب على معنى وان كان العمل مثقال حبة اي وزن
حبة اتينا بها اي بالمثقال انث ضمير المثقال لاضافته الى المونث كقولهم ذهبت بعض اصابعه
قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون
ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ولقد اتينا
اعطينا موسى وهارون الفرقان قيل التورية التي فرق فيها بين الحلال والحرام وقيل الفرقان البرهان
الذي فرقه بين حق موسى وباطل فرعون وقيل الفرقان الذي فرق بين النصر والنجاة لموسى واهلاك فرعون
وضياء قيل واتيناهما الفرقان ضياء وذكرى للمتقين والمعنى ان الفرقان في نفسه ضياء وذكرا واتيناهما
بما فيه من الشرايع والمواعظ ضياء وذكرا وقيل ان الواو زايدة روى عكرمة عن بن عباس انه كان يرى الواو
زايدة قال الزجاج وكذلك قال بعض النحويين ان المعنى الفرقان ضياء وذكرى موعظة للمتقين وقيل
ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم وقيل معنى قوله وذكرى للمتقين انهم يذكرونه ويعملون بما فيه الذين
يخشون ربهم بالغيب قيل يخافون ربهم ولم يروه وقيل يخشون عذاب ربهم ولم يروه وقيل يخشون ربهم
من حيث لا يراهم احد وقيل يخشون ربهم اذا غابوا عن اعين الناس كخوفهم اذا كانوا بين الناس ومحل
الذين نصب على المدح او جر على الصفة ثم عاد الى ذكر الفرقان فقال وهذا اي القران ذكر لمن تذكر به وعظة
لمن اتعظ مبارك كثير الخير عزيز المنافع افانتم له باهل مكة له للقران منكرون جاحدون وهذا استفهام
توبيخ اي اتنكرون انه من الله وتنسبونه اليه **قوله تعالى** ولقد اتينا ابرهيم رشده من
قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين ولقد اتينا ابرهيم رشده اهتداه الى وجوه الصلاح ورفض الاصنام وقبل نبوته
وقيل العلم والكتب والحكمة من قبل قيل من قبل بلوغه وقيل من قبل موسى وهارون وقيل من قبل
وجوده في العلم السابق وكنا به عالمين بانه اهل الرشد والنبوة والهداية وقيل معناه انه علم منه
احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته كقولك
في خير من الناس انا عالم بفلان وكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ قال
لابيه قيل اذ متعلق باتينا ابرهيم رشده اي اتينا ابرهيم رشده وقت قوله لابيه وقيل برشده
اي اتينا وقت رشده وقيل متعلق بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل الصور اي الاصنام تجاهل لهم وتغاب ليحقر الهتهم ويصغر شانها

مع علمه

مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها التي انتم لها عاكفون على عبادتها وقيل لم ينو للعاكفين
مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقعون لها قال صاحب الكشاف
فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته
التي هي على **قوله تعالى** قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قالوا اي ابوه وقومه وجدنا
اباءنا لها عابدين اتبعناهم واقتدينا بهم قال صاحب الكشاف ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين استدرجهم الى ان قلدوا اباءهم في عبادة التماثيل
وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل
الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال ابرهيم لابيه وقومه لقد
كنتم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل
وهو الضمير المرفوع المتصل لا يصح ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة واباؤكم في ضلال مبين ظاهر
على من به ادنى مسكة لان استنادكم الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اي ابوه وقومه لابرهيم
عليه السلام اجئتنا بالحق يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب لاستبعادهم ان يكون
ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا انما قاله على وجه المجاز والمداعبة
لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل **قوله تعالى**
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اجابهم ابرهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على ان المستحق
للعبادة هو الله لا الصنم قال ابرهيم لابيه وقومه ما انا من اللاعبين بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اي فطر السموات والارض او فطر التماثيل ادخل في تضليلهم واثبت
للاحتجاج وانا على ذلكم شاهد من الشاهدين وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه
وتصحيحه لها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين
الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم ثم قال ابرهيم وتالله الفرق بين تاء القسم وتاه
ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب
كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا عنه لصعوبته وتعذره
ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة
سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسر الاكيدن اصنامكم لامكرن

حتى م

المزاح م

بها الكيد احتيال الكايد في ضر المكيد والمفسرون يقولون لاكيدنها بالكسر بعد ان تولوا اى
تذهبوا عنها وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون اليه ولا يخلفون بالمدينة احدا فقالوا
لابرهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق قال انى سقيم
والقى نفسه وقال سرا منهم وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل منهم فافشاه عليه فرجع الى
بيت الاصنام فكانت فيما ذكره مقاتل اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضة ونحاس وحديد
وخشب **قوله تعالى** فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون
قراء الكساى جذاذا بكسر الجيم والباقون جذاذا بضم الجيم فجعل ابرهيم التماثيل جذاذا فتاتا وكل شى
كسرته فقد جذذته والجذاذ بالضم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وجذاذا
بالكسر جمع جذيذ مثل ثقيل وثقال وخفيف وخفاف الا كبيرا اى كبير الاصنام الا كبيرا لهم
ويحتمل انه كان كبيرا في ذاته وانه كان كبيرا عندهم في تعظيمهم اياه لعل ابا ابرهيم وقومه يرجعون
الى الكبير فيشاهدونه وقيل يرجعون الى الله وقيل ابرهيم بالهمه وقيل الى دين ابرهيم بوجوب الحجة
عليهم **قوله تعالى** قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين فلما جاء القوم
من عيدهم الى بيت الهتهم قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اى قد فعل ما لم يكن
له فعله **قوله تعالى** قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قال الذى سمع ابرهيم
يقول وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين والذين سمعوا منه سمعنا فتى
يذكرهم يعيبهم ويسبهم ويستهزئ بهم يقال له ابرهيم هو الذى نظن انه صنع هذا
قوله تعالى قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فبلغ نمرود ذلك فقال
هو ومن حواليه فاتوا به بابرهيم عليه السلام على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا
مشاهدا اى بمراء منهم ومنظر ومعنى الاستعلاء في على هو وارد على طريق المثل اى يثبت اتيانه
في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعل الناس يشهدون عليه بما سمع
منه وبما فعله وقيل يحضرون عقوبتنا **قوله تعالى** قالوا ءانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابرهيم فلما اتوا به قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم ه **قوله تعالى**
قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا قيل قال ابرهيم غضب كبيرهم من ان يعبدوا معه هذه الصغار
وهو اكبر منها فكسرهن قال صاحب الكشاف هذا من معاريض الكلام ولطايف هذا النوع
لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه
لم يكن الا ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على
اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت

كتابا بخط

كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امى لا يحسن
الخط او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره
لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما
للعاجز استهزاء به واثبات للقادر وقيل غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مزينة منكما
وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى
تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه
ويجوز ان يكون حكاية لما يعود اليه تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان
من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه فسالوهم ان كانوا ينطقون الزام
للحجة عليهم بانهم جماد لا يقدرون على النطق وروى عن الكساى انه كان يقف عند قوله بل فعله
ويقول معناه فعله من فعله ثم يبتدى كبيرهم هذا قال القتيبى جعل ابرهيم النطق شرطا للفعل
فقال فعله كبيرهم هذا فسالوهم ان كانوا ينطقون والمعنى ان قدروا على النطق والفعل وفي ضمنه انا فعلت
ذلك قيل والذى تظاهرت به الاخبار في هذه الاية ان ابرهيم عليه السلام اسند الفعل الى الكبير
يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات كلها في الله عز وجل قوله انى
سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هى اختى ولا يستحيل ان يكون هذا القول من ابرهيم عليه
السلام بامره تعالى واذنه ليقرع قومه ويوبخهم ويحتج عليهم ويعرفهم موضع خطائهم كما اذن ليوسف
عليه السلام حين امر مناديه لاخوته ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيئا **قوله
تعالى** فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فرجعوا الى انفسهم قيل رجع
بعضهم الى بعض وقيل كل منهم نفسه متفكرا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال
انكم انتم الظالمون حين عبدتم من لا يتكلم وقيل حين تتركون الهتكم وحدها وتذهبون وقيل في عبادة
هذه الصغار مع هذا الكبير وقيل ظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم التى فعل بها ما
فعل حاضرة فسلوها وقيل ظالمون لابرهيم حين اتهموه والناس في تذكير الاصنام **قوله
تعالى** ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله
اعلاه وانتكس انقلب اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا
تقلبوا عن تلك الحال فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هاولاء مع تقاصر حالها عن حال
الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة منهم وقيل انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه
حين نفوا عنها القدرة على النطق وقيل قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا
مما بهتهم به ابرهيم فما اجابوا جوابا الا ما هو حجة عليهم عن قتادة ادركتهم حيرة فقالوا لقد علمت ما هاولاء

ينطقون وعن قتيبة رجعوا الى اول ما كانوا يعرفونها به من انها لا تنطق وفي قوله لقد علمت اضمار قالوا
وفي هذا اقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق فحينئذ توجهت لابرهيم الحجة فقال **قوله تعالى**
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
اف لكم معناه البين لكم وقيل اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجر ابرهيم عليه السلام
ما راى من شانهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتاففهم واللام
لبيان المتاف به اي لكم ولالهتكم هذا التاف **قوله تعالى** قالوا حرقوه وانصروا
الهتكم ان كنتم فاعلين فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وهكذا المبطل اذا قرعت
شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احدا ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش
برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود عن ابن عمر ان
الذي اشار عليهم بتحريق ابرهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد وروي انهم لما اجمعوا اي النمرود
وقومه لاحراق ابرهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا صلاب الحطب من انواع الخشب حتى ان كانت المراة تمرض فتقول
ان عافاني الله لاجمعن حطبا على ابراهيم وكانت المراة تنذر في بعض ما تطلب مما تحب ان تدرك لئن
اصابته لتحطبن في نار ابرهيم التي يحرق فيها احتسابا في دينها قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب
شهرا قالوا حتى اذا كثر وجمعوا منه ما ارادوا ان يشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار
واشتدت حتى ان كان الطير يمر بها فيحترق وضجها ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فرفعوه على راس
البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما
من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ابرهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره
يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل ان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت
له في ذلك فان لم يستغث بغيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاه في النار
اتاه خزان المياه فقالوا ان اردت اخمدت النار فان خزاين المياه والامطار بيده واتاه خازن الرياح
فقال ان شئت طيرت النار في الهوا فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة اليكم ثم رفع راسه الى السماء
فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري حسبي الله
ونعم الوكيل روي ان ابرهيم عليه السلام قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك رب
العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموا في المنجنيق الى النار من مضرب شاسع فاستقبله
جبريل فقال ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسال ربك فقال عليه السلام حسبي من سوالي
علمه بحالي فقال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم عن السدي كان جبريل هو الذي ناداها

في الجو من

عن ابن عباس

عن ابن عباس لو لم يتبع الله بردها سلاما لمات ابرهيم عليه السلام من بردها فلم يبق يومئذ
نار في الارض الا طفئت ظنها انها هي يعني قال السدي فاخذت الملايكة بضبعي ابرهيم عليه السلام
فاقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم
الا وثاقه قيل وكان ابرهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قيل قال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم من
الايام التي كنت فيها في النار قيل بعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد فيها الى جنب
ابرهيم عليه السلام وهو يونسه قال وبعث الله بقميص من حرير الجنة واتاه جبريل فقال يا ابرهيم
ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم عليه
السلام وما شك في نفرته فراى ابرهيم عليه السلام جالسا في روضة خضرا وراى الملك قاعدا الى
جنبه وما حوله نار تحرق ما جمعوا له من الحطب فناداه يا ابرهيم ان الهك الذي بلغت قدرته
هذا الكبير هل يستطيع ان تخرج قال نعم فقام ابرهيم يمشي حتى خرج فقال من الذي رايت معك
قال ملك ارسله الله الي ليونسني فقال نمرود اني مقرب لالهك قربانا لما رايت من قدرته فقال
اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك فقال يا ابرهيم لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له فذبح
القربان وكف عن ابرهيم قال المفسرون ومعنى كوني بردا اي ذات برد وسلاما اي سلامة وارادوا
به كيدا وهو التحريق بالنار فجعلناهم الاخسرين وهو ان الله سلط البعوض عليهم حتى اكل لحومهم
وشرب دماهم ودخلت واحدة في دماغ نمرود حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه بسوء فانقلب
السوء عليهم **قوله تعالى** ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي
ونجينا ابرهيم من نمرود وكيده ولوطا وهو ابن اخي ابرهيم من ارض العراق الى الارض التي باركنا
فيها اي الى ارض الشام وكانت سارة مع ابرهيم وعن السدي انما هي ابنة ملك حران لقيها
ابرهيم فتزوجها على ان لا يغيرها وكانت قد طفت على قومها في دينهم واما قوله الى الارض التي باركنا
فيها للعالمين فالاكثر على انها ارض الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبيا بعثوا
فيها وانتشرت في العالمين شرايعهم واثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله
فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن ابي بن كعب سماها
مباركة لان ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وعن
قتادة يقال الشام اعمار دار الهجرة وما نقص في الارض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في
فلسطين وكان يقال ارض المحشر والمنشر وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام
وبها يهلك الدجال **قوله تعالى** فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو
العزيز الحكيم عن ابن اسحق فامن لابرهيم لوط وامنت به ايضا سارة وخرج ابرهيم فسكن بها

من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط وساره فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة
ربه حتى نزل حران ما شاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل بفلسطين
وهي برية الشام ونزل لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة او اقرب من ذلك وقيل اراد بالارض التي باركنا فيها
للعالمين مكة ونزول اسمعيل الا ترى الى قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين
ووهبنا لابرهيم اسحق ويعقوب نافلة قيل عطية والمراد بها اسحق ويعقوب هذا قول مجاهد وعطاء وعن
بن عباس وقتادة وابن زيد نافلة اي زيادة والمراد بها يعقوب خاصة سال ابرهيم واحدا وقال رب هب لي
من الصالحين فاعطاه الله تعالى اسحق ولدا وزاده يعقوب فضلا وعطاء من غير سوال والنافلة
ولد الولد وهي حال من يعقوب ويجوز تخصيص المعطوف بالحال عند امن الالباس وقيل نافلة مصدر
من غير لفظ الفعل السابق اي ووهبنا له هبة واسحق ويعقوب جعلنا صالحين قال ابو عبيدة كل تقع
خبره على الواحد لان لفظه لفظ الواحد ويقع خبره على لفظ الجميع لان معناه معنى الجميع وجعلناهم اي
ابرهيم واسحق ويعقوب ائمة انبيا يقتدى بهم في الخير والدين يهدون يدعون الناس الى ديننا بامرنا اياهم
بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات ابن عباس شرايع النبوة مقابل الاعمال الصالحة اصله ان يفعل الخيرات ثم
فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتا الزكوة الزجاج حذف التاء من اقام الصلوة قليل في اللغة يقول
اقام اقامة والحذف جايز لان الاضافة عوض عن الهاء **قوله تعالى** ولوطا اتيناه
حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه
في رحمتنا انه من الصالحين انتصب لوطا بفعل مضمر يفسره ما بعده اي واتينا لوطا اتيناه وقيل
ارسلنا لوطا وقيل واذكر لوطا اتيناه حكما نبوة وفهما وعقلا وفصلا بين الخصوم وعلما كتابا وفتوى
ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث يعني سدوم كان اهلها ياتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون
في انديتهم ويقطعون السبيل ويعملون اشياء اخر من المنكرات وقيل ونجيناه مما عذبوا به انهم كانوا قوم
سوء شرار فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا وقيل في الجنة
انه من الصالحين **قوله تعالى** ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه واهله
من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
واذكر نوحا اذ نادى دعا ربه على قومه بالهلاك حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
من قبل ابرهيم ولوط فاستجبنا له اجبنا دعاه فنجيناه واهله اهل بيته واتباعه وليس ابنه منهم
قال الله تعالى انه ليس من اهلك من الكرب العظيم والكرب اقصى الغم الاخذ بالنفس وهو ههنا الطوفان

قال الله وما كان

قال الله تعالى انه ليس من اهلك وما كان فيه من تكذيب قومه واذاهم ونصرناه هو نصر الذي مطاوعة
انتصر اي منعناه من القوم الذين كذبوا باياتنا ان يصلوا اليه بسوء وقيل ونصرناه على القوم انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين **قوله تعالى** وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم
شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين ومن
الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين واذكر داود سليمن وقيل
يحتمل ان يكون المعنى واتينا داود عطفا على قوله ونوحا وذلك عطف على قوله ولوطا اتيناه حكما وعلما
اذ يحكمان بدل منهما في الحرث وسليمان هو بن داود وداود من بني اسرايل وكان نبيا ملكا عدلا يحكم بين
الناس فوقعت بين يديه هذه النازلة وكان ابنه سليمان اذ ذاك كبر وكان يجلس على الباب الذي
يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود على باب اخر فتخاصم الى داود رجلان احدهما صاحب حرث والاخر
صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انقلبت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق فراى داود عليه
السلام ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث فقال عليه السلام لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك
فاعطاه رقاب الغنم بالحرث على ان يبق الحرث بيده وقيل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب
الغنم وقيل يشبه على القول الاول انه راى الغنم يقاوم الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني راى الغنم
يقاوم الحرث وغلته ولا يظن بداود عليه السلام الا ان حكمه بنظر متوجه فلما خرج الخصمان على سليمان
شكى صاحب الغنم فقال سليمان كيف قضى منكما فاخبراه فقال سليمان عليه السلام لو وليت امركما
لقضيت بينكما بغير هذا فاخبر داود عليه السلام بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما قال
ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له نسلها ولبنها وصوفها وعوارضها ومنافعها ويبذر صاحب
الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه
~~الغنم الى~~ واخذ صاحب الغنم غنمه وعن ابن مسعود وسرح ومقاتل ان راعيا نزل ذات ليلة
بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم ولا يشعر فاكلت القضبان وافسدت الكرم فصار صاحب
الكرم من الغد الى داود عليه السلام فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام
وثمن الكرم تفاوت فمر سليمان عليه السلام وهو ابن احد عشر سنة فقال ما قضى الملك في
امركما فقصا عليه القصة فقال سليمان عليه السلام غير هذا ارفق بكما فعادا الى داود عليه
السلام فاخبراه بذلك فدعا داود سليمان عليهما السلام وقال له بحق الابوة والبنوة الا اخبرتني
بالذي هو ارفق بهما فقال سليمان عليه السلام فسلم الاغنام الى صاحب الكرم حتى يرتفق

بلبنها ونسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى ان يعود كهيئته ثم نزد الاغنام الى اصحابها
فقال داود عليه السلام اقضا كما قضيت وحكم كذلك وعن الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان
ولم ينعف داود في حكمه وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب اذ المخطئ غير آثم ولا يعاب حكمه ولا يحل
فهمه وعلمه اذ نفشت انتشرت بالليل وكنا لحكمهم لحكم داود وسليمان فجمع كما جمع في قوله وان كان
له اخوة وقيل لحكم القوم المذكور في قوله غنم القوم وقيل بحكم داود عليه السلام وسليمان عليه
السلام والمتحاكمين وهو الظاهر ففهمناها اي الحكومة او الفتوى وكلا منهما اسا حكما وعلما
اي نبوة وعلما امور الدين وعن الحسن لولا هذه الاية لرايت القضاة وكنه اثنى على سليمان لصوابه
واعذر داود باجتهاده وقيل حكم داود عليه السلام بالوحي لا بالاجتهاد اذ لا يجوز للانبيا الاجتهاد
لان الاجتهاد عند عدم النص والانبيا لا يعدمون النص فعمل داود بنص ثم نسخ ذلك بنص نزل على
سليمان وقوله تعالى ففهمناها سليمان القضا الفاصل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازلة
وهذا التفسير يحتاج الى تكلف وتعسف وبقي بعد قلقا غير متلاوم وقال جمهور المحققين ان حكمهما
كان باجتهاد اما وجه حكم داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت رقابها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة
في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يباع العبد في ذلك او يفديه
المولى ولعل قيمة الغنم كانت على قدر المقصان في الحرث ووجه حكم سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم
بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان
يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان قيل مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق
من يد الغاصب ان الغاصب يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب عن
منافع العبد فاذا ظهر العبد تراد اولو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا قال ابو حنيفة واصحابه
لا ضمان على صاحب البهيمة لا بالليل ولا بالنهار ومذهب ابي حنيفة مخالف لحكمهما ومذهب الشافعي
موافق لحكم سليمان من حيث ان الضمان على صاحب الماشية بالليل مخالف من حيث ان الضمان
بالقيمة او المثل لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها ففهمناها سليمان دليل على ان حكم سليمان
اصوب وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما كانا جميعا على الصواب والحق في الاجتهاد لا في الحكم والا لم
ينقض حكم داود عليه السلام الذي لا يجوز نقض الحكم الذي هو صواب والاية تدل على انه يجوز نقض
الحكم الذي هو صواب والاية تدل على انه يجوز نقض حكم الحاكم بالاجتهاد اذا ظهر ما هو اقوى منه وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن حال معنى مسبحات او استيناف كانه قيل كيف سخرهن قال يسبحن
عن ابي هريرة كان اذا سبح داود اجابته الجبال بالتسبيح والذكر والطير معطوف على الجبال او مفعول
معه قدم الجبال على الطير لان تسخير الجبال وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز

لانها

لانها جماد والطير حيوان من شانه ان ينطق وتسبيح الجبال بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه
في الشجرة حين كلم موسى وقيل تسبيحها ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله عز وجل فلما حملت على التسبيح
وصفت به وكنا فاعلين قادرين على هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا فاعلين مثل ذلك بالانبيا
اظهارا للمجزة وعلمناه اي داود صنعة لبوس درع واللبوس في الاصل اللباس قال الشاعر
اليس كل حالة لبوسها وكان داود عليه السلام اول من سردها وحلقها وكانت قبل ذلك صفايح
وقيل اللبوس السلاح كله من درع وسيف وسهم لكم لتحصنكم قرا ابن عامر وحفص عن عاصم
لتحصنكم بالتا وابو بكر عن عاصم بالنون خفيفة والباقون بالياء من قرا بالتا حمله على المعنى
لان اللبوس هو الدرع ومن قرا بالنون لتقدم قوله وعلمناه ومن قرا بالياء يجوز ان يكون الفاعل
هو الله لتقدم علمناه ويجوز ان يكون اللباس لان اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضربا منه
ويجوز ان يكون التعليم ومعنى ليحصنكم ليحرزكم ويمنعكم من باسكم اي الحرب ولسليمان اي و
سخرنا لسليمان والريح عاصفة شديدة الهبوب وصفت الريح تارة بالرخاء عنيا ونفسها فانها
كانت رخية طيبة كالنسيم وبالعصف باعتبار عملها فانها اذا مرت بكرسيه ابعدت به
في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر تجري بامره وطاعته واراد تدل تجري بجوز
ان تكون حالا ويجوز ان تكون استينافا وهبوبها على حسب ما يريد ويحتمل ان يكون الى اية ومعجزة
مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته الى الارض التي باركنا
فيها وهي ارض الشام والمعنى انها كانت تسير به الى حيث يشاء ثم تعود الى منزله بالشام وكنا بكل شي
عالمين قبل علمنا ان ما يعطي سليمان يدعوه الى الخضوع لربه وقيل وقد احاط علمنا بكل شي فنجري
الاشيا كلها على ما تقتضيه علمنا وحكمتنا وقيل لعلمنا ما يصلح لكل احد وما يصلح هو له ومن الشياطين
اي وسخرنا ايضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحار اي يدخلون في الماء ويستخرجون
له الجواهر من البحر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص كبنا المحاريب والتماثيل وبنا المدائن
والقصور واختراع الصنايع العجيبة وكنا لهم حافظين ان يخرجوا عما امروا او يبدلوا او يغيروا
او يوجد منهم فساد في الجملة فمنهم مسخر ومنهم غير مسخر

قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واذكر ايوب اذ نادى ربه اني مسني

دعام

قرا حمزة مسني بسكون الياء والباقون بفتحها الضر بالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
وبالفتح الضرر في كل شي وانت ارحم الراحمين وهذا تعريض منه لسوال الرحمة اذ اثنى عليه بانه
ارحم والطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح

بالمطلوب روى ان ايوب عليه السلام كان نبيا مبعوثا الى قوم روميا هو ايوب بن اموص بن روم
بن عيص بن اسحق ابن ابرهيم خليل الله وكانت امه من ولد لوط ابن هاران بسط الله عليه الدنيا وكثر
امواله واهله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم من الابل والبقر والغنم وكان
صاحبه البثنية من ارض الشام فكان له خمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد
وكان برا وتقيا رحيما بالمساكين فحسده ابليس فقال يا رب سلطني على ماله وولده فان فعلت رايته
كيف يطيعني ويعصيك فقيل له قد سلطت على ماله وولده فرجع ابليس فجمع شياطينه ومردته فبعث
بعضهم الى دوابه فاحتملوها حتى قذفوها في البحر وجاء ابليس في صورة قيمة فقال يا ايوب الا اراك
تصلي وقد اقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قذفتها في البحر فلم يرد عليه شي حتى فرغ من
صلوته وقال الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني فانصرف خائبا فارسل بعض شياطينه الى جنانه وزرعه
فاحرقها وجاء فاخبره فقال مثل ذلك فارسل بعض الشياطين فزلزلوا منازل ايوب وفيها ولده وخدمه
فاهلكوهم وجاء فاخبره فحمد الله وقال لابليس وهو يظنه قيمة لو كان فيك خيرا لقبضك معهم فانصرف
خائبا فقيل له كيف رايت عبدي ايوب قال يا رب سلطني على جسده فسوف ترى قيل له قد سلطت
على جسده فجاء فنفخ في ابهام قدميه فاشتعل فيه مثل النار ولم يكن في زمانه اكثر بكاء منه خوفا من الله
فلما نزل به من البلاء لم يبك مخافة الجزع وبقي لسانه للذكر وقلبه للمعرفة والشكر فكان يرى امعاه وعروقه
وعظامه وكان مرضه انه جرح في جميع جسده كالليل كاليات الغنم ووقعت به حكة لا يملكها فحك
باظفاره حتى سقطت ثم بالمسوح ثم بالحجارة فانتن جسمه وتقطع واخرجه اهل القرية جعلوا له عريشا
على كناسه ورفضه الخلق سوى زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب وكانت تختلف اليه
بما تصلحه روى انه كان ملك يظلم الناس وكلمه في ذلك جماعة من الانبيا سكت عنه ايوب لاجل خيل
كانت له في سلطانه فاوحى الله اليه تركت كلامه من اجل خيلك لاطيلن بلاك روى انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان مدة لبثه في البلاء ثماني عشرة سنة ابن عباس سبع سنين الحسن سبع
سنين واشهر وهب ثلاث سنين بن عباس ان ايوب اشتهى اداما فلم تصبه امراته حتى باعت قرنا
من شعرها فلما علم ايوب ذلك قال مسني الضر العوفي ان الله تعالى انساه الدعا مع كثرة ذكره له فلما انتهى
اجل البلايا يسر له الدعا فاستجاب له وقيل ان نفرا من بني اسرايل مروا به فقال بعضهم لبعض ما اصابهم
هذا الا لذنب عظيم فعند ذلك قال مسني الضر روى انه كان له اخوان فاتياه يوما واحدا ريحا فقالا
لو كان الله علم منه خيرا ما بلغ به كل هذا فما سمع شيا اشد عليه من ذلك فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت
شبعان وانا اعلم مكان جايع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم اني كنت تعلم اني لم البس قميصا
وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان فخر ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي

فكشف الله

فكشف الله تعالى ما به الحسن ان ابليس جاء الى زوجته بسخلة فقال لتذبح ايوب هذه لي وقد برا
فجات فاخبرته فقال ايوب لئن شفاني الله لاجلدنك ماية جلدة امرتني ان اذبح لغير الله ثم طردها عنه
فذهبت فلما راى انه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال مسني الضر روى ان الله
تعالى اوحى اليه وهو في عنفوان شبابه اني مبتليك قال يا رب واين يكون قلبي قال عندي فصب
عليه من البلاء ما سمعتم حتى اذا بلغ البلاء منتهاه اوحى الله اليه اني معافيك قال يا رب واين يكون قلبي
قال عندك قال مسني الضر عين الشكوى اجيب بان الشكوى الى الله لا ينافي الصبر وانما المذموم
الشكوى الى الخلق الم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله قال سفيان ابن
عيينة وكذلك من شكى الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعا الم تسمع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل في مرضه اجدني مغموما واجدني مكروبا واتاه اهله اي اولاده
ومثلهم معهم ابن مسعود والحسن وقتادة ان الله تعالى احيى اليه اهله باعيانهم واتاه مثلهم معهم
في الدنيا ابو صالح عن بن عباس كانت امراته ولدت له سبع بنين وسبع بنات فنشروا له هشام
عن الحسن انهم كانوا قد غيبوا ولم يموتوا فاتاه اياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الاخرة مجاهد اتاه الله
اجور اهله في الاخرة واتاه مثلهم في الدنيا قيل اتاه اهله ومثلهم معهم في الاخرة رحمة من عندنا اي
فعلنا به رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يقتدون به في الصبر على البلاء والشكر على النعما محمد بن
كعب من اصابه بلاء فليذكر ما اصاب ايوب فليقل قد اصاب من هو خير مني قوله تعالى
واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين
٥ واذكر اسمعيل ابن ابرهيم خليل الله عليهما السلام وادريس واخنوخ ابن شيث
ابن ادم وهو اول نبي بعث الله من بني ادم روى انه كان خياطا وكان يسبح الله عند ادخال
الابرة ويحمده عند اخراجها وذا الكفل قيل انه لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا وروى
ان اليسع جمع بني اسرايل فقال من تكفل لي بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب فاوليه
النظر للعباد بعدي فقام اليه شاب فقال انا لك بذلك فراجعه ثلثا في كل ذلك يقول
انا لك بذلك فاستعمله فلما مات اليسع قام بالامر فجاه ابليس ليغضبه فكان لا ينام الا
في القايلة وكان ياتيه وقت القايلة اياما فيوقظه ويشتكي ظلامة ويقصد تضييق
صدره فلم يضق به صدرا ومضى معه لينصفه بنفسه فلما راى ابليس ذلك خلاه وذهب
وكفاه الله شره وسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به بن العباس ذو الكفل هو الياس
الحسن يدوي اسمه ذا الكفل وقيل هو يوشع ابن نون ذا الكفل الحظ والله ضاعف ثوابه
لانه ضاعف عمله وقيل عبد الله في غار جبل والكفل الجبل وقيل هو ركن ما قبل خمسة من الانبيا

ذووا اسمين اسرايل ويعقوب الياس وذوا الكفل عيسى والمسيح يونس وذوا النون محمد واحمد
كل من الصابرين على طاعة الله وترك معصيته وادخلناهم في رحمتنا ابن عباس ههنا الجنة
وقيل النبوة وقيل النعمة وقيل الموالاة انهم من الصالحين من الانبيا سموا صالحين لان
صلاحهم لا يشوبه كدر الفساد ومعنى وادخلناهم في رحمتنا عم بهم الرحمة وهو ابلغ من رحمناهم
قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين
ه واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبه يونس بن متى نسب الى الحوت الذي التقمه اذ ذهب
مغاضبا المغاضبة مفاعلة واكثر من اثنين كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة وقد يكون من واحد
نحو سارقت وشافرت والمغاضبة هاهنا من هذا الباب ابن عباس مغاضبة لقومه واختلفوا
في سبب غضبه عليهم ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى نبي يقال له شعيا ان ائت فلانا الملك فقل له
نبعث نبيا اميا الى بني اسرايل كان قد غزا بني اسرايل ملك وسبا منهم الكثير فاراد النبي والملك ان
يبعثا يونس الى ذلك الملك ليكلمه حتى يرسلهم فقال يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي قال لا قال هل
سماني لك قال لا قال فههنا غيري من الانبيا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه وقيل ان ذا
النون عاين من قومه امرا صعبا من الاذى والتكذيب فخرج عنهم قبل ان يومنوا ضجرا وما ظن
ان هذا الفعل يوجب عليه ما جرى من العقوبة عن وهب لما حملت عليه اثقال النبوة ضاق بها
ذرعها ولم يصبر فقذفها من يده وخرج هاربا وقيل انه لما اوعدهم العذاب فتابوا ورفع عنهم قيل له
ارجع اليهم قال كيف ارجع فيجدوني كاذبا فانصرف مغاضبا لقومه عاتبا على ربه الحسن وسعيد بن
جبير والشعبي وعروة مغاضبا لربه والمعنى مغاضبا من اجل ربه انما غضب لاجل تمردهم وعصيانهم
ابن قتيبة كان مغيظا عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم مشتهيا ان ينزل العذاب بهم فعاقبه الله
عن كراهية العفو عن قومه وقيل يوم يقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراعهم وظن
ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله عز وجل وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه
ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه
انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فظن ان لن نقدر عليه عن ابن عباس
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه بالعقوبة تقول العرب قدر الله الشي
يقدره تقديرا قدره يقدره قدرا وقدرا والقدر ايضا ما يقدره الله من القضاء وعن ابن عباس
انه دخل على معوية فقال لقد ضربني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا
الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من

القدر

القدر لا من القدرة قيل فظن قيل فظن ان لن نضيق عليه يقال قدر عليه عياله مثل قتر ومنه قوله
تعالى فقدر عليه رزقه اي فضيق عليه فيه والمعنى فظن ان لن نضيق عليه الخروج فكانه ظن ان الله
قد وسع عليه ان شاء ان يقيم وان شاء ان يخرج ولم يوذن له في الخروج وقيل يصح ان يكون من القدرة
على معنى فظن ان لن نعمل فيه قدرها وقيل يصح ان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من
ظن ان لن يقدر عليه في مراغمة قوم من غير انتظار لامر الله وقيل يجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة
الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت
ومنه قوله تعالى ويظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين فنادى في الظلمات ذهب يونس من قومه حتى
بلغ السفينة فساهم فسهم فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات
وقيل في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت وقيل ظلمة الامعا وظلمة البطن وظلمة البحر وظلمة الليل وقيل التقم ذلك
الحوت حوت اخر اكبر منه فتكون الظلمات شاء ان لا اله الا انت اي فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الحسن وهذا اعتراف من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته
وعنه ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم اي اجبناه ونجيناه من الغم من الظلمات وكذلك ننجي
المومنين اذا دعونا **قوله تعالى** وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين ه واذكر زكريا تقدم امر زكريا عليه السلام في مريم واصلحنا له زوجه اي جعلنا
زوجته صالحة للولادة بعد عقرها وقيل انه كان في لسانها طول وهو البذا فاصلحنا له وقيل كانت سليطة
فكف عنه لسانها وقيل كان خلقها سيا فاصلحناها له انهم ان المذكورين من الانبيا كانوا يسارعون
في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا فيما عندنا ورهبا من عقابنا وكانوا لنا خاشعين متواضعين
خايفين **قوله تعالى** والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها
اية للعالمين واذكر التي احصنت فرجها وهي مريم بنت عمران احصانا كليا من الحلال والحرام
كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فنفخنا قال صاحب الكشاف فان قلت نفخ الروح في الجسد
عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان
قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها
اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان تقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز
ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها

فاستجبنا له م

واضافة الروح الى الله تعالى للتشريف وجعلناها وابنها اية للعالمين لما كان شانها واحدا كانت
الاية فيها واحدة وهي ولادة من غير محل **قوله تعالى** ان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الامة الملة قيل يجوز
ان يكون الكلام متصلا بما قبله اي جعلنا مريم وابنها اية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل
لهم ان هذه امتكم امة واحدة اي دعي الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم اخبر انهم بعد ذلك اختلفوا
وتقطعوا امرهم وقيل ان هذه امتكم كلام منقطع خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا خرج من الخطاب الى الغيبة
على سبيل الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخرين ويصح عندهم فعلهم ويقول الا ترون الى عظيم
ما ارتكب هاولاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشي ويقتسمونه
فيظهر لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم
بان هاولا الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ثم فرق بين المحسن والمسيء فذكر
المحسن بالوعد فقال تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد سعيه اي يقبل
منه ويثاب عليه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه اذا قيل له شكور وقد
نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون ذلك السعي في صحيفة عمله وما نحن له
مسيئون فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه والمعنى نامر الحفظة الكرام الكاتبين ان يكتبوه ثم ذكر
المسيء بالوعيد فقال وحرام قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وحرم بكسر الحاء وسكون الراء والباقون
بفتح الحاء والراء والف بعد الراء وهما لغتان يقال حرم وحرام استعير للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى
ان الله حرمهما على القوم الكافرين اي منعهما وابى ان يكونا لهما على قرية اهلكناها اي اردنا اهلاكها انهم
لا يرجعون من الكفر الى الاسلام والانابة والمعنى قوما اراد الله اهلاكهم وقدره غير متصور ان يرجعوا
عن الكفر وينيبوا الى يوم القيمة **قوله تعالى** حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين حتى قيل حرف ابتدا السبب اذا لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره
قيل جوابه اقترب الوعد والواو زايدة نظيره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقوله فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه اي فتحت ابوابها ناديناه وقيل جوابه في قوله يا ويلنا وليست الواو بزايدة
وقيل الجواب في قوله فاذا هي شاخصة وقيل متعلقة بقوله وتقطعوا وقيل يرجعون وقيل حتى متعلقة
بحرام وهي غاية للحرام لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى يقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام

المحكي

المحكي الجملة من الشرط والجزا اعني اذا وما في حيزها اذا فتحت قرا ابن عامر فتحت بالتشديد والباقون
بالتخفيف ياجوج وماجوج حذف كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل وفتحت كما قيل اهلكناها وهم
قيل ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد وقيل جميع الناس المسوقون الى المحشر من كل حدب نشز من الارض
واكمة ينسلون يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذيب اذا بادر والنسلان
مثله واقترب الوعد الحق اي القيمة والحق الذي لا خلف فيه واقترب عطف على فتحت فاذا هي اذا المفاجاة
وهي تقع في المجازاة ساد مسد الفاء لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جات الفاء معها تعاونتا على وصل
الجزا بالشرط فتاكد وقيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم يوضحه الابصار
ويفسره كما فسر الذين ظلموا ضمير الفاعل في اسروا شاخصة ممتدة لا تطرف يقال شخص بصره فهو شاخص
اذا فتح عينه وجعل لا يطرف ابصار الذين كفروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون
في موضع الحال من الذين كفروا قد كنا في غفلة اي قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
لانفسنا بترك الايمان به **قوله تعالى** انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون لو كان هاولاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
انكم ايها المشركون وما تعبدون الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم اياكم واتباعهم خطواتهم
في حكم عبدتهم من دون الله حصب جهنم الحصب ما يحصب به في النار اي يرمى قال ابو عبيدة
في قوله تعالى كلما القيته في النار فقد حصبتها به اي وقودها انتم لها واردون داخلون لو كان هاولا
الهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا جهنم وكل منكم وما تعبدون في جهنم خالدون لهم فيها زفير انين
وتنفس شديد وبكاء وعويل وهم في جهنم لا يسمعون شيا الحسن صاروا صما عميا بكما وقيل لا يسمعون
ما يسرهم وقيل لانهم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخر ثم جعلت التوابيت في
توابيت اخر فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره ثم
استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم
فعرض له النضر بن الحارث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من
دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن
الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم
بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم وانما قرنوا بالهتهم لانهم لا يزالون بلقا نتهم في زيادة غم

وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا ان يستشفعوا بهم في الاخرة ويتشفعون بشفاعتهم فاذا صاد فوا الامر على خلاف ما قدروا لم يكن شيء اغض لهم منهم اذ الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفصلة في الحسنى تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة اوليك عنها اى الذين سبقت لهم منا الحسنى عن جهنم مبعدون **قوله تعالى** لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملايكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون لا يسمعون حسيسها صوتها والحسيس الصوت يسمعه من الشيء اذا مر قريبا منك ابن عباس لا يسمع اهل الجنة وهم اى الذين سبقت لهم الحسنى فيما اشتهت انفسهم خالدون والشهوة طلب النفس اللذة اى في غاية النعم ونعم الجنة وملاذها لا يحزنهم الفزع الاكبر بن عباس النفخة الاخيرة التي بها يقوم الناس من قبورهم سعيد بن جبير اطباق النار على اهلها ابن جريج ذبح الموت بين الجنة والنار الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار وتتلقاهم اى وتستقبلهم الملايكة مهنئين على ابواب الجنة يقولون هذا يومكم الذى كنتم توعدون في الدنيا اى وقت ثوابكم الذى وعد ربكم في الدنيا فحل **قوله تعالى** يوم نطوى السماء كطى السجل للسجل للصحاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العاملين يوم نطوى لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم اى يوم نطوى السماء طيا كطى السجل الصحيفة للكتاب المكتوب قراء حمزة والكسائى وحفص عن عاصم للكتب على الجمع والباقون للكتاب عن علي وابن عمر رضي الله عنهم والسدى السجل ملك عن ابن عباس السجل كاتب لرسول الله وعنه ايضا السجل معنى الرجل لعلى هذه الاقوال الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيده الكاف والكاف بكفوفة بما والمعنى نعيد اول خلق كما بدانا ه تشبيها للاعادة بالابداء وتناول اعادة لهما على السواء وقيل كما بدانا هم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة نظيرها قوله تعالى ولقد جيئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جيئتمونا كما خلقناكم اول مرة ابن عباس يقول ملك كل شيء كما كان اول مرة وقيل كما بدانا من الماء نعيده من التراب وقيل كما اوجدنا اولا عن عدم نعيده ثانيا عن عدم والتنكير في خلق كالتنكير في رجل في قولك هو اول رجل جاني ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفضيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول الخلق معنى اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع ويجوز ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى نعيده مثل الذى بدانا ه نعيده واول خلق ظرف لبدانا ه اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول اسقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان

نعيد الذى بدأنا ه ص

قوله

قوله نعيده عمدة للاعادة انا كنا فاعلين قادرين على ما نشاء ان نفعل وقيل انا كنا فاعلين ما وعدناه **قوله تعالى** ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ولقد كتبنا في الزبور وقيل الزبور اسم لجنس ما انزل على الانبيا من الكتب والذكر ام الكتاب اللوح المحفوظ الذى عند الله وقيل الزبور الكتب والذكر التوريه من بعد الذكر ان الارض قيل ارض الجنة وقيل ارض الدنيا وقيل ارض المقدسة يورثها عبادى الصالحون ابن عباس امة محمد صلى الله عليه وسلم يرث ارض الدنيا بالفتوح وقيل بنو اسرايل وقيل عام في كل صالح وقيل يرثها المؤمنون بعد الجلا الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا مستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين **قوله تعالى** ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعابدين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل اذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون ان في هذا المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ لبالغا لبلاغا لكفاية وما تبلغ به البغية لقوم عابدين موحدين مطيعين وقيل بلاغا مقنعا ومكسبا وقيل بلاغا يسلغون رضوان الله وجزيل ثوابه وقيل فيما تعبد فيه امة محمد صلى الله عليه وسلم من الصوم والصلوة وغير ذلك بلاغ في عبادة الله وقيل في نورث الجنة الصالحين بلاغ في الجزاء اى كفاية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نعمة تشملهم قيل هي للمومنين خاصة وقيل عام فيهم امسكنا من الخسف والمسخ والعذاب وقيل هم تعريضهم للنعيم الدايم لكن فوتوه على انفسهم بكفرهم قل يا محمد انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانا الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على اثبات وحدانية الله وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب ان يخلصوا التوحيد لله وان يخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية تصح ان تكون طريقها السمع ويجوز ان تكون المعنى اذ الذى يوحى الي فيكون ما موصولة فان قيل لو دل انما على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح الى الرسول شيء الا التوحيد ومعلوم ان ليس كذلك اجيب بان المقصود المبالغة فان تولوا فقل اذنتكم على سواء اذن منقول من ان اذا علم ولكن كثر استعماله في جرى مجرى الانذار يعني اعلمكم على بيان انا وايا كم حرب لا صلح بيننا وانى نخالف لدينكم وقيل معناه على سواء من الانذار لم اظهر

بعضكم على شي كتمته عن غيره قيل المعنى اني بعد توليتكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب
توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة
فنبذ اليهم العهد وشهر السيد واشياعه واذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستقرين في الاعلام
به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وقيل ليستووا في الايمان به وهذا من
فصيحات القران وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيمة وما توعدونه من غلبة
المسلمين عليكم كاين لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري
متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني **قوله تعالى** انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين انه تعالى يعلم العلانية
من القول ويعلم ما تقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد وقيل ما يجاهرون به من
الطعن في الاسلام وما يكتمون من ان العذاب لا يكون وقيل ما يكونه في صدوركم من الاحن
والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد وان ادري اي وما
ادري لعل تاخير العذاب او الموعد فتنة بلاء واختبار لكم ومتاع تمتيع لكم الى حين انقضاء
اجالكم وهو الموت وقيل الى يوم بدر وقيل الى اجل يقضي الله فيه ما شاء عن الشعبي لما سلم الحسين
ابن علي رضي الله عنهما الامر لمعاوية قال له معاوية قم فاخطب فاعتذر الى الناس فقام الحسن
رضي الله عنه فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور وان هذا
الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية اما حق له فهو كان احق به واما حق لي فتركته التماس الصلاح
لهذه الامة ثم قال وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين **قوله تعالى** قل رب
احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون قراء حفص عن عاصم قال رب احكم بالالف
على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون على الامر قل يا محمد يا رب احكم اقض
بيننا وبين اهل مكة بالحق بالعذاب الذي نزوله حق كانه يستعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم
بدر عن قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق ومعنى بالحق
لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر وربنا
الرحمن على خلقه بالرزق المستعان على ما تصفون من كذبكم وباطلكم ٥ ٥

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بالراغب
وكفى عبده